

آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

محاضرات ومطارحات في العقيدة
والتربية والفقه والسيرة

سلسلة
ندوات
الحوار
الإسبوعية
بدمشق

التكوية

اعداد عادل القاضي

دار الملاك

الجزء الحادي عشر

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الاولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

بيروت - لبنان - حارة حريك - قرب مستشفى الساحل - هاتف: ٠٣/٧٥٥٢٠٠ - ٠١/٤٥٠٧٦٩
ص. ب ٢٥/١٥٨ الغبيري - Int: WWW.dar-almalak.com/Email: dam @ dar-almalak.com

آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله

الندوة

سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق
محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة

إعداد : عادل القاضي

الجزء الحادي عشر

دار الميثاق



المقدمة

الفقه التربويّ

واحد من أهم حقول أسئلة الجمهور في ندوة السبوت بدمشق، هو الحقل التربوي، ذلك لأنّ مسائل هذا الحقل متعددة ومنوعة وهي موضع ابتلاء مشترك، حتى ليتمكن أن نستخدم على هذا الحقل بـ(الفقه التربويّ) لجهة أن السائل يستفتي سماحة السيد في الرؤية الإسلامية لحل هذه المشكلة التربوية أو تلك، فضرب الطفل أو اغتيابه، وضرب الزوجة أو الكذب عليها، والتجسس على الأبناء، والتفتّت على هواتفهم، وطاعة الوالدين وحدودها، وأزمة الثقة والمقاطعة الاجتماعية، إلى غير ذلك من المسائل الأخلاقية والروحية والسلوكية هي بعض عناوين شتى ومتشعبة لهذا الحقل الحيويّ الشديد الأهمية الذي يمثل من زاوية النظر الشرعية أحد أبرز العناوين الفقهية التي تضع السلوك الإنساني تحت ضوء التقويم والترشيد والمراجعة وفقاً لخط السير الإسلامي الصحيح لكل حركة ينطلق بها المكلف في مشروع حياته اليومي والمستقبليّ، الذاتي أو الغيري، الأسري أو الاجتماعي، الإيجابي أو السلبي.

إن مفهوم الفقه اليوم اتسع نطاقه ليتعدّى النظرة التقليدية إليه في أبوابه المعروفة، وهو وإن نحا منحى اصطلاحياً جديداً، لكنه يعود إلى جذوره اللغوية

الأولى سالماً، فعندما يقال فقه الأمر أي أحسن إدراكه وعرف جميع تفاصيله ومتعلقاته، والفقه هو العلم ولكنّه غلب في علم الشريعة وفي أصول الدين، واستعمل فيمن يقرأ القرآن ويعلمه^(*)، ولذا فإنّ المراد بالفقه التربويّ ليس مسائل الحلال والحرام فيما يجوز ولا يجوز، وإنّما العلمُ بالنظرة الإسلامية الشاملة والمستوعبة لمشاكل التربية وحلولها.

ومن خلال متابعة مستقصية للمسائل التربوية التي طرحت منذ أكثر من سبع سنوات - عمر الندوة المبارك - يلاحظ المتتبع أنّ سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله - دام ظلّه - لم يكن يتعامل مع الفقه التربويّ تعامل النظرة الشاملة، وإنّما يتعامل مع كلّ مسألة بمعزل عما سواها من مسائل تربوية، لكنّنا ونحن نحاول دراسة تلك المسائل التي تراكمت عبر أكثر من عشر مجلدات، يمكن أن نخرج ببعض الخطوط العامّة لهذا الفقه، هذا مع العلم أن سماحته تناول في أكثر من محاضرة مواضيع تربوية تصلح أن نطلق عليها معالجات تربوية متلبّثة، ولأنّنا قررنا الاختصار على المسائل التربوية دون المحاضرات التربوية، فإنّنا سنورد في نهاية هذه المقدمة كشفاً كاملاً بتلك المحاضرات لمن يروم العودة إليها في بحث أو دراسة ما طرحه سماحة السيد في هذا المضمّن.

ولأجل تسهيل المهمّة على الباحثين سنقوم بعملية تصنيف لتلك المسائل

حسب الترتيب التالي:

١. تربية الأطفال

٢. تربية الشباب

٣. العلاقات الزوجية

٤. العلاقات الاجتماعية

٥. العلاقات بين المغتربين

٦. التهذيب الاجتماعي

٧. الأجواء المنحرفة

٨. المقاطعة الاجتماعية

٩. التربية الروحية

١٠. التربية الأخلاقية

أولاً: تربية الأطفال:

١. شخصية الطفل:

سُئل سماحته ((هناك نظريتان في علم النفس حول شخصية الطفل: النظرية الأولى تقول إن الإنسان يولد فرداً وليس شخصاً ثم تتكون شخصيته بعد ذلك من خلال مجموعة عناصر الوراثة التي يحملها والتربية والثقافة التي يتلقاها. والنظرية الثانية تقول إن الإنسان يولد شخصاً (مزوداً بعناصر ذاتية) لا فرداً، وأن دور التربية هو عملية إبراز وإظهار تلك الشخصية، فما هو رأيكم بذلك على ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة؟

فأجاب قائلًا: ((إن النظرية التي تقول إن الإنسان يولد مجرد رقم من الأرقام ليس عنده أي شيء في ذاته مثل الأرض الخالية التي كلما بقي فيها شيء قبلته، ليس صحيحاً، فالقرآن الكريم يؤكد أن لدى الإنسان فطرة الهداية ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٢) مما يدل على أن هناك شيئاً موجوداً في داخل الإنسان وهو عنصر الهداية الفطرية، بحيث إذا انطلق الإنسان فإنه يتحرك على أساس وجود خيارين. الأمر الذي يدل على وجود شيء عميق في ذاته ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا

(١) الإنسان: ٣.

(٢) البلد: ١٠.

كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»^(٣).

فهناك - بشأن هذه الآية - تفسيران: تفسير يقول إن هذا هو (عالم الذر) أي عندما خلق الله آدم وأخرج ذريته من ظهره كممثل الذر شافهمهم بأن أشهد الذرية على أنفسهم! ألسنتُ بريكهم؟ وأخذ منهم الميثاق. وهناك روايات تتحدث عن الميثاق.

لكن علماءنا يثيرون إشكالين على ذلك: الإشكال الأول هو إخراج الذرية والآية تقول «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» أي ليس من آدم، بل أخرج الله ذرية كل إنسان من ظهره. والإشكال الثاني: إننا لا نتذكر الميثاق، فكيف يكون حجة علينا؟ وأما التفسير الثاني فهو أن الله أشهدهم على أنفسهم لا إشهاداً فعلياً وإنما ركب فيهم من العناصر التي لو سألهم لأجابوا، وهو إشارة إلى عنصر الفطرة وما يتعلق بها بحيث لو سئلت عن ربها لصرخت (الله ربي) وهذا المعنى يؤكد الحديث الشريف الوارد عن النبي ﷺ ((كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))^(٤) فلو ترك ونفسه لتحرك على أساس الفطرة وهي فطرة التوحيد «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ»^(٥).

وعلى هذا الأساس نقول إن الإنسان خلق شخصاً من خلال العنصر الذي يفتح أمامه باب الهدى، كما أن عناصر الوراثة أيضاً تترك تأثيرها في قابليات الإنسان، لكن هذا الموضوع يمثل القابلية، وأما الفعلية فتحتاج إلى التعليم، ولعل هذا هو الذي قاله أمير المؤمنين ﷺ ((وإنما قلبُ الحدث كالأرض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته))^(٦) والمقصود من ذلك هو الجانب الفعلي وليس جانب القابلية، فالقابلية موجودة في الطفل كما في الأرض التي فيها عناصر تنمي ما

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥، ٢١ ب، ص ٢٩٦.

(٥) الروم: ٣٠.

(٦) بحار الأنوار، ج ٣٣، ١ ب، ص ٣.

يلقى فيها))^(٧).

٢. التربية في الطفولة:

وأما بخصوص كيفية فهم الروايات التي تأمر بالإشراف على تربية الأطفال منذ الصغر، فيقول سماحته: ((نفهمها بأن نجعل أولادنا مسؤوليتنا، وأن نذكر بأن نجعل من أولادنا مسلمين ومؤمنين صالحين يعيشون مع الناس وينفتحون على كل مواقع الحق والخير، وذلك بأن نعمل على إلقاء البذور الصالحة في أفكارهم ومشاعرهم لتنمو في داخلهم نمواً طبيعياً يحقق لهم النتائج الطيبة في المستقبل))^(٨).

وكان رأيه بقول إفلاطون ((اجعلوا أول العلم في الطفل أقرب إلى اللعب منه إلى الحب ولا تسوقوه إلى المسائل كما تساق البهائم إلى حضائرها)) هو: ((في الحديث ((أتركه سبعا وأدبه سبعا وأصحبه سبعا)) فالإسلام يريد للطفل أن يعيش طفولته حتى عندما تريد أن تربيته وتغرس في نفسه المسائل والشؤون التربوية المختلفة، ولذا جاء في الحديث أيضاً ((من كان له صبي فليتصاب له)) أي إذا كان عندك ولد فلا تحدثه بعقلية الرجل الكبير، ولكن تحدث معه بلغة يفهمها، بمعنى آخر تَقْمَصْ شخصيته وأنت تحدث طفلك وتربيته))^(٩).

ولقد سئل سماحته: ((تربية الوالدين للطفل تجعله يطيع والديه في أكثر الأشياء حتى في الانحراف بحسب الحديث الوارد عن الرسول ﷺ ((يولد الولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) فما هو تعليقكم؟)).

فأجاب سماحته: ((إن معنى هذا الحديث هو أن النبي ﷺ يبين واقع الإنسان، فلو ترك وفطرته لكان موحداً، لأن الإسلام هو دين الفطرة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(١٠). ولكن الأبوين

(٧) ج ٢، ص ٥١١-٥١٢.

(٨) ج ٢، ص ٥١٦.

(٩) ج ١، ص ٦٠٨.

(١٠) الروم: ٣٠.

قد يساهمان في تنصيره أو تهويده أو تمجيسه، فالرسول ﷺ يتحدث عن واقع الإنسان وواقع المؤثرات الخارجية، فقد لا يكون أبواه المسؤولين، بل ربما تكون البيئة التي يعيش فيها أو الأصحاب أو المدرسة^(١١).

ويسأله أحدهم: ((من خلال مطالعاتي لمجتمعنا وطريقة تنشئة أطفالنا أصبح عندي شبه عقدة في كيفية تربية أطفال في مجتمعي وأنا مقبل على الزواج فأني كتاب تنصحنى بمطالعتي من أجل تكوين أساليب جيدة ومفيدة لتربية أطفالى؟)).

فقال سماحته مجيباً: ((أولاً: يجب أن تعرف كيف تعامل زوجتك، وعندما تعرف كيف تعامل زوجتك تعرف كيف تعامل أطفالك، لأن الذي لا يعرف كيف يعيش مع زوجته لا يعرف طريقة العيش مع أولاده. ولذلك فانت تحتاج إلى كتاب كيف تعيش مع زوجتك؟ وكيف تكون إنساناً؟ وكيف تكون عادلاً مع زوجتك؟ وهذه هي التجربة الأولى التي تفتح لك الطريق إلى التجربة مع الأولاد. وعليك أن تدرس الأساليب الموجودة في الواقع الإجتماعي والأسس التي ترتكز عليها التربية لأن بعض الكتب تمثل تجربة أصحابها. وهناك كتب كثيرة عن الطلاب، فبعض الناس يصنعون تجاربهم من الحياة وليس من الكتب وبالطبع فإن دراسة الكتب مفيدة ولكن ليس على الإنسان أن يتجمد أمام الكتب بل يحاول أن يجرب بنفسه، ونحن نعرف أن بعض الأمهات لا يقرأن ولا يكتبن ولكنهن يملكن من أساليب التربية أعظم من كل الأساليب المكتوبة في كتب التربية، ولا نريد أن ننتقص من كتب التربية.))^(١٢)

وأشار سماحته إلى بعض النقاط المهمة التي يمكن أن يتبعها الشخص لكي يتمكن من تربية أبنائه وهم في مرحلة خطرة قائلاً: ((عليك أن تفهم أبناءك، لأن المشكلة هي أن بعض الناس يحاول أن يحكم على أبنائه من خلال طريقته في

(١١) ج ١، ص ٦٠٨-٦٠٩.

(١٢) ج ١، ص ٦١١-٦١٢.

التفكير.. إنك عشت في بيئة وأبناؤك عاشوا في بيئة أخرى، إنك انطلقت بتقاليد معينة تتناسب مع مجتمعك، وأبناؤك ينطلقون في مجتمع آخر يحتاج إلى تقاليد أخرى، وتلك كلمة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ((لا تخلقوا أولادكم بأخلاقكم فإنهم خلقوا في زمان غير زمانكم)) فليس من الضروري أن يكون لباس ابنائك كلباسك، أو تكون تقاليدهم في الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية كتقاليدك، وهكذا في كل حقل، وبالطبع فإننا هنا لا نقصد الأخلاق الأساسية، فالأخلاق الأساسية لا يختلف فيها زمان عن زمان، بل الأخلاق التي تختلف فيها الأزمنة، بحيث يكون لكل زمان أخلاقه على أساس ما يمثل من عادات وتقاليد تتصل بالعادات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي في طريقة الأكل وطريقة اللبس وفي طريقة الأحكام.

فعلى الآباء أن يدرسوا أبناءهم فلا يعتبروا أن الطفل مجرد شيء يلهون به، إن الطفل عقل يتحرك، وينمو تدريجياً، وأن نفسية الطفل خزانٌ يمتص كل شيء، فلا تملئوه بالعقد النفسية التي تتحرك في خيالكم.. الطفل يمتص، والطفل يراقب، والطفل يفهم لا بعقله ولكن بإحساسه، لذلك كلما فهمنا أحلام أطفالنا وآلامهم ومشاكلهم حتى مشاكل لعبهم ولهوهم فإننا نستطيع أن نعرف كيف ندخل إلى أفكارهم.

أيها الأحبة: يمكن للإنسان أن يكون أستاذاً جامعياً ولكن من الصعب أن يكون أستاذاً في روضة الأطفال، لأن روضة الأطفال تحتاج إلى عبقرية نفسية واجتماعية وإلى شيء يتصل بالقلب والإحساس والجسد، لأنك تستطيع أن تعرف حجم فكر الطالب الجامعي، ولكن كيف تستطيع أن تعرف حجم فكر الطفل والطريق الذي يمكن أن يفتح لك قلبه، أو يفتح لك إحساسه وعقله؟

ثم نحاول أن نوجهه جرعة جرعة، وأن ندرس ما حوله، وندرس الوسائل التي نحاول أن نغيره فيها.

إن علينا أن نتبع كلمة الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه وهو يقول بما مضمونه: ما لكم يبرء بعضكم من بعض؟ - هل لأنكم أفضل من بعضكم فهماً - وها نحن أفضل منكم فهل نبرء منكم، ثم قال له: إذا أردت أن ترفع إنساناً فارفعه برفق ولا تكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره.

وهكذا عندما نكسر قلوب أطفالنا وإحساسهم ومشاعرهم فكيف ننام الليل وهذا الكسر موجود، وقد يمتد تأثيره إلى مراحل لاحقة.

أيها الأحبة: إن خلاف الزوج مع زوجته يؤثر على الأولاد، فعندما تضرب زوجتك أمام طفلك أو طفلتك، فإن طفلك يأخذ الدرس في كيفية التعامل مع زوجته في المستقبل لأنه يعتبرك المثل الأعلى وهذا هو الدرس الأول، وأما طفلتك فتتعد من الزواج في المستقبل لأنها ترى أباهما يضرب أمها فتعتبر أن كل رجل لابد أن يضرب زوجته، إن البعض من الآباء يخلقون من أولادهم مجرمين من خلال سوء إدارة أمورهم))^(١٣).

وقد سئل سماحته: ((يعاني الشبان والمراهقون منهم خاصة من عدم فهم الآباء وإساءة التعامل مع هذه الفترة الحرجة، فهل من كلمة توجهونها إلى الوالدين في هذا الشأن؟)).

فأجاب: ((إنني أقول للآباء وللأمهات إن عليهم أن يفهموا أطفالهم لأن الطفل ليس لوحة جامدة لا تختزن ما تراه وما تسمعه وما تشاهده، كما أن للطفل غرائز حتى قبل البلوغ إن في جسده أو في عاطفته، فعلى أن نفهم أطفالنا وأن نراقب المؤثرات التي يتأثرون بها مما يشاهدونه أو يسمعون أو يجربونه في ألعابهم أو مما يعيشونه في صداقاتهم، وأن نتابع نمو الطفل ولا سيما في المرحلة الحساسة وهي مرحلة المراهقة التي يعيش فيها الطفل الفوضى في مشاعره وأحاسيسه وأوضاعه لأنها المرحلة التي ينطلق فيها من موقع الطفولة إلى موقع الشباب.

فإذا أهملنا أطفالنا في هذه المرحلة ولم نفهمهم ولم نتابعهم في طريقة النمو وعناصره فإننا قد نفقد شبابهم وكهولتهم، لأن هذه المرحلة هي مرحلة الأساس وأنتم تعرفون ان إهمال هذه المرحلة يعني أن لا قيمة للطوابق التي تقوم فيما بعد على بناء لا أساس له))^(١٤).

وحول مفهوم العدل العائلي يقول سماحته: ((أن يعطي الأب للمرأة حقها وللأولاد حقهم، وأن تعطي المرأة لزوجها ولأولادها حقهم، وأن يعطي الأولاد لأبيهم ولأمهم حقهما))^(١٥).

ولقد سئل ذات مرة عن حدود ما قاله الإمام علي عليه السلام ((لا تخلقوا أولادكم بأخلاقكم)) فأجاب قائلاً: ((المراد بذلك ليس الأخلاق الإسلامية مثل الصدق والعفة والأمانة، بل المراد الأخلاق الاجتماعية أي الأخلاق المتحركة لا الأخلاق الثابتة الأساسية، لأن الأخلاق الثابتة ليس لها زمان، فالصدق صدق منذ ان خلق الله الدنيا إلى آخرها، والعفة والأمانة كذلك. أما في وسائل الحياة العصرية وطرق التعامل التي تناسب العصر فهي تتغير من جيل إلى جيل فلا يصح التعصب للوسائل القديمة))^(١٦).

وقد سئل سماحته حول التفريق بين الأولاد: ((هناك أم تفرق بين أولادها وتحاول أن تعطي ابناً أكثر من الثاني وتدعو للأول بالتوفيق وتدعو على الثاني بالموت أو بغير ذلك، فما هو رأيكم؟))

فقال: ((هذه امرأة تعقد أولادها بالنسبة إليها، وتعقدهم بالنسبة لبعضهم البعض، وعلى الأم أو الأب أن يعدلوا بين أولادهم، حتى يقال إن شخصاً جاء إلى النبي ﷺ وقبل أحد ولديه، فقال له النبي ﷺ قبل الثاني حتى لا يكون في نفسه شيء))^(١٧).

(١٤) ج ٥، ص ٦٠٨.

(١٥) ج ٥، ص ٥٨٤.

(١٦) ج ٩، ص ٦٥٩.

(١٧) ج ٨، ص ٥٩١.

وحول التعامل مع الصبيان سئل سماحته: ((في حديثكم عن الحسنين ﷺ وتواضع رسول الله ﷺ وحملهما على ظهره، حيث كان يداعبهما كما لو كان طفلاً مثلهما، نرى أن بعض الآباء يعتبرون أطفالهم أعداء لهم، فإذا نطق الطفل بكلمة أو إذا ضحك قليلاً لم يسمع سوى كلمات التآنيب والعنف؟))

فأجاب سماحته: ((روي عن النبي ﷺ قوله: ((من كان له صبي فليتصاب له)). أي فليمثل دور الصبي معه، فيلاحظ كيف يتكلم الصبي فيتكلم بطريقته، وكيف يلعب فيلعب معه، وهكذا. ولكن بعض الناس يعقّدون أطفالهم بلا سبب كما في قولهم: أجلس لا تتحرك.. كن مهذباً.. دع هذا.. لا تفعل ذلك، في حين أن الطفل إذا لم يلعب أو يتحرك أو يتكلم فإن ذلك سوف يحدث في داخل نفسه فراغاً ويخلق له عقدة نفسية. نعم، علينا أن نوجه لعبه بأن لا يضر نفسه باللعب. ولكن مشكلة بعض الآباء والأمهات أنهم ينسون أنهم كانوا صغاراً وصبياناً ومراهقين، فلو تصور الأب شعوره عندما كان طفلاً، وكيف كان يتألم عندما يقهره أبوه لما فعل مع ابنه الشيء نفسه. وهذا ما نجده أيضاً في بعض حالات الزواج، فإن الوالدين يقسون على الشاب أو الفتاة إذا اختارا شريكا لحياتهما ناسين انهما في فترة شبابهما فعلاً ذلك. ((عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)). ضع نفسك في مكان ابنك صغيراً وشاباً، وتذكر كيف كنت تريد من أبيك أن يتعامل معك وافعل مع طفلك بحسب ما كنت تتمنى أن يتعامل أبوك معك))^(١٨).

٣. تعويد الأطفال على التفكير:

حول تعليم الدين من الصغر سئل: ((يقول أحد المفكرين ((إن ترك تعاليم الديانة في المدارس يجعل الشاب يتعلم الدين عندما يكبر، فيحدث لديه نضج واعتقاد بأهمية دينه، وليس مثل ما يعتقد الشباب الآن)).

فعلق سماحته قائلاً: ((ترى ما هو رأي هذا المفكر في تعليم الوطنية والقومية وتعليم الأخلاق، بمعنى أن لا يتعلم الإنسان إلا بعد أن ينضج فكراً؟

هذا الرأي خاطئ، فنحن عندما نعلم الشاب الدين فإننا نهئ فكره، ونهئ مشاعره وأحاسيسه للانفتاح الديني، وكلما تقدّم في العلم أكثر، ونضج في الفكر أكثر، استطاع أن ينضج تصوّره وسلوكه الديني أكثر، والحضارة تقوم على هذا، فنحن نريّ الأطفال على مفردات الفكر والسلوك والحركة، ثمّ نحاول أن نهئهم تدريجياً لتنمو هذه المفردات فيهم.

أمّا على هذا الرأي، فإنه يقتضي أن لا نعلم الطفل القيم ولا نتصدى لتربيته، مع أن تعليم الأطفال وتربيتهم على هذه القيم من الأمور التي درج عليها الناس والمجتمع، لأنه يزرع فيهم بذور الإنسانية. وقد ورد ((قلب الحدث كالأرض الخالية كل ما ألقى فيها قبلته)) وعندما يتصدى الإنسان لتعليم ابنه وتربيته إسلامياً، فإن ذلك لا يعني أنه يُجبره على الإسلام، لأنه سيكبر ويسمع وجهات النظر الأخرى، ولكنه بهذه التربية سيكون قادراً على مواجهة الأفكار الأخرى، وسيدخل معها في حوار ونقد وتفكير))^(١٩).

وسئل سماحته أيضاً: ((كثيراً ما يسأل الأبناء الصغار عن أمور لا يمكن لهم أن يفهموا أجوبتها بحكم صغر السن أو عدم قدرة عقولهم على استيعاب الجواب. فماذا لو أجاب الأب جواباً إسكاتياً ينسجم مع مدركاتهم العقلية وكان هذا الجواب كذباً؟ فهل يحرم الكذب في هكذا موقع؟ علماً أنه في أغلب الأحيان لا يجد الطفل صعوبة في تقبل ذلك؟))

فأجاب قائلاً: ((على الإنسان أن لا يكذب مع كل الناس صغارهم وكبارهم، رجالهم ونسائهم، فالكذب حرام حتى على الأطفال وليس عندنا كذب حلال إلا الكذب لانقاذ إنسان مظلوم وللإصلاح فيما بين الناس. أمّا أن يكذب على طفل أو على كافر أو على امرأة أو على زوج فلا يجوز. وأنا انصح الأب بدلاً من أن يسكت ابنه بهذه الطريقة أو أن يكذب عليه، بأن يعطيه ثقافة ما يسأل عنه ولكن بأسلوب مرن منفتح، لأن الطفل لو كبر واكتشف أن أباه كان كاذباً فكيف ستكون الصورة

في نظره^{١٩}. ولذا نقول علّموا أطفالكم ما يبحثون عنه بمرونة قبل أن تعلّمهم الأفلام، وقبل أن تعلّمهم الكتب الصفراء، والكتب الجنسية الرخيصة وما إلى ذلك. فنحن في زمن ليس هناك شيء مجهول فيه، فربما يعرف أولادنا أكثر مما نعرف. لهذا أوّمن بضرورة أن تكون الثقافة عامّة ولكن بطريقة عملية بما في ذلك الثقافة الجنسية. وهذا يحتاج أن نتعلّم الأسلوب كما نتعلّم الفكر^(٢٠).

وحول اصطحاب الصغار إلى المسجد قال سماحته: ((أنا أشجع ذهاب الأطفال إلى المسجد حتى يعيشوا أجواء المسجد ويتربّوا من خلالها مع مراعاة ضبط حركتهم حتى لا يتحوّل المسجد إلى ساحة للعب))^(٢١).

٤. أساليب خاطئة:

وسئل كذلك عن حكم الكذب والسخرية والاستهزاء والغيبة والانتقاص من الطفل عندما يكون دون سنّ التمييز، فقال: ((أمّا الكذب فهو حرام بالنسبة لنفس الكاذب، بغض النظر عن المكذوب عليه، فليس هناك فرق في أن تكذب على طفلك أو أن تكذب على إنسان كبير، لأن حرمة الكذب تتعلق بك. والسخرية كذلك أي ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾^(٢٢) أي أن الله ينهى عن السخرية من الآخر حتى لو كان طفلاً، ثم إن السخرية هي إرهاب لروح الطفل لأنك عندما تسخر من الطفل الصغير فمعنى ذلك أن تسقط نفسه عند نفسه وتجعله يشعر بالاحباط وبأنه ليس شيئاً ذا بال، وأنه موضع سخرية للكبار، ولذلك قد تكون السخرية من الطفل جريمة أكبر من جريمة السخرية بالنسبة إلى غير الطفل، وهكذا الاستهزاء.

وأما الغيبة فيرى الفقهاء أنها مختصة بالكبار ﴿وَلَا يَغْتَابُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا﴾^(٢٣) ولكن قد تصدق على غير البالغ أيضاً، فالطفل يتأذى لذكر عيوبه

(٢٠) ج ٧، ص ٥٨١.

(٢١) ج ٨، ص ٥٨٥.

(٢٢) الحجرات: ١١.

(٢٣) الحجرات: ١٢.

حتى ولو كان صغيراً، والله لا يريد أن نثقل روحه، هذا أولاً من حيث ملاك الحكم، وثانياً فقد نفهم المسألة من زاوية إيذاء الإنسان في الكشف عن عيوبه وأسراره التي هي من المناطق الخفية عند كل إنسان والتي جعلها الله مناطق محرمة، وإذن فلا فرق في ذلك بين الطفل المميز أو الطفل الذي يشعر بهذه الأمور، وبين الكبار))^(٢٤).

وسُئِلَ أيضاً: ((انتم تقولون إنَّ على الأب والأم أن لا يطلعوا على أسرار أولادهم، ولكن الأب أو الأم يعرفون نوايا أولادهم فيخشون أن يقعوا في الفاحشة؟))

فقال: ((قلنا إنَّ للولد شخصية مستقلة وللبنت شخصية مستقلة، فلا فرق بين ولدك إذا كان بالغاً رشيداً وابنتك إذا كانت بالغة رشيدة، وبين أخيك وبين جارك وجارتك. هو إنسان مستقل عنك ١٠٠٪ لذلك فلا يجوز لك أن تطلع على أسرارهم وعلى رسائلهم وعلى اتصالاتهم الهاتفية بل وعلى كل الأشياء الأخرى كالتنصت على الذين يأتون ليتحدثوا إليهم. نعم إذا كان عندك قناعة إنه سوف يرتكب الفاحشة وسوف ينحرف وأردت أن تنهيه عن المنكر وتغلظ عليه، وتوقف ذلك على أن تطلع على رسائله أو اتصالاته التليفونية ففي هذه الحال يجوز لك ذلك لإنقاذه من الوقوع في معصية الله. فيما عدا ذلك فإن الله لم يخصص كلمة «ولا تجسسوا» بل أطلقها، وهذا من التجسس فلا يجوز أن تتجسس على ولدك أو ابنتك ولا على الناس الآخرين إلا إذا كانت هناك مفسدة سوف يقعان فيها بحيث تكون هذه المفسدة أقوى من مفسدة التجسس فيجوز ذلك من باب التزاحم))^(٢٥).

وحول الكذب على الطفل، يقول سماحته: ((لا يجوز الكذب لا على الطفل ولا على الكبير لأن الكذب محرم بذاته وقد ورد في بعض الأحاديث ((وإذا

وعدموهم ففوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم)) فإذا كذبت على طفلك أكرمت جرمين، أولاً: لأنك كذبت، وثانياً: لأنك أعطيت أول درس في الكذب، وعلمته كيف يكون كذاباً في المستقبل - لا سيما إذا كنت أباه - لأنك كنت المعلم القدوة في ذلك))^(٢٦).

وقد سئل سماحته: ((هل يحق لي أن اتنصت على هواتف أولادي المراهقين من بنين وبنات دون علمهم لغرض صيانتهم، وهل يعتبر هذا العمل من باب التجسس؟)).

أجاب قائلاً: ((من حيث المبدأ هو تجسس ولا يجوز للإنسان أن يتجسس على أولاده، فأولادك هم أولادك في النسب ولكنهم إخوتك في الإيمان «ولا تجسسوا» لكن إذا فرضنا كانت هناك دلائل توحى بأن هذا الابن قد ينحرف في علاقاته أو أن هذه البنت قد تنحرف في علاقاتها فيجوز - عند ذلك - مع التدقيق في هذه المسألة))^(٢٧).

ولقد سئل ذات مرة: ((إذا كان يحق لوالد الطفل تأديب طفله الصغير، فهل يحق لوالدته أو لإقاربه ذلك؟)).

فأجاب: ((لا يجوز ذلك، فالولاية للأب، كما لا يجوز تأديب الطفل إلا بالتي هي أحسن، فحتى الأب لا يجوز له أن يضرب طفله ضرباً مبرحاً، فتأديب الطفل مثل الدواء فإذا قال الطبيب أعطه ملعقة دواء فلا يصح أن تعطيه خمس ملاعق.

إن الله لم يسلطك على ولدك، فإذا كانت الكلمة تؤثر فالضرب حرام، وإذا كانت الضربة الأولى تؤثر فالضربة الثانية حرام، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الأدب وقت الغضب. نعم يحق للأب أن يأذن للأُم أو للمعلم أو للأقارب في ذلك لكن ضمن الحدود الشرعية لا بحسب المزاج، ولا يجوز للأُم ولا للأقرباء أن يؤدبوا

الإبن الأب باذن الأب، وإذا لم يكن الأب موجوداً فيرجع إلى الحاكم الشرعي))^(٢٨).

وقد سئل حول التقصير في التربية ((إذا ذهب شخص إلى الغرب ورمى أولاده كما ينبغي أن يربيهم في الدول الإسلامية لكن الأحفاد تأثروا بالغرب، فهل يلحق بهذا الشخص حرام، أم الحرام يلحق أولاده فقط لأنهم قصروا في تربية أولادهم؟)).

فأجاب قائلاً: ((عليه أن يعمل حتى مع أحفاده «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ»^(٢٩). أي بحسب طاقته وحسب قدرته))^(٣٠).

وسئل عن حرمة ضرب الأطفال ((ما العمل بطفل يعبث في البيت مع أخوته ويصرخ ويضرب حيث لا يطاق إطلاقاً، فما هو رأيكم بضربه وهل الضرب في حدود المعقول يعد من تربية الأطفال؟)).

فقال سماحته مجيباً: ((إن المشكلة - أحياناً - هي ليست مشكلة الطفل الذي لا ينفع معه إلا الضرب، وإنما هو نفاذ صبر الأهل أو الأب الذي عليه أن يدرس طفله والأسباب التي أدت به إلى أن يختلف عن إخوانه، فنحن نعتبر أولادنا صندوقاً مغلقاً في الوقت الذي يتعين عليك عندما تواجه ظاهرة سلبية أن تدرس أسبابها وقد تستطيع من خلال اكتشافك لسر المشكلة التي يعيشها ابنك أن تدأويه؟ بشكل أفضل بحيث لا تحتاج فيه حتى إلى الكلمة القاسية.

والنقطة الثانية هي أننا ندرس الأساليب السلبية التي نستعملها في التربية مع أطفالنا فنحن نبحث عن أقرب مسافة للخروج من المشكلة بالضرب في حين يمكن أن تعاقبه بأن تمنع عنه المصروف اليومي، ويمكن أن تمنع عنه أكلة معينة أو أن تميز أخوته عنه بالحق، وهناك أساليب أخرى كثيرة، ولذا فعلى أن نخطط لتربية أطفالنا وأن نعرف أنهم أمانة الله عندنا، وأن الطفل له كرامة. فحينما تضرب الطفل أمام أخيه فإنك تسحق نفسيته، فلا بد أن تدرس السلبيات

(٢٨) ج. ٩، ص. ٦٥٧.

(٢٩) التحريم: ٦.

(٣٠) ج. ٩، ص. ٦٥٩.

والإيجابيات في ذلك، فإن بعض الآباء الذين يضربون أبناءهم بشكل جنوني لا يعرفون أنهم يخلقون عقدة وحقداً في نفس الطفل بل يخلقون منه حالة ضعف فيما يتوجب علينا أن ننمي فيهم إحساسهم بالقوة وبالا حترام لأنفسهم وقد يكون (آخر الدواء الكي) كما في بعض القضايا التي تحتاج إلى العملية الجراحية بعد استنفاد كل الوسائل، وعند ذلك ينبغي أن لا يكون الضرب مبرحاً، فإله لم يسلطك عليه إلا بالمقدار الذي يريه) ^(٣١).

وفي السياق سأله أحدهم: ((هل يجوز ضرب الطفل إذا كان عمره أقل من ست سنوات؟ وإذا أحمر جسمه فهل تجب الكفارة؟ وما هي الآثار المترتبة على ذلك؟)).

فأجاب سماحته: ((لا يجوز الضرب قبل الست سنوات ولا بعدها إلا على أساس التأديب عندما يكون التأديب ضرورياً وعليه أن يضربه ضرباً خفيفاً بحيث لا يجوز الاحمرار ولا الازرقاق ولا الاسوداد، وإلا كان ظالماً لولده وفي الحديث ((إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله)) وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال ((قضى أمير المؤمنين في اللطمة يسودّ معا أثرها في الوجه أن يرشها ستة دنائير فإن لم تسود واخضرت فإن ارشها ثلاثة دنائير فإن احمرت ولم تخضر فإن ارشها دينار ونصف وإن كانت الآثار في البدن فديتها نصف ما كانت في الوجه)) ^(٣٢).

ثانياً: تربية الشباب:

١. تربية الشباب:

وقد سئل سماحته عن معنى الحديث الذي يقول: ((خير شبابكم من تشبه بكهولهم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم)) قال: ((يعني أن خير الشباب من تشبه بالكهول في عقلهم وفي تجربتهم، وشر كهولكم من تشبه بشبابكم أي في إنفعاله

(٣١) ج ٢، ص ٥٠٣.

(٣٢) ج ٢، ص ٥٠١.

وفي شهواته وملذاته))^(٣٣).

٢. إطاعة الوالدين:

ولقد سئل أحد الشبان سماحته حول حدود إطاعة الأبوين: ((هل على الولد إطاعة أبويه في كل شئ كما لو كان يأمره أبوه بالذهاب إلى الأرض الزراعية والعمل بها دائماً أو أي عمل آخر فيه مشقة، خاصة وأن مثل هذه الأعمال تتعبني؟)).

فأجاب سماحته: ((لا تجب عليك طاعة أبيك في مثل هذه الأمور، ولكن تصور أن والدك يشغل بالأرض حتى يوفر لك لقمة العيش ويشتري لك الملابس والمستلزمات الحياتية الأخرى كيما يؤمن لك مستقبلك. وتذكر أيضاً كيف كان والدك يتعب حتى تصل إلى ما أنت عليه. فالمسألة ليست منظورة من الجانب القانوني فقط، أي هل تجب الطاعة أو لا؟ ولكن يحسن بك أن تستجيب له، وأي إحسان أكثر من إحسان الوالد لولده؟ ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(٣٤). إن الولد مستقل من الناحية القانونية إلا في الجوانب الاشفاقية التي ينبغي له أن يكون فيها ممثلاً لطلب أبيه بما لا يضر حياته. وأما التعب فليس مشكلة، فأبوك يتعب أيضاً وهو في سن كبيرة. وهناك مسألة شرعية أخرى، وهي أنه لا يجب على أبيك الإنفاق عليك إذا كنت قادراً على اكتساب رزقك ولو بالتعاون معه))^(٣٥).

ويرد سؤال في السياق نفسه: ((هل من أعمال يفعلها الإنسان لوالديه يكون باراً بهما؟))

فيرد بالقول: ((البر في حياتهما أن يقدم لهما كل إحسان يتمكن منه، وكل ما يفتح قلبيهما وكل ما يسرهما ويفرحهما وكل ما يحل مشكلاتهما، بحيث

(٣٣) ج ٢، ص ٥٢٥.

(٣٤) لقمان: ١٤.

(٣٥) ج ٧، ص ٦٠٥.

يقضي حاجاتهما بحسب إمكاناته، أما بعد الموت فيتصدق عنهما ويقضي عنهما ما فاتهما من صلاة وصوم وحج ويدعو لهما وما إلى ذلك))^(٣٦).

وقد سئل سماحته: ((شباب متدين ملتح طلب منه والده حلق لحيته حفاظاً عليه، فرفض فتأثر غضب والده فما هو السبيل الذي يجب على الشاب أن يسلكه؟)).

فقال: ((لا يجب على الابن ذلك ولو فرضنا أن هناك من يفتي بحلق اللحية فهو راجح، وإبقاء اللحية راجح، وقد يكون مستحباً وقد يكون محل احتياط. لذلك لا يجب على الولد أن يطيع والده في ذلك، والغريب أن هناك بعض الناس يقولون للشباب إذا لم تطلق زوجتك فإن أمك سوف تدعي عليك علماً أن الله سبحانه وتعالى ستجيب الدعاء الذي ينطلق من حالة روحية وجدانية عقلانية، أما الشخص الذي يدعي على شخص ظلماً وعدواناً ومن خلال عقدة فالله لا يستجيب له دعاءه. فالشخص يجب أن يسأل: أتغضب لي أم تغضب مني؟ فإذا كنت تغضب لأنني لم أشرب خمرأ ولم أعب قمارأ ولم أؤيد ظالماً فلتغضب بكرة وعشياً، أما الغضب الذي ينطلق من حالة الخوف على مصلحة الولد ومما فيه خيره ومما فيه طاعة الله سبحانه وتعالى فأمر مختلف. أما المقولة (رضا الله رضا الوالدين) فذاك إذا كان الرضا واحداً وفي مضممار طاعة الله أما أن تغضب الله سبحانه وتعالى ونرضي الوالدين فلا يجوز ذلك، بل يجب أن نرضي الله ولا نتعرض لسخطه برضا الوالدين حيث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق))^(٣٧).

وسئل أيضاً: ((إذا سبب الإنسان الأذى لوالديه وماتا ولم يرضيا عنه، فماذا يصنع، وهل يقع عليه عقاب إلهي؟)).

فقال سماحته: ((هنا على الابن أن يستغفر الله وأن يبرهما ميتين بأن يتصدق عنهما، ويقضي مافاتهما مما يمكن أن يحاسبهما الله عليه، وقد يكون الولد باراً في الحياة وعاقاً بعد الموت الذي يمكن للإنسان بحسب ما ورد في بعض الأخبار أن يعوض ما فاتة بعد موت والديه))^(٣٨).

٣. التعامل مع الأبناء المقصرين في الصلاة:

سئل سماحته ((بلغ ابني السادسة عشرة من عمره، وفيما مضى لم أكن أقصر معه في الحث على الصلاة، وهو الآن يتقاعس عن أداء الصلاة، ما هو الأسلوب الأفضل لحضه على المحافظة على أداء الصلاة في أوقاتها؟)). فأجاب قائلاً: ((عليك أن تفهم ولدك، وتفهم المؤثرات التي تؤثر على قلبه وعلى مزاجه، خصوصاً في هذه السن التي هي سن المراهقة. ومشكلتنا أننا نتعامل مع أولادنا من الخارج، بينما علينا أن نتعامل مع أولادنا من الداخل، وذلك بأن يقوم الوالد بدراسة متطورة لابنه، لأن الولد في تطوره يتأثر بأصدقائه في المدرسة، وربما يتأثر بفيلم أو بأي أمر آخر كما نحن نتأثر. فلذلك نحاول أن ندرس ذهنية أولادنا حتى نعرف كيف نسيطر على التطورات التي تتطور سلباً أو إيجاباً في حياتهم))^(٣٩).

٤. حقوق الشباب:

يقول سماحته في العلاقة بين الشباب وحقوقهم مع بعضهم: ((ينبغي أن تكون علاقاتهم علاقة المؤمن بالمؤمن، فالشباب يمثلون قوة الحياة وطاقة الأمة، وعندما نتحدث عن الشباب المؤمن فالمفروض أن تكون قوتهم وطاقتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض منطلقة من خلال أن يوظفوها لخدمة الإسلام، فالله لا يتحدث عن الشباب فقط بل عن الشباب والشابات وعن المؤمنين والمؤمنات ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(٣٨) ج ١، ص ٦١٩.

(٣٩) ج ١٠، ص ٦٥٧.

الْمُنْكَرُ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^(٤٠) ولذلك فالمفروض أن لا يضيع الإنسان طاقة شبابه في العبث وفي اللاجدية وفي اللهو. نعم، لا مانع من أن يلهو ولكن على طريقة ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فيما روي عنه ((ينبغي للمؤمن أن يكون له ثلاث ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرم فيها معاشه، وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذتها في غير محرم، فإنها عون على تينك الساعتين)) ((وَحُوا الْقُلُوبُ سَاعَةَ بَعْدَ سَاعَةٍ)) ((إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقصروا بها على الفرائض)).

إن الإسلام، أيها الأحبة، يريد للإنسان أن يرتاح، لكن لا يريد للإنسان أن يتلف عمره بالعبثية وباللهو، وإنما يريده أن ينطلق على أساس أن يحقق نتائج كبرى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٤١).

٥. أوقات الشباب الضائعة:

سُئِلَ سماحته: ((كيف تتصورون مصير إنسان يقضي شبابه في السهرات مع الأصدقاء الذين لا يعرفون غير المزاح والضحك ولا يجلس لحظة مع نفسه ولا يضع برنامجاً لتنظيم وقته؟)).

فأجاب: ((هذا إنسان يعيش حياته من دون أن يمارس إنسانيته، لأن عليه أن يواجه الحياة من موقع الجد لا من موقع الهزل، ومن موقع المسؤولية من عمره لا من خلال اللامبالاة، وقد قال رسول الله ﷺ ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسئل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وشبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين كسبه وفيم أنفقه؟ وعن حبنا أهل البيت؟))^(٤٢) فالإنسان سوف يسئل عن كل لحظة من لحظات حياته هل صرفها في خير أو في شر؟ فعمرنّا هو رأسماننا

(٤٠) التوبة: ٧١.

(٤١) المؤمنون: ١١٥.

(٤٢) بحار الأنوار، ج ٧، ب ١١، ص ٣٧٦.

الذي أراد الله لنا أن ندخل في تجارة معه من خلاله، فمن أضاع رأسماله وصل إلى الله وليس معه شيء بل ربما يصل ومعه الأثقال والأوزار التي تجعله إنساناً يخسر الدنيا والآخرة^(٤٣).

٦. تحصين الشباب:

وحول تحصين الشباب من وسائل الإغراء مثل التلفزيون والانترنت والصحون الفضائية يقول سماحته: ((هناك مساع لإيجاد وسائل مماثلة، فمثلاً على شبكة المعلوماتية (الانترنت) ثمة صفحات إسلامية توجيهية وأخلاقية، وكذلك هناك بعض التلفازات الإسلامية والعربية تقوم بمسؤولياتها في هذا الاتجاه، وينبغي للتلفزيون الإيراني أن يقدم أكثر مما يقدمه الآن في هذا الأمر خصوصاً القناة العربية، ومع ذلك فإننا لا نعدم برامج جيدة علمية وإسلامية هنا وهناك. نعم على الإنسان أن يحصن نفسه وأهله من البرامج المنحرفة أينما كان^(٤٤).

وسئل أيضاً عن مدى تأثير وسائل الإعلام على الشباب والمراهقين خاصة الذين يعيشون في الغرب، فقال سماحته: ((إن وسائل الإعلام التي تخاطب في الشباب غرائزه الجنسية، أو تخاطب عنصر الجريمة الذي قد يكون كامناً فيه وما إلى ذلك، تفضل كثيراً من الناس وليس الشبان فقط، لكن الإنسان الذي يعيش دائماً مع نفسه ومع ربه يستطيع أن يحمي نفسه من ذلك. لذلك نحتاج أن نعيش مع شبابنا كما نعيش مع أنفسنا ونربيهم بحيث نعمق القيم في نفوسهم، لكننا في شغل عن شبابنا بل حتى في شغل عن أولادنا، فمن منا يعرف ماذا التقط ابنه في المدرسة؟ أو ماذا التقط من هذا الفيلم أو من هذه القصة أو من تلك الجماعة؟ أو ماذا تعلم من هؤلاء أو أولئك الرفاق؟ المهم عندنا هو أن نطعمهم ونكسوهم، فنحن للأسف مع أولادنا في الخارج وليس معهم من الداخل،

(٤٣) ج ٢، ص ٥٤٧-٥٤٨.

(٤٤) ج ٧، ص ٥٧٥.

بل أتصور أن بعض العاملين في حقل الوعظ والإرشاد لا يعيشون مشاكل الشباب لأنهم لا يعيشون مع الشباب. لذا يجب أن تعيش مشاكل الشباب وأحلامهم وآلامهم وشهواتهم وانحرافاتهم وأن تقراهم قراءة مباشرة وبالكتب التي يقرأونها. وفي بعض الحالات قد يحتاج الواعظ والمرشد إلى أن يقرأ المجالات الفنية حتى يعرف كيف يتأثر الشاب بهذا الممثل وهذا المغني وذلك الفنان، ذلك أن عناصر التأثير هي من بين عناصر ثقافة الشباب، ومع كل هذا أعرف كثيراً من الشباب المؤمنين في الغرب تقدم لهم المعصية على طبق من ذهب وهم من أشد الناس التزاماً وجهاداً لأنفسهم لأنهم عاشوا الإيمان بعمق ولم يعيشوه في السطح^(٤٥).

وبالنسبة للتقليد المظهري للغرب سئل: ((ما هو رأيكم في تقليد الغرب المظهري وانجراف الشباب إلى ذلك، مثل قصات الشعر واللبس وغيرها؟)). قال سماحته: ((إن هذه المسألة قد لا تكون مشكلة شرعية في طبيعة مفرداتها، فإن يقص شخص شعره ويلبس بطريقة معينة ليس شيئاً محرماً في ذاته، ولكنه قد يكون يعيش عمق الحرام من خلال ما يعبر عنه في نفسية مسلوية من الآخر، فإن تقلد الآخر معناه أنك تشعر بانحناء عقلك أمامه وبانحناء إرادتك أمامه، لأن الإنسان الذي يحس بعنفوان عقله هو الإنسان الذي لا يقدم لنفسه شيئاً إلا بعد أن يعرضه على عقله، أما عندما تقلد أو تحاكي فمعناه أنك لست موجوداً والآخر موجود فيك وعندما تتحرك من خلال الآخر فأنت موجود هو هذا^(٤٦))).

٧. نصائح للشباب:

وقدّم سماحته للشباب المسلم في ندوات مختلفة نصائح عديدة، منها ((إن الأساس هو أن يكون الشاب المسلم مسلماً بحجم الإسلام وبسعة الإسلام وبعمالية

(٤٥) ج ٦، ص ٦١١-٦١٢.

(٤٦) ج ١، ص ٦١٣.

الإسلام ويعمق الإسلام وبشمولية الإسلام، فأن تكون مسلماً يعني أن تكون منطلقاً في وعيك من أن تأخذ موقعك كما لو كنت شيئاً من رسول الله ﷺ، فالرسول قد انطلق إلى العالم، وعلينا أن نفكر كيف ننطلق إلى العالم لأسلمة العالم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نعيش اهتمامات الإسلام والمسلمين ((من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)) وعلينا أن نملك الأفق الواسع فلا نحاول أن نثير الخلافات الجانبية والهامشية عندما يحاول العدو أن ينسف الإسلام من جذوره، أنا لا أريد أن أخفّ من القضايا التي تحدث بيننا وبين السنّة، ولا أريد أن أخفّ من أية قضية بين الشيعة أنفسهم، لكن أقول عندما يكون العدو على الأبواب فلا يجوز أن نتحدث عن الهوامش. هناك شيء اسمه مصلحة الإسلام والمسلمين، وأرى من خلال الكثير من التجارب الموجودة أننا متخلسون بأكثر درجات التخلف فأية قضية صغيرة يمكن أن تخلق مشكلة كبيرة بحيث ننسى الاستكبار العالمي والطغاة والظلمة وما إلى ذلك، وتتحول القضايا الصغيرة عندنا إلى قصص كبيرة، وكأنه لا مشكلة لدينا سوى الانشغال بالأمور الجزئية))^(٤٧).

وسئل سماعته ((بم تنصح جيل الشباب الذي يبحث عن شعاع أمل في عالم تلفه الظلماء من كل مكان ولا يجد من يده له أو يوجهه بصدق، وإذا حاول أن ينهض أثقلته القيود التي كبل بها الجيل الذي يحاول دون جدوى أن يصلح ما حوله وإذا به يجد نفسه وحيداً في الساحة؟)).

فأجاب قائلاً: ((إن علينا أن نعيش الثقة بالله والثقة بأنفسنا، وأن ندرس الواقع الذي نعيش فيه لنعرف الثغرات التي يمكن أن ننفذ إليها. وعلينا أن نصبر على التجربة ﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤٨). الحياة - أيها الأحبة - تختصرها التجربة، وإن فشل ألف تجربة لا

(٤٧) ج ١، ص ٦٢١-٦٢٢.

(٤٨) يوسف: ٨٧.

يعني فشل الفكرة، فعلينا أن نجرب ونجرب ولا بد أن نلتقي في نهاية المطاف بالنتائج الإيجابية. إننا نجد أن تقدم العلم سواء في مجال الطب أو غيره انطلق من خلال مواصلة التجربة، فكم من السنين انقضت والعلماء يبحثون عن دواء للسرطان أو دواء للإيدز أو ما إلى ذلك وهم يقترعون تارة ويبتعدون أخرى، وربما إذا لم ينجحوا في عصرهم الراهن فهم يهيئون الفرصة لجيل آخر ولعصر آخر.

لذلك نقول للشباب إن لديكم طاقات يمكن أن تنموها وتقووها وتطورها، وإن لكم إرادة يجب أن تصلبوها، وإن هناك أفقا كبيرا يجب أن تقتحموه ولا تيأسوا لأن الشباب إرادة وعزيمة وقوة، وإذا فقدنا هذه العزيمة في الشباب فمن ذا الذي يمكن أن يبني الحياة ويحمي القضايا الكبرى^(٤٩).

وينصح سماحته الشباب في شهر رمضان، قائلا: ((أنصحهم بأن يستفيدوا من هذا الشهر بتربية إرادتهم في خط طاعة الله، وذلك من خلال الانفتاح على قراءة القرآن والدعاء والصلاة والتأمل ومحاسبة النفس للتوبة من الماضي والتخطيط الروحي الواعي للمستقبل))^(٥٠).

وسئل سماحته عن سر اهتمام الشهيد الصدر (رض) بالشباب، فقال: ((كان رساليا حركيا يعمل من أجل التغيير، ومن الطبيعي أن يكون الشباب هو أطوع للتغيير، حيث يمكن لك أن تغير فكر الشاب بسهولة لأنه لا يزال يعيش حركية الفكر، بينما الذين بلغوا من العمر سنا متقدمة، فقد تكون مسألة تغييرهم من المسائل الصعبة، لذلك فإن الشاب هو الذي يفتح عقله للجديد لأنه يمثل جدة الحياة، وهو الذي يملك الطاقة الكبيرة التي يمكن أن تعطي الرسالة حركيتها وحيويتها، وأن تتحدى القوى الكبرى.

ولذلك رأينا النبي ﷺ قد اهتم بالشباب وكان يرفع ما عندهم من قوة، وكان اهتمامه بهم منطلقا من أنهم يشكلون قوة الرسالة فيما يتمتعون به من

(٤٩) ج ٦، ص ٥٨٣-٥٨٤.

(٥٠) ج ٧، ص ٥٧٧.

طاقة حركية قابلة للتطوير والتغيير والإنتاج والثبات والصلابة والتحدّي، وتلك مسؤولية كل الذين يعيشون المسؤولية إن على مستوى المرجعية أو غيرها، حيث أن عليهم أن يعملوا على رعاية الشباب وعلى إنتاج فكرهم وحركيتهم، وأن يفتحوا قلوبهم وعقولهم، ليفهموا الشباب جيداً، لأن أول شرط في الإنسان الرساليّ الحركيّ هو أن يفهم الناس، وأن يفهم كيف يفكر الشاب وكيف يتألم وكيف يحلم، وكيف يتطلع، وأن يفهم نقاط ضعفه ليحوّلها إلى نقاط قوة، وأن يفهم نقاط قوته ليزيدها قوة، فأن تكون مسؤولاً يعني أن تكون رسالياً وأن يكون الشباب عقلاً وقلباً وأحلاماً وآلاماً وحركة كل مسؤوليتك^(٥١).

ثالثاً: العلاقة الزوجية:

وفي حقل العلاقة الزوجية، فبالإضافة إلى المسائل التي أوردناها في باب المسائل الفقهية الخاصة بالزواج والطلاق ومتعلقاتهما، فإننا يمكن أن ندرس هذه العلاقة من خلال ما ورد منها في إطار المسائل التربوية:

١. الزواج المبكر ومقدماته:

فلقد سئل سماحة السيد ((هل تنصحون الشباب بالزواج المبكر؟ وما هي الأمور التي يجب على الشاب أن يستحضرها قبل الزواج؟)). فقال مجيباً: ((الزواج المبكر هو الذي يحمي الإنسان من الانحراف. وفي الإسلام أحاديث كثيرة تشجع على الزواج المبكر للفتاة وللشاب معاً من أجل تحصينها عن الانحراف باعتبار أن الغريزة تمثل جوعاً، والجائع إذا لم يجد ما يشبع جوعه فإنه قد يكون مرتعاً للشيطان.

ومن الطبيعي فإن هناك موانع ومشاكل قد تتعقد حسب تعقيدات وتطورات واقع الإنسان في الحياة. وعليه قبل أن يتزوج أن يعد نفسه لأن يكون اثنين بعد أن كان واحداً، ذلك أن مشكلة الذين يتزوجون من النساء ومن الرجال أن الواحد

منهم يبقى على حاله حتى في داخل البيت الزوجي بحيث يفكر أنه هو السيد وهو الحاكم وهو القاهر.

فعليك أن لا تفكر أنك كما كنت في أيام العزوبة تسهر حيث تشاء، وتغيب عن البيت حيث تشاء، وتتعامل بمزاجك كيف تشاء، وتأكل كما تشتهي بعيداً عما يشتهي من معك، وهكذا عليك أن لا تشعر أنك لا زلت وحدك وأن الآخر مجرد ظلك، عليك أن تشعر أن كلمة زوج تعني اثنين وهي تطلق في اللغة العربية على الرجل والمرأة معاً فالرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل، ولذلك عليك أن تعيش شخصية الزوج، فلقد كنت قبل الزواج واحداً فأصبحت اثنين فأنت مع شريكة حياتك كما أنت مع ثيابك ﴿هَنَ لباسُ لكم وأنتم لباسُ لهن﴾ أي أن عليك أن تراعي هذا الاندماج الروحي والجسدي والاندماج في حركة الحياة من خلال كل ما يمثل من تداخل قضاياكما في حياتكما في حياتهما الفردية والعامة.

ومن الطبيعي فإن على الإنسان المؤمن أن يختار الإنسانية المؤمنة والعكس صحيح، ففي الحديث ((إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)) وقال بعض الناس عن رسول الله ﷺ ((من تزوج امرأة لا يتزوجها إلا لجمالها لم يرفيها ما يحب إلا وكله الله إليه، فعليكم بذات الدين)).

أما ماذا يحضر للزواج في استعداداته المادية فهذه قضايا ترجع إليه فيما تسمح به إمكانياته، ولكن هناك ملاحظة مهمة وهي ضرورة العمل الاجتماعي على تسهيل أمور الزواج وتقليل المهر واختصار شروط الزواج في تأثيث البيت الزوجي ونحو ذلك من تعقيدات التقاليد والعادات الاجتماعية في الزواج مما جعل الزواج أمراً صعباً حتى في السن المتقدمة للشباب أو الفتاة بلحاظ الصعوبات الاقتصادية للناس^(٥٢).

إنسا

٢. إنسانية العلاقة:

يقول أحد السائلين ((تزوجت أختي من شاب سني، وهو الآن يطلب منها أن تصلي على مذهبه، علما أنه كان في فترة الخطوبة وما قبلها على غير ذلك تماما، بل كان مقتنعا بالمذهب الجعفري، أما الآن وبعد الزواج فقد تغير كلياً ويطلب من أختي أن تصلي كما يريد أو لا تصلي مطلقاً، وإذا رآها تصلي على مذهبا فسوف يطلقها؟)).

فقال سماحته مجيباً على السؤال: ((هذا إنسان لا يعيش المسؤولية الإنسانية لأنه إذا أراد لها أن تصلي على مذهبه فعليه أن يقنعها بالحكمة والموعظة الحسنة، أما إذا لم تقتنع فعليه أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فما هو رأيه لو تزوجت أخته من شاب شيعي وأراد أن يجبرها على أن تصلي على مذهبه بدون قناعة، هل كان يقبل ذلك؟ وما رأيه لو كان أهل زوجته يملكون قوة قاهرة وأرادوا أن يجبروه على أن يصلي على مذهبهم، فهل كان يقبل ذلك؟ هذا إنسان لا يعيش إنسانية العلاقة الزوجية ولذلك لابد من دراسة الأمر بينه وبينها بالطريقة التي تحفظ إنسانيتها كما لا نريد لها أن تضطهد إنسانيتها))^(٥٣).

وسئل سماحته: ((انصح زوجتي في قضاء وقت فراغها في المطالعة والعبادة والأشياء المفيدة لكنها تصر على أن تذهب كل يوم إلى بيت أهلها وتقضي الوقت هناك بما لا ينفع ولا يضر من الأحاديث، فهل لي الحق في منعها أو أن أسمح لها في زيارة أهلها مرة أو مرتين في الأسبوع؟

فقال مجيباً: ((يقول تعالى ﴿وعاشرهم بالمعروف﴾ ودلالة هذه الفقرة من القرآن الكريم هي أن تحاول أن تدرس الأسلوب الأفضل الذي لا يحول المنع، حتى لو كان فيه مصلحة، إلى عقدة في نفسها وإلى شعور بالإذلال وما إلى ذلك، وأن لا تجعل نصيحتك خشنة أو جامدة بل إعطها نصيحتك شيئاً من الحيوية ومن المحبة ومن الحنان ومن الحوار معها بطريقة وبأخرى، فلعلها تنفتح عليك عندما

نخطئ في الأسلوب، ولذلك لابد لنا أن نعمل على تطوير أساليبنا فإذا أغلقت أساليبنا قلوب الآخرين علينا مرة علينا أن نفكر كيف نفتحها في المرة الثانية والثالثة «ولا تيئسوا من روح الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون»^(٥٤).

وعلى ضوء ذلك فقد يكون من الأفضل أن تحاور زوجتك حول تنمية قدراتها الثقافية والروحية بالمطالعة والحوار مع الذين يملكون الثقافة وحيوية الروح والعمل على أن تكون علاقتها بأهلها علاقة وحي وحديث في الأمور النافعة، وقد يمكنك بالأسلوب الحسن واللفظ في المعاشرة أن تخفف من زيارتها لأهلها إذا كان ذلك يثقل على جوانب الخير في حياتها^(٥٥).

وحول أسلوب التفاهم مع الزوجة يقول سماحته مجيباً على أحد الأسئلة ((عليك أن تدرس ذهنية زوجتك، كما نوصي زوجتك أن تدرس ذهنيته، لأن الزوج إذا لم يفهم زوجته في نقاط ضعفها وقوتها ولم تفهم الزوجة زوجها في نقاط ضعفه وقوته، فمن الصعب أن يتفاهما، ومن الطبيعي أن يتشاجرا لأن كلا منهما عاش في بيئة تختلف عن بيئة الآخر، وربما يحمل مفاهيم عن الحياة الزوجية تختلف عن مفاهيم الآخر، لذلك عليك أن تدرس سبب عدم إطاعتها لك، فقد لا يكون من المصلحة أن تأمرها بذلك))^(٥٦).

وسئل سماحة السيد حول الإساءة في تعامل الزوجة مع زوجها: ((ما هو حكم الزوجة التي تواجه زوجها بشكل غير لائق ولا تمنحه المودة والروابط الزوجية الصادقة؟)).

(٥٤) يوسف: ٨٧.

(٥٥) ج ٣، ص ٥٢٧-٥٢٨.

(٥٦) ج ٤، ص ٥١٥.

فقال مجيباً: ((هذا عمل غير أخلاقي وغير إسلامي لأنه يتنافى مع المودة والرحمة اللتين جعلهما الله تعالى بين الزوجين، كما يتنافى مع المعاشرة بالمعروف التي هي عماد الحياة الزوجية والتي يتعين على كل من الزوجين رعايتها لتستقيم هذه الحياة وتسعد. وينبغي للزوج أو للأهل أو للاصدقاء القريبين إلى العائلة القيام بتحذيرها من النتائج السلبية المترتبة على ذلك على مستواها الشخصي أو مستوى الأسرة)).

وسئل أيضاً: ((زوجتي تعاملني بطريقة غير لائقة، فهل هي آثمة؟)) فأجاب سماحته: ((كل إنسان يعامل الإنسان الآخر بطريقة غير لائقة، وخصوصاً الزوجة لزوجها، آثم. ولا بد من دراسة الأمر ميدانياً فقد يكون ذلك أحياناً كرد فعل لتعامل الزوج السلبي مع زوجته، ومهما يكن من أمر فالتعامل غير اللائق مرفوض من قبل كلا الزوجين))^(٥٧).

وسئل سماحته عن الأمر معكوساً، أي عن إساءة الزوج لزوجته، كما في السؤال التالي: ((حصلت لي مشكلة مع زوجتي وأنا في الخارج واتصلت بها تليفونياً وبسبب نفسييتي المتعبة أسأت إليها وتعديت عليها بكلام فضّ وردّت عليّ أيضاً بمثله وهددّتي فطلّقتها، فهل يعتبر عملي حراماً؟)).

فقال: ((طبعاً حرام، فالسبّ والشتّم غير جائز، فزوجتك هي أختك في الايمان، وان كانت زوجتك في الجسد، وعليك ان تحترمها بما تحترم به أخاك المؤمن وأختك المؤمنة. لذلك فعملك غير صحيح وهي عندما سبّتك وردّت عليك بمثل كلامك عملت على طريقة «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^(٥٨) وفي الحديث قيل: ((رجلان تسابّا، قال: البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه))^(٥٩). والإنسان العاقل هو الذي لا يطلق كلماته واحكامه جزافاً نتيجة انفعال ونتيجة فعل ورد فعل فإن هذا من موارد الندم في غالب

(٥٧) ج. ٨، ص. ٦٠٧.

(٥٨) البقرة: ١٩٤.

(٥٩) الكليني: الكافي، ج. ٢، ص. ٣٢٢، ح. ٣ - و - ص. ٣٦٠، ج. ٤.

الاحيان))^(٦٠).

وسئل سماحته أيضاً: ((تقول إحدى الأخوات بأن لي زوجاً مريضاً ومرضه يجعله عصبياً حاد المزاج إلى درجة الضرب والشتم ومن أجل عصبيته أتخلى بعض الأحيان عن مسؤولياته المطلوبة مني، فما حكم ذلك؟))

فقال مجيباً: ((إذا كان عصبياً فلا تكوني عصبية مثله، وإذا عصى الله في تعامله معك فلا تعصي الله في تعاملك معه، لأن المسألة هي أن الله يريد من الزوجة أن تؤدي لزوجها حقه كما يريد للزوج أن يؤدي لزوجته حقها. وما يدريك فاعل رفضك للقيام بالمسؤوليات المطلوبة مما يزيد في عصبيته، وربما كان العكس أدعى إلى تليين موقفه))^(٦١).

ويسأله أحد الأزواج ((زوجتي تخلق المشاكل وبعض الأمور الصعبة في البيت وذلك بحجة مزاجها وضعف تفكيرها ولا تستقيم أمورها ولا تنضبط إلا بالضرب يومياً، فكيف العمل معها؟)).

فقال سماحته: ((لا يجوز لك أن تضربها لأنه لا حق لك بذلك، وهناك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: ((من الأشخاص الذين لا يستجاب دعاؤهم رجل يدعو على زوجته فيقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك)). فإذا كنت ترى أنها تخلق المشاكل وتسيء إلى البيت وما إلى ذلك، وكلما ضربيتها لا تجني فائدة من الضرب، فالحل هو «فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ»^(٦٢). والّا فلا يجوز لإنسان أن يضرب زوجته إلا إذا منعه حقه الشرعي الخاص، وبعد الموعظة ثم الهجران في المضجع يضربها ضرباً غير مبرح، أي لا يدمي لحمها ولا يكسر عظاماً. نعم إذا كان المورد من موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البيت كما لو عصت بأن تريد أن تشرب الخمر أو تلعب القمار وتضرب الولد بدون حق مثلاً فيمكن الضرب من باب الدفاع عن النفس، أو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن

(٦٠) ج ٨، ص ٥٩٢.

(٦١) ج ٢، ص ٥٠١.

(٦٢) البقرة: ٢٢٩.

المنكر، مع العلم أن الضرب يحتاج إلى إذن الحاكم الشرعي))^(٦٣).

وأما حول تعهد الزوج بعدم ضرب الزوجة، فقال: ((لنسأل قبل ذلك: هل يجوز له أن يضربها أصلاً؟

إن بعض الناس قد يتصور أنه ما دام قد تزوج فإنه يمكن أن يجرب عضلاته في زوجته إذا لم تعجبه طبخة معينة، أو إذا كان الولد يبكي في الليل، أو إذا جاء ووجدتها نائمة وما إلى ذلك. ولقد قلنا مراراً إن زوجتك هي زوجتك في الجسد وهي أختك في الإيمان فلا يجوز لك الاعتداء عليها، والعقد الزوجي لا يجوز للزوج أن يضرب زوجته أو يشتمها أو يسيء إليها أو يسخر منها أو يطردها من بيتها إلا في حالة واحدة وهي فيما إذا منعتة من حقّه الجنسي، وحتى في هذه الحالة هناك خطوات متدرجة «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ» هذا أولاً، والوعظ ليس فقط كلمة بل عليه أن يقنعها ويعضها بالنتائج السلبية على حياتها وعند الله، أي أن يذكرها أن ذلك معصية «وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ» وهو حالة من التأديب النفسي، فإذا لم تنفع الموعظة ولا الهجران «وَأَضْرِبُوهُنَّ» ضرباً غير مبرح «فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً»^(٦٤). فليس هناك فرق بين أن تضرب زوجة جارك وبين أن تضرب زوجتك، فأنت تعاقب كما يُعاقب كل ظالم.

وهذا هو معنى عقد الزواج الذي لا يجعل لك سلطة على زوجتك إلا بالحق الزوجي، والمشهور من العلماء يقولون هو أن لا تخرج من بيتك إلا بإذنك، وهناك رأي يقول بأن حق الخروج إذا نافي حق الزوج فلا يجوز وليس كل خروج. وباختصار فإن الزواج لا يجعل زوجتك أمة عندك «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»^(٦٥). ليس درجة الضرب «فَأَمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

(٦٣) ج. ١، ض. ٦٠٣.

(٦٤) النساء: ٣٤.

(٦٥) البقرة: ٢٢٨.

تَسْرِحُ بِإِحْسَانٍ^(٦٦). هذه هي حجة الله، أما إذا تصوّر الرجل نفسه عنترة بعد الزواج فذاك أمر آخر، ولكن عليه أن يتذكر عندما تقف الزوجة يوم القيامة وتقول يا عدل يا حكيم أحكم بيني وبين زوجي فقد ضربني وطردني وانتهك حرمتي، فهل ستنفعه عنترياته في يوم الفصل؟^(٦٧).

وحول ما إذا كان الكذب على الزوجة يجوز قال سماحته: ((نرى أن الكذب محرّم على الزوجة وعلى الولد وعلى الأقرباء وعلى الأبعدين وعلى المسلمين وعلى الكافرين إلا في حالات الضرورة القصوى عندما تكون هناك مصلحة ملزمة أو مصلحة راجحة في الكذب، فالكذب محرّم بالنسبة لشخصية الكاذب.

فبعض الفتاوى تقول بجواز الكذب على الزوجة لأنها تلاحق الزوج بطلباتها وتخلق له مشاكل في ذهابه وإيابه، فهو يكذب عليها ليريح باله، لكن ذلك لا يجوز، وتجاوز التورية التي قد تكون كذباً في الظاهر لكنها صدق في الواقع^(٦٨).

وقال أيضاً: ((لو فرضنا أن الزوجة تسأل: هل يجوز الكذب على الزوج لتتفادى مشاكله؟ فهل تقبلون أن تكذب زوجاتكم عليكم؟ ((عامل الناس بما تحب ان يعاملوك))^(٦٩) فعلى الإنسان أن يكون صادقاً فالمسألة ليست في الشخص الذي تصدق أو تكذب عليه، فالصدق والكذب إنّما يتصلان بصدقك وأمانتك بأن تكون من الصادقين، وفي الحديث ((لا يكذب الكاذب وهو مؤمن)) نعم، بإمكان الإنسان في بعض الحالات أن يتكلّم بطريقة يكون فيها كذب في الظاهر وصدق في الواقع وذلك في أسلوب التورية إذا كانت هناك حالة ضرورية^(٧٠).

(٦٦) البقرة: ٢٢٩.

(٦٧) ج ٩، ص ٦٥١.

(٦٨) ج ٣، ص ٥٣٢.

(٦٩) ((بحار الأنوار، ج ٤، ص ٤٣٢، ب ٤٥، ح ٩٠.

(٧٠) ج ٩، ص ٦٥٦.

وقد سئل سماحته عن اغتياب الزوجة: ((أنا رجل متزوج وأريد أن أتزوج مرة ثانية فاقوم بالتكلم عن أخطاء زوجتي ونقائصها وسلبياتها لاقناع الآخرين بضرورة الزواج بالثانية، فما هو رأيكم؟)).

((هذا حرام لأنه غيبة، و((الغيبة طعام كلاب أهل النار)). والغيبة أن تذكر أخاك بعيب مستور، وزوجتك هي أختك في الإيمان وإن كانت زوجتك في الجسد، كما أن هذا يمثل حالة تشهير بها وهو ما لا يجوز لك. فبدلاً من أن تحدثهم عن نقائص زوجتك حدثهم عن كمالاتك))^(٧١).

وسأله أحدهم أيضاً: ((يسهر بعض الشبان المتزوجين من العائلات المحترمة على لعب الشطرنج حتى ساعة متأخرة جداً من الليل قائلين أنها لا تلهيهم عن أمور دينهم بينما يتركون زوجاتهم حتى ذلك الوقت بمفردهن في المنزل، فما هي نصيحتكم؟)).

فقال سماحته: ((الواقع أنها تلهيهم عن أمور دينهم وتصدّهم عن ذكر الله لأنهم مشغولون بالشطرنج، وتصدّهم عن الصلاة فقد يصلّيها أحدهم آخر الوقت أو يصلّيها على عجل وبدون توجه، ثم أن من أمور دينهم رعاية عائلاتهم والقيام بمسؤولياتهم، لذلك فإن فتوى الحليّة في التسلية من قبيل ((روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة)) لا على أساس أن تستهلك كل وقته بحجة أنها حلال، وقد ذكرت مراراً على نحو الطرفة أن لحم الغنم حلال فهل يأكل الإنسان عشرين رطلاً من اللحم في اليوم بحجة أن اللحم حلال؟ وأن شرب الماء حلال فهل يشرب ٥٠ ليتراً في اليوم بحجة أنه حلال؟ صحيح أن ذلك حلال ولكن عليك أن تعرف كيف تمارس الحلال بما لا يثقل جسّدك ولا يثقل حياتك ولا يثقل مسؤولياتك))^(٧٢).

رابعاً: العلاقات الاجتماعية:

١- الأخلاق الفردية والاجتماعية:

وعلى صعيد الأخلاق في بعدها الفردي وبعدها الاجتماعي سئل سماعته: ((في المدرسة السلوكية الغربية هناك إشكالية حول أسلوب التعامل مع الآخر، فهم يرون أن تعامل الناس بما تحب أن تعامل به أي كما يشتهون، فما هو الموقف الصحيح؟ هل هو التعامل من خلال ما يشتهون أم من خلال قناعتنا؟)).

فأجاب سماعته: ((علينا أن نعامل الناس بالأخلاق الحسنة بان ننصحهم ونحسن إليهم، ونصدق في تعاملنا معهم، ولا يعني معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به أن تعاملهم وفق الذوق والمزاج، بل من خلال التزامك بالحدود التي يلتزمها الناس في القضايا الأخلاقية لا الأمور المنحرفة اللاأخلاقية، أي التحرك في خط العدالة بأن تعامل غيرك بما تحب أن يعاملك به من احترام واعتزاز وتقدير لتدرس ظروفه النفسية والعملية في تعاملك معه من خلال ما تريده من مراعاته لظروفك في تعامله معك))^(٧٣).

وسئل عن الهوية الاجتماعية: ((ألا ترون أن القرب من الأهل والأصدقاء يترتب عليه عدم التقدير والاحترام، وفي التراث العربي يقال ((مطربة الحي لا تطرب)) فكيف السبيل إلى كسر هذا المظهر؟)).

فقال مجيباً: ((هذا ليس قاعدة شاملة، فربما كانت الألفة الاجتماعية تذهب الهوية من النفوس، لكن بإمكان الشخص إذا كان يمتلك المقومات الشخصية التي يستطيع بها أن يكون محترماً ومقدراً ومهاباً أن يحقق هذه الهوية في أي وسط اجتماعي يعيش فيه، ولذا نرى في مجتمعاتنا الكثير من الشخصيات العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية التي تنال احترامها وهبتها من الناس))^(٧٤).

(٧٣) ج. ٨، ص ٥٨٦.

(٧٤) ج. ٨، ص ٥٨٥.

وعن حسن الخلق وأجره سئل سماحته: ((أنا نتعلم عن الإمام الصادق عليه السلام بأن البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار، وذكرتم عدداً آخر من الأحاديث التي تؤكد على حسن الخلق. وهذه هي أول مرة أعرف فيها أن المرء يؤجر فيها على حسن خلقه، وكنت سابقاً حسن الخلق نسبياً فهل أنا مثاب على ما سلف مني، علماً أنني تربيّت على هذا؟))

فقال سماحته مجيباً: ((نعم إن الله يؤجرك على ذلك ويرفع درجتك خلاله، خاصة إذا كان حسن الخلق خصلة واعية تعامل الناس على أساسها ابتغاء مرضاة الله وليست مجرد سجية))^(٧٥).

وسئل عن معاملة غير المسلمين بالحسنى واحترامهم، فقال سماحته: ((قال الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٧٦) فالمسألة هي أن علينا أن نقتدي برسول الله ﷺ الذي كانت اخلاقه أسلوباً من أساليب الدعوة، وعلينا أن نتذكر قول الله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في دين أو في مذهب أو في سياسة أو عداوة أو في أي أمر شخصي ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٧٧). وهذه تربية تحتاج إلى جهد فهي صعبة ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ من الإيمان ومن الوعي ومن التقرب إلى الله سبحانه وتعالى))^(٧٨).

٢. الاخوة في الدين:

وحول تنافر القلوب سئل حول قول الشاعر الذي يقول:

(٧٥) ج ٧، ص ٥٨١.

(٧٦) الممتحنة: ٨-٩.

(٧٧) فصلت: ٣٤.

(٧٨) ج ٣، ص ٥٥٠.

إنَّ القلوب إذا تنافر ودَّها مثل الزجاجة كسرها لا يجبر؟ فقال سماحته: ((هذا غير صحيح، فقد تتنافر القلوب ثم تلتقي على الود من جديد))^(٧٩).

وعن كيفية التوازن بين الآراء السياسية وبين حدود الصداقة، ويقول سماحة السيد: ((يقول الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٨٠) حتى لو اختلفوا في السياسة، ولذلك إذا اختلف إنسان سياسياً أو اجتماعياً مع أخيه المؤمن وتقاطعا وتعاديا بسبب ذلك فهما ليسا في خط الإيمان، فكأنما يقول: قال الله وأقول. وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((إذا قال المؤمن للمؤمن أنت عدوي كفر أحدهما)). ويقول شوقي:

اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية

ولكن ذلك في القضايا الهامشية لا المفصلية))^(٨١).

وقد سئل سماحته: ((توجد ظاهرة ملحوظة في هذا الزمان، زمان الفتن، تتمثل في النفور من بعض المؤسسات الدينية، ومن أهل الدين، فكيف يمكن علاج هذه الظاهرة، والحد من تأثيرها؟)).

فقال مجيباً: ((علينا أن ندرس هذا النفور من هذه المؤسسات المحسوبة على الدين لنرى السبب في ذلك. فهل هو من جهة أن الناس يكرهون الدين؟ أو أن المسألة هي أن هذه المؤسسات لا تعطي الصورة المشرقة عن الدين؟ أو أنها تعطي صورة مظلمة عن الدين؟ أو أن الأشخاص الذين يشرفون عليها يسيئون اليها؟ بالإضافة الى ما هناك من اسئلة قد تكشف عن السبب الكامن وراء هذه الظاهرة التي ربما يقف أحياناً بعض المتحسسين منها ليثير نفور الناس منها. ثم علينا أن نعالج أسبابها، وإذا لم نستطع معالجة هذه الاسباب في هذه المؤسسة، فإن بالامكان إيجاد مؤسسات دينية أخرى يمكن للناس أن ينفثوا عليها لأنها تنفتح

(٧٩) ج ٨، ص ٥٨٧.

(٨٠) الحجرات: ١٠.

(٨١) ج ٨، ص ٥٨٧.

على ما ينفع الناس. وبحسب التجربة فإن نضور الناس غالباً ما ينتج عن القائمين على المؤسسات الدينية لا من الدين نفسه^(٨٢).

٣. زمن السوء :

وسئل ذات مرة: ((هناك من الأحاديث ما تنهى عن حسن الظن في أزمنة لا يصح فيها ذلك بل يُعتبر سذاجة، فلمن يرجع تحديد تلك الأزمنة؟ وما هو الخط الفاصل في ذلك؟)).

فقال سماحته: ((هناك حديث يقول ((إذا غلب الفساد على الزمان وأهله وظن إنسان بإنسان خيراً فقد غرر، وإذا غلب الصلاح على الزمان وأهله وأساء إنسان ظناً بإنسان فقد ظلم))). وليس معنى أن يسيئ الإنسان الظن بالناس أن يحكم عليهم بالسوء، ولكن أن يكون حذراً، فإذا كان الواقع سيئاً كن حذراً ولا تستعجل الحكم بالحسن، فلدينا إذاً جانب حذر وجانب حكم فلا يجوز للإنسان أن يحكم على الناس وعلى الأوضاع بالسوء حتى لو غلب الفساد على الناس، وهكذا لا يجب على الإنسان الحكم بحسن الظن، كما لا يجوز له الحكم إذا لم تكن لديه حجة، لمجرد أن الصلاح غالب على الناس، لكن هناك فرقاً بين أن يكون يكون الواقع العام صالحاً وعند ذلك تقل نسبة الحذر عند الإنسان لأنه يستبعد إساءة الظن، وبين أن يكون أغلب المجتمع فاسداً، فالحذر يكون مطلوباً في هذه الحالة.

فالحديث كناية عن أن يكون الإنسان حذراً عندما يغلب الفساد على الزمان وأهله وأن لا يسيئ الظن وأن يكون حذراً أكثر من اللازم إذا غلب الصلاح، ونحن قد أمرنا بالتحفظ والحذر كما في قول الإمام علي عليه السلام في بعض كلماته في (نهج البلاغة) حيث يقول ((لا تثقن بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لا تستقال)) أي أنك عندما تريد أن تثق بإنسان فعليك أن لا تثق به ١٠٠٪ ضع نسبة ٢٠٪ كحذر، وإلا إذا انكشف أن هذا الإنسان كان سيئاً أو أراد أن يدبر لك أمراً

فستكون الصرعة شديدة لا تقوم منها، ويقول ﷺ ((أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما)). وهكذا جاء (اتق شر من أحسنت إليه) لا كما يفهمها بعض الناس من أن كل من تحسن إليه سوف يأتيك الشر من جانبه فهذا خطأ، بل يعني احذر منه واتق شره فلا تستسلم لإحسانك فتقول أيعقل أن يضرني إنسان خدمته وعملت له كذا وكذا، وكن حذراً منه لأن بعض الناس قد يتحول إحسانك إليهم إلى عقدة عدوانية فقد يسيئون إليك فاحذر من إمكانات الشر في ذلك، والله العالم))^(٨٣).

وعن حالة سوء الظن بالآخرين وما يترتب شرعاً على من يرتكب هذه الحالة، يقول سماحته: ((إن الله تعالى يريدنا أن نجاهد أنفسنا فلا نظن السوء بالناس ما دام هناك مجال للعمل على الأحسن، ولكن ورد عندنا أن الإنسان إذا عاش سوء الظن فعليه أن لا يحكم على أساسه، وأن لا يحقق ذلك، ففي الحديث الشريف عن الرسول ﷺ ((إذا ظننت فلا تحقق)) أي لا تجعل ما ظننته في حجم الحقيقة بحيث أنك ترتب آثار السوء الذي ظننت أنه سوء))^(٨٤).

يقول أحد السائلين: ((لي صديق صرف عليه أحد المحسنين مالا لمدة سنة وأسكنه في بيته وتكفل في معيشته، فهل يجوز لهذا الشخص الاستفادة التقوّل على الشخص المحسن بالباطل))؟

فقال سماحته مجيباً: ((هذا يصدق عليه ((اتق شر من أحسنت إليه)). فهو معقّد من الإحسان ولا يطبق أن يحسن إليه أحد، ولذا تراه يتكلم على المحسن إليه بالباطل))^(٨٥).

وسئل سماحته أيضاً: ((ماذا لو أصاب قاضي حاجات الناس الضرر من جرّاء خدمته لهم، كما لو أقرضت شخصاً بعض المال واضطرتت لردّه وكنت في عسر وضيق، ورفض المدين ردّ الدين، بحيث يحصل الضرر للدائن، ألا يقطع ذلك

(٨٣) ج ٣، ص ٥٣٨.

(٨٤) ج ٤، ص ٥٢٧.

(٨٥) ج ٨، ص ٦٠٨.

سبيل المعروف؟))

فقال سماحة السيد: ((في مثل هذه الأحوال لا يكلفه الله قضاء الحوائج إذا كان هناك ضرر عليه، ولكن لو فرضنا أن الإنسان يصاب بضرر كبير جرّاء ذلك، فقد لا يكون هذا الأمر مستحباً بالنسبة إليه، ألا من حيث استحباب الإيثار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٨٦))).^(٨٧)

ويقول سماحته إذا كان الإنسان يعد وهو قاصد أن لا يفي فهو كاذب^(٨٨).

وسئل سماحته عن ((قول (صاحب الجواهر) بوجوب الوفاء بالوعد ولم يقل الفقهاء بذلك، فهل معنى هذا أنه ليس واجباً شرعياً بل أخلاقياً؟ وهل الدين إلا (الخلق؟))

فقال مجيباً: ((بالنسبة الى الوفاء بالوعد فإن الوعد على قسمين: فتارة يكون اخلاف الوعد بأن تعد إنساناً وتضمّر في نفسك أن لا تفي له، أي أنك تقول تعالى غداً في الوقت الفلاني وفي نيتك بأن لا تفي به، فهذا لا إشكال في حرمة لأنه من الكذب، لأنك عندما تقول له تعال في الوقت الفلاني فإنك تقول انتظرك في ذلك الوقت وأنا موجود في بيتي أو في دائرتي، في حين تعرف مستيقناً بأنك لست موجوداً هناك، فهذا كذب.

وهناك حالة أخرى وهي أن تعدّه ثم تحدث بعض الطوارئ وأنت قاصد لأن تفي بالوعد، فهل يجب عليك الوقوف لتطرد هذه الطوارئ التي تمنعك عن الوفاء بالوعد؟

بعض الفقهاء يقولون بأن الوفاء بالوعد مستحب وهو أمر أخلاقي أي من الأخلاق المستحبة، وليس من الأخلاق الواجبة، ولكن يذهب فقهاء آخرون إلى أنه واجب وربما يستفاد ذلك من بعض الروايات إضافة إلى ما ورد في الدعاء ((اللهم إني استغفرك لكل وعد وعدته ولكل عهد عاهدته ثم لم أف لك به)) باعتبار أن

(٨٦) الحشر: ٩.

(٨٧) ج ٧، ص ٥٧.

(٨٨) ج ٧، ص ٥٩.

الاستغفار من عدم الوفاء بالوعد كما هو عدم الوفاء بالعهد يدل على أنه ذنب وخطيئة، ومعنى ذلك أنه محرم، لذلك فالمسألة هي محل خلاف بين الفقهاء وكلام السائل: هل الدين إلا الخلق صحيح إن الدين هو الخلق ولكن الأخلاق على قسمين: هناك أخلاق إلزامية وهناك أخلاق استحبابية^(٨٩).

وسئل أيضاً: ((إذا شكى لي صديق شخصاً قد ظلمه ولم أستطع مساعدة صديقي، هل يحق لي أن أسمع كيف ظلمه؟)).

فقال: ((نعم، لأن لصاحب الحق مقالاً، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾^(٩٠). ولكن الأحوط أن يذكر المظلوم ظالمه بالسوء الذي ظلمه به عند من يرجو قدرته على دفع ظلمه عنه^(٩١))).

وهل يدل التعصب على ضعف الإيمان؟ يقول سماحته: ((نعم، فالمؤمن ملتزم وليس متعصباً، لأن التعصب فيه شيء من العدوان على الآخر، فيما الالتزام فيه شيء من الانفتاح على الآخر^(٩٢))).

بين منطق العصبية وإشعال الفتن سئل سماحة السيد: ((كلنا نعرف أن أمير المؤمنين عليه السلام قد تنازل عن حقه في الخلافة ضمناً لوحدة الصف، ومن أجل مصلحة الإسلام، فيما لا نشهد اليوم على الصعيد الإسلامي إلا صراعاً بين المرجعيات والقيادات يزداد اشتعالاً يتمثل في تناحر أتباعهم، وتكفير ولعن وتكذيب بعضهم البعض، الأمر الذي أخذ يفقد ثقة الناس بعلمائهم، كيف يمكن - من وجهة نظر سماحتكم - تصحيح هذا الوضع البالغ السوء؟)).

فقال سماحته: ((في الواقع لم يتنازل الإمام علي عليه السلام عن حقه، إنما جمّد مطالبته بهذا الحق من أجل مصلحة الإسلام، وقال في هذا المجال كلمته

(٨٩) ج ٣، ص ٥٣٧.

(٩٠) النساء: ١٤٨.

(٩١) ج ٩، ص ٦٦١.

(٩٢) ج ٦، ص ٥٩١.

المشهوره: ((لأسألك ما سلمت أمور المسلمين))، وقد بقي الإمام علي عليه السلام إلى آخر حياته يؤكد أن الحق له في الولاية ولم يتنازل عن هذا الحق.

أما على الصعيد المرجعي والقيادي فأقول: إن واقع المرجعية الشيعية تعددي، فكل شخصية علمائية إذا أحرزت الشروط العلمية والأخلاقية المعينة تأهلت لتكون مرجعاً، لذا فإن من الطبيعي أن تتعدد المرجعيات الشيعية، تماماً كما يتعدد أصحاب الاختصاص من أطباء ومهندسين.

ومثلما يختلف الناس في تحديد الطبيب الأكفأ والأفضل بفعل اعتمادهم على معايير محددة وغير محددة، كذلك تختلف قناعات الناس المقلدين بالنسبة للمرجع المفترض تقليده، لكن المشكلة على هذا الصعيد هي في التخلف، والتعصب الذي هو من السمات الأساسية للتخلف الذي يتغلغل عميقاً في نفوس الكثيرين الذين يستنكرون على الناس حقهم في السير خلف قناعاتهم، معتبرين أنهم وحدهم يمتلكون الحقيقة. ولو تأملت واقع هؤلاء الذين يتعصبون لفلان وفلان، لرأيت تعصبهم نابعاً من جهل وعُقد شخصية، حتى أن بعضاً من هذه النماذج كان ينتقد السيد الخوئي (قده) ويهاجمه وهو لا يفهم رسالته الفقهية، وقد يعود سبب بعض التهجومات على المرجعيات إلى سعي صاحبها نحو الشهرة ونيل الموقع المتميز، ولكن على حساب مصالح الأمة ووحدتها وقوتها.

لقد فتكت بنا عصبية التخلف والجهل، فيما الإنسان المؤمن والمتدين لا يتعصب، ففي الحديث النبوي الشريف: ((من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربة الإسلام من عنقه))^(٩٣)، أي يخرج من الإيمان، لأن العصبية في النار. والعصبية غير الالتزام، فقد يلتزم الإنسان بحزب ما أو جماعة معينة أو شخص معين، وسيحاسبه الله على هذا الالتزام فيما إذا كان ناشئاً من قاعدة سليمة أو لا، ولكن أن يتعصب الإنسان وينغلق على ما يؤمن به، معتبراً أن الآخرين في ضلال، وأن جماعته وحزبه ومرجعه على حق، فتلك هي العصبية التي ذمها الإسلام وحاربها

باعتبارها من أنجاس الجاهلية. وفي هذا المجال يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): ((العصبية التي يَأْتُم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين))^(٩٤) ويضيف الإمام (عليه السلام): ((ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه)) فلا يمنعك الدين أن تؤكد عاطفتك ومحبتك لجماعتك وتبارك، ((ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم))^(٩٥) فإذا وصلت بك عاطفتك إلى الحد الذي يجعلك تقبل بمعونة الظالمين، فجمدها لأنها تتعارض مع مبدئك ورسالتك، فعندما يكون هناك شر وخير، فكن مع الخير حتى لو كان الخير مع أعدائك، وكن ضد الشر حتى لو كان الشر عند أقرائك، وقد قال الشاعر:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

هذا هو الدين. فليس الدين فقط أن نصلي ونصوم، بل أن يقف الإنسان عند حدود الله، وحقيقة التقوى هي ألا يجدك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، لكننا مستغرقون في عصبياتنا، مطلقين العنان لأهوائنا، والله يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٩٦)، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٩٧)، ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٩٨)، إن اعتماد هذا المنطق السلبي وسلوك هذا المسار المدمر في التعاطي مع المرجعيات والفتن المؤمنة يؤدي إلى إشعال الفتن في ساحتنا الإسلامية، وسوف يعاقب الله كل مشعلي الفتن ومفسدي العلاقات بين الأخوة المؤمنين، فالله يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٩٩) فيما يرفع البعض شعار: (أفسدوا بين

(٩٤) نفسه. ح. ٨.

(٩٥) نفسه. ح. ١١.

(٩٦) ق: ١٨.

(٩٧) يس: ٦٥.

(٩٨) فصلت: ٢١.

(٩٩) الحجرات: ١٠.

أخويكم)، وعلينا الاختيار بين المنطقيين))^(١٠٠).

وحول ترك الأمر بالمعروف سئل: ((يعتبر تارك الصوم والصلاة آثماً وفاسقاً بينما لا يعتبر تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك، فما هو السبب؟))

فقال سماحته: ((لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يجبان مع توافر شروطهما، وربما تكون الشروط غير متوافرة. أما إذا فرضنا أنه كان قادراً على ذلك ولم يكن هناك ضرر بالغ في هذا المجال فإنه يكون فاسقاً إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))^(١٠١).

٤. الاعتزال والاندماج:

وسأله أحدهم قائلاً: ((كيف يتم التوفيق بين ما دعا إليه المعصومون ﷺ من اعتزال الناس واستحباب الانعزال والبعد عن مخالطة الناس كعلامة إرشادية في طريق العرفان، وبين الجهاد العملي بالقول والفعل في كافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وما يتطلبه ذلك من حضور شخصي ومشاركة الآخرين قولاً وعملاً، وأيهما أفضل الانعزال أم الانخراط؟))

فقال مجيباً: ((نحن مكلفون بالعمل ومكلفون بالدعوة لله سبحانه وتعالى، ومكلفون بالسعي من أجل العيش وكسب الرزق، ومكلفون بالتواصل مع المجتمع. وليس الانعزال إلا من جهة مجاهدة النفس وترويضها، وإلا فلسنا مأمورين بالانعزال، ولم يكن دأب الأنبياء والأئمة ﷺ الانعزال عن المجتمع، بل كانوا جزءاً منه، وإذا كان الانعزال لجهة الابتعاد عن الرذيلة وعن الانحراف فإن ذلك لا يعد من البطولة، لأن البطولة أن تكون في قلب المجتمع وفي خطّ المواجهة، بحيث لا تسقط ولا تنحرف، وكما قال الشاعر:

ليس البطولة أن تموت من الضما إن البطولة أن تعب الماء

(١٠٠) ج ١٠، ص ٦٥٣-٦٥٥.

(١٠١) ج ٦، ص ٦٢٠.

ويقول أحد الشعراء:

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من جلوس المرء وحده

ويسأله أحد الأشخاص: ((ما هي الطرق الصحيحة لتوجيه من يقول إن العزلة هي ابتعاد الإنسان عن الذنوب والآثام، وما هو الفهم الصحيح للعزلة والاعتزال في الإسلام؟)).

فأجاب سماحته بـ: ((إن الإسلام يريد لك أن تبتعد عن الذنوب والآثام عندما تدخل التجربة لا عندما تعيش خارج نطاق التجربة، على طريقة ذلك الشاعر الذي يقول:

ليس البطولة أن تموت من الظما
إن البطولة أن تعب الماء
فالبطل هو الذي يدخل في قلب التجربة ولا يسقط، وهو الذي يقترب من المحرقة ولا يحترق ﴿الم﴾ ❖ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ❖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١٠٢)، فلا بد أن تمر بالفتنة التي تعني الاختبار والامتحان ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(١٠٣)، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١٠٤)، فلا بد من أن تعيش الزلزال.. زلزال غرائذك، وزلزال الصراع في المجتمع، وأن تدخل في قلب التجربة التي يعيش فيها الإيمان الصراع مع الكفر، ويعيش فيها الخير مع الشر، لا بد أن تعيش كل ذلك كله، وتبقى مؤمناً.

(١٠٢) العنكبوت: ١-٣.

(١٠٣) محمد: ٣١.

(١٠٤) البقرة: ٢١٤.

لذلك فإن العزلة في الإسلام شر وليس خيرا لأنك بالعزلة تمنع طاقاتك ومن أن تتفجر وإيمانك من أن يقوى وينمو^(١٠٥).

ويسأله أحد الأشخاص ((فيما يخص الحديث عن السياحة نلاحظ أن النبي ﷺ كان يخلو كثيرا في غار حراء، وكان الإسلام ما زال يحض أتباعه على الاختلاء واعتبار كل ساعة تفكر سبعين سنة عبادة، ألا تجد أن في هذه الخلوة مع النفس تجديدا للقوة التي ينطلق بها الإنسان في الحياة ومراجعة الفكر؟))

فقال مجيبا ((هذا صحيح، فهناك فرق بين أن تكون العزلة طابع حياتك كلها بحيث تعتبر العزلة عن المجتمع هي القيمة كل القيمة، بمعنى أنك تعتزل المجتمع وتخلو إلى ربك، فאלله قد جعل الإنسان خليفة في الأرض وأراد له أن يقتحم المجتمع، وأن يدعو إلى ربه، وأن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر، وأن يصلح الواقع، وحمل الإنسان المسؤولية في ذلك كله. فالإنسان يحتاج - في بعض الحالات - أن يخلو إلى نفسه ساعة أو ساعتين حتى يستطيع أن يحاسب نفسه ليخطط من أجل أن يعرف الماضي والحاضر والمستقبل، وثمة فرق آخر بين أن تكون الخلوة بالنفس من أجل أن يدرس الإنسان ماضيه وحاضره مما قام به ليصلح نفسه، وليتعرف على ما قد يغمض عليه من شؤون نفسه، وبين أن تكون العزلة طابع الحياة كلها، وهذا هو الذي يرفضه الإسلام))^(١٠٦).

وحول رفض الاختلاط سئل سماحته: ((ذكرتم في كتابكم (دنيا الشباب) رفض الإسلام الاختلاط بين الذكور والإناث، ولكن عندما نذكر ذلك للاروبيين ينظرون إلى الإسلام نظرة غريبة، فكيف يمكن حل هذه المسألة؟))

((نحن لا نقول بحرمة الاختلاط، ولكننا نقول إن الأصل هو عدم الاختلاط، فهو جائز مع المحافظة على الحدود الشرعية بحيث لا يؤدي إلى الوقوع في الحرام))^(١٠٧).

(١٠٥) ج ٤، ص ٥٠٩.

(١٠٦) ج ٧، ص ٥٧٩.

(١٠٧) نفسه، ص ٥٨٥.

وسئل سماحته: ((أنا شاب أعيش في الغرب ومشكلتي أنني لا أتحمل الآخرين عندما يخطئون معي أكثر من مرة، فأقاطعهم، حيث أنني أقاطع أخي وأختي الكبيرين حالياً، فبماذا تنصحونني؟))

فأجاب: ((إذا كان القانون هو أن كل من يخطئ فعلى الآخر أن لا يتحمله وأن يقاطعه وأن يمنع عنه خيره، فماذا نفعل نحن الخطاؤون مع الله تعالى، هل نقبل أن يقاطعنا الله ويسلب عنا رحمته.

ثم أنك تقاطع الآخرين عندما يخطئون معك، فهل تقبل أن يقاطعك الآخرون عندما تخطئ معهم ((عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به))^{١٠٨}.

وثمة شاب يعيش أزمة ثقة في الأصدقاء كان قد سأل سماحة السيد: ((مررت بعدة تجارب فظهر لي زيف بعضهم أو أنهم لا يتجاوبون معي في العمل، فما هو موقفني منهم؟))

فقال له مجيباً: ((إن المرور بتجارب سلبية لا يعني أن التجارب التي لم تخضها ستكون مماثلة لهذه التجربة، فمن الممكن أن يكون الأصدقاء الذين التقيتهم لا يمثلون الصفات التي تدفعهم إلى الوفاء، ولكن قد يكون هناك أصدقاء كثيرون طيبون، فحاول أن تتابع التجربة، ولكن عليك أن تأخذ من تجاربك السابقة درساً لتستفيد منها في تجاربك الجديدة.

هذه نقطة، وأما النقطة الثانية، فهي أن المشكلة قد تكون منك لا من أصدقائك فلماذا تعتبر نفسك في موضع العصمة وأصدقاءك في موقع الخطأ، فربما يحمل أصدقاؤك ضدك ما تحمله ضدهم، وربما يقولون إن فلانا لم يَف لنا، وربما أخطأت معهم، وربما كنت تطلب منهم ما لا تطلبه من نفسك، لهذا فعليك أن لا تحكم على هذه التجربة بالسوء بل حاول أن تدرس ذلك. أما أنهم لا يتجاوبون معك فلربما لا يقتنعون بما قدمت لهم)).

٥. أهمية المكاشفة:

سئل سماحة السيد عن أهمية المكاشفة: ((قال امير المؤمنين ﷺ)) ((لو تكاشفتُم لما تباغضتُم)) فالإلى أي مدى يمكن أخذ هذا القول بصراحتنا في المجتمع ابتداء من الأسرة بكاملها وانتهاء بجميع طبقات المجتمع؟

فقال سماحته مجيباً على السؤال: ((ربما كان الأساس في هذا القول)) ((لو تكاشفتُم لما تداغمتُم)) إن الكثيرين منا يخافون من المنطقة الخفية لدى الآخرين، ولو ثبت القول بما ذكر السائل ((لو تكاشفتُم لما تباغضتُم)). فإن هذا يعني أن الإنسان في الغالب كل يشك بالآخر ولا يثق به من جهة المنطقة الخفية الموجودة في نفسه، فلو كشف كل واحد منهم عن دخيلة نفسه ورأى الآخر أن ليس عنده سوء في نيته فيما فعل، فلا يكون هناك بغض. ولكن لابد أن نقدر الأمور بقدرها لأنه في بعض الحالات قد تخلق المكاشفة تعقيدات ومشاكل، والحديث هنا يريد أن يبين طبيعة المكاشفة التي تقتضي ذلك، ولكن ربما تنجم عن المكاشفة مشكلة تعقد العلاقة))^(١٠٩).

وحول المسامحة عن الاساءات سئل سماحته: ((إذا أساء أحدنا إلى الآخر في أمور قد تسيء إلى حياته العائلية وصرح بها أمامه من باب الترضية، فهل يصح أن يطلب منه المسامحة على أمر واحد قاصداً في قلبه المسامحة عن الكل))؟

فقال سماحته مجيباً: ((لابد في المسامحة التي يطلبها أن تكون عن الكل باعتبار أنك إذا قصدت الكل وفهم البعض، فهذه ليست مسامحة. لأن المسامحة الحقيقية تنطلق من خلال نية المسامح، كما لو كان عليك دين وطلبت من شخص أن يسامحك عن إساءة فلا تشمل المسامحة الدين الذي في ذمتك. أي المسامحة على قدر ما يسامحك به صاحب الحق))^(١١٠).

وسئل سماحته: ((في بعض الأحيان يغتاب الناس شخصا فأقوم بعكس العيب الذي فيه لكي لا تسقط شخصية هذا الإنسان، وأنا في الواقع اكذب لصالح هذا المظلوم، فهل هذا العمل صحيح))؟

فقال: ((ليس لك أن تكذب ولكن عليك أن تتكر المنكر في كلامهم عنه))^(١١١).

وسئل: ((هل أن التجسس للإصلاح بين اثنين جائز))؟
فقال سماحته ((التجسس محرم، ولكن إذا توقف الإصلاح على أن يتعرف الإنسان على بعض الأمور بحيث كان التعرف من أجل الإصلاح، ولو لم يصلح بينهما لوقعت مشاكل كبيرة، جاز ذلك))^(١١٢).

وحول المجالس النافعة، سئل: ((هل نفهم من حديثكم عن مقاطعة مجالس أهل المعاصي أن على المؤمنين أن يحولوا المجالس إلى مجالس نافعة وتربوية بدلا من مجالس اللهو والغفلة، أم يكفي في المجالس أن تكون غير متضمنة للإساءة لفكر الإسلام؟

فقال مجيبا: ((إن حديثنا كان يتناول جانبا من المنهج التربوي الإسلامي، وهو أن ترفض المجالس التي ينتقص فيها الإسلام ورسوله وأولياء الله أو الخط الحركي الإسلامي.

وهناك منهج تربوي آخر في الإسلام، وهو أن تكون الداعية إلى الحق بمختلف أساليب الدعوة إلى الله بشكل فردي تارة، وبشكل جماعي تارة أخرى وذلك بالتعاون مع الدعاة إلى الله الأذلاء عليه، وأن تهيئ المناخ الفكري والروحي والحركي للناس من خلال المجالس والندوات والاجتماعات التي يذكر فيها الله تعالى، ويدعى فيها إلى الإيمان بالله ورسوله وكتابه واليوم الآخر، وأن تحرك الناس نحو الإسلام في مفاهيمه وشرائعه ومناهجه وأساليبه، لأن الإسلام لا

(١١١) ج ٩، ص ٦٥٦.

(١١٢) ج ١٠، ص ٦٦٠.

يكتفي من الإنسان أن يرفض الباطل وأن يضعفه، بل إنه لابد من أن يقوي الحق وينصره. هذه هي المسألة فلا حيادية بأن لا تكون مع الباطل وأن لا تكون مع الحق ضد الباطل. وهذا ما عبر عنه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في (دعاء الصباح والمساء) حيث قال ((اللهم ووفقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه باستعمال الخير وهجران الشر وشكر النعم واتباع السنن ومجانبة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحيطة الإسلام وانتقاص الباطل وإدلاله ونصرة الحق واعزازه)). أن تدل الباطل وأن تنتقصه وأن تنصر الحق وتعزه، فهذا هو الموقف الإسلامي الصحيح.

لذلك لابد أن تكون مجالسنا مجالس ذكر الحق، والدعوة إلى الحق وتربية الناس على الإسلام وإيجاد المناخات الإسلامية التي يتنفس فيها الناس جو الإسلام، ونبتعد عن أن تكون مجالس اللهو والغفلة والبطالة، لأنها مجالس يمقتها الله ولا يرضى عن أهلها))^(١١٣).

سئل سماحته أيضا: ((ذكرتم في حديثكم جزءا من حديث للإمام زين العابدين (عليه السلام) يقول فيه ((إن الله يحب كل قلب حزين)) بينما ذكرتم حديثا في الندوات السابقة يقول ((أفضل وأحب الأعمال إدخال السرور على قلوب المؤمنين))^(١١٤). فكيف ندخل السرور على قلوب أحب الله أن تكون حزينة؟

فقال سماحته مجيبا: ((لأن القلب الحزين يحس بمشاكل الآخرين، ويحس بأحزان الآخرين، وإدخال السرور عليهم يتم من خلال قضاء حوائجهم وحل مشاكلهم. ولا مانع من أن تكون قلوب هؤلاء المؤمنين حزينة في المعنى الآخر، وهو الحزن الذي ينطلق من خلال محبة الله عزوجل والخشية منه والقلق على المصير. فيتحول هذا الحزن إلى طاعة الله في إدخال السرور على المؤمنين الذين يفرحون لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم. فالمسألة نسبية من هذه الجهة، ولا تنافي أو تعارض بين الحديثين))^(١١٥).

(١١٣) ج٦: ص ٥٩٢.

(١١٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥٤، ح ٥.

(١١٥) ج ٧، ص ٥٩٥.

خامسا: العلاقات بين المغتربين

سئل سماحة السيد: ((ما هو الدور الذي يجب على المغتربين القيام به تجاه قضية الإسلام في وطنهم خصوصا إذا كان في بلد المغترب عدة محاور لمحاربة النظام الفاسد ولا يعلم أيها المخلص وأيها غير المخلص؟)).

فأجاب: ((على الإنسان أن يرجع إلى أهل الذكر ويستشير أهل الخبرة، ويدرس الأمور دراسة موضوعية ليعرف من هو سائر على الخط المستقيم ومن هو السائر على الخط المنحرف، وأن عليه أن لا يعيش عقده في داخل نفسه، بل أن يحل عقده من خلال الوعي ومن خلال السؤال))^(١١٦).

ومن توجيهات سماحته حول مشكلة تربية الأولاد في المهجر قوله في الإجابة عن أحد الأسئلة: ((قلت للمهاجرين: جوعوا واصرفوا الأموال لتأسيس مدارس لأولادكم ولتأسيس مواقع ثقافية وغيرها، فكما نبني الحسينيات يجب أن نؤسس النوادي الرياضية والكشفية، ويجب أن نبني نوادي لأسباب اللهو البريء، إذ لا يمكن أن تحصر ابنك في قنينة لأنه سوف يكسرها عندما يصبح أكبر من القنينة. إذ نحن مسؤولون عن أولادنا شرعا، فالهجرة إلى البلاد غير الإسلامية تحرم إذا أوجبت ضياع الدين، وهي من التعرب بعد الهجرة، لذلك فالمهاجرون إذا أرادوا أن يجعلوا مبررا شرعيا لهجرتهم، يجب أن يؤسسوا المؤسسات التي تحمي أولادهم من الضلال))^(١١٧).

وحول دور المرأة المسلمة في الغربة، يقول سماحته: ((أن تكون مسلمة وأن تبقى مسلمة في حجابها، وفي حركتها في الواقع، وفي الأماكن التي تذهب إليها، وأن تكون مسلمة في العلاقات التي تعقدها، ومسلمة فيما تأكل وتشرب وتلبس وما إلى ذلك))^(١١٨).

(١١٦) ج ٢، ص ٥٣٧.

(١١٧) ج ١٠، ص ٦٥٨.

(١١٨) ج ٢، ص ٥٠٢.

وعن ضعف العلاقات بين المهاجرين، السؤال التالي: ((من مشكلات العراقيين في المهجر مشكلة ضعف العلاقات لا سيما بين المهاجرين القدامى، فالمشاكل تحدث، والعلاقات تنقطع حتى بين اخوة النسب ولأتفه الأسباب، فما هي نصيحتكم لأبنائكم في المهجر؟)).

فنصحهم قائلًا: ((نصيحتي لهم أن يعيشوا معنى الرحم في صلة النسب إن كانوا أرحامًا، وأن يعيشوا معنى الإيمان في صلة الإسلام، فينطلقوا بالأخوة الإيمانية، وأن يدرسوا مسألة أنهم من بلد واحد أخرجوا منه بغير حق لأنهم قالوا ربنا الله، فعليهم أن يخلصوا للفكرة التي ضحوا لأجلها بوجودهم في أرضهم فيما تتمثل فيه علاقات بعضهم بالبعض الآخر.

ولما كان الناس يرتبطون برباط المصلحة، فإنهم كلما كانوا أقرب إلى بعضهم، وكلما كانت صلتهم ببعضهم أقوى وأعمق استطاعوا أن يخدموا وجودهم أكثر، وأن يجعلوا المجتمعات تحترمهم أكثر، وأن يتجنبوا الكثير من المشاكل.

إن عليهم أن يكونوا واعين لأنفسهم وللواقع من حولهم ولصالحهم في ذلك كله، وهذه النصيحة ليست موجهة للعراقيين فحسب، ولكنها موجهة إلى كل شعب اضطر أن يخرج من أرضه مهاجرًا إلى الله ورسوله، فإن عليه أن يبقى مع الله ورسوله في كل ما أكد الله من قيم، وفي كل ما أطلقه الرسول ﷺ من أخلاق))^(١١٩).

ولقد سئل سماحته: ((بغض النظر عن أسباب اللجوء، فإن هناك أضرارًا تربوية خطيرة لا يقتصر تأثيرها على الأطفال والشباب، بل تركت آثارها على الكبار أيضًا وينسب مختلفة، فما هي الأساليب التي ينبغي العمل بها لإنقاذهم؟)).

فقال سماحته مجيبًا: ((إن المسلمين عندما ينتقلون إلى بلاد الكفر التي لا يملكون فيها أية حصانة تؤكد مناعتهم العقيدية أو الأخلاقية فإن ذلك سوف

يترك آثاره السلبية عليهم، لذلك نقول لابد من إنشاء مساجد أو مصليات ومدارس تعلم الأولاد، ولقد أطلقت شعارا في الغرب هو (المدرسة قبل المسجد). فأول عمل ينبغي القيام به هو إنشاء المدارس، لأننا يمكن أن نصلي في قاعة المدرسة حينئذ، حتى نحفظ لأولادنا لغتهم ودينهم وأخلاقهم وتقاليدهم، وإلا إذا فرضنا أنه لزم البقاء هناك ضلال الشخص أو ضلال أولاده فيحرم عليه البقاء لأنه من التعرب بعد الهجرة))^(١٢٠).

وحول مدارس المسلمين في المهجر، سئل سماحته: ((بعدما أدركنا شدة الخطر الكبير تجاه أبناء الجالية الإسلامية من التحلل الفكري والأخلاقي قمنا بالتصدي لهذه المشكلة بإنشاء مدرسة إسلامية، وكان الإقبال عليها كبيرا وبعد مدة وجدنا الكثير من المسلمين غير مهتمين بإلحاق أبنائهم بهذه المدرسة، فما هو قولكم لهؤلاء؟)).

فقال سماحته: ((إنني أرى أنه يجب وجوبا عينا على كل مسلم في دار الاغتراب أن يضع ولده في مدرسة الإسلام ولا يجوز له أن يضعه في مدرسة غير إسلامية حتى لو تحمل عبئا ماليا))^(١٢١).

وحول مبررات المدرسة قبل المسجد في الغرب، يقول سماحته: ((ذلك لأن المدرسة هي التي تحفظ لنا عقائد الدين ولغة أولادنا، إذ يمكن أن نصلي جماعة في المدرسة ولكننا نفتقد في كثير من الحالات دين أولادنا، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١٢٢). فلا إشكال بأننا عندما نؤسس المدارس في الغرب يمكننا أن نصلي فيها جماعة، ونسمع الموعظة، ونعلم أولادنا، بينما لو اكتفينا بالمساجد فقد لا نحقق ذلك. وإذا استطعنا أن نؤسس مدرسة ومسجدا فالجمع أفضل))^(١٢٣).

(١٢٠) ج ٤، ص ٥١٢.

(١٢١) ج ٢، ص ٥٠٠.

(١٢٢) التحريم: ٦.

(١٢٣) ج ٨، ص ٥٨٢.

وسئل أيضا: ((أنشئت مدرسة إسلامية للأطفال في أجواء غربية تعطي دروسا في القرآن والتربية الإسلامية واللغة العربية، علما أن دوام المدرسة يومان في الأسبوع فقط، فما رأيكم في هذه المدرسة البسيطة؟)).

فقال سماحته: ((هذه مدرسة مهمة جدا وهي من أفضل الأعمال إلى الله، وأنا أدعو لأن ينشئ المهاجرون في بلاد الاغتراب مدارس كاملة يربون فيها أولادهم على المناهج العملية والمناهج الدينية لأن هذا يخلصهم من أجواء المدارس الأخرى)).^(١٢٤)

وينصح سماحته الشباب المتوجهين إلى الدول الغربية، قائلا: ((نصيحتي هي أن يحافظوا على دينهم، تماما كما يحافظ الإنسان على ماله في بلد يكثر فيه اللصوص، ويحافظ على نفسه في بلاد يكثر فيها المجرمون، ألا يقوم باتخاذ الاحتياطات اللازمة ليتجنب هذا وذاك؟ وبعبارة أخرى، فإن على الإنسان الذي يسافر إلى بلاد الكفر التي لا يعيش فيها الأجواء الإسلامية، والتي تقدم له فيها المعصية على طبق من ذهب، أن يعيش حالة طوارئ في الحفاظ على دينه، لأن الإنسان في بعض البلدان ينطبق عليه الحديث الشريف ((القابض على دينه كالقابض على الجمر)). ولا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد يضعف فيه دينه أو دين أهله، أما إذا أراد أن يحقق الشرعية لسفره فعليه أن يحاول - ما أمكنه ذلك - أن يحفظ دينه وأهله)).^(١٢٥)

سادسا: التهذيب الاجتماعي:

١. في الجانب السلبي:

لقد سئل سماحته حول رأيه في إزعاج الناس بأي شكل كان ((يحرم عندنا إزعاج الناس، فهل هناك فرق بين ما إذا كان ذلك بمضامين حقّة وبين ما إذا لم يكن كذلك؟)).

(١٢٤) ج ٢، ص ٥١٤.

(١٢٥) ج ٨، ص ٥٧٩.

فقال سماحته: ((لا فرق بين الأمرين، إذ لا يجوز لنا أن نفرض أصواتنا العالية على الناس حتى نمنعهم من النوم أو القراءة أو من الراحة، ولذلك حررنا إطلاق مكبرات الصوت في الاحتفالات بما يزعج الناس ويمنعهم من النوم. وهكذا بالنسبة إلى رفع صوت التلفاز أو المسجلة أو المذياع إلى أعلى درجة، فهذا تخلف من جهة وحرام من جهة ثانية لأنه يزعج الناس إلا في الحالات التي تكون هناك قضية مهمة جداً تقتضي إيصال ذلك إلى الناس، لأننا في الشرق أصبحنا نعيش هذه العادات السيئة فنعمل على أساس تحول مناطقنا إلى مناطق لا يستطيع الإنسان أن يجد فيه طعم الراحة، والله يريد لنا أن يكون ذوقنا مرهفاً في الصوت، سواء ما نطلقه من صوت أو ما نسمعه من صوت أو ما نحركه من صوت))^(١٢٦).

وأما رأيه ((بالضيوف الذين يدخلون البيوت بدون سابق إنذار في الأوقات المحرجة بالنسبة لأصحاب الدار خاصة في أوقات الراحة، وهل ينطبق على ذلك.. المأخوذ حياء كالمأخوذ غصبا؟)).. فهو ((إذا كان أصحاب الدار لا يحبون أن يأتيهم ضيوف وكان الضيوف يعرفون ذلك فلا يجوز، أما إذا كانوا معتادين على ذلك، ويعتبرون أن القرابة أو الصداقة تبرر لهم ذلك ولم ينبههم أصحاب البيت، فلا مشكلة))^(١٢٧).

وحول إفشاء السر، سئل سماحته: ((هل أن إفشاء السر جريمة وخيانة إذا لم يطلب صاحب السر إخفاءه وكتمانه؟

يقول سماحته: ((تارة تعرف انه يجوز لك أن تفشي السر فلا مشكلة، إما إذا شكنا فلا يجوز لأن ((المجالس بالأمانات)) وليس لأحد أن يظهر مكتوم سر إلا أن يكون ذكرا له بخير. فالسر يعني أن صاحبه لا يريد إفشاءه، نعم، إذا قامت القرائن في أن كشف السر ينطوي على الخير لصاحبه، فلا بأس))^(١٢٨).

(١٢٦) ج ٦: ص ٥٩٨-٥٩٩.

(١٢٧) ج ٤: ص ٥٠٨.

(١٢٨) ج ٨: ص ٦٠٢.

وأما عن خيانة إفشاء السر فقد سئل: ((لقد ذكرتم في إحدى الندوات أن من الخيانة إفشاء سر أخيك المسلم وذلك عندما يكون هذا السر أو هذا الأمر مفسدة للمسلمين أو لتطبيق شرع الله؟))

فقال سماحته: ((عندما يكون هناك ضرر أكبر فعند ذلك يعتبر إفشاء السر خيانة. فإذا فرضنا أن هذا السر الذي اطلعت عليه لم يعرف به الناس، وإذا اطلعوا عليه فربما يؤدي إلى فتنة وإلى سقوط موقف الإسلام، فهذا خيانة كبيرة))^(١٢٩).

وسئل أيضا عن إفشاء الأسرار الزوجية: ((كيف تعامل الزوجة التي تفضي أسرارها وحياتها الزوجية الخاصة والعامة أمام الناس، رغم تحذير زوجها من ذلك؟))

فقال مجيبا: ((على الزوج أن يدرس أفضل الوسائل لردعها عن ذلك، وإفهامها أن ذلك مما يضر بسمعتها وببيتها وبزوجها، وأن الأسرار منطقة محرمة لا يجوز إطلاع الآخرين عليها))^(١٣٠).

وحول الاخلاف بالوعد، سئل سماحته: ((إذا واعدت شخصا لكي اشترى منه بضاعة ما ولكن وجدت بضاعة ارخص منها عند غيره، فهل يحق لي أن أخلف الوعد؟))

فقال: ((الإخلاف بالوعد فيما إذا كان الإنسان مصمما أن يخلف، أما إذا كان الوعد على أساس معين فإنه يستطيع أن يعتذر منه لأن هنالك بضاعة ارخص من بضاعته ولا ضير في ذلك))^(١٣١).

وقد سئل حول الحلف كذبا: ((إذا لعبت مع أصدقائي الألعاب المسلية وهم دائما يسبون أو يحلفون صدقا وكذبا في أثناء اللعب، فهل يحق لي أن العب معهم؟))

(١٢٩) ج ٩ ص ٦٥٦.

(١٣٠) ج ٧ ص ٥٨٩.

(١٣١) ج ٩ ص ٦٤٧.

فأجاب سماحته قائلاً: ((إن على الإنسان عندما يكون في مجلس يعصى الله فيه أن ينكر ذلك، وأن ينسحب إذا لم يستطع أن يردع عن هذا))^(١٣٢).

وسئل أيضاً: ((هناك أناس يسبون ويشتمون الآخرين بسبب أو بغير سبب، فهل يذهب من حسناتهم شيء إلى هؤلاء المظلومين))؟

فقال سماحته: ((طبعاً، ففي يوم القيامة عندما يؤتى بأحدهم - كما في الرواية - وحسناته مثل الجبال، ويأتي أصحاب الحقوق يطالبون بحقوقهم من العدل الحكيم، فإن الله تعالى يقول للملائكة: خذوا من حسناته وأضيفوها إليهم، فيقول الملائكة بعد أن تنفذ حسناته: يا ربنا لقد فزيت حسناته وطالبوه كثير؟ يقول: أضيفوا من سيئاتهم على سيئاته))^(١٣٣).

وسئل كذلك ((كثير من الأشخاص يسمعون محاضراتك وينصتون إليها لكنهم لا يطبقون حرفاً منها، فهل يعتبر هذا الشيء من النفاق))؟

فقال: ((ليس ضرورياً أن يكون نفاقاً ولكن هؤلاء ربما لا إرادة لديهم، وعليهم إذا اقتنعوا بالشيء أن يأخذوا به في حياتهم، والله تعالى يقول ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١٣٤) لأن الله غداً يجعل هذا الكلام الذي تسمعه حجة علينا ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا^(١٣٥) وعلينا غداً أن نحضر لكل سؤال جوابا ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(١٣٦))).^(١٣٧)

وحول الاطلاع على الأوراق المكشوفة، سئل: ((أحياناً يترك بعض الزملاء أوراقه الخاصة أو دفاتره على طاولته، أي أنه لا يخفيها في درج الطاولة بحيث يمكن اعتبارها من أسرارها، فهل يجوز قراءتها))؟

(١٣٢) ج ٩، ص ٦٥٤.

(١٣٣) ج ٩، ص ٦٥٠.

(١٣٤) الزمر: ١٨.

(١٣٥) الملك: ٨-٩.

(١٣٦) النحل: ١١١.

(١٣٧) ج ٩، ص ٦٥٨.

فقال مجيباً: ((لا يجوز ذلك، فقد يكون نسيها هناك. وكذلك الحال مع من يتنصّت لاثنتين يتحدّثان همساً، أو يختلس النظر لرسالة يقرأها صاحبها، فهذا كله من التجسّس))^(١٣٨).

وسئل: ((هل أن الفضول من التجسس خاصة وان حب الاستطلاع قد يدفع إلى لون من ألوان التجسس المنهي عنه))؟

فقال: ((الفضول في حياة الناس الخاصة لا يجوز. وأمّا في القضايا العامة السياسية والاجتماعية أو لو كانت هناك مصلحة إسلامية عليا فلا مشكلة، على أن يرجع إلى أهل الخبرة في تقدير ذلك، فليس بإمكان كل شخص أن يحدّد المصلحة الإسلامية لأن شهواته قد تحدّد له المصلحة))^(١٣٩).

وسئل أيضاً: ((إن عمل المرأة في بعض المجتمعات يفرض عليها نوعاً من المجاملات كالابتساماة الرسمية التي تقتضيها آداب الوظيفة، فهل هذا يعتبر حراماً في الشرع))؟

فقال: ((عندنا في الشرع نقطة مهمة في علاقة المرأة بالمجتمع الرجولي تلخصها الآية الكريمة «فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ»^(١٤٠) وقل نفس الشيء عن الكلام والابتساماة والنظرة فإن كل عمل يوجب شعور الآخر بأن هذه المرأة تدعوه إلى نفسها، أو أنها سهلة المنال وما إلى ذلك بحيث يستوحي من حركاتها ومن ابتسامتها ذلك فليس جائزاً))^(١٤١).

وقد سئل ((مجال عمل شخص ومهنته هو الخط العربي، فما قولكم إن وظّف مهنته في كتابة الشعارات والعبارات التي تؤيد الباطل وتمكّن لإحكام القبضة على مواقع الحق، وذلك في حال كون هذه المهنة هي مصدر رزقه))؟

(١٣٨) ج ٨، ص ٦٠٢.

(١٣٩) ج ٨، ص ٦٠١.

(١٤٠) الأحزاب: ٣٢.

(١٤١) ج ٢، ص ٥٣٨-٥٣٩.

فقال سماحته: ((لم يجعل الله رزقه في الحرام بل إن الله سبحانه وتعالى يقول «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»^(١٤٢) «قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١٤٣) «وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^(١٤٤) «لَيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُلْفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا»^(١٤٥) والله إذا وعد فهو أصدق الواعدين، فعليه أن يتابع بحثه عن الرزق الحلال في اختصاصه المهني وغيره))^(١٤٦).

٢. في الجانب الإيجابي:

وحول تحية الإسلام، سئل سماحته: ((لو سلم شخص (بالسلام عليكم) فرددت عليه أهلاً وسهلاً ومرحباً فهل تبرأ ذمتي؟))

فقال: ((لا تبرئ الذمة، لأن على الإنسان أن يرد التحية وفقاً لقوله تعالى «وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا»^(١٤٧) فإذا سلم (ب) (السلام عليكم) فعليكم إما أن ترد (ب) (عليكم السلام) أو (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) فتلك مثلها وهذه أحسن منها، ورد السلام في الإسلام واجب وتحية الإسلام هذه، لا التي أشرت إليها))^(١٤٨).

وحول البشاشة بين المؤمنين سئل السؤال التالي: ((بالإضافة إلى الصداقة والصديق نحتاج نحن المسلمين البشاشة بين بعضنا البعض وهذا مفقود إلى درجة كبيرة حتى بين بعض علمائنا الأعزاء، فهل هناك طريق وأسلوب يتبعه

(١٤٢) الطلاق: ٢-٣.

(١٤٣) الزمر: ١٠.

(١٤٤) لقمان: ١٧.

(١٤٥) الطلاق: ٧.

(١٤٦) ج ٢، ص ٥٤٠.

(١٤٧) النساء: ٨٦.

(١٤٨) ج ١، ص ٦٣١.

المسلم لتجاوز ذلك))؟

فقال سماحته: ((يقول تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١٤٩). وفي الحديث عن الرسول ﷺ الأسوة الحسنة ((اللق أخاك بوجه منبسط))^(١٥٠). ولكن بعض الناس يحب أن يخلق لدى الناس الشعور بالكآبة فتراه مقطّباً وعبوساً قمطريراً وينسى أن النبي ﷺ كان دائماً التبتسم، والإمام زين العابدين ﷺ كما يصفه الشاعر:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

فمن علامات المؤمن أن يكون بشره في وجهه، لكن بعض الناس إذا نظرت إليه أدخل على قلبك الهم والغم والحزن والأسى حتى ولو كان الناس في فرح وسرور))^(١٥١).

وسئل ذات مرة ((في محاضرة سابقة لم تسمحوا بإثارة المشاكل الفكرية وإشاعة الحقائق الضارة بالساحة الإسلامية التي تمس الرموز التي تحرك الأوضاع بشكل سلبي، فهل مازلتם عند رأيكم، علماً أن مثيري الضوضاء لم يسكتوا ما لم يردعوا بروادع قوية تكشفهم وتفضح زيفهم أمام الناس))؟

فقال مجيباً: ((لقد علمنا الله أن نقول كما قال ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١٥٢) ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١٥٣) ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١٥٤).

أيها الأحبة، إن ساحتنا لا تتحمل صراعاً منطلقه القضايا الجزئية والهامشية، دعوا الحقائق تعبر عن نفسها ودعوا الحق ينطلق في صفاء عناصره

(١٤٩) الأحزاب: ٢١.

(١٥٠) الكليني: الكافي، ج ٢، ص ١٠٣، ح ٣.

(١٥١) ج ٨، ص ٥٨٩.

(١٥٢) الأعراف: ١٩٩.

(١٥٣) الفرقان: ٦٣.

(١٥٤) فصلت: ٣٤.

أما الباطل والكلام غير المسؤول فسوف يذوب لأنه لا ثبات له في عمق الواقع.
ففي سنة ١٣٨٠ هـ أذكر أنني كتبت قصيدة في مجلة (الأضواء) اسمها
(الأساليب القديمة) ختمتها ببيتين من الشعر هما:

غير أنا سوف ندعو للأساليب الكريمة وستندك مع الضجر الأساليب القديمة
ولا يزال الموقف نفس الموقف والرأي هو الرأي^(١٥٥).

وعن حدود النقد للآخر لكي لا ندخل في أجواء الغيبة، يقول سماحته:
((الغيبة هي أن تذكر أخاك بعيب مستور، أما أن تنقد بعض أفكاره بطريقة علمية
موضوعية فلا مشكلة، أو تكون في مقام النصيحة، فالغيبة في مقام النصيحة أو
في مقام رفع الظلم جائزة «لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم». فهذه من
مستثنيات الغيبة، وهناك مستثنيات أخرى مذكورة في كتب الفقه^(١٥٦)).

وحول الترويض على تقبل النقد سئل أحدهم: ((كيف يمكن أن نرتقي
بمستوانا النفسي والروحي حتى نصبح قادرين على التعامل مع النقد كظاهرة
صحية تعمل على تعميق المراجعة والإصلاح في مفردات الواقع كله ولا نتحسس
من مبادرات النقد فلا ننظر إليها من زاوية شخصية))؟

فأجاب ((إذا أراد الإنسان أن يكون ناقدا موضوعيا فلا بد له من أن يبدأ من
نقطة أن الأفكار التي أحملها لم تخلق معي، فאלله لم يخلق أفكارنا الدينية ولا
أفكارنا السياسية ولا أفكارنا الاجتماعية يوم ولدنا وإنما اكتسبناها إما بتقليد
الآخرين أو بالتأثر بالبيئة أو بالدارسة أو بالتأمل والتفكير. فإن أفكارنا ليست
جزءا من شخصيتنا، بل أخذنا بهذه الأفكار لأننا اعتبرنا أنها الحقيقة، فإذا
نحن نريد أن نصل إلى الحقيقة، فإذا جاءنا إنسان وانتقدنا، انتقد فكرنا، وانتقد
انتماءنا، وانتقد عقيدتنا، فعلينا أن لا نتعقد منه لأنه وجه انتقادا إلى ما نلتزم
به وإلى ما ننتمي إليه، بل لابد لنا أن نفتح عقولنا له حتى نستطيع أن نواجه

(١٥٥) ج ٢. ص ٥٤٣-٤٤٤.

(١٥٦) ج ٩. ص ٦٥٤.

الفكرة بالفكرة وأن نواجه النقد بالنقد، فلعلنا نطلع على ضوء للحقيقة عنده كنا قد افتقدناه، ولعلنا نستطيع أن نعطيه مما عندنا من الحقيقة.

لذلك على الإنسان أن يكون حيادياً أمام الفكرة بمعنى أن لا تشعر أن فكرك جزء من ذاتك، ففكرك هو عقيدة اعتقدتها وفكرك التزام التزمته ولكن من الممكن أن تخطأ في التزامك وفي فكرك، ومن هنا فإن عليك أن تتقبل الآخرين في ذلك ولا تتعقد منهم عندما تعيش هذا الجو فليما منحك ذلك أن تجذب الآخرين إليك، وهذا ما علمنا إياه القرآن .

وأحب أن لا تنسوا هذه الآية في القرآن الكريم ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾^(١٥٧) لقد علم الله رسوله أنه إذا أراد أن يتحدث مع الكفار أن يتحدث معهم كما لو كان حيادياً أمام الفكرة التي يلتزمها الآخر، ولذلك قال لهم تعالوا لنفاهم فقد أكون على هدى وأنتم على ضلال، وقد أكون على ضلال وأنتم على هدى وليس معنى ذلك أن الرسول ﷺ الذي جاء بالصدق وصدق به يشك في أنه على هدى وأنهم على ضلال، ولكنه أسلوب الحوار الذي لا بد أن ينطلق من ذهنية موضوعية بحيث تكون مستعدة لتقبل ما يعطيه الآخر إذا اقتنع به وليكن الأسلوب أسلوباً موضوعياً.

لهذا لا بد لنا - أيها الأحبة - أن نعرف أن الحق هو ملك الله، الله هو الحق وهو الذي أنزل الحق وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويريدنا أن نلتزم الحق، وقد نخطأ في الحق فلماذا نتعقد ممن يأتينا ليحاورنا وليعرفنا ما هو الحق وما هو الباطل، أو ليعرف منا ما هو الحق وما هو الباطل؟^(١٥٨)

وقد سئل ((في أي الأشياء ينبغي لنا أن نسامح ونعفو عن الناس، وفي أي

الأمور يجب أن لا نعفو عن الناس ونغضب عليهم لغضب الله))؟

(١٥٧) سبأ: ٢٤.

(١٥٨) ج ٢، ص ٥٤٠-٥٤٢.

فقال مجيباً: هناك حديث للإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق يقول فيه: «أما حق من ساءك فإن تعفو عنه لأن الله يقول ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾»^(١٥٩). فإذا رأيت أن العفو عنه يضره يعني إذا عفوت عنه ورأيت أنه يتضرر بعفوك كما هو حال بعض الناس عندما يراك تعفو عنه فإنه يتجراً على الناس أكثر، وربما يؤدي إلى نتائج مدمرة بالنسبة له، فاترك العفو. وينقل في هذا الصدد أن شخصاً أتى لرئيس عشيرته ودار بينهما خلاف فقام الشخص المسيء وضربه فما كان من هذا إلا أن وضع عباءته على رأسه ومشى ولم يرد الضربة بضربة مماثلة وتجراً المسيء بعد ذلك فجرب مع شخص ثان أيضاً ولكن المعتدى عليه أطلق عليه الرصاص فجاؤوا إلى الأول وقالوا له إن فلانا (القاتل) عنده غيرة أكثر منك، فقال: كنت أعرف أنني إذا سامحته فإنه سيتجراً على غيري فيقع في حضرة إساءته، فبعض الناس كهذا إذا عفوت عنه سيزداد اضراراً بالناس على طريقة ذلك الشاعر:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١٦٠).

وسئل أيضاً: ((هل طلب البراءة من الآخرين يعتبر شرطاً للتوبة على التناول عليهم؟))

فقال مجيباً: ((إذا استطاع المكلف أن يطلب البراءة ممن تعرض لهم فيها، وإلا فليستغفر لهم))^(١٦١).

وحول الترويض على حب الناس، سألته سائل: ((كنت أروض نفسي في أن أحب الناس بقدر حبهم وإخلاصهم للإسلام، لا حبا تمليه علي عواطفني وتقاليدي وأعرافي، فما رأيكم بهذا اللون من الحب؟))

فأجابته: ((من الطبيعي أن على صاحب الرسالة أن يحب في الله ويبغض في الله. وعلينا أن نعرف أن الله أراد لنا أن نحب آباءنا وأهلنا وإخواننا ولكن على

(١٥٩) البقرة: ٢٢٧.

(١٦٠) ج ٩، ص ٦٥٥.

(١٦١) ج ٩، ص ٦٦٧.

أساس أن يكون حبا يختزن في داخله معنى الإيمان ومعنى الرسالة))^(١٦٢).

سابعاً: الأجواء المنحرفة:

١. البيئة المنحرفة:

وسئل سماحة السيد عن العيش في البيئة المنحرفة: ((ماذا يفعل من عاش في بيئة منحرفة لم يعرف فيها عن الدين شيئاً من الصلاة والصيام وغير ذلك، فهل عليه شيء غير القضاء كفارة أو غير ذلك؟)).

فأجاب: ((إن كان لا يعرف أن الصلاة والصوم واجبين ولم يخبره أحد بذلك، فلا يجب عليه الكفارة، وأما إذا عرف بأنهما واجبان ولكنه تهاون، فيجب عليه القضاء والكفارة معاً))^(١٦٣).

وحول أثر البيئة على الاستقامة سئل عن ((مثل يقول (لا تكن كاللص الذي يعتبر نفسه شريفاً عندما لا يستطيع أن يسرق) فكيف للإنسان أن يقيم ذاته بشكل صحيح في وسط اجتماعي لا يسمح له بالزلل، ولكن إذا وضع في طريق مهياً للزلل زل فيه وأخطأ؟)).

فقال سماحته موضحاً: ((على الإنسان أن يدرس نفسه، وأن يدرس ملكاته حتى يستطيع أن يعرف عمق الإيمان بالله وعمق الإيمان بما أوجبه أو حرمه عليه، حتى إذا فتح له باب من الحرام يستطيع أن يملك إرادته، وربما كان تحريك الإرادة في المستحبات يعطي الإنسان قوة أمام المحرمات، وكذلك تحريكها في الشبهات التي يجوز للإنسان أن يقتحمها كالشبهات البدوية، فربما يجعل له ذلك قوة على التوازن إزاء المحرمات))^(١٦٤).

وقد سئل حول الأجواء الإباحية حيث أن ((الحياة في أوروبا تضعنا عنوة في مواقف إباحية محرجة وفتنة، فهل علينا إثم؟)).

(١٦٢) ج ٧، ص ٥٧٨.

(١٦٣) ج ٣، ص ٥٥٠.

(١٦٤) ج ٤، ص ٥١٥.

فأجاب بالقول: ((للمسألة جانبان: الأول، هو أن الإنسان يبتلى بالنظر إلى العرة وأوضاعهم، فهنا يقول تعالى ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون﴾^(١٦٥) أي يحاول مهما أمكن أن يغض الطرف، ويحاول أن يحتفظ لنفسه بطهارتها وروحيتها، وهو النظر الذي يكون بدون ريبة وتلذذ وشهوة، والأمر اليوم في الشرق كما هو في الغرب، مما يستدعي الحيلة والحذر ومراقبة النفس هنا وهناك.

أما الجانب الثاني، وهو مسألة الفتنة والإباحية من حيث الدخول في الجانب العملي، فعلى الإنسان في أي مكان كان أن يجاهد نفسه))^(١٦٦).
وقد سئل أيضا: ((نحن مجموعة مسلمات نعيش في أوروبا ونريد منكم أن تبدوا لنا النصيحة بتقوية إيماننا والخوف من الله أكثر لأن الأجواء من حولنا تضعف هممنا))

فأجاب قائلا: ((من الممكن جدا للأخوات أن يجتمعن في قراءة دعاء وتذكر أمر الله سبحانه وتعالى وفي ذكره كثيرا وفي محاولة النظر إلى ما حولهن نظرة ناقدة لا نظرة تستلب مشاعر الإنسان.

ثم ليحاولن أن يجتمعن ولو في كل أسبوع مرة ليشعرون بالجو الإسلامي فيما بينهن وذلك من خلال التذكير بأمر الله ونهيه، والتفكير في أمره، ومحاسبة النفس، وتذكر نعم الله سبحانه وتعالى، وقراءة القرآن، والصلاة، فإن ذلك كله يمكن أن ينمي لهن إيمانهن))^(١٦٧).

٢. التربية في أجواء منحرفة:

وقد أجاب على سؤال حول تربية الأبناء في الأجواء المنحرفة، قائلا: ((كما تربيهم جسديا، حاول أن تربيهم روحيا وفكريا بتجربتك الخاصة، أو بجعل

(١٦٥) النور: ٣٠.

(١٦٦) ج ٥، ص ٥٩٨.

(١٦٧) ج ٤، ص ٥١٦.

أولادك يعيشون في مجتمع المؤمنين بطريقة أو بأخرى))^(١٦٨).

وسئل عن معاناة المغتربين: ((نعاني نحن المغتربين وأبنائنا من عدم سماح بلدان الاغتراب بالممارسات العقائدية الإمامية، مما سينتهي إلى أن يصبح أولادنا بعد زمن إلى ما انتهت إليه الطوائف الأخرى، فكيف السبيل إلى منع ذلك؟))

فقال سماحته: ((إذا فرضنا أنه هاجر إلى بلاد كهذه فإنه لا يجوز الهجرة إلى بلاد يضعف فيها الدين، فإذا لم يتمكن فعلية محاولة سد النقص بأن يجعل لأولاده دورة دراسية في البيت حتى يعرفهم حقائق العقيدة))^(١٦٩).

وحول مسؤولية الوالدين عن انحراف الأبناء، سأل سائل: ((أصبحت الهجرة إلى بلاد الغرب أمرا واقعا، فلو هاجر المؤمن إلى تلك الديار بسبب الظروف الصعبة، وقام بتربية أبنائه تربية إسلامية ولم يدخر جهدا في ذلك، وحصل أن انحرف بعض الأبناء فهل يكون مسؤولا أمام الله لأنه هو الذي جلبهم إلى تلك الديار أم يعتبر أنه قد قام بواجبه الشرعي حسب قدرته؟)).

وأجاب سماحته ((إذا كان ذهابه بهم إلى هناك مظنة الانحراف، بحيث رجحت حسابات الانحراف فإنه يتحمل جزءا من المسؤولية، أما إذا لم تكن القضية بهذه المثابة فلا يتحمل المسؤولية، لأن انحرافهم هناك سيكون كانحرافهم هنا عندما يكون ذلك خارج قدرته))^(١٧٠).

وسئل أيضا: ((نجد كثيرا من الأبناء المنحرفين في سلوكهم وهم بعيدون عن الأجواء الإيمانية على الرغم من أن آبائهم من المتدينين والوعاظ والمبلغين، فما هو الخلل في ذلك؟)).

فقال سماحته مجيبا: ((الخلل هو أن هؤلاء الأبناء يعتبرون الإيمان من حواضر البيت، أي من الأمور غير المهمة، كما أن الآباء المؤمنين الواعظين يبيعون بضاعتهم على الآخرين - كما في المثل الدارج - ولا يبيعونها على أهلهم، فهم

(١٦٨) ج ٤، ص ٥١٣.

(١٦٩) ج ٥، ص ٥٨٩.

(١٧٠) ج ٤، ص ٥١٤.

يعتقدون أن بيوتهم بيوت مؤمنة فلا ضرورة له أن يبلغ أو يعظ أو يرشد أهله^(١٧١).

وعن الانحراف قبل البلوغ سئل سماحته ((لي صديق لا يتجاوز عمره ثلاث عشرة سنة يرتكب ما يحرمه الله وأنا أنصحه وأرشده، وقد سمعت أن الإنسان لا يحاسب على أعماله دون سن البلوغ فأخبرته بذلك فصار يرتكب الذنوب أكثر فأكثر، وهو يقول لي حين أذكره بالله، لن أستمع إليك فإن الله لن يحاسبني، فما هو رأيكم؟)).

فقال: ((إذا كان هذا الشخص غير بالغ بلوغ الاحتلام وإنبات الشعر، فلدينا في الحديث ((رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم))^(١٧٢) ولكن كان من الخطأ أن نتحدث معه عن ذلك، لأن المشكلة ليست فيما يرتكبه قبل البلوغ في عذاب الله له، ولكن هذا الذي يرتكبه من المحرمات قد يترك تأثيرا في شخصيته بحيث يمتد ذلك إلى ما بعد البلوغ لأنه سوف يصبح خلقا يتجذر في حياته.

ومن جهة ثانية، فإن الكثير من المعاصي قد تضر الإنسان جسديا وروحيا ونفسيا، مما يترك تأثيراته الوضعية على الإنسان الفاعل له^(١٧٣).

وحول التعامل مع الولد العاق سئل سماحته: ((بأية طريقة يجب التعامل مع ولد عاق وملحد وخاصة في المعاملات اليومية من مأكّل وطهارة وحقوق وواجبات؟)).

فقال مجيبا على ذلك: ((علينا إذا كانت هناك إمكانية أن نصلحه ونهديه ونقربه إلينا. أما الطهارة، فبحسب رأينا، فإن كل إنسان طاهر^(١٧٤))).

وسئل مرة من قبل أحد الشبان: ((أنا شاب أبلغ من العمر ١٧ سنة أصلي وأصوم وأؤدي واجباتي ولكن أبي لا يصلي ولا يصوم ويشرب الخمر وفي بعض

(١٧١) ج. ٥، ص. ٥٨٦.

(١٧٢) بحار الأنوار، ج. ٥، ب. ١٤، ص. ٣٠٣، ح. ١٣.

(١٧٣) ج. ٤، ص. ٥٢٦-٥٢٧.

(١٧٤) ج. ٧، ص. ٦٠٥.

الأوقات يمنعني من القيام بالواجبات الدينية، فما هو الحل المناسب لي ولوالدي؟))

فقال: ((الحل المناسب هو أن تعصي والدك بطريقة تنهاه فيها عن المنكر ولا تسمح له أن يضغط عليك بالانحراف عن الالتزامات الدينية، وأن تدعو الله له بالهداية، وأن تذكره الله بين وقت وآخر، وأن تطلب من بعض من يمكن أن يؤثر عليه أن يتحدث إليه في ذلك))^(١٧٥).

وسئل عن: ((بعض الآباء والأمهات الذين يعكسون حياتهم السلبية على أولادهم، بل لا يشعر الأولاد بأبوتهم، فكيف يتعامل الأولاد مع هؤلاء الآباء المسيئين؟))

فقال: ((عليهم أن يتعاملوا مع آبائهم بما يفرضه حق الأب على الأولاد حتى وإن كان الأب مقصرا مع أولاده، وعليهم أن يحاولوا إرشاد آباءهم إما بشكل مباشر أو من خلال الناس الآخرين))^(١٧٦).

وقد سئل عن التقصير في التربية: ((يعمد الكثير من الناس الراغبين في اللجوء إلى السفر أولا وترك أبنائهم حتى يحين موعد استدعائهم، فلو انحرف الأبناء بعد أن يتركهم الآباء فهل يأثم هؤلاء لتقصيرهم في واجبهم التربوي؟)). فقال مجيبا: ((نعم إذا كان تركهم لأولادهم يوجب إضلالهم فإنهم يعصون أمر الله ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١٧٧) فلا بد لهم من رعاية أبنائهم من الناحية الدينية))^(١٧٨).

وقد سئل أيضا من قبل أحد الآباء: ((اعيش في إحدى الدول الغربية، وعائلتي قد انحرفت جميعها، ولا أستطيع أن أفعل شيئا إزاء ذلك، فهل أبقى معهم؟ أم أتركها؟ أم ماذا؟)).

(١٧٥) ج ١. ص ٦٠٩.

(١٧٦) ج ٧. ص ٦٠٧.

(١٧٧) التحريم: ٦.

(١٧٨) ج ٥. ص ٦٠٠.

فقال سماحته: ((نحن نقول إنه يحرم على الإنسان السفر إلى بلد يضعف فيه دينه ودين عائلته، ولذلك عليه أن يحاول هداية عائلته التي انحرفت، والتي قد يتحمل كثيراً من مسؤولية انحرافها لأنه تركها لنفسها. وقد يجعلها تضل أكثر لو أهملها، فلا بد أن يلاحظ ظروفه ويدرس الأمر بشكل واقعي))^(١٧٩).

٣. الموقف من أهل المعاصي:

وسئل عن أهل المعاصي والمنحرفين: ((من أسباب النظرة السلبية نحو منهج الإسلام في الأخلاق هو سلوك بعض المتدينين مع أهل المعصية، فكيف كان موقف الإمام الصادق عليه السلام مع هؤلاء، وهل توافقتونهم على مقاطعة المنحرفين بشكل مطلق؟)).

فقال سماحته: ((إن الأسلوب الإسلامي هو ليس كذلك، فهو يقول «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(١٨٠)، «وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(١٨١) وهو القائل «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(١٨٢)).

لذلك، فالكلمة الطيبة هي ما يريد الله سبحانه وتعالى أن تكون الأسلوب الذي يفتح به عقل الإنسان وقلبه، وهكذا نرى أن الإمام الصادق عليه السلام كان يجلس مع الزنادقة ويفتح لهم عقله وقلبه.

أما مسألة مقاطعة أهل المعاصي فإن المقاطعة كأصل ليست هي الأسلوب إذا أمكننا بالمواصلة أن نهديهم وأن نقرّبهم، نعم إذا كانت المقاطعة تؤتي تأثيراً إيجابياً بحيث يمكن أن يهتدي العاصي بالمقاطعة أكثر من المواصلة، فعند ذلك تكون المقاطعة حلاً.

(١٧٩) ج ٧، ص ٥٨٠.

(١٨٠) النحل: ١٢٥.

(١٨١) الإسراء: ٥٣.

(١٨٢) العنكبوت: ٤٦.

والأصل أن نتواصل مع كل الناس بما فيهم الكافرون والفاسقون عسى أن نوفق - من خلال ذلك - إلى هدايتهم))^(١٨٣).

وحول مقابلة العصاة بوجوه مكفهرة طرح السؤال التالي: ((هل أن الرواية ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)) من الأخلاق الإسلامية وكيف يكون ذلك والإسلام لم يبشر إلا بالأخلاق الإيجابية؟)).

فأجاب: ((هناك رواية عن النبي ﷺ ويرويه أهل البيت ﷺ في النهي عن المنكر هي إذا توقف النهي على رفض أهل المنكر وأهل المعاصي في التقطيب في وجوههم فهذه وسيلة لتغيير الواقع، وهذا مثل الحديث ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)).

أما إذا كان الرد على المنكر يحتاج إلى أخلاق ويحتاج إلى لطف وإلى أساليب إنسانية فلا يجوز عند ذلك أن نلقاهم بوجوه مكفهرة. لذلك فالحديث وارد في تحديد المراتب، فإذا ما توقف النهي عن المنكر على هذا فعندها يصبح هو العلاج الأمثل للنهي))^(١٨٤).

وفي نفس السياق طرح على سماحته هذا السؤال: ((ما هو موقف الإسلام أو ما هي طريقة التعامل التي يجب أن نتعامل بها مع بعض الذين نظنهم أو نعتقد أنهم مؤمنون، مع العلم أنهم عصاة لا يصومون ولا يصلون وذلك بغض النظر عن مذاهبهم ودينهم؟)).

فأجاب: ((إذا فرضنا أنهم كانوا غير مؤمنين فعلينا أن نتعامل معهم كما نتعامل مع غير المؤمنين، وما داموا متجاهرين بالعصيان فعلينا أن نتحدث عنهم بمقام النصيحة للمؤمنين حتى لا يقعوا تحت تأثير المعصية))^(١٨٥).

(١٨٣) ج ٤: ص ٥٣٠-٥٣١.

(١٨٤) ج ١: ص ٦٢٦-٦٢٧.

(١٨٥) ج ٦: ص ٥٩١.

وقد سئل أيضا: ((يفترض بالمؤمن أن يكره الفعل والممارسة السيئة لأخيه المؤمن ولا يكره نفس أخيه المؤمن، فكيف يمكنه ذلك والفعل يصدر من نفس الشخص؟)).

فرد بالقول: ((إن المؤمن إذا قام بعمل سيئ فليس معنى ذلك أن عمله قد حوله إلى شيطان، فلو فرضنا أن مؤمنا اغتاب شخصا آخر والغيبة من الكبائر، أو أنه أكل لحم الميتة أو ضرب زوجته، فذلك لا يعني أنه تحول إلى شر كله، بل أن هناك جانبا من شخصيته العملية كان مبعوضا من قبل الله.

وفي الحديث ((إن الله يحب العبد ويُبغض بدنه)) ففي الحقيقة نحن لا نريد أن نقتل الكافر، ولكننا نريد أن نقتل كفره، ولا نريد أن نقتل الشرير ولكن علينا أن نفكر في كيف نقتل شره.

فلا ينبغي أن نبغض ذات الإنسان، فهو بحسب طبيعته طيب، ف((كل مولود يولد على الفطرة)) ولكنه يتأثر بما حوله وبمن حوله بالعادات السيئة، فعلى أن لا نكره الإنسان لاسيما إذا كان مؤمنا. والثمرة العملية للفصل بين الفكر والذات هي أننا نظل نحاور الآخر ونحب أن يهتدي إلى سواء السبيل وإن كنا نبغض باطله))^(١٨٦).

وقد سئل سماحته عن ((معنى مباهتة أهل البدع المأمور بها في الروايات، هل تعني المواجهة بالحجة القوية على نحو «فبهت الذي كفر»^(١٨٧) أم المراد البهتان والافتراء عليهم بدعوى انتهاكهم لحرمة الله؟)).

فقال مجيبا: ((هناك بعض العلماء يقول إن معنى باهتوهم أي حاولوا أن تنسبوا إليهم ما لا يقومون به من البهتان من أجل إسقاطهم. ولكن الظاهر أن المقصود من باهتوهم يعني اضطغوا عليهم وواجهوهم بما يسقط حجتهم))^(١٨٨).

(١٨٦) ج ٤، ص ٥٣٣.

(١٨٧) البقرة: ٢٥٨.

(١٨٨) ج ٧، ص ٥٧٩.

وقد سئل أيضا: ((يمر أحد الأصدقاء بحالة انحراف، ولا أدري كيف أتعامل مع هذه الحالة، علما أنه يكن لي محبة واحتراما)).

فأجاب: ((حاول أن تستفيد من محبته واحترامه، وأن تدرس أساس هذا الانحراف، وأن تعالجه كما يعالج الطبيب المريض، وإذا كنت لا تستطيع فحاول أن تستعين بغيرك في هذا المجال))^(١٨٩).

وفي نفس السياق سئل: ((ما هو الواجب علي اتجاه صديق انحرف وقد نصحته عدة مرات)).

فقال سماحته: ((حاول أن تواصل نصحه ما أمكنك ذلك))^(١٩٠).

وقد طرح على سماحته سؤال عن أوجه الستر التي يستطيع بها المؤمن أن يستر أخاه المؤمن، فقال: ((المقصود بالستر هو ستر عيوبه الخفية، أما العيوب التي لها تأثير سلبي على واقع الحياة الاجتماعية فيجوز التحدث عنها من باب النصيحة للمؤمنين))^(١٩١).

وحول الأصالة الإسلامية في مواجهة الانحراف سئل أيضا: ((هل هو الأسلوب نفسه في مواجهة الانحراف عند المسلم كما هو الانحراف عند الكافر، أم أن المسألة تختلف بين الاثنين)).

فقال مجيبا: ((إن الإسلام يعالج الانحراف لدى المسلم والكافر بروحية واحدة وهي الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، والدفع بالتي هي أحسن، والقول بالتي هي أحسن، لأن هذا هو الأسلوب الذي يمكن للإنسان أن يربح فيه الإنسان قلبه.. اربح قلب الإنسان يفتح لك الطريق إلى عقله.

لكن هناك فرقا بين الانحراف عند المسلم وعند الكافر في المفردات التي تحدث بها المسلم، لأنه مادام مسلما فهو يلتزم كتاب الله وسنة رسوله، وعندما ينحرف عنهما فانك تحاول أن تقومه وترجعه إلى كتاب الله وسنة نبيه على

(١٨٩) ج٧. ص ٥٩٩.

(١٩٠) ج٨. ص ٥٨٦.

(١٩١) ج٦. ص ٥٨٤-٥٨٥.

اعتبار أنهما الحجة عليه.

أما الكافر فلا بد لك أن تتخذ أسلوباً آخر في المفردات التي تقدمها له عندما تحدثه عن الإيمان من خلال العقل والوسائل التي يمكن أن يقتنع بها^(١٩٢).

ولقد سئل عن طرق المحافظة على العفة: ((قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١٩٣). ما هي الطرق التي توصون بها الشباب والشابات من المسلمين لاتباعها للمحافظة على العفة وسط المغريات التي تدفع الشاب أن يعيش كما تقولون في حالة طوارئ؟)) فقال مجيباً: ((أولاً: يجب أن يربّي الإنسان نفسه على الصبر وعلى الحرمان، فقد يحرم الإنسان من أشياء كثيرة، مثلاً قد يحرم من الطعام الذي يغذيه أو من الشراب الذي يروي ظمأه، كما يحرم من موقع هنا أو من موقع هناك أو من إشباع الغريزة الجنسية. ودور الصبر هنا هو أنه يثبت الشخصية على المبادئ وحالة التماسك، فلا يصزعك الإحساس بالجوع أو الحرمان أو المشاكل التي تحيط بك، وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن الصبر ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١٩٤)، فالصبر لا يمثل حالة من الضعف بل حالة قوة، فبالصبر تسيطر على مشاعرك وأحاسيسك، فتكون أنت سيد جسدك، ولا يكون جسدك السيد الذي يحكم حياتك.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(١٩٥)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوفَّىٰ

(١٩٢) ج ٥. ص ٥٨٩-٥٩٠.

(١٩٣) النور: ٣٣.

(١٩٤) لقمان: ١٧.

(١٩٥) آل عمران: ١٨٦.

الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(١٩٦)، فلو قيل لأحد الشباب إنك إذا قدرت على الأخذ بأسباب العفة فإنه سيمنح لك صكاً مفتوحاً، فهل من أحد يرفض ذلك؟ فكيف لو كان المانع هو الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٩٧).

وثانياً: يجب أن يدرس الإنسان المسألة من خلال الأرباح والخسائر. يقول الإمام علي عليه السلام: ((إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا خير في جسد لا رأس معه، لا خير في إيمان لا صبر معه)). ثم يحاول أن يبتعد عن المؤثرات وعن مواطن السوء في كل ما يثير في نفسه الإثارة، من الموسيقى المثيرة أو الأحاديث المثيرة وغير ذلك. ثم إن هناك وسائل شرعها الإسلام ولم يأخذ بها الناس، فالمتعة شرعت في الإسلام، ولكن إخواننا من أهل السنة ذهبوا إلى تحريمها، بينما الشيعة ذهبوا إلى تحليل المتعة من خلال ما ورد عن الأئمة عليهم السلام، كما روي عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((لولا ما نهى عنه عمر من أمر المتعة ما زنى إلا شقي))، وهذا هو النظام المسمى بالزواج المؤقت، وهو يعتبر مكملًا للزواج الدائم، ولكن الزواج المؤقت لا يكفل الاستقرار الأسري للرجل والمرأة، ولذلك أصبح غير مرغوب به، أو ربما أصبح مرفوضاً، خصوصاً بلحاظ الذين يمارسونه ممارسة فوضوية، فلا يحفظون كرامة المرأة في ذلك الزواج المؤقت. لذلك كان من المفروض أن يغني الزواج المؤقت الحياة الإنسانية وبما يضمن الحقوق الزوجية، ولكن المجتمع المسلم قد حرم من ذلك التشريع، فأدى إلى كثير من الانحرافات. وهناك نقطة أصبحت تثقل قضية الزواج في المجتمع، وهي مشكلة المهر الذي أصبح قيمة بحد ذاته، حيث يطلب في الزواج كمهر مئات الألوف بحجة ضمان مستقبل البنت. ولذا فقد أصبحت مسألة الزواج الدائم

(١٩٦) الزمر: ١٠.

(١٩٧) البقرة: ٢٦١.

مثل عملية البيع والشراء، ما يؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج، بينما يقول الرسول ﷺ: ((إن جاءكم من ترضون دينه فوزجوه)). وقد ورد ((شؤم المرأة غلاء مهرها))، فالمرأة ليست سلعة تباع وتشترى. وإزاء الأزمات الاقتصادية الخانقة، فمتى يستطيع الشباب توفير متطلبات الزواج، من الشقة المؤثثة وغيرها؟ وعلى المجتمع التعاون لتوفير سبل الزواج للشباب. فمثلاً الطالب والطالبة يمكن أن يتزوجا ويسكنا في منزل متواضع، وفي حالة الخوف من حدوث الإنجاب، فهناك وسائل لمنع الحمل مؤقتاً، وإلا فكما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(١٩٨).

وقد جاءت إحداهن للرسول ﷺ طالبة الزواج (وقارنوا ذلك مع البنت التي تأتي - اليوم - لأبيها طالبة الزواج ألا يقول عنها الناس إنها بلا حياء؟ فما الفرق بين طلب الزواج للرجل أو المرأة وكلاهما لديه غريزة؟) وكان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه، فقال لأصحابه: من منكم يتزوجها؟ فأجاب أحدهم إنه يريد الزواج ولكنه لا يملك شيئاً، فقال له وهل معك شيء من القرآن؟ قال: نعم، فقال النبي ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن؟^(١٩٩).

ثامناً: المقاطعة الاجتماعية:

على خلفية الآلام والمآسي التي تسببها بعض العلاقات الاجتماعية المتوترة يدور سؤال مهم: هل السبيل إلى الخلاص من ذلك هو المقاطعة؟ هنا مجموعة أسئلة طرحت على سماحة السيد في ندوات مختلفة، فلننظر كيف أجاب عنها؟

١. مقاطعة الأبوين:

لقد طرح عليه السؤال التالي: ((هل يجوز للابن أو البنت مقاطعة أبويهما إذا كان غير راضيين عن تعاملهما، وما تقول في ابن يقاطع أمه ولا يكلمها؟)).

(١٩٨) الأنفال: ٧٣.

(١٩٩) ج ١١، ص ٦٨٩-٦٩٢.

فقال مجيباً: ((هذا من قطيعة الرحم وهو غير جائز))^(٢٠٠).

٢. مقاطعة الوالد المجرم:

ويقول سماحته عن ذاك الذي يعرف أن والده ارتكب جريمة تغضب الله تعالى وعن مقاطعته: ((لا تجوز مقاطعته إلا إذا كانت المقاطعة وسيلة يقينية أو شبه إطمئنانية أنه سوف يرتدع عن ذلك «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما»^(٢٠١)))^(٢٠٢).

٣. مقاطعة الأخ غير الملتزم:

وقد سئل عن مقاطعة الأخ لأخيه: ((لي أخ غير ملتزم حاولت معه كثيراً لكي يترك الأعمال السيئة، ولكنني لم أستطع، فقاطعته، فهل يعتبر ذلك قطعاً للرحم؟))

فقال: ((إذا كانت المقاطعة تفيد في تركه لهذه الأعمال السيئة فهي ليست قطيعة للرحم، وإنما تكون من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي قد يكون واجباً عليك، ولكن إذا لم تؤد المقاطعة إلى هذه النتيجة فعليك أن لا تقاطعه، وربما كانت مواصلتك له سبباً في هدايته ولو بعد حين، وعلى الإنسان أن لا ييأس من التجربة في مقام الهداية، فإذا فشلت اليوم فقد تنجح غداً أو بعد غد))^(٢٠٣).

٤. مقاطعة قاطع الرحم:

ولقد طرح السؤال التالي: ((لي ابن عم خطب ابنتي ولما لم تقبل به اعتبرني السبب في رفضها فقاطعني جراء ذلك، فما حكمه؟))^(٢٠٤). فقال مجيباً: ((هو قاطع للرحم، وعليه أن يفهم أن رفضها يمنع الأب من

(٢٠٠) ج ٦ ص ٦١٥.

(٢٠١) العنكبوت: ٨.

(٢٠٢) ج ٣ ص ٥٢٥.

(٢٠٣) ج ٣ ص ٥٢٦.

الموافقة على زواجها منه فلا ذنب من جهة الأب تجاهه، فلا يجوز للأب أن يجبر ابنته أو ولده على أن يتزوجا من لا يريدانه))^(٢٠٤).

وسئل أيضا عن أولي الأرحام الذين تحرم قطيعتهم فقال: ((هم أقرباء الإنسان الذي يلتقي نسبه بنسبهم ولكن بشكل ليس بعيدا جدا، فلا يصح أن تقول عن بعض العشائر مثل (بني تميم) التي هي من أكبر العشائر الموجودة في العالم أنهم أقرباؤك أو ذوو رحمك كما لو كانوا أعمامك أو أجدادك، وحسب العرف العام فالناس الذين يحيطون بك هم من أرحامك، أما إذا كانوا ينحدرون من عشرين ظهر فلا يقال عنهم ارحام، نعم يقال عنهم عائلة كبيرة))^(٢٠٥).

٥. مقاطعة المرأة المذنبية:

وحول مقاطعة المرأة المذنبية سئل: ((إذا أذنبت المرأة فهل يجوز أن يكون العقاب مقاطعتها مقاطعة تامة مع السماح لها بالبقاء في نفس البيت، والله يقول ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾^(٢٠٦))).

فرد قائلا: ((إذا كانت المقاطعة من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتجوز مع عدم الإخلال بحقوقها في النفقة والعلاقة الزوجية الخاصة وما إلى ذلك))^(٢٠٧).

٦. مقاطعة غير الصالحين:

وقد سئل ذات مرة: لو اتخذنا أصدقاء صالحين وتركنا العاصين فمن الذي يرشد العاصين؟ يقول: ((لم نقل بمقاطعتك العاصين، ويمكن أن نصاحب العاصين على أن نكون أقوى منهم، بحيث نرشدهم ولا يضلوننا، وقد قال الشاعر:

صاحب أخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب
كالريح آخذة مما تمر به نتنا من النتن أو طيبا من الطيب

(٢٠٤) ج ٥ ص ٦١٠.

(٢٠٥) ج ٦ ص ٥٨٨.

(٢٠٦) البقرة: ٢٢٩.

(٢٠٧) ج ٦ ص ٦٢١.

فينبغي أن نصاحبهم إذا كنا نملك من القوة بحيث نستطيع فيها أن نرشدهم ولا نخضع لضلالهم، وقد يكون هذا من باب الواجب ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢٠٨).

٧. مقاطعة المنافق:

وسئل فيما إذا كان يجوز مقاطعة شخص منافق مع أنه مسلم وشيعي فقال: ((إذا كانت مقاطعته من باب النهي عن المنكر فيجب ذلك. وإلا إذا كانت هناك مصالح معينة فليس واجبا))^(٢٠٩).

٨. مجالسة من يمت القلب:

وقد سئل عن تفسير الحديث الذي يقول: ((ثلاثة مجالستهم تميم القلب: الجلوس مع الأنذال، والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء))^(٢١٠) فقال: ((هذا باعتبار أن الجلوس مع هؤلاء غالبا ما يقتضي الحديث عن الجوانب التي تثير غرائز الانسان وشهواته. والجلوس مع الأغنياء يعني في الغالب الحديث عن المال بحيث يجعل الانسان ينجذب إلى الدنيا ويشعر بالحاجة إلى ما في أيدي الناس، وإلى أن يكون مع هؤلاء مما قد لا يقدر عليه، ويتنكر لقضاء الله ورزقه سبحانه وتعالى، وما إلى ذلك. وربما كان الحديث مع النساء بلحاظ أنه يغلب عليه الحديث عن الجوانب التي تتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة في شؤونها الغريزية، وما إلى ذلك. والجلوس مع الأنذال يقود إلى الحديث عن ذلالتهم مما يميم القلب. فلا بد للانسان أن يجلس مع من يفتح قلبه على الله، وعلى مسؤولياته في الحياة، ذلك أن في قبال هذه المجالس التي تميم القلب ثمة مجالس تحييه وتبعث فيه النشاط في العبادة والعمل. وهي المجالس التي يذكر فيها الله عز وجل)).

(٢٠٨) ج ١٠ ص ٦٦٠.

(٢٠٩) ج ٩ ص ٦٥٧.

(٢١٠) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٠٦.

٩. صلة من لا يصلي:

ويسئل سماحته عن صلة من لا يصلي، فيقول: ((نعم، تصله من أجل أن تهديه إلى سواء السبيل، إلا إذا كانت قطيعتك له تجعله يرتدع عن المنكر فيجب عليك أن تقطعه))^(٢١١).

وقال بعضهم: ((لي بعض الأقارب لا يصلون ويصرون على عدم الصلاة، فما حكم الأكل معهم وما حكمي إذا صافحت تارك الصلاة ويده رطبة؟)).

فيقول سماحته: ((ترك الصلاة إذا لم تكن عن عناد لا توجب النجاسة عند من يقول بنجاسة الكافر، وأما إذا كان عن عناد وعن رفض للصلاة بمعنى رفض لوجوب الصلاة من قبيل إنكار الضروري أو الاستخفاف بالصلاة أو الاستهزاء بها فعندئذ يكون حكمه حكم الكافر، وأما قضية أن تأكل معه فهذه مسألة من حيث المبدأ لا بد أن تقاطع من قاطع الله سبحانه وتعالى ولكن إذا كانت لك ظروف معينة ضاغطة فالله يقول ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾^(٢١٢))).^(٢١٣).

وقد سئل عن حديث رسول الله ﷺ الذي يقول: ((لا تسلموا على تارك الصلاة)) فقال: ((إن المقصود من هذا هو إعلان الرفض والمقاطعة لتارك الصلاة بسبب معصيته، باعتبار أن السلام يمثل المسألة والمحبة وما إلى ذلك، ولا بد أن تنكر على المسلم التارك للصلاة عصيانه من باب إنكار المنكر، أما إذا كانت هناك بعض المصالح، أو أن السلام عليه ربما يجذبه، يمكننا من أن نريح قلبه وصادقته ونستعمل ذلك لهدايته، فعند ذلك تكون المسألة عكسية))^(٢١٤).

تاسعا: التربية الروحية:

وننتقل الآن إلى الأساليب التربوية التي يمكن بواسطتها معالجة الكثير من

(٢١١) ج ٣، ص ٥٣١.

(٢١٢) الحج: ٧٨.

(٢١٣) ج ٣، ص ٥٣٤.

(٢١٤) ج ٦، ص ٥٩٦.

الظواهر الانحرافية أو أساليب التعامل الخاطئة التي مرت معنا . وهي، كما أكدنا في البداية، ليست جامعة وإنما وردت كإجابات على أسئلة معينة بهذا الخصوص . فلقد سئل سماحة السيد عن سبل وكيفية الانفتاح على الله، فقال: ((أن ينفتح الإنسان على ربه بأن يتأمل في عظمة الله، وأن يتأمل في نعم الله عليه، وأن يناجي الله، وأن يشكو إلى الله همه، ويخفف كل أسراره، وأن يعيش مع الله في كل حياته، وأن يقرأ القرآن بتمعن وتدبر، وأن يدعو الله بالأدعية الماثورة، وأن يحاسب نفسه، فإن ذلك هو من أفضل الوسائل، لذلك فإن القرآن الكريم وأدعية النبي ﷺ والأئمة ﷺ هي خير ما يربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى))^(٢١٥).

وقد سئل سماحته عن كيفية ممارسة حالة الحب مع الله تعالى، فقال سماحته: ((القرآن يعلمنا ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢١٦). فأن نحب الله تبارك وتعالى هو أن نتبع نبيه ﷺ في كل ما جاء به عن الله، لأن حب الله ليس كمثله بعض الصوفيين الذين يهزون رؤوسهم تعبيراً عن حالة الانتشاء بالحب، فأن تحب الله يقتضي أن تطيعه في مواقع طاعته، والا فأنت كما يقول ذلك الشاعر، وربما ينسب هذا إلى الإمام زين العابدين ﷺ:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع))

ثم سئل: ((وهل يخدم الحب البشري قضية الحب مع الله؟)).

فقال مجيباً: ((إن الإنسان الذي يعيش الحب الطاهر في نفسه سوف يلتقي بحب الله من قريب أو بعيد. فأنت تحب الجميل والله هو الذي خلق الجمال، وهو جمال كله، وأنت تحب العالم لعلمه، والله تعالى يقول ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^(٢١٧). وأنت تحب القوي والله سبحانه وتعالى

(٢١٥) ج ١، ص ٦٣٣.

(٢١٦) آل عمران: ١٣١.

(٢١٧) الأنعام: ٥٩.

يقول ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٢١٨). وهكذا فالإنسان إذا كان يعي حبه البشري للناس، فإن هذا الحب ليس للذات بل إنما هو للصفات الموجودة في الذات. فالإنسان يحب الأشخاص من أجل هذه الصفات، وهي لمن يوازن بينها يرى أنها من الله. ثم إن الإنسان عندما يوازن بين صفات الله وبين صفات المخلوقين، فأية صفة تبعث على الحب بين المخلوقين، لا يجد الإنسان معناها في المطلق من محبته لله تعالى^(٢١٩).

وطرح عليه السؤال التالي: ((يتحدث الشهيد السعيد الصدر رحمته الله عن أوضاع طالب العلم في الحوزة العلمية ومسيرته فيها وعن أسباب عدم نهوضه بمسؤوليته الرسالية فيذكر من بين العلل في كتاب (المحنة) عدم وجود الارتباط التفصيلي بالله في حياته، فما الذي يعنيه بالارتباط التفصيلي بالله))؟
فقال سماحته موضحاً: ((المقصود هو أن يعرف عظمة الله سبحانه وتعالى ومقام ربه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢٢٠) وأن يتعرف مواقع عظمة ربه ومواقع نعمه ليخشع أمام ربه، وعند ذلك يعرف قيمة المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى.

فالسيد الشهيد رحمته الله يريد أن يقول نحن نعرف الله بطريقة رسمية إجمالية ولكننا لا نعيش الشعور برقابة الله ولا نعيش الشعور بمحبته ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢٢١) وقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾^(٢٢٢) فالمعرفة التفصيلية تعني أن يشعر الإنسان بأن حياته

(٢١٨) الأنعام: ١٨.

(٢١٩) ج ٧، ص ٥٩٣-٥٩٤.

(٢٢٠) التازعات: ٤٠.

(٢٢١) آل عمران: ٣١.

(٢٢٢) البقرة: ١٦٥.

كلها مرتبطة بالله سبحانه وتعالى في تفاصيل حياته كلها وفي مواقع عظمتها كلها، علما أن بعض الآيات تركز هذا المعنى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾^(٢٢٣) وما أشبه ذلك^(٢٢٤).

وسئل عن كيفية معالجة ضعف العلاقة مع الله: ((تراكمت علي النوائب فأصبت بوهن في العلاقة مع ربي، فكيف التخلص من ذلك، لا سيما أن النوائب تزداد حدة؟))

فقال سماحته: ((على الإنسان كلما ابتلى أكثر أن يرجع إلى الله أكثر، وعليه أن يلجأ إلى من عنده الحل، وإلى من هو قادر على ذلك وهو الله عز وجل ﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد﴾^(٢٢٥))).^(٢٢٦)

وقد سئل عن نية القريبى إلى الله، كيف هي؟ ((أكثر الناس لا يدرسون كما يدرس طلبة الحوزة، وهم يقومون بأعمال كثيرة مثل زيارة المرضى ومساعدة الناس ولا يعرفون أن ذلك يحتاج إلى نية القرية، فهل هم مأجورون؟))

فأجاب: ((أساسا نية القريبى أمر طبيعى في الناس، فلماذا الإنسان يزور المريض، هل يأخذ منه مالا؟ لا، بل يحب الزيارة ويعرف أن الله يحب هذا العمل ولذلك فإن نية القرية هي نية مختزنة في كل فاعل خير، لأنك إذا سألته، فإنه يقول لك إنما أقوم بالعمل في سبيل الله، لذلك فإن القرية لا تحتاج إلى التكلف، ويكفي الإنسان أن يعمل الخير، لأنه يحب الخير، خصوصا إذا كان مؤمنا، وذلك ليحرر رضا الله عنه، فلا يحتاج إلى التكلف اللفظي في النطق بالنية، حتى في الصلاة والصوم والحج، لأن الإنسان يعرف أنه إما يقوم

(٢٢٣) الزمر: ٦٧.

(٢٢٤) ج ٦، ص ٥٧٨.

(٢٢٥) الزمر: ٣٦.

(٢٢٦) ج ٦، ص ٦٠٦.

بهذه الأعمال لأن الله أمره بها أو لأنها واجب، فإن النية هي عبارة عن الدافع نحو العمل))^(٢٢٧).

وقد سُئل عن علاج قساوة القلب، فقال: ((تنطلق قساوة القلب من حالة الاستغراق في الذات والابتعاد عن الإحساس بالآخرين والتفكير بالآخرين، لذلك على الإنسان أن يدرس أسباب هذه القساوة وهذا التحجر، وأن يعرف أن ذلك يعني مرضاً إنسانياً في شخصيته، وعليه أن يفكر بالآلام الآخرين وبمشاكلهم وبأوضاعهم مقارنة بآلامه ومشاكله وأوضاعه التي يجب على الناس أن يتفاعلوا معه فيها مما يجعله يتفاعل مع الآخرين فيما يعيشونه، فكلما فكرت بالناس أكثر كلما رقّ قلبك لهم أكثر وتفاعلت معهم أكثر. وكلما اختنقت في سجن ذاتك وعشت في داخل أنانيتك ابتعدت عن الإحساس بالآخرين، وهذه هي صفة الناس الذين يتصورون أن العالم اختصر في ذاتهم فلا يفكرون بالآخرين، وهكذا نجد قساوة القلب في التحجر الفكري الذي يتجمد فيه الإنسان فكرياً فلا ينفتح على الحق في حركته في الوعي، وفي انطلاقته في الروح ولا يبادر إلى الاستماع إلى الفكر الآخر في رسالة الأنبياء في وحي الله، وهذا ما قد نستوحيه من قوله تعالى ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾^(٢٢٨).

أما علاج هذا فهو أن يعيش الإنسان مسؤولية فكره ومصيره ومسؤوليته تجاه الناس من حوله ليبقى في حالة تفكير دائم وحوار مستمر))^(٢٢٩).

وسئل حول نفس الموضوع مرة أخرى: ((إذا قسى قلب الإنسان وماتت العاطفة في داخله فهو قد يفعل بعض الأشياء في سبيل الله ولكن دون عاطفة أو روح، فكيف السبيل إلى تليين القلب واث روح العاطفة في الفكر والعمل))؟

فقال ناصحاً: ((أن يستمر الإنسان في العمل، لأن العمل هو الذي يعطي الإنسان معناه وإن كان بطريقة خفية طويلة، فالعمل يحرك العاطفة ويلين

(٢٢٧) ج ٩، ص ٦٦٧-٦٦٨.

(٢٢٨) البقرة: ٧٤.

(٢٢٩) ج ٢، ص ٥٥٩.

القلب. كما أن التفكير في الله وفيما عند الله، فيما أراد الله للإنسان أن يعيشه، كل ذلك يلين القلوب ويجعلها تخشع لله سبحانه وتعالى. ومن الوسائل الأخرى: الذكر والقرآن والصلاة والدعاء والتأمل ومحاسبة النفس، ودراسة الجوانب الإيجابية في الإنسان الآخر، والانفتاح على المأساة، وعندما تتكامل هذه الأمور فإنها تستطيع أن تعيد للقلب ليوثته وللإنسان عاطفته (*) ((٢٣٠).

وقد سئل عن تأثير الحرام على الجانب الروحي، فقال موضحاً: ((هناك من يرى أن في الحرام خصوصياته التي تضعف الجانب الروحي لدى الإنسان، ولكن هذا لم يثبت تماماً. نعم إذا كانت فيه مفسدات مادية فمن الطبيعي أنها تترك آثارها، أما إذا كان الإنسان مخلصاً لله ومنفتحاً عليه ولكنه تناول الحرام جهلاً فإن مسألة الروح تتصل بالقلب وبالعقل أكثر من إتصالها بالجسد)) (٢٣١).

وقد سئل عن التخلص من الذنوب: ((أحاول كل جهدي عدم الوقوع في الذنوب وارتكاب المعاصي، ولكن كيف يصل الإنسان إلى التخلص من الذنوب والمعاصي؟ وهل يستطيع أن يصل إلى مرحلة الابتعاد عن الخطأ؟

فقال مجيباً: ((يقول تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٢٣٢) فإذا كان الإنسان واعياً لنفسه في أموره، وكان يدرس ما حوله ومن حوله وأخذ نفسه بالمحاسبة والمراقبة والمجاهدة بالأسلوب العلمي في إدارة نفسه، فإن الله يهديه بلطفه الرباني إلى ذلك، فيمكن أن يصل إلى هذه النتيجة)) (٢٣٣).

وطُرح على سماحته هذا السؤال: ((شابة جامعية ومثقفة اجتماعياً وواعية لكنها لا تصلي إلا بعد غسل وتغيير ملابسها عند كل فريضة لعقيدتها بنجاسة

(*) يقول الإمام علي عليه السلام وهو ينظر إلى حالات القلب وتقلباته ((للقلوب إقبال وإدبار فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقصروا بها على الفرائض)) وفي الحديث أيضاً: ((أن القلوب تمل كما تمل الأبدان فتخيروا لها طرائف الحكمة)) حتى لا تقع في الرتبة والسأم. (المعد).

(٢٣٠) ج ٦، ص ٥٩٠-٥٩١..

(٢٣١) ج ٣، ص ٥٤٠.

(٢٣٢) العنكبوت: ٦٩.

(٢٣٣) ج ٨، ص ٥٨١.

كل شيء، فما هو موقف الأهل نحوها؟

فقال سماحته: ((كيف يقال إنها مثقفة اجتماعيا وواعية وهي تعيش الوسوسة التي تمثل عبادة الشيطان وطاعته، إنها تقول بأن كل شيء نجس، والإسلام يقول كل شيء طاهر، فكيف يمكن أن تكون مؤمنة وهي تعمل ضد الخط الإسلامي في الحكم بظاهرة كل شيء يشك فيه، وضد حكمه بعدم خضوع الوسواسي للوسوسة))^(٢٣٤).

وطرح عليه السؤال التالي: ((هل يجب أن نخاف من الله تعالى أم من

الذنب ونار جهنم؟))

فقال في جوابه: ((نخاف من الذنوب، فالله لا يخوف إلا العصاة الذين لا يخافونه لأنه هو الرحمن الرحيم، ولقد قال الإمام علي عليه السلام في بعض وصاياه ((أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها أباط الإبل لكانت لذلك اهلا: لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه..)) فالخوف إنما هو من الذنب من خلال نتائجه))^(٢٣٥).

وقد سئل سماحته: ((ما حكم من يستعجل في صلاته لاسيما في ركوعه

وسجوده؟ وكيف يمكن لصلاته أن تحقق النتائج المطلوبة منها؟))

فقال مجيبا: ((عن أبي جعفر عليه السلام قال ((دخل رجل مسجدا فيه رسول

الله ﷺ فخفف سجوده دون ما ينبغي، ودون ما يكون من السجود، فقال رسول

الله ﷺ: نقر كنقر الغراب، لو مات على هذا مات على غير دين محمد)) كما إن

عليه أن يفهم بأن الصلاة ليست مجرد عملية رياضية تنطلق من خلال حركة

الإنسان، ولكنها مدرسة تنهى عن الفحشاء والمنكر، من خلال حركة الإنسان، وهي

معراج روح المؤمن إلى الله، والعمل الذي يتطهر فيه الإنسان ويحصل على

الصفاء الروحي بين يدي الله.. وقد ورد في الحديث ((أنه من لم تنهه صلاته عن

الضحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً))^(٢٣٦).

وسئل عن الإدبار عن الصلاة: ((إنني في حالة إدبار عن الصلاة بشكل غريب وأقنع نفسي بأعذار واهية، فما هي الوسيلة أو الطريقة للتخلص من هذا الإدبار، علماً أن قلبي ينبض بحب الله ورسوله وآله ﷺ))؟

فقال سماحته: ((زد نبضات قلبك بحب الله ورسوله، وفكر بالله وبِعِظْمَتِهِ وَبِنِعْمَتِهِ، وفكر بالله وباليوم الآخر، وفكر إن الصلاة هي دليل محبتك لله، لأن دليل المحبة هو الشكر، وكما يروى عن النبي ﷺ أنه قيل له: لم ترهق نفسك بالصلاة وقد ضمن الله لك الجنة، قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ إن الصلاة هي تعبير عن الشكر لله وإذا كنا نحب الله فعلياً أن نأنس عند اللقاء بالله، تماماً كما يفعل المحبون الذين يأنسون بلقاء المحبوب بل ويعدون الساعات والدقائق حتى يحين موعد اللقاء، فإذا كنا نحب الله ورسوله وأهل بيته فعلياً أن نحب اللقاء به، والصلاة هي فرصة اللقاء بالله وهي ((معراج روح المؤمن إلى ربه)) و((الصلاة عمود الذين وأنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال وأول ما يسئل عنه العبد بعد المعرفة إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها))^(٢٣٧) وقد شبهها رسول الله ﷺ بعين ماء تكون على باب الإنسان فيغتسل منها خمس مرات في اليوم فهل يبقى على جسده شيء من الوسخ أو الدرن؟ والحسنات في الآية «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ»^(٢٣٨) تعني الصلوات، فكل صلاة تذهب سيئات ما قبلها، ومعنى ذلك أن الإنسان يبقى في حالة غفران دائم))^(٢٣٩).

وقد سئل عن قول الإمام علي عليه السلام ((إن للقلوب إقبالاً وإدباراً)) ((هل إقبال القلب وإدباره من صفاء القلب؟ وماذا إذا كان القلب في حالة إدبار؟))

(٢٣٦) ج ٢، ص ٥٧١.

(٢٣٧) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٤٦١، ب ٢٥٦.

(٢٣٨) هود: ١١٤.

(٢٣٩) ج ٢، ص ٥٦٦.

فقال موضحاً: ((المقصود بالإقبال التوجه، ففي بعض الأوقات يكون الإنسان مشغولاً أو متعباً فلا يتوجه قلبه للعبادة، ولذا قال ((فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض))^(٢٤٠) أي أن هذا كقول القائل: فخادع نفسك بالعبادة وخذ عضوها ونشاطها، بمعنى أن الإنسان يرى حالته النفسية وعليه أن ينمي الطاقة الروحية في نفسه مهما أمكن))^(٢٤١).
وقد سُئل عن تأخير صلاة الصبح: ((هل إذا صليت الصبح في التاسعة أو العاشرة صباحاً تصعد إلى السماء، أم أن الأبواب تغلق فتطوى الصلاة كما يطوى الثوب ويضرب بها وجه صاحبها))؟

فقال معقّباً: ((صاحب السؤال يصور الله سبحانه وتعالى كما لو أن (دوامه) ينتهي عند طلوع الشمس، في الوقت الذي ليس لله دوام لا في الليل ولا في النهار، فאלله يفتح أبواب رحمته أثناء الليل وأطراف النهار ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢٤٢). ولكن بعض الروايات تتحدث عن الإنسان الذي لم يصل الصبح على أنه تمرّد على صلاة الصبح في وقتها وآخرها من دون عذر، فلو أراد أن يقضيها فאלله لا يتقبل هذه الصلاة عقاباً له، هذا إذا كانت الرواية صحيحة. وعلى كل حال فإنها تسقط عنه إذا قضاها))^(٢٤٣).

ولقد طُرح عليه هذا السؤال: ((ما هي أهم الدوافع في نظر الإمام علي عليه السلام التي تدفع الإنسان المؤمن إلى الاستمرار في طريق العمل لدين الله وخدمة عباده))؟

فقال: ((أهم الدوافع التي تشجع على مواصلة العمل هي مراقبة الله وإحساس الإنسان بمسؤوليته أمام الله فيما كلفه سبحانه وتعالى من ذلك))^(٢٤٤).

(٢٤٠) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٣٤، ب ٣٢، ح ٧٨.

(٢٤١) ج ٩، ص ٦٥٩.

(٢٤٢) الأعراف: ١٥٦.

(٢٤٣) ج ٧، ص ٥٧٦.

(٢٤٤) ج ٦، ص ٥٧٧.

وسُئِلَ: ((في نهج البلاغة) من كلام لعلي عليه السلام ((الحلم غطاء ساتر والعقل حلم قاطع فاستر خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك)). والسؤال إنما في أكثر الأحيان نلاحظ أن هوى النفس والشهوات هي التي تتغلب على العقل، فكيف يمكن لنا أن نجعل العقل يتغلب على تلك الشهوات؟))

فقال: ((أتعرفون لماذا تتغلب الشهوات على العقل؟ لأننا نعطي العقل إجازة، في حين يمكنك أن تعطى إجازة لكل شيء إلا العقل، فلماذا مثلاً حرم الله الخمر؟ لأنه يريدك أن تكون مسؤولاً في جميع فصول وتفاصيل حياتك في حين أنك عندما تشرب الخمر يذهب عقلك، لذلك كان ذلك سبباً مهماً من أسباب تحريمه. فالمشكلة هي أننا لا نربّي عقولنا بل نربّي شهواتنا وغرائزنا ولا ندرس الأشياء التي تملأ عقولنا بالحقيقة ونوجهها نحو الحق ونربّيها على الصلابة والقوة والانفتاح. كما نربّي أنفسنا على سعة الصدر الذي يغطي نقاط الضعف في شخصياتنا))^(٢٤٥).

ولقد سُئِلَ أيضاً: ((إن النفس لأمارة بالسوء))، فنفسى بعض الأحيان تجبرني على فعل بعض السيئات والمعاصي، فماذا أصنع؟)).

فقال: ((إن نفسك لا تجبرك على ذلك، لأنك تملك العقل والإرادة التي تستطيع من خلالها أن تضبط نفسك حتى تكون ممن رحمه الله بإرادته واختياره))^(٢٤٦).

وسُئِلَ عن النورانية وشرح الصدر: ((إننا كثيراً ما نقرأ في القرآن الكريم عن الحياة النورانية ونشرح الصدر وأمثال هذه المعاني التي يفترض أن يعيشها الإنسان المسلم، لكننا قلماً نتلمس ذلك في قلوبنا، فهلا ذكرتم لنا خطوات واقعية وعملية تحوّل المسلم السطحي إلى مسلم نوراني؟))

(٢٤٥) ج ٦، ص ٦١٢.

(٢٤٦) ج ٧، ص ٥٨٣.

فقال: ((إذا أراد الإنسان أن يعيش هذه النورانية الروحية فعليه أن يجلس ليفهم نفسه وليحاسبها ويصفّيها من نقاط ضعفها التي تحجب نور الحقيقة عنه. وعليه أن يعيش مع ربّه في صفاء روحي، وانقطاع في المناجاة، وصدق في الوعي، وأن يشغل الإنسان نفسه بنفسه وبالتفكير بأفاق ربّه، وأن يعمل على تنقية نفسه من شوائبها، فقد يدرك الكثير من ذلك في النتائج الإيجابية المترتبة على عمليات الترويض والتزكية)).

وسُئِلَ ((حين يدرس الإنسان مسألة كيف يكون مؤمناً يحس دائماً بالتقصير المزمّن، وقد يدفعه ذلك للشعور بالإحباط، فماذا يفعل؟)) فقال مجيباً: ((لا تخرج نفسك من حدّ التقصير لأنك إذا شعرت بالتقصير بالشكل الإيجابي فإنك تحاول أن تعمل أكثر، وليس التقصير هو أن لا قدرة لي، بل يعني أن لديّ طاقة أكثر وإمكانات أكثر فعلي أن أعمل أكثر)).^(٢٤٧)

وقد سئل أيضاً: ((هناك بعض البرامج التلفزيونية التي تنسي ذكر الله وتلهي الإنسان، فهل يجوز متابعتها؟))

فقال: ((إن كلّ ما يلهي عن ذكر الله ويصدّ عن سبيله فعلى الإنسان أن يجتنبه)).^(٢٤٨)

وسُئِلَ عن دور الدعاء في البناء الأخلاقي والروحي للمسلم، وأيهما أفضل: قراءة القرآن أو الدعاء؟ فقال: ((الدعاء فيه جانبان: جانب تتحدث فيه مع الله وتبتهل فيه إليه وتشهده على إخلاص العبودية له، ما يجعلك تتقرب إلى الله وتعيش في قربه، وتشعر مع ذلك بحاجتك إلى الله من خلال فقرك المطلق أمامه. وأمّا الجانب الثاني فإن معاني الأدعية، وخصوصاً الأدعية القرآنية وأدعية النبي ﷺ وأدعية الأنبياء وأدعية الأئمة، فإنها تشكل مدرسة ثقافية واجتماعية وأخلاقية وسياسية ونفسية. وعلينا عندما نقرأ الدعاء أن نشعر بأننا ندخل

(٢٤٧) ج ٧، ص ٥٨٧.

(٢٤٨) ج ٧، ص ٦٠٠.

مدرسة الدعاء، فمثلاً إن الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن موسى ﷺ أثناء هربه من فرعون وهو يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٢٤٩) يعني يريد أن يقول إنني يا رب لازلت أعيش الفقر في غناك، والإنسان عندما يظهر فقره وحاجته إلى الله وقت الشدة، فكأنما يستمد من الله الغنى والقوة. وعندما التقى مع شعيب ﷺ دعا ربه دعاءً سياسياً، ولا بد لكل السياسيين أن يتمعنوا في هذا الدعاء ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(٢٥٠)، بمعنى يا رب إنك أنعمت عليّ وأعطيتني الراحة والطمأنينة والاستقرار وسأشكرك على نعمك هذه بطريقة أخرى، وهي أنني لن أكون ناصراً لأي مجرم من خلال ظلمه للإنسان، لأن الإنسان يجب أن يعطي عهداً لله بالشكر على نعمه بطريقة الوقوف أمام كل الظالمين والمجرمين.

وهناك دعاء للإمام زين العابدين ﷺ يقرأ في ليلة (عرفة) والجمعة، وربما هو موجود في دعاء يوم الأضحى في (الصحيفة السجادية)، يقول فيه: ((وقد علمت أن ليس في حكمك ظلم ولا في نعمتك عجلة وإنما يعجل من يخاف الفوت))، بمعنى أن الذي يستعجل إنما يستعجل لأنه يفوته هذا أو ذاك. فيحاول اللحاق به ((ويحتاج إلى الظلم الضعيف)) لأن القوي لا يظلم، والظالم عندما يظلمك فإنما يخاف منك، لأنه يعيش ضعفاً أمامك، فيحاول أن يظلمك حتى يتفادى ما لديك من قوة، وهذه هي فكرة أساسية نستنبطها من خلال هذه الأدعية التي تركز هذه المفاهيم، وهي تشير إلى الظواهر الاجتماعية والسياسية فضلاً عن الأطر العقيدية والمعرفة الإلهية.

وكلمات الأئمة ﷺ تشكل حلقات متكاملة مع بعضها البعض، فالإمام الباقر ﷺ هو تلميذ أبيه الإمام زين العابدين ﷺ، وهو يتحدث عن الناس الذين يستعرضون عضلاتهم وينتفخون ويمشون مشية الخيلاء، يقول الإمام ﷺ عنهم:

(٢٤٩) القصص: ٢٤.

(٢٥٠) القصص: ١٧.

((ما من امرئ يتيه . والته يعني الخيلاء . إلا لذلة يجدها في نفسه))، فمن يستكبر ويستعرض عضلاته ويتمايل ويتخايل أمام الناس، فذلك يمثل تغطية عقدة نقص لديه، فلا تتصوره قويا، فهو يغطي عقدة الضعف الموجودة فيه. لذلك نقول لكم إذا أردتم أن تفهموا أهل البيت ﷺ فعليكم أن تفهموا تراثهم وتدرسوهم جيدا.. وليس بالدمعة وإن كانت حالة إنسانية طبيعية، لأنهم ليسوا دمعة فقط، فهم بسمه الضرح في ثغر الرسالة، فعلينا أن ندرسهم في علومهم وأحاديثهم ومواقفهم، وكما يقول الإمام ﷺ: ((حدثوا الناس بمحاسن كلامنا))، فالدعاء مدرسة روحية وعقلية ثقافية واجتماعية وسياسية في بعض الحالات. فعلينا أن نعيش الدعاء بوعي ككتاب نقرأه من أوله إلى آخره، فبالدعاء نشعر كأننا نخاطب الله. ولذا قلت لكثير من الناس عندما تحس بالتعب والانكسار تكلم بذلك مع الله بلا أية مشكلة ويدون رسميات، أن تعيش الدعاء مع الله في أي مكان، سواء في الحمام أو في السيارة أو في غيرهما. لأنك تدعو الله وهو القريب إليك، وهو سبحانه يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾^(٢٥١) فالله سبحانه حنون عطوف رحيم ولا حواجز بيننا وبينه.

وأما قصة الأفضل، هل هو قراءة القرآن أو الدعاء، فإن الأفضل أن نقرأ القرآن ونفهمه، وأن ندعو بدعاء القرآن وغيره، فالقرآن يعطينا روح الرسالة وفكرها ويعرفنا الله. ونقرأ الدعاء حتى نعيش مع الله. أما بالنسبة لترديد آية أو آيات معينة عدة مرات وما يسمى بالختومات، فإذا كانت الآية معبرة فلا مانع من تكرارها، على أن لا يكون التكرار مجرد لقلقة لسان، بل نفهمها ونعيش معناها في تكرارها على طريقة (هو المسك ما كررته يتزوع)).

عاشرا: التربية الأخلاقية:

وفي مجال التربية الأخلاقية طرحت العديد من الأسئلة التي تتناول مشاكل أخلاقية واقعية يعيشها الناس في هذا العصر ويعانون من آثارها وتبعاتها وأضرارها، وبقدر ما كانت تسمح به الإجابة عن مثل هذه الأسئلة كان سماحة السيد يضيء فكرة هنا ويعالج مشكلة هناك. وهذا بعض حصاد الندوة في جانب أسئلتها الأخلاقية.

١. الازدواجية:

فلقد سُئل سماحته عن إشكالية الازدواجية: ((ذكرتم بأن مناقضة القول للفاعل هي من الازدواجية، والازدواجية تعني النفاق في كل حالاتها أو في بعضها، وذكرتم كذلك خداع الناس، فكيف يمكن أن يخاطب الله المؤمنين في مثل هذه الحالات وهم على ما هم عليه من الازدواجية والنفاق))؟

فقال: ((المقصود بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم الذين التزموا الإيمان وانتموا إليه، وليس المقصود الذين قاموا بكل شروط الإيمان، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن إيمانكم يفرض عليكم ذلك، أي يا أيها الذين آمنوا إذا كنتم تحترمون إيمانكم وتخلصون له فلا تقولوا ما لا تفعلون))^(٢٥٢).

وسُئل عن معالجة الازدواجية: ((إن ازدواجية الأفعال والأقوال هي إحدى الأمراض الخطيرة التي يصاب بها الإنسان فكيف يمكن للإنسان المؤمن أن يعالج هذا المرض لديه))؟

فأجاب: ((يعالجه بدراسة الازدواجية، فإذا كانت بين قوله وبين فعله، فعليه أن يقرأ قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ^(٢٥٣) فإذا فكر المؤمن في أن هذه الازدواجية توجب المقت الكبير عند الله، وهو لا يتحمل أن يمسكه الله مقتاً عادياً، فكيف به إذا كان

المقت كبيرا، فإذا فكر بذلك فإنه سوف يقلع عن التناقض بين قوله وفعله.

وعليه أن يفكر بأن ازدواجية تنزل مقامه عند نفسه، لأنه يشعر أنه يعيش في الزيف فيحتقر نفسه لذلك، كما توجب احتقار الناس له))^(٢٥٤).

وسئل: ((بالنسبة للعامل الرسالي الذي انتهج الوعظ هل يجب أن يكون عاملا بما يقول، أم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء والعمل به شيء آخر))؟

فقال: ((من الطبيعي أن على الإنسان الذي يأمر بشيء أن يلتزم به، فمعنى أن يقول للناس إن هذا هو الذي يصلح أمركم وهو الذي ينقذكم، أن يكون أول مصدق به، وبالتالي أول عامل به. فإذا رآه الناس غير عامل بما قال فإنهم قد يشكون في صدقية ما قال ويقولون لو كان هذا صادقا في كلامه لعمل به، ولذلك فإن المسألة تتصل في نفس رسالة الوعظ. ونحن نعرف أن الله قد تحدث عن هذه الظاهرة بقوله «أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم»^(٢٥٥) وهكذا في قوله «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ❖ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»^(٢٥٦) ومن الطبيعي أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب حتى لو لم يعمل بهما الإنسان، لكن هذا لا يحقق نتائج طيبة ومؤثرة من خلال المساحة الفاصلة بين القول والفعل التي قد تجعل الناس يشكون في صدقية القائل وما قال))^(٢٥٧).

وثمة زوج يسأل عن ازدواجية زوجته: ((زوجتي امرأة صالحة ولكنها لا تصلي، وقد نصحتها مرارا ولم تستجب، فماذا أفعل))؟

فقال له سماحة السيد: ((من يقول إنها صالحة؟ فالشخص الذي لا يصلي شخص غير صالح لأن من يتمرّد على الله، ومن لا يشكر الله، ولا ينحني

(٢٥٤) ج ٥، ص ٥٨٧.

(٢٥٥) البقرة: ٤٤.

(٢٥٦) الصف: ٢-٣.

(٢٥٧) ج ٦، ص ٦٠٧.

لَّهِ، وَلَا يَطِيعُ اللَّهَ فِيمَا أَمَرَهُ إِنْسَانٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢٥٨). و﴿الصلاة عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها﴾^(٢٥٩) فعليك أن تحاول هدايتها ما أمكنك ذلك^(٢٦٠).

ويسأل شخص آخر عن صلاة من لم ينته عن الفحشاء: ((هل تصح صلاة المصلي الذي لم ينته عن الفحشاء والمنكر حسب منطق القرآن الذي يقول ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢٦١)؟

فيقول سماحته مجيباً: ((تصح جسداً ولا تصح روحاً لأن الله لا يقبل للإنسان من صلاته إلا ما أقبل عليه منها بقلبه، ولا يقبل الإنسان إلا إذا ارتفع في صلاته إلى مواقع التقوى، وقد ورد في الحديث ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً))^(٢٦٢))).^(٢٦٣)

وسئل أيضاً: ((هل الشخصية الازدواجية منحصرة فقط في المنافق أو تتعداه إلى غيره؟

فقال: ((تتمثل الشخصية الازدواجية في المنافق بقوله تعالى ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢٦٤) وهذا هو الفرق بين الظاهر وبين الباطن. وهناك أنواع من الشخصية الازدواجية فالإنسان قد يعيش في بعض الحالات قلق الشخصية بين حالته الفردية كإنسان وبين حالته العائلية أو حالته الاجتماعية بحيث يحاول دائماً أن يوفق بين الحالتين بطريقة معينة، وربما يتمثل هذا ببعض المواقف السياسية، وقد يلتقي بالنفاق العام ولكنه قد يختلف في بعض خصوصياته.

(٢٥٨) البينة: ٧.

(٢٥٩) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٩٤، ح ١، ج ٢٥٥.

(٢٦٠) ج ٩، ص ٦٥٢.

(٢٦١) العنكبوت: ٤٥.

(٢٦٢) بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ١٩٨، ب ١.

(٢٦٣) ج ٩، ص ٢٦٢.

(٢٦٤) البقرة: ١٤.

إن ازدواج الشخصية يعني بأن تعيش في حياتك على أساس أن هناك شيئاً يمكن أن يجرك إلى الموقع في موقف معين لا من خلال النفاق بل من خلال بعض ظروفك الاجتماعية وبعض ظروفك الاقتصادية، لذلك فإن الازدواجية الشخصية قد تتمثل في المواقف السياسية، وفي بعض المواقف الاجتماعية عندما تفرض بعض الظروف موقفين مختلفين^(٢٦٥).

وسئل عن الطريق إلى هداية الإزدواجي، فقال: ((عليه أن يجرب وأن لا ييأس ولو بطريقة جديدة وتغيير الأسلوب والأجواء، ويحاول الإستعانة بأشخاص يملكون تأثيراً عليهم من أجل أن يوفق إلى هدايتهم))^(٢٦٦).

٢. التوبة والاستغفار:

ولقد سئل عن توبة التائب وصلاته: ((شخص كان يرتكب بعض الكبائر ثم تاب إلى الله توبة نصوحاً، فهل يصح أن يكون إمام جماعة؟))^٩ فقال: ((طبعاً، فإذا قبل الله توبته وأصلح حاله فإنه ينتقل من الفسق إلى العدالة وعند ذلك يصبح عادلاً ويجوز الصلاة وراءه)).

ثم سئل عن رجل عليه حد ولكنه تاب لله تعالى، فهل التوبة كافية للغفران فقال: ((التوبة كافية للغفران لسقوط الحد عنه إذا تاب قبل أن يثبت عليه الحد عند الحاكم الشرعي)).

ثم سئل عن الأعمال والأفعال التي يقوم بها التائب عند حدوث الفاحشة ، فقال: ((أن يندم على ما فعل وأن يعزم على أن لا يفعل وأن تكون التوبة نصوحاً، وأن يبتعد عن الأجواء التي أوحى إليه بذلك، وأن يتذكر ذلك حتى يؤنب نفسه، وحتى يحول هذا الموضوع إلى ما يشبه العقدة التي تراقبه وتحاكمه في أي وقت يتفتح فيه على مثل هذا الجو))^(٢٦٧).

(٢٦٥) ج ٢، ص ٥٤٥-٥٤٦.

(٢٦٦) ج ٤، ص ٥٢٤.

(٢٦٧) ج ٦، ص ٦٢٣-٦٢٤.

وسئل عن توافر جميع شروط الندم والتوبة: ((إن للتوبة عدة شروط منها الندم، ولكنني أعاني من مشكلة أنه عندما أريد أن أتوب فإنني أستطيع أن أحقق جميع شروط التوبة إلا الندم))؟

فقال موضحاً: ((معنى أن تتوب هو أن تندم على ما فعلت، والتوبة هي أنك تشعر بأن العمل الذي عملته يوقعك في نتائج سلبية وأن الندم عليه حالة طبيعية، ولذلك فإن التوبة بدون ندم لا تصح، والندم هو أساس وليس شرطاً في معنى التوبة))^(٢٦٨).

وطرح عليه السؤال التالي: ((عندما يتوب الإنسان ثم يخطئ، فهل يقبل الله توبته))؟

فقال: ((يقول تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾)^(٢٦٩). ويقول ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي تجاوزوا الحد في ارتكاب المعصية ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢٧٠)))^(٢٧١).

وسئل عن مفهوم الاستغفار: ((يوجد بعض الإضطراب في فهم استغفار الأنبياء والأولياء ﷺ هل الاستغفار دعاء؟ أو عبادة؟ أم هو ذكر ويا للذكر تطمئن القلوب؟ وفي نفس السياق إذا أجرم المؤمن غير عامد، فما هو الوجه في استغضاره))؟

فقال مجيباً: ((يحاول بعض الناس أن يقول بأن الأنبياء أو الأولياء يستغفرون الله لا من ذنب ولكن عظمة الله في أنفسهم هي التي جعلتهم يتصورون أن مسؤوليتهم أن يجعلوا كل حياتهم لله، وإن لم يكونوا المسؤولين بالمعنى الشرعي لذلك، لكن كلاً منهم يشعر أنه لابد أن يذوب في الله، فكانه إذا

(٢٦٨) ج٧، ص٥٧٦.

(٢٦٩) الشورى: ٢٥.

(٢٧٠) الزمر: ٥٣.

(٢٧١) ج٩، ص٦٥٦.

انشغل في أوضاعه الخاصة فكأنما أذنّب، ولذلك يقال: ((حسنات الأبرار سيئات المقربين)) ولكن بإمكاننا أن نستوحي أن الاستغفار بالنسبة للأنبياء لا ينطلق من معناه فأصل الاستغفار هو مظهر الخضوع الإنساني الذي يعيش الانسحاق أمام الله والذوبان فيه، فأنت عندما تستغفر الله تقف مقام الخاضع الدليل الخاشع، أي أن الإيحاءات التي يوحى بها الاستغفار للمذنب يعيشها الأنبياء، أما ما يراد في بعض الأدعية التي تتحدث عن معاصي الإنسان واعترافه كما في دعاء (أبو حمزة الثمالي) ((أنا الذي أعطيت على معاصي الجليل الرشا، أنا الذي أمهلتنى فما ارعويت، وعملت بالمعاصي فتعديت واسقطتني من عينك فما باليت)) فهذه معاصي لا يقوم بها إلا مجرم، وحتى لو قلنا أن الأولياء غير معصومين لكنهم ليسوا بهذا الشكل من الجريمة. وحسب ما أفهم من هذه الأدعية فإن الداعي يجرد نفسه بحيث يبدو في شخصية الإنسان، فهناك نماذج من الناس تعطي الرشوة.. هناك أناس إذا بشرُوا بالمعصية هرعوا إليها، ولذلك فإنها تعني (أنا الإنسان) لا (أنا فلان) لأن ذلك ليس واقعياً من حيث الواقع العملي لشخص الإمام في الخارج، وليس منسجماً مع مكانة الإمام الذي صدر عنه الدعاء))^(٢٧٢).

ويسئل أحد الشباب: ((أحب الله ورسوله وأهل بيته ﷺ وأقيم الصلاة وأطيع الله في كثير من الأمور ولكن مشكلتي هي وقوعي في بعض المعاصي بغير إرادتي ولا استطيع التخلص منها، فنرجو منكم إرشادنا إلى سبيل الخلاص))؟

فيقول له: ((أنا أناقشك في كلمة (لا أستطيع) فلو عبرت وقلت من الصعب علي ذلك فهذا صحيح، ولكن الرجل الرجل هو الذي يقتحم الصعوبة، والرجل الرجل هو الذي يحرك إرادته أمام كل الأشياء التي يشعر أنها تسقط إنسانيته ومصيره، ولذلك فالحل هو أن تكون لك إرادة فيما تواجهه، وحاول أن تقوي معرفتك بالله وأن تزداد حبا له، وعندما تزداد معرفة بالله في مواقع عظمتة ونعمته، وعندما تزداد حبا لله في مواقع رحمته ولطفه عند ذلك تشعر بأن عليك

أن تقدم الحب لله بأن تحرك إرادتك ضد كل ما لا يحبه الله سبحانه وتعالى، فالإنسان إذا أحب الله فإنه لا يمكن أن يحب ما يكرهه الله))^(٢٧٣).

وسئل أيضا: ((ماذا تنصحون الشاب الذي يريد أن يترك معصية الله علما

أنه محبوب لدى أهل السوء والفحشاء))؟

فأجاب قائلا: ((عليه أن يقارن بين الله سبحانه وبين أصحابه من أهل السوء والفحشاء، ليتعرف عظمة الله وقوته، وأنه هو يحيي ويميت، وأنه الذي يملك له الضر والنفع، وأن الله هو الذي يرعاه، وهو الذي أعطاه كل نعمه وهو وحده الذي يملك حياته وموته ليدرك أن هؤلاء لا يمثلون شيئا ولكنهم يضرونه في ذلك.

فعندما يفكر بعظمة الله تعالى في خلقه ونعمة الله في حياته، ويفكر فيما يقبل عليه من اليوم الآخر، فعليه أن يقوي إرادته حتى يستطيع أن يسترجع إنسانيته في معنى وعيه وإرادته ليقف مع نفسه وقفة الإنسان الذي يريد أن ينقذ نفسه من معصية الله حتى يحصل على رضا الله سبحانه وتعالى))^(٢٧٤).

ولقد سئل عن عودة المذنب التائب إلى سابق صفائه الروحي: ((إذا تاب المذنب بعد وقوعه في المعصية، فهل يرجع كما كان تماما بنفس الصفاء الروحي والفكري، أم تلاحقه آثار الذنب في روحه وفكره، وعلى فرض الأمر الثاني ألا يعتبر ذلك حجابا للتائب عن كماله مما يشكل له حالة اليأس التي قد تدفعه إلى الوراء بدلا من السير إلى الأمام))؟

فقال سماحته: ((إن التوبة الصحيحة لا تنفصل في بدايتها عن الصفاء الروحي لأنها مؤلفة من عنصرين: الندم الحقيقي على ما مضى، والعزم على أن لا يفعل بعد ذلك. ومن الطبيعي فإن الإنسان الذي يعيش الندم في عقله وفي قلبه وفي روحه على المعصية ويركز إرادته في أن لا يفعل ذلك، وأن يهيئ كل

أجوائه هو إنسان يعيش الصفاء الروحي، لكن هذا الصفاء يحتاج إلى نوع من أنواع الرعاية والعناية والاهتمام والإحاطة، فالتائب مثل المريض في دور النقاهة يحتاج إلى رعاية خاصة حتى لا تصيبه الميكروبات من جديد فلا يقع تحت تأثير أية حالة من الحالات التي سببت المرض. إن الإنسان الخارج للتو من المعصية، الذي أسرف على نفسه يحتاج إلى أن يبتعد عن الأجواء التي كانت تشجعه على المعصية، الذي أسرف على نفسه يحتاج إلى أن يبتعد عن الأجواء التي كانت تشجعه على المعصية، وأن يمتنع عن الأفكار التي كانت تزين له المعصية.

أما أن يلاحقه الذنب دائماً ويبقى حاجزاً فهذا لا دليل عليه، ففي الحديث ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)) والله تعالى يقول ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾^(٢٧٥) وفي آية أخرى ﴿إن الله يحب التوابين﴾^(٢٧٦) ومن الطبيعي فإن الله لا يريد أن يثقلهم بأن يجعل من الذنب عقدة في داخل نفوسهم تمنعهم من الانفتاح على الطاعة بطريقة وبأخرى^(٢٧٧).

ولقد طرح على سماحته السؤال التالي: ((ليس بعد الكفر وترك الصلاة وإنكار وجود الله ذنب، هذه هي حالي في السابق، ولكن عقدة الذنب تلاحقني بعد التوبة، كما أعيش حالة عدم الثقة بالله، وضاع مني عنصر الخشوع فأصبحت الصلاة كبيرة علي، فكيف أعود لخط العبودية؟))

فأجاب بالقول: ((إنك عندما عشت هذه الحالة النفسية القاسية الصعبة، فإن الله قد غفر ذنبك وهو القائل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾^(٢٧٨). فالله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب بعد التوبة ((من تاب، تاب الله عليه)). ولكن

(٢٧٥) الشورى: ٢٥.

(٢٧٦) البقرة: ٢٢٢.

(٢٧٧) ج ٢. ص ٥٦٨-٥٦٩.

(٢٧٨) الزمر: ٥٣.

الشیطان عندما رآك قد آمنت وانفتحت على الله قعد لك في الطريق، كما قال في الكتاب الكريم ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۖ ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢٧٩). فإذا جاء الشيطان وقال لك لا تصل لأن صلاتك لا قيمة لها، قل له: إني أصلي رغماً عنك. وبالتدريج يمكنك أن تتأمل في صلاتك وعبادتك وفي نعم الله عليك وبأسرار عظمتة بحيث تمتلئ روحك بالإيمان وستعود خاشعاً مؤمناً بالله ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْتَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢٨٠) ((٢٨١)).

٣. الغيبة:

وسئل عن جواز غيبة الفاسق غير المتجاهر بفسقه، فقال: ((لا يجوز ذلك إلا إذا كان في غيبته إصلاح له، أو كان في غيبته مصلحة للناس، بحيث يمكن أن يعرف الناس الخطايا الموجودة عند هذا الرجل حتى يبتعدوا عنه أو حتى لا يقعوا في حباله))^(٢٨٢).

وطرح عليه السؤال التالي: ((ما رأيكم في حديث الإمام الصادق عليه السلام ((إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الله يغفر للزاني ولا يغفر لمن اغتاب حتى يغفر له صاحبه))^{٢٨٣} فهل أن هذا الحديث يخفف من الزنا مقابل الغيبة))؟ فقال سماحته: ((هو لا يسهل الزنا - لأنه من الكبائر - ولكنه يقوي الرفض للغيبة، ويقول تعالى في الزنا ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢٨٤) وإنما أراد أن يقول إذا كان الله سبحانه يغفر برحمته للزاني زناه فإن غفرانه له لا

(٢٧٩) الأعراف: ١٦-١٧.

(٢٨٠) يوسف: ٨٧.

(٢٨١) ج ٨، ص ٦٠٣.

(٢٨٢) ج ١، ص ٦٢٧.

(٢٨٣) بحار الأنوار، ج ٧٥، ب ٦٦، ص ٢٢٢، ح ١.

(٢٨٤) الإسراء: ٣٢.

غفرانه له لا يتوقف على شيء بينما الغفران للإنسان الذي يغتاب الناس يعد من حقوق الناس، فإله سبحانه وتعالى لا يغفر للمغتتاب غيبته حتى يغفرها صاحبها، وكلاهما ارتكب كبيرة، فالغيبة من الكبائر والزنا من الكبائر وإله سبحانه وتعالى قد يغفر لصاحب الكبيرة كبريته، ولكن من يغتاب الناس لا يغفر الله له غيبته إلا إذا غفر له صاحبها))^(٢٨٥).

وسئل أيضاً: ((لو اغتاب شخص مؤمن بحضرة مؤمن آخر، فهل يجوز له السكوت))؟

فقال: ((لا يجوز السكوت إذا كنت قادراً على أن ترد غيبته، وإذا كنت لم تستطع أن ترد فعليك أن تعبر عن عدم رضاك ولو أن تنسحب من المجلس. كما قال الله - في أمثال ذلك - ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزاً بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾^(٢٨٦)))^(٢٨٧).

وسئل: ((أحياناً نذكر بعض الأخلاق المنافية للإسلام عن بعض الجماعات وليس الغرض من ذلك التشهير بهم، فهل يدخل ذلك في نطاق الغيبة))؟

فقال: ((الغيبة هي أن تذكر أخاك بعيب مستور حتى لو لم يكن القصد التشهير باعتبار أن الحديث في مجلس أو سهرة يتسع نطاقه في الفرد إلى الآخرين فلا يجوز ذلك. نعم إذا كان الكلام في مقام النصيحة كمن يريد أن يزوجه ابنته إلى شخص فإنك تستطيع أن تخبره حتى إذا لم يستنصحك أو أن شخصاً أراد أن يشارك إنساناً وأنت تعرف أن هذا الذي يريد مشاركته غير أمين فلك أن تقول له في مقام النصيحة لا تشاركه))^(٢٨٨).

(٢٨٥) ج ٦، ص ٥٩٦.

(٢٨٦) النساء: ١٤٠.

(٢٨٧) ج ١، ص ٦٢٨.

(٢٨٨) ج ١، ص ٦٢٩.

وسُئِلَ عن كشف عيوب الصحابة مع أنهم مسلمون، وهل يعتبر ذلك من الغيبة، فقال: ((هذه العيوب التي تذكر في التاريخ ليست خفية، والكشف هو إذا كان الشيء مستوراً، فهنا يمكن القول هل أن هذه الروايات صحيحة أو غير صحيحة؟ وهل يقصد بها الانتقاص أم يراد بها إظهار الحجة فهذا لا يدخل في عنوان الغيبة وإنما يدخل في عناوين أخرى لابد من دراستها))^(٢٨٩).

وسُئِلَ عن عدم جواز سب الصحابة، فقال: ((نحن عندما نقرا كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان من ضمن الفريق الذي دخل في نزاع حول الخلافة نجد أنه كان يكره السب، وكان يقول لأصحابه)) (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به)) ونحن عندما ننطلق إلى أدب القرآن فإن القرآن يرفض سب حتى الذين يدعون من دون الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهَا﴾^(٢٩٠) فالسب لا يمثل أي حل لأي شيء، ولذلك نحن نعتقد أنه ليس الأسلوب المفضل للتعبير عما يُرى، ونحن نعتقد بأن علياً عليه السلام هو الأحق بالخلافة وأن الآخرين وقفوا في مواجهته في هذا، ولكن هذا شيء والتكلم بهذه الطريقة شيء آخر))^(٢٩١).

وسُئِلَ عن اغتيال الشيعة، فقال: ((إن الله خاطب المؤمنين عندما قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾^(٢٩٢) والمراد بالمؤمنين في القرآن المسلمون الذين يعتقدون بالإسلام، وهذا ما ذكره السيد الخوئي عليه السلام في أبحاثه الفقهية وهو أن كل آية وردت

(٢٨٩) ج ١، ص ٦٢٨.

(٢٩٠) الأنعام: ١٠٨.

(٢٩١) ج ١، ص ٦٢٩-٦٣٠.

(٢٩٢) الحجرات: ١٢.

في القرآن بعنوان المؤمن فالمراد بها المسلم الذي ينعقد الإيمان في قلبه))^(٢٩٣).

وطرح عليه سؤال بخصوص تعذر منع المغتاب: ((إذا سمع شخص أباه يغتاب ولا يستطيع أن ينهاه، فهل يتحمل الإثم معه))؟

فأجاب: ((لا يتحمل الإثم، وإذا كان قادرا على أن ينسحب إعلانا بأنه لا يرضى بذلك، فعليه أن يعبر عن احتجاجه بهذه الطريقة))^(٢٩٤).

وسئل عن جواز الاستماع إلى الخطيب الذي يستغيب، فقال: ((علينا أن لا نشجع من يكون ديدنه اغتياب المؤمنين وهتك حرمتهم، ولا سيما هتك حرمة العلماء، حيث ينبغي على الناس عندما يجدون خطيبا يتحدث في غيبة المؤمنين ويهتك حرمة العلماء المجاهدين أن يغادروا المجلس احتجاجا عليه حتى يعرف كيف يتوازن في ذلك، وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))^(٢٩٥).

وسئل عن غيبة الأب المتجاهر ببعض المنكرات: ((إذا كان أهل بيت الرجل يصفون أباهم بأنه بخيل وأناني وكذاب ومراء، وهو متجاهر بهذه الصفات وغيرها، فهل ذكره بهذه الصفات من وراء ظهره يعتبر غيبة))؟

فقال مجيبا: ((ما هي الغيبة إذا لم تكن هذه غيبة؟ فإذا كانت هذه العيوب مستورة لا يعرفها إلا أهل بيته فمن الطبيعي أنهم إذا ذكروها أمام الآخرين فإن هذا يعتبر غيبة، لأن ((الغيبة هي ذكر أخاك بعيب مستور)) فكيف إذا كان هذا الأخ أباً؟ نعم، إذا كان ذكره بهذه الصفات يردعه عنها، بمعنى أنك تذكره بها من أجل إصلاحه والضغط عليه لضغط اجتماعي لأجل أن يرتدع ولئلا تنتشر هذه الصفات بين الناس، ففي هذه الحال ليست هناك مشكلة))^(٢٩٦).

وسئل أيضا: ((على الرغم من تشديد الإسلام على حرمة الغيبة للمؤمنين وضرورة حسن الظن بهم، فإننا نجد أن واقعنا الإسلامي وبالأخص المشتغلين

(٢٩٣) ج ١. ص ٦٢٨.

(٢٩٤) ج ١. ص ٦٢٩.

(٢٩٥) ج ٦. ص ٥٩٨.

(٢٩٦) ج ٩. ص ٦٢٥.

بالعمل الديني والجهادي مبتلون بمرض الغيبة والتحليل لمواقف الآخرين على أساس سوء الظن والدوافع والنوايا، وكل ذلك بحجة ضرورة النقد، وضرورة أن لا يكون المؤمن ساذجاً وما أشبه ذلك))؟

فقال مجيباً: ((هذا من تسويلات الشيطان، فالشيطان يقول لك: هذه ليست غيبة، إنما هي نقد اجتماعي ونقد موضوعي، في حين أن النقد الموضوعي هو أن تأتي لنفس الشخص وتحديثه ((من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه))^(٢٩٧). والمشكلة هنا هي أننا أخذنا العلم وتركنا الأخلاق، وأخذنا الفقه والأصول وتركنا التقوى وبكلمة واحدة إن النقد الاجتماعي لا يبرر هتك حرمة الآخرين فله شروط شرعية موضوعية تخرجه من مفسدة الغيبة إلى مصلحة النصيحة أو الدفاع عن الظلم أو غير ذلك من المستثنيات الشرعية لحرمة الغيبة))^(٢٩٨).

وسُئِلَ عن قياس سوء الظن، كيف يكون؟ ((كيف نقيس سوء الظن أحياناً، خاصة وأن هناك علامات تشير إلى المتهم، فما هو الفاصل بين سوء الظن وبين السذاجة))؟

فقال سماحته: ((لا يعني حسن الظن أن تحكم بالخير المطلق، بل أن لا تحكم بالسوء. وفي الحديث ((إذا ظننت فلا تحقق)). فالمطلوب على مستوى النظرة للآخر هو تغليب احتمال الخير على الشر لا أن تحكم بالخير ولم يثبت لك الخير بعد. فعليك أن لا تسيء الظن بالآخر وعليك في الوقت نفسه أن تكون حذراً، والإمام علي عليه السلام يقول ((لا تثقن بأخيك كل الثقة فإن صرعة الاسترسال لا تستقال)). أي لا تثقن بشخص ١٠٠٪ أي ثقة عمياء، بل اترك مسافة أو خط رجعة بينك وبينه، كما في مثال المسافة بين سيارة وأخرى الذي ضربناه أكثر من مرة، فالمسافة المناسبة تحفظ لك وللآخر سلامتكما ((أحبب حبيبك هونا ما

(٢٩٧) بحار الأنوار، ج ٨، باب ٥١٢، ص ٢٤٢، ح ٩.

(٢٩٨) ج ٧، ص ٥٩٠.

عسى أن يكون بغيفضك يوماً ما، وابغض بغيفضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما))^(٢٩٩)((^(٣٠٠).

وسُئل عن الفرق بين الظنّ والاتهام: ((ظنّ السوء بالآخرين، قد يظهر إلى الخارج، كما لو نقل الشخص ظنّه إلى الآخرين وتكلّم به، فهل يصبح تهمة))؟
فأجاب بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ))^(٣٠١)، يعني أن لا تحكم بالظنّ ولا تتهم على أساس الظنّ))^(٣٠٢).

وطُرح عليه هذا السؤال: ((في العمل الإسلامي كثيراً ما يتعرّض العاملون لمناقشة بعض السلبيات، إذ يرون أن هناك مناهج أفضل للعمل الإسلامي، فهل هذا يعتبر غيبة وخاصة إذا كان فيه نقد لبعض العاملين))؟
فقال مجيباً: ((إذا كان النقد للفكرة فلا يكون هذا غيبة، فالغيبة إنما هي ذكرك أخاك بعيب مستور، ثم إنك إذا كنت تناقش فكر هذا الإنسان أو هذا الخط نقاشاً موضوعياً، فهذا ليس عيباً إذ ما أكثر ما تناقش آراء العلماء الفكرية والفقهية وغيرها))^(٣٠٣).

وسُئل عن ظاهرة متفشية في محلات بعض الباعة: ((عندي محل للبيع ويأتيني زوّار مؤمنون يتحدثون عن الدين، ولكنهم يسبّبون لي إحراجاً بالتكلّم عن بعض الناس في غيابهم، فهل يجوز إخراجهم من محلي))؟
فقال له مجيباً: ((قل لهم إنني لا أقبل أن تأتوا إلى محلي وتغتابون الناس، وقل لهم إنك لا ترخص في ذلك))^(٣٠٤).

(٢٩٩) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٦، ب ٣١، ص ١١٠، البيان.

(٣٠٠) ج ٨، ص ٥٨٣.

(٣٠١) الحجرات: ١٢.

(٣٠٢) ج ٩، ص ٦٦٠.

(٣٠٣) ج ٨، ص ٥٩٩.

(٣٠٤) ج ٧، ص ٥٩١.

وسئل عن السكوت على الغيبة: ((لي صديق يستغيب أو يبهت صديقي الآخر وقد نصحته ولكن لا فائدة، فهل أقول لصديقي المظلوم أم أسكت لكي لا تقع الفتنة؟))

فقال: ((عليك أن تسكت إلا إذا كان في غيبة ذاك بعض ما يسيء إلى مصلحة الآخر في حياته، فهذا يكون من باب النصيحة))^(٣٠٥).

وسئل عن الصائم المغتاب: ((لو صام الإنسان في شهر رمضان بالامتناع عن المفطرات، لكنه أطلق العنان للسان في الغيبة والبهتان والفتنة، فهل صومه مقبول؟))

فقال: ((لقد صام جسدياً وأفطر روحياً. وقد ورد في الحديث ((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش))^(٣٠٦). وهذا منهم. فصومه صحيح ولكنه ليس مقبولا عند الله الذي يقول ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾^(٣٠٧))).^(٣٠٨)

وسئل عن جواز غيبة الوالدين لولدهما، فقال: ((لا يجوز للوالدين أن يغتابا ولدهما إذا كان إنسانا بالغاً راشداً أو ابنتهما لأنهما ابناؤا في النسب وإخوان لهما في الإيمان وقوله تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾^(٣٠٩) يشمل الآباء والأبناء))^(٣١٠).

ثم سئل عن غيبة الطفل المميز والمجنون، فقال: ((إذا كان ذلك يسقط قيمته في نظر الناس أو كان يؤذيه بحيث يكون له أثر في أخلاقيته بين الأطفال الآخرين فالأحوط أن لا يغتاب الكبير الطفل، أما المجنون فباعتبار أنه لا يحس بذلك ولا يشعر به فالآية منصرفة عنه، ولكن إذا كان ذلك يعني احتقاراً للمجنون

(٣٠٥) ج ٩، ص ٦٤٧.

(٣٠٦) بحار الأنوار، ج ١٣، ب ٢٣، ص ٢٦٧، ج ٣.

(٣٠٧) المائدة: ٢٧.

(٣٠٨) ج ٧، ص ٥٧٦.

(٣٠٩) الحجرات: ١٢.

(٣١٠) ج ٣، ص ٥٢٤.

وشماعة أو سخرية منه فهو حرام بهذا العنوان))^(٣١١).

وطرحت عليه مشكلة النقد والغيبة، فكان السؤال: ((كما هو واضح فإن الغيبة حرام وأن النقد ضرورة لتكامل الشخصية ولكن كيف يمارس الشخص عملية النقد البناء دون أن يقع في مشكلة الغيبة الحرام))؟

فكان جواب سماحته كالتالي: ((إن النقد البناء يكون في المواقع التي يحتاج فيها المرء إلى دراسة الشخص الآخر من خلال القضايا العامة وهذا ليس غيبة بل تقييم، كما إن هناك مستثنيات للغيبة ومنها نصيحة المؤمن، فلو جاء إنسان يستنصحك بزواج ابنته من شخص أو يزوج ابنه من بنت مثلاً وأنت تعرف أن هذا الإنسان سيء الخلق أو أن هذه الإنسان سيئة الخلق فلك أن تتحدث عن عيوبها. وهكذا يمكن للإنسان أن يغتاب من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعبارة أخرى فإذا كانت هناك مصالح عامة أو مصالح خاصة أكثر من مفسدة الغيبة فيجوز ذلك))^(٣١٢).

وكذلك سئل السؤال التالي: ((إن الغيبة هي من الكبائر التي يقع بها أكثر المؤمنين، كما ورد أن ((الغيبة أدام كلاب أهل النار))^(٣١٣). و ((إن الغيبة أشد من الزنا))^(٣١٤). وهذه الخصلة تكاد تكون في مجتمعنا كالشراب والطعام وكالهواء الذي نتنفسه. ولكن المشكلة عندما نقول لهؤلاء أن الغيبة هي من الكبائر فإنهم يبررون موقفهم على أساس أن ما يتكلمون به هو من النقد البناء، فكيف نميز الغيبة من النقد البناء))؟

فرد قائلاً: ((هذا من وساوس الشيطان، باعتبار أن الغيبة هي ذكرك أخاك بعيب مستور، في حين أن النقد البناء يوجه لنفس الشخص. فإذا كنت جاداً فإن الطريق الأسلم هو «من وعظ أخاه سرا فقد زانه ومن وعظ أخاه علانية فقد

(٣١١) نفسه.

(٣١٢) ج ٣، ص ٥٢٦.

(٣١٣) المجلسي: بحار الأنوار، ج ٧٥، ب ٦٦، ص ٢٤٦، ح ٨.

(٣١٤) نفسه، ص ٢٢٢، ح ١.

شأنه». ولو درسنا الغيبة اليوم لرأينا أنها تمثل التشهير وإسقاط الموقع وذم الناس، ولذلك فإن أغلب الذين يبررون كلامهم بالنقد البناء يتحدثون من خلال النقد الهدام، ذلك أن النقد البناء له شروطه التي لا تدخل في مجال الغيبة ولا تنطبق على الغيبة، ولذلك فهو لا يبررون لأنفسهم ما لا مبرر له^(٣١٥).

وسئل عما إذا كان تقييم شخص ما والحديث عنه من الغيبة؟ فقال: ((إذا كان تقييمًا لمصلحة إسلامية فليس من الغيبة، وإلا كما لو كان مجرد تقييم شخصي فإنه يعتبر غيبة. ويجب الحذر من ذلك لأنه قد يشوب ذلك الهوى والرأي الشخصي فيلزم التريث والاحتياط))^(٣١٦).

وسئل: ((هل يجوز إخبار المؤمنين عما يفكر به بعض الناس بتفتيت العمل الموحد لخدمة الإسلام؟ وهل يعتبر هذا ضمن عنوان الغيبة؟)) فقال: ((الغيبة حرام، ولكن إذا كانت من أجل النصيحة ودفع المنكر فتجوز))^(٣١٧).

وسئل عن حق الغيبة: ((إذا غفر الغيبة من اغتبناه، فهل يبقى الحق الإلهي؟))

فقال سماحته: ((طبعاً، فهناك حق عام وهناك حق خاص، فالحق العام هو حق الله سبحانه وتعالى، وهو أن الله نهى عن الغيبة وعصيانها فيما نهى عنه، فلا بد أن نستغفره في ذلك. وإذا أسأنا إلى الغير فإن علينا أن نتسامح منهم كحق خاص من حقوقهم))^(٣١٨).

وسئل عن براءة ذمة المستغيب: ((كثير من الناس يستغيبون إخوانهم، وإذا قلت لهم لماذا تستغيبون؟ يقولون إنهم يبرؤون لنا الذمة. فهل صحيح أن براءة الذمة تكفي؟ أم أن في ذلك معصية؟))

(٣١٥) ج ٧، ص ٥٧٨.

(٣١٦) ج ٩، ص ٦٦٦.

(٣١٧) ج ٨، ص ٦٠٥.

(٣١٨) ج ٧، ص ٦٠٦.

فكان جواب سماحته: ((لا يجوز لمؤمن أن يقول أنا أرخصك في أن تستغيبني، لماذا؟ لأن في الغيبة هتكاً لحرمة المؤمن، فلا يجوز للمؤمن أن يهتك حرمة نفسه بشكل مباشر أو غير مباشر. ثم أن الغيبة فيها حقان: حق عام وحق خاص أي حق الله وحق الناس. فإذا أنت استغبت إنساناً وسامحك بعد ذلك يبقى حق الله، لأنك عصيت الله الذي يقول ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾. فأنت عصيت الله في اغتيابك وأسأت لحق أخيك فإذا سامحك أخوك فالله لا يسامحك لأنك عصيت الله في ذلك))^(٣١٩).

وسئل عن أساليب مكافحة الغيبة، فقال: ((أولاً: علينا أن نستمع إلى قول الله تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾^(٣٢٠)، وثانياً: فإن ((الغيبة أدام كلاب أهل النار)) كما ورد في بعض الأحاديث، وثالثاً: ((الغيبة أشد من الزنا إن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه)) كما ورد في حديث آخر. والغيبة بكل بساطة ذكرك أخاك بعيب مستور في ظهر الغيب، فإذا كان هذا العيب غير موجود فيه فقد أضفت إليه البهتان، ولذلك فإن الإنسان الذي يخاف من الله ويخاف من النار فإنه يحجم عن الغيبة، وأما الذي لا يخاف النار فهو من أكبر الشجعان لكنها شجاعة تدخل إلى النار، إنها شجاعة مقلوبة، وقد قال الشاعر:

ليس من يقطع طريقاً بطلاً
إنما من يتقي الله البطل
ونسأل الله أن يجعلنا أبطالا في هذا الخط))^(٣٢١).

٤. التهجم على العلماء:

وسئل سماحته عدة أسئلة حول المجالس التي يهان فيها العلماء، ويذكرون

(٣١٩) ج ٩، ص ٦٥٤.

(٣٢٠) الحجرات: ١٢.

(٣٢١) ج ٣، ص ٥٢٣.

بسوء، وعن الدفاع عن المرجعية، ومنها:

((س: ما حكم من يجلس في مجلس فيه إهانة لبعض العلماء أو أحد

المؤمنين، وبوضوح هل يجوز أن أحضر مجالس ينال فيه من سمعة هؤلاء؟

ج: يقول تعالى ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر

بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم

إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾^(٣٢٢) فإما أن يرد على ذلك

أو ينسحب لأن البقاء من المجلس علامة الرضا والحال شبيهة بما يحصل

بالتعامل الدبلوماسي، فإذا حضر دبلوماسي مؤتمراً أو اجتماعاً ووقف دبلوماسي

آخر خطيباً ونال من بلاد الدبلوماسي الأول فإن المطلوب من هذا أن ينسحب ولا

يعاقب من قبل حكومته خاصة وأنه ليس لديه حق الرد في العرف الدبلوماسي،

فإذا لم ننسحب من أمثال هذه المجالس فإن الله يعاقبنا على ذلك))^(٣٢٣).

((س: هناك مسوغات معينة للغيبة، ونرى في هذه الأيام ذكر العلماء

الأجلاء بالسوء يزداد بحجة المصلحة الإسلامية، فهل يعتبر هذا أحد المسوغات؟

ج: ليس من المصلحة الإسلامية غيبة العلماء الأجلاء وتشويه صورتهم أمام

الناس، إلا إذا كان العالم يريد أن يدمر الإسلام والمسلمين وما إلى ذلك، ولا أظن

أن هناك عالماً بهذا الشكل، ولكن هذه مجرد مبررات لارتكاب الحرام))^(٣٢٤).

((س: هل يجوز التهجم على علماء الدين وغيرهم لسبب أو آخر مع عدم

معرفتنا بظروفهم وعدم الاطلاع على طبيعة أوضاعهم؟

ج: لا يجوز ذلك))^(٣٢٥).

((س: ما هو الحكم في الطعن بسيرة العالم وتسقيطه؟

(٣٢٢) النساء: ١٤٠.

(٣٢٣) ج ٥، ص ٦٠٦.

(٣٢٤) ج ٧، ص ٥٧٥.

(٣٢٥) ج ٧، ص ٦٠٠.

ج: هذا حرام وربما يصل إلى درجة كبيرة من الحرمة لأنه إساءة إلى موقع القيادة الربانية))^(٣٢٦).

((س: لي صديق عزيز اذهب إليه ونجلس ونتحدث ولكنه يتكلم بالسوء على مرجعية كبيرة ومؤمنة، وعندما أقول له لا يجوز ذلك لا يقبل مني بل يزيد في حملاته وهو إنسان مؤمن؟

ج: كيف يكون مؤمناً وهو يغتاب المراجع، وهو يعلم أن ((الغيبة طعام كلاب أهل النار)) وأن الله تعالى يقول ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. وأن ((الغيبة أشد من الزنا، قالوا كيف؟ قال: لأن الزنا قد يغفره الله للإنسان إذا تاب ولكن الغيبة لا يغفرها الله حتى يغفرها صاحبها)). لقد أصبح البعض من الناس يبرر لنفسه اغتياب الآخرين بعناوين مختلفة، فمنهم من يقول أريد نصرة المذهب والوقوف ضد الضلال وهكذا، ولكنه الشيطان يوسوس لبعض الناس))^(٣٢٧).

((س: هل أن نقد علماء الدين جائز؟

ج: نعم النقد البناء جائز، فعلماء الدين ليسوا معصومين وليسوا مقدسين، فهم يملكون الثقافة الدينية والالتزام الديني، فإن أحسنوا كان لهم موقع وأجر المحسنين، وإن أساءوا كان عليهم ما على المسيئين))^(٣٢٨).

((س: أحد مقلديكم يسمع من يتكلم ضدكم فينبري للدفاع لا اعتقاده بانكم مظلومون، لكن ذلك يؤدي إلى الحرج، فما هي نصيحتكم؟

ج: إن من يتكلمون ضدي يضيفون إلى سجل حسناتي حسنات أخرى، ولي في ذلك أسوة برسول الله ﷺ وأنا تراب أقدامه وابنه، فلقد قيل عنه بأنه ساحر وشاعر وكاهن و﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾^(٣٢٩). ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

(٣٢٦) ج ٧، ص ٦٠١.

(٣٢٧) ج ٨، ص ٥٩٠.

(٣٢٨) ج ٨، ص ٦٠٥.

(٣٢٩) الفرقان: ٥.

لمجنون^(٣٣٠). ولن أسامحهم، ولي موقف معهم بين يدي الله فلقد خلقوا فتنة في الساحة، وكانوا بوقا للمخابرات حتى لو لم يتعاملوا معها بشكل مباشر. وأنا أزعم أن لاجحة لهم، بل كل ما في الأمر عصبية وحقد وحسد، ولقد قلت مرارا، إنني مستعد للإجابة على أي سؤال أو إشكال أو مناقشة، ولكن ماذا تفعل لمن لا يقبل أن يقرأ ويسمع.

وأقول كما قال رسول الله ﷺ مخاطبا الله عز وجل: ((إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي)). فحساباتي ليست مع الناس بل مع رب الناس، وأرجو أن تكون حساباتي معه موضع رضاه وقبوله^(٣٣١).

٥. الحسد:

وطرحت على سماحته الأسئلة التالية حول ثقافة الحاسد، والحسد اللإرادي، والحسد بين العلماء:

((س: هل تتبع مسألة الحسد ثقافة الإنسان، فنحن نرى أن بعض المنحرفين لا يحسدون بعضهم بعضا؟

ج: في الواقع أن ما نخشاه هو أنه كلما ازدادت ثقافة الإنسان كلما كبر حسده، ولذلك ترى الله تعالى يتحدث عن الذين آتاهم العلم فيغى بعضهم على بعض. إن مسألة الحسد هي مسألة التربية، فقد تجد هناك إنسانا يعيش مع الإنسان الآخر بطريقة واقعية منفتحة بحيث يشعر أن نعمة الآخر لا تمنع نعمته وأن مجد الآخر لا يمنع مجده وأن الدرجة العليا لدى الآخر لا تمنع درجته.

- أيها الأحبة - إن الذي يحسد الناس هو إنسان يعيش الضعف في نفسه، إذ لماذا تتمنى زوال النعمة عن المحسود، ما ذاك إلا لأنك تخاف أن يغلبك أو أن يسقطك أو أن يضعفك، ولكن إذا كنت تشعر بقوتك وبواقع الحياة التي يلتقي فيها الناس حيث كل له موقعه فإنك بذلك لن تخاف من الآخر إذا كان كبيرا لأن

(٣٣٠) القلم: ٥١.

(٣٣١) ج ٨، ص ٦٠٤.

ذلك لن يمنعك من أن تكون كبيراً، لأن أي إنسان لا يستطيع أن يلغي الإنسان الآخر فإذا لم تلغ نفسك فإن الآخرين لا يستطيعون إلغائك))^(٣٣٢).

((س: الحسد حالة لا إرادية في بعض الأحيان، فهل يأثم المرء إذا صارعها في ذاته دون التأثير على المحسود مادياً؟

ج: لا يأثم الإنسان على ما يعيشه من مشاعر قهرية، ولكن الله يريد للإنسان أن يعقل أحاسيسه وأن يضبط مشاعره كما يعقل حركته، لكن لا إثم عليه، ((وإذا حسدت فلا تبغ)) فالهم أن لا يتحول حسدك إلى عدوان المحسود))^(٣٣٣).

((س: نحن نعلم أن الدين يطهر النفوس ويهذب الأخلاق ويوثق العلاقات، ولكن في دنيا الواقع نجد أن العلاقات بين العلماء الذين هم ورثة الأنبياء تقوم على الحسد والبغضاء والتنافر فيما بينهم، بينما قد نجد العلاقة في الوسط غير الديني تقوم على المحبة والتعاون والتسديد، فكيف تفسرون ذلك؟

ج: إننا لا نستطيع أن نطلق حكماً عاماً شاملاً على العلماء في هذا المجال، فهناك الكثير منهم الذين تنفتح قلوبهم على المحبة لبعضهم البعض وعلى الاعتراف بفضل من له فضل ويتقوى من له تقوى، ولكن المشكلة هي أن العلم لا يظهر حياة الإنسان وسلوكه إذا لم تقترن به تربية أخلاقية تضع أقدام الإنسان على الخط المستقيم.

كما إن المشكلة هي أن الدوائر التي يتحرك فيها بعض الناس هي دوائر ضيقة تنطلق من خلال حالتهم الذاتية أو من خلال بعض ما يحيط بهم، ومن الطبيعي فإن الدائرة عندما تكون ضيقة بينك وبين إنسان والساحة محدودة فإن المشكلة هي أن القضية تكون في كيف تسبق هذا الإنسان إلى الساحة الضيقة وكيف يسبقك إليها، وفي حين أن الساحة بالنسبة للعلماء هي ساحة الإسلام كله

وساحة العالم كله وساحة الإنسان كله وهي تتسع للجميع وتحضنهم جميعاً، ويمكن أن ترتفع بالجميع وتحقق غايات الجميع، ولكن عندما تحشر نفسك في دائرة نفسك فإن من الطبيعي أن تفكر بالنسبة للآخر بطريقة لا تحترمه فيها لأنك تخاف على نفسك منه.

والحقيقة هي أننا عندما ننفث على الإسلام والإنسان والحياة كلها فلن يكون هناك حسد، ولا فمن أين يأتي الحسد؟ إنه يأتي من أن شخصاً ما صاحب فضيلة معينة وأنت تخاف أن يختص بها فتريد أن تنتقل إليك تلك الفضيلة أو هذا الموقع. فحالتنا في ذلك كحال ذلك الإعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال له أريد أن أدعو لي ولك يا رسول الله، فقال له: ادع، فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ: يا هذا لقد ضيقت واسعاً، فאלله تعالى يرحم ويغفر للجميع وهو القائل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣٣٤).

فمشكلة الحاسد هي أنه إذا نظر إلى من أعطاه الله مالاً فإنه يتصور أن لا أحد في الدنيا يمتلك المال غيره، فيقول اللهم اسلب مال فلان واعطني إياه، ولكن الله يعطي الناس جميعاً لأن خزائنه لا تنفذ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(٣٣٥).

فالصحيح هو أن تقول: اللهم ابق لفلان نعمته واطعني نعمة منك، فعدم الثقة بالله وعدم التفكير به بل والتفكير في الذات والدوائر الضيقة هو الذي يبعث الناس على الحسد، وهناك بعض الناس يتربّون على الاعتراف بالآخر والانفتاح عليه وعدم الخوف منه.

فالحسد يدل على حالة ضعف في الإنسان، والآن فالإنسان القوي هو الذي يقول أنا أستطيع أن أكون أفضل من فلان مع احتفاظ بما لفلان من

(٣٣٤) النساء: ١١٦.

(٣٣٥) الكهف: ١٠٩.

فضيلة))^(٣٣٦).

٦. الكذب:

وطُرحت على سماحته أسئلة كثيرة حول قبح الكذب، والكذب كتابة ومزاحاً، منها:

((س: في حديثكم عن الكذب فهمت أن القبح ذاتي للفعل، فما هو واقع الحال في المسألة؟ فإذا كان القبح من الأمور الذاتية للأفعال، فكيف يجاز الكذب في بعض المواقع؟

ج: تارة نقول إنه ذاتي بمعنى أن الكذب علة للقبح فلا يمكن أن يعرض عليه الصلاح. وأخرى نقول إن القبح من خصائص الكذب بمعنى أن فيه اقتضاء القبح، ولكن قد يطرأ عليه عنوان يجعل القبح أضعف، كما في حال الكذب للإصلاح بين الناس وهذا ما نعتقده من القبح في الكذب، فالكذب قبيح، ولكن إذا عرض عليه عنوان كونه مفيداً للإصلاح بين الناس، فإن مصلحة الإصلاح أقوى من الكذب فتتجمد المفسدة حينئذ أمام المصلحة. أما الذي هو علة للقبح فهو الظلم، فليس عندنا ظلم قبيح وظلم حسن، نعم عندنا كذب قبيح وكذب حسن))^(٣٣٧).

((س: هل أن الكذب مجرد قول أم يتعدى الى الكتابة؟ وهل كتابة الكذب على ورقة تعدّ كذباً محرماً؟

ج: لا فرق بين الكذب باللفظ وبين الكذب بالكتابة))^(٣٣٨).

((س: هل يجوز الكذب في محل المزاح وفي المجاملات؟

ج: تارة يكذب الإنسان بقصد المزاح ليخدع الآخرين كما في (كذبة نيسان) فهذا حرام، والإمام زين العابدين عليه السلام يقول: ((اتقوا الكذب الصغير منه والكبير

(٣٣٦) ج ٥، ص ٥٩٠-٥٩١.

(٣٣٧) ج ٧، ص ٥٩٤-٥٩٥.

(٣٣٨) ج ٧، ص ٦٠٠.

في هزل أو جد فإن المرء إذا اجتراً على الصغير اجتراً على الكبير)).

أما إذا كان الكذب من النوع الذي لا يقصد منه خداع الآخر، فإن الذي تتوجه إليه الكذبة يعرف أن صاحبها مزاح، فهو ليس كذبا لأنه ليس في مقام الإخبار، فطالما أن كليهما يعرف أن المسألة مزاح في مزاح، فهذا ليس محرماً^(٣٣٩).

٧. السخرية والمزاح:

وسُئل سماحته عن السخرية والشتيم والألفاظ النابية والمزاح الجارح وإلى آخر ذلك:

((س: هل يجوز شرعاً التلطف بالألفاظ النابية وما يستقبح ذكره؟

ج: يحرم إذا كان موجهاً إلى الإنسان الآخر في حالة الإهانة والتحقير والتنكيل، وهذا ما يوحى به الحديث المأثور عن أهل البيت عليهم السلام: ((إن الله يبغض الفاحش المتفحش الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل له))^(٣٤٠).

((س: هل يحق للإنسان أن يتكلم مع صديقه بكلمات تجعل نفسيته

مملوءة حقداً عليه كمثال العبارات الجارحة أثناء المزاح؟

ج: لا يجوز ذلك إذا كان مؤذياً للصديق لأنه لا يجوز إيذاء المؤمن))^(٣٤١).

((س: هل يجوز السخرية من شخص لا نعرفه أو شتمه من باب الغيبة؟

ج: لا يجوز أن نسخر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾^(٣٤٢) سواء كنا نعرفه أو لا نعرفه ولا يجوز أن نشتمه ونسبه لأنه حرام في مواقعه الشرعية))^(٣٤٣).

(٣٣٩) ج ٣، ص ٥٤١-٥٤٢.

(٣٤٠) ج ٣، ص ٥٤٠.

(٣٤١) ج ٣، ص ٥٣٨.

(٣٤٢) الحجرات: ١١.

(٣٤٣) ج ١، ص ٦٣٠.

وسُئِلَ عن السبيل للتخلّص من آفات وعورات اللسان، فقال: ((عندما تحسّ بحضور الله أكثر، وعندما تحسّ بمعنى الآخرة أكثر ويلذعات النار أكثر وبإنسانيتك أكثر ستكافح هذه الشهوة المردية، والله سبحانه وتعالى قدّم لنا الغيبة بقوله ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ بطريقة مقررّة تمثل الإنسان كوحش، لأن كرامة الإنسان أعظم من لحمه، ألا يقول لك أحدهم لو تقطّع لحمي أهون من أن تمسّ كرامتي؟ ثم إن الغيبة - كما في الحديث - هي ((أدام كلاب أهل النار)) وعندنا ((إن الغيبة أشدّ من الزنا، قالوا كيف؟ قال: لأنّ الزنا قد يغضره الله للإنسان إذا تاب ولكن الغيبة لا يغضرها الله حتى يغضرها صاحبها)).

فعندما نتعمّق في هذه الأمور بالآخرة وبالدينيا ويلذعات النار، تبرّد عند ذلك الشهوة لهذا الانحراف، فكما أن عندنا ثلاجات تبرّد الماء والأكل نريد (ثلاجات أخلاقية) تبرّد لنا الشهوات وهي التقوى ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۖ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(٣٤٤)، فإذا عشنا القرآن فإننا نعيش هذا الجو الوقائي^(٣٤٥).

٨. عناوين متفرقة:

وسُئِلَ حول العولمة وتأثير الأخلاق في هذه الأجواء ومواكبتها للتطور: ((التاريخ كسجل للأحداث نراه قد سجّل لنا تطوراً في مختلف المجالات والعلوم الماديّة، والعالم الآن يمرّ بما يسمى بمرحلة العولمة والتي حولته إلى قرية صغيرة، فلماذا لم نشهد مواكبة لهذا التطور على الصعيد الروحي والعقائدي والأخلاقي؟))

(٣٤٤) الحج: ١-٢.

(٣٤٥) ج ٦، ص ٦١٠-٦١١.

فقال: ((هناك موازين قوى موجودة في العالم، فالعالم المستكبر يملك إمكانات على المستوى الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والثقافي وما إلى ذلك مما لا يملكه الخط الإسلامي الأصيل، ولكن مع ذلك ومع كل هجومات النظام العالمي الجديد أو ما يسمى بالعوثة نجد أن هناك في أكثر من بلد إسلامي وحتى في بلاد الغرب من يأخذ بالقيم الروحية والاخلاقية لأن الجانب المادي جعل الكثير من الناس وجها لوجه أمام الجدار، ولذلك كانوا يلجأون إلى ما يعطيهم النبض الروحي، وعلى ذلك فالمسألة ليست بهذا السوء، كما أنها ليست مقتصرة على هذه المرحلة التي تفرضها التمنيات، بل أن مشكلتنا هي المساحة بين ما يمكن أن يكون وبين ما ينبغي أن يكون))^(٣٤٦).

وسئل عن جواز تمنى الموت على كل حال، فقال: ((لماذا نتمنى الموت؟ إن الشخص إنما يتمنى الموت من جهة أن عنده مشكلة وينسى أنه ربما يقع في مشكلة أكبر بعد الموت ونعني ما ينتظره بعد الموت من حساب، ولذا ((لا تتمنى الموت إلا بشرط وثيق)) أي حينما تستعد وتمهد لأخرتك فيما يرضي الله حتى إذا جاء عزرائيل ﷺ ليقبض روحك فإنك تكون قد أمنت الوصول إلى الجنة، أما إذا كنت تعرف أن عندك ذنوبا كثيرة وتطلب الموت كملاذ منها، فأنت ستتخلص من هذه المشكلة لتقع في مشاكل لا مخرج منها لأن ((اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل)) والإمام زين العابدين ﷺ يقول في دعاء (مكارم الأخلاق) عندما ذكر مسألة تمنى الموت ((وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك، فإذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلي أو يستحكم غضبك علي)). وفي دعاء (يوم الثلاثاء) ((واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر)) وفي دعائه (إذا ذكر الموت) ((أمتنا متقين غير ضالين، طائعين غير مستكرهين، تائبين غير عاصين ولا مصرين)) ويقول الشاعر عندما يتحدث عن الذين يتمنون الموت:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي

ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شي

لذلك ((لا تتمن الموت إلا بركن وثيق))^(٣٤٧).

وسئل عن كيفية مواجهة اليأس، فقال: ((يقول تعالى ﴿ولا تيأسوا من روح

الله إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(٣٤٨) فاليأس - لو التفت الإنسان

إلى مدلوله - مساو للكفر، فعلى الإنسان أن يعيش التفاؤل من خلال الانفتاح

على قدرة الله ورحمته ونعمته، فكلما فكر في الله ورحمته الواسعة لا يبقى عنده

شيء من اليأس))^(٣٤٩).

وسئل أيضا: ((هل التمسك بتعاليم الإسلام قادر على حل المشاكل النفسية

أم أن منها ما يحتاج إلى الطب النفسي))؟

فقال مجيبا: ((عندما يعيش الإنسان في الأجواء الروحانية، أي عندما

يعيش مع الله سبحانه وتعالى ويرجع إلى الله ويبكي بين يديه فإنه يعيش في

أجواء الرحمة والأمل والثقة بالله، وأعتقد أن الكثير من الحالات النفسية تزول

لأن أغلب العقد النفسية ناتجة عن أننا نراقب الناس وأننا نفكر بردود أفعالهم

ونخاف من فلان أن يضرنا أو من فلان الآخر أن يؤذينا، لكن عندما ننطلق إلى

الله سبحانه وتعالى يكون عندنا ثقة مطلقة به ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا

يئس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ ولكن بعض القضايا لها جانب مرضي

عميق فقد نحتاج إلى الطب النفسي بطريقة وياخرى لمعالجتها))^(٣٥٠).

وطرح عليه السؤال التالي: ((في بعض المجتمعات يعتبر الحجاب شعارا

أساسيا وهو يؤثر على المرأة المسلمة وأحيانا يعرضها لبعض المخاطر، فهل هذا

مبرر بحد ذاته لخلع حجابها والاحتفاظ بنوع من اللباس المحترم في

(٣٤٧) ج ٦، ص ٥٨٧-٥٨٨.

(٣٤٨) يوسف: ٨٧.

(٣٤٩) ج ٥، ص ٥٨٥.

(٣٥٠) ج ٦، ص ٥٨١.

مجتمعها))؟

فقال سماحته: ((لا يجوز ذلك فنحن نعتقد أن على النساء المسلمات والرجال المسلمين أن لا يهربوا أمام أية حالة تخويف، وعلينا أن نؤكد تقاليدنا الإسلامية الملزمة، وأن نؤكد التزامنا، وأن يكون هذا على الأقل مظهراً من مظاهر الصمود أمام الظالمين. وأعتقد أنهم لن يستطيعوا أن يحاربوا كل المجتمع المسلم أو النساء المسلمات المحجبات «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمُ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» ((٣٥١)) (٣٥٢).

وسئل عن التنسك والتهتك: ((ورد في الحديث ذم إثنين: جاهل متنسك وعالم متهتك، فما هي نصيحتكم إزاء من يعيشون في أوساط الناس من مثل هؤلاء الأصناف))؟

فقال: ((الجاهل المتنسك هو الذي يصلي الليل ويقوم بالفرائض والنوافل، ولكن لا يفهم الاسلام فهم وعي ومسؤولية، فيمكن أن يكون تنسكه عاملاً من عوامل إغراء الناس به فيتبعون فكره، في حين أن فكره هو فكر الجهل، حتى أن بعض الناس يصفه بقوله: ليس عنده غير سجادته ومسبحته، والناس قد تثق به وتصلي وراءه جماعة، فهو عابد لكنه جاهل. وعندنا في الحديث ((ركعتان يصليهما العالم أفضل من عبادة سنة يصليها العابد الذي لا علم له)). وعالم متهتك وهو الذي لا يعمل بعلمه، بل قد يعمل بخلافه وعلى نقضه، فقد يضل به أناس كثيرون لأنه قد يكون سبباً في إفسادهم)) (٣٥٣).

وسئل أيضاً: ((هناك روايات تقول لا تعلموا النساء (سورة يوسف) لأن فيها فتنة، أفلا يمكن أن تكون الفتنة بالنسبة للرجل والمرأة معاً))؟

فقال: ((أنا أناقش مثل هذه الروايات ولا بد من رد علمها إلى أهلها، فليس في القرآن فتنة، فאלله سبحانه وتعالى جعل القرآن نوراً للناس كافة. ولذلك فإن

(٣٥١) آل عمران: ١٧٥.

(٣٥٢) ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٣٥٣) ج ٧، ص ٦٠٢.

سورة يوسف كما تمثل موقف يوسف في العفة، فهي أيضاً تمثل نقاط الضعف بالنسبة للمرأة التي ذمها الله سبحانه وتعالى، خصوصاً وأن امرأة العزيز قالت ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣٥٤). فليس في السورة أية فتنة للنساء، بل هي مثل حي في العفة للرجال والنساء معاً، وقد ناقشنا ذلك في بعض أبحاثنا^(٣٥٥).

وسُئِل: هل الإعجاب بالنفس يحبط العمل؟ فقال: ((تارة يكون الإعجاب على طريقة ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٣٥٦). فهو يمتن على الله بذلك فهذا غير صحيح، أما إذا كان الإنسان يرتاح إلى ما لديه من علم من دون أن يطغى ذلك على نفسه أو يدفعه إلى الاستعلاء على غيره والاستكبار عليه فلا مانع^(٣٥٧))).

وسُئِل عن التبرج والتظاهر بالفسق: ((هل يعتبر التبرج والسفور من التجاهر بالفسق؟ وهل تجب مقاطعة السافرات المتبرجات اجتماعياً لغرض الردع^(٣٥٨)؟

فقال: ((التبرج والسفور حرام، والتجاهر به تجاهر بالفسق والإصرار عليه كبيرة، ولكن الردع عن الحرام قد يكون بالمقاطعة الاجتماعية، وقد يكون بمواصلة الوعظ والإرشاد، فقد تكون بعض النساء متبرجة لأنها عاشت في بيئة غير مؤمنة وغير متدينة، فالوسيلة الطبيعية في جعلها ترتدع هي أن نوعيها وأن نفهمها علها تعود إلى الطريق الصحيح^(٣٥٩))).

وسُئِل أيضاً: ((ما حكم المرأة التي تعصي زوجها بعدم الالتزام بالحجاب وعدم الصلاة؟ وماذا يعمل زوجها إذا لم تطعه في هذين الأمرين؟ هل يجوز

(٣٥٤) يوسف: ٥١.

(٣٥٥) ج ٨، ص ٥٩٥.

(٣٥٦) فاطر: ٨.

(٣٥٧) ج ٨، ص ٦٠٥.

(٣٥٨) ج ٩، ص ٦٤٥.

طلاقها إذا لم تلتزم؟

فقال مجيباً: ((عليه أن يحاول معها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يحرم عليه طلاقها، ولكن يجب أن يدرس القضية من خلال طبيعة الأسرة وتماسكها ويبقى يجرب فعسى ولعل))^(٣٥٩).

وسُئل عن الحشمة، وهل هي من شروط الحجاب: ((ألا ترون أن لبس البنطلون للنساء لا يعدُّ حجاباً معنوياً، وهل للعرف العام دخل في الحكم الشرعي في تحديد الألبسة من مجتمع إلى مجتمع آخر؟))

فقال: ((قلنا: إنه لا يجوز للمرأة أن تخرج إلى المجتمع المختلط بما يوجب الإثارة، وبعبارة أخرى، يلزمها أن تخرج كأنسان لا كأنثى، وهذا هو الخطأ العام. أما العرف فله دخل في تحديد موضوع الحكم الشرعي، وهو يختلف من محلٍّ إلى آخر، فما يعتبر تبرجاً في محل قد لا يعتبر كذلك في محل آخر. كما أن البنطلون نفسه ليس واحداً، وينبغي أن يعلم أن هذه القضايا تفصيلية، والفقيه يعنى بالحكم الكلي، بمعنى أنه يُعطي الضابط العام، وهو أن تكون المرأة في حجابها مستورة الجسم مع الاحتشام، إذ لا يكفي الستر من دون الاحتشام))^(٣٦٠).

وسُئل عن المروءة وما ينافيها: ((هل لعب الكرة ينافي المروءة؟ علماً أن الذي يلعبها هو طالب حوزة؟))

فقال: ((لا تنافي المروءة، إلا إذا كان العرف الاجتماعي في بعض المجتمعات يرفض ذلك))^(٣٦١).

وسُئل عن فقدان الحركة الإيمانية في الواقع الاجتماعي: ((أما ترى أن الناس يتعاملون مع الدين كمسائل شرعية فقط فلا نجد حركة إيمانية فاعلة في واقع الحياة؟))

(٣٥٩) نفسه.

(٣٦٠) ج ٩، ص ٦٦١.

(٣٦١) ج ١، ص ٦٣٢.

فقال سماحته: ((إن الدين يمثل كيانا كاملاً ففيه العقيدة، وفيه الأخلاق، وفيه الروح وفيه المسؤولية، وفيه حركية الحياة، وحركية الإنسان في الحياة، ولذلك ينبغي للإنسان أن يأخذ الدين على أساس أنه الحياة «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» ((٣٦٢)) (٣٦٣).

وسُئِلَ أيضاً: ((هل يجوز لي أن أدرس الأخلاق ليستفيد الناس منها في حياتهم مع أنني لم استطع أن أعمل وأطبق كل ما قلته ودرسته))؟

فقال في معرض الرد: ((يمكن لكثير من الناس أن يعطوا الناس معرفة من دون أن يطبقوها على أنفسهم فإذا كان لا يستطيع أن يطبق ذلك على نفسه فلا يحرم الناس منه، وإن كان ينبغي للإنسان إذا أراد أن يدرس الأخلاق أن يكون متخلياً كما يقول الشاعر: لا تنه عن خلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم)) ((٣٦٤)).

٩. حلول تربوية:

وسُئِلَ سماحته عن معنى حديث رسول الله ﷺ ((ما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها))، فقال سماحته: ((هذه كناية عن أن الله سبحانه وتعالى إذا رأى العبد يتحرك من أجل محبته فيما فرض عليه وفيما استحبه له بحيث يكلف نفسه الجهد من أجل الحصول على رضا الله ومحبته، فإن الله سينزل عليه لطفه ورحمته ليسدده في بصره وسمعه وفي لسانه ولينصره إذا واجه المصاعب، وهذه كناية عن أن الله يرعاه، وإن الله ينزل عليه الطافة ورحمته ليدبر كل أمره وليعينه في ذلك كله)) ((٣٦٥)).

(٣٦٢) الأنفال: ٢٤.

(٣٦٣) ج ١، ص ٦٣٥.

(٣٦٤) ج ١، ص ٦٤٦.

(٣٦٥) ج ١، ص ٦٣٨.

وسئل عن العوامل التي تحافظ وتزيد من الوهج الروحي في شهر رمضان:
 ((ما هي الضوابط الأخلاقية والنصائح العملية التي تمكن المؤمن حقاً من
 استدامة حالة السمو الروحي التي عاشها والمحافظة على الزخم العبادي الذي
 عرفه أثناء شهر رمضان))؟

فقال: ((أن يكون شهر رمضان المنطلق لا أن يكون شهر رمضان النهاية،
 المنطلق الذي ترتبط فيه بالله وننتفتح فيه على الله ونطيعه ونعيش في أجواء
 رضاه لذلك عندما نعيش هذه الروح فإننا نستطيع أن نعتبر أن الصوم الصغير
 مقدمة للصوم الكبير، وأن الموسم الروحي في زمن هو امتداد لمواسم جديدة في
 أزمنة أخرى، فنحن نعرف أن لكل زرع أو ثمرة موسمها ولكن الناس عرفوا كيف
 يجعلون المواسم في مدى الزمان.

فنحن نأكل الكثير من الخضروات في غير موسمها لأننا اكتشفنا كيف
 يمكن أن نهيء الأجواء التي تعيش فيها هذه النبتة كما لو كانت في موسمها.
 لذلك - أيها الأحبة - إذا كان شهر رمضان موسم الروح في طاعة الله فعلينا أن
 نأخذ شيئاً من روحانيته لننتقل في بقية السنة، فبعض الناس لا يقرأ (دعاء أبو
 حمزة الثمالي) إلا في شهر رمضان أو (دعاء الافتتاح) لماذا؟ اقرأ (دعاء الافتتاح)
 في كل ليلة، ولا مانع من ذلك، ففي كل ليلة يمكن أن نقرأ (دعاء الافتتاح) لأنه
 دعاء الارتباط بالحق، ودعاء الثورة على المستكبرين، ودعاء الوعي الذي ينطلق
 في الإنسان من خلال الله ((قاصم الجبارين، ومبير الظالمين، مدرك الهارين،
 نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين)) فهذا الحشد
 الروحي يجعلك تتصور أن الله معك في صراعك ضد الظالمين، معك عندما
 تخاف ومعك عندما تنطلق ومعك في كل مكان وعلى الدوام، وعلى هذا الأساس
 فيمكن أن نقرأ كل أدعية شهر رمضان في كل أيام السنة، صحيح أن دعاء الإمام
 في (السحر) فيه خصوصية رمضانية ولكن مضامينه هي مضامين الحياة
 ومضامين الزمن، لذلك علينا كما قلنا أن لا نعيش تقليدية الدعاء وإنما نعيش

روحية الدعاء وأن نعتبر أن شهر رمضان كما قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه ((شهر الطهور وشهر الإسلام)) فإذا كان شهر الطهور فعلياً عندما نتطهر في هذا الشهر أن نتذكر بأنه إرادة الله في حياتنا فعلياً أن لا نفتح لأنفسنا المجال لأن نتقذر بما يذهب بطهارتنا. وإذا كان شهر رمضان هو شهر الإسلام فإن الإسلام لا يتحدد بشهر، فعلياً أن ننطلق من هذا الإسلام الرمضاني إلى إسلام العمر كله والحياة كلها. المهم أن يعي الإنسان نفسه في موقعه من ربه، وأن يعي موقع ربه منه ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ فإن الجنة هي المأوى^(٣٦٦) ((٣٦٧)).

وسئل عما إذا كان هناك أي تناقض بين حديث الاستعانة ((من استعان بغير الله ذل)) والآية القرآنية ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾^(٣٦٨) فقال: ((يعني من طلب معونة غير الله ولم يطلب معونة الله فهو لم يعتبر أن الله الأساس في كل حاجة ﴿الله الصمد﴾^(٣٦٩) ولم يعتبر أن الناس مجرد أدوات يستخدمها الله سبحانه وتعالى لقضاء حاجات من يريد قضاء حاجته، إن الإنسان الذي يستعين بغير الله يمثل حاجته إلى الآخرين وهي تمثل حالة انحطاط أمامهم وأما ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ فمعناها أن هناك برا وتقوى وهناك حالة من التعاون المشترك للقيام بأعمال البر والأعمال التي رائدها التقوى مع الناس، فالله سبحانه وتعالى هو المقصود في كل شيء ﴿الله الصمد﴾ فهو الذي يصمد إليه ويقصد في الحوائج ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾^(٣٧٠) فنحن لا نستعين بغير الله ولا نعبد إلا الله، ولدينا حديث يقول في تفسير قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٣٧١) قالوا كيف ذلك؟ قال أن يقول الإنسان إلى آخر (لو لا

(٣٦٦) النزاعات: ٤٠-٤١.

(٣٦٧) ج ١. ص ٦٣٩-٦٤٠.

(٣٦٨) المائدة: ٢.

(٣٦٩) الإخلاص: ٢.

(٣٧٠) الفاتحة: ٥.

(٣٧١) يوسف: ١٠٦.

لا أنت لهلكت) وتذهب للطبيب فيجري لك علمية وتقول ((لو لا أنت لمت) أو ((لو لا أنت لدمرت) فيقال أن هذا التعبير فيه نوع من الشرك، قالوا: كيف نقول ونحن نحتاج إلى التعبير عن الشكر للأشخاص الذين لهم دور كبير في حياتنا في شفائنا؟ قال نقول: ((لو لا أن من الله علي بك لهلكت)) أو ((لو لا أن من الله علي بك كان كذا وكذا)) بحيث يكون الله هو الأساس وأن نعتبر الطبيب وغيره الوسائل التي هيأها الله لك بما ألهمه بخدمتك باعتبار أنه سبحانه وتعالى مقلب القلوب))^(٣٧٢).

وسئل عن معنى الحديث الذي يقول ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) فقال: ((معرفة النفس هو أن تعرف طبيعة أسرار الله في وجودك وفي خلقك وفي أجهزتك التي تمثل كل نشاطك الجسدي وكل حركاتك في عقلك. ثم أن تفهم نفسك جيدا في تفكيرك وفي نفسك بحيث تكون لك ثقافة وجودك، في ففرك إلى ربك وحاجتك إليه في جميع الحالات لتصل إلى اكتشاف عمق الفطرة التوحيدية التي تشدك إلى الله بطريقة غريزية نفسية لتجد نفسك منفتحا على كل مواقع القدرة والعلم والوجود كله في ذاته فإن معرفة الفقر الطبيعي في حركة الإنسان في وجوده يتحرك من أجل إغناء المعرفة بالغنى الإلهي الذي أعطى الفقير غناه الوجودي وتفاصيل حركته في حياته كلها فيدفعنا ذلك إلى الإحساس بضرورة الاقتراب منه للحصول على مواقع القرب إليه في عبادته التوحيدية وطاعته الرسالية وحركته في علاقته بالناس والحياة من حيث هي علاقته بالله وبذلك تتحرك المعرفة للوعي وللعمل.

فنحن مع الأسف نملك ثقافة وجود الآخرين ولا نملك ثقافة وجودنا، فلو أن أي شخص فاجئنا وقال لنا ما هي أفكاركم؟ ما هي مفاهيمكم الإسلامية؟ ما هي مفاهيمكم السياسية؟ ما هي علاقاتكم؟ ما هي أوضاعكم؟ ما هي نظرتكم؟ لم نكن قادرين على الإجابة الواضحة والفورية، أما لو سألك شخص عن

صديقك فحينئذ تجلس عشر ساعات تتحدث عنه، نحن نحدد بالآخرين قبل أن نحدد بأنفسنا، لذلك عندما نفهم أنفسنا في أجهزتنا التي أودعها الله فينا فإننا نفهم سر الله في وجودنا، وعندما نفهم أنفسنا في تطلعات الروح والإنتاج العقلي والإحساسي والشعوري فإننا نعرف عظمة الله في ذلك كله، وعندما نفهم أنفسنا فيما نحرك فيه أنفسنا في الحياة من خطوط مستقيمة غير منحرفة فإننا نعرف الله عند ذلك. هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الآية تقول «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم»^(٣٧٣) لنواجه المسألة في بعد آخر، فإذا كانت معرفة الإنسان بنفسه توحى إليه بمعرفة ربه فإن حركة الوعي في هذا الاتجاه تفرض عليه أن يتذكره ويعيش معه ليذكر مسؤوليته أمامه في حساب الطاعة والمعصية والثواب والعقاب فذلك هو الذي يذكره بنفسه في حساب المسؤولية^(٣٧٤).

وكان رأيه بالطب النفسي وبالعلاج النفسي: ((إن الطب النفسي هو حقيقة، ولكننا لا نستطيع أن نعمل بشموليته وكذلك العلاج به، لذلك لا بأس في الرجوع إلى أهل الخبرة في ذلك))^(٣٧٥).

وسئل عن مدى صحة هذا الحديث ((أفضل عبادة أمتي بعد قراءة القرآن الدعاء))، فقال: ((يقول تعالى «ادعوني استجب لكم»^(٣٧٦) فالله يطلب من عباده عندما يدعونه أن يعيشوا معه.

وأخيراً سئل عن شروط استجابة الدعاء، فقال: ((إن الله الرحمن الرحيم يستجب الدعاء لكل مضطر حتى ولو كان فاسقاً، فرحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء. ومن الطبيعي فإن المسلم هو القريب إلى الله بعقيدته والقريب

(٣٧٣) الحشر: ١٩.

(٣٧٤) ج ١، ص ٦٤٢-٦٤٣.

(٣٧٥) ج ١، ص ٦٤٤.

(٣٧٦) غافر: ٦٠.

إلى الله بروحه، والقريب إلى الله بلسانه، وبحياته، ولكن الله سبحانه وتعالى قد تتسع رحمته للكافر كما تتسع رحمته للمؤمن في لحاظ بعض الأعمال خيرة، أو بعض الأعمال الحسنة. بل إننا نعرف أن الله سبحانه وتعالى يقدر الأعمال الحسنة من كل شخص حتى من الكافر فيحب الله الكرم ويحب الإحسان ويحب العدل. فهو وإن كان قد منع الكافر من أن يحصل على ثوابه في الآخرة فلم يمنعه من أن يحصل على ثوابه في الدنيا. أما المؤمن فإنه لا بد أن يخلص لله روحه، وأن ينظف لسانه، وأن يتقي الله في أموره، وأن يقبل على الله بقلبه، فقد جاء في الحديث عن الإمام الصادق (ع) ((إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الإجابة)).

وقد جاء في أحاديث أئمة أهل البيت (ع) عن الذين تستجاب دعوتهم ففي حديث الإمام الصادق (ع) قال: ((ثلاثة دعوتهم مستجابة: الحاج فانظروا كيف تخلفونه - أي في أهله وولده - والغازي في سبيل الله فانظروا كيف تخلفونه والمريض فلا تغيظوه ولا تضجروه)). وورد في حديثه قال: ((كان أبي يقول: خمس دعوات لا يحجب عن الرب تبارك وتعالى: دعوة الإمام المقسط (العدل) ودعوة المظلوم يقول الله عز وجل لا تنتقم لك ولو بعد حين، ودعوة الولد الصالح ودعوة الوالد الصالح لولده ودعوة المؤمن لأخيه بظهر الغيب)).

وقد جاء في حديثهم (ع) كلام حول الذين لا يستجاب دعوتهم فقد روي عن الإمام الصادق (ع) قال: صحبت به بين مكة والمدينة فجاء سائل فأمر أن يعطى ثم جاء مرة أخرى فأمر أن يعطى ثم الثالثة ثم الرابعة، فقال أبو عبد الله (ع) يشبعك الله، ثم التفت إليهما، فقال: ((أما إن عندنا ما نعطيه ولكن أخشى أن نكون أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة: رجل أعطاه الله مالا فأنفقه في غير حقه، ثم قال: اللهم ارزقني فلا يستجاب له، ورجل يدعو على امرأته أن يريحه منها وقد جعل الله عز وجل أمرها إليه، ورجل يدعو على جاره وقد جعل الله عز وجل السبيل إلى أن يتحول عن جواره ويبيع داره)).

وجاء في حديث آخر عنه ﷺ قال: ((أربعة لا تستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته يقول: اللهم أرزقني، فيقال له: ألم آمرك بالطلب، ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فقال له: ألم أجعل أمرها إليك، ورجل كان له مال فأفسده، فيقول: اللهم أرزقني، فيقال له: ألم آمرك بالاقتصاد ألم آمرك بالإصلاح، ثم قال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(٣٧٧) ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقال له: ألم آمرك بالشهادة)). وجاء في الحديث عنه ﷺ قال: ((كان في بني إسرائيل رجل فدعا الله أن يرزقه غلاما ثلاث سنين فلما رأى أن الله لا يجيبه قال: يا رب أبعد أنا منك فلا تسمعني أم قريب أنت مني فلا تجيبني، قال: فأتاه آت في منامه، فقال: أنت تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذيء وقلب عات وغير تقي ونية غير صادقة فأقلع عن بذائك وليتق الله قلبك ولتحسن نيتك، قال الرجل ذلك فولد له غلام)). وهكذا فإن للدعاء شروطه المرتبطة بنظافة القلب والروح واللسان وبالقضايا التي تنسجم مع البرنامج الإلهي في حركة الإنسان في الواقع.

هذا هو بعض ما وسعنا ذكره من الفقه التربوي الذي حفلت به محاضرات وأسئلة الندوة، ولأن صدر هذه المقدمة لا يسع للمحاضرات التربوية فقد آثرت إيراد كشف بها كما أشرت سابقا، واليكم ذلك:

كشف بالمحاضرات التربوية

الندوة (١١-١) (*)

ت	عنوان المحاضرة	المجلد	الصفحات
١	علاقتنا بالله تعالى	المجلد الأول	٤٨-٤٣
٢	مفهوم الاستقامة		٧٢-٦٥
٣	دور القرآن في حياتنا		١٥٥-١٤٧
٤	الأمانة والخيانة		٢٠٤-١٩٥
٥	الاعتصام بحبل الله		٢١٠-٢٠٥
٦	بين اليأس والأمل		٢٣٢-٢٢٧
٧	هدوء العقل في خضم المأساة	-	٢٣-١٥
٨	التقوى العملية		٣٠-٢٦
٩	الأمن الاجتماعى		٣٨-٣١
١٠	الكلمتان: الطيبة والخبيثة		٥٨-٥٣
١١	العزة كمفهوم قرآنى		٨٣-٧٧
١٢	الأمانة والخيانة		٩٣-٨٥
١٣	المسؤولية فى عناوينها المتشعبة		١٠٢-٩٥
١٤	الظلم والظالمون		١١٣-١٠٥
١٥	كيف نفهم سنة الابتلاء		١٢٣-١١٥
١٦	المطلوب حالة طوارئ تقوائية		١٣٤-١٢٥
١٧	وحدة الفكر والعاطفة والحركة		١٤٣-١٣٧

(*) استثنينا في هذا الكشف المحاضرات الخاصة بالسيرة حذر التكرار، وهي في الأعم الأغلب محاضرات تربوية، ولذا نحيل الأخوة الباحثين والدارسين على المجلد رقم (٧) الذي يجدون فيه كشفاً بتلك المحاضرات. (المعد).

١٥٣-١٤٥		خط العدالة في حركة الإنسان	١٨
١٦١-١٥٥		خط القرآن في التناجي	١٩
١٧٥-١٦٣		بين خطي الله والشيطان	٢٠
١٨٣-١٧٧		واقعية الأخلاق الإسلامية	٢١
٢٠٣-١٩٧		مقومات المجتمع الإسلامي	٢٢
٢١٦-٢٠٧		الدنيا والآخرة في الميزان القرآني	٢٣
٢٥١-٢٣٩		ماذا قدمنا للإسلام؟	٢٤
٢٩-١٧		الإعداد للصوم الكبير	٢٥
٣٩-٣١		الإنسان الجديد: التقى النفع	٢٦
٤٨-٤١		الطفليان	٢٧
٧٠-٥١		موقع العقل في حياتنا	٢٨
١١٧-١٠٧		الحج: حضور الله في العقل والقلب والحياة	٢٩
١٦٥-١٥٣		تغيير الواقع على أساس استقامة الخط	٣٠
١٧٨-١٦٧		أسس العلاقة مع الآخر	٣١
٢٠٠-١٩٣		الطريق إلى تطبيق (رسالة الحقوق)	٣٢
٢٥٩-٢٤٩		المسؤولية عن تصحيح المسار	٣٣
٢٩٩-٢٨٩		كيف نخطط للطريق المستقيم؟	٣٤
٣١١-٣٠١		المنهج الإسلامي الأخلاقي: الحسد مثالا	٣٥
٣٢٢-٣١٣		الإسلام في خطوطه الاجتماعية	٣٦
٣٣١-٣٢٣		إنصاف الناس	٣٧
٣٤٣-٣٣٥		الوجه السلبي في العلاقة مع الآخر	٣٨
٢١-٩		الإيمان الحق	٣٩
٣٤-٢٣		الإيمان الصادق	٤٠

٤٦-٣٥	المجلد الرابع	٤١ صفات المؤمن في سورة المؤمن
٥٨-٤٩		٤٢ ولاية الكافرين
٦٧-٥٩		٤٣ الأخوة الإيمانية
٨٠-٦٩		٤٤ ولاية المؤمنين
١٦٥-١٥٧		٤٥ التوافق بين قول المؤمن وفعله
١٨٩-١٧٩		٤٦ المجاملة في الدين
٢٠١-١٩١		٤٧ شهر رمضان شهر الانفتاح على السنة كلّها
٢١١-٢٠٣		٤٨ كيف نعيش السنة في معنى رمضان؟
٢٢٤-٢١٣		٤٩ الفرح الكبير
٢٨١-٢٧٣		٥٠ كيف يصنع الإنسان المسلم نفسه إسلامياً؟
٣٧١-٣٥٩	٥١ النية	
٣٣-١٩	المجلد الخامس	٥٢ حدود العلاقة مع الآخر الكافر
٩٠-٧٧		٥٣ آثار البتّهان
١٤٣-١٣٣		٥٤ اللغو
١٥٨-١٤٥		٥٥ الخاسرون والرابحون
١٨٦-١٧٣		٥٦ المكر والماكرون
١٩٩-١٨٩		٥٧ التخطيط السري للإضرار بالمؤمنين
١٠٥-٩٥		
١١٦-١٠٧	٥٩ التطيّر والتشاؤم	
١٤٤-١٣٣	٦٠ القناعة والطمع	
١٩٩-١٩١	٦١ الموقف من المجالس المريبة	
٢٨٤-٢٧٧	٦٢ الوسائوس الشيطانية	
٣٠٧-٢٩٧	٦٣ دور اللسان في حياتنا	

٣١٨-٣٠٩	المجلد السادس	٦٤	كيف نكافح السباب في علاقتنا؟
٣٣١-٣٢١		٦٥	التوازن بين الخوف والرجاء
٣٤٥-٣٣٣		٦٦	الارتباط بالله في الشدة والرخاء
٣٧٢-٣٦٣		٦٧	احتقار الذنب واستكثار الخير
٣٨٣-٣٧٥		٦٨	مشكلتان: علم بلا عمل وعمل بلا علم
٣٩٦-٣٨٥		٦٩	استعمال العلم
٤٩-٤٣	المجلد السابع	٧٠	مسؤولية الإنسان المسلم عن سلامة دينه
١٤٨-١٣٧		٧١	تدريب الإرادة على تقوى الله
٢٢٥-٢١٥		٧٢	الاعتماد على النفس
٨٨-٧٧	المجلد الثامن	٧٣	كيف نعالج مشكلة الوسوسة؟
١٠١-٩١		٧٤	الصداقة والأصدقاء (١)
١١٦-١٠٣		٧٥	الصداقة والأصدقاء (٢)
١٢٩-١١٩		٧٦	الصداقة والأصدقاء (٣)
١٤٠-١٣٣		٧٧	الجوار (١)
١٤٩-١٤٣		٧٨	الجوار (٢)
١٦٢-١٥٣		٧٩	الجوار (٣)
١٧٤-١٦٥		٨٠	مشكلة العجب (١)
١٨٢-١٧٧		٨١	مشكلة العجب (٢)
١٩٦-١٨٧		٨٢	مشكلة العجب (٣)
٢٠٨-١٩٩		٨٣	مشكلة العجب (٤)
٢٠٧-٢٩٥		٨٤	مشكلة التجسس
٣٢٣-٣١١		٨٥	قيمة شهر رمضان المبارك
٣٣٣-٣٢٥		٨٦	الخير والشر (١)

٣٤٤-٣٣٥		٨٧ الخير والشر (٢)
٣٥٩-٣٤٧		٨٨ الخير والشر (٣)
٤١٢-٤٠١		٨٩ حركة الخلافات فى المجتمع
١٤٨-١٣٩	الاسلام	٩٠ شروط الانتماء إلى الإسلام
١٦٢-١٥١		٩١ المفهوم الأصيل للإيمان
١٧٣-١٦٥		٩٢ من هم المؤمنون؟
١٨٦-١٧٧		٩٣ عناصر الإيمان فى شخصية المؤمن
١٤٦-١٣٥		٩٤ الاعتذار
١٦٠-١٤٩		٩٥ العداوة (١)
١٧٣-١٦٣		٩٦ العداوة (٢)
١٨٤-١٧٥		٩٧ مواجهة الأعداء: تجربة نوح ﷺ
١٩٥-١٨٧		٩٨ مواجهة الأعداء: تجربة إبراهيم ﷺ
٢٠٦-١٩٧		٩٩ مواجهة الأعداء: تجربة موسى ﷺ
٢١٩-٢٠٩	الاسلام	١٠٠ مواجهة الأعداء: تجربة الأنبياء (هود، صالح، لوط، شعيب) ﷺ
٢٣٤-٢٢٥		١٠١ مواجهة الأعداء: تجربة النبی محمد ﷺ
٢٥٠-٢٣٩		١٠٢ مواجهة الأعداء: تجربة النبی محمد ﷺ
٢٦٤-٢٥٣		١٠٣ مواجهة الأعداء: تجربة النبی محمد ﷺ
٢٧٧-٢٦٧		١٠٤ ألوان العداوة
٣١٠-٢٩٧		١٠٥ ظاهرة الغفلة
٣٢٤-٣١٣		١٠٦ ظاهرة البطالة
٣٤١-٣٢٩		١٠٧ الرياء (١) أثره على التوحيد
٣٥٥-٣٤٥		١٠٨ الرياء (٢) أثره على السلوك الإيماني

١٥٧-١٩٢	الجلد الحادي عشر	١٠٩ مفهوم الفرح في القرآن
١٩٣-٢٩٢		١١٠ مفهوم الحزن في القرآن
٢٩٣-٣٣٦		١١١ الولاية لغير الله
٣٣٧-٣٤٨		١١٢ ولاية الله وولاية الشيطان (١)
٣٤٩-٣٥٧		١١٣ أولياء الله وأولياء الشيطان
٣٥٩-٣٩٦		١١٤ ولاية الله وولاية الشيطان (٢)
٣٩٧-٤٥٢		١١٥ ولاية الشيطان
٤٥٣-٤٦٢		١١٦ هل اليانصيب من القمار
٤٦٣-٤٧٢		١١٧ المنهج الإسلامي في بناء الإنسان
٤٨٥-٤٩٤		١١٨ دور الشيطان في إضلال الناس

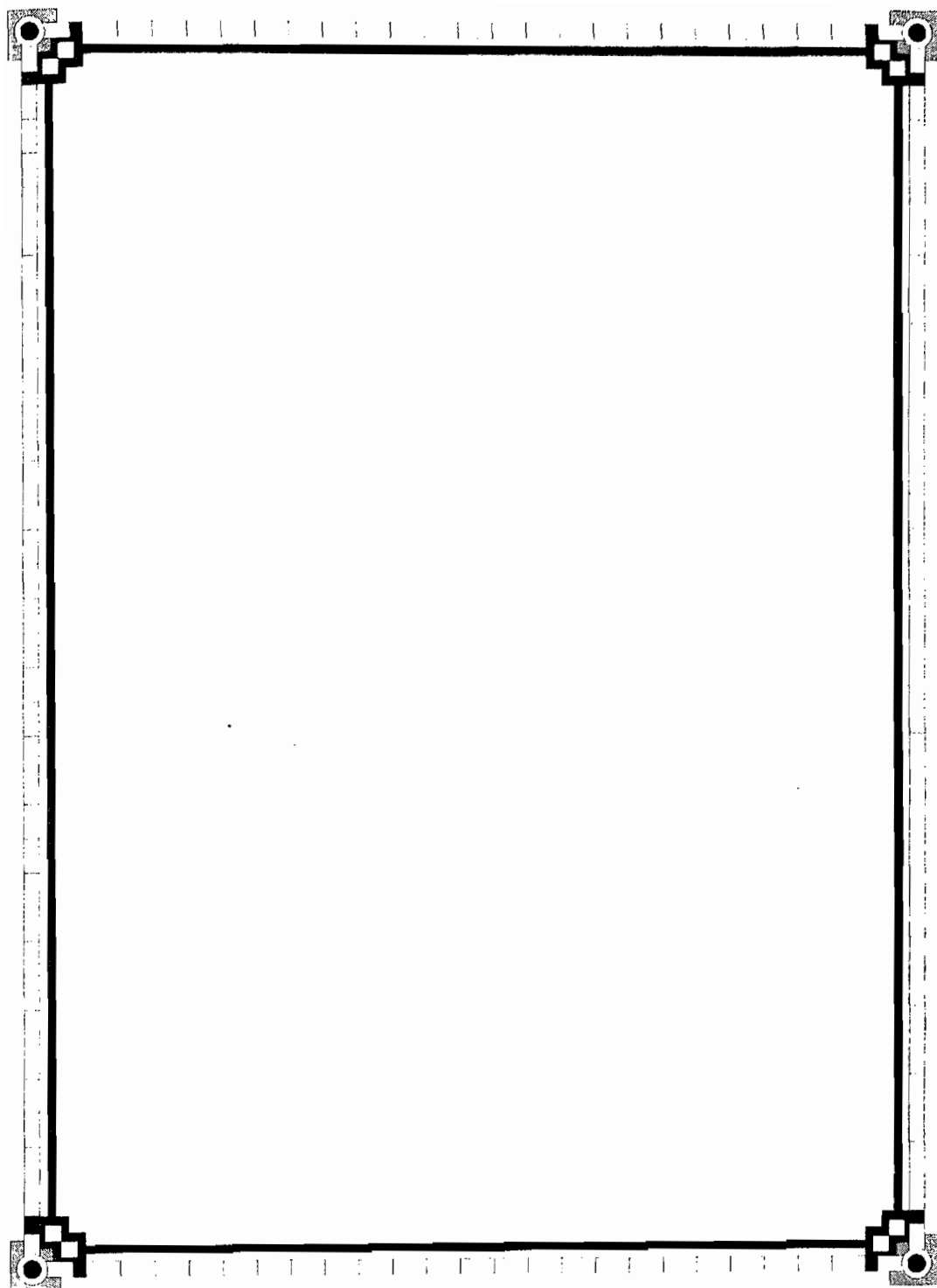
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عادل القاضي

١٠ محرم الحرام ١٤٢٤ هـ

١٤ آذار ٢٠٠٣ م

باب المحاضرات



السيدة الزهراء .. السيدة زينب

○ الحديث عن هاتين

الشخصيتين هو الحديث عن

المرأة المسلمة المتجسدة في كل

فضائل وقيم الإنسان المسلم

وفي خطوط النظرة الإسلامية

للمرأة المسلمة ○

➤ في رحاب الزهراء

➤ البيت الأول.

➤ دروس من حياة الزوجين.

➤ آلامها الخاصة والعامة.

➤ الحياة المثالية.

➤ الامتداد الزينبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في هذه الأيام التي نتنفس فيها أجواء التاريخ، التاريخ الذي يعطينا الفكرة والقيمة والعبرة في ما نقدسه، ولا سيما بما يرتبط بالنظرة الإسلامية للمرأة المسلمة العظيمة القدوة. فنحن الآن في هذه الأيام نعيش ذكرى السيدة المعصومة السيدة الزهراء عليها السلام، وابنتها السيدة زينب عليها السلام. والحديث عن هاتين الشخصيتين هو الحديث عن المرأة المسلمة المتجسدة في كل فضائل وقيم الإنسان المسلم وفي خطوط النظرة الإسلامية للمرأة المسلمة.

في رحاب الزهراء عليها السلام:

فنحن عندما ندرس شخصية الزهراء عليها السلام، فإننا نجد أنها شخصية ذات أبعاد متنوعة قد تصل بحسب الميزان البشري إلى ما يشبه المعجزة الحركية الإنسانية. فالزهراء عليها السلام في المشهور من الروايات بلغت الثماني عشرة في كل هذا العمر المبارك، وفي بعض الروايات لم تتعد ثمان وعشرين سنة، ولكننا عندما ندرسها في شخصيتها الإنسانية المتحركة على الأرض ماذا نرى؟

نراها في طفولتها الأولى، التي ربما كانت لا تتجاوز السنوات الخمس، وهي تستقبل أباه رسول الله ﷺ وهو يحمل على ظهره ما ألقاه عليه المشركون من الأوساخ وما إلى ذلك، فكانت - كما تقول السيرة - تستقبله بالبكاء، وتغسل عنه ذلك، كأنها كانت وهي في سن الطفولة الأولى تعبر له بأنها تعي معاناته وتتفاعل معه وتشاركه في أحزانه التي لم تكن أحزان الذات، ولكنها كانت أحزان الرسالة، لأن رسول الله ﷺ لم يكن ليعيش في حركته الرسالية - أمام ما يواجهه من عنت واضطهاد واتهام بالسوء - حزنه الذاتي. كانت الرسالة كُـلَّ شخصيته وكانت

التجسيد له، ولذلك يخاطبه الله في أكثر من آية بقوله ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾^(١). كان يحب الناس، ولذلك كان يقلقه أن لا يفتح الناس على الحق وأن لا يفهموا الرسالة، وعاشت الزهراء ؑ معه هذه الروحية، لأنها كانت تتعلم منه في كل يوم بما لا يتعلمه غيرها، لأنها كانت تملك عقلاً مفتوحاً وقلباً واعياً وانفتاحاً على الرسالة، وكانت بعد فقد رسول الله ﷺ لأمرها خديجة، هذه الإنسانية العظيمة التي أعطت رسول الله ﷺ بما لا تعطيه زوجة لزوج، لأن علاقتها به لم تكن مسألة زوجة تخلص لزوجها، ولكنها كانت مسلمة تخلص لنبي الإسلام، ولذلك عاشت معه الرسالة منذ أن بدأت الرسالة.

وكان علي ؑ يُحدِّث عن أول بيت في الإسلام، ذلك البيت الذي كان لا يضم إلا رسول الله ﷺ وخديجة وكنت ثالثهما، والكلام لعلي ؑ. وكانا مع رسول الله ﷺ يقيمان أول جماعة في الإسلام، عندما كان الرسول ﷺ يذهب إلى المسجد الحرام ويصلي وكان علي ؑ إلى جانبه، وكانت خديجة ؑ خلفهما، حتى حانت من أبي طالب ؑ، هذا الإنسان الذي أخلص لرسول الله ﷺ بعدما آمن به كما لم يخلص أحدٌ لأحد، فالتفت إلى ولده جعفر ليضمه إلى المسيرة الإسلامية العبادية قائلاً له: ((يا بني، صل جناح ابن عمك))^(٢). أي كن على جناحه الآخر عندما يكون علي ؑ على جناحه الأول.

وعندما فقد رسول الله ﷺ عمه أبا طالب وزوجته أم المؤمنين خديجة، تولت فاطمة الزهراء ؑ رعاية رسول الله ﷺ الذي كان قد فقد حنان الأمومة في طفولته الأولى. ونحن نعرف كيف تكون الحالة الشعورية لدى الطفل اليتيم عندما يفقد حنان الأبوة من جهة وحنان الأمومة من جهة أخرى، كان يتطلع إلى أن يعيش الحاجة والشوق إلى حنان الأمومة، لا من نقص فيه، ولكن لأنه بشر، وللبشر حاجته للحنان كما هي حاجته للغذاء، وعطشه للعاطفة كما هو عطشه

(١) فاطر: ٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٨٠، ب ٢١، ح ١٠.

للماء . فكانت الزهراء ﷺ بكل قلبها المفتوح لينابيع الحنان المتدفقة من تلك النفس الطاهرة، أم أبيها وهي أول كنية أعطاها لابنته التي هي أمه بالروح . ونحن نعرف إichاءات هذه الكلمة، كلمة (أم أبيها)، وكأنّ النبي ﷺ يقول إن ابنتي هذه أعطتني كل عاطفة الأمومة، فكأنني أشعر أن أمي بعثت من جديد في ابنتي وعشت . والكلام لرسول الله ﷺ . معها هذا الحنان الأمومي الذي له نكهة خاصة في نفس الطفل . عاش حنان الأمومة وهو كهل، لأنه بات يتذكر طفولته من خلال أمومة ابنته .

ثم أتينا لو درسنا الزهراء ﷺ في طفولتها الأولى مع رسول الله ﷺ ودرسنا علياً ﷺ في طفولته الأولى التي كانت تقترب من الشباب مع رسول الله، لرأينا أن علياً وفاطمة ﷺ كانا أول تلميذين في القسم الداخلي . كما نعبّر في هذه الأيام . أي في بيت رسول الله ﷺ . ولقد أعطاهما رسول الله ﷺ عقلاً من عقله وروحاً من روحه وطهراً من طهره وعصمة من عصمته، حتى كانت الزهراء علياً، وكان علي الزهراء، في الوعي والانفتاح وفي الإخلاص لله ولرسوله . ولذلك عندما خطبها القوم، وهم من أجلة الصحابة في المعنى الرسمي للجلالة الاجتماعية، رفض ذلك، وكان ينتظر علياً أن يطلبها، وكان علي ﷺ يعيش حياء الشباب الذي يشعر بحبه للزهراء في طهر الحب، وانطلق ليخطبها وانفجرت أسارير رسول الله ﷺ، وقال كلمته: ((لو لم يكن علي لما كان لفاطمة كفؤ))^(١) . فهل هي قصة النسب؟ كم للنبي ﷺ من أبناء عم؟ إنهم كثيرون! إن المسألة هي أن رسول الله ﷺ كان يعرف عقل فاطمة وروحها ووعيها وانفتاحها وعبادتها وإخلاصها لربها، وكان يعرف علياً في ذلك، ولهذا كانت الكفاءة في عناصر الشخصية التي اندمج بعضها مع بعض .

البيت الأول:

وهكذا التحق بيت جديد في بيت رسول الله ﷺ، وهو بيت علي وفاطمة ؑ، وكان رسول الله ﷺ يعتبر هذا البيت هو البيت الأول، ولرسول الله ﷺ عدة بيوت بعدد زوجاته، فلماذا كان بيت علي وفاطمة هو البيت الأول؟ والإنسان عادة كبشر عندما يكون له عدة زوجات، فإن الإنسان يسكن إلى زوجاته أكثر مما يسكن إلى أولاده في بيوتهم، غير أن رسول الله ﷺ كان يجد الإسلام كله في بيت علي وفاطمة ؑ، فكان يتنفس الروحانية من روحانيتها، وكان يفتح عليهما، فأعطاهما علماً من علمه. وقد قال علي ؑ: ((علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم فُتِح لي من كل باب ألف باب))^(١). لم يكن علي يحفظ العلم، ولكنه كان ينتجه ويطوره ويفتح على آفاق جديدة وابتكارات جديدة، وهكذا كانت فاطمة ؑ، وفي بعض سيرتها كما جاء عن السيد محسن الأمين ؑ أنها فقدت أوراقاً كتبت فيها ما لديها من علم، وقالت لخادمتها (فضة) ابحثي عنها فإنها تعدل عندي حسناً وحسيناً، وهي تعرف قيمة الحسن والحسين ؑ، لكنها كانت تمثل في كلمتها هذه تقديرها للعلم، ولا سيما إذا كان العلم علم رسول الله، لأنه علم الإسلام، ولهذا ينقل المؤرخون أن رسول الله ﷺ إذا سافر، كان آخر الناس عهداً به السيدة الزهراء ؑ، وإذا قدم من السفر كان أول الناس عهداً به السيدة الزهراء ؑ، لأنها كانت بيته الأول.

ويقال كما ورد في تاريخ السيرة أنه جاء من سفره يوماً وتختلف الرواية في ذلك. فرأى ستارا جديدا أهداه علي ؑ لفاطمة ؑ مما غنمه من الحرب، أو رأى عليها قلادة أهداها لها علي ؑ باختلاف الروايات، فعندما أبصر ذلك، رجع من حيث أتى، وفكرت السيدة الزهراء ؑ وهي تعرف كل مشاعر رسول الله ﷺ وكل انطلاقاته، فكرت أنه لا بد من حصول شيء أثقل قلب رسول الله ﷺ، وكانت تعلم

(١) أصول الكافي. ج ١. ٢٣٩. ح ١.

أنه لم يحصل أي تغيير في البيت سوى القلادة، فحملت ذلك وقالت لولديها الحسن والحسين ﷺ احملا هذا إلى أبي وقولا له إن ابنتك الزهراء تهديك السلام وتقول ((ما أحدثنا بعدك غير هذا، فافعل به ما شئت))، وجاءا يدرجان في طفولتهما إلى النبي ﷺ في المسجد وهو على المنبر وبلغاه الرسالة وسلّماه ما أرسلاه به، فهزّت هذه الأريحية رسول الله ﷺ وقال - كما تقول الرواية - ((فداها أبوها، فداها أبوها فداها أبوها ما لآل محمد وللدنيا، إنهم خلّقوا للأخرة))^(١).

إنه يعرف أن ابنته في مستوى العصمة الكبير، وأنها لا يمكن أن تتخذ ما لا يرضاه الله، ولكنه أراد لبيته أن يكون أقل بيت من بيوت المسلمين وإن كان يجوز لهم ذلك، ولكن كما قال علي ﷺ عندما قال له ذلك الرجل الذي وبّخه الإمام ﷺ كيف لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا: ((يا عديّ نفسك، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك، أترى الله أحلّ لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها! أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك! قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعة الناس كيلا يتبغ في الفقير فقره))^(٢). تلك هي المسألة، وهكذا رأينا كيف كان رسول الله ﷺ يؤكد هذه العلاقة مع الزهراء. كان يُنقل في إظهاره لهذه الرعاية والتقدير، أن الزهراء ﷺ إذا جاءت إليه قام ورحب بها وأجلسها مكانه.

دروس من حياة الزوجين:

وكان ﷺ يريد أن يعبر للناس أن الزهراء ﷺ ليست مجرد ابنة كبقية البنات عند الأب، ولكنها كانت تتميز بشخصية ليس هناك من يماثلها، وهكذا رأينا كيف أن النبي ﷺ كان يرعى روح الزهراء وروح علي ﷺ عندما يعيشان الفقر كأقصى ما

(١) بحار الأنوار. ج ٤٣. ص ٨٦. ب ٤٠. ح ٨٠.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٠. ص ٣٣٦. ب ٩٨. ح ١٩٠.

يكون الفقر، فكانت الزهراء عليها السلام تعيش أصعب ما تعيشه امرأة في بيتها، فهي التي كانت ترعى البيت كله، وترعى أولادها، وهي التي رفضت أن تطلب من أبيها خادماً، فدعاها علي عليه السلام للذهاب إليه. فامتعت، فدعاها إلى أن يذهب معها وبدأ يحدثه عن متاعب الزهراء عليها السلام أنها طحنت بالرحى حتى أثّر في يديها وكسحت البيت حتى اغبرّت ثيابها.. فهل تُهيئ لنا خادماً أو ما أشبه.. فقال لهما النبي صلى الله عليه وآله ((إلا أعلمكما شيئاً خيراً لكمما من الخادم! إذا أخذتما منامكما فكبراً الله أربعاً وثلاثين مرة، واحمداً الله ثلاثاً وثلاثين مرة، وسبّحاً الله ثلاثاً وثلاثين مرة، قالوا رضيانا عن الله وعن رسوله))^(١). وخَلَدَ الله آلام الزهراء بتسبيح الزهراء عليها السلام. فنحن نذكرها كلما صلينا وسبحنا الله، ونحن نذكرها كلما أخذنا منامنا. وهكذا عاشا هذه الراحة والسعادة الروحية أمام كل ذلك الشقاء والعناء الجسدي.

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله على موعد مع جبرائيل ومع الله في أهل بيته، وذهب إلى بيت أم سلمة ودعا علياً وفاطمة والحسن والحسين، وألقى الكساء عليهم وعليه، ونزلت الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) وعندما ((قالت أم سلمة: هل أنا من أهل البيت؟ قال: إنك على خير))^(٣) ولكن أهل البيت هم هؤلاء، كرّد علي من يقول إنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله. وهكذا أكّدت هذه الآية الطهر الروحي الذي يمثل العصمة، فليس في هؤلاء الخمسة، أي شائبة في الفكر، فكل الفكر فكل طاهر بالحق، وليس هناك أي قذارة في القلب، فالقلب طاهر بالانفتاح على الله لا يحمل إلا المحبة، وهكذا في كل الأفعال والأقوال. وانطلقت عصمة الزهراء من خلال ذلك، وهي من أهل البيت عليهم السلام، وتأكد ذلك من كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أنت سيدة نساء أهل الجنة أو

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ١. ص ٣٢١. ح ٩٤٧.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) أصول الكافي: ج ١. ص ٢٨٧. ح ١.

سيدة نساء العالمين^(١) بحسب اختلاف الروايات، وهل تكون سيدة نساء أهل الجنة إلا في المستوى الكبير من العصمة؟ ونحن نعرف من في الجنة من النساء الكبيرات كمريم بنت عمران ﷺ وآسيا بنت مزاحم وامرأة فرعون وغيرهن من الصالحات، كما أن حياتها في دراستها لها منذ ولدت إلى أن لاقت وجه ربها، جسدت العصمة كلها، لم يعرف لها، كما لم يعرف لعلي ﷺ، خطأ في رأي ولا كذبة في قول، وهي إلى جانب ذلك ورغم كل تلك المعاناة والآلام، كانت تجمع نساء المهاجرين والأنصار لتعطيهم دروس الإسلام، فلم يكن بيتها ليستغرقها، بل كانت تجد وقتا للدعوة الإسلامية وللترقية الإسلامية.

وهكذا عاشت مع رسول الله ﷺ، حتى إذا دنت الوفاة جاءت إليه وضمها إلى صدره فبكت، وضمها إلى صدره ثانية فضحكت، وسئلت ((ما اقرب الضحك من البكاء، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله في حياته))^(٢). وتحدثت بعد ذلك كما تقول كتب السيرة، ((عندما ضمني إليه في المرة الأولى نعى إلي نفسه، وعندما ضمني إليه ثانية قال لي: إني أول أهل بيته لحوقا به)).

ولعل هذا هو الذي يعطينا فكرة عن عمق علاقة الزهراء ﷺ برسول الله ﷺ. تصوروا شابة في مقتبل الشباب، أما لابنين من أطيب الأبناء، وزوجة لرجل من أعظم الأزواج، ويقول لها أبوها إنها لن تستمر بالحياة طويلا وتفرح!! إن هذا بحسب المقاييس العاطفية ليس طبيعيا عندما يفكر الإنسان في ذاتيته. ونستوحي من ذلك أن علاقة الحب بين الزهراء ﷺ وبين رسول الله ﷺ كانت الزهراء ﷺ تعيش من خلالها الفرح الروحي عندما تشعر أنها سوف تلتقي به بعد فراقه في أول الأزمنة قريبا من ذلك. هذا إحياء بالعلاقة الروحية بينها وبين رسول الله ﷺ، وقد أوصاها رسول الله ﷺ كما تقول كتب التفسير: ((أنه إذا مات فعليها ألا تخمش عليه وجهها ولا تضرب عليه صدرا ولا تدعو بالويل والثبور))، بل تحزن عليه حزنا

(١) التهذيب. ج ٦. ص ٥٧. ب ١٦.

(٢) بحار الأنوار. ج ٤٣. ص ٥١. ح ٤٨. ب ٣.

طبيعياً، كما كان يقول عندما فقد ولده إبراهيم: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما لا يرضي الله))^(١). وكان حزنها حزناً إسلامياً لا جزع فيه، بل كانت تأخذ أولادها إلى قبر رسول الله ﷺ وتذكرهم بآثاره، هنا كان رسول الله يفعل كذا.. هنا كان يصلي.. هنا يخطب.. وهكذا، فقد كانت تستعيد رسول الله في حزنها وتحاول أن توحى لمن حولها بذلك.

آلامها الخاصة والعامة:

ثم عاشت الزهراء ﷺ آلاماً خاصة وآلاماً عامة. أما الخاصة، فهي ما فعله القوم بها بغصب (فدك)، أو التهديد بإحراق بيتها، وهناك أحاديث قد يختلف فيها العلماء لما حدث، ولكن ليست المسألة هي هذه أو ذلك، بل هي أن اهتمامات الزهراء ﷺ، بالرغم من كل آلامها كانت اهتمامات بالآلام العامة. ولو قرأنا خطبة الزهراء ﷺ، وهي أول امرأة مسلمة تقوم وتخطب خطبة هي أقرب للمحاضرة من خطبة الإثارة، لرأينا أنها تتحدث عن كل فلسفة التشريع، وعن كل الواقع التاريخي للجاهلية، وعن التطور الإيجابي الذي حصل من خلال رسالة رسول الله ﷺ، ثم تدخل في جدل قرآني فقهي مع الخليفة الأول الذي أعلن أنه روى عن رسول الله ﷺ: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)) جادلته بالقرآن وتحدثت عن علي ﷺ وأثارت القوم، ثم بعد ذلك عندما جاءت نساء المهاجرين والأنصار، كان كل حديثها عن علي ﷺ، لأنها كانت تعتقد أن قضية الإسلام هي قضيتها، لأنها تدافع عن إمامها وإمام المسلمين، وكانت تنظر إلى مستقبل الإسلام من خلال قيادة علي ﷺ للمسيرة الإسلامية، لأنها كانت تعرف أن الإسلام ليس بحاجة إلى إداري فقط يدبر أمور الناس، ولكنه كان بالإضافة إلى ذلك بحاجة إلى خليفة رسالي، لأن الإسلام بحاجة إلى من يكمل رسالة رسول الله ﷺ في الجانب التنفيذي، لأنه ﷺ لم يكمل مهمته التربوية والتنفيذية في

الواقع الإسلامي، ولذلك لم يكن في المسلمين من يملك الثقافة الإدارية على مختلف مستوياتها بمستوى علي^{عليه السلام}. وهذا ما نقرأه في عهده لما لك الأشر، والثقافة الإسلامية الواسعة في جميع مجالات الإسلام، ولم يكن هناك أحد يملك كل علم رسول الله إلا علي، ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(١) وكل الحق معه ((علي مع الحق والحق مع علي))^(٢)، ولهذا كانت الزهراء مشغولة عن كل آلامها بالآم الأمة، وتلك هي عظمة الزهراء^{عليها السلام}.

وعندما جاءها رجال المهاجرين والأنصار بعد أن نقلت النساء كلامها السلبي ضدهم، وبختهم من جديد. وعندما التقت الشيخين، قالت لأحدهما: ((لأدعون عليك في كل صلاة))^(٣)، كما ذكرتهما بحديث رسول الله^{صلى الله عليه وآله}: ((فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني))^(٤) ثم أكدت أنهما أغضبها، وكانت قمة احتجاجها أنها قالت لعلي^{عليه السلام}: ((ادفني ليلاً))، حتى يعرف الناس الذي حصل، فيتذكرون كل ما كان من خلاف أدى إلى ذلك.

الحياة المثالية:

أيها الأحبة، عندما نتحدث عن الآفاق الإنسانية للزهراء^{عليها السلام}، فإننا ننطلق من رواية رواها ولدها الحسن^{عليه السلام} يقول فيها: ((كانت أُمِّي فاطمة تقوم الليل حتى تتورم قدمها، وكانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات في صلاتها، وقلت لها: يا أماء إنك بحاجة للدعاء، لم لا تدعين لنفسك، قالت: يا بني الجارثم الدار))^(٥) هكذا هم أصحاب الرسالات، قوم يفكرون بالآخرين قبل أن يفكروا بأنفسهم، ويدعون للناس قبل الدعاء لأنفسهم، لأن ذلك هو الروح الرسالي الذي يحمله أصحاب

(١) بحار الأنوار. ج ١٠. ص ١٤٥. ح ١٠. ب ١٠.

(٢) أصول الكافي. ج ١. ص ٢٩٤. ح ٣.

(٣) بحار الأنوار. ج ٢٨. ص ٣٥٨. ح ٦٩. ب ٤.

(٤) بحار الأنوار. ج ٢١. ص ٢٧٩. ب ٣٢.

(٥) بحار الأنوار. ج ٤٣. ص ٨١. ح ٣. ب ٤.

الرسالات، الذين لا يستغرقون في ذواتهم، فيعتبرون أنهم إذا أصابتهم مصيبة فهي مصيبة العالم، بل يحدقون بمصائب الناس وبآلامهم وبقضاياهم وبالتحديات التي تصيبهم ليدعوا الله لكل هؤلاء. وقد خلد القرآن الكريم هذه الروح - روح أهل البيت (عليه السلام) - التي تعطي لله: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾. إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا^(١) نطعمكم الغذاء، ونطعمكم العلم، ونطعمكم الروحانية، ونطعمكم صرخات الجهاد، ونطعمكم كل القيم الروحية والإنسانية. وهكذا كانت مهمة أهل البيت (عليه السلام).

أيها الأحبة، أمام التحديات التي تواجه المرأة المسلمة، وأمام النظرة السلبية لموقف الإسلام من المرأة، علينا أن نقدّم السيدة الزهراء (عليها السلام) النموذج الأعلى للمرأة، المرأة التي فكرها فكر الحق، وروحها روح الحق، وكلماتها كلمات الحق، وحركتها حركة الحق، لأنها المرأة التي تعيش أفق الإنسان كله والإسلام كله، والتي تتمرد على كل آلامها الجسدية من خلال الانفتاح على آلام الأمة.

إننا نحتاج إلى أن تتطلق المرأة المسلمة من أجل أن تكون الزهراء في روحيتها، والزهراء في ثقافتها، والزهراء في حركيتها، والزهراء في إنكار ذاتها، والزهراء في التفكير في الأفق الواسع في قضية الإنسان عندما يحمل الرسالة للعالم. إن الله جعل المرأة والرجل سواء في حمل الرسالة ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)، والمعروف هو كل ما يرفع مستوى الإنسان مما يرضاه الله، والمنكر كل ما يحط مستوى الإنسان مما لا يرضاه الله، ولذلك فالإسلام في الوقت الذي يؤكد فيه على قدسية الأمومة وقدسية البيت للمرأة، لا يحصر المرأة في داخل البيت، ولكنه يريد أن تحتفظ بالخط الإسلامي الأخلاقي كما يريد ذلك للرجل، لأن الأخلاق ليست ضريبة على المرأة دون الرجل، بل هو يريد أن تأخذ بكل مسؤوليات الحياة بما

(١) الإنسان: ٨-٩.

(٢) التوبة: ٧١.

ينسجم مع إمكاناتها ومع طبيعتها ومع ظروفها، لأنها تمثل الإنسان القدوة في ذلك كله.

الامتداد الزينبي

وعلينا - أيها الأحبة - أن لا نحصر الزهراء عليها السلام في دائرة المأساة، ولكن علينا أن نطلق مسيرتها، كما كانت هذه السيرة في الهواء الطلق وفي الصحو المبدع، لتكون الإنسان التي توحى وتوجه وتعطي في كل زمان ومكان. والزهراء عاشت في زينب عليها السلام. فزينب عليها السلام بالرغم من أننا حصرناها في الدائرة البكائية، فإننا من خلال ما ندرسه من مسيرتها في كربلاء، وبالرغم من أن التاريخ لم يحدثنا عن سيرتها قبل كربلاء وعن سيرتها بعد كربلاء تفصيلاً، ولكنها كانت القائد في غياب القائد، وكانت الصابرة كأعمق وأرحب ما يكون الصبر، وكانت البطلة أمام المأساة، وهي القائلة: ((اللهم تقبل منا هذا القربان)) فأى أخت تعيش هذه المأساة التي تمثلت في كل هذه الوحشية الأموية في حصد الأطفال والشيوخ والشباب وبعض النساء وهي لا تتوجه إلا إلى الله، وهي ترى أن المسألة ليست مصيبة شخصية في داخل الذات، وإنما هي جهاد في سبيل الله. وإذا تمثل كل هؤلاء الصفوة الطيبة وإمامهم الحسين عليه السلام، لتعتبر أن أخاها قربان تقدمه إلى الله من أجل الإسلام، ومن أجل إصلاح أمة جده، ولإبقاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خطأ للإنسان كله، وليكون الإنسان المسلم عزيزاً أمام كل التحديات لأن الحسين عليه السلام أعطى هذا الشعار: ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد))^(١) ليرفعه أمام التحديات الكبرى، أمام تحديات الطواغيت السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ليثبت الإنسان المسلم فيكون العزيز الذي لا ينتقص أحد من عزته، كما لا ينتقص أحد من دينه، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: ((المؤمن أعز من الجبل، إن الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه

شيء))^(١)، وقال في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، ((إن الله فوّض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً))^(٣)، لست حراً أن تذلل نفسك، وهذه القاعدة تنطلق من صلب الإسلام، والتي كان الحسين ﷺ يلمّح إليها عندما قال: ((ألا وأنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة الذّلة وهيهات منّا الذّلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون))^(٤) لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

لقد عاشت زينب ﷺ كل فكر الحسين ﷺ وكل روحيته، ولهذا كانت الصابرة في كربلاء، بحيث لم يسمع منها حالة بكائية إلا في بعض القضايا التي كانت تريد أن تحتوي آلام الحسين ﷺ في علي الأكبر ﷺ، وما عدا ذلك كانت في أقصى الحالات الصامدة كصمود الحسين ﷺ، وقد تجلّى ذلك في عدة مواقف، حيث استطاعت أن تقف بكل عنفوان وبكل شموخ أمام ابن زياد عندما قالت له: ((إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا، ثكلتك أمك يا بن مرجانة))^(٥) وعندما وقفت أمام أهل الكوفة وأنبّتهم بكل عنفوان المرأة المسلمة البطلة القوية التي تنظر إلى كل هؤلاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وعندما وقفت أمام يزيد وتحديث معه بأسلوب من أروع الأساليب التي مزجت فيها القوة بالعاطفة، وقالت له: ((فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيناً))^(٦).

ولذلك فنحن نقول لكل النساء المسلمات إن عليهن أن ينطلقن من هذه الشجاعة البطولية لفاطمة الزهراء ﷺ وللسيدة زينب ﷺ، ونقول لكل أتباع أهل

(١) التهذيب، ج ٦، ص ١٧٩، ح ١٦٦، ب ٢٢.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) التهذيب، ج ٦، ص ١٧٩، ح ١٦٦، ب ٢٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨٣، ح ١٠، ب ٣٧.

(٥) نفسه، ص ١١٥، ح ١، ب ٣٩.

(٦) نفسه، ص ١٣٥.

البيت ﷺ ادرسوا الزهراء ﷺ في حجم قضية المرأة في العالم، وادرسوا زينب ﷺ في حجم قضية المرأة في العالم، فلا تحصروهما في دائرة المسألة، حتى لا تضيع الزهراء ﷺ عن وجداننا الثقافي والروحي والسياسي، وتضيع زينب ﷺ في غمرة ذلك.

أيها الأحبة، إننا نواجه مرحلة من أصعب المراحل في كل التاريخ الإسلامي، حيث برز الاستكبار كله إلى الاستضعاف كله، وبرز الكفر كله إلى الإسلام كله. نحن بحاجة إليك يا سيدة النساء أن تشرفي علينا لتعطينا روحاً من روحك، وقوة من قوتك، وإخلاصاً من إخلاصك، وبطولة من حركتك. ونحن بحاجة إليك يا بطلة كربلاء. إننا بحاجة إلى بطولات المرأة المسلمة، وأنت القدوة في البطولة، كما أنت القدوة في الوعي، وأنت القدوة في كل ما تنفتحين به على الله.

إن ذكرى الزهراء ﷺ وذكرى الحوراء ﷺ يمكن أن يكسبانا الشعور بالعرفوان، لأن عندنا امرأة عظيمة كفاطمة ﷺ ليس هناك مثلها في العظمة، وعندنا امرأة عظيمة مثل ابنتها بطلة كربلاء. فسلام عليهما يوم ولدتا ويوم التقتا بالله في رحابه، ويوم تبعثان في الآخرة لتكونا المثل الأعلى هناك. والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الفرح في القرآن (١) الجانب الإيجابي

○ أي فرح أعظم من أن
نعيش في حضارة الرضوان
الإلهي .. هذا هو الفرح الذي
يتعمق في الذات ويحلّق بها في
الأعالي ○

☞ القرآن شفاء الصدور.

☞ قاعدة الفرح.

☞ المصير المشترك.

☞ الانتصار المشترك.

☞ الفرح بالهدى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.
لا نزال مع العنوان القرآني الذي خاطب الله به رسوله ﷺ بعنوان (قُلْ).

القرآن شفاء الصدور

يقول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ❖ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^(١)). إن الله سبحانه وتعالى بعد أن بيّن للناس ما تنفتح به عقولهم وقلوبهم على القرآن الكريم الذي يتضمن الموعظة والشعور بالمسؤولية التي يركزها وعي الإنسان بربه ووعيه لمصيره في آخرته، يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن إحدى خصوصيات القرآن الكريم، وهو أنه شفاء لما في الصدور، وكلمة (الصدر) كناية عن العقل، باعتباره مركز الصدارة في شخصية الإنسان، لأنه يفتح الإنسان على آفاق الحياة من خلال الفكر، وآفاق الفكر من خلال التجربة، وهو الذي يقوم للإنسان كل قضاياه وأوضاعه، فكأن العقل هو في موضع الصدر في الإنسان. وعلى هذا، فإنه سبحانه وتعالى يقول للناس إنكم إذا قرأتم القرآن قراءة وعي وتدبر وانفتاح، فإن القرآن يستطيع أن يزيل كل الأمراض التي يمكن أن تحيط بالناس، وكل علامات الاستفهام التي يمكن أن تتحول إلى عقدة لديهم، لذلك فإن القرآن الكريم يعالج المرض الفكري والروحي والإنساني الذي يتصل بالجانب الذهني والتصوري للإنسان.

وإذا قرأتم القرآن، فإنكم تتحركون في خط الهدى، لأنه نور (قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ

اللَّهُ نُورٌ^(١). ومن الطبيعي أن النور عندما ينفتح على كل ساحات الإنسان في حركته، فإنه لا يدع هناك أي غموض في الطريق الذي يحاول أن يسير عليه نحو هدفه «وَرَحْمَةً» يرحم الله بها عقل الإنسان وقلبه وشعوره وحياته، وقد خص الله المؤمنين بالقرآن، لأنهم هم الذين يتدبرون آياته، وهم الذين يهتدون به ويقتدون به ويجعلونه البرنامج الذي يحكم حياتهم.

قاعدة الفرح:

وهنا يريد الله سبحانه وتعالى للإنسان أن ينفتح على ذلك كله، وأن يؤكد له قاعدة الفرح في ما ينبغي للإنسان أن يفرح به، بحيث يعيش الفرح في عقله وفي قلبه، ويعيش فرح الحركية في حياته، وذلك إلى حدٍّ يشعر معه بالسعادة التي تربطه بالآفاق التي تخلق به نحو الله ونحو المصير النهائي لوجوده «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» فهل تريد أن تفرح؟ ربما تفرح بمال تجمععه، وربما تفرح بشهوة تستهلكها، وربما تفرح بجاء يحيط بك، أو ربما تفرح بلذة تستنزفها، ولكن ذلك كله يبقى في السطح ولا يهز كل وجودك، لأن المال تفارقه ويفارقك، والشهوة واللذة هي إحساس اللحظة، والجاه وهمٌ تتصور فيه لنفسك أنه يجدرٌ وجودك، ولكنك تشعر بالفرح وتعيشه عندما يأتيك الفضل من الله عقلاً وروحاً وانفتاحاً على كل سماوات الروح، وعلى آفاق الله، وعلى كل هذا الذوبان في المطلق، وعلى كل هذا الرضوان من الله والرحمة... وأي فرح أعظم من أن تعيش في حضانة الرضوان الإلهي؟ وأي فرح أعظم من أن تشعر بأن الله يحبك ويرضى عنك وأنت في رحمته ولطفه؟ «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ»^(٢) هذا هو الفرح الذي يتعمق في الذات ويخلق بها إلى الأعلى.

(١) المائدة: ١٥.

(٢) يونس: ٥٨.

ونقرأ في آية أخرى مسألة الفرح الإيجابي، وذلك في ما يتصل بانتصار المسلمين في مواجهة كل التحديات في ساحات الصراع، وفي الأفق الذي ينفتح فيه المسلمون - بدون عقدة - على الأديان الأخرى التي يختلفون معها في كثير من الخطوط والمفردات، وبذلك يكون الفرح هو فرح انتصار الخط الرسالي والمجتمع الرسالي، بقطع النظر عن أية سلبية هنا وسلبية هناك. يقول الله تعالى: ﴿الْمُذَلَّلِينَ لِلرُّومِ﴾ والروم كانت الدولة التي تحكم النصارى عندما تغلب الفرس عليهم، وكان الفرس حلفاء المشركين، وكانوا يعبدون النار، بينما الروم يتبعون ولو بالعنوان الإنجيل وعيسى ﷺ، مع بعض التعقيدات في تفاصيل العقيدة، ولكنهم كانوا يلتقون مع المسلمين في الخط، ﴿الْمُذَلَّلِينَ لِلرُّومِ﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ من المنطقة الإسلامية ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وهذه نبوءة قرآنية تمثل إعجاز القرآن ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وقد تحقق ذلك ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾ فالله بحكمه هو الذي يعطي النصر لفريق في مرحلة ويعطيه لفريق آخر في مرحلة أخرى ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِغُ الْأُمُومُونَ فِي بُنْصُرِ اللَّهِ﴾ فإن الله هو الذي انتصر للخط الرسالي في صراعه مع خط غير رسالي، فأعطى المسلمين قوة من حيث الخط العريض، وإن لم تكن هذه القوة خصوصية لهم، ﴿يَفْرِغُ الْأُمُومُونَ فِي بُنْصُرِ اللَّهِ﴾ وهنا أكد الإسلام الفرح الإيجابي الذي يريد للمسلمين أن يفتحوا عليه وأن يتطلعوا إليه حتى لو كان النصر هو نصر فريق آخر يلتقون معه في بعض الخطوط وينفصلون عنه في البعض الآخر ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

المصير المشترك

وهنا - أيها الأحبة - نستوحي من هذه الآيات خطأ إسلامياً حركياً في الواقع، فنحن نواجه عالماً تتنوع فيه الصراعات بفعل حركة الاستكبار العالمي

الذي يحاول أن يقوم بصناعة الحروب من أجل تصريف السلاح بضغوط تمارسه الشركات الاحتكارية، والتي من أهمها شركات السلاح، التي ربما تقدمت في الاهتمامات الاستكبارية حالياً على شركات البترول وأصبح لها تأثيرها الكبير على كثير من مفاصل السياسة الاستكبارية العالمية، وفي هذا المجال نأتي إلى الواقع الإسلامي. فقد تحدث هناك معركة بين فئة مسلمة والاستكبار العالمي، وهناك حالة من حالات المرض الموجودة في العالم الإسلامي، وهي هذا الخلاف الموجود بين السنة والشيعة، الذي ربما يتجذر في نفوس هذا الفريق من السنة أو ذاك الفريق من الشيعة، بحيث إذا كانت المعركة في منطقة الشيعة ضد الاستكبار، كما كانت في إيران أو كما كانت في جنوب لبنان، فإن كثيراً من الناس من الدائرة السنّة المتعصبة - ولا نتحدث بشمولية - يقولون إنها معركة الشيعة وليست معركتنا، وهناك أيضاً فريق من الشيعة عندما يقفون أمام الصراع الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، أو كما هو الموقف في صراع المسلمين في البوسنة والهرسك ضد الصرب أو غيرهم، فيقول البعض من الشيعة أن لا دخل لنا بتلك الحرب لأن مسلمي البوسنة من السنة. وبعبارة أوضح، فإن فريقاً من هذه الدائرة أو تلك يعتبر نفسه غير معني في الصراع ضد إسرائيل أو مسألة الصراع في موقع آخر.

وهكذا عندما تكون المسألة في المواقع العرقية في واقعنا الإسلامي، سواء كانت العرقية التركمانية أو الكردية، وقد تكون المشكلة عربية كما لو كانت في منطقة إيرانية، وعندما تحدث الصراعات هذه ينفصل هذا الفريق لا شعورياً، لأنه يعتبر أن المعركة ليست معركته، فإن العرب مثلاً لا يهتمون لمشكلة الأكراد وإن كانوا مسلمين، وتجدهم لا يهتمون تجاه معركة التركمان وكأنه لا علاقة لهم بها، لذلك فإن اتباع هذا المنهج أدّى إلى الانغلاق في الذهنية الإسلامية والتوقف عن الاهتمام بقضايا المسلمين، بحيث إن كل طائفة إسلامية قبعت في زاويتها وأغلقت أبوابها عن الزاوية التي قبعت فيها الجهة الأخرى.

الانتصار المشترك

وهناك نقطة أخرى نستوحىها من ذلك، فربما هناك فريق غير إسلامي يصطدم مع المستكبرين أو مع الكافرين ويمثل انتصاره قوة للمسلمين. ونحن نعتبر أن انتصار المستضعفين في موقعٍ يقوِّي المستضعفين في موقع آخر، وانكسار المستضعفين في موقع يضعف المستضعفين في موقع آخر، وهذه الآية تقول للمسلمين بأن عليكم عندما تواجهون مسألة النصر أن تدرسوا أية معركة في نتائجها الإيجابية والسلبية عليكم، فإذا انتصر هذا الفريق فهل تنتصر قضيتكم، أو هل تنتصر واقعكم أو لا؟ وإذا انكسر هؤلاء هل تنكسر واقعكم أو لا؟ أن يكون لدينا الوعي السياسي الواسع الذي ينطلق من قلب القضية الدينية الإسلامية، فإن الله عندما يتحدث عن انكسار الروم أمام الفرس - والروم نصارى والفرس مجوس - بشكل سلبي في الدائرة الإسلامية بحيث يشعر المسلمون بالانكسار، ويبشر المسلمين أنهم سينتصرون في بضع سنين بنصر الله **﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾** وهذا الانتصار من الله، فكأنه يقول لهم إنه إذا انتصر النصارى على المجوس، فهذا نصر لكم، لأنه يعطي القوة للخط الرسالي ولو اختلفتم معهم في مفرداته. ولكن أين نحن من هذا الوعي الإسلامي بعد أن استطاعت كلُّ عصور التخلف أن تجعل الذهنية الإسلامية ذهنية ضيقة تحكمها الطائفية والمذهبية والعرقية والقومية، جعلت الإنسان يعيش في داخل زنزانة سياسية لا يشعر فيها بأنه يرتبط في قضايا مع العالم.

علينا أن نعرف - أيها الأحبة - أن العالم قرية واحدة. فإننا عندما نتحدث عن مشكلة في الصين مثلاً فإنها قد تؤثر علينا حتى في قرانا على المستوى الاقتصادي أو الأمني أو السياسي. وهكذا لاحظتم مدى تأثير أحداث الحادي عشر من أيلول على الواقع السياسي في العالم. لذلك لا يمكن أن نكون حياديين أمام ما يحدث في العالم، أو أن نعيش اللامبالاة، لأن الرياح القادمة من هذه المنطقة أو تلك سوف تدخل إلى بيوتنا حتى لو أغلقنا ألف باب وباب، لأن الرياح

الاقتصادية لا تحتاج إلى أبواب، ولذلك يجب أن نمتلك الوعي السياسي في منطقنا الإسلامي وعلى أساس ذلك نتخذ المواقف المناسبة من كل قضايا الصراع التي تعيش في العالم بحسب علاقة هذه المعركة أو تلك المعركة بنا، لأن اقتصادنا جزء من الاقتصاد العالمي، وسياستنا جزء من السياسية العالمية، وأمننا جزء من الأمن العالمي، حتى كادت أن تكون ثقافتنا جزءاً من المسار الثقافي العالمي.

لذلك علينا أن نخرج من هذه الزنازين السياسية والمذهبية والطائفية، حتى نكون جزءاً من العالم، لنؤثر في العالم أو نتأثر به. وليس معنى الانفتاح على العالم أن نتنازل عن قناعاتنا، بل أن نبقى على مبادئنا، وننظر إلى ما نشترك فيه مع العالم، ونحن نقرأ القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١). كم بيننا وبين أهل الكتاب؟ ومن هم أهل الكتاب؟ هم النصارى واليهود، فالنصارى يقولون إن الله ثالث ثلاثة وإن الله هو المسيح ابن مريم، وتقول اليهود عزيز ابن الله وإلى آخر ما هنالك من خرافات اليهود، ومع ذلك فهناك نقطتان ركز عليهما القرآن، وهما كما في قوله تعالى في خطاب النبي لأهل الكتاب: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ وإن اختلفنا في مفردات التوحيد ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أن لا يكون الإنسان رباً للإنسان، وأن نقف ضد المستكبرين وضد الملحدين، أن لا نغلق الأبواب على أنفسنا، بل نفتحه للذين يلتقون بنا والذين نقف على مواقع اللقاء. أن نفرح بنصر الله حتى ولو كان النصر لأناس آخرين نختلف معهم في بعض المفردات ونتفق معهم في قواعد مشتركة. هذا نوع من أنواع الفرح بالنصر، وهذا أيضاً يجعلنا نفكر في أن أي موقع من المواقع التي تترك تأثيرها الإيجابي على وجودنا وعلى حياتنا وعلى مواقعنا، فإنه يجب أن نعيش الفرح فيها، بحيث إن الانتصار لأي موقع من مواقع الحرية، وأي موقع من مواقع المستضعفين على المستكبرين يعدُّ انتصاراً لنا أيضاً.

الفرح بالهدى

وفي آية ثالثة نتحدث عن نوع آخر من الفرح، إنه الفرح بالقرآن والفرح بالهدى ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾^(١) يعني عندما نزل القرآن وعندما انطلق النبي ﷺ بالدعوة، فهناك فريقان من اليهود: فريق آمن به، وفريق تحزبوا ضده، فيتحدث الله عن الفريق الذي آمن به ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فرح الإنسان الذي اكتشف الحقيقة، وفرح الإنسان الذي أبصر الهدى، والإنسان الذي قارن بين ما عنده من كتاب فرأى ما أنزل إليك مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، وعرف الحقيقة من خلال ذلك ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ قل إنني أحمد الله في خط التوحيد ﴿إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾.

ثم يحدثنا الله تعالى عن الفرح الآخر، إنه فرح المجاهدين وفرح الشهداء ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فرحين بما آتاهم الله من فضله فقد رأوا كيف استقبلهم الله سبحانه وتعالى برضوانه وبمحبتته، وكيف أعطاهم من نعيمه، ثم لا يزالون يفكرون بالنعم التي بقيت للمجاهدين بعدهم ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين^(٢). ويبقى المجاهدون يعيشون هذا الفرح الكبير بما يستقبلونه من نعمه سبحانه وتعالى ومن رضوانه عليهم، ويبقون يفكرون وهم في عليائهم بالمجاهدين الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ليبشروهم، أن تابعوا الجهاد ولا خوف عليكم ولا حزن عليكم في ما تستقبلونه من ذلك.

وهكذا يتحدث القرآن عن الفرح الإيجابي الذي يريد للإنسان المؤمن أن

(١) الرعد: ٣٦.

(٢) آل عمران: ١٦٩-١٧١.

يعيش معه فرح القيمة في فرح الروح وفرح الإيمان وفرح النصر وفرح ما يواجهه من نتائج إيجابية عند الله، ولا يريد للإنسان أن يسقط أمام فرح الغريزة وفرح الشهوة وفرح المال والفرح الذي لا عمق له في الوجود ولا عمق له في المصير. ويبقى لنا حديث آخر حول نظرية الفرح في الإسلام من خلال الجوانب السلبية في ما لا يرضاه الله من الفرح، وفي ما يريد الإنسان للإنسان أن يتوازن فيه في مفردات الفرح، في ما سنتحدث به في الأسبوع القادم إن شاء الله . والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الفرح في القرآن (٢) الجانب السلبي (أ)

○ الفرح هو ان نفرح بما
يؤصل إنسانيتنا وبما يقرنا
إلى رينا وبما يحفظ لنا
مسيرنا ○

☞ فرح اللحظة.

☞ سنن الله في الحياة.

☞ التوازن في الحياة.

☞ الأطر الضيقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

كنا نتحدث عن مفهوم الفرح في القرآن الكريم، في الآيات التي أثار الله فيها مسألة الفرح في الجانب الإيجابي. ويبقى أن نتحدث عن الفرح في الجانب السلبي الذي يتلخص بكلمة، وهي أن على الإنسان في الحياة أن يكون فرحه عميقاً ولا يكون في السطح من مشاعره، لأن هناك فرحاً قد يحدث للإنسان بمنطقة الشعور، ولكنه سرعان ما يزول، لأن نتائجه سطحية لا تمتد في مصير الإنسان.

فرح اللحظة:

ونحن الآن نتابع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفرح، سواء في ذات الإنسان، أو أمام الآخرين الذين يحملون مشاعر مضادة له. نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَفُورٌ ۖ وَلَمَّا أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضُرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾^(١)، يعني ذلك الإنسان الذي تحكمه اللحظة، فهو يتحسس الأشياء سلبية كانت أو إيجابية في حجم اللحظة، فإذا جاء الضرر فإنه ييأس، وربما ينتهي به اليأس إلى أن يتمرد على الله ويكفر به، ولكن إذا انقلب الضرر في حالة من النعماء فإنه ينفث على الفرح إلى حالة من الفخر بما يملك من هذه النعمة.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينبّه الإنسان إلى أن عليه عندما يواجه الأشياء، سواء كانت إيجابية أو سلبية، أن يدرس طبيعة هذه الأشياء، وأن يدرس

أسبابها ونتائجها، فربما تواجه بعض المشاكل في الحياة التي تؤلمك، فتندفع نحو الإحساس بالإحباط، ولكنك لو تأملت في داخل هذه الحالة فقد تجد فيها بعض الخير، وقد تربطها بأسبابها. وربما تواجه في بعض مراحل حياتك فقرًا فتشعر باليأس، ولكنك عندما تدرس حالة الفقر الطارئ الذي قد أصابك، فإنك قد تجد أنه خاضع لبعض الظروف الموضوعية المحيطة بك، ولكنك عندما تيأس فإنك تجعل المشكلة أكبر، لأنها تقضي على آمالك وعلى انفتاحك على المستقبل نحو أية فرصة لتغيير وضعك وظروفك.

وهكذا إذا واجهتك النعماء، كما لو أعطاك الله غنى أو جاهاً أو قوة أو أي شيء آخر من هذه النعم، فإنك قد تشعر بانتفاخ شخصيتك، وقد يصيبك الخيلاء، وقد تطفئ من خلال هذه الحالة التي تمثل نوعاً من القوة في حياتك، ولكنك لو درست المسألة فإنك ستري أنها مرتبطة بظروف معينة، فإذا لم تحافظ عليها فإنها ستذهب، وعندما تشغل بالجاه ولا تتحرك لتنمية عناصره، فإنه سيذهب أيضاً. وهكذا سيذهب في كل الأمور الأخرى. لذلك فعندما تصيبك النعماء فعليك أن تدرس أسبابها وامتدادها. وكذلك عندما تصيبك الضراء، فقد تنقلب الضراء إلى نعماء، وقد تنقلب النعماء إلى ضراء.

سنن الله في الحياة:

وهناك آيات قرآنية ركزت المسألة على ما هو أقرب لوعي فلسفة الحياة. فإن الله يريد منا جميعاً أن ندرس طبيعة الكون الذي نعيش فيه، لأن هذا الكون خاضع في كل مواضعه للأسباب، فهو سبحانه قد جعل لكل ظاهرة كونية أو أية ظاهرة أخرى في حركة الإنسان قانوناً وسبباً، فإذا تحققت الأسباب حصل الشيء طبيعياً. وإذا انعدمت الأسباب لم يحصل الشيء طبيعياً، لذلك عندما تتحقق الأمور التي تتلاءم مع رغباتك وأمنياتك فادرس كيف تحققت وارتبطها بطبيعة القوانين الموجودة في حركة الإنسان في الحياة، وعندما لا تتحقق أحلامك وطموحاتك فادرس لماذا لم تتحقق، وقد تكتشف أن ما تحقق، إنما

يتحقق لأن أسبابه قد تحققت، ولا بد أن تتحقق شئت أم أبيت، وما لم يتحقق فإنه لم يحصل لأن أسبابه لم تتحقق، وهذه الآية تقول: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ» قد تفقد عزيزاً أو تخسر مالاً أو تنهزم في معركة أو تفشل في تجربة أو أي شيء في العنوان الذي يندرج تحت عنوان (المصيبة) مما يحيط بك أو بالآخرين «وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ» من مرض أو فقر أو سقوط في الموقع الاجتماعي أو السياسي «إِلَّا فِي كِتَابٍ» والكتاب - هنا - يمثل ما في علم الله من القوانين في الكون التي تربط المسببات بأسبابها. يعني أن الله نظم الكون في ظواهره الكونية، كما في قوله تعالى في آية أخرى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ»^(١) أي نظم الكون في مسيرته في سقوط أو ضياع الحضارات، في النجاح أو النصر أو الهزيمة «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» أي قبل أن تحدث «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»^(٢) لأن الله هو الذي خلق الأشياء وخلق المسببات والأسباب، وجعل الكثير من الأسباب بيدك، وقال لك إذا أخذت بالأسباب حصلت المسببات، وإذا لم تأخذ بالأسباب لم تأت المسببات «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^(٣) فإذا فرضنا أنك خسرت أو انهزمت أو فشلت أو مرضت أو فقدت حبيباً، فعليك أن لا تسقط تحت تأثير الألم الذي يهز كيانك ويشعرك كأن السماء قد وقعت على الأرض، لأنك لو درست كل هذه الظواهر السلبية في حياتك، لرأيت أنها حصلت لأن أسبابها قد تحققت، فمثلاً إذا مات قريبك فلأن السيارة صدمته أو نوبة قلبية أصابته أو ما إلى ذلك. فإذا حدثت أسباب الموت فلا بد أن يحصل الموت. أما لماذا فشلت في تجربتك، فلأنك لم تستجمع كل عناصر النجاح في التجربة، ولماذا انهزمت مفرداً أو كشعب أو كأمة؟ لأنك لم تأخذ بأسباب النصر ولم يأخذوا بها. ولماذا خسرت؟ لأنك لم تأخذ بأسباب الريح. «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ» يعني لا

(١) القمر: ٤٩.

(٢) الحديد: ٢٢.

(٣) الحديد: ٢٣.

تتألم على ما فات، لأنه سيفوتك شئت أم أبيت، لأن الأسباب الإيجابية لم تتحقق. فقد استوحى الإمام علي عليه السلام. وهو تلميذ القرآن ومعلم القرآن الذي عاش القرآن في قلبه وعقله. هذه الآية في رسالته إلى ابن عباس الذي قال: ما انتفعت بكلام مثلاً انتفعت بكلام الإمام في هذه الرسالة. ((أما بعد، يا ابن عباس، فإن المرء ليفرح بالشئ الذي لم يكن ليفوته)) تفرح، تغنى، تنتصر، لأن أسباب كل هذه الأمور قد حصلت، فإذا حصل السبب حصل المسبب، وإذا حصلت العلة حدث المعلول على قول الفلاسفة، فأنت تفرح - مثلاً - بمجيء الولد وهو أمر طبيعي لا فخر لك فيه، ولذا يجب أن تعتبره شيئاً طبيعياً ولا تهلل لنفسك، وكذلك فيما إذا درست جيداً وحصلت على المرتبة الأولى فربما تقيم احتفالاً، والأمر الطبيعي هو أن الذي يدرس ينجح. وإذا دخلت عالم التجارة وأخذت بكل قواعد السوق والإنتاج فالنجاح يتحقق. إنه قانون كوني.. وهكذا، فيقول الإمام عليه السلام إن المرء ليفرح بالشئ الذي لم يكن ليفوته، فلماذا يفرح فوق العادة؟ ((ويحزن على الشئ الذي لم يكن ليصيبه)) فإنه يحزن على الأشياء التي لم تتحقق مع أن عدم تحققها هو لأن الأسباب لم تتحقق. فما هي الأشياء التي نوجه إليها مشاعرنا وطموحنا واهتمامنا وسرورنا؟

يقول الإمام علي عليه السلام: ((فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغُ لَذَّةٍ ، أَوْ شِفَاءٍ غِظٍّ)) فيكون همك وفرحك وسرورك كيف تشفي غيظك وتحصل على لذتك؟ وكان الإمام يقول: اجعل اهتمامك بما يتجذر في عمق الحياة، وبما يبقى لك في امتداد المصير ((فلا يكن أفضل ما نلت في دنياك بلوغ لذة وشفاء غيظ ولكن إطفاء باطل وإقامة حق))^(١). كن صاحب رسالة ولا تكن صاحب غريزة، لأن اللذة حالة غرائزية تأتي لحظة ثم تذوب، وشفاء الغيظ حالة غريزية تأتي ثم تتبخر، ولكن أن تطفئ الباطل، فإنك تنقذ الحياة من السقوط في كل القضايا التي يمكن أن يسقطها الباطل على جميع المستويات، وإذا أحييت الحق، فإنك

تكون قد تثبت الحياة من خلال الحق العقائدي والسياسي والأمني وغير ذلك. إذاً ما هو الشيء الذي يفرح به الإنسان؟ وما هو الشيء الذي يأسف له؟ وما هو الشيء الذي يهتم به؟ ((فليكن سرورك بما قدمت)) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَقْدَمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾^(٢) ويقول الله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾^(٣) وتلك هي حياتي ((وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون))^(٤) ويضيف ((وأسفك على ما خلفت)) من فرص كان بإمكانك أن تنتهزها فترفعك إلى رضوان الله ونعمه، ولكنك سوفت ولم تستفد من تلك الفرصة. وهمك الذي يجب أن يشغل تفكيرك هو مسؤوليتك أمام ربك ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٦) ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٧) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ❖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٨) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ❖ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ❖ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ❖ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(٩) ((وهمك في ما بعد الموت)) لأن ذلك هو الهم الكبير ((إن ما عندكم ينفد وما عند الله باق))، فقد استوحى الإمام علي عليه السلام هذا الجانب لتأكيد هذا المعنى في تقبل الأمور السلبية والإيجابية، كما يتقبل الإنسان الأشياء الطبيعية في حياته. مثلاً عندما يأتي النهار، هل نقيم مهرجاناً! فالنهار لطيف فيه حركة ولكنه طبيعي؟ وهل نعمل

(١) البقرة: ١١٠.

(٢) الكهف: ٤٦.

(٣) الفجر: ٢٤.

(٤) العنكبوت: ٦٤.

(٥) المطففين: ٦.

(٦) النحل: ١١١.

(٧) الانفطار: ١٩.

(٨) الشعراء: ٨٨.

(٩) عبس: ٣٤-٣٧.

حفلاً تأبينياً عندما يأتي الليل لأن الشمس غابت! فالليل والنهار أمران طبيعيان. وكذلك عندما يأتي الربيع أو الخريف.. وهكذا، فحاول أن تكون إيجابياً بكل أمورك.

التوازن في الحياة:

فلا يأخذك الفرح بطريقة غير متوازنة، إقبل الحياة بشكل طبيعي من خلال دراستك للقوانين التي تحكم الحياة في سلوكك وفي سلوك الآخرين. وهذا ما استوحاه الإمام علي ؑ في هذا الجانب، إذ يقول كما جاء في (نهج البلاغة): ((جمع الله الزهد في كلمتين)) قد يفهم البعض من ذلك أن الزهد هو أن لا يأكل جيداً أو لا يلبس جيداً، بل يلبس العباءة ويتخلّى عن الدنيا، بينما الزهد هو حالة نفسية في الوجدان تتمثل في انفعالك بالأشياء وفي نظرتك إليها ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ يعني لا تكن عبداً للدنيا، بل واجهها كشخص لا يعنيه ربح ولا تسقطه خسارة، فإذا حصل أي منهما أو لم يحصل فالحكم لله. فقد جمع الله الزهد بتينك الكلمتين في الآية الكريمة.

فالإمام يريد للإنسان أن ينظر إلى الحياة نظرة واقعية، حتى لا يسقط تحت تأثير اليأس ولا يطفئ تحت تأثير الأحلام، وعندما تتوازن نظرتك للحياة فإنك تتوازن بنظرتك في الحياة، فالذين يسقطون لا يفهمون معنى الحياة، على حدّ قول الشاعر: ((ما مضى فات والمؤمل غيب)) وأن تأخذ الإنسان الخيلاء بما أعطاه الله، فيفتخر على الآخرين من خلال ذلك.

هذه بعض إحياءات الآيات القرآنية التي نتحدث عن مسألة الفرح.

الأطر الضيقة:

ثم يتحدث الله سبحانه عن التجمعات الحزبية، فإن كلمة (الحزب) عندنا مختصة بالجانب السياسي، وقد تناول القرآن الحزب من حيث هو تجمع منفلق يستغرق في داخل عناصره وخصائصه والدائرة المحيطة به كإطار. فيعتبر القرآن

الكريم الحزبية في صورتها المنغلقة حالة سلبية في المجتمع، لأنها تقسم المجتمع إلى دوائر منغلقة، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(١) إنكم فريق واحد، لأنكم تتحركون من خلال منهج واحد وفكر واحد وغاية واحدة وهدف واحد. لذلك فإن تتوعمكم في كل ألو انكم وقومياتكم وجغرافيتكم ولغاتكم يمثل تنوعاً في الخصائص الذاتية للإنسان، ولكن الإنسان مع الإنسان الآخر في اجتماعه وتفرقه ينطلق مما يؤمن به ويتحرك به ويستهدفه، وما يجمع الناس هو الرسالة التي تتحرك بها حياة الناس، لأن المنهج واحد والرسالة واحدة والرب واحد. وهنا يجب الالتفات إلى الربط بين وحدانية الله ووحدانية الأمة، فإن وحدانية الرب تؤكد وحدانية المربوبين، لأنهم يتوحدون في الله في ما يرسمه من الوحدة في خط التقوى، لذلك فقد اختصر الله سبحانه الإسلام بكلمتين ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢) فكلمة (استقامة) تشمل كل التشريع والمنهج التوحيدي والهدف وكل ما يتصل بالله، بحيث إنك أينما تكون فالله معك، لأن التوحيد يعني أن يكون الله معك في قلبك وفي بيتك وفي علاقتك بأهلك في داخل السوق وفي السياسة والاقتصاد والأمن.

قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾، فكل واحد سلك طريقاً واتخذ منهجاً وتبنى ثقافة وسياسة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٣) يعني أن كل واحد أو اتجاه يفرح بهذا الجو الضيق ولا يفكر بهذا الامتداد الإنساني الكوني في الأهداف التي تشمل الإنسان كله، والتي تترك تأثيرها الإيجابي في الحياة كلها. فلو استعملنا التعبير الشعبي فإننا نقول: (كل يغني على ليلاه)، ثم نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى يضرب المثل لذلك بالمشركون ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً

(١) المؤمنون: ٥٢.

(٢) فصلت: ٣٠.

(٣) المؤمنون: ٥٣.

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ^(١)، فكان الدين واحداً، ولكنهم أدخلوا في الدين ما ليس منه، فأدخلوا فيه العصبية، وأغلق كل واحد منهم مذهباً على نفسه، فتحول المذهب ديناً، وأصبحت المذاهب أدياناً شتى، وكلُّ أغلق دائرته على نفسه. إذاً المذهبية المنغلقة حزبياً مختتقة، وقد ذكرنا مراراً في هذه الندوة وفي أكثر من حديث أن المذهبية على قسمين: فهناك مذهبية فكرية وأخرى طائفية. المذهبية الفكرية تمثل تنوع الاجتهاد الفكري في فهم الناس وفهم القرآن، وتدعو إلى الحوار، لأن كلاً منا يتكلم من موقع علم واجتهاد في فهم القرآن أو في توثيق السنة وفهمها (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)^(٢) لأن المشكلة العلمية تُحل بالحل العلمي، ولذلك فإن المذهبية الفكرية تمثل غنى في الثقافة الإسلامية، لأن فهم الإسلام لا يكون واحداً وإنما يكون فهماً متعددًا ويخلق مجالاً للتفكير أكثر وللانفتاح والحوار أكثر.

وأما المذهبية الطائفية فإنها تركّز على المجتمعات البشرية بعيداً عن الانفتاح الفكري، كما في المجتمعات العشائرية الضيقة، فأصبح فريق السنة عشيرة وفريق الشيعة عشيرة، وهكذا عند الآخرين من المسلمين عشيرة الكاثوليك وعشيرة الأرثوذكس وما إلى ذلك، لأن الملحوظ في الطائفية هو الموقع البشري وليس الفكري، فنقول إن الطائفية عشائرية مقيدة متخلفة وليست ديناً. وأما المذهب الفكري، فإنك إذا أقنعت الآخر بخطئه فهو مستعد للانفتاح عليك، لأنه آمن بالمنهج العلمي للاقتناع، فليس عنده عداوة مع الحق. وأما الطائفي فإنه غير مستعد للاقتناع ولو أتيت به بكل الحجج والبراهين، فإنه يبقى يحاول الإنكار والمعاندة، وقد أكد لنا القرآن الكريم أسلوب الحوار الموضوعي (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)^(٣)، فقد قالها النبي ﷺ وهو (الَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ

(١) الروم: ٣٢.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) سبا: ٢٤.

به^(١)، لأنه أراد أن يعطي البعد الإنساني في القضايا المختلف عليها بالحوار، فإذا كانت حقيقة ضائعة بيننا، فتعال نبحث عن الحقيقة. لذلك فليست المشكلة الآن بين سنة وشيعة، ولكنها تعود إلى عصبية سنية أو شيعية لا تريد أن تسمع لبعضها البعض كما هو حوار الطرشان، وهذه العقلية الطائفية موجودة أيضاً في السياسة، فكل حزب كوّن من نفسه دولة، ووصلنا كذلك إلى مستوى الجمعيات أو المرجعيات، فالمتعصب يتعصب لنفسه أو للشخص الذي يلتزمه أو للمذهب.

فكن ملتزماً بما تقتنع به وأعطِ الآخر الفرصة ليلتزم بشيء آخر، فإذا لم تقبل أن اضطهدك في ما تؤمن به فلماذا تضطهدين في ما أعتقد به، فليس هناك من يملك الحقيقة المطلقة، فكل واحد يملك الحقيقة من وجهة نظره، فالتعصب انغلاق والالتزام انفتاح. والانسجام يوحى بالحوار بينما العصبية توحى بالحد. إذ الفرح هو أن نفرح بما يؤصل إنسانيتنا وبما يقرّبنا إلى ربنا وبما يحفظ لنا مصيرنا... وتبقى هناك آيات قرآنية حول الفرح والفرحين. والحمد لله ربّ العالمين.

مفهوم الفرح في القرآن (٣) الجانب السلبي (ب)

○ أراد الله للفرح أن يلازم

الإيمان بحيث يكون في عمق

الإنسان وليس منفصلاً عنه ○

○ حقيقة الحياة الدنيا .

○ زخرف الدنيا .

○ نموذج قارون .

○ زهو الدنيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

استكمالاً للحديث السابق عن الفرح في المفهوم القرآني، يتأكد لنا أن الله يريد لنا أن نفرح إنسانياً كما لا يمنعنا من الحزن إنسانياً، شرط أن يكون الفرح متجذراً في شخصية الإنسان، فلا يكون مجرد لحظة طارئة من خلال نزوة أو شهوة أو مكسب محدود، وإنما أراد الله للفرح أن يلزم الإيمان، بحيث يكون في عمق الإنسان وليس منفصلاً عنه، كما أن الإسلام في تشريعاته لا يريد للإنسان أن يعيش التجزئة بحياته الشخصية، بحيث يكون مؤمناً في عباداته، في وقت يأخذ فيه حريته على مستوى مشاعره وأحاسيسه، بل أراد له يتداخل في حياته العقل مع القلب، والقلب مع الشعور، بحيث يكون كل عمل يصدر عنه، وكل قول منطلقاً من كل إنسانيته.

واستكمالاً للحديث السابق الذي ركّزنا فيه الحديث عن الجانب الإيجابي، نحاول أن نركّز في هذه المحاضرة الحديث عن الفرح السلبي الذي لا يريد الله للإنسان أن يستغرق فيه، بل يريد أن يربطه بمصيره الديني والأخروي، إذ نقرأ في كتاب الله ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١)، فأنتم تتحركون بالطاقات التي خلقها الله في ذواتكم وأجسادكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَائِفَةً مِّنْهُمْ لَقِىَ الْفُلُوكَ مَاجِئًا وَكَانَ الْعُلَاكُ فِي الْفُلِكِ﴾. هنا - في السطح وليس في العمق، إذ يرتبط بالحالة الطارئة للإنسان، فهذا الفرح الشعوري يمنحهم الإحساس بالأمن وهم يلهون ويلعبون، لأن البحر أصبح كالبر في سكونه واستقراره، وهنا كانت المفاجأة، ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطُوا بِهِمْ﴾ فتغير

الجو والرياح، وجاءهم الموج من كل مكان، وأصابهم الفزع والرعب، لأنهم أحيط بهم من كل جانب وكانت السفينة تهتز لتقلب، فدعوا الله لأنهم لم يذكروه في فرحهم ولم يشكروا الله على نعمة الأمن الذي عاشوه قبل العاصفة عند سكون البحر واستقرار السفينة، ولكنهم عندما مُحْصُوا بالبلاء وشعروا بالخطر (دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَنِئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ نَسُوا اللَّهَ) ولم يذكروه كما هو شأن المؤمن، سواءً في حالة الشدة أو الرخاء، كما يقول الإمام علي بن الحسين ؑ في دعاء له: ((واجعلني ممن يدعوك في الرخاء دعاء المخلصين المضطرين لك في الدعاء))، لأن حالة الرخاء هي من الله كما أن حالة البلاء هي بيده سبحانه (إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) يا أيها الناس، إنكم تبغون وتعتدون وتحرفون، فهل تتصورون أن بغيكم موجه إلى الله أو إلى الناس الآخرين؟ إن بغي الباغي على الآخرين هو بغي على نفسه، لأنه يفقد نفسه وطهارته وقيمه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ) لقد استفرقتم في المال والجاه، وهو ثراء وجاء لا يتجاوز عمركم ولا تعرفون متى يأتي الأجل (مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ) إنكم تموتون ثم تبعثون وتقومون يوم يقوم الناس لرب العالمين (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) ^(١).

حقيقة الحياة الدنيا

ثم إن الله يعطينا مثل الحياة الدنيا حتى نعرفها في عمقها لا في شكلها، لأن مشكلتنا أننا عندما نتطلع إلى الحياة نتطلع إلى الصورة البارزة لها في السطح دون العمق، كما قال الإمام علي ؑ: ((إن من أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها مشغوفاً بها أعمته)) ^(٢)، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ

(١) الانفطار: ١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ٦. ب ٨١. ص ٢٣٩.

الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظُنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا^(١)، فستكون كالأرض القفراء، فكما تحولت هذه الأرض الخضراء إلى هشيم ثم تحول الهشيم إلى تراب، فستتحول كل أوراقك إلى هشيم تذروه الرياح، ﴿ثِيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، فإنَّ الله أعطاك العقل لتفكر به، وأعطاك الفكر من أجل أن تعرف طريق الهدى والضلال، وقدَّم لك القرآن آيات مفصَّلات لكي تأخذ من كل آية ما يضيء لك فكرك، ولتأخذ منها كل ما يؤكد لك أن كل شيء من الله وأنت جئت من الله وستعود إليه، فالآية تعطينا فكرة أن هذا الفرح هو فرح طارئ، وعليك أن تدرس الفرح الذي يتجذر ولا يزول ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢) و﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾^(٣) فقد يبسط الرزق لمن يشاء لأن مصلحته في ذلك، وقد يضيق الرزق لمن يشاء لأن مصلحته في ذلك، ولكن الناس لا يفكرون في حكمة الله ورحمته التي قد تكون حيث يوسع أو يضيق وكلاهما ابتلاء ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي ❖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾^(٤)، فالتوسع عليه في الرزق ليس إكراماً والتقتير عليه ليس إهانة، ولكنه اختبار وامتحان، فانظر كيف ينجح الغني والفقير في الاختبار ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥) كما لو كانت خالدة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ مجرد متاع تحمله قليلاً ثم يذهب كأي متاع تحمله في سفرك.

(١) يونس: ٢٤.

(٢) يونس: ٥٨.

(٣) الزمر: ٢.

(٤) الفجر: ١٥-١٦.

(٥) الرعد: ٢٦.

زهرف الدنيا:

وهكذا يتحدث الله عن الفرح في هذا المجال (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ)^(١)، بمعنى أن الله ابتلاهم حتى يرجعوا إليه، لأن هذا من طبيعة النفس الإنسانية، إذ إنه يرجع إلى الله عندما يضيق به الأمر. (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا)^(٢) أي لانت قلوبهم وعرفوا الحقيقة جيداً وذكروا الدار الآخرة والموقف بين يدي الله (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) من خلال أموالهم وشهواتهم وأطماعهم وما إلى ذلك (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❖ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)^(٣) يعني أعطيناهم الدنيا (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) أي انفتحت لهم الدنيا مما هو اختبار وابتلاء لهم، إذ يقول الله تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)^(٤) فقد يعطي الله الإنسان ويوسع له في المال والرزق ليرى كيف يعمل، لاختباره وامتحانه. (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) وهذا هو الفرح الطارئ الذي لا يتعمق في الجذور، ما يجعله ينطلق بهذا الشعور الضاحك (أَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ❖ فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٥).

ونقرأ في التاريخ أن النبي ﷺ كانت له مشكلة معقدة مع المنافقين أكثر من مشكلته مع المشركين، لأنهم كانوا يربكونه في الحياة الداخلية للمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، فكانوا يتحالفون مع المشركين تارة ومع اليهود أخرى، حتى أنهم أربكوا اليهود أيضاً. عندما دفعوا بهم إلى أن ينقضوا العهد ووعدوهم بأن

(١) الأنعام: ٤٢.

(٢) الأنعام: ٤٣.

(٣) الأنعام: ٤٣-٤٤.

(٤) آل عمران: ١٧٨.

(٥) الأنعام: ٤٤-٤٥.

يكونوا معهم، ولكنهم خذلوهم كما خذلوا المسلمين. هؤلاء المنافقون كانوا عندما يخرج النبي ﷺ إلى معركة ما ويدعو كل المسلمين إلى أن يخرجوا معه إليها، كان بعض المنافقين ممن يملكون المال والجاه، يأتون إلى النبي بأعذار مختلفة، فهذا يعتذر بالمرض، وذاك يعتذر بأنه يرعى أمه وأباه وما إلى ذلك. وكان النبي ﷺ رقيق القلب حليماً واسع الصدر، فكان يتفادى المشاكل المعقدة في المجتمع الإسلامي، حتى لا يعطي الفرصة في أن تحدث الفتنة، لذلك كان يسمح لهم. وقد عبّر القرآن الكريم عن إعداز النبي وموقف المنافقين من ذلك بقوله ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾^(١) يعني الذين تخلفوا في المدينة عن الرسول ﷺ في الجهاد ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ فإنكم عندما تهربون من الجهاد بسبب حرّ الصحراء، فإن هذا الهرب يؤدي إلى أن تصلوا نار جهنم، ثم يركّز الله هذا الشعور ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾^(٢) لأن الضحك حالة طارئة لابد أن تزول، إما في الحياة أو عند الموت، لأن الضحك ينطلق من فرح لا جذور له ولا امتداد ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لأنهم سيواجهون المصير الأسود من غضب الله وسخطه، وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض، كما ورد في دعاء كميل ((جزاء بما كانوا يكسبون)). فهذه الآية توحى لنا أن بعض الناس الذين يفرحون ويضحكون عندما يكونون من أعوان الظالم ويحصلون منه على الامتيازات التي يمنحها لهم فيفرحون ويقهقهون، فإن فرحهم هذا سيتلاشى ويزول، فإلى أين ينتهي هذا الشعور الضاحك؟ إنه سيموت وسيتحول إلى بكاء يأخذ كل كيان الإنسان الضاحك هذا، وذلك عندما يقال لجنهم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِحَبْثِهِمْ هَلْ أَمْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(٣).

(١) التوبة: ٨١.

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) ق: ٣٠.

وهكذا نقرأ في الفرج، عن فرح الناس بالباطل ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾^(١) من بعض الأعمال التي قد ترفع موقعهم أو تضخم ثرواتهم ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ فيحبون أن يأتي لهم الشعراء والخطباء ليمدحوهم بما ليس فيهم، يريدون ذلك من خلال انتفاخ شخصيتهم، ومن خلال ضخامة مواقعهم ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهكذا ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾^(٢) ولكن هذا الفرح سيتحول إلى عذاب، وسينادون كما في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكَ قَالَ إِنكُم مَّاكُثُونَ﴾^(٣).

نموذج قارون:

ونقرأ في مسألة الفرج في شخصية كانت تفرح بطراً وكبرياءً، وهو فرح الانتفاخ النفسي من خلال الانتفاخ المالي، وهو ما قدمه القرآن الكريم عن نموذج قارون ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٤)، ولكنه كان لا يفكر بذلك، إنما كان يفكر بنفسه وبثروته في هذا الطغيان المالي الذي يشبه الطغيان السياسي والاجتماعي، والذي أبرزه القرآن الكريم في شخصية قارون، وهو مجرد نموذج من نماذج الشخصية. وما أكثر هذه النماذج في عصرنا في الذين استغلوا أموالهم لإسقاط الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي، سواء في داخل بلاد الإسلام أو خارجها، فتعالوا إلى قارون، ولكن لا لتستغرقوا في قارون التاريخ، بل لتفتحوا على أكثر من قارون تعيشون معه وتتحركون، حتى تقفوا موقفاً من كل هؤلاء الذين يفسدون في الأرض، فما هي قصة قارون؟ ﴿إِنَّ

(١) آل عمران: ١٨٨.

(٢) غافر: ٧٥.

(٣) الزخرف: ٧٧.

(٤) القصص: ٧٦.

قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى^(١) الذين كانوا مستضعفين، ونحن نعرف أن بعض المستضعفين قد يجذب نحو الفراغة والطغاة ليمنحوهم التأييد والخضوع لهم ليحصلوا على الامتيازات السياسية والمالية وما إلى ذلك. (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) إنه كان يعيش في المستضعفين بطريقة فوقية كما يعيش الظالم القوي مع الضعفاء، فكان يستضعفهم بماله كما كان فرعون يستضعفهم بجبروته وطغيانه (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) واللّه يعطينا صورة الثروة النقدية التي كانت لقارون، حيث إن مفاتيح خزائنه لا تستطيع العصبة أولو القوة أن يحملوها (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ) بمالك وامتيازاتك الاقتصادية التي أعطتك امتيازات اجتماعية، لأن ذلك لا يزيد في عقلك ولا في معاني القيمة بإنسانيتك، إن المال يمثل شيئاً خارج ذات الإنسان، فإن الإنسان لا يكبر بالمال، بل إن المال قد يكبر بالإنسان عندما يحول الإنسان المال إلى ما ينفع الناس (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا بَالُكَ مِنَ الْأَرْضِ)^(٢)، فلا تفرح - يا قارون - لأن الفرح ليس له امتداد، فقد يذهب المال قبلك أو تموت قبل ذهاب مالك، واذكر الله الذي يحب الصالحين والمتقين والعاملين والصادقين، ويحب الذين يعتبرون المال نعمة، هؤلاء الذين يشكرون الله عندما يمنحهم إياها (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)، وهم إذ ينهونه عن الفرح، فإنهم لا ينهونه عنه كشعور إنساني، لأن الله لا يمنع الإنسان من الشعور بالفرح، ولكنهم ينصحونه أن لا يكون فرحه بطراً واستكباراً أو عن انتفاخ الشخصية (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) لأن الله يحب المتواضعين الذين يدرسون الحياة بحسب طبيعتها (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)^(٣) فما تحصل عليه هو أمر طبيعي إذا تحققت ظروفه، وما تفقده هو أمر طبيعي يرجع إلى ظروف خاصة.

(١) القصص: ٧٦.

(٢) الرعد: ١٧.

(٣) الحديد: ٢٣.

ولم يكن قارون يعترف بحقيقة أن المال لا يمثل مجرد طاقة يستغرق الإنسان فيها، ولكنه يمثل وظيفة، فقد حملك الله مسؤوليته، وهذا الحديث ليس موجهاً لقارون كشخص تاريخي، بل هو موجهٌ إلى كل من يملك المال ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(١)، فالمال بين يديك والدنيا مزرعة الآخرة، والدنيا تموت بكل ما تحتويه والآخرة باقية، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾^(٢) فوظف مالك في كل ما حملك الله مسؤوليته ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٣)، ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾^(٤)، فالمال ليس مالك، بل أنت وكيل عليه كما قال الله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٥) فأت الفقراء من مال الله، ولو أنه نُسب إليك بطريقة قانونية أو شرعية ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٦)، فانظر ما هي المشاريع والوجهات التي تنفق فيها المال في مواقع رضا الله فافعل ذلك، لأنه سيقى ذلك لك ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٧).

﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ فتحتاج إلى أن تعيش حاجاتك في الحلال من المسكن والملبس والمأكل ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي أحسن للناس كما أحسن الله إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ فلا تسخر مالك في إفساد حياة الناس الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ فعليك أن تحصل على محبة الله، لأنه لا قيمة لأي حب إذا لم يحبك الله سبحانه وتعالى، فمحبة الله هي كل السعادة والنعيم، لأن الله إذا أحبك رضي

(١) القصص: ٧٧.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) الذاريات: ١٩.

(٤) الحديد: ٧.

(٥) النور: ٣٣.

(٦) القصص: ٧٧.

(٧) الكهف: ٤٦.

عنك ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١) يعني أكبر من الجنة، وقد لا نفهم ذلك الآن، ولكن عندما نعيش في رحاب الله وننال رضاه، فسنعرف أن السعادة كل السعادة في الآخرة، وهي أعظم من السعادة المادية في كل نعيم الجنة. ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢) فأجابهم قارون أن المال الذي حصل عليه كان بتدبيره هو وذكائه، من خلال اللعبة السياسية والاقتصادية، ولم يعترف أنه حصل عليه بفضل الله سبحانه، فكان الجواب ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ فمن أنت - يا قارون - حتى تقول إنما أوتيته على علم عندي، فمن الذي وهبك العقل لتخطط لمشاريعك الاقتصادية؟ ومن الذي خلق عينيك اللتين تبصر بهما؟ وخلق أذنك اللتين تسمع بهما؟ ويديك اللتين تعمل بهما؟ ورجليك اللتين تتحرك بهما في خطواتك للربح والتجارة؟ فكل ما عندك من الله، فمن الذي أعطاك الهواء الذي تتنفس والماء الذي تشرب والغذاء الذي تتغذى؟ ومن الذي خلق لك كل هذه الأجهزة التي تبني لك جسدك وتتحرك في نبضات قلبك وفي حركة دماغك وفي حركة جهازك الهضمي؟ فيجب أن تفكر في ذلك كله دائماً.

وفي كلمة للإمام علي عليه السلام يقول فيهما: ((أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه))^(٣). وليس هناك شيء في حياة الإنسان لم ينعم به الله (وما يكُم من نعمة فمن الله)^(٤)، (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)^(٥)، ولكن قارون رجل غبي لم يتبصر بالدنيا ولم يتعرف حقيقتها ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾^(٦)، وغداً سيتضح له حقيقة الدنيا عندما يقف المجرمون بين يدي الله وقد حقت عليهم كلمة العذاب (ولا

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) القصص: ٧٨.

(٣) نهج البلاغة، قصاص الحكم/ ٣٣٠.

(٤) النحل: ٥٣.

(٥) النحل: ١٨.

(٦) القصص: ٧٨.

يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» لأنها كلها واضحة عند الله.

زهو الدنيا:

ثم يبين الله لنا في آية أخرى عن حال قارون ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾^(١)، وهؤلاء الذين يملكون المال والامتيازات ممن أغراهم المال وأغرتهم الامتيازات، تعرفون كيف يستعرضون قوتهم أمام الناس، في عضلاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في حالة انتفاخ الشخصية ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، فإن بعض الناس يقارنون بين ما عندهم وبين ما عند قارون ولا ينظرون إلى ما عند الله. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هؤلاء الذين عرفوا الحقيقة ونهايات الأمور، فقالوا ﴿وَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^(٢) لأن الصبر يمنحك أن تنظر نهايات الأمور ولا تسقط في بدايتها، وقد قال الإمام علي عليه السلام عن الصبر: ((إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا خير في جسد لا رأس معه لا خير في إيمان لا صبر معه))^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَيَشْرُ الصَّابِرِينَ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥).

فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾^(٦)، وفي بعض القصص أنه انفتحت الأرض فنزل قارون برجليه ثم غاب في الأرض وهو حي، فأين الذين كانوا يصفقون له ويهتفون له ويطلبون ماله ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾، ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا

(١) القصص: ٧٩.

(٢) القصص: ٨٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ٨، ب. ٢٢، ص ٧٣.

(٤) البقرة: ١٥٥.

(٥) الزمر: ١٠.

(٦) القصص: ٨١.

وَيَكُنَّ لَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ❖ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ^(١).

ويبقى - أيها الأحبة - لنا أن نفرح، ولكن الفرح الهادئ الذي ينطلق من انفتاحنا على رحمة الله ولطفه وعلى فضله وعلى عمق الانطلاق إلى الدار الآخرة، فلا بد لنا أن نعمّق الفرح ونجعله في اتجاه ما يبقى، لا في اتجاه ما يفنى. تلك هي قصة القرآن عندما نتأمله ونتدبره وعندما نتعمق فيه، إنه يؤصّل لنا مفاهيمنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة.. والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (١)

الجزع والخوف

○ الحزن عاطفة إنسانية

والإسلام لا يمنع الإنسان من أن

يعيش هذه العاطفة ○

○ الحزن مظهر إنساني.

○ الجزع انكسار.

○ مراتب الجزع.

○ مخاوف على المستقبل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لقد تحدثنا في الندوات السابقة حول الفرح في سلبياته وإيجابياته، ونتحدث في هذا اللقاء عن الحزن الذي يقابل الفرح، والحزن هو مظهر لعاطفة إنسانية طبيعية أمام ما يواجهه الإنسان من مصائب الحياة وسلبياتها، سواء كان ذلك متصلاً بمن يحب عندما يفقده أو يصيبه بعض البلاء، أو بما يحب من الأشياء التي تجتذب أحلامه وآماله في الحياة، لذلك لابد لنا أن نتابع هذه القيمة الإنسانية في سلبياتها مما لا يراد لنا أن نواجهه، أو في إيجابياتها مما يراد لنا أن نعيشه.

الحزن مظهر إنساني:

قلنا إن الحزن هو عاطفة إنسانية، والإسلام لا يمنع الإنسان من أن يعيش هذه العاطفة، فالنبي محمد ﷺ عندما فقد ولده إبراهيم قال: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب))^(١). ومن الطبيعي أن يحزن الأب - حتى لو كان نبياً - على ولده، لأن المسألة تتصل بالرابط الإنساني بين الأب وابنه، بحيث يعيش الأب الفراغ العاطفي عندما يفقد ولده، فهو أمر فطري في الإنسان لا يتنافى مع قيمة النبوة، لأن النبي بشر يعيش في مشاعره مثل البشر الآخرين، فيفرح ويحزن ويتألم ويتلذذ ويخاف، من دون أن يُسيء ذلك إلى كمالاته في مواجهة مسؤولياته في الحياة.

وهكذا - أيها الأحبة - نقرأ حزن الإمام علي ﷺ في تأبينه للرسول ﷺ، وفي

تأبينه لزوجته فاطمة ؑ، وتأتي قضية الإمام الحسين ؑ لتفجر كل ينابيع الحزن في قلوبنا وفي عيوننا، من خلال عمق المأساة، فيها باعتبار أنها تمثل المأساة الإنسانية، التي دلّت على وحشية الإنسان عندما يتحول إلى وحش كاسر، مع صورة طيبة هي في المستوى الأعلى من القيمة الإنسانية التي يرتفع الإنسان بها كما ترتفع لتكون الأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ولكن عندما نمارس الحزن في مظهره، لا بد أن يكون الحزن هادئاً إنسانياً، دمة تسيل وقلب يتفجر بالألم، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١). أن تحزن ثم ترجع إلى إيمانك لتفلسف موقف الحزن. فعندما يموت الحبيب أو القريب، فقد تتدفق عاطفتك لتعبر عن الحزن، ولكن عليك وأنت في حالة الحزن، أن تفكر أنك ملك الله، وأن كل هؤلاء الناس الذين تحزن عليهم هم ملك الله أيضاً، فإذا كنا لله، فله أن يفعل بنا ما يشاء. ثم إنه لن يمتد أحد في الحياة للخلود، فكل واحد منا مرحلة معينة يعيشها ثم يرجع إلى ربه. وعلى ضوء ذلك، فلا بد للإنسان من أن يفكر بأن ما يحزن عليه ليس شيئاً فوق طبيعة الأشياء، بل هو أمر يتحرك في الخطوط الطبيعية التي أودعها الله في الكون والخلق. وقد علّق الإمام علي ؑ على الآية ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فقال: ((إنا لله إقرار بالملك)) لأنه يملك ما لا نملكه من أنفسنا و((وانا إليه راجعون هو إقرار بالهلك))^(٢) وبأننا سنهلك وسنموت. إذاً لا بد أن يكون الحزن مجرد نبضة قلب، وأن لا يتعاضم الشعور السلبي في الإنسان ليعترض على الله، كما نجد بعض الناس الذين يقولون كيف قتل الله فلاناً وكيف مات هذا الطفل؟ وهو سبحانه كما قال: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٣)، وهو لا يفعل إلا بمقتضى الحكمة والرحمة مما قد يدركه الإنسان وقد لا يدركه، الأمر الذي

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ج ١٨، ب ٩٥، ص ٢٥٥.

(٣) الأنبياء: ٢٣.

يفرض عليه التسليم لأمر الله . لذلك عندما تحزن أو تصاب بمصيبة لتدفعك إلى أن تعيش الحزن، فعليك أن تستحضر إيمانك وعقيدتك حتى لا يبتعد بك الحزن - في تفاعلاته الشعورية - عن إيمانك .

ولذلك، فإن الله أعطى للذين يصبرون ويحركون إيمانهم في خطوط الصبر الأجر العظيم «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ»^(١)، فإن الله سبحانه يصلي على الصابرين الواعين في صبرهم، كما يصلي على نبيه ﷺ «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ»^(٢) و«أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ»، والله إنما يعطيك من رحمته على صبرك، لأنك انفتحت في وعيك للمصيبة وفي ممارستك للحزن، لأنك تطلعت إلى الله في معنى رحمته وربوبيته «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ» . فهذا هو خط الهدى، وهو أن تسير دون أن تسمح لعاطفتك بأن تتضخم بما لا يرضي الله . وعلى ضوء هذا، نلتقي بحالة غير طبيعية للحزن وهي حالة الجزع .

الجزع انكسار:

والجزع، كما ورد في مفردات الراغب الأصفهاني، أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام، والجزع هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصده ويقطعه عنه . وهو حالة غير عقلانية وغير طبيعية في ممارسة الحزن، لأنك عندما تجزع فإنك قد تضر نفسك وتترك حياتك، فتعزل عن مسؤولياتك، لأن الجزع يختزن في داخله الاعتراض على الله بشكل لا شعوري، وقد وردت بعض الأحاديث في هذا الشأن عن النبي محمد ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ . ومما ورد في الكتاب قوله سبحانه وتعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعًا ❖ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا»^(٣) يعني أنه سقط تحت

(١) البقرة: ١٥٧ .

(٢) الأحزاب: ٤٣ .

(٣) المعارج: ١٩-٢٠ .

تأثير الشر الذي يصيبه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^(١) وقد استثنى سبحانه وتعالى المصلين، لأن الصلاة تفتح قلبك وكيانك على الله، فلا تخطئ الطريق عندما تعيش حالات الشر أو الخير، وعليك أن تتوازن في مسؤولياتك مع الشر أو الخير، فلا تجزع الجزع الذي يسقطك.

وقد قال النبي ﷺ: ((من يعرف البلاء يصبر عليه))، أي من يعي أسبابه وخلفياته، ((ومن لا يعرفه ينكره))^(٢). وهنا نقطة مهمة جداً، فكأن النبي ﷺ يقول لنا حاولوا أن تدرسوا البلاء الذي قد يكون في موت عزيز أو في خسارة أو فشل، وقد يكون هزيمة وما إلى ذلك.. من سلبيات قد تصيب الإنسان في الحياة. افهم بلاءك، وحاول أن تدرسه، فالمرض من أين جاء؟ وكيف تتعامل معه؟ وكذلك الخسارة من أين نشأت أو الهزيمة عندما تكون هناك حرب بينك وبين عدوك، فعلى أي أساس انهزمت أمامه أو انتصر عليك؟ وهكذا في مسألة الفشل والنجاح في الدراسة أو المشاريع.

لذلك إذا فهِمْتَ البلاء بحسب عناصره وأسبابه ونتائجه، فإنك ستعرف كيف تتعامل معه بوعي، وسوف لن يطفئ عليك، لأن الإنسان إذا فهم الشيء استطاع أن يتحرك معه بدراسة موضوعية عقلانية. أما من لا يعرف البلاء أو ينكره فإنه يسقط أمامه. وهكذا نقراً قول الإمام علي عليه السلام: ((إياك والجزع فإنه يقطع الأمل))، يعني إذا عظمت المصيبة عندك بحيث شغلتك عن معناها أو أسقطتك عن فهم كل ما تقبل عليه، فإنه سوف يقطع الأمل عنك ((ويضعف العمل))، لأنه يبعدك عن خط المسؤولية، ويورث الهم ((واعلم المخرج من أمرين، أما ما كانت فيه حيلة فالاحتياال عليه)) بأن تخطط للخروج منه ((وما لم تكن فيه حيلة فعليك أن تصبر))^(٣) كما هو المرض الذي لا دواء له، فيقول الإمام

(١) المعارج: ٢٠-٢٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٤. ص ٤٠٣. ح ٥٨٦٨. ب ٢.

(٣) بحار الأنوار. ج ٨٢. ص ١٤٤. ح ٢٩. ب ١٦.

عليه السلام واجه البلاء مواجهة واقعية، فإن كان له مخرج، فابحث عن مخرجه، وإن لم يكن كذلك فعليك أن تصبر حتى لا تسقط أمامه.

وهكذا ورد عندنا في الحديث: ((الجزع عند المصيبة يزيد بها))^(١)، فللمصيبة حجم معين، وعندما تجزع فإنك تخلق مشكلة أكبر، لأنك سوف تزهق نفسك بواسطة الجزع. يقول الإمام علي عليه السلام: ((الجزع لا يدفع القدر ولكن يحبط الأجر)). وقد عزى الإمام عليه السلام شخصاً في ولد له فقال له: ((إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور))^(٢)، لأن أسباب القدر كلها موجودة، أن تصبر لتحصل على الأجر، وإن جزعت يمشي عليك القدر وأنت مأثوم.

مراتب الجزع:

وللجزع مراتب. يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((صوتان يبغضهما الله، إعوال عند مصيبة ومزمار عند نعمة))^(٣)، يعني عندما يعول أحد عند المصيبة بصورة غير طبيعية، أو يبظر فيلهو عند حصول النعمة. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب))^(٤). وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((أشد الجزع الصراخ بالويل والعيول ولطم الوجه والصدر وجر الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر))^(٥). ويقول الإمام علي عليه السلام: ((من ضرب بيده على فخذه عند المصيبة فقد حبط أجره))^(٦)، ويقول: ((إن كنت جازعاً على ما تفلت من بين يديك)) كالأشياء التي فقدتها ((فاجزع على ما لم يصل إليك)) شيء كان من الممكن الحصول عليه

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ١. ص ١٧٧. باب الجزع عند المصيبة.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ١٩. ص ٢٩٧. ص ١٩٢.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧٧. ص ١٤٥. ب ٧. ح ١.

(٤) التهذيب. ج ٨. ص ٣٢٥. ح ٢٣. ب ٤.

(٥) أصول الكافي. ج ٣. ص ٢٢٢. ح ١.

(٦) من لا يحضره الفقيه. ج ٣. ص ٤١٦. ح ٥٩٠٤. ب ٢.

ولكنك لم تتملكه، ((واستدل على ما لم يكن بما كان فإن الأمور أشباه))^(١) من الأشياء التي لم تقع ولم تحصل، لتحاول أن تقارن بينها وبين التي كانت، حتى تفهم الحياة بشكل متوازن على هذا النحو.

أما الحزن الذي ينطلق من المصيبة، فعلينا أن نتوازن معه ونعيشه في حالة إنسانية، وأن لا نسقط أمام الحزن على حدّ الجزع، حتى أن علياً ؑ عندما كان يُفسّل النبي ﷺ قال: ((لولا أنك أمرتنا بالصبر ونهيتنا عن الجزع لأنضدت عليك ماء الشؤن)). ولذلك لا يريد الله للإنسان أن يسقط أمام حالة الجزع، لأنها حالة غير إنسانية، ويريد له أن يكون متوازناً في كل أموره، سواء في حالة الفرح أو في حالة الحزن. أما قوله ﷺ عند وقوفه على قبر رسول الله ﷺ ساعة دفنه: ((إن الصبر لجميل إلا عليك وإن الجزع لقبيح إلا عليك))، فهو وراد على سبيل المبالغة في تصوير عظم مصاب، وليس وارداً في مقام بيان جواز الجزع الذي نهى عنه بشكل مطلق، لأنه في دلالاته النفسية والعلمية مظهر من مظاهر استعظام المصاب وعدم التسليم لأمر الله، بلحاظ فقدان توازن الإنسان في ممارسة الحزن. وفي ضوء ذلك، نعرف أن الجزع مرفوض إسلامياً حتى على المصيبة الكبرى كمصيبة كربلاء.

مخاوف على المستقبل:

وتنطلق الآيات والأحاديث من فكرة أن الإنسان قد يواجه بعض المخاوف في حياته من خلال كل عوامل الخوف، ويغفل عند ذلك عن لطف الله سبحانه وتعالى ورعايته وحمايته لأوليائه وأنبيائه، وبذلك يعيش الزلزال، وربما يؤدي ذلك إلى نتائج سلبية.

وهذا ما حدثنا الله عنه في ليلة هجرة الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا^(١)، حيث كان الواقع يوحي بأشد حالات الحزن، حيث يسيطر الخوف على الإنسان، وهو ما يجتذب الحزن، وكان النبي ﷺ وصاحبه في الغار، وكانت قريش قد اصطحبت من يقتضي أثرهما، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر حمامة فباضت وأمر عنكبوتاً فنسجت نسيجاً، بحيث لو كان أحد موجوداً داخل الغار لتمزق نسيج العنكبوت، فوقفت قريش حائرة بعضهم يقول لندخل والبعض الآخر يقول لو كان النبي ﷺ قد دخل الغار لما بقي النسيج ولتحطم البيض. هنا كان صاحب النبي ﷺ بحالة خوف شديد، لأنه لم يكن بينهما وبين القوم إلا أن يمدوا أيديهم فيجدونها، فانتابه الحزن الشديد، بينما النبي ﷺ كان هادئاً مطمئناً، فخاطب صاحبه بأن خروجه كان بأمر الله الذي أمره بالهجرة، وهو الذي تكفل بحمايتهما ورعايتهما، «لا تحزن إن الله معنا» فما قيمة قوة قريش وما قيمة كل ما يخططون له «فأنزل الله سكينته عليه» والسكينة ممتدة مع النبي ﷺ في كل موقف من المواقف «كذلك لنثبت به فؤادك»^(٢) فكان يثبت رسوله في أكثر من موقف من المواقف التي تقتحم الزلزال في النفس البشرية، لأنه في رعاية الله ولطفه وحمايته. «وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم».

هذا المعنى يحدثنا القرآن عنه بالنسبة للمؤمنين المخلصين من أصحاب الرسول ﷺ الذين أخلصوا له وجاهدوا معه وعاشوا الإيمان في مستوى الانفتاح على الإسلام كله، فقد واجهوا الحدث بحيث إنه خيل إليهم أن الناس كلهم في الموقع المضاد «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم»^(٣) يعني لقد جمع الناس كل قواهم في عتادهم وأسلحتهم وأموالهم وامتيازاتهم «فاخشوهم» لأنه شيء يبعث على الخوف، عندما يكون هناك عشرة أو أكثر مقابل شخص واحد،

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) الفرقان: ٣٢.

(٣) عمران: ١٧٣.

فمن الطبيعي أن يعيش الإنسان الحزن على نفسه، باعتبار أن ذلك التجمع خطر على حياته، فكيف إذا كان الناس كلهم ضد المؤمنين في حالة لا تملك التوازن في مواقع القوة، ولكن القوم تعلموا من الرسول ﷺ ومن القرآن، أن يثبتوا أمام الزلازل النفسية التي يثيرها الآخرون، وأن يدخلوا دائماً في مقارنة بين الله وبين الناس، بين قوة الله وبين قوة الناس. وهذا ما يغفل عنه الكثيرون، عندما يستغرق الإنسان في قوة الناس أو قوة الطغاة والمستكبرين، فيدفعه ذلك إلى السقوط أمامهم وإلى اليأس والإحباط في مواجهتهم، لأنه يرى في هذه السلطة قوة لا تقاوم، وأنه ليس هناك أحد يستطيع مواجهة هذه القوة أو إسقاطها، بينما إذا دخل الإنسان في مقارنة بين قوة الله وقوة الناس، فعند ذلك تختلف المعادلة، ويحصل على الطمأنينة النفسية، ويشعر أنه مع الأقوى.

وأما هؤلاء المستكبرون، فإنهم مهما بلغوا من قوة فإنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، لأن «الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»^(١)، ولأن «الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً»^(٢)، وكان الموقف هو موقف السكينة الروحية «فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» يعني أن الله هو الذي يكفينا من كل هؤلاء الناس، وهو الذي نكل إليه أمورنا، وهو الذي تكفل بنصرنا «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»^(٣). ثم يبين سبحانه وتعالى النتيجة: «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ»^(٤)، فإن الله سبحانه يبين هذه المعادلة لكل الإعلام التهويلي الذي يحاول أن يزرع الخوف في نفوس الناس ويسقطهم قبل بدء المعركة.

ونحن نعرف أن الحرب الآن تقوم على أجهزة الإعلام من خلال القنوات

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) النساء: ١٣٩.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) آل عمران: ١٧٤.

الفضائية التلفزيونية أو الإذاعية والإنترنت وكل وسائل الإعلام، تلك التي تحاول أن تقتحم مشاعر الناس وأحاسيسهم من أجل تخويفهم ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾^(١) إن الذين يصنعون سياسة الخوف هم أولياء الشيطان الذين يفعلون بتخويف الشيطان ويسقطون أمامه، لأن الله سبحانه لم يعش في عقولهم وفي قلوبهم ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا يعطينا قيمة الثقة بالله سبحانه وقيمة الإحساس بقوته. وإذا قال البعض إن الله لا يحارب نيابة عنا، لأنه أجرى الحرب على حسب السنن التي أودعها في الكون، فإنه قول صحيح، ولكن قيمة الطمأنينة النفسية التي تحصل من خلال استحضار قوة الله في النفس، واستحضار نقاط الضعف بالمقارنة بين الناس وقوة الله، تعطي نوعاً من ثبات النفس، لأنك تتقدم - عندئذٍ - للتخطيط بعقل مستقر، وتتقدم للتنفيذ بخطة قوية تتحرك هنا وهناك.

وعلى العكس، عندما يكون الإنسان بحالة زلزال فلا يستطيع أن يتحرك، ويتحول عند ذلك إلى حالة شلل في العقل والقلب والحركة. ولذا نلاحظ أنه في حالة الحرب، يحاول كل فريق أن يثبت جنوده ويعطيهم القوة المعنوية، لأن المسألة ليست في القوة التي تحارب بها، لأنك إنما تحارب من حيث عناصر القوة التي تحركها. فالشخص الجبان الذي يكون خائفاً مهزوزاً، فإنه يكون على هذه الحال وإن أعطيته أفضل الأسلحة، لأنه لا يملك الإيمان، فقيمة الإيمان هي أنه يمنحك الثبات في كيانه، فيمكن لعقلك حينئذٍ أن ينصرك في هذا الاتجاه، ويمكن لقلبك ألا يضطرب، ولحركتك أن تعرف كيف تثبت أقدامها في مواقع الزلزال.

وعلى ضوء هذا، نفهم من الآيتين ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ و ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ البعد الإيماني العميق في حياة الإنسان من خلال وقائع التاريخ في حركة النبي ﷺ والمسلمين الذين كانوا يسترشدون الأسلوب القرآني الذي يعطي كل العاملين في سبيل الله، وكل المتحركين في ساحة الصراع، النهج الذي

ينطلقون فيه من خلال السكينة الروحية، ومن خلال الثبات.
هذا بعض الحديث، وللحديث بقية، لنفهم كيف نحزن وما هي حدود
الحزن فيما هو المنهج القرآني وسنة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ .. والحمد لله رب
العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (٢) حزن الدعاة إلى الله

○ كمسلمين لا بد لنا أن

نؤصل هذه المفاهيم التي تتصل

بحياتنا الداخلية والخارجية،

ليكون انفتاحنا على كل

المفاهيم العامة في الحياة من

خلال الإسلام في كتابه

وسنته ○

○ الحزن قرآنياً.

○ خطاب القوة.

○ الخطاب الأبدي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الظاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لقد تحدثنا في ما سبق عن الحزن باعتباره عاطفة إنسانية قد تنطلق من خلال واقع نفسي صعب أو من خلال واقع خارجي مؤلم، أو من خلال بعض الهواجس التي يعيشها الإنسان في تفكيره للمستقبل. وقد عالج القرآن الحزن في أكثر من موقع على مستوى الرسالة وما يتطلع إليه المؤمنون، كما عالجت السنة الواردة عن النبي ﷺ وعن الأئمة الهداة ؑ كثيرا من جوانب هذا الحزن الذي لا يخلو منه إنسان.

الحزن قرآنيا:

فالحزن هو الطابع الذي يطبع حياة كل إنسان في أكثر من جانب من جوانب حياته، منذ طفولته الأولى إلى آخر لحظة من حياته، وهو يستعد للقاء الله سبحانه وتعالى، ونحن كمسلمين لابد لنا أن نؤصل هذه المفاهيم التي تتصل بحياتنا الداخلية والخارجية، ليكون انفتاحنا على كل المفاهيم العامة في الحياة من خلال الإسلام في كتابه وسنته.

ولا نزال نتابع ما ورد في القرآن الكريم حول هذا العنوان، فمن بين الآيات التي خاطب الله فيها النبي محمد ﷺ، وهو الذي كان يعيش عمق الإنسانية في حركته الرسالية، ففي الوقت الذي كان النبي ﷺ يدعو الله، كان الآخرون بين جاحد له أو معرض عنه، أو صادم عن سبيل الله، فكيف كانت مشاعر النبي ﷺ تجاه تلك الأساليب السلبية؟ هل كان النبي يحقد؟ وهو الذي ليس في قلبه أية ذرة من الحقد حتى للذين يحقدون عليه؟ كان ﷺ القلب المفتوح على الحب، يحب من آمن به ليتحرك معه في خط إقامة حكم الله، ويحب من لم يؤمن به من أجل

أن يفتح عقله وقلبه على الرسالة. وكان يعيش الحزن عليهم، وكان قلبه يتألم وكلماته تتألم، ونزل القرآن ليهوّن عليه ذلك الأمر، وليعرفه أن هؤلاء لا يستحقون الحزن عليهم، لأنك - والخطاب لرسول الله ﷺ - إنسان كأعمق ما تكون الإنسانية، ولكن هؤلاء قد خرجوا عن طور الإنسانية، فأغلقوا عقولهم وقلوبهم، ووضعوا الحواجز أمام تغيير حياتهم، وأمام الذين يريدون تغيير الواقع من الفاسد إلى واقع أفضل وأصلح..

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَمُدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾^(١) أي لا تنظر إلى كل هذه الزخارف والبهارج، ولا تعتبر أن ذلك مظهر قوة لهم، بل هو مظهر ابتلاء، فقد يبتلي الله بعض الناس ليختبرهم، هل يشكرونه أو يكفرون به، وقد يختبر الله بعض الناس بالفقر ليرى هل يصبرون أم يسقطون. ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنك تعيش الألم تجاه هؤلاء وهم يضلون فيشقون في الحياة، لأنهم لم يهتدوا إلى الطريق الذي يؤدي إلى السعادة والتوازن، ولم يستطيعوا بناء المجتمع الذي يحب ويساعد بعضه بعضاً. ﴿وَأَصْبِرْ﴾^(٢) على ما تلاقيه من عنت وجحود ونكران، لأن صاحب الرسالة التي تتحدى الواقع السيئ في الناس يتحرك تماماً في مواجهة التيار، ومن يواجه التيار القوي ويتحداه لا بد له أن يعدّ عضلاته لتكون مستعدة لتلقي ضربات التيار، فلا تسقط عضلاته أمام ذلك، والصبر هو أن تتمرد على كل نقاط الضعف في نفسك، وأن تتحدى كل عناصر الألم فيها، فمعنى أن تصبر هو أن لا تسقط أمام كل الضغوط التي تطبق عليك، وأن تبقى ثابت القدم من دون أن تتراجع ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ فعندما تصبر أمام كل هذه الضغوط التي تطبق عليك، وهي مثل الجبال، فإنه قد لا يكون صبرك بمستوى قدرتك، ولكن عندما يرتبط صبرك بالله تشعر بأن الله معك، وبذلك تستطيع أن تجعل من نفسك إنساناً قوياً ثابتاً قادراً على مواجهة كل

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) النحل: ١٢٧.

الضغوط التي تقع عليك ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنك أديت كل الرسالة، وأعطيتهم كل الحب، وجرّيت معهم كل الوسائل، ولكن ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، لأن هذه مشكلة الذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾^(٢) أي لا تحزن عليهم، لأنهم لا يستحقون حزنك ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾^(٣) أي لا ترهق نفسك بالخطط التي يخططونها لإسقاط موقفك وموقعك وتشويه صورتك. افتح قلبك لله يفتح المستقبل أمامك كأوسع ما يكون.

خطاب القوة:

إن الذين يفكرون في الزوايا الصغيرة هم الذين تخنقهم الزوايا الصغيرة، وأما الذي يفكرون بأوسع مما في السماء والأرض، لأنهم يفكرون بالله المطلق في كل شيء، فإنه لا يمكن أن يضيق بهم موقع ولا موقف، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، ولكنه ليس خطاباً بلحاظ كونه الشخص، بل هو خطاب له كصاحب رسالة، ولذلك فإن الله يخاطب الأمة من خلال النبي ﷺ، وهو يخاطبنا عندما نتحمل الرسالة، وعندما تكون لنا قضية كبيرة وخطة واسعة أن اصبروا أيها الحاملون للرسالة، اصبروا أيها المتحملون للقضايا الكبرى، الذين يحملون هموم الأمة في كل التحديات التي تواجهها، وما صبركم إلا بالله، ولا تضيقوا بالتحديات، ولا تسقطوا ولا تتراجعوا، إنه خطاب القوة التي يريد الله لها أن تكون قوة داخلية. فمعنى أن تكون قوياً هو أن تكون قوياً داخل كيائك كي تركّز القوة في واقع حياتك، لأن الإنسان الذي يكون ضعيف العقل والقلب لا يمكن أن يكون قوياً في ساحة المعركة. وفي ساحة التحديات لا يكفي أن تكون لك عضلات قوية في ساعدك، ولكن لابد لك أن تكون قوياً في شعورك وإحساسك وعقلك

(١) يس: ١٠.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) النحل: ١٢٧.

وقلبك. إن العضلات القوية في الداخل هي التي تعطي القوة في واقعك ومواقفك.

ومن خلال هذا نعرف كيف كان القرآن الكريم يتعهد برعاية النبي ﷺ في حركته الرسالية، ولهذا لم ينزل القرآن دفعة واحدة، بل نزل متدرجاً ليوكب حركة الدعوة الإسلامية منذ بدايتها في مكة وحتى ظهورها في المدينة، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾^(١)، لماذا لم ينزل كتاباً مجلداً مذهباً؟ فيجيب القرآن ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لأن الرسالة قد تتحرك في مواقع الزلزال النفسي والحركي، والله يريد أن يثبت رسوله، كما يريد أن يثبت المؤمنين، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) فالقرآن نزل من أجل أن يوكب حركة الإسلام الرسالية في مواجهة تحديات الشرك والكفر والضلال والاستكبار.

﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾^(٣) حتى لو كانت مسارعتهم في الكفر تعطل جهودك وتثقل مسيرتك، إنها كلمات يقولونها وتذهب في الهواء. إنها إضلال ليضلوا به الأغرار من الناس، وستزول عندما تنطلق الحقيقة لتفرض نفسها على الناس ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ إنك تنطق باسم الله وتدعو لله، فأنت لا تمثل نفسك ليكون لك حزنك الشخصي، بل تنطلق بصفة أنك رسول الله لا بصفة أنك محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي، لذلك عندما تدرس واقعهم في ما يثيرونه من ضرر فأعلن ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لأن الله لا يستعجل بعذابهم، لأنه ((إنما يعجل من يخاف الفتور)) والله لا يعجل، لأن ﴿اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾^(٤) والله يعلم

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) النحل: ١٠٢.

(٣) آل عمران: ١٧٦.

(٤) يوسف: ٢١.

ذلك بشكل جازم ثابت، لأن علم الله ينفتح على الحقيقة ولا يعرضه أي اهتزاز بالشك.

ولكن القرآن يتنوع في أساليبه، فقد يعبر عن الشيء الذي هو في مستوى الحقيقة كما هو في موضع الأخذ والرد، كقوله «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ»^(١) عندما يقولون إنك شاعر أو مجنون أو كاهن «وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»^(٢) «إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ»^(٣)، قد يحزنك ذلك، لأن هذه الكلمات ليست كلمات الحق، بل هي كلمات الباطل، إن عقلك فوق العقول، لأن قولك ليس بقول شاعر ولا كاهن، وإن كلماتك وإن كانت تفعل فعل السحر - مجازاً - عندما تفتح العقول على الحقيقة من خلالها، وعندما تنفذ إلى المشاعر، إلا أنها ليست سحراً، وأنت الصادق الأمين، إنك رسول الله، وأنت الذي قلت لهم: «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا»^(٤) إذ لم تأتهم لتستعرض عضلاتك في تغيير العالم لتحول الصحراء إلى أنهار وجنائن، ولكنك قلت لهم ما قال لهم الأنبياء قبلك: «أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ»^(٥) «قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ»^(٦)، ولكن القضية لا تتصل بك، لأن رسالتك هي رسالة الله «فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ» لأنك لا تتكلم معهم بصفتك الشخصية ليكون التكذيب من قبلهم تكذيباً شخصياً لك «وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ»، فالتكذيب موجه لله وآياته وإلى الحقائق التي أنزلها الله في كتابه، والله يتكفل بالأمر كله.

(فذكر إنما أنت مذكر ❖ لست عليهم بمسيطر)^(٧) (فإنما عليك البلاغ

(١) الأنعام: ٣٣.

(٢) الفرقان: ٥.

(٣) النحل: ١٠٣.

(٤) الإسراء: ٩٣.

(٥) المؤمنون: ٣٢.

(٦) الأنعام: ٣٣.

(٧) الغاشية: ٢١-٢٢.

وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ^(١) لذلك لا تتزعج ولا تحزن وواصل مسيرتك، «فَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولُ مِنْ قَبْلِكَ»^(٢) فلست أول رسول يُكذَّب، فصبروا على ما أودوا، وأنت خاتم الرسل، ورسالتك خاتمة الرسالات «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ»^(٣) «وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا»^(٤)، ولقد جاءهم النصر في حياتهم كما جاء للنبي في حياته «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ❖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ❖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا»^(٥) وهو القائل ﷺ: ((ما أودى نبي مثلما أوديت))، لأن تنوع حركته وتنوع التحديات من أكثر من جهة لم تصادف نبياً قبلاً، وربما قُتل بعض الأنبياء وجرح البعض الآخر، ولكن الرسول محمد ﷺ كان يتلقى الكثير من الإيذاء والألم، وقد كانت حياته ألماً كلها، لأنه كان ينطلق في رسالته على مستوى العالم، فهو يتحدى كل الكفر العالمي وكل استكباره «وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» لأن سنة الله في الآخرين هي سنته في الأولين، فالرسالة لا يمكن أن تنتصر إلا من خلال المعاناة، ومن خلال ما يتحملة الرسل وما يعانونه من الجهد والمشقة، فهذه كلمات الله وسنته «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا»^(٦) «وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ»^(٧) فإن الله عرفك بذلك.

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: «وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ»^(٨) لا تحزن على كلماتهم السلبية، فمن هم هؤلاء؟ وماذا يمثلون أمام الله؟ «إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ

(١) الرعد: ٤٠.

(٢) فاطر: ٤.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) الأنعام: ٣٤.

(٥) سورة النصر.

(٦) الأحزاب: ٦٢.

(٧) الأنعام: ٣٤.

(٨) يونس: ٦٥.

أَمْرُهُ^(١) «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»^(٢) «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا»، «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»^(٣)، فهم الأذلاء وأنت العزيز، لأن الله أعطاك العزة، ولا يعطي العزة إلا هو، فهو الذي يوزع العزة على الناس بحسب حكمته «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤)، «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»^(٥)، «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا».

وقد عبر الإمام الصادق عليه السلام عن عزة المؤمنين الذين أعطاهم الله فيضاً من عزته من معنى العزة في كلمتين، إذ يقول في الكلمة الأولى: ((إن الله فَوْضَ إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً))، فلست حراً في أن تذلل نفسك للمستكبرين والمتجبرين، ولا في أن تسقط أمامهم أو أن تطلب منهم النصر، لأنهم لا ينصرونك بل ينصرون استكبارهم.

وفي الكلمة الثانية يقول: ((إن المؤمن أعز من الجبل))، فتصور الجبل في صلابته وشموخه وعلوه وثباته ((إن الجبل يُسْتَقَلُّ منه بالمعاول وإن المؤمن لا يُسْتَقَلُّ من دينه شيئاً))^(٦)، إذ يبقى المؤمن صلباً في دينه وصلباً في موقفه وصلباً في كل مواجهته للتحديات «وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٧) «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ»^(٨)، فقد أدبت رسالتك وأقمت الحجة عليها، وسيمثل الناس أمام الله غداً «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ»^(٩)، «إِنَّا مَرْجِعُهُمْ

(١) الطلاق: ٣.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) يونس: ٦٥.

(٤) آل عمران: ٢٦.

(٥) المنافقون: ٨.

(٦) التهذيب، ج ٦، ص ١٧٩، ح ١٦، ب ٢٢.

(٧) يونس: ٦٥.

(٨) لقمان: ٢٣.

(٩) الأنعام: ١٤٩.

فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا^(١).

وهكذا تعهد الله رسوله بالسير قدما، وأن لا يتأثر بكل ما واجهه من تحديات وضغوط وأذى وما إلى ذلك. وهكذا رأينا الرسول ﷺ شامخا قويا مخلصا متحديا، لأن الله كان معه، وقد تحدثنا في الأسبوع الماضي عن قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) فيما هو التسديد الإلهي والتعهد للنبي ﷺ بالسكينة، فهذا هو سر قوة الرسول ﷺ، وهذا هو سر قوة وصيه الإمام علي ﷺ الذي باع نفسه لله، وكان مع الله في كل أموره، وكان يقول: ((والله ما قلعت باب خيبر بقوة بشرية ولكن بقوة ربانية))^(٣)، لأن الله كان يمنحه ذلك من خلال قوة إيمانية، وقوة حضور الله في نفسه وقوة محبته لله، حتى أنه باع كل نفسه لله، فكانت قوته تتطلق من الله.

الخطاب الأبدي:

وهكذا، إن كل هذه الآيات تجعلنا نشعر أننا المخاطبون بها، لأن الرسالة لم تتطلق في مرحلة محدودة وهي المرحلة النبوية، بل إن الرسالة تتطلق في كل مسيرة الحياة، إذ إن الله جعلها كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٤)، فهو خاتم الرسالات، وكل جيل يحمل الرسالة في الخط الفكري ويحمل الرسالة في الخط العملي وفي الفكر والشرع الإسلامي والقضايا الإسلامية ويثبت أمام التحديات.

ونحن نواجه الآن في هذه المرحلة التحديات الكبرى على المستوى المحلي والدولي والإقليمي، حيث انطلق الاستكبار كله ضد المسلمين كلهم وضد

(١) لقمان: ٢٣.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٤٧، ح ١٣، ب ٥.

(٤) الأحزاب: ٤٠.

المستضعفين كلهم. لذلك علينا أن نسفيد من القوة والعزة التي أمدنا بهما الله، وأن لا نسقط أمام التهاويل الإعلامية والتهديدات الأمنية وكل الخطط السياسية. فعلينا أن نفكر كأمة لا كأفراد، لأن مشكلتنا ومأساتنا أننا نفكر كأفراد، وجماعات متفرقة وكأحزاب «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ»^(١) والله يقول: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»^(٢)، «وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ»^(٣)، «واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمةِ إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»^(٤)، فلا تعودون أعداء يضرب بعضكم رقاب بعض، لأن المسألة هي أن يكون المسلمون يداً على من سواهم «وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ»^(٥).

وعلى أن نعرف أن أعداء الله لا يمكن أن يعطونا نصراً ولا حلاً، فلذلك علينا أن لا نستقوي بأعداء الله ولا نستعين بهم، لأنهم لا يريدون بنا خيراً، وخصوصاً في هذه المرحلة، إذ أن بعض الناس قد يراهنون على أمريكا بأمل أنها سوف تنصر لهم وتخلصهم من الظلم، وهي التي أسست أساس الظلم والجور في العالم. ألا تقرأون في بعض الزيارات: ((لعن الله من أسس أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت))، فإننا نلعن كل من أسس أساس الظلم والجور، فلماذا لا نلعن من أسس أساس الظلم والجور على الإنسانية كلها وعلى المسلمين وعلى المستضعفين كلهم، وإن من يكره الظلم في التاريخ، لا بد أن يكره الظلم في الحاضر والمستقبل، ومن يؤيد الظالم في الحاضر والمستقبل ويستعين به فهو

(١) المؤمنون: ٥٣.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) المؤمنون: ٥٢.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الأنفال: ٦٠.

كاذب في لعنه ورجمه الظالم، لأن اللعن على الظلم في التاريخ لا يكلفنا شيئاً، بل إنها مجرد كلمات، ولكن لعن الظلم في الحاضر يكلف جهداً ومشقة، وتذكروا قول الشاعر:

المستجير بعمره عند كربيته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعض الناس عنده مثل عامي يقول: ((نُريه الموت ليرضى بالسخونة))، أي قد يرضى الإنسان بالحمى عندما تشتد وترتفع في جسده إذا خيّر بينها وبين الموت، ولكن مرحلتنا ليست كذلك، فهم يروننا الموت بسرطان الرئة، ونحن نريد الموت بسرطان المعدة وما أشبه ذلك، وهكذا نتقل من سرطان إلى سرطان ومن موت إلى موت، فهل يكون خيارنا أن نختار بين مorte دولية ومorte إقليمية، تلك هي المسألة التي تحتاج إلى عقل يخطط ويفكر ويتحدى .. والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (٣) آلام وأحزان الأولياء الصالحين

○ أراد الله منا أن نهتدب

غرائزنا لا أن نلغيها ○

النقد الذاتي.

الآلام المتبادلة.

حزن أم موسى.

حزن مريم.

الآلام المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال نتحدث عن ألوان الحزن في القرآن، وكما ذكرنا في أحاديث سابقة، أن الحزن يمثل عاطفة إنسانية كسائر العواطف الإنسانية التي تتبع من كثير من الحالات السلبية التي تعرض للإنسان من خلال شيء يمسه في جسده أو يزعجه في فكره أو يريكه في عاطفته أو يرتبط ببعض الأحداث التي تحيط به وتتحدى أمنه وحياته، ولا ينكر الإسلام على الإنسان أن يحزن، فقد خلق الله غرائزنا في داخل ذواتنا، وجعل لهذه الغرائز دوراً حيوياً في توازن الحياة، فكما أعطانا الله سبحانه وتعالى العقل لنفكر بما يمكن أن يجعل للحياة نموها وحركتها وخطتها في كل مسيرتها، فإنه أعطانا العاطفة التي تلتقي بكل الغرائز الإنسانية، وأراد الله منا أن نهذب هذه الغرائز لا أن نلغيها، فغرائزنا هي سر وجودنا، ولكن علينا أن ننظمها ونزواج بين الغريزة والعقل، لأن الغريزة إن انفصلت عن العقل دمرت إنسانية الإنسان، كما أن العقل إن ابتعد عن حيوية الغريزة فإنه يواجه جفافاً في طبيعته، لذلك أراد الله لنا أن نعيش الحزن كأية غريزة إنسانية، ولكن بشرط أن نضبطه وأن نوازنه ولا نسمح له بالاندفاع ليسقط حياتنا في دائرة السلبية.

النقد الذاتي:

ولنقرأ بعض آيات القرآن الكريم في هذا المجال، ففي معركة أحد التي اجتمعت فيها على المسلمين الهزيمة والنصر، إذ انتصر المسلمون في بدايتها عندما أخذوا بأسباب النصر، وانهزم المسلمون في نهايتها عندما ابتعدوا عن أسباب النصر، من خلال الفوضى وعدم الانضباط وعدم تنفيذ الأوامر القيادية،

ما جعل الغلبة للمشركين، إذ أنزل سبحانه عدّة آيات في سورة (آل عمران) تنتقد السلبيات لدى المسلمين، وتوجههم لما يجب أن يعملوا في المستقبل، ولما ينبغي أن يدرسوه من نقاط الضعف التي أصابتهم وسيطرت عليهم، وهذه خصوصية قرآنية تعطينا منهجاً في الحياة، وهي أن الكثير من الناس، ولا سيما من أصحاب المواقع الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، لا يعترفون بنقاط الضعف، فينكرون السلبيات ويتحدثون فقط عن الإيجابيات، وبذلك تنمو نقاط الضعف حتى تتحول إلى مشكلة قد تسقط الحياة كلها.

وقيمة التوجيه الإسلامي أنه يؤكد على نقاط الضعف، ويريد من المسلمين أن يعترفوا بها ويعالجوها بطريقة عقلانية. ونقرأ في واقعة (بدر) في قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾^(١)، فرغم أن جماعة (بدر) كانوا هم الطليعة، فإن الله سبحانه يتحدث عن نقاط ضعفهم. ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾. وإذا يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم^(٢). وهنا في واقعة (أحد) التي نحن بصدد الحديث عما أصاب المسلمين فيها، يركّز الله على ما حدث للمسلمين، بعد الهزيمة من الضعف، وحالة الحزن على هذه النتيجة السلبية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، لأن الإيمان يعطي الإنسان الإحساس بالعزة (إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)^(٤) ويربطه بالله، ولأن المؤمن يحمل رسالة فلا يسقط، لأنه لا يعيش لذاته، بل يعيش لأتمته وقضاياها الكبيرة كلها. فعندما يعيش في حجم الأمة فكأن الأمة قد تجمعت في داخل شخصيته فلا يضعف.

(١) الأنفال: ٥.

(٢) الأنفال: ٦-٧.

(٣) آل عمران: ١٣٩.

(٤) يونس: ٦٥.

ثم تتطرق الآية الثانية في دراسة المسألة بطريقة ميدانية واقعية (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ^(١)) إذا مستكم الجراحات والهزيمة، فلستم وحدكم الذين أصابتم هذه الجراحات المادية والمعنوية (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ)، فقد هزموا في البداية وجرحوا وقُتِلَ منهم من قُتِلَ، لذلك فإن المسألة هي مسألة حرب أخذتم فيها من أعدائكم، وأخذ أعداؤكم فيها منكم، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) وهنا يعطيهم الله سبحانه وتعالى سنته في الحياة التي ليس فيها منتصر دائماً حتى لو كان رسولاً من قبل الله، وليس فيها مهزوم دائماً حتى لو كان هذا المهزوم كافراً بالله. ليس هناك قوة خالدة في الحياة، فالقوي اليوم ضعيف غداً، وليس هناك ضعف خالد، وهذا ما نعرفه من تاريخنا الحديث والمعاصر، فقد كانت بريطانيا سيدة البحار في العالم، وكانت أمريكا مستعمرة لبريطانيا، فأصبحت اليوم أمريكا بالمصطلح السياسي الدولة الأولى في العالم، وكذلك اليهود كانوا شتات العالم، وقد أصبحوا اليوم قوة تتحدى كل القوى في المنطقة، لأن سنة الله في الكون انطلقت لا على أساس الغيب، ولكن على أساس القوانين التي وضعها في نمو المجتمعات وفي ضعفها وسقوطها.

فالحضارات انطلقت في المجتمع من خلال الأسباب التي تبني الحضارات، وتسقط الحضارات من خلال أسباب سقوطها. وهذا ما يعطينا فكرة، وهي أننا عندما نريد خوض أية معركة علينا أن ندرس ما لدينا من عناصر القوة وما لدى الآخرين من عناصر القوة بالمستوى المادي، ثم ندرس الظروف التي تحيط بنا وبالآخرين، لأن المعركة تمثل كل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، فإذا كنت تعيش هزيمة نفسية فلن تحسم القوة المعركة لصالحك، لأنك سوف تسقط قبل أن تخوض المعركة، ولكن عندما تمتلك القوة الروحية، فإنك تستطيع من خلالها أن تتعامل مع وسائل القوة التي تملكها. فقله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) يعني أن علينا أن ندرس موازين القوى في العالم،

وندرس موازين القوى عندنا، وكنت - فيما مضى - أتحدث عن أن القوي يختزن نقطة ضعف والضعيف يختزن نقطة قوة، فعلينا أن نواجه القوي في نقاط ضعفه بدلاً من أن نواجه القوي في نقاط ضعفنا.

ولذلك، فإن الانتصار لا يمكن أن يتحقق بالعاطفة والحماس والانفعال والارتجال، فقد تحتاج مسألة الصراع إلى خوض عدة معارك ولمدة خمسين سنة أو مائة سنة من الإعداد، فعندما زُرِعت إسرائيل في قلب العالم العربي الإسلامي، فإننا لم نستعد للمعركة منذ البداية، ولم يتم التخطيط لها في أكثر من مرحلة من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، لذلك لم تُهزم أمام إسرائيل من خلال قوة كبرى تملكها، ولكننا هُزِمنا من خلال ضعف كبير فينا، فالعالم العربي لم يتوحد لحد الآن، ولا زلنا نعيش حالة التمزق منذ سقوط فلسطين عام ١٩٤٨م وبناء ما يسمى (دولة إسرائيل) وفي كل المواقع التي نواجهها فيها، فهناك التمزق السياسي وغيره، فأين الوحدة الإسلامية سنية أو شيعية وبين السنة والشيعية؟ وأين الكلمة سواء بين الإسلام والمسيحية كما أرادها الله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، فعندما نكون مجتمعاً ممزقاً في داخل مواقعنا، فكيف يمكننا خوض المعركة مع العدو؟ وكيف تكون النتائج؟ لأنه لا بد لنا عندما نريد أن نخوض المعركة من إعداد نفسي ومجتمعي وسياسي وتنظيم اقتصادي واستعداد أمني. إن دولة ما يسمى 'إسرائيل' عرفت كيف تسيطر على مفاصل القوة في العالم، حتى أصبح هناك من يقول بأن أمريكا تُحكم من خلال إسرائيل، وأن أمريكا ليست لها سياسة أمريكية في الشرق الأوسط، وأن سياستها هي ما تخطط لها الصهيونية. ومما يؤسف له أن يتحدث بعض وزراء خارجية الدول العربية عن نظرية التوسل إلى أمريكا، وأن نحصل على رعايتها وعاطفتها، ونحن نعرف أن أمريكا ملحدة

في سياستها، وإن كانت تتحدث عن الإيمان بالله في شعاراتها في كل الإلحاد الذي لا يراقب الله في الإنسان.

فإن الآية توجّهنا إلى هذا القانون الطبيعي في الحياة، ومواجهة هذه الانكسارات ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) العلوّ الروحي والعقلي، علو المؤمن في معنى إيمانه ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾^(٢)، والقرح هو الجراحات الروحية والبدنية ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فافقرأوا مسيرة الأيام.

الآلام المتبادلة:

وفي آية أخرى، تواكب هذه الظاهرة وإن لم تأت على ذكر كلمة (الحزن) بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ﴾^(٣)، لأن المعركة تؤلم الفريقين، والفرق بينكم وبينهم هو كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ لأن الإيمان يجعلكم تستمدون القوة من الله وتعيشون الرجاء به، فلا تصابون باليأس، لأن من يؤمن بالله فإنه لا ييأس. ﴿لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤).

ونقرأ بعد ذلك في نفسها ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾^(٥)، والإصعاد هو التحليق بعيداً عن الأرض ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ أي لا تلتفتون إلى من حولكم ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ فهو يناديكم تعالوا إليّ، وكان ﷺ قد كسرت رباعيته وشقّت جبهته ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ يعني غم الهزيمة والغم النفسي من خلال السقوط النفسي واليأس ثم ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ فعليكم أن تدرسوا كل

(١) آل عمران: ١٣٩.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) النساء: ١٠٤.

(٤) يوسف: ٨٧.

(٥) آل عمران: ١٥٣.

المفردات والمعطيات التي عشتموها بالنسبة للهزيمة الأولى، وإلى النتائج المتمخضة عنها، حيث عليكم أن تدرسوا أن المسألة انطلقت من عناصر واقعية لأنكم غفلتم عن أسباب الهزيمة فانهزمتم، وليس لأن الهزيمة كانت قدراً من الله ينزله عليكم من دون مناسبة، بل كانت من خلال ما تحركتم به، لذلك كانت النتيجة من خلال الواقع وليست خارجة عنه، كما في قوله تعالى في بعض آيات القرآن الكريم عندما يربط النتائج السلبية للإنسان بأعماله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾^(١)، فإنك كما تزرع تحصد، وكما تدين تدان.

حزن أم موسى ﷺ:

وهكذا ننتقل إلى عنوان آخر في عالم الحزن نلاحظ فيه تدخل الله سبحانه وتعالى بعظمته وحكمته ليزيل الحزن في بعض المواقع، كما في مثال امرأتين من عباده الصالحين. والمرأة الأولى هي أم موسى ﷺ، والثانية مريم بنت عمران أم عيسى ﷺ، لأنهما عاشتا ظروفًا قاسية تتحدى عمق مشاعرهما في العاطفة أو الكرامة، فأم موسى ﷺ عاشت الحزن لخوفها على ولدها موسى ﷺ أن يذبحه فرعون، لأن موسى كان من بني إسرائيل، وكان فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، فتدخلت العناية الإلهية (فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) ولذلك وضعته في زورق (ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) فقد كانت تلك خطة إلهية فيها الكثير من الإعجاز (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً)، فهو الذي أذهب الحزن وعالجه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً)، ورتب الأمور عندما رجع إليها موسى بعد أن امتنع عن المراضع وجاءت أخته (وحرمتنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت

يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ»^(١)، وكانت النتيجة أن هذه الخطة الإلهية الواقعية الإعجازية قد تحولت إلى حزن لآل فرعون، إذ انطلق موسى ﷺ من بيت فرعون فكان نبياً، ثم واجه فرعون حتى قضى عليه وأربك ملكه واستطاع أن ينتصر عليه في نهاية المطاف.

حزن مريم ﷺ:

والمرأة الثانية هي مريم ﷺ، إذ عاشت حزن الكرامة، لأنها كانت فتاة عذراء من أظهر ما عرف العالم من العذارى، وكانت الإنسانية التي رعاها الله عندما ولدتها أمها التي كانت تحب أن تتجرب ذكراً ليخدم في بيت المقدس، لأن البنات كنَّ لا يخدمن فيه، «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ❖ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا»^(٢) وكانت تعبد الله «كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» فتاة بهذا الطهر وهذه الروحية «إِذْ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا»^(٣) للتفرغ للعبادة «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا»، فأحسَّت بالخوف كإحساس الفتاة العفيفة بالخوف حينما يأتيها شاب لا تعرفه فتخاف على عفتها وطهارتها «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا» فجاءت المفاجأة بقوله «قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا» وهي تعرف أن للولادة ظروفها الطبيعية مما يعيشه الناس «قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا» فقال «قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ❖ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ❖

(١) القصص: ٧-١٢.

(٢) آل عمران: ٣٦-٣٧.

(٣) مريم: ١٦.

فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا فَأَدْرَكَهَا ضَعْفُ الْأَنْثَى، إِذْ كَيْفَ تَقَابِلُ النَّاسَ ١٩ وَهنا تدخلت العناية الإلهية
﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي﴾ فالمسألة هي من غيب الله وإفاضته ﴿قَدْ جَعَلَ
رَبُّكَ تَحْتَكَ سَرِيًّا﴾ جدول ماء ﴿وهزي بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ❖
فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ
صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ وكان عندهم في ذلك الوقت صوم الصمت، كما
أشير إليه في صوم زكريا ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾^(١).

وعوداً على الآيات الكريمة السابقة ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ فكانت
المفاجأة عند القوم بقولهم لها ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ❖ يَا أُخْتَ
هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ فانقلبت المفاجأة عليهم
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ❖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي
الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ❖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا
دُمْتُ حَيًّا ❖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ❖ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ❖ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(٢)
فقد تدخل الله مع هذه المرأة الطاهرة العفيفة لأن تعيش الفرح الطبيعي بدل
الحزن، وخطط لها في الانفتاح على هذا الفرح، وبذلك نعرف لطف الله بعباده
الذين يطيعونه ويخلصون له، فالله يتدخل ليذهب عنهم الحزن ولينفتحوا على
حالة الفرح.

الآلام المقدسة:

إن قيمة الرساليين أنهم يعيشون الفرح في قلب الحزن، لأنهم عندما

(١) آل عمران: ٤١.

(٢) مريم: ٢٧-٣٤.

ينطلقون في خط الرسالة ويعانون الكثير من أجلها ويتألمون ويتعذبون ويجرحون، فإنهم يشعرون بالفرح، لأن الله يراهم وهم يعيشون المعاناة، على الضد من الإنسان الذي يعيش لذاته إذا ما ابتلاه الله، فإنه يقول ماذا عملت يا رب حتى أصاب بهذا البلاء، وأنا أصلي وأصوم. أما الرسالي فإنه يعيش الفرح في قمة الحزن. ولعل أعظم مظهر للإنسان الرسالي هو الحسين عليه السلام، فإنه على كثرة ما تكلم في الجوانب السياسية والاجتماعية وغيرها، إلا أن أعظم كلمة للحسين عليه السلام قالها عندما تلقى دم ولده الرضيع فقال: ((هَوْنٌ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بَعِينَ اللَّهِ))، فما دام الله يراني وأنا أتألم في سبيله فإنه عليّ هَيِّنْ، ولذلك فإن على الرساليين أن يتعلموا أن لا يسقطوا أمام كل التحديات التي ينطلق فيها المتخلفون من أعداء الرسالة، فعليهم أن يبقوا محدقين بالله الذي ينزل عليهم سكينته، كما تحدثنا فيما مضى عن سكينته: التي أنزلها على رسوله صلى الله عليه وآله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾^(١) فإن الإنسان الذي يثق بالله وأن الله لا يخذله فسينزل الله سكينته والطمأنينة عليه. لذلك فإذا أصاب الرساليين الحزن من جراحات الرسالة فعليهم أن يفتحوا على الله. ولل كلام بقية وبقية. والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (٤) الحزن النبوي وحزن المؤمنين

○ على الإنسان المؤمن أن
يدخل الطمأنينة والاستقرار
والشعور بالكرامة على من
يعيش معه وتحت نطاق
مسؤوليته ○

➤ إشاعة الحزن واليأس.

➤ النجوى الشيطانية.

➤ الحزن النبوي.

➤ حزن المؤمنين.

➤ الحاجة إلى التربية الروحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلوة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال في الحديث عن كلمات الحزن في القرآن الكريم التي تختلف أجواؤها حسب اختلاف مواقعها، ولذلك نريد أن نتابع استعمال هذه الكلمة لنخرج من هذه المتابعة القرآنية بالمفهوم الذي تتسع له هذه الكلمة في جميع موارد استعمالها.

إشاعة الحزن واليأس:

ومن بين تلك الموارد، ما كان يحدث في المجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ في المدينة، حيث كان المنافقون يمارسون الكثير من أساليب الضغط على المؤمنين، ومن تلك الأساليب أنهم كانوا يأخذون جانباً في المجتمع، بحيث يراهم المؤمنون وهم يتهامسون فيما بينهم ويتاجون. والنجوى هي الحديث الخافت (السري) الذي يمارسه الناس، وربما كانوا يشيرون بأيديهم إلى المؤمنين في عملية إيحائية بأنهم يُدبرون للمؤمنين خطة تؤذيهم أو تُسقط أوضاعهم، ليثيروا حالة الحزن واليأس في نفوس المؤمنين كأسلوب من أساليب الضغط النفسي.

ونحن نعيش هذه المسألة - اليوم أيضاً - بطريقة أخرى، وذلك عن طريق الأجهزة المخبراتية، سواء كانت دولية أو إقليمية أو محلية، حيث تتحرك عناصر المخابرات في مجتمعات المؤمنين أو المستضعفين ليقوموا ببعض الممارسات التي يشعر فيها المؤمن بالحصار، وبأن هناك من يراقب حركته أو يتصيد كلمته أو يتابع مسيرته للإيقاع به وتمكين الحاكم منه.

وقد عالج القرآن هذه القضية، أولاً: معالجة توجيهية للمؤمنين ليرسم لهم موقعهم الإيماني في الخط الذي يسرون عليه في التتاجي كظاهرة اجتماعية،

وذلك عندما يريدون أن يتحدثوا بحديث خافت ويتاجون فيما بينهم، أن تكون نجواهم في الخط الإيجابي لا في الخط السلبي الذي يسقط المجتمع، وهذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾^(١)، والإثم هو ارتكاب المعاصي، والعدوان هو التعدي على الناس ومعصية الرسول ﷺ، وهذا كما كان يحدث في زمن الرسول ﷺ فإنه مما يمكن أن يحدث في مرحلتنا هذه الآن، حيث علينا أن نطيع الرسول ﷺ في كل ما أمرنا به ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣)، فلا تتاجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٤) والبر هو عمل الخير، والتقوى هي طاعة الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ يعني الخط المستقيم الذي تسيرون عليه في حياتكم الخاصة أو العامة، وهو أن لا يجدك الله حيث نهاك عنه وأن لا يفقدك حيث أمرك، وأنت سوف تحشر إلى ربك ويحاسبك الله، حيث يأتي يوم ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥). وبذلك فعليك أن تحسب حساب ذلك الموقف غداً في ممارسة حياتك ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٦).

ونستوحي من هذه الآية أن على الإنسان أن يكون حذراً من أن يستزله الآخرون بفعل مشاعره ليوظفوه للعدوان على الناس أو بالقيام في ما يكون معصية أو ليوظفوه في أجهزة المخابرات ضد الأبرياء. وعادة الناس أنهم يسقطون أمام مشاكلهم التي ربما تضغط عليهم في أرزاقهم وفي كل أوضاعهم،

(١) المجادلة: ٩.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) آل عمران: ٣١.

(٤) المجادلة: ٩.

(٥) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٦) الزلزلة: ٧-٨.

وقد يسقط الكثيرون من الناس فيكونون أعواناً للظالم أو مخبرين، حيث يتابعون الأبرياء والمؤمنين من أجل أن يتسلط الظالم عليهم بما يقدمون له من معلومات. وربما يعتذر بعض الناس عما يفعله بأنه اضطرَّ إلى ذلك لأنه صاحب عائلة ولا عمل عنده، أو لأنه يعيش وضعاً أمنياً معيناً وما إلى ذلك، فأشارت الآية إلى تحذيره من الوقوع في نقطة الضعف هذه أو تلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أنك سوف تصير إلى ربك وعليك أن تحاسب أمامه يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(٢).

النجوى الشيطانية:

وهذا الأسلوب القرآني وهو يقدم التوجيه والنصيحة، فإنه يجعلها في مناخ ارتباطها بالآخرة، حتى لا يأخذ الإنسان الفكرة مجردة عن المصير النهائي عند الله سبحانه وتعالى. ثم يقول في الآية: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾^(٣) يعني هذه النجوى، وهي الحادث الهامس الخافت الذي يلجأ إليه المنافقون ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حتى يثيروا الحزن في قلوب المؤمنين وإسقاط روحيتهم وتخويفهم والتهويل عليهم، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول لهم بأن أحداً لا يستطيع أن يضر أحداً، لأن الناس قد يملكون بعض القوة ولكنهم لا يملكون كل القوة. فقد يحاول أحد أن يضرك، ولكنه لا يملك ذلك إلا من خلال الوسائل والظروف التي من حولك وإرادتك وأوضاعك النفسية من خلال القوانين التي أودعها الله في الكون، ﴿وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وأن إذنه سبحانه يمثل القوانين التي أودعها سبحانه في حركة المجتمعات، والتي قد تتصل بالمعتدي أو المعتدى عليه، أو قد تتصل بالجو الذي يحيط به، ولذلك عليك أن تدرس القوانين المحيطة بك والتي

(١) النحل: ١١١.

(٢) الانفطار: ١٩.

(٣) المجادلة: ١٠.

أودعها الله سبحانه في حركة المجتمعات «وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» لأن المجتمعات كلها تسير حسب طبيعة الحياة. وللإنسان أن يعمل على أساس أن يدرس كيف يمكن أن يتفادى هذا الخطر من خلال بعض ما يحيط به وهكذا. وعليه أن يقوم بدراسة الحياة والمجتمع ودراسة المؤثرات الاجتماعية والسياسية والأمنية التي جعلها الله بين يدي الإنسان وأرشده إليها، حتى يعرف كيف يُدبّر حياته «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ».

هذه هي صورة من صور الحزن، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للمؤمنين إن عليكم أن تدرسوا الوسائل التي ينفذ من خلالها الذين يحاولون إثارة الحزن في أنفسكم بطريقتهم في النجوى، لتتفادوا ما يخطط له هؤلاء، لتأخذوا بأسباب الأمن، وعند ذلك لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، فحاولوا الاستمرار في مسيرتكم بوعي وتوكلوا على الله بعد استفاد كل الوسائل التي وضعها سبحانه بين أيديكم.

الحزن النبوي:

وئمة آية أخرى وردت فيها كلمة (الحزن)، وهي تتصل بحياة الرسول ﷺ وبيت النبي ﷺ مع أزواجه، وكما نعرف أن النبي ﷺ كان متزوجاً من عدة نساء، لا من جهة ما يثيره المستشرقون من ناحية الرغبة الجنسية الذاتية، وإن كان ذلك أمراً طبيعياً بالنسبة للجنس، فهي مسألة طبيعية في حياة الإنسان كما هي الفرائز الأخرى مثل الجانب الغذائي والتي هي من شروط استمرار الحياة، لكن الله جعل تلك المسألة في خط متوازن تماماً كما قال سبحانه وتعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^(١) كذلك بالنسبة لعلاقة الرجل بالمرأة، فقد أجاز سبحانه للرجل أن يتزوج أربع نساء، كما في قوله تعالى: «مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً^(١) وأبقى للنبي ﷺ أن يحتفظ بنسائه كحكم خاص. وهكذا فالنبي ﷺ تزوج في كثير من زيجاته حسب ظروف الرسالة التي فرضت عليه ذلك. ولسنا هنا في مقام تفصيل الحديث عن ذلك فله مكان آخر. وقد جعل الله سبحانه للنبي ﷺ حرية التحرك بين زوجاته، وجعل الأمر تابعاً له وليس تابعاً لخصوصية هذه الزوجة أو تلك الزوجة اللواتي يكون الخلاف والنزاع بينهما، لأن كل واحدة منهن تفكر في ذاتها، لأن نساء النبي ﷺ غير معصومات، بل إن البعض منهن قد أثرن المشاكل في حياة النبي ﷺ، وهذا ما تحدث عنه الله سبحانه وتعالى في القرآن .

لذلك أوكل الله الأمر إلى النبي ﷺ في تصرفه، وهو صاحب خلق عظيم، وهو الذي لا يمكن أن يفكر أو يخطر بباله أن يُسيء إلى أي إنسان فضلاً عما كان في بيته وكان قريباً إليه ومسؤولاً عنه، لذلك نرى في سورة (التحريم): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾^(٢) لأن النبي كان من جهة خلقه العظيم يمنع نفسه بعض ما يشتهي من غذاء لأن نساءه لا يشتهين ذلك، أو من عطر معين لأن نساءه لا يرغبن به، مع ما كانت عليه مسؤوليات النبي ﷺ في ما كان يواجهه من التحديات، حتى قال ﷺ: ((ما أؤذي نبي مثلاً أؤذيت))^(٣) في حالات الحرب أو السلم، سواء في مكة أو بعدما هاجر إلى المدينة، حيث أبتلي بالمنافقين وما إلى ذلك، ولذلك فإنه كان يحتاج إلى مناخ نفسي هادئ. فعندما يجاهد نفسه حتى لا يأكل ما يشتهي، أو يتطيب مما لا يشتهي رعايةً لمشاعر أزواجه من موقعه الإنساني، فإنه سوف يجهد نفسه، لأنه بشر، والبشر الذي يمنع نفسه من أشياء كثيرة يحبها ويشتهيها، خصوصاً إذا لم يكن فيها إشكال، فإن هذا التأثير النفسي يثقله، ولذا أنزل الله للنبي ﷺ الآية في

(١) النساء: ٣.

(٢) التحريم: ١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٣٥٩، ب ٣، ح ٥٥.

تساؤل له: لماذا تمنع نفسك من الحلال بما يمكن أن يفعله الإنسان أو يتركه لمرضاة أزواجك؟ وقد ورد عن النبي ﷺ في مقام التوجيه لأتمته إلى حسن المعاشرة مع أهاليهم قوله: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي))^(١)، بمعنى أن أفضل الناس هو الأفضل مع عياله؛ زوجته وأولاده وما إلى ذلك.

لذلك أعطى الله للنبي ﷺ الحرية في هذا الموضوع، يعني أن النبي ﷺ في بعض الحالات قد يحتاج إلى أن تسافر معه امرأة معينة حسب ظروف السفر من دون الإساءة للأخريات، فكان ﷺ يُقَرِّع بين زوجاته، فمن تخرج عليها القرعة تسافر معه، وكما يقول سبحانه وتعالى: «تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ»^(٢) يعني تؤخرها لوقت آخر «وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ» في وحدتها «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ»، يعني أن الله أعطى الحرية للنبي ﷺ في التصرف معهن وإيكال الأمر إليه من خلال المشاعر التي لا تحاول أن تؤذي أي إنسان في شعوره «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ» فقد كان الاختيار بيده وبما لا يسيء إلى أية واحدة منهن «وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا».

وبالرغم من أن هذه الآية قد عالجت ما كان بين أزواج النبي ﷺ، إلا أننا نستوحي من ذلك كيف يمكن للإنسان المؤمن أن يدخل الطمأنينة والاستقرار والشعور بالكرامة لمن يعيش معه وتحت نطاق مسؤوليته، إذ أن مسؤولية الإنسان تجاه الإنسان من أعقد المسائل، لأن مزاج الإنسان متغير، فمن الصباح إلى الليل قد يتغير بين السلب والإيجاب من خلال ما يعيشه داخل نفسه أو من خلال ما يحيط به، ولذلك لابد أن تكون في مراقبة دائمة لتصرفاتك معه، سواء في حالات الانبساط أو الانقباض، في حالات الفرح أو الحزن.

فكل حالة من حالات الإنسان لها أسلوبها، ولذلك يعيش الإنسان حالة

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٥٥٥، ح ٤٩٠٨، ب ٢.

(٢) لأحزاب: ٥١.

الطوارئ، بحيث يبقى يراقب هذا الآخر في تغيراته ليغير أسلوبه معه حتى لا يسقط ذلك الإنسان، خاصة مع التنوع في العلاقات الاجتماعية، حيث إنه يعيش أولاً حالة اجتماعية محدودة، يعيش مع أبويه وإخوانه ثم زوجته وأولاده وأصدقائه، وعندما تكون في موقع المسؤولية العامة، اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، فقد تتضخم هذه العلاقات وتتوسع، ولذلك لا بد لك أن تفهم الناس من حولك، لأن الإنسان صندوق مقفل، فإذا لم تفهم مزاجه وذهنيته ولم تفهم خلفياته فكيف تخاطبه! فمن يتكلم مع عربي باللغة الإنكليزية فهو لا يفهمه، وكذلك الإنسان الذي لديه ذهنية معينة، حاول أن تتكلم معه من خلال فهم ذهنيته وفهم نقاط القوة والضعف فيه حتى تستطيع أن تسائسه، وكذلك بالنسبة للحياة الزوجية، لا بد أن يفهم الزوج زوجته وتفهم الزوجة زوجها حتى لا يفشل الزواج، خصوصاً في بعض المناطق التي لا يرى الزوج زوجته إلا ليلة الزفاف ولا أحد منهم يفهم الآخر، ذلك الزواج الذي يكون فيه السبب أن هذا ابن فلان وصديق فلان وهذه بنت فلانة وأبوها فلان. فهل تعيش الزوجة مع الزوج أو مع أبيه؟ ولذلك نلاحظ أن المشاكل الزوجية تتصاعد بعد شهر أو شهرين من الزواج وتذب الخلافات، لأن كلا الزوجين في مزاج مختلف عن الآخر. فعندما يعيش الإنسان مع امرأة خمسين سنة تشاطره فيها حياته في الليل والنهار، في حضره وسفره، فهذا أمرٌ غير عادي يتطلب فهماً متبادلاً. ونرى الكثير من الناس يعادي الظالم، ولكنه ظالم في بيته أو مع الموظفين معه، فلا يعطيهم حقوقهم، حيث لا فرق بين هذا الظلم أو ذاك، سواء كان في البيت أو في أي مكان آخر. ولذلك علينا أن ندرس الحياة بطريقة متوازنة، بحيث يحصل الاقتراح بين الزوجين وقد تعرفنا على بعضهما البعض، إما من خلال دراسة معينة أو أية طريقة أخرى، لأن المجتمعات تختلف عن بعضها البعض في هذا المجال، ونأخذ الدرس من الرسول ﷺ، خصوصاً أن الإسلام جعل الحياة الزوجية مسألة لا تحكمها المواد القانونية وإن كان وضع نظاماً لحقوق الزوجين، بل أراد الله سبحانه أن تكون هذه العلاقة

من خلال المودة والرحمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١) فالأساس أن الزواج يخلق بين الزوجين حالة من المحبة والمودة، وحالة من الرحمة في المزاج والظروف.

هزن المؤمنين:

وفي آية أخرى، يتحدث الله سبحانه وتعالى عن بعض الناس من المؤمنين الذين كانوا يريدون الخروج للجهاد مع النبي ﷺ، أي المخلصين ممن كانوا يعيشون الروح الجهادية في الدرجة العالية، وكانت الحروب حينئذٍ تختلف عن الوقت الحالي الذي نحن فيه، حيث في وقتنا الحالي توفر الدولة أو المقاومة الحرب وتهيء للمقاتلين كل الوسائل، ومنها السلاح والسيارات والطائرات، ولذا فإن الجندي عندما ينطلق للجهاد أو الحرب، فإنه يجد كل شيء مهياً له ويستعمل هذه الوسائل.

أما في زمن الرسول ﷺ، فقد كان المسلمون فقراء تعوزهم آلة الحرب والجهاد. ولذلك ففي غزوة بدر لم يكن لديهم سوى جملين، ويفتقرون إلى السلاح والرماح والسيوف، حتى أن الرسول ﷺ كان يركب مرة ويمشي أخرى، كما أنه لم يكن هناك جهاز عسكري يهيء وسائل القتال، وكان بعض الناس من المخلصين للنبي ﷺ فقراء، وكانوا يعرضون أنفسهم للنبي ﷺ ويأتون إليه قائلين: (يا رسول الله، هيء لنا الزاد والراحلة فالطريق طويلة)، فيريد المقاتل جملاً أو فرساً أو سيفاً ومؤونة، وكان لسان النبي ﷺ يقول له (العين بصيرة واليد قصيرة)، فكانوا يعيشون الحزن، لأنهم فقدوا فرصة الجهاد، لا كما هو حال البعض الذي يتذرع بهذا السبب أو ذاك، فتارة يقول الأمر للقيادة أو ليس عندنا أوامر أو ما شابه ذلك، أو كمن يذهب للمسجد للصلاة ويرى المسجد مقفلاً فيقول حسناً فالمسجد مقفل ولا يصلي. ويصور الله لنا ذلك النموذج من الرجال المخلصين

بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(١) لأنه ليس لديهم مال، والنبي ﷺ كذلك ليس لديه من المال ما يعولهم به، فيحرمون من الجهاد، وتلك تمثل الحالة الروحية المخلصة التي كان يعيشها فريق من المؤمنين المجاهدين الذين كانوا مع النبي ﷺ.

الحاجة إلى التربية الروحية:

ولذلك نحن أحوج ما نكون إلى تربية مجتمعنا بتلك الروحية، بحيث يرتبط الإنسان بالقضايا الإسلامية للأمة، وخصوصاً تلك التي يتحمل فيها المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، فيعيش الهم لهذه القضية، ويبدل كل طاقاته للمشاركة بمهمة الدفاع عن الأمة الإسلامية، سواء تلك التي تتصل بالجوانب العسكرية والأمنية، أو ما يتعلق منها بالجوانب السياسية أو الاجتماعية. بحيث تكون الأمة مستعدة لتواجه المسؤولية بكل الجهد من الناحية الشعورية والعاطفية، فضلاً عن التكليف الرسمي، بحيث إنه إذا حصل أمام أحدنا أي عائق يعوقه عن القيام بمسؤوليته، فإنه يشعر بالألم والحزن أمام هذه المواقف، لماذا لا توجد مبادرة خاصة؟ لماذا انطلقت الحواجز بيني وبين المسؤولية؟ وهذا ما يجعل الأمة أمة واعية مخلصة ثابتة لا يستطيع الآخرون أن ينفذوا إلى داخلها ليخلطوا الأوراق ويربكوا الخطوات، لأن المشاكل التي نعيشها هي أننا نعيش مسؤولياتنا الإيمانية، سواء كانت مسؤوليات عبادية أو سياسية أو اجتماعية أو جهادية، على السطح وليس في العمق، ولذلك تكثر الفتنة فيما بيننا وتترايد الموقّات التي تمنعنا من مواجهة التحديات الكبرى.

وأفضل دليل على ذلك هو المرحلة التي نعيشها الآن، حيث تمر بعد أيام سنة كاملة على أحداث (١١ أيلول) التي أصابت العالم الإسلامي بالزلزال في كل

مواقعه، لأن أمريكا وكل حلفائها عملوا على الاستفادة من هذه الأحداث، حتى يخلقوا عقدة في نفوس المسلمين ويشعروهم بأنهم المسؤولون عن ذلك، لأن بعض المسلمين قاموا بذلك على ذمة أمريكا، وربما من قام بهذا العمل هم اليهود، ولذا نلاحظ أن الخطة الأمريكية هي السيطرة على العالم الإسلامي كله، وبث القلق في كل مواقع الزلزال وفي كل مكان، حيث تحاول القيام بإغراء هذا الموقع الرسمي وذاك، أو بخديعة هذا الموقع الحزبي وذاك الموقع الحزبي، معتمدة في ذلك سياسة الإغراء والترهيب. ولذلك نستحضر بعض الحالات أمام هذا الواقع الممتد في العالم الإسلامي بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾^(١)، فالناس تعيش في قلق وفوضى سياسية وأمنية واجتماعية، حتى أننا نحن المستهدفين - لا نعرف كيف نتفاهم ونتحاور مع بعضنا البعض، بل نجد أن كل فريق منا هو ضد الفريق الآخر، كما لو كان كل منا في حالة حرب مع الآخر، والعدو يتفرج علينا، وأنا لا أعتبر أن هناك مرحلة قد بلغت من الخطورة على العالم الإسلامي ما بلغته هذه المرحلة منذ فجر الإسلام إلى الآن، حيث تحاول قوة الاستكبار والمتعاملين معه، وفي طليعتها أميركا، استهداف المسلمين في أمنهم وسياساتهم واقتصادهم وثقافتهم، لذلك فالمطلوب منا أن ندرس خلافتنا وندرس الرياح التي تأتينا من كل مكان، لأنه لا أحد يسلم منها، ولا يمكن أن يقول أحد إنني أجلس في البيت مع أولادي ولا شغل لي بالعالم. فإن العاصفة سوف تدخل رياحها بحيث لا يسلم منها أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢)، فكما يفترض أن يكون لدينا وعي ديني، فيجب أن يكون لدينا وعي سياسي واجتماعي، وليس فقط أن تكون العيون مبصرة في وجوهنا، بل يجب أن تكون مبصرة في عقولنا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى

(١) الحج: ٢.

(٢) الأنفال: ٢٥.

الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ^(١)، (قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ❖ قَالَ
كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى^(٢) . والحمد لله رب العالمين .

(١) الحج: ٤٦ .

(٢) طه: ١٢٥-١٢٦ .

مفهوم الحزن في القرآن (٥)

حزن النبي يعقوب ﷺ

○ لم يكن يعقوب ﷺ وهو
النبي ليعيش حالة الجزع، بل
كان يعيش الحزن الإنساني من
دون التفوّه بكلمة وياي تصرف
○ ضد مبادئه

- سمات شخصية يوسف ﷺ.
- حزن يعقوب ﷺ.
- الحزن الصابر.
- المنهج الإسلامي.
- حديث البكائين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

سمات شخصية يوسف ﷺ:

تتمّة لموضوع الحزن في القرآن الكريم، نلتقي في هذا اللقاء بحزن النبي يعقوب ﷺ الذي عاش مأساة إنسانية أبوية، حيث كان له من الأولاد اثنا عشر ولداً، ومنهم ولده يوسف الذي كان أثيراً عنده وعزيزاً عليه، لأنه كان في قمة الجمال وبالمستوى الكبير من الخلق والدين، وكان إلى جانب ذلك مع صغر سنه، الإنسان الذي يعيش الرسالة والثقافة، وقد علّمه الله تأويل الأحاديث، فألهمه كيف يفسّر الأحلام كما لو كان يرى الغيب أمامه. وهذا ما نلاحظه في حديثه مع رفيقيه في السجن، وتأويله الحلم الذي رآه عزيز مصر.

هذا الشاب (يوسف ﷺ) خضع لمؤامرة من إخوته، حيث إنهم حسدوه لمكانته عند أبيه وقرّروا أن يبعده عنه بطريقة يمكنهم من خلالها أن ينفذوا إلى قلب أبيهم وليخلوا وجهه. وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: «إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَبِينَا مِنْهُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^(١) يعني أنه انحرف عن الخطّ العاطفي للأبوة، لأنه أحب أحد أولاده أكثر من أولاده الآخرين، هنا سؤال، وهو: كيف يفضل يعقوب ﷺ أحد أولاده على الآخرين، ونحن نعرف أن يعقوب ﷺ كان نبياً مسلماً حسب الآية القرآنية: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهَا وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ»^(٢)، فالإسلام

(١) يوسف: ٨.

(٢) البقرة: ١٣٣.

بالمعنى العام يشمل كل الأنبياء ﷺ ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١) لذلك فإن الخلق الرسالي أساساً يقتضي أن يساوي الإنسان بين أبنائه حتى لا يعقد أحدهم ضد الآخر ولا يتعقدوا ضده، وينقل في هذا المجال أن شخصاً جاء بولديه إلى الرسول ﷺ فقبل أحدهما ولم يقبل الآخر، فقال له النبي ﷺ: ((قَبِلْ وَلَدَكَ الْآخَرَ)).

فلماذا فضل يوسف؟ إنه فضله لا على أساس الجانب الشخصي، ولكن على أساس أنه يملك من العلم والتقوى والخلق والطهارة ما لا يملكه بقية أخوته، ولكن ذلك لم يخفف من حركة العاطفة الأبوية تجاه أولاده الآخرين، بل ربما كانت المسألة عنده هو جلوسه عنده للحديث معه في بعض الأمور التي لا يملكون معرفتها أو لا يحسنون إدارتها أو إعجابه بإخلاصه لله وروحانيته في الالتزام بأوامره ونواهيه، ولعلنا عندما نقرأ سورة (يوسف) بدقة، والتجربة الصعبة التي عاشها والصلابة في ذات الله، في العفة ورحابة الأفق وحسن الإدارة وثقافة الرسالة مما لم يُنقل عن أحد من أخوته الذين إذا أردنا أن ندرس تجربتهم عندما جاءوا إليه وما فعلوه معه ﷺ، لما شهدنا منهم أي عنصر من العناصر المميزة التي توحى بما يملكون من موقع متقدم، بينما نجد يوسف ﷺ في كل واقعه، سواء مع امرأة العزيز أو مع النسوة اللاتي أردن استغلاله جنسياً، أنه دائماً في موقع متميز، حيث نراه يقاوم الإغراءات ﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، وعندما كان في السجن قال: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْبَ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣) فقد كان يدعو إلى الله وهو في السجن، وعندما قصاً عليه رؤياهما أعطاهما الفكرة، وكذلك عندما فسر منام الملك. وقبل أن يلتقيه الملك ويستقدمه لم يكن

(١) الحج: ٧٨.

(٢) يوسف: ٣٣.

(٣) يوسف: ٣٩.

النبي يوسف ﷺ مستعداً للخروج من السجن إلا بعد إثبات براءته قائلاً: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(١) لأن هؤلاء النسوة حاولن تشويه صورته الأخلاقية. وعندما استدعى عزيز مصر النسوة ومعهن امرأة العزيز، عند ذلك أعلن براءته، وخرج من السجن عزيزاً ورفيع الشأن، حيث أسند له الملك - بناءً لطلبه - الخزائن، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) لأن النبي يوسف ﷺ كان عنده من العقل الإداري ما يستطيع به أن ينظم الثروة الموجودة في مصر من الناحية التنظيمية، فضلاً عن جانب الأمانة والنزاهة المالية، حتى اللباقة والخطبة التي استخدمها في استجلاب أخيه وفي إعطاء الحقيقة في نهاية المطاف لأخوته واستقباله لأبويه وأخوته بعد ذلك.

وذلك يدلُّ على أن يوسف ﷺ مع أنه فارق أباه وهو في بداية الشباب، فقد كان له حظٌّ من العلم والحكمة، فمن أين جاءه هذا العلم؟ ثم في نهاية المطاف كان خاشعاً لله، وعند ذلك قال: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٣) وقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾. ونجد في سورة (يوسف) أنه كان منذ طفولته وفي كل هذه الرحلة الطويلة على مستوى كبير من العلم والوعي، وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى الأسباب الربانية، ولأنه كان يعيش ثقافة أبيه يعقوب ﷺ وهو النبي وما إلى ذلك.

حزن يعقوب ﷺ:

ونلاحظ أن يعقوب ﷺ قد عبّر ﷺ عن حزنه بموقفين. الموقف الأول: عندما جاءه أولاده وخططوا للتآمر عليه وطلبوا منه أن يأخذوا يوسف معهم ويمكن أن يكونوا خارجين للصيد أو السباق، وكان يوسف طفلاً يستأنس به يعقوب في البيت، وذلك كما يقص القرآن: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَمَا نَجْنُ

(١) يوسف: ٥٠.

(٢) يوسف: ٥٥.

(٣) يوسف: ١٠١.

عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^(١)، كما أن هذه الآية تعطينا فكرة أنهم بالرغم من كونهم أولاد نبي، فإنهم يصفون أباهم بأنه في ضلال مبين «اقْتُلُوا يُوسُفَ»^(٢)، وذلك بسبب الحسد، حيث كانوا يفكرون بقتل أخيهم، ومن هنا نعرف أن خطورة الحسد تتجسد في تحركه في وجدان الإنسان بالمستوى الذي يدفعه إلى قتل المحسود. لذلك فإن بعض العلماء يقول في تفسير قوله تعالى: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»^(٣) يعني من شرِّ عدوانه وبغيه على المحسود، لأن الحسد ليس قضية عين الحاسد وحسب، فلو كانت القضية هي عين الحسود لجهّزنا جيشاً من الحساد ليصيبوا الطغاة والمستكبرين بالعين لنستريح منهم، ولكن ذلك شيء غامض وليس واقعياً من الناحية التطبيقية، لذلك «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» يعني من شر ما يخطط له الحاسد ضد المحسود، والدليل على ذلك ما ورد في الحديث المروي عن النبي ﷺ: ((إذا حسدت فلا تبغ))^(٤) يعني لا تعتدي على من حسدته.

وعوداً إلى الآية الكريمة: «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ»، يعني أنهم يعملون الخطيئة ثم يتوبون من بعد ذلك كما يقول عمر بن سعد: (أتوب إلى الله من سنتين)، فكأنما الإنسان ضامنٌ عمره. «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ»^(٥) وكان أحد أخوته رقيق القلب، فلم يقبل بقتل يوسف ﷺ، بل أشار إليهم بأن يبعدوه عن أبيه «وَالْقَوَّةُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ» والظاهر أن الآبار لم تكن عميقة جداً في ذلك الوقت «يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ» أي عندما يستسقي الناس المارّون على البئر فينزلون الدلو فيرون يوسف «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» فاتفقوا على هذه الخطة، «قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا

(١) يوسف: ٨.

(٢) يوسف: ٩.

(٣) الفلق: ٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٣٢٠، ح ٩٠، ب ١١.

(٥) يوسف: ١٠.

عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١٠﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١١﴾^(١)
لأنهم أخوته.

وهنا يبدأ الحزن مع يعقوب ؑ ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ
يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا
لَخَاسِرُونَ﴾ إن هذا غير ممكن، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ
الْحُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ يعرفهم بالإشارات ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾
﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ
مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ كما في المثل (كاد المريب أن يقول
خدوني) ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّيْتُ لَكُمُ
أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٢). هذه المرحلة
الأولى في هذا الجو الذي كان يحدث فيه يعقوب عن الحزن من خلال الخوف
على يوسف، فهو يخشى أن يتسببوا بأمر يجلب له الحزن من خلال الخطر الذي
يمكن أن يصيب يوسف في ذهابه معهم في حال غفلتهم عنه وانشغالهم بلهوهم
ولعبهم، وهو حزن طبيعي في مثل هذه الحال التي تورث القلق على مصير ولده.

الحزن الصابر:

ثم عبّر يعقوب ؑ عن حزنه في موقف آخر، حيث مرت أيام طويلة على
غياب يوسف ؑ، والتي كما جاء في بعض الروايات أنها ثمان عشرة سنة، وذهب
إليه أخوته ولم يكونوا يعرفونه، وطلب منهم أخاه (بنيامين) (شقيقه من أبويه)،
وبعد ذلك صنع خطة يطلب فيها من أخوته أن يعودوا إلى والدهم ويخبروه أن
أخاهم قد سرق، وطلبوا منه أن يعوضوه بأحدهم فلم يقبل، فجاءوا إلى أبيهم
يخبرونه بما حصل معهم ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا

(١) يوسف: ١١-١٢.

(٢) يوسف: ١٣-١٨.

شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ^(١) فكان ردّ فعل يعقوب عليه السلام أمام هذه المسألة «قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا»^(٢) فذكر يوسف وغيبته، لكنه بقي يعقوب الصابر الذي عاش الحزن، لأن الجزع لا يناسب الصبر: ((من لم ينجبه الصبر أهلكه الجزع))^(٣)، فلم يكن يعقوب عليه السلام وهو النبي ليعيش حالة الجزع، بل كان يعيش الحزن الإنساني، والحزن الإنساني أمر محبوب لله، لأنه سبحانه وتعالى أراد للإنسان أن يعيش مشاعره وأحاسيسه، وأن يجعل إنسانيته في خطأ الإحساس الإنساني من دون التفوّه بأية كلمة وبأي تصرف ضد مبادئه، كالنبي ﷺ عندما فقد ولده إبراهيم فقال: ((تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الله)). فالحزن ليس شيئاً مرفوضاً في الإسلام بل على العكس تماماً.

ثم يقول: «وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ»^(٤) وقوله (ابيضت عيناه) كناية عن العمى، حيث كان يعقوب يبكي بين الحين والآخر، ولكنه كان يخفي حزنه ويكبته، ما جعل له تأثيراً في النفس أكثر من إظهاره. (كظيم) يعني يحبسه في نفسه. وابيضت عيناه من الحزن، لا يعني بالضرورة البكاء، بل يعني تأثير الحزن على النفس، فهو كظيم يعني أنه يكظم غيظه. «قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»^(٥) لا تفك تذكر يوسف بين وقت وآخر حتى تكون مشرفاً على الهلاك أو تصل إلى حافته، لأنك ستموت من الحزن، فقال لهم: إني لا أشكو إليكم ولا أشكو إلى الناس، ولكني أعلم أن الناس ترتبط بالله في سرورها وفي حزنها، والشكوى إلى الله عبادة. فالإنسان عندما يشكو مأساته أو حزنه إلى الله ويطلب منه أن يخفف

(١) يوسف: ٨١.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٩٥، ح ٦٠، ب ٦٢.

(٤) يوسف: ٨٤.

(٥) يوسف: ٨٥.

عنه هذا الحزن أو يدفع عنه أسباب الحزن، فإن ذلك يمثل عبادة لله سبحانه وتعالى. نعم، الشكوى للمخلوقين ربما تختزن في بعض مواقعها شكوى على الله، إلا إذا كانت الشكوى لمؤمن من خلال إيمانه فإنها لا تعطي هذه الدلالة، لأن المؤمن عندما يشتكي للمؤمن فكأنما يفتح على الإيمان بالله. **﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**^(١). فهناك سر عند يعقوب عليه السلام ولم يمت الأمل في نفسه، لأن من يؤمن بالله لا ييأس، لأن اليأس من رحمة الله يوحى باليأس من قدرته على حل هذه المشكلة أو تلك، وهو في معناه العميق كفر. فكان يعقوب عليه السلام يدعو الناس إلى الإيمان **﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾**^(٢)، وذلك يدل على أن حزن يعقوب عليه السلام لم يفت أمله بالله وتفاؤله بالمستقبل. وقد أراد يعقوب عليه السلام من هذه الكلمة وهو في قمة حزنه على فراق ولده الأول ثم الثاني أن لا يعقده هذا الحزن عن أن يعيش الفرح في الله وهو في عمق الحزن.

وهكذا، فإن الإنسان المؤمن يبقى أمام كل المشاكل والمصائب والآلام، فرحاً قلبه لله، إذ يبقى في موقع التفاؤل لا التشاؤم، ولكن بعض المشكلات قد تحتاج إلى سنين لحلها، وبعض المسائل تحتاج إلى أجيال لتذهب، والمشكلة أن يزحف التشاؤم إلينا لأننا مستعجلون، فالإنسان له عمر والمشكلة لها عمر والمرض له عمر، لذلك على الإنسان أن يفهم عمر المشاكل، سواء كانت سياسية أو أمنية أو اقتصادية أو ما إلى ذلك.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فما هي العلاقة بين اليأس والكفر؟ فإن ما هو مستحيل على الإنسان ليس مستحيلاً على الله سبحانه وتعالى. فالإيأس يعني أن الله لا يقدر على أن يحل لك المشكلة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل

(١) يوسف: ٨٦.

(٢) يوسف: ٨٧.

ويكره الطيرة، وهي حالة التشاؤم بما حوله ومن حوله، وذلك تفاؤلاً بنعم الله .
إلى هنا نفهم أن هذا الحزن اليعقوبي يمثل حزناً إنسانياً منفتحاً على الله
وواثقاً بالله وشاكياً إلى الله ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ . ولا بد للمؤمن من
أن يفهم ذلك في وجدانه الشعوري في المعنى الإنساني المنفتح على المعنى
الإيماني للحزن، فيواجه صدمات العاطفة بالحزن الذي يرفعه إلى الله في عملية
بثٍ للشعور وشكوى في البلاء وابتهاال إليه أن يفرج عنه كربته ويزيل ألمه .

المنهج الإسلامي:

وهذا ما لا بد لنا أن نتعلمه في المنهج الإسلامي التربوي عندما تلمُّ بنا
المصائب وتخرقنا الآلام وتضغط علينا المشاكل، فنجلس بين يدي الله ونبكي إليه
ونشكو ونبتهل، ونطلب منه بقلب مفتوح خاشع خاضع وعين دامعة أن يخلصنا
مما نحن فيه، وأن يجعل من أمرنا فرجاً ومخرجاً، عند ذلك نزداد قوة، عندما
نجلس بين يدي الله الذي له القوة جميعاً والذي له العزة جميعاً، مالك السموات
والأرض، ونطلب منه حل المشكلة التي هي عنده وبيده وتحت سلطانه ولو كانت
كبيرة عندنا. وينقل عن أحد علمائنا السابقين، وهو المرحوم الشيخ جعفر الكبير
صاحب كتاب (كشف الغطاء)، وهو جد آل كاشف الغطاء الأسرة المعروفة في
النجف، أنه كان ذاهباً من النجف إلى كربلاء، فجاءه جماعة من الناس يطلبون
منه الدعاء لهم بنزول المطر قائلين: (شيخنا انقطع عنا المطر وماتت مزارعنا
فادعُ لنا الله أن ينزل المطر)، فقال الراوي إن الشيخ قال لهم (اذهبوا فسيأتيكم
الماء) فقال له جماعته: (كيف تعدهم بذلك)؟ فأجابهم: (إني أطلب من الله جنة
عرضها السموات والأرض أفلا يعطيني ماءً) فلم يفتح كتاباً ولم يصل ركعتين
وإنما رفع يديه إلى السماء قائلاً: (ربي دعوتك أن تنزل الماء على هؤلاء) فنزل
عليهم المطر، فإن الله سبحانه وتعالى لا يريد منّا رسميات بقدر ما يريد منّا
الدعاء والإخلاص فيه، وأن يكون الدعاء من القلب ليخترق الحجب السبع.
وهكذا استجاب الله دعاءه رحمةً بعباده المؤمنين.

حديث البكائين:

وفي مناسبة الحديث عن حزن النبي يعقوب عليه السلام، فإن هناك روايات واردة تتحدث عن البكائين: عن بكاء آدم عليه السلام وعن بكاء السيدة الزهراء عليها السلام وبكاء يوسف عليه السلام وبكاء زين العابدين عليه السلام، وهذا الحديث فيه جانبان، خصوصاً فيما يروى عن بكاء الزهراء وزين العابدين عليهما السلام كأعمق ما يكون الحزن، إذ كانت العلاقة بين الزهراء وأبيها عليهما السلام في عمق العمق، محبة فريدة، ولا بد أنكم سمعتم هذه الرواية بما معناها: أن النبي صلى الله عليه وآله عند احتضاره جاءته الزهراء عليها السلام فضمها إلى صدره فبكت ثم ضمها ثانية إلى صدره فضحكت، فسألوها الزهراء عليها السلام عن ذلك: ما أسرع الضحك إلى البكاء، فقالت عليها السلام ما كنت لأفشي سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، كما تذكر الرواية. وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله قالت الزهراء عليها السلام: ((في المرة الأولى حدثني النبي صلى الله عليه وآله عن وفاته فبكت، وفي المرة الثانية حدثني أنني أول أهل بيته لحوقاً به فضحكت))، فالزهراء عليها السلام في ربيع شبابها، فعلى رواية الشيعة كان عمرها ١٨ سنة، وعلى رواية السنة كان عمرها ٢٨ سنة، وهذا كله يعني أنها في قمة الشباب، وكانت في علاقتها مع أمير المؤمنين علي عليه السلام من أروع أنواع العلاقات الزوجية، لأنها ممزوجة بالإخلاص والعلم والعصمة (فهي معصومة تزوّجت معصوماً) وكلاهما تخرجا من مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله وتعلما منه ذلك. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ((لولا علي لم يكن لفاطمة كفاء))^(١) لأن عقل فاطمة عليها السلام مساوٍ لعقل الإمام علي عليه السلام، وهذا ما تكلمنا عنه سابقاً، وهي أم الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم. فالمرأة عندما يقول لها أبوها وهو مشرف على الموت سنلتقي بعد شهرين أو ثلاث فهل تستأنس؟! اعملوا استفتاءً بين كل النساء، فهل المرأة التي يقول لها أبوها إنها ستموت بعد شهر أو شهرين، تضحك أم تحمّل همّاً؟! لو لم تكن محبة الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام بهذا المستوى من العمق وكذلك محبة الزهراء عليها السلام لأبيها فلم تكن الزهراء لتضحك.

وقد وردت الرواية أن الزهراء عليها السلام كانت تبكي في الليل والنهار حتى ضج أهل المدينة من بكائها، فطلبوا إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فكيف يطلبون ذلك؟ إلا إذا كانت الزهراء تصيح وتصرخ ليل نهار مما لا يتناسب مع مكانتها وسمو فضائلها ورفع مقامها؟ والحقيقة أن الزهراء عليها السلام كانت مشغولة بعملها في بيتها برعاية زوجها وأبنائها، ومشغولة بالدفاع عن الإسلام، وخصوصاً عن حق الإمام علي عليه السلام في الخلافة، حتى ورد أن الإمام علي عليه السلام كان يطوف بالزهراء عليها السلام على جموع المهاجرين والأنصار حتى تدافع عن حقه. فالقضية كانت مستقبل الإمامة والإسلام، ولذلك عندما يأتيها النساء كانت تحدثهم عن الإمام علي عليه السلام بقولها: ((وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله نكير سيفه وشدة وطأته))^(١). فكانت تذهب بالحسن والحسين عليهما السلام إلى قبر الرسول صلى الله عليه وآله وتبكي بكاءً إنسانياً إسلامياً وتقول لهما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب هنا وتذكره، وهي الملتزمة بوصية الرسول صلى الله عليه وآله أن تحزن عليه حزناً هادئاً، فلا تخالف الوصية، وذلك مذكور في كتابنا (الزهراء القدوة).

وكذلك ما ورد في الرواية عن حزن الإمام السجاد عليه السلام: ((ما وضع أمامه طعام ولا شراب إلا ومزجه بدموع عينيه)) وبقيناً أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يثير مصيبة أبيه الحسين عليه السلام في كل مكان. وقد وقف مرة - كما في الرواية - في السوق على قصاب يذبح كبشاً، إذ قال لغلامه هل سقيته الماء، فكان عليه السلام يخلق أجواء التعزية في السوق كله ليتدخل متسائلاً من القصاب عن سر ذلك، فيقول له القصاب (نحن معاشر القصابين لا نذبح الكبش إلا ونسقيه الماء)، فالتفت الإمام زين العابدين عليه السلام إلى كربلاء يتحدث عن عطش الحسين عليه السلام. كان حزنه حزناً رسالياً وإنسانياً، وليس بالشكل الذي يكون فيه الحزن هو الشاغل له حتى يأتيه أحد غلمانه أو خدامه ليعظه. وقد لاحظنا أن الروايات الواردة أغلبها ضعيفة وبعضها مرفوع، كما في المرفوعة عن الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول في ذلك:

((البكاؤون خمسة هم: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديّه أمثال الأودية)) بينما القرآن قد حدثنا عن آدم ﷺ أنه عندما نزل من الجنة كان له منهج في الحياة يستهدي به، وقال له الله إنه سيرجع إلى الجنة، ((وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وأما يوسف فبكى على أبيه يعقوب حتى تأذى أهل السجن فقالوا له إما أن تبكي بالنهار أو تبكي بالليل، فصالحهم على واحد منهما))، بينما يحدثنا القرآن الكريم أن يوسف كان في السجن مشغولاً بالتوعية والهداية والإرشاد «يَا صَاحِبِ السُّجْنِ أَرَأَيْتَ أُتْرَفُوقُونَ خَيْرًا أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» فهو كان مشغولاً بهداية الناس وهو في السجن وليس بالبكاء، ولم يعهد ذلك عنه، ((وأما فاطمة بنت محمد ﷺ فقد بكت على النبي ﷺ، فقال لها أهل المدينة قد آذيتنا بكثرة بكائك فكانت تخرج إلى المقابر فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تعود، وأما علي بن الحسين ﷺ فبكى الحسين ﷺ عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك، إني أخشى عليك أن تكون من الهالكين))^(١) فالرواية غير صحيحة سنداً لأنها مرفوعة.

وهكذا نرى مثل هذه الروايات، مثل قول مولى علي بن الحسين ﷺ له: ((أما لحزنك أن ينقضي؟ فرفع الإمام رأسه قائلاً له: ويلك، والله ما شكا يعقوب إلى ربه في أقل ما رأيت، فقال: يا أسفي على يوسف لأنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أهلي يذبحون حولي)) وهذه رواية ضعيفة السند أيضاً، وليس من المعقول أن يبالغ الإمام ﷺ بالبكاء إلى حد يكون فيه موضعاً لوعظ الواعظين. وكذلك السيدة الزهراء ﷺ، فقد كان بكاءها إسلامياً إنسانياً يتناسب مع الأصول الشرعية والعقائدية، وهي المعصومة في ذلك. ولذلك فإن أهل المدينة إذا كانوا يتأذون من بكائها فمعنى ذلك أنها كانت ترفع صوتها وتصرخ في الليل والنهار، وهذا مما لا يتناسب مع عظمة الزهراء ﷺ. وكذلك شأن الإمام السجاد ﷺ فقد كان مجلسه

مسرّحاً للتعليم والتثقيف والعبادة، وتراثه من أوسع تراث الأئمة عليهم السلام من الدعاء الذي تركه، ومن تراث الفقه الذي تركه في الأحاديث والمواظب والحكم. فالأئمة عليهم السلام هم الذين علّمونا كيف يحزنون حزناً هادئاً إسلامياً، وكيف يصبرون صبراً جميلاً. لذلك علينا أن ندقق في الروايات المنقولة عن أحوالهم في هذا المجال. فمثلاً في كتاب (بحار الأنوار)، وصاحبه لا يؤمن بجميع ما كتبه، فكيف نصدق ما جاء به جملة وتفصيلاً، وكذلك كتاب (الكافي) الذي هو من كتب مصادر الشيعة، إذ يقول فيه الشيخ المجلسي بشأن أحاديثه: (لم يصح عندي من أحاديثه إلا خمسة آلاف حديث ونيف). فالفرق بين السنة والشيعة هو أن السنة عندهم صحاح مما يرويه البخاري ومسلم إلى درجة اعتبار كتاب البخاري ثاني القرآن، فيما العلماء الشيعة يدققون في الروايات، من روايات الكتب الأربعة وغيرها، فإنها تخضع لاجتهاد العلماء.

هذا ما يتعلق بحزن يعقوب عليه السلام وما أحاط به.. والحمد لله ربّ العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (٦) الذين لا يحزنون (أ)

○ لا بدّ من أن ننفّث على
القرآن ليكون البوصلة التي
تحدّد لنا المسار فيكون المنهاج
والمرجع ○

○ الأمن المصيري.

○ مصادر المعرفة.

○ الاستقامة في القرآن.

○ من التوحيد إلى ثقافته.

○ الجهل بلبوس العلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال نتابع موضوع الحزن من خلال المفهوم الإسلامي فيما ورد من آيات الحزن في القرآن الكريم، وسنتناول في هذه الليلة الآيات التي تحدثنا عن نماذج من الناس أعطاهم الله اللأ حزن في الآخرة. ونحاول أن نتابع العناوين التي ذكرها الله سبحانه وتعالى مما يريد للناس أن يتصفوا به ويعملوه ليحصلوا على الأمن من الخوف والحزن في الآخرة، لنستطيع من خلال ذلك التحرك في الاتجاه الذي نصوغ فيه شخصياتنا الإسلامية كما يرضاها الله، حتى ننفث عليه فيمنحنا الفرح الروحي ويمنحنا الأمن المصيري.

الأمن المصيري:

لنبدأ في آيتين تحدثتا عن عنوان واحد؛ إحداهما مجملة والأخرى مفصلة. الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، والآية الأخرى المفصلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۚ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ۚ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾^(١).

في هاتين الآيتين يحدثنا الله سبحانه عن التزام الإنسان بريوية الله الواحد (ثم استقاموا) في خط هذا الالتزام التوحيدي بريوبيته. ولعل هاتين الكلمتين تختصران الإسلام كله في عقيدته وحركته في واقع الحياة. أما الجانب

العقائدي في هاتين الآيتين فيتلخص في كلمة (رَبُّنا اللَّهُ)، لأن توحيد الله يمثل القاعدة التي يتفرع عنها كل ما يرتبط بالله. فنحن إذا آمنا بالله الواحد اللطيف الخبير الرحمن الرحيم... إلى آخر صفاته التي تختزنها كلمة (التوحيد)، فإننا نجسد مفهوم الربوبية بأرقى صيغة، ونحقق العبودية في أنقى صورة، لأن الله هو المطلق في كل شيء، فلا حدود لأية صفة من صفاته مما يتحرك في حدود صفات الناس أو الأشياء. وعندما نؤمن بالله الواحد، فإننا نؤمن أن من حكمته ورحمته ولطفه وخبرته أنه لم يخلق الكون عبثاً، ومن ذلك خلقه الإنسان، لأن العبثية تنافي الحكمة. وإذا لم يخلق الناس عبثاً فلا بد أن يضع لهم منهاجاً يتحرك في وجودهم ليكمل للعقل حركته في الإنسان، حتى يتشاطر العقل والنبوة في إيجاد البرنامج الشامل للإنسان في تأصيل إنسانيته في حياته، لأن حكمة الله في خلق الإنسان هي أنه جعل العقل أصلاً وجعل النبوة في امتداد العقل. فالله سبحانه وتعالى خلق العقل الذي يدرك الحقائق بحجمها من خلال تأملاته ومن خلال حركة الإنسان في ما يستفيدة من التجربة.

مصادر المعرفة:

أن للمعرفة مصدرين في الإسلام هما: التأمل والتجربة. فالتأمل يجعل الإنسان يدرك الحقائق الأولية للأشياء، والتجربة تجعله يدرك الواقع الحياتي من خلال اكتشافه لأسرارهما في تجاربه المتنوعة. ولذلك ورد ما يفيد أن العقل هو الأصل والحجة، وقد ورد في الرواية: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ، أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبَّ))^(١). وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل))^(٢)، لأننا

(١) أصول الكافي. ج. ١. ص ١٠. ح ١.

(٢) نفسه. ص ٢٥. ح ٢٢.

بالعقل ندرك وجود الله وندرك التوحيد وضرورة النبوة التي تكمل للإنسان أصالته في ما لا يستطيع العقل أن يدركه، وندرك ضرورة اليوم الآخر لنفي العبثية عن الخلق ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

وقد ورد في بعض الكلمات الماثورة (أن العقل رسول داخلي) و (أن الرسول عقل من الخارج). فكأنه سبحانه وتعالى قد جعل العقل رسولاً للإنسان يُعرفه محاسن الأشياء وقبحها، وجعل الرسول عقلاً يعطي الإنسان من خلال وحي الله وإلهامه لنبيه ﷺ عقلاً حركياً منفطحاً على كل ما يحيط به ومما قد لا يملك العقل إدراك تفاصيله. ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فتعني أن الله هو أساس الوجود. ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْنَ فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢)، فكل شيء في الكون وفي كل ساحات الحياة وفي السموات والأرض سوف تجد الله فيه، لأنه سبحانه وتعالى موجود في كل خلق من خلقه، لأننا لا نستطيع أن نتصور شيئاً منفصلاً عن الله، بل نتصور الله في خلقه كله، لأن الله هو الذي أعطاه سره، وهو الذي أعطاه التدبير، لذلك حينما تقول (ربي الله)، فأنت تنفتح على كل معنى الربوبية التي تشهد فيها أن الله ليس خالقاً منفصلاً عن خلقه، بل إن الله يرى في خلقه، وفي كل ما أودعه في الوجود من قوانين، ويربي الإنسان بوعيه لذاته من خلال ما أودعه في جسده من أسرار ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٣) وفي كل الآفاق ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٤)، لذلك أن تقول (ربي الله) أي أن لا تشرك بالله، وأن لا تتصور معه أحداً. ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥) لأن كل من خلقه الله وكل من أرسله هو عبد لله، ولذلك فإننا في الصلاة ونحن نصلي على رسوله، يبين التصور الإسلامي موقع الرسول وأنت تتشهد بقولك

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) الذاريات: ٢١.

(٤) فصلت: ٥٣.

(٥) الجن: ١٨.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله)، حيث إنك لا تتصور أي مخلوق كبير إلا في بداية تصورك لمعنى العبودية التي تجعل الإنسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً إلا بالله، عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء إلا ما يعطيه الله من القوة. (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) فإنها توحى للإنسان بكلمة نتداولها وهي كلمة (البوصلة)، بمعنى أن البوصلة توصلك إلى مسارك، بحيث لا تتحرف عنها يميناً ولا شمالاً، والله هو الذي يحدد هذا المسير، لذلك فإنك إذا أردت أن تتحرك في أي طريق أو أي مشروع، أو أن تقيم أية علاقة أو تتكلم بأية كلمة، أو أن تقف في أي موقف، فإن عليك أن تفكر بالله ربك، وهل يرضى بهذا أو لا يرضى؟ وأن تستقيم على خط التوحيد، لأن ما ينحرف به الناس عن خط التوحيد وعن خط السلوك إنما ينشأ من أنهم يخلقون لأنفسهم مثلاً أعلى يتجهون نحوه وهو ليس كذلك، ولكنك عندما تتصور الله الذي يحدد لك المسار، فعليك أن تبدأ منه وتنتهي إليه، وتكون البداية والنهاية في خطك، فلا تلتزم بأية عقيدة أو شريعة غير ما يرضاه الله، ولا تتحرك في أي شيء إلا إذا عرفت أن الله يملك حركتك وسكونك، ويرضى أن تتحرك بهذا الاتجاه، وأن تسكن بذلك الاتجاه، وأن تعتبر أن عليك أن تستقيم في درب الله.

الاستقامة في القرآن:

ويركز القرآن على خط الاستقامة كما لم يركز على شيء آخر في حركة الإنسان في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)^(١) وقوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)^(٢) أي لا تتبعوا السُّبُلَ الملتوية فتفرق بكم عن سبيله، وهذا ما ورد في خطاب الله للنبي ﷺ في خط الدعوة (فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)^(٣)، بمعنى أن عليك أن تتحرك في خط الاستقامة، بحيث لا تتفصل الدعوة عن الرسالة (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ)

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) الشورى: ١٥.

وهو لا يفعل ذلك، ولكن (لو) في اللغة حرف امتناع ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾^(١)، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢)، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ۖ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۖ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(٣). فإن النبي هو الذي يعيش الاستقامة في عقله، لأنه يعطي الناس من عقله معنى الاستقامة في خط التوحيد في الجانب الفكري، ويعطي من قلبه خط الاستقامة في الجانب العاطفي والشعوري، ويعطي للناس خط الاستقامة في الحركة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤)، لأنه يسير بالناس في خط الاستقامة.

من التوحيد إلى ثقافته:

إن مسألة أن نستقيم على خط التوحيد يعني أن تكون لنا ثقافة الإسلام ورسالته في خط التوحيد، وأن نتتقف بشريعة الله ومنهجه في كل الوسائل والأهداف، حتى لا نأخذ بالباطل على أنه الحق من خلال ما يمزجه البعض من الحق بالباطل، فيُخِيلُ إلينا أن الباطل حق وأن الحق باطل، من خلال ما يشوّهه المشوّهون ويحرّفه المنحرفون. فإن تكون مسلماً مستقيماً في خط الإسلام يعني أن تكون بعيداً عن خط الذين غضب الله عليهم، لأنهم عرفوا الحق وجحدوه، وبعيداً عن الظالمين الذين لم يعرفوه أو عرفوه فجحدوه فتأهوا في متاهات الباطل، يعني أن تكون لك ثقافة الإسلام، فإن الله عندما أطلق القرآن للناس

(١) الحاقة: ٤٤-٤٧.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) الإسراء: ٧٣-٧٥.

(٤) الأحزاب: ٢١.

كافة قال لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْضُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١) وعندما أراد النبي ﷺ أن يُعَلِّمَ الناس الكتاب والحكمة ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٢) فإنه أراد للناس أن يتدبروا القرآن ويستمعوا إليه ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣) والاستماع غير السماع، لأنَّ السماع قد يدخل إليك الصوت من غير اختيار، فيما الاستماع هو أن تختار وعي الكلمة ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ أن تعيشوا هدوء العقل والشعور الذي يضعكم في مناخ قابل للتفكير، وهكذا عندما نقرأ الآية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٤)، والقلوب هي العقول، وهي المناطق الداخلية للوعي الذي يمتزج فيه الجانب العقلي بالجانب الشعوري.

وعلى ضوء هذا، فلا بد من أن ننتفتح على القرآن، وأن يكون بمثابة البوصلة التي تحدد لنا المسار، فيكون المنهاج والمرجع. وعندما قال لنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥)، فمن أجل أن ننتفتح على السنة التي جاءت صافية تعطينا كلمة الله من خلال ما ألهم الله رسوله في ما يسنّه من شرائع وسُنن. ولكن علينا أن نوثّق السنة وأن لا نقبل كل حديث يأتي، بل لا بد أن يكون الإقناع العلمي هو المنهج الذي على ضوئه نحدد بأن هذا الكلام من رسول الله ﷺ أو أنه مكذوب عليه، لأن الكذب قد كثر على رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: ((من كذب متعمداً عليّ فليتبوا مقعده من النار))^(٦)، وكثر الكذب على الأئمة، حتى قال الإمام الصادق عليه السلام:

(١) المائدة: ١٥.

(٢) البقرة: ١٢٩.

(٣) الأعراف: ٢٠٤.

(٤) محمد: ٢٤.

(٥) الحشر: ٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٤، ح ٥٧٦٢، ب ٢.

((لقد دسَّ أبو الخطاب في أحاديث أبي أربعة آلاف حديث))^(١) إذ كان من الوضّاعين الذين كانوا يستعيرون كتب أصحاب الأئمة عليهم السلام، فيدسون بها الغلو والكفر والزندقة. ولذلك فالمطلوب من الذين يقدمون أنفسهم للناس على أنهم علماء دين ومرشدون للناس، أن يتحملوا مسؤولية إنضاج الفكر الإسلامي في عقولهم نضجاً علمياً وتوثيقاً، حتى لا يعطوا الناس كذباً باسم الإسلام من خلال الخلط في الأحاديث بين الصحيح وغير الصحيح.

الجهل بلبوس العلم:

ولذلك فإنه عندما يكون المجتمع المسلم مثقفاً إسلامياً، فلن يستطيع أن يضلّه الأعداء أو ينحرفوا به عن الخط الحق، ولكن مشكلتنا هي الجهل الذي ربما يأخذ صفة رسمية باسم العلم، ويتحرك في الناس باسم الدين، في الوقت الذي يؤكد فيه المنهج الإسلامي على الاستقامة والثبات في الدين وتحكيم المعايير العلمية: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» في الخط العملي والفكري في جوانب الحياة التي شرّع الله بها للإنسان خط المسؤولية، سواء في الجانب الفقهي أو السياسي أو الاجتماعي أو الأمني وما إلى ذلك. إن الإسلام لو عاش في عقول المسلمين وقلوبهم وتحرك في مسيرتهم في الحياة، ليبدأ من الله ورسوله وينتهي إليه، لكان العالم كله مسلماً، ولكن هناك خطأ في الفهم وفي الحركة والأهداف السليمة وغير السليمة. فالمستقيمون في خط التوحيد هم الذين يربحون الجنة ويربحون البشارة «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» تفرح بهم «أَلَا تَخَافُوا» من هذا العالم الجديد الذي أقبلتم عليه من دون أن تعرفوا تفاصيله «وَلَا تَحْزَنُوا» لأنكم فارقتم أقرباءكم وملاعب حياتكم وأصدقاءكم، فإن الله يستبدل ذلك بصداقات جديدة، فلستم وحدكم، وإن كل إنسان يأتي إلى الله فرداً «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فَرَدًا^(١)، «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^(٢)، ولكن المستقيمين في خط التوحيد هم الذين لا يأتون فرادى «لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ❖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»^(٣) لقد عذبتكم في الدنيا وتعبتم وأجهدتم، ولقد جُعتم وخفتم وطمتم، ولكنكم صبرتم، وهذه الجنة هي نتاج هذا الصبر «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٤)، «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ❖ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(٥)، «وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ❖ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(٦)، كنّا معكم في الدنيا من حيث لا تشعرون، [وفي الآخرة وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ] بحيث تتمنى على الله ما تريد، فليس هناك محجوب عنكم، وتحققون كل آمنياتكم فيها، لأنه هناك «إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٧)، «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» وليس هذا من عند الملائكة، لأنها لا تملك شيئا، بل هي من عند الله «تَزَلَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ»^(٨).

تلك هي جائزة الاستقامة، وقد يكون في الاستقامة الفردية والاجتماعية

(١) مريم: ٩٥.

(٢) الزخرف: ٦٧.

(٣) الرعد: ٢٣-٢٤.

(٤) فصلت: ٣٠.

(٥) آل عمران: ١٣٣-١٣٥.

(٦) فصلت: ٣١.

(٧) الزمر: ١٠.

(٨) فصلت: ٣٢.

والسياسية والأمنية بعض الجهد والتعب، وقد يكون في الانحراف بعض الكسب المادي أو المعنوي في الدنيا، ولكن لا خير بعد خير الجنة، ولا شر بعد شر النار، فما قيمة أن تشبع وترتوي وتحصل على ما تريد من الشهوات ثم يقال لك ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ❖ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ❖ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ❖ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ❖ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ❖ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ❖ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ❖ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ^(١). ويبقى الكلام حول الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في حديث آخر.. والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الحزن في القرآن (٧) الذين لا يحزنون (ب)

○ الخط الأساسي الذي

يؤمن من الخوف ويتعد

بالإنسان عن الحزن في الآخرة

هو هدى الله ○

○ التجربة الإيمانية الأولى.

○ الحزن الأبدي الخالد.

○ التسليم المطلق لله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين

الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تتمة للحديث السابق، فيما تحدثنا عنه من إشارة القرآن الكريم إلى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في يوم القيامة «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله»^(١)، إذ تحدث القرآن في أكثر من آية عن هذه النماذج التي آمنها الله من الخوف وأبعدها عن الحزن. وتركز هذه الآيات على النموذج الإنساني المؤمن المنفتح على الخط الإيماني العملي في كل مواقع الإنسان في الحياة، بحيث يبدأ من الله وينتهي إليه، وتكون المسيرة منذ البداية إلى النهاية في خط الله.

التجربة الإيمانية الأولى:

ونقرأ في أول وحي أوحى به الله إلى المجموعة التي أخرجها من الجنة إلى الأرض، وهم آدم وحواء وإبليس، لأنهم مع اختلاف المواقف والمواقع، فقد أبعدها أنفسهم عن الجنة بطريقة أو بأخرى، حيث أراد الله أن يدخل آدم وحواء في دورة تدريبية، أو في حضانة تدريبية أولى، ليعرفهما من خلال تجربتهما ومن خلال النتائج السلبية التي وضعها أمامهما لهذه التجربة، بأن هناك في الموجودات - بالرغم مما يحمله من عقل وشعور ومعرفة بالله - من لا يخلص للإنسان ومن يحمل العداوة له ويخطط للإضرار به. ولم يكن لآدم وحواء عهد بمثل هذا النموذج الوجودي الذي يشبههما في وعيه لما حوله وفي قابليته لحمل المسؤولية، لأن الله قدر منذ أن خلق آدم أن يكون موقعه الأرض، ولم يكن تقديره

لآدم أن يكون موقعه الجنة، فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) وكان الخليفة الأول آدم وزوجه حواء.

ولذلك، أراد الله لآدم وحواء أن لا يأكلا من الشجرة، وأعطاهما الحرية في أن يأكلا مما شاءا. ولكن المشكلة في نقطة الضعف الإنساني تجاه كل ممنوع، لأن كل ما هو ممنوع مرغوب، ولم يكن لآدم أو حواء رغبة في هذه الشجرة. ولكن إبليس وسوس لهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢) فقال لهما إذا أردتما الخلود فكلتا من هذه الشجرة ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣) فبقيا في حيرة وتردد بين إغراء الشيطان وبين نهي الله لهما عن تلك الشجرة. وقد أدركهما الضعف الغريزي، ولم يعهدا في تجربتهما أن هناك من يحلف بالله كذبا، ولم يكونا قد درسنا شخصية إبليس الذي كان قد رفض السجود لآدم عندما أمره الله بالسجود له مع الملائكة، ولكنهما لم يعيشا التجربة، فأراد الله لهما بهذه المشكلة أن يعيشا التجربة هذه ﴿فَدَلَاهُمَا يُغْرَوْنَ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٤). وهكذا رجع آدم إلى الله وعفا الله عنهما، لأنهما لم ينطلقا من ذنب يستحقان به غضب الله، إنما هو ذنب في نطاق التجربة، كما هو ذنب كل من يعيش فترة تجريبية ويخالف بعض تعليمات المدرب. ولذلك فقد قبل الله توبتهما. ومن المعلوم أن إبليس عندما طرده الله من رحمته نتيجة تكبره على آدم ورفضه السجود له، فإن الله أراد أن ينزله من العلياء حيث كان يعيش مع الملائكة وإن كان من الجن ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢١.

(٤) الأعراف: ٢٢.

مِنَ الْجِنَّ فَضَسَّقَ عَنْ أَمْرِيهِ^(١)، فقد أوحى الله إليهم (الثلاثة) «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا»^(٢) فالدنيا ليست دار لعب ولهو، وليس إنزالكم إلى الأرض يعني إبعادكم عن المسؤولية «فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» والتكليف هنا موجه إلى آدم وحواء، لأن إبليس قد طرده الله من رحمته من الأساس، وقال له «قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ❖ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ»^(٣) ذلك البرنامج العملي الذي أراده الله لآدم وحواء ليحدد لهما خط العقيدة والعمل في نطاق المسؤولية «فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ» وهو الهدى الذي إذا انطلق الإنسان فيه اهتدى إلى سلامة المصير وإلى رضوان الله المؤدي إلى الجنة، «فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»^(٤).

ولذلك ندرس من خلال النص الأول الذي أوحى به الله إلى أول شخصين يمثلان الأبوين للبشرية كلها، أن الخط الأساسي الذي يؤمن من الخوف ويبتعد بالإنسان عن الحزن في الآخرة هو هدى الله، وإذا عرفنا أن هدى الله يمثل قاعدة العقيدة وامتدادات الشريعة وأصالة المفاهيم، سواء في ما يتعلق بالوسائل أو الأهداف، فنعرف أن الذين يستحقون هذه المرتبة الرفيعة، هم الذين يتبعون الهدى الذي يتنوع مع كل نبي بحسب مرحلته في المنهاج الذي وضعه الله له «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا»^(٥) وفي موقع آخر، يعمم سبحانه الخطاب لبني آدم «يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي»^(٦) فيما يقصّون من آيات ربهم في الحضّ على السير في طريق التقوى، تلك التي فسّرت

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) البقرة: ٣٨.

(٣) ص: ٧٨، ٧٧.

(٤) البقرة: ٣٨، ٣٩.

(٥) المائدة: ٤٨.

(٦) الأنعام: ١٣٠.

كما ورد في أكثر من حديث ب ((أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك)) فمن اتقى وأصلح وسار على الصراط المستقيم ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

الحزن الأبدي الخالد:

وفي مقابل ذلك، يشير الله سبحانه وتعالى إلى المستكبرين الضالين ممن تنكروا لطريق الهدى، فأورثهم استكبارهم الخلود في النار والحزن الأبدي ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) فأخذتهم الكبرياء فوق رسالة الرسول وفوق آيات الله، وهناك آية تتحرك في نفس الخط وتؤدي إلى نفس النتائج، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشرين بالجنة لمن يتحرك في خط رضوان الله، ومنذرين بالنار لمن يبتعد عن خط الله سبحانه ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

وهكذا نلاحظ أن معظم الآيات التي تتحدث عن الإيمان تتحدث أن الإيمان وحده لا يكفي إلا مع العمل الصالح، وأن العمل الصالح لا يكفي وحده ولا ينجي بعيداً عن الإيمان، فلا بد أن يجمع الإنسان هذين الأمرين، وهذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾^(٣) يعني أن تقوم بالعمل الصالح من خلال قاعدة الإيمان التي تركز عليها، والأوضح في هذا المجال هي سورة العصر ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. هذه هي عناصر الفلاح والنجاح، وهي خط الإيمان في العقيدة والعمل الصالح في السلوك في نطاق حركة المسؤولية.

(١) الأعراف: ٣٦.

(٢) الأنعام: ٤٨.

(٣) الأنبياء: ٩٤.

وفي الجانب الاجتماعي، نجد أن التواصل بالحق يمثل الركيزة، وذلك في تواصل مستمر بين المؤمنين، حيث يوصي المؤمن أخاه الآخر بالحق، وأن لا يضعف أمام قوة الباطل ليتنازل عن الحق، ولا يسقط أمام الضغوط التي تتحرف به عن خط الاستقامة، فيوصي بعضهم البعض الآخر بالصبر وتحمل الحرمان في سبيل هذه المبادئ. إذاً لابد من الإيمان ومن العمل الصالح.

وفي آية أخرى نتحدث عن الجانب السلبي الذي يمكن أن يفرض نفسه على المتسمين بالإسلام والمسلمين «لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلُ الْكِتَابِ» فيخيل إليكم أن الذي يؤمن بالإسلام شكلاً من دون الالتزام يدخل الجنة، أو أن الذي آمن باليهودية أو بالنصرانية يدخل الجنة «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزِيهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»^(١) فالإيمان والعمل هو الأساس «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»^(٢).

وهكذا عندما نقرأ الأدعية للأئمة I وخوفهم من الله وخضوعهم له، نعرف أنه ليس لأحد بينه وبين الله قرابة، حتى أن الرسول ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، وكان حوله عمه العباس وعمته صفية وابنته الزهراء ﷺ، التفت إليهم وقال لعمه العباس: ((اعمل لما عند الله فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)) وقال لصفية: ((يا صفية اعلمي لما عند الله فإني لا أغني عنك من الله شيئاً))، وكذلك قال لابنته الزهراء ﷺ وهي المعصومة، ولكن مع ذلك تبقى الشفاعة عند الله كلطف منه سبحانه لعباده وفقاً لما قرره من قبولها وتشفيق أوليائه في عباده «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى»^(٣). هذا هو المنطق القرآني.

وأنا أؤكد - أيها الأحبة - أن أصول العقيدة يجب أن نأخذها من القرآن وما صح من السنة، ولذلك لابد - كما ذكرت مراراً - أن نوثق الحديث، ومما يوثق

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) الأنعام: ١٥.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

الحديث انسجامه مع القرآن الكريم، لأن السنة النبوية لا تخالف القرآن، بل هي مع القرآن.

التسليم المطلق لله:

وفي آية أخرى، يتحدث سبحانه وتعالى عما يقول لليهود والنصارى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ^(١)) كما يتمنون (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) وهذا هو الأساس في المنطق القرآني. وهو يتحدى صاحب كل دعوى، سواء كانت دعوى سياسية أو اجتماعية أو دعوى تتصل بشؤون الحياة، فالحال يستطيع أن يقدم دعوى ما، ولكن المهم أن يقدم البرهان والدليل عليها (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). وهذا المعنى يؤكد للإنسان السير على أرض ثابتة في كل مواقفه الحياتية وفي كل انتماءاته، ويبعد الإنسان عن السقوط تحت تأثيرات الناس الذين يفرضون أنفسهم وأفكارهم على الناس من خلال إثارة الأجواء العاطفية أو الغريزية أو العصبية وما إلى ذلك، فكل إنسان يقدم لك فكرة فطالبه بالدليل، وكل إنسان يريدك أن تنتمي إلى خط معين يخططه فقل له ما هي الحجة في ذلك، وبهذا لا يستطيع أحد أن يخدع أحداً، سواء كان سلباً أو إيجاباً (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ).

فكل ما يتعلق بالمصير فإن على الإنسان أن يُثبت أنه على حجة في الطريق التي اختارها (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ^(٢)) والمراد من الوجه هنا ذات الإنسان وليس وجه الإنسان، وكلمة (الوجه) إنما تطلق على الشخص باعتبار أن الوجه هو الذي يمثل واجهة الشخص، فالإنسان إنما تعرفه من وجهه وليس من ظهره أو يديه.

(١) البقرة: ١١١.

(٢) البقرة: ١١٢.

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١)، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾^(٢) يعني أينما تتوجه فإن الله موجود في كل مكان ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٣) وحتى بالنسبة للنبي محمد ﷺ ﴿نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٤) يعني استقبل القبلة بنفسك، فقلوه سبحانه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يعني جعل كل نفسه لله.

وهكذا كما ورد في قصة النبي إبراهيم ﷺ ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين^(٦)، فإن تسلم وجهك لله يعني أن تسلم حياتك ومماتك وصلاتك ومناسكك وكل شيء فيك لله سبحانه وتعالى، فإن الإنسان الذي يريد أن يدخل الجنة هو الذي يعطي كل ذاته وكيانه وقلبه وعقله وحركته لله، سواء في موافقه أو أهدافه. ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني أن يتحرك في خط الإحسان ويوجد الله في عبادته وطاعته، وأن يجنب نفسه عن كل ما يدخلها في معصية الله، وأن يحسن للناس بأن لا يأتي منه للناس سوى الخير ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وهكذا، فإن هذه الآية تعني أن الإنسان الذي يبيع نفسه لله ويحسن في ما أعطاه الله من ذلك كله، فإنه لا خوف عليه يوم الفزع والخوف الأكبر. ثم نقرأ في آية أخرى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي

(١) القصص: ٨٨.

(٢) البقرة: ١١٥.

(٣) الرحمن: ٢٧، ٢٦.

(٤) البقرة: ١٤٤.

(٥) البقرة: ١٣١.

(٦) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ❖ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(١). وتعطينا هذه الآية فكرة أساسية مفادها أن المتقين هم الذين لا يمسهم السوء والحزن، ولأنهم استطاعوا أن ينفثوا على كل الفرح من خلال رضوان الله ونعيمه. وهناك آية أخرى تشير إلى الذين يمنحهم الله اللّاخوف واللاحزن، كما في قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ❖ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ❖ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)^(٢). ويبقى أن نتحدث إن شاء الله عن أولياء الله وما هي صفاتهم وما هي أعمالهم.. والحمد لله رب العالمين.

(١) الزمر: ٦٠-٦١.

(٢) يونس: ٦٢-٦٤.

مفهوم الحزن في القرآن (٨) الأمان من الحزن يوم القيامة

○ أولياء الله لا خوف

عليهم ولا هم يحزنون ○

☞ صفات المؤمن.

☞ معنى الأولياء.

☞ الحب الإيماني.

☞ برنامج الأولياء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

وصل بنا الحديث إلى الذين لا يخافون ولا يحزنون في الآخرة وهم أولياء الله، وهذه الكلمة تنطلق من إحساس الإنسان المؤمن وشعوره وعقيدته بأن الله هو وليه، بحيث إن علاقته علاقة المولى عليه أمام الولي، وعلاقة الإنسان الذي لا حجاب بينه وبين الله، فهو ولي الله ومن أوليائه المنتميين إليه ومن السائرين في خطه، يرى أن الله وليه (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)^(١) في الوقت الذي يكون فيه ولي الكافر هو الظالم والمستكبر، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) فالإنسان المؤمن هو الذي يختزن في عقيدته أن الله وليه، وهو الذي يدبر أمره ويملك كل حياته كما يملك موته.

صفات المؤمن:

ولذلك فهو يوالي الله ويلتزم بشريعته ويتقيه ويخضع له. وعلى ضوء ذلك، تمتد كل مسيرته على المستويين العام والفردى إلى الله. فهو في كل حياته ومسؤولياته ومواقع حركته لا ينظر إلا إلى الله. وهؤلاء هم الذين تحدث الله عنهم (إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٢). ويحدد الله سبحانه وتعالى لتحقيق ذلك صفتين وهما: الإيمان والتقوى. (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)^(٣)، لأنه لا بد لمن يتصف بصفات أولياء الله أن يعيش في عقله وشعوره

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) يونس: ٦٢.

(٣) يونس: ٦٣.

الإيمان بالله، ويحس بوجوده في خط توحيده، ويحس بعبوديته له وبحضوره في كل ما يحيط به وبكيانه، فهو يرى الله أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، هذا في الخط الفكري والعقيدة والشعور.

أما في الخط العملي، فإن الولي هو الذي يتقي الله «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» بحيث يتحول إيمانه والتزامه بمعنى العبودية لله وإحساسه برقابة الله، عليه إلى سلوك عملي في وعي برقابة الله والخوف من غضبه وسخطه، وهؤلاء «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»^(١) فيعطيه الله البشرية في الحياة الدنيا بما يفيضه عليهم من ألطافه، وبما ينشره عليهم من رحمته، وبما يوحى إليهم من الرضا والطمأنينة بربهم. وهذا هو المتمثل بقوله تعالى: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً» فالنفس المؤمنة التقية هي التي تعيش الطمأنينة والرضا بربها «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» في هذه المسيرة التي تجعل المؤمنين يفيضون في مسيرتهم إلى الجنة «وَادْخُلِي جَنَّتِي»^(٢) هؤلاء المؤمنون الذين نسبهم الله إليها من خلال أنهم ساروا في خط الالتزام بما يحبه ويرضاه، وقد حدثنا الله عنهم في حديث الاستقامة «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ»^(٣). فهناك بشارة في الدنيا يتحسسها الإنسان في رحمته وفي السكينة الروحية التي تعمّر قلبه وذاته، وفي الآخرة حيث «تَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ»، «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» فإن الله إذا قال شيئاً تحقق، لأن الله يقول من موقع الإرادة التي لا تتغير، وكذلك كلماته «لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»، ولذلك فوعد الله هو الوعد الذي لا

(١) يونس: ٦٤.

(٢) الفجر: ٢٧-٣٠.

(٣) فصلت: ٣٠.

خلف فيه «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا»^(١).

معنى الأولياء:

وفي كلمة أولياء الله في القرآن، يمكن أن نشير إلى أنه لم ترد كلمة أولياء الله لأشخاص إلا في هذا المورد، فهناك كلمة «الله ولي الذين آمنوا». ووردت في ولاية الله على العباد، وفي السُّنة الشريفة وردت كلمات عن النبي ﷺ وللأئمة ﷺ والنبي عيسى ﷺ، في مسألة توضيح أجواء وخصائص أولياء الله، فقد ورد عن السيد المسيح عيسى ﷺ عندما سأله الحواريون عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهذا إذا صدقت الرواية التي رواها السيوطي في (الدّر المنثور) حول هذا الموضوع، حيث لا داعي للخوض فيها من حيث توثيق السند، خصوصاً لأن بعض كلماته المروية عن السيد المسيح ﷺ قد وردت في الكلمات القصار للإمام علي ﷺ في (نهج البلاغة)، حيث قال: ((الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها))^(٢) يعني عرفوا الدنيا، من حيث إنها ليست دار بقاء، وعرفوا أن كل لذاتها وشهواتها وامتيازاتها سوف لن تبقى في الدنيا إلا ما يتصل منها بالآخرة. ولذلك لم يعتبروا الدنيا رأس المال الذي يمثل غناها أو يمثل الاكتفاء الذي تسكن النفس إليه وترتاح إلى نتائجه، وهي كلمة الإمام علي ﷺ الذي وصف الدنيا بقوله: ((من ابصر بها بصرته ومن أبصر إليها اعتمه))^(٣) فإن الإنسان الذي يجعل الدنيا عيناً له فإنه يُبصر بها أعماقها، إذ تبصره أنها ليست الدار الباقية، وأن ما فيها لا يمثل الغنى للإنسان عندما ينظر إلى طبيعته الذاتية، فإن ما في الدنيا هو حاجة وليس قيمة، فنحن نعيش حاجتنا إلى الطعام والشراب والمأكل والملبس وما نستلذه وما نشتهي، فهي حاجتنا ولا يمكن أن تكون الرسالة أو القيمة، فالقيمة الحقيقية هي ما يبقى منك في الدنيا

(١) النساء: ١٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ٢٠. ص ٧٧. ب ٤٤١.

(٣) نفسه. ج ٦. ص ٢٣٨. ب ٨١.

منفتحاً على الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١) فالدنيا لك منها نصيب، وأنت تعيش من خلال هذا النصيب ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢). ((ومن أبصر إليها)) وما فيها من زخارف وبهارج ((اعمته))، لأنها تعيش بصير الإنسان من خلال ما تجذبه من هذه الأضواء والألوان والزخارف وما إلى ذلك. ويقال إن الإمام علي عليه السلام مرّ على مزبلة عذرة فقال: ((هذا ما بخل به الباخلون))^(٣) الذين أكلوا وشربوا وشبعوا، وبخلوا أن يعطوا المحتاجين بما كلّفهم الله من العطاء.

وعودةً إلى كلمة السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، حيث يقول: ((والذين نظروا إلى أجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها))، فأولياء الله هم الذين عرفوا أن الدنيا مرحلة وليست بذات الخلود. ولذا حدّدوا حركتهم في الدنيا من خلال ما عرفوه من نهايتها، فعملوا لما بعد ذلك، أما بقية الناس فعملوا لعاجل الدنيا، فكأنه يريد أن يقول إن قيمة أولياء الله أنهم ينظرون إلى النهايات، وأما الآخرون فينظرون إلى البدايات. ونحن نعرف أن كل مشروع يتحرك فيه الإنسان فهو الذي يحمل عصارته في نتائجه وليس في بدايته، فربما تكون البداية ربحاً ولكن النهاية خسارة، وربما تكون البداية حزناً وتكون النهاية فرحاً. ((وأما توا منها ما يخشون أن يميّتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركهم)) أي أنهم تركوا المال واللذات والشهوات ((فصار استكثارهم منها استقلالاً، وذكرهم إيّاها فواتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً))، لأنها المسؤولية، فهل أخذوه من حلٍّ أم حرام، وهل أنفقوه في حلٍّ أم حرام؟ ((ويستضيئون بنور الله ويضيئون به)) للناس، ((لهم خبر عجيب)) في جهدهم وعبادتهم ووعيهم للدنيا، ((وعندهم الخبر العجيب)) فيما يقدمون عليه في الآخرة ((بهم قام الكتاب)) لأنهم عرفوا كيف

(١) القصص: ٧٧.

(٢) العنكبوت: ٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة. ج ١٩. ص ١٣. ب ١٩١.

يعلمونه للناس ((وبه قاموا))، لأن شخصياتهم صيغت من خلال العناصر القيمة والروحية والأخلاقية التي أخذوها من الكتاب ((وبهم نطق الكتاب)) عندما صور لهم الخطوط التي يتمثلون بها ((وبه نطقوا)) عندما تحدثوا للناس عن هذه الخطوط، ((وبهم علم الكتاب)) لأنهم فهموه وأدركوا أسرارهم وانفتحوا على كل عناصره وخصائصه التي تهدي الناس إلى الله سبحانه وتعالى ((وبه علموا)) بما جعلوا عليه من علم الحق. ((وليس يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمانى دون ما يرجون)) لأن أمانيتهم انطلقت لما عند الله.

الحب الإيماني:

وقد روي عن الرسول ﷺ عندما سُئل عن قوله تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فقال ﷺ: ((هم الذين يتحابون في الله))، هذا الحب الذي لم ينطلق عندهم من حالات ذاتية أو مطامع شخصية، وإنما انطلق من أنهم يحبون الله، ولما كان كل واحد منهم يمتلئ قلبه بحب الله، فلذلك كان قلبه يمتلئ بحب كل المؤمنين الذين يحبون الله، على أساس أن إخلاص الحب هو أن تحب الشخص الذي يحب من تحبه، فعندما تحب الله فعليك أن تحب كل من يحب الله، وعندما تبغض الشيطان فإن عليك أن تبغض كل ما يحبه الشيطان، وقد ورد عن أحد الأئمة من أهل البيت ﷺ قوله: ((إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر قلبك، فإن كان قلبك يوالي أوكياء الله ويعادي أعداء الله فالكه يحبك، وإن كان قلبك يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله، فالكه يبغضك، والمرء مع من أحب)) فانظر من تحب في الدنيا فإنك سوف تحشر في الآخرة مع من أحببتهم في الدنيا، فإن المجتمع الذي ينطلق من عمق ذاتك في الدنيا هو مجتمعك في الآخرة، ولذا ورد قوله سبحانه وتعالى: (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)^(١).

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ((وهل الدين إلا الحب))^(١) فالحب المقصود هو أن تحب الله ورسوله وأوليائه. ولذلك نجد أن الكلمة أو الوسام الذي أعطاه الله لعلي عليه السلام يوم (خيبر) خير وسام، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراّر غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه))^(٢) فهذا هو الحب الذي عاشه علي عليه السلام من قلبه في حبه لله ولرسوله من خلال سرّ الإيمان الذي يفتح على هذا الحب الذي يحكم كل ذاته ويمتد إلى كل من يعيش هذا الحب، وهو الذي يجذب حب الله ورسوله له ليكون الحب المتبادل من الجانبين. وكما في الآية الكريمة: ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ))^(٣)، لأن علاقة الحب لله هو الالتزام بشريعته، فهو الحب الحركي الواقعي، لأنك بهذا الحب تجسد عملاً في طريق الله سبحانه. وكما ورد في الشعر المنسوب للإمام زين العابدين عليه السلام:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفي حديث الإمام علي عليه السلام يلتقي فيه مع السيد المسيح عليه السلام، إذ يقول: ((هم قوم أخلصوا لله تعالى في عبادته، ونظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها)) فأولياء الله هم الذين يعبدون الله مخلصين له الدين ((فعرفوا آجلها ونهايتها، حتى غر الناس بعاجلها، فتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، وأماتوا منها ما علموا أنه سيميتهم)). وقال الإمام علي عليه السلام: ((ألا أن أولياء الله أكثر الناس له ذكراً)) في ألسنتهم وقلوبهم ((وأدومهم له شكراً)) فهم الشاكرون دائماً لله على نعمه ما دامت نعمه ممتدة في كل وجودهم ((وأعظمهم على البلاء صبراً)) فهم الصابرون على بلائه لأنهم فهموا سر البلاء في حياتهم ((وليوفيههم

(١) أصول الكافي ج. ٨، ص ٧٩، ح ٣٥.

(٢) نفسه، ص ٣٥١، ح ٥٤٨، ب.

(٣) آل عمران: ٣١.

الله أجر الصابرين)).

برنامج الأولياء:

وقد ورد عن الرسول ﷺ: ((إن أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكراً)) فإذا سكتوا ولم ينطقوا بلسانهم، فإنما ليتأملوا ولينفتحوا على عظمة الله وأسرار خلقه ونعمه. ((ونظروا فكان نظرهم عبرة)) وليس نظر اللهو، بل نظر الوعي والدراسة، ليدرسوا ما نظروا إليه، وليأخذوا منه درساً فيما يتطلعون منه إلى أسرار خلق الله، أو نظروا إلى ما يصيب الآخرين فكان ذلك عبرة لهم فيما يستفيدون من ذلك في حياتهم، ((ونطقوا فكان نطقهم حكمة)) فلا ينطقون هجراً أو لغواً، ولكنهم ينطقون بعد أن يفكروا ويدرسوا حاجة الناس، فيجعلون الشيء في موضعه، فلا ينحرفون بالأشياء عن مواقعها وأهدافها، فهم يتكلمون بالحكمة ليستفيد منها الناس وعياً وموعظةً، ((ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة)) والبركة - أيها الأحبة - هي النفع، وفسر قول عيسى ﷺ كما في القرآن الكريم «وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا»^(١) أي جعلني نفعاً للناس. لذلك فإنهم عندما يمشون في الناس فمن أجل أن يكون مشيهم بركة، ونفعاً للناس في قضاء حاجاتهم وإصلاح ذات بينهم وتعليمهم وتجنبيهم ما يفسد حياتهم ((ولولا الآجال التي كتبت عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم))^(٢) فهم يحدقون في الآخرة ويستعجلون الوصول إليها، وهم في قلق داخلي يتنازعهم بين الخوف والشوق، يخافون العقاب لخوفهم من تقصيرهم من القيام بمسؤولياتهم التي حملهم الله إياها، ويشتاقون إلى الثواب طمعاً برحمة الله فيما قدموه من عمل صالح.

وفي الحديث عن الرسول ﷺ: ((ثلاث خصال من صفة أولياء الله، وهي الثقة بالله في كل شيء))^(٣) أن تثق بالله المهيمن على الأمر كله، وأنه سبحانه هو

(١) مريم: ٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٣١٩، ح ١٣، ب ٧.

(٣) نفسه، ج ٢٧، ص ٢٥، ح ٢، ب ٦.

الذي يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء. وأن الله هو الذي يعطيك لطفه ورحمته، ولذلك فأنت عندما تعيش الإيمان فإن الله وحده هو ثقتك، وكما قال الإمام الحسين (عليه السلام): ((اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة)) فتجعل ثقتك بالله وتتوكل عليه، لأنه وحده هو الذي يعطيك في الدنيا كما في الآخرة. ((والاستغناء به عن كل شيء)) أن تستغني بالله عندما تعرف أن الله وحده هو الذي يملك الرزق كله (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ)^(١)، (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)^(٢) أن تستغني بالله عن غيره، فذلك يمثل قمة الإيمان بالله والثقة به والانقطاع إليه، كما ورد في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الانقطاع إلى الله والإخلاص له والانقطاع عن كل عبادة كما في (الصحيحة السجادية): ((اللهم إني أخلصت بانقطاعي إليك، وأقبلت بكلي عليك، وصرفت وجهي عمن يحتاج إلى رفدك، وقلبت مسألتي عمن لم يستغن عن فضلك، ورأيت أن طلب المحتاج إلى المحتاج سفه من رايه وضلة من عقله، فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فأتضعوا، فصح بمعاينة أمثالهم حازم وفقه اعتباره، وأرشده إلى طريق صوابه اختياره، فأنت يا مولاي دون كل مسؤول موضع مسألتي، ودون كل مطلوب إليه ولي حاجتي))^(٣).

وأنا دائماً - أيها الأحبة - أقول لكم افهموا أهل البيت (عليهم السلام) من خلال تراثهم، ولن تفهموهم مهما أغرقتهم من دموع إن تركتم تراثهم وراء ظهوركم، وهم - بكل تأكيد - يستحقون دموعنا وفرحنا بهم، ولكن الفرحة الأكبر بما أعطوه لنا من حركية الرسالة، وبما جعلونا نعيش وعي الإسلام في الوعي، ولذا ترون أن أقل الناس معرفة بأهل البيت (عليهم السلام) هم الكثيرون من شيعتهم، لأنهم يقتصرون في

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) الذاريات: ٥٨.

(٣) الصحيفة السجادية الكاملة. دعاؤه في التفزع. ص ١١٧. ٢٨٥. س ١-١٠.

حركتهم على البكاء عليهم ولا يدرسونهم ولا يتعلمون محاسن كلامهم.
 ((والافتقار إليه في كل شيء))، وذلك كما هو قوله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ)^(١)، فهل هناك لحظة تستغنون بها عن الله سبحانه
 وتعالى؟ فكل ما حولنا من الأشياء التي تحفظ لنا الحياة داخل أجسامنا هي من
 الله (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)^(٢)، (وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا)^(٣)، أن
 تشعر بالله في كل وجودك، وللإمام علي عليه السلام كلمة يقول فيها: ((أقل ما يلزمكم لله
 أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه))^(٤) فابحث عن شيء تعصي به الله لم ينعمه
 عليك من جوارحك أو مالك؟

وأوصي بقراءة الكلمات القصار للإمام علي عليه السلام، وهو يقول فيها: ((لو لم
 يتوعد الله على معصيته)) مما أوجبه للعاصين من عقاب، لكان يجب أن لا
 يعصى شكراً لنعمه، لأن الإنسان الذي يتحسس معنى النعمة في وجوده من الله
 المنعم عليه، لا يليق به أن يعصي من أنعم عليه بما يؤدي إلى غضبه، لأن ذلك لا
 ينسجم مع معنى الإنسانية في إحساسه الإنساني في ضرورة الاعتراف بجميل
 المنعم، فكيف إذا كان المنعم هو الله؟ والإمام علي عليه السلام عندما كان يناجي ربه.
 ((اللهم إنك أنس الأنس لأوليائك)) فالأولياء يعيشون الأنس بالله وفيوضاته
 ورحمته ((وأحضرهم لكفاية المتوكلين تشاهدكم في ضمائرهم، وتطلع على
 سرائرهم))^(٥)، لأن الله يشاهدنا في سرائرنا التي نخفيها عن الناس ((وتحيط
 بمبلغ بصائرهم)) فيما يبصرونه في وعيهم. وفي (دعاء كميل): ((وكنت أنت
 الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم)) فإن الملكين يكتبان ما يطلعان
 على الإنسان (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ

(١) فاطر: ١٥.

(٢) النحل: ٥٣.

(٣) إبراهيم: ٣٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ٢٤٢، ب ٣٣٦.

(٥) نفسه، ج ١١، ص ٢٦٧، ب ٢٢٢.

قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(١) ولكن الله لا يطلعهم على ما في ضمائرهم. ((ویرحمتهک أخفيته ويفضلك سترته)) و((قلوبهم)) وهم العاشقون المحبون لك ((إليك ملهوفة)) كما في (دعاء كميل): ((وهبني يا إلهي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك، وهبني يا إلهي صبرت على حر نارك فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك)) هذه اللهفة التي لا تطيق أن يفارق الإنسان ربه أو أن ينظر إلى كرامته، ((إن أوحشتهم الغربة أنستهم بذكرك، وإن صبت عليهم المصائب لجأوا إلى الاستجارة بك، علماً بأن أزمة الأمور بيدك ومصائرهم)).

ويقول الإمام علي عليه السلام: ((وسميت الشبهه شبهة لأنها تشبه الحق))، وذلك عندما يمزج الباطل بشيء من الحق حتى يخيل إليك أنه الحق، ويمزج الحق بشيء من الباطل حتى يخيل إليك أنه الباطل، ولذا فإن الإنسان عندما تثار أمامه شبهة، فإن عليه أن يدقق فيها، فقد يكون فيها شيء من الباطل يظن أنه حق أو بالعكس، كما هو السم في الدسم، ((فأما أولياء الله فضيأؤهم فيها اليقين)) لأنهم عاشوا اليقين في الله واكتشفوا فيما يطرح عليهم الباطل الخفي ((ودليلهم سمت الهدى))، ((أما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال)) لأنهم لا يتعمقون فيها ((ودليلهم العمى))، ثم يقول عليه السلام: ((فما ينجو من الموت من خافه)) فالناس كلهم يموتون، ولا يعطى البقاء لمن أحبه، ثم يقول الإمام عليه السلام في خطبة أخرى: ((عباد الله، إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه)) فإن روح التقوى الكامنة في عقلك وقلبك وكيانك هي التي تحميك من حرام الله سبحانه، لأنك تعيش الخوف من عذابه «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ»^(٢). ((والزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت ليالهم)) وهم يناجون الله ((وأظلمات هواجرهم)) عندما يعيشون حرارة الشوق إلى الله ((فأخذوا الراحة بالنصب)) - التعب - ((والري بالظماً، واستقربوا الأجل، فبادروا العمل، وكذبوا

(١) ق: ١٧-١٨.

(٢) الأعراف: ٢٠١.

(الأمل)) لأنهم يعتبرون الأمل طويلاً في الحياة (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)^(١).

وقد قال الإمام علي عليه السلام وهو يصور الدنيا ((إنها مهبط وحي الله ومتجر أولياء الله)) فالدنيا تجارة، وأنت تتاجر مع الله بها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)^(٢) فالإنسان في الدنيا هو الذي يتاجر مع الله بالعمل الصالح (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)^(٣). وهكذا قال الإمام علي عليه السلام لبعض أصحابه عندما رآه مشغولاً بأهله وولده: ((لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله))^(٤) وقد قال الله تعالى مخاطباً النبي نوح عليه السلام في ولده: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)^(٥)، فأولياء الله هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وكما في الدعاء: ((واجعلني من أوليائك فإن أولياءك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)). فإذا كنّا ندعو الله أن يجعلنا من أوليائه، فعلينا أن نتحرك في خط السير الذي يوصلنا إليه (وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)^(٦)، ويبقى للكلام في الحزن بقية .. والحمد لله رب العالمين.

(١) الأعراف: ٣٤.

(٢) الصف: ١٠.

(٣) الانشقاق: ٦.

(٤) نهج البلاغة. باب المختار من حكم الإمام علي عليه السلام.

(٥) هود: ٤٦.

(٦) التوبة: ١٠٥.

الولاية لغير الله (١)

○ لكي يكون الإنسان وليّ
الله، فإنّه عليه أن يعيش في
وجدانه وعقيدته وشعوره سرّاً
ولاية الله على الكون كلّهُ ○

☞ ولاية غير الله.

☞ الحب الإلهي.

☞ الولاية المزدوجة.

☞ التقرب لغير الله.

☞ التوسّل بالأنبياء ﷺ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في وقت سابق عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وقد حدثنا سبحانه وتعالى عن نماذج من الناس ممن يوالون غير الله ويتركون ولاية الله، ولكي يكون الإنسان ولى الله، فإن عليه أن يعيش في وجدانه وعقيدته وشعوره سر ولاية الله على الكون كله، فهو يوالي الله ويتقيه ويعبده ويطيعه من خلال إيمانه بولايته، لتكون الولاية منطلقة من الإنسان في خط ولاية الله سبحانه وتعالى، بحيث تفرض ولاية الله على الكون كله الولاية على الإنسان لله، ليكون ولياً لله من خلال أن الله وليه.

ولاية غير الله

وقد أثار القرآن الكريم الحديث عن نماذج من هؤلاء الناس الذين يتخذون أولياء من دون الله، مما يمكن أن يتمثل في هذا النهج من السلبيات، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، فهو يتحدث عن المقارنة بين الانفتاح على ولاية الله واستبدالها بولاية غيره، ليشير أمام الإنسان في وعيه لواقع الأشياء، بأن غير الله مهما كانت قدرته فإنه لا يمثل في معنى القوة أكثر مما يمثله بيت العنكبوت فيما يختزن من حجم القوة، لأن الناس وهم غالباً ما يتخذون أولياء من دون الله، فإنهم يتخذونهم لأنهم يجذبون إليهم في ولايتهم على أساس الرغبة أو الرهبة، وعلى أساس ما يجذبهم فيهم من مظاهر القوة وما إلى ذلك،

فإن الله يريد منهم أن يحدقوا في حجم هذه القوة عندما تصيبهم لحظات الضعف، ليجدوا أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً إلا بالله، وهكذا عندما يعيشون واقع الضعف في المسألة الاجتماعية أو السياسية أو الأمنية، لذلك فإن قوتهم مستعارة من مالك القوة، وفي مقارنة بين ولاية الله وبين ولاية هؤلاء، فإنه من الطبيعي أن تسقط ولاية الناس مقارنة بولاية الله الواقعية.

ثم يؤكد القرآن الكريم في مسألة ولاية الله مقارنة بولاية الناس الذين يتصل بهم الإنسان برباط القربى أو برباط الحاجة، فيقارن القرآن بين هذا أو ذاك، ليؤكد مسألة الولاية لله بحيث تتحرك في خط الحب، فلا يعيش الإنسان المستوى الأعلى من الحب بفعل القرابة أو بفعل الحاجة، لأن الحب الأعلى هو لله ولا حب لغيره إلا من خلال حب الله، ولذلك نفهم مسألة عقائدية حيّة، وهي أن التوحيد كما هو مطلوب في الألوهية والعبادة فهو مطلوب في الحب، فإن الله سبحانه وتعالى هو الأعلى في الألوهية، وفي الطاعة، وفي العبادة، وهو الأعلى في الحب، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾^(١) لأن القرابة قد تختزن بعض العاطفة الشعورية الذاتية التي لا تتجذب نحو المبدأ، ولكن الولاية لله تمثل حالة الارتباط العقلي والقلبي والإنساني بشكل عام نحو الولي لو كانوا مؤمنين، فإن الولاية لهم تفتح على الولاية لله من خلال معنى الإيمان فيهم، ولكن ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ فليست هناك أية علاقات عميقة بمستوى الجذور بينك وبينهم ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾^(٢) لأن معنى أن تعيش ولاية الله هو أن يكون الله بكل معنى الألوهية وسر عبوديتك له هو الميزان في علاقتك بالناس كلهم بالمعنى المتجذر في عمق ذاتك. ومن الطبيعي أن ذلك، لا يعني المقاطعة المعاملية أو العشرية، لأن قصة أن تعتقد شيئاً هي أن يتحول اعتقادك

إلى جزء من ذاتك، بحيث يشمل كل ذاتك، فلا يكون لك عقل أو قلب، حركة بعيداً عن الإيمان، بل أن تكون أنت الإيمان، وهذا ما قيل عن النبي ﷺ عندما أريد لإحدى زوجاته أن تصفه فقالت: ((كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ))، فكان ﷺ كله قرآناً، عقله القرآن وحركته القرآن، وبذلك كان القرآن الناطق الذي يعبر عن القرآن الصامت، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١) الذين ظلموا فكرهم وعقيدتهم وظلموا الحقيقة عندما أبعدوا المسألة الإيمانية عن مسألة العلاقات الإنسانية.

الحب الإلهي:

ويؤكد القرآن الكريم هذه الفكرة بشكل أكثر وضوحاً ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢)، فإن القرآن لا يريد لك أن تقطع الروابط بينك وبين من تتصل به بصلة القرابة أو بصلة العلاقة الزوجية، ولا يريدك أن تهمل أمر أموالك أو أمور تجارتك كما يتصور البعض، ولكن القرآن يؤكد على عمق العقيدة في حركة الإنسان، سواء كانت عاطفية أو مصلحية، بحيث لا يمكن أن تسقط أمام العاطفة، لأن العلاقة بأقربائك هي علاقة عاطفية يفرضها النسب، وكذلك العلاقة الزوجية، فإنها علاقة عاطفية تفرضها الغريزة وتوابعها. وعندما تتراوح المسألة بين أن تقف بين عاطفتك لتتحرف من خلالها عن خط الله، وبين الوقوف على خط الله الذي يريدك أن توازن عاطفتك بعيداً عن إسقاط مبادئك، فإن الإيمان هو الأولى بالتقديم إذا كنت جاداً في إيمانك وفي ولايتك لله، لأن العاطفة لا بد من أن تعيش معنى الولاية، بحيث لا تسقط أمام النوازع الذاتية.

(١) التوبة: ٢٣.

(٢) التوبة: ٢٤.

وهكذا بالنسبة لبقية الحاجات (المال والتجارة)، فعندما تقف بينها وبين مسؤولياتك الإسلامية، فعليك أن تعرف أن مالك وتجارتك هما رزق الله، فهو الذي يرزقك، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١) أن يكون الله أحب إليك من تجارتك ومالك، وأن يكون الرسول ﷺ أحب إليك من ذلك كله، لأنه هو الذي يحمل إليك الرسالة من الله، فعليك أن تحبه من خلال حب الرسالة في سره ومعناه، وهكذا عندما تقف بين الجهاد وبين تلك النوازع العاطفية والمصلحية، فعليك عندها أن تقدم حب الرسالة. وقد أشار سبحانه إلى ذلك التوحيد في الحب لله ولرسوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾^(٢) فلا يحبون أحدا كما يحبون الله، لأنه ليس لهم أي ارتباط وجودي وحركي في كل مواقع الحياة والآخرة كالارتباط بالله سبحانه.

الولاية المزدوجة:

ونقرأ في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٣) هذا نوع آخر من الولاية البعيدة عن ولاية الله، فإن الله يريد للناس في معنى ولايته أن يرتبطوا به بشكل مباشر، وذلك أن لا يعبدوا غيره وأن لا يطيعوا غيره، لذلك ليس بين الله وبين أحد واسطة، فلا حاجة إلى أن نرتبط بالله بأية جهة بمعنى الارتباط، سواء في أدعيتنا وعباداتنا أو ابتهالاتنا وطاعتنا ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾^(٤). نعم، تبقى هنالك الشفاعة والوسيلة في

(١) الجمعة: ١١.

(٢) البقرة: ١٦٥.

(٣) الزمر: ٣.

(٤) الشعراء: ٢١٣.

الهداية، لأن الله أكرم بعض عباده فجعل لهم الشفاعة كرامة لهم، ولكن المسألة هي أن الله يريدنا أن نعبده وحده، ولا نقدم فروض العبادة لغيره.

التقرب لغير الله:

فيحدثنا الله عن نماذج من الناس كانوا يتخيلون وجود سرّ في بعض الأشياء أو الأشخاص، بمعنى أن لهم علاقة أشبه بعلاقة القرى من الله، كما هي القرى الذاتية بين الناس وبين الذين يملكون السلطة مثلاً، وأن الناس تتقرب إليهم من أجل أن يقربوهم إلى مواقع السلطة، فكانوا يعبدون الأصنام، لأنهم كانوا يتخيلون فيها أسراراً مرتبطة بشكل مباشر بالله، أو ربما كانوا يعبدون أشخاصاً كما كان النمرود أو فرعون أو ما أشبه ذلك، فقد جعلوهم أولياء يرتبطون بهم بشكل مباشر من أجل أن يربطوهم بالله بشكل غير مباشر «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» فإن الله سوف يعرض مثل هؤلاء في الآخرة، فيرى الناس أنهم لا يملكون لهم نفعاً ولا ضرراً، وأنهم إذا كانوا يملكون بعض الشعور والوعي كما لو كانوا من البشر، فإنهم لا يستطيعون أن ينصروهم ولا يستطيعون أن ينصروا أنفسهم، كما حدثنا الله سبحانه وتعالى في أكثر من آية عندما يقف المستكبرون مع المستضعفين «إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً فَنَتَبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ^(١)، وهكذا عندما يتحدث في آية أخرى: «وَيَرْزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ^(٢)».

(١) البقرة: ١٦٦-١٦٧.

(٢) إبراهيم: ٢١.

التوسل بالأنبياء ﷺ:

وقد أثار البعض من السلفية الوهابية جدلاً حول ما يسير عليه بعض المسلمين، ومنهم الشيعة، في مسألة التوسل بالأنبياء أو الأئمة، فقالوا إن هذا نوع من العبادة فيشملة قول الله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ولذلك فإنهم يعتبرون ذلك حالة من حالات الشرك، ولكن المسألة ليست بهذا الشكل، لأن المسلمين جميعاً سنة وشيعة يعلنون أنهم يعبدون الله وحده، ولذلك، فعندما يقولون في الصلاة والشهادة (أشهد أن محمداً عبده ورسوله)، فهم يؤمنون أنه رسوله وعبده، ونقرأ بعض الأدعية الواردة عن أهل البيت ﷺ: ((واجعل توسلي به شافعاً يوم القيامة نافعاً)) فيطلب الداعي من الله سبحانه وتعالى أن يجعل توسله بالنبي ﷺ شافعاً، وهو ما أكدته الله سبحانه وتعالى في مسألة الشفاعة بقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(١) و﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢)، فالشفاعة أمر مفروض في القرآن ضمن البرنامج الذي وضعه الله سبحانه للشافعين، ولذلك فإنهم لا يشفعون للمشركين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) ولا يشفعون للذين يعرفون أن الله سبحانه لبعض الخصائص لا يرضى بالشفاعة لهم.

ولذلك فإننا لا نعبد الأنبياء ولا الأئمة، بل نرى ﴿أنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾^(٤) وأنهم يعبدون الله وكانوا يعيشون العبودية الخالصة له، وأن عظمة النبي ﷺ والأئمة ﷺ أنهم كانوا عباداً صالحين لله، فنحن الشيعة نعتقد أن الألوهية لله وحده وليست بين الله وبين أحد قرابة. ويقول النبي ﷺ في آخر خطبة له: ((أيها الناس، لا يتمنى متمن ولا يدع مدع، أما إنه ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً أو يدفع عنه شراً إلا العمل ولو

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) النساء: ١١٦.

(٤) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

عصيت لهويت))^(١)، «قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»^(٢) مع أن النبي ﷺ هو سيد الخلق. ولذلك فإن ما يُنسب إلى الشيعة من أنهم يعبدون الأئمة على أساس أنهم يقربونهم زلفى إلى الله، فهذا زور وبهتان لا يعتقد به الأئمة ولا شيعتهم. ولا نعتقد أن في الأنبياء أو الأئمة شيئاً من ذات الله، وإنما هم بشر عباد لله أكرمهم الله برسالته وبوحيه وبيعض ما أعطاهم من رحمته في هذا المجال، ولذلك فليس هناك شيء في معنى الألوهية لا في نبي ولا وصي وما إلى ذلك، فإن تلك التهمة ضد الشيعة هي تهمة غير صحيحة.

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ»^(٣)، فإن الله يراقبهم فيما يعتقدونه وفيما يتحركون به في خط الولاية لغير الله في مقابل الولاية لله «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» فإنك تقدم لهم الهداية والعظة «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٤) فهو الولي ولا ولي غيره، ولا يجوز لأحد أن يوالي غيره، ثم يقول سبحانه وتعالى: «وَأِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ»^(٥) أن لا تجعلوا الظالمين أولياء لكم بما يملكونه من قوة أو سلطة أو أي امتيازات يخضع فيها الناس للناس، فمن يوالي الظالمين فهو شبيه لهم في ما يلتزمه من الظلم، سواء كان الظلم حقيقة، أو كان ظلم الناس أو الحياة كلها، فعليكم أن توالوا الله إذا كنتم في خط التقوى «وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ». ويبقى للكلام بقية إن شاء الله .. والحمد لله رب العالمين.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٦٧، ح ١٩، ب ١.

(٢) الأنعام: ١٥.

(٣) الشورى: ٦.

(٤) الشورى: ٩.

(٥) الجاثية: ١٩.

الولاية لغير الله (٢) ولاية الشيطان

○ علينا أن ندرس جيداً
تاريخ أي شخص أو جهة
سياسية أو اجتماعية تحاول أن
تدفعنا إلى ما يلتقي مع
رغباتنا أو مطامحنا أو
شهواتنا ومطامعنا ○

○ قادة الإغراء.

○ سلطان الإنسان على نفسه.

○ سلطان الشيطان.

○ مسؤولية الإنسان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا سابقاً عن الذين يتحركون في خط الولاية بعيداً عن ولاية الله سبحانه وتعالى التي لا بد للناس أن يلتزموها ويتحركوا في خطها، كي لا ينطلقوا إلى ولاية غير الله، كما تحدث القرآن الكريم عن الذين يوالون الشيطان من دون الله، فينتقلون من ولاية الله إلى ولاية الشيطان، وما ينجم عن ذلك من نتائج سلبية تلحق الإنسان عندما يعيش تحت تأثير الشيطان.

قادة الإغراء:

وكلمة الشيطان قد تأخذ مفهوماً يتسع للإنس والجن، كما تحدث سبحانه وتعالى عن شياطين الإنس والجن من الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(١)، فهناك شيطنة إنسية تتمثل بنماذج من البشر، وهناك شيطنة جنية تتمثل بنماذج من الجن، وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن ذلك في سورة (الناس): ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❖ مَلِكِ النَّاسِ ❖ إِلَهِ النَّاسِ ❖ مَنِ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ والوسواس هو نوع من الشياطين ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ❖ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. فهناك شيطان يتمثل بهاتين الصفتين، وهما صفة الوسوسة وصفة الخنوس.

وعلى ضوء هذا، فإن كلمة شيطان قد تطلق في بعض التعبيرات القرآنية على ما يشمل النموذجين معاً، ولكن الغالب في القرآن الكريم هو إطلاق كلمة

الشیطان علی إبلیس، وإبلیس هو شخصية مخلوقة وليس مجرد فكرة، إنه شخصية خلقها الله وكلفها وعاشت مراحل طويلة من الزمن والتحقت بالملائكة، ولكنه لم یكن ملكاً، حتی قیل فی بعض الروایات إن الملائكة كانوا یحسبون أن إبلیس منهم، ولكنه فضح نفسه عندما رفض السجود لآدم ﷺ متمرداً بذلك علی الله فأخرجه من الجنة، وقد حدثنا الله عن أصل إبلیس فی قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(١).

وتشیر الآیات إلى أن إبلیس هو الشیطان «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(٢) أي لا یوقعكم فی الفتنة التي تتحرف بكم عن الخط المستقیم من خلال ما یزینة لكم من وسائل الانحراف، وما یغریكم به من الشهوات، وما یعدكم به ویمنیكم ویطرح علیكم الحق بصورة الباطل لترفضوه، أو یطرح لكم الباطل بصورة الحق لتأخذوا به، وأن لا یوقعكم فی التجربة التي تجمع الكثير من عناصر الإغراء فی داخلها، فتسقطكم فی الضلال «كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ» فادرسوا تأریخه عندما یوسوس لكم، فقد أخرج أبویكم من الجنة «يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا» عندما خدعهما لیکشفهما عاریین أمام الفتنة التي أفتنتهم بها من خلال خداعه لهما، ومن خلال ما أوحى إليهما بأنه لهما من الناصحين، حتی أقسم لهما بالایمان المغلظة.

وما نستوحیه هو أن ندرس جیداً تاریخ أي شخص أو جهة سياسية أو اجتماعية تحاول أن تدفعنا إلى ما یلتقي مع رغباتنا أو مطامحنا أو شهواتنا ومطامعنا وتقذیم نفسها إلینا فی شخصية الناصح الذي یرید أن یحل لنا مشاكلنا، أن ندرس تاریخه من مختلف الزوايا فی علاقاته معنا مع الناس ومع منطقتنا ومع كل المستضعفين والمسلمین، فإذا رأینا أن هذا الشخص أو تلك

(١) الکهف: ٥٠.

(٢) الأعراف: ٢٧.

الجهة قد مارست في تاريخها الكثير من ألوان القسوة والقهر والخديعة والفتنة، فعلينا أن نحذر منها، وأن نقارن بين تلك الوعود والمشاريع التي يقدمونها إلينا، فلعل شيئاً من ذلك التاريخ السلبي يمكن أن يكون في داخل هذه المشاريع، كما هو حال السُم في الدسم.

إنَّ هذه الفقرة تعطينا فكرة أن يقارن الإنسان بين حركة الحاضر والمستقبل والماضي في تجاربه السلبية مما يمكن أن يتجدد من خلال خصوصية الجهة التي صنعت أحداثه، في عملية حذرٍ واعٍ للتاريخ السلبي كيف يستعيد نفسه. وعلى ضوء هذا، نطلق إشارةً ولا نريد أن ندخل فيها، وهي أن الاستكبار العالمي يستغل الكثير من المشاكل في بلدان المسلمين أو المستضعفين، تلك المشاكل التي صنعها هو عندما وظَّف حكاماً لحراسة مصالحه، ولكنه في نهاية المطاف استغنى عنهم، لأنهم لم يعودوا يحققون له ما يبتغي، فأراد الاستكبار أن يستبدلهم بغيرهم، ولذلك علينا أن لا نستسلم لهؤلاء، وأن ندرس تاريخهم وحاضرهم في نفس المناطق المحيطة بنا، وأن تكون لنا عيون مفتوحة في العقل ومفتوحة في القلب وفي الحياة من خلال التجربة، فلا نستغرق في اللحظة، وأن يكون الزمن هو العين التي نبصر بها الماضي لنعرف كيف نتدبّر أمورنا في ما بقي على أساس «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»^(١) وكذلك يقول المثل: ((لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)) و((خير ما جريت هو ما وعظك))^(٢). فإن الله يقول يا بني آدم لقد جريتم إبليس عندما أخرج أبويكم من الجنة، فحاولوا أن تستفيدوا من هذه التجربة وتكتشفوا ما يحيك لكم من حبائله وخداعه وأمانيه وغروره وحيله وما إلى ذلك. «إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ»، لأن مسألة هذا الفريق من الجن هو أنه يعيش في منطقة خفية من عالم الرؤيا، وقد يكون بيننا، وربما يسري فينا مثل الدم في العروق، إنه يوسوس في صدورنا وعقولنا ونحن لا نراه،

(١) يوسف: ١١١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٣٢٥، ح ٩٠، ب ٢.

ولكننا نتحسس تأثيره من خلال ما يترك فينا من انطباعات وانفعالات وشهوات غير إيجابية بما يتصل بحاضرنا ومستقبلنا في قضية المصير. «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ».

سلطان الإنسان على نفسه:

ونتوقف عند كلمة «إِنَّا جَعَلْنَا»، فكيف يجعل الله الشياطين أولياء؟ وهل أن الله هو الذي يسلطهم علينا؟ كلا، فإن الله سبحانه في نظامه للكون وفي حركية الإنسان قد جعل أمر الإنسان بيده «بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ»^(١)، فإن الإنسان هو الذي يصنع مصيره سلباً أو إيجاباً، والله سبحانه وتعالى قد وضع قانوناً للأشياء وربط أحد طرفي القانون بيدك، بمعنى أنك إذا مددت يدك إلى النار، فإنها لا بد أن تحترق حسب القانون الطبيعي بأن كل شيء يمس النار يصاب بالحرق، وإن كان سبحانه هو الذي ربط بين النار والإحراق، ومثال ذلك أن الإنسان الذي يأخذ بأسباب الخسارة يخسر، والإنسان الذي يأخذ بأسباب الريح يريح، يعني أن الله سبحانه وتعالى جعل علاقة سببية بين الخسارة وبين عناصرها ووسائلها وبين الريح ووسائله، فيمكن القول إننا السبب في خسارة أنفسنا، ويمكن أن نقول إن الله قد سبب ذلك، لأنه سبحانه وتعالى خلق السببية، ولكنها باختيار الإنسان، فإن الله إنما ينسب ذلك إلى نفسه لأنه هو الذي خلق السبب والعلاقة بين السبب والمسبب، ولكنه جعل السبب بيد الإنسان «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٢)، و «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ❖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٣) ولذا عندما يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الفساد في الأرض، فإنه يتحدث عنه باعتبار الفساد منطلقاً من الإنسان، لقوله

(١) القيامة: ١٤.

(٢) النحل: ١١٨.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(١) فإن الناس هم الذين أنتجوا الفساد، لأنهم قاموا بأفعال تنتج الفساد ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٢)، ولا يعني ذلك أن الله قد أنزل عليهم الجوع من السماء أو أنزل عليهم الخوف، ولكنهم هم الذين صنعوا الأوضاع التي أدت بهم إلى الجوع والخوف. فأنت تصنع قدرك بيدك، ولكن بما أودع الله من القوانين وجعلك تتحرك من خلال إرادتك.

ولذا قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣) و ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤) لأنه سبحانه ربط بين عدم الإيمان وبين الالتزام بخط الشيطان، لأن الإنسان غير المؤمن بالله فإنه من الطبيعي أن يستسلم لشهواته وغرائزه، فيستولي عليه الشيطان ويلتزمه ويكون قرينه.

لذلك فإنه في يوم القيامة عندما يقوم الناس لرب العالمين، ويواجه الناس مصيرهم، ويقال لهم إن الشيطان موجود في ساحة القيامة، يندفع الجميع في مظاهرة (لأن جماعة الشيطان كثر)، وكلهم يحمل الشيطان المسؤولية عن كفرهم وفسقهم وضلالهم وانحرافهم، فيتدخل الشيطان وينفي مسؤوليته عن ذلك: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥)، وقال سبحانه ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

(١) الروم: ٤١.

(٢) النحل: ١١٢.

(٣) الرعد: ١١.

(٤) الأعراف: ٢٧.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ^(١) وكذلك الآية (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)^(٢) فإن الشيطان يوعد ويخلف ويُمْنِي بالأُماني الكاذبة، وقال الله تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)^(٣).

سلطان الشيطان

إن الشيطان لا يملك السيطرة على أفكار الإنسان لينحرف به عن الخط المستقيم، بل إنه يطلق النداء المحمّل بالأُماني والوعود والخيال الذي يجتذب للإنسان صوره وأحلامه (فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مُونِي وَأَنْفُسَكُمْ)، فمنذ البداية توعد الشيطان الإنسان (قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)^(٤) فقد أعطى الله للإنسان العقل، فلماذا لم يكتشف به خطأ الإيمان والطاعة لله؟ وقد أرسل الله للبشر رسلاً وأنبياء، فلماذا لم يتبعوهم؟ وقد حذرهم الله من الشيطان (مَا أَنَا بِمُصْرَخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ)^(٥) فإن الإنسان إذا أفرغ عقله من الله استلمه الشيطان ودفعه إلى الباطل، وإذا فرغ الإنسان من الله فقد دخل الشيطان قلبه وجعل فيه البغضاء والحقداً بدلاً من المحبة، وإذا فرغت حياة الإنسان من الله فقد دخلها الشيطان (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)^(٦). لذلك فهناك ربط بين عدم الإيمان وبين ولاية الشيطان، وبقدر الابتعاد عن الإيمان بالله فإن الإنسان يحجب الضوء الذي يشرق في عقله وقلبه

(١) آل عمران: ١٣٣.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) فاطر: ٦.

(٤) الأعراف: ١٦-١٧.

(٥) إبراهيم: ٢٢.

(٦) الحشر: ١٩.

وحياته .

ثم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن أولياء الشيطان ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾^(١) والفاحشة هي كل عمل يتجاوز الحدَّ المسوؤل ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ كما هي التقاليد السائدة في العشائر والشعوب المتخلفة، حيث يقدر هؤلاء سلوك الآباء وعاداتهم وتقاليدهم، وكذلك إرثهم، بما فيه الإرث العقائدي والفكري والاجتماعي، وحتى الإرث الديني المتخلف الذي تحول إلى مقدسات، ولذلك يواجه الإنسان الذي يحاول أن يناقش تقاليد الآباء وعاداتهم وطريقتهم في التفكير ومفردات عقائدهم، بحملة قاسية، باعتبار أنه يريد إسقاط الماضي وإبعاد الناس عن إرث الآباء ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا﴾، فينسبوننها إلى الله سبحانه زوراً وبهتاناً، لأن الصورة صورة الإيمان، في وقت نجد فيه أن الدين عندهم يتحرك في ضباب، ويعتبر البعض أن بعض ما ينطلق من التخلف هو دين، كأولئك الذين يأخذون بالغلو في الأنبياء والأئمة، ويقولون هذه هي العقيدة ﴿قُلْ إِنْ أَلَّاهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ فإن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالانحراف عن الخط المستقيم الذي أمرنا بالسير عليه، ولا يأمر بالزنا واللواط وكل الأشياء التي تتعلق بالجانب الجنسي أو الاقتصادي.

وقد ورد في آية أخرى: ﴿أَلَّاهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^(٢)، فهل أذن الله لكم أم أنكم تفترون على الله لأنكم تتسبون إليه شيئاً لم يشرعه ولم يقله ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) فكيف تتسبون إلى الله شيئاً لا تملكون علمه؟

مسؤولية الإنسان:

نحن نعرف أن هناك خطأ قرآنياً واضحاً، وهو أن تتحرك على علم في الخط الذي يمكن أن تتحرك فيه العقيدة والشريعة، أو يتحرك فيه الخط

(١) الأعراف: ٢٨ .

(٢) يونس: ٥٩ .

(٣) الأعراف: ٢٨ .

السياسي والأمني والاجتماعي والاقتصادي وغيره، فالشيء الذي تشكُّ فيه تقف عنده، وكذلك الشيء الذي لا دليل لك عليه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١) يعني لا تتبع ما لا ليس لك به علم ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فأنت مسؤول عن سمعك وبصرك وعقلك، والله سيسألك هل سمعت وممن سمعت؟ وكيف سمعت؟ وكذلك بالنسبة للبصر، فهل رأيت؟ والْفُؤَادَ (العقل) هل وعيت وفكرت؟ وهل دخلت في دراسة عميقة حوله؟ ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٢) فسوف تسأل أمام الله يوم القيامة عن كل ما التزمته من فكر ومعتقد، وعن كلمة قلتها، وعن كل عمل عملته، وعن كل مشروع تبنيته، وكل انتماء انتميت إليه ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٣) فعليك أن تحضّر دفاعاتك من الآن، لأنه لا يوجد محامٍ يوم القيامة، فأنت المتهم وأنت المحامي عن نفسك، فأنت الآن عندما تكون في محكمة والحاكم يستدعي الشهود، فإنك يمكن أن تقول إن هذا الشاهد ليس عادلاً أو إنه يكذب.

أما في يوم القيامة فالأمر ليس كذلك، فلا يمكن ردّ الشهود عندها، فالإمام علي عليه السلام يقول: ((اتقوا معاصي الله في الخلوات)) فلا تشعر بالحرية والأمن في الخلوة ولا تقل ليس هناك من يراني أو من يسمعني فإن الشاهد هو الحاكم فالله سبحانه وتعالى إذا كان هو الشاهد والحاكم، فلا مجال لك هناك للدفاع عن نفسك: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾^(٤) أي بالعدل وهو أن تعطي لكل ذي حق حقه، فأعط حق ربك في التوحيد وفي العبادة والطاعة، وأعط لنفسك حقها في طاعتها لله بما يقودها إلى الجنة، وأعط للناس حقوقهم في ما جعل الله لهم من حقوق وفي ما التزمت لهم من حقوق، وأعط للحياة حقها وللبيئة حقها

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الصافات: ٢٤.

(٣) النحل: ١١١.

(٤) الأعراف: ٢٩.

﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فتوجهوا إلى الله سبحانه، والمراد من الوجه هنا الذات - كما ذكرنا سابقاً - فتوجهوا إلى ربكم بكل كيانتكم وادعوه فهو قريب ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١) و﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢) فتعرفون أن الله هو الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم ويحييكم ويبعثكم بعد الموت، لأن القادر على البداية هو القادر على الإعادة سبحانه ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسَىٰ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٣) فإن الخلق من العدم أصعب من الإعادة، لأن في الإعادة يكون النموذج موجوداً، بينما في البدء لم يكن النموذج موجوداً ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ و﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾^(٤) فعندما أخذ الفريق بأسباب الهداية فقد اهتدى، بينما الذين تركوا أسباب الهدى وانفتحوا على أسباب الضلالة ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

ويبقى في حديث آخر عن الشياطين، حتى نستطيع أن نعرف كيف ننقذ أنفسنا منهم.. والحمد لله رب العالمين.

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) الأعراف: ٢٩.

(٣) يونس: ٧٨-٧٩.

(٤) الأعراف: ٣٠.

الولاية لغير الله (٣) حزب الشيطان

○ حزب الشيطان هو كل
من يتصف بالصفة السلبية
التي ركَزها القرآن، فالإنسان
بحركته وبما يتصف به ○

☞ ملامح أولياء الشيطان.

☞ الإسراف والتبذير.

☞ حزب الله وحزب الشيطان.

☞ المودة والموالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا يزال الحديث حول الذين يحاولون أن يكونوا من أولياء الشيطان ويتخلّون عن الانتساب إلى أولياء الله. ما هي صفاتهم؟ وما هي خصوصياتهم؟ هذا ما يمكن أن نحدده من خلال القرآن الكريم.

ملامح أولياء الشيطان:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١). وفي الإسلام، لا بد للإنسان من أن يوظّف كل ما يملكه من طاقة فيما ينفع نفسه وينفع الآخرين، فليس له أن يصرف المال في غير موضعه بحيث يوظفه في ما لا ينفع، أو أن يذهب هدرًا أو أن يبذره، والتبذير هو التفريق في اللغة، وقد استعير لكل مضيّع لماله، بمعنى أن يجعله في المصارف التي لا تركز على قاعدة شرعية أو عقلانية، فالمال الذي تملكه هو نتيجة لما صرفته من طاقة وبذلت من جهد في سبيل الحصول عليه، أو نتيجة جهد الآخرين الذين ورثت المال منهم أو وهبوك هذا المال، فهو جهد إنساني لا بد أن يصرف في حاجات الإنسان، فكل مال يصرف في غير حاجة، فهو إما يكون إسرافًا وهو تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، أو تبذيرًا، وهذا ما لا يرضاه الله، لأنه سبحانه جعل الإنسان أمينًا على كل ما تحت يده، وجعله خليفة له على الأرض وما فيها، ومن الإخلاص للخلافة وللأمانة أن يجعل الإنسان لكل طاقة من هذه الطاقات موقعًا يمكن أن يحقق إنتاجًا للحياة وللناس.

الإسراف والتبذير:

أما الشيطان الذي بدأ العقدة ضد الإنسان، فإنه خطط ويخطط لإيقاع الإنسان في الخطأ والضرر وتوجيهه في الأمور غير النافعة، والتي تتحول إلى ضرر، بلحاظ ما يحتاجه الإنسان من هذا المال ويؤدي إلى النقيصة في حياته. ولذلك نهى الإسلام عن الإسراف والتبذير، وهو أن تصرف المال بشكل غير عقلاني بما يؤدي إلى السفه، كأن تشتري الشيء الذي له قيمة معينة بأكثر من قيمته استهانة بالمال من دون أي هدف أو مبرر لذلك أو تضييعه بشكل سفهي. ولذلك نهى الإسلام عن التبذير ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١) باعتبار أن التبذير يمثل نوعاً من الخطط الشيطانية التي توجه الإنسان في خط الانحراف المالي، بحيث يهدر المال ويضيّعه فلا يتوازن في مصارفه.

أما الإسراف، فإنه يمثل إهدار المال وعدم الانتفاع به أو تجاوز الحد المعقول في مصارفه أو التصرف به. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام ((إن القصد أمر يحبه الله وإن السرف أمر يبغضه الله، حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء، وحتى صبك فضل شرابك))^(٢) فهو كما يقول عليه السلام يعتبر مسرفاً في كل شيء تهمله ولا تتفقد به مما له منفعة ولو كانت ضئيلة، فعندما تشرب كأساً من الماء وأنت بحاجة إلى نصف الكأس، فلا تملأ الكأس حتى لا تسكب النصف الآخر على الأرض. وهكذا عندما تأكل تمرّاً أو زيتوناً أو شيئاً له نواة، فعليك أن تفكر أن لهذه النواة منفعة قد تكون على المستوى الفردي أو الجماعي، ففكر في الاستفادة الكاملة منها فإنها قد تصلح لشيء ما. وعندما نتطرق لبقية الأمثلة، مثل الموائد والولائم التي يدعى إليها، فقد تدعو شخصاً واحداً إلى الطعام فيكفيك أن تقدم له ما يأكله وما تأكله أنت، ولكن ربما نجد في بعض البلاد

(١) الإسراء: ٢٦-٢٧.

(٢) أصول الكافي، ج ٣، ص ٢٦، ج ٣، ب ١.

العربية أنك تدعو شخصاً واحداً بينما تحضّر له طعاماً لعشرة أشخاص، باعتبار أن هذا دليل على الكرم والمحبة ومكانة في القيمة الاجتماعية التقليدية، مع أن هذه القيم هي قيم متخلفة، لأن الطعام حاجة وليس كرامة، ولو أن الدعوة كرامة. ولذلك نجد أن بعض الناس قد يلقي بهذا الطعام في النفايات وما إلى ذلك، مما يبذره المبدّرون ويسرف فيه المسرفون.

إنّ مشكلتنا في الشرق هي أنّ الطعام عندنا قيمة وليس حاجة، وهكذا بالنسبة إلى الماء. فنحن نسرف في استعمال الماء ونهدره مع أننا نعيش في منطقة نعاني فيها من الشحّ فيه، وقد تصل إلى حدّ الخطر. فلو أراد أحدنا أن يغسل يديه فإنه يستطيع أن يغسل يديه بكأس من الماء، ولكنه يصرف أكثر من لترين، حتى في حالة الوضوء، خصوصاً إذا كان وسواسياً، فيمثّل بذلك عدوانية على أهل بيته، لأنه يصرف هذه البركة من الماء على وضوء واحد بينما يستطيع أن يتوضأ بكأس واحدة.

وهكذا في كثير من الحالات، فعندما ندرس طريقة الممارسة الاقتصادية في حياتنا، فقد نكتشف أن نصف ما نصرفه ليس حاجة لنا، وإنما ينطلق من خلال بعض القيم المتخلفة أو المزاج المعقّد وما إلى ذلك. والإسلام يعتبر أن طاقتك، سواء كانت داخلية أو خارجية، ليست ملكاً لك وحدك، بل هي شركة بينك وبين مجتمعك بحجم حاجة المجتمع إلى الطاقة، لأن كل واحد منا - أيها الأحبة - له شخصيتان، شخصية فردية، وهي التي بها يأكل ويشتهي ويتلذذ، وشخصية اجتماعية، لأنه جزء من المجتمع، والمجتمع ليس شيئاً مستقلاً أو معلقاً في الهواء، فالمجتمع أو الأمة هي هذه الجموع هنا وهناك. إذا أنت في طاقتك، سواء كانت علماً أو جهداً أو مالاً أو جاهاً، فهي مشتركة بينك وبين غيرك. فإذا أهدرت طاقتك فقد أهدرت ما يملكه غيرك، وإذا أسرفت من طاقتك ضيّعت ما يملكه غيرك وسرقت الآخرين.

أيها الأحبة، عندما يعيش الإنسان في المجتمع، فإنه يشعر أنه ليس حرّاً،

بل عليه أن يدرس علاقة تصرفاته بأوضاع الآخرين. ولعل أصدق تعبير هو ما يتداوله البعض في العالم 'تنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين'. كذلك فإن حريتك فيما تصرفه من طاقة تنتهي عندما تبدأ حاجة غيرك إلى طاقتك مما يشاركوك فيها «إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» وبذلك فإن أخوان الشيطان عندما يبذرون المال فإنهم يكفرون بنعمة الله، لأن شكر نعمة الله هو أن تتصرف بنعمته فيما يرضاه الله ويحبه لهم، والله يحب التوازن في ممارسة الإنسان لطاقاته.

حزب الله وحزب الشيطان

ثم تنتقل إلى تعبير آخر عن أولياء الشيطان وأولياء الله. فأولياء الشيطان يعبر عنهم القرآن بحزب الشيطان، وأولياء الله يعبر عنهم بحزب الله. وهذا التصنيف لا علاقة له بالصفة التنظيمية، فحزب الشيطان هو كل من يتصف بالصفة التي ركّزها القرآن فيما تحدّث به من سلبية، وكذلك حزب الله هو كل ما يتصف بالصفة التي ركّزها القرآن فيما تحدّث به من إيجابية. فالإنسان بحركته وبما يتصف به من الصفات.

ونقرأ في القرآن الكريم عن بعض نماذج حزب الشيطان، كقوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»^(١)، والحديث كان عن المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود في المدينة، فهم ليسوا من اليهود، لأنهم إذا كانوا يلتقون معهم بالموقف والمصلحة، فإنهم لم يكونوا يملكون فرصة الدخول في المجتمع اليهودي ليصبحوا جزءاً منه، لأنه مجتمع مغلق لا يسمح للآخرين من غير اليهود أن يدخلوا فيه، بفعل العنصرية اليهودية المحكومة بنزعة التفوق على غيرهم، وهم ليسوا من المسلمين، لأنهم لم يعلنوا الإيمان ويمارسوه في الموقف ليندمجوا في المجتمع المؤمن اندماجاً

فكرياً وعملياً ليكونوا جزءاً منه، ويحلفون على الكذب وهم يعلمون بأن ذلك لا يوافق الحقيقة، ولكن يلجأون إليه، كمحاولة لتغطية أوضاعهم السرية المشبوهة وإخفاء مواقفهم السيئة كوسيلة للحصول على ثقتهم بهم.

هؤلاء ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، لأن عملهم يتحرك في خط الكذب والموالة لمن غضب الله عليهم. ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ إذا ووجهوا ببعض ما يحملهم المسؤولية، فإنهم يحلفون بالله كذباً ليتخذوا منها درعاً يتحصنون به لدرء المسؤولية عنهم، ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فأربكوا المجتمع بنفاقهم وبكل ما خططوا له من وسائل مضرّة بالمجتمع ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۖ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فكثرة الأموال والأولاد قد يتم التأثير بها على المجتمع، ولكنها ستفقد تأثيرها يوم القيامة أمام قوة الله التي لا يثبت أمامها شيء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ فأرادوا بحلفهم هذا تبرئة أنفسهم مما مارسوه من جرائم، فهم يحلفون كذباً حتى أمام الله، بحيث صارت تلك الحالة طبيعة لهم، حتى أضحت جزءاً من شخصياتهم، يمارسونه بشكل عفوي من دون شعور، ولكن الله ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٢) ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ۖ اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^(٣) فسيطر الشيطان على عقولهم وعلى قلوبهم وعلى حياتهم وعلى كل تطلعاتهم، فأنساهم ذكر الله.

وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾^(٤) أي نسوا ذكر الله في قلوبهم ووعيدهم العام والخاص فنسوا أنفسهم، لأن الإنسان إذا أشرق

(١) المجادلة: ١٥-١٧.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) المجادلة: ١٨-١٩.

(٤) الحشر: ١٩.

الله في نفسه فقد أشرقت حياته في الاتجاه الصحيح، أولئك حزب الشيطان، لأنهم التزموا منهجه واتبعوا خطواته وصاروا من جماعته وعاشوا في أجوائه وإغراءاته وتهاويله وابتعدوا عن الله وكذبوا رسله ورفضوا طريقته. «أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون» لأنهم لم يتعلقوا بشيء من الله، ما يؤدي إلى خسارة أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، فيفقدون النعيم في الجنة، ويعيشون في عذاب النار وبئس المصير. «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْعِنَادِ وَالْاِسْتِكْبَارِ وَالتَّمَرُّدِ عَلَيْهِ وَعَلَى رِسْلِهِ وَرِسَالَاتِهِ (أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)»^(١)، لأن العزة لله جميعاً، فهو الذي يملكها في ذاته المقدسة، وهو الذي يمنحها لغيره فيما يهيئه من أسبابها، وفيما يعطيه من مواقع القوة فيها. فالذين ينحرفون عن خط الله ويسيروا في الاتجاه المضاد سيصبح موقفهم أمام الله يوم القيامة في موقع الذل «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ»^(٢) فيساقون إلى نار جهنم. «كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»^(٣). تلك الآيات كانت عن حزب الشيطان.

أما حزب الله، فيقول الله سبحانه وتعالى: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٤) فإن تؤمن بالله وتؤمن برسوله هو أن يكون إيمانك حاكماً لعقلك، بحيث يفتح عقلك على الإيمان كقاعدة تجمع بينك وبين الناس الآخرين، لأنه لا معنى لأن تخلص لله وتخلص لمن يقف ضد الله ويحاربه ويبتعد عنه، لأنه لا يجتمع الإخلاص للإيمان وللکفر في آن واحد، وفي قلب واحد. وما يجمع الناس هو الفكرة الواحدة. فإذا اختلفت الفكرتان وتباينت وتضادتا فلا يمكن أن يجتمعا في موقع واحد، لأن الضدين لا يجتمعان، ولأن المتباينين لا يلتقيان. فلا يلتقي في قلبك الإخلاص لله والإخلاص للشيطان «لَا

(١) المجادلة: ١٩-٢٠.

(٢) الشورى: ٤٥.

(٣) المجادلة: ٢١.

(٤) المجادلة: ٢٢.

تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَي من انحرف عن الله وجعده، لأن المودة هي الحالة الداخلية التي تمثل انجذابك بكلك إلى الآخر، فإذا كان الآخر مختلفاً معك في عمق الإيمان فكيف يمكن أن تنجذب إليه؟

وهكذا في السياسة، حيث لا يمكن أن تحب وطنك وتحب الخائنين للوطن في آن واحد، لأن الوطن معناه أنك تبغض من يريد إسقاط وطنك وإفقاره. فهذا لا يجتمعان، ولذلك ورد في أحاديث الأئمة (ع) ((إذا أردت أن تعرف نفسك فانظر في قلبك، فإذا كان قلبك يوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ففبك خير والله يحبك، وإن كان قلبك يوالي أعداء الله ويعادي أولياء الله فليس فبك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب)) فالعمق الشعوري، سواء كان الشعور في منطقة الفكر أو العاطفة، لا يلتقي مع ما يضاد المضمون هنا وهناك. (وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) لأن المسألة هنا هي المبدأ، فالقربة قد تحمل حالة عاطفية ساذجة، والقربة كالصدقة تقارب مما ترتكز عليه الذات وتبنى، لأن المبدأ هو الأساس، ولذلك حدثنا الله في قصة النبي نوح (ع) (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ^(١) فالذين لا يوادون من حاد الله ورسوله (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ)^(٢) يعني حل الإيمان في قلوبهم كما حل الكتابة على أية صفحة من الصفحات (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ) إن الله أفاض عليهم من روحه فيما يوحى إليهم من الإشراق والصفاء والنقاء وفيما يمنحهم إياه من الطمأنينة والاستقرار والثبات والعزيمة القوية الصامدة (وَيَدْخُلُهُمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) لأن الله أعطاهم ما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).

(١) هود: ٤٥-٤٦.

(٢) المجادلة: ٢٢.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ويتحرك في خط الولاية الصحيح فليتزعم به ويترك الخط المزيف، فسيجد كل الخير والهدى والعدل والصلاح والقوة والغلبة من خلال صلابة الموقع والموقف ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(١)، فهم يملكون القوة في الله بمواجهة أعداء الله. إذ اعتبر القرآن الكريم أولياء الشيطان حزباً، باعتبار أن الحزب هو ما يجمع الناس، فإذا جمعهم الشيطان فكأنهم حزبه، والذين يتولون الله جعلهم الله حزبه، بمعنى أنهم يجتمعون عليه وعلى ولايته.

الموادة والموالة:

أيها الأحبة، من خلال ما تقدم، علينا أن ندقق فيما نعيشه من مشاعر على مستوى العلاقات، ولا نقول إن علينا مقاطعة الآخرين، فهناك فرق بين الموادة والموالة التي تسيطر على الكيان كله وبين التعامل، فلا مانع من التعامل مع الذين نختلف معهم في الفكر، كما في التعامل مع الكافرين اقتصادياً أو اجتماعياً وحتى سياسياً عندما نلتقي معهم على قاعدة سياسية واحدة، أو أن نلتقي بهم لضرورة معينة، فيكون بيننا اللقاء في مرحلة من المراحل، فالمقاطعة شيء والموالة شيء آخر، لأن الموالة والموادة تعني أن يكون كل كيانك في هذا الاتجاه. أما عالم التعامل فهو يتحرك سطحياً، ولذلك يتحدث الله سبحانه وتعالى في آية أخرى عن الناس الذين يختلفون معنا في العقيدة ويحدّد لنا كيفية التعامل معهم، فيفرّق بين المسالم والمحارب. ففي عالم التعامل، ليست القضية خاضعة لاعتبار أنك مسلم وهو كافر ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾^(٢)، يعني أن تحسنوا إليهم عندما تكونون معهم في بلد واحد ومجتمع واحد أو في محور واحد، طالما أنهم عاشوا السلام معكم، فلم

يقاتلوكم على أساس دينكم ولم يطردوكم من دياركم كما طرد اليهود الفلسطينيين من ديارهم. (وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) يعني أن تعدلوا معهم، وأن تعطوهم ما لهم من حقوق عليكم، ولا تظلموهم في حقوقهم حتى لو كانوا غير مسلمين (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) ❖ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ^(١) يعني أن تتحالفوا معهم أو تعترفوا بهم (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) لأن الإسلام لا يمنعنا من التعامل مع الآخرين، بل يريدنا أن نقف وإياهم على كلمة سواء (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)، أي من اليهود والنصارى، (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)^(٢) أو (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُ وَالْهُكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)^(٣).

وما يلاحظ هنا، أن القرآن الكريم فرق بين المشركين ومعهم اليهود وبين النصارى، بلحاظ التفرقة في سلوكهم، مع أنهم يختلفون مع المسلمين في الجانب العقائدي والفكري (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسْيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)^(٤). ومن ميزة الإسلام أنه لا يعتبر الاختلاف مع فريق من الناس في الدين مانعاً من أن تركز العلاقة معه على الجوانب الطيبة فيه حتى لو كان عدوك، فإذا كان عنده صفات طيبة، فعليك أن تتحدث عن صفاته الطيبة، لأن الصفات الطيبة ليست ملكاً للأشخاص، بل هي ملك الإنسانية، لقوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومَ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)^(٥)، يعني

(١) الممتحنة: ٩.

(٢) آل عمران: ٦٤.

(٣) العنكبوت: ٤٦.

(٤) المائدة: ٨٢.

(٥) المائدة: ٨.

عندما يكون هناك عداوة بينكم وبين جماعة يملكون بعض العناصر الإيجابية في سلوكياتهم أو صفاتهم أو يملكون حقوقاً فأعط عدوك حقه، فإن العداوة لا تبرر أن تظلم عدوك، فقد تحارب من يعتدي عليك، ولكن في مسألة الحق عليك أن تعطيه حقه. هذا هو الإسلام. إذا لابد لنا أن نحدد هل نحن مع حزب الله أم مع حزب الشيطان؟ وهل نحن مع أولياء الله أم مع أولياء الشيطان؟ إن الله يريد للإنسانية أن تتحرك في خطه وفي صراطه المستقيم «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(١)، ويبقى للحديث بقية في الأسبوع القادم إن شاء الله.. والحمد لله رب العالمين.

الولاية لغير الله (٤) التخويف الشيطاني

○ دور الشيطان دور
تخريبي، فهو يحاول أن يخرب
لإنسان من الداخل ويحركه
للخراب العملي من الخارج ○

○ تخويف الشيطان.

○ مناشئ الخوف.

○ دروس الحاضر.

○ قطار التبعية.

○ النماذج المقاومة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا يزال الحديث حول أولياء الشيطان في مقابل أولياء الله، ولعل قيمة هذا الحديث تكمن في أنه يوجه الإنسان من أجل أن يتابع العناوين القرآنية في حركة الواقع، لأن الشيطان ليس مجرد عنصر غيبي خفي، بل هو عنصر واقعي يتحرك بين نموذج خفي من الجن ونموذج بارز من الإنس، ولذلك فإن فهم الشيطان في أساليبه التي يتبعها مقارنة بحديث الله سبحانه عنهم الذي يوجهنا إلى حركتهم، يجعلنا أكثر وعياً لحركة الناس من حولنا وحركة النوازع النفسية في داخل كيانتنا.

تخويف الشيطان

لقد وردت كلمة أولياء الشيطان في بعض الآيات التي نزلت على النبي ﷺ في معركة (أحد) بعد الهزيمة التي حلت بالمسلمين التي أعقبت انتصارهم، لأن معركة (أحد) بدأت بالانتصار، إذ أخذ المسلمون بأسباب النصر ثم انتهت بالهزيمة، لأنهم ابتعدوا عن أسباب النصر وأخذوا بأسباب الهزيمة، وعندما هُزم المسلمون ورجعوا إلى المدينة، عسكر النبي ﷺ بفلول الجيش المتبقي معه من المقاتلين احتياطاً للمشركين، لأن النبي ﷺ كان يفكر في أن الأعداء ربما يندفعون إلى المدينة ليسيظروا عليها بعد أن أخذتهم نشوة النصر ككل منتصر يحاول أن يكمل نصره إلى النهاية، وقد ترامى إلى أسماع المسلمين كلام لأبي سفيان بأنه سوف يكمل طريقه إلى المدينة ليهزم المسلمين في عقر دارهم. ولذا فقد كان الجو المحيط بتلك المرحلة يتحرك في مناخ إعلامي يحاول أن يلحق الهزيمة النفسية بالمسلمين من خلال نقاط ضعف المسلمين العسكري بالمقارنة مع نقاط القوة الموجودة عند المشركين. وقد طلب الرسول ﷺ من المسلمين، وكان منهم

الجريح في المعركة، أن يعسكروا لإكمال عملية المواجهة التي ربما يتحرك بها المشركون إلى داخل المدينة.

وبدأت الحرب النفسية عبر مقولات ترددت بأن جيش المشركين سيهجم هجمة رجل واحد على المسلمين، لإلقاء الرعب في صفوفهم، وهنا عالج القرآن الكريم هذا الواقع، وذلك بإعطاء المسلمين الخطوط العامة لمواجهة هذه الحرب النفسية، وكان ذلك في الآيات الواردة في سورة (آل عمران)، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ والقرح هو الجراح التي أصيبوا بها في المعركة أثناء الهزيمة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. ثم يتحدث القرآن عن أسلوب الحرب النفسية التي كانت تتحدى المسلمين ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾^(١) فربما كان المشركون يمثلون الكثرة في العدد أمام المسلمين والقوة في العدة، وربما انضم إليهم حلفاؤهم الطبيعيون من أعداء الإسلام والمسلمين كاليهود والمنافقين، وهذا ما دعا المخذّلين من الانهزاميين أن يخافوا منهم، لأن الإنسان يخاف بشكل طبيعي عندما يفقد التوازن بين القوي والضعيف، غير أن المسلمين كانوا يتمتعون بحالة نفسية عظيمة من خلال إيمانهم المنفتح على الواقع، بحيث كانوا يعيشون السكينة والطمأنينة بشكل فوق العادة، وكما يصوّر ذلك القرآن ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ أي استشعروا الخوف منهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ فلم يعيشوا الخوف والرعب أمام هذه الجموع الهائلة، لأن الكثرة لا تمثل دائماً نقطة القوة. ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) وقد سبق للمسلمين في معركة (بدر) أن كانوا قليلي العدد والعدة، وربما لم يكن الكثير منهم متديراً على حمل السلاح، ولكن بالرغم من ذلك انتصروا على المشركين.

لذلك بدأوا يقارنون بين نقاط الضعف الموجودة في داخل تلك الكثرة

(١) آل عمران: ١٧٢-١٧٣.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

ونقاط القوة الموجودة لديهم من خلال ما منحه لهم الله من لطفه ورحمته، ومن خلال ما يهيئ لهم من الظروف التي تعطيهم إحساساً بالقوة، ولعلهم كانوا يتذكرون كما ورد في الآية «إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»^(١) أي أنهم يشعرون بأن رجاءهم من الله هو رجاء يتحرك في الساحة، وليس مجرد حالات دعاءٍ وابتهاالٍ فحسب «وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فإن الله هو الوكيل والراعي والمشفع والحافظ، فما هي النتيجة؟ «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ»، حيث تراجع المشركون، وانكفأ جيشهم، لأن الله ألقى في قلوبهم الرعب، لأن انتصارهم لم يكن منطلقاً من قوتهم، بل من خللٍ في تصرفات المسلمين، بحيث فتحوا للمشركين الثغرة التي أراد الرسول ﷺ أن تُسدَّ، لذلك بدأ المشركون يحسبون حسابهم على أساس أنهم إن انتصروا في هذه المرحلة من الحرب خارج المدينة، باعتبار أن المسلمين ربّما استفادوا من درس الهزيمة من خلال الخلل الذي حصل في معركة أحد لينطلقوا جميعاً للدفاع عن المدينة والرسول ﷺ وعن الإسلام، ولذا كانت النتيجة أن المسلمين أكملوا الطريق في ما يرضي الله سبحانه وتعالى في عالم الحرب والسلم «وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ» في اختيار الموقف المرتكز على إرادة القوة من خلال الإيمان بالله في الفكر والموقف والحركة «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ».

مناشئ الخوف

ثم يعطي القرآن هذا الخط «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٢) إن الله يقول إن عملية الخوف هي عملية لا بد أن تخضع لدراسة من ترتبط به أو من تخاف منه، فالذين يتبعون الشيطان يتحركون على أساس وساوسه وعلى أساس ما يثيره أمامهم من الأمانى

(١) النساء: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ١٧٣-١٧٥.

والخيالات. وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن الشيطان **(يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)**^(١) لأن الشيطان لا يخلص لأحد حتى لأوليائه، لأنه ليس في داخله أية طبيعة للخير وأي مشروع لمصلحة الإنسان، وهو منذ أن أخرجه الله من الجنة حقد على النبي آدم ﷺ وعلى بنيهِ، ولذا كان قوله عندما أمهله الله إلى يوم يبعثون **(لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ ثُمَّ لَا تَبْرَأُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)**^(٢) لذلك فإن دور الشيطان هو دور تخريبي للإنسان، فهو يحاول أن يخرب الإنسان من الداخل وتحريكه للخراب العملي من الخارج. فإن الشيطان يخوف أوليائه، لأنه يثير فيهم الخوف عندما يجعل مسألة تحركهم خاضعة للأمور المادية ويبعدهم عن موقع القوة الأساسي من الإيمان والثقة بالله التي تجعلهم يفكرون بطريقة مدروسة موضوعية لتصنع القوة في الساحة العملية.

(إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَائِهِ) فهو بأساليبه يخوف الذين يخضعون له ويتبعونه والذين يلتزمون خطوطه ويتحركون مع منهجه. **(فَلَا تَخَافُوهُمْ)** لأنهم يتحركون من خلال مفردات معينة يمكنكم أن تسيطروا عليها، ولأنهم يتحركون من خلال نفس فارغة من العنصر الأساسي للقوة وهو الإيمان به. **(وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)**^(٣). وعندما تخاف الله فإنك بذلك ترتبط بالله وتتحرك في خطه المستقيم، وبذلك يكون الإنسان قوياً في مواجهة كل الذين يريدون إسقاط موقفه. **(إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَائِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)** فإن الله يتحدث عن أولياء الشيطان الذين يخضعون لوسائله في التخويف، فيسقطون من خلال ولايتهم له عندما يأخذون بكل وسائل وساوسه وهواجسه وحبائله وأمانيه وغروره وخداعه. أما أولياء الله، فإنهم يفكرون بالطريقة التي تجمع بين

(١) النساء: ١٢٠.

(٢) الأعراف: ١٦-١٧.

(٣) آل عمران: ١٧٥.

الخطوط الرسالية في بعدها الإيمان والواقعية الخاضعة للسنن التاريخية في حركة الإنسان أمام التحديات في المعركة ليكون تخطيطه مناسباً للحاجات الدفاعية.

دروس الحاضر

كيف نستوحي - أيها الأحبة - هذه الآيات في واقعنا؟ فإننا في هذه المرحلة وما سبقها من المراحل نجد أن هناك حرباً نفسية على مستوى الإعلام، سواء كان مقروءاً أو مسموعاً أو مرئياً. فالحرب الإعلامية قائمة ومستمرة، لأنها تحاول أن تسقط عقلك حتى لا تفكر وتوحي بأنه ليس هناك أفق يمكن أن يفكر به الإنسان للوصول إلى النتائج الإيجابية الكبرى، فتقتحم تلك الوسائل الإعلامية قلبك وشعورك لتحسّ بأنك محاصر من خلال هذا الواقع المحيط بك، كما أنها تقتحم عليك حياتك عندما تشعر بك بضعفك أمام القوى التي تحيط بك من جميع الجهات. ونلاحظ أنّ هذه الحروب الإعلامية تستخدم كل الوسائل التي يمكن أن تصدر القوة والموقف، فنلاحظ أنهم يتحدثون عن مواقع قوتهم، وعن الأسلحة المدمرة الموجودة لديهم، وعن الجيوش الضخمة التي يملكونها، ويتحدثون عن الاقتصاد القوي أمام اقتصادنا الضعيف، ويتحدثون أيضاً عن ثقافة كبرى في مقابل ثقافة متواضعة عندنا، بحيث نشعر بالصغار والهوان أمامهم. وقد تأثر بعض مثقفينا بما يسمى عصر النهضة بحيث انطلقت دعوات عديدة من بعض البلدان الإسلامية ومنها مصر، بأننا لابد من أن نصوغ كل حياتنا صياغة أوروبية، بحيث نترك كل تاريخنا وتراثنا بحجة أن تاريخنا هو سبب تخلفنا، وعلينا أن نعيش متمصين للشخصية الأوروبية - ولم تكن أمريكا قد برزت في ذلك الوقت - ونهمل الشخصية العربية والإسلامية.

وهكذا أربكوا الروح العربية والإسلامية بربط كل بلد بالحضارات السابقة، فربطوا مصر بالحضارة الفرعونية، وكذلك نشأت فكرة ربط سوريا ولبنان بالحضارة الفينيقية، وربط العراق بالحضارة الآشورية والبابلية، وفي تركيا

بالتطورانية، وفي إيران حاول الشاه ربطها بالحضارة الساسانية، واعتبر أن مسألة الإسلام في إيران هي مسألة طارئة وأنها تشكّل مشكلة للحضارة الفارسية، وقد حاول في سبيل تحقيق ذلك تغيير التاريخ الإسلامي إلى التاريخ الامبراطوري الساساني. لقد حاولوا اقتلاع الجذور الإسلامية من نفوس المسلمين، ولم يكتفوا بذلك، بل تحركوا في اتجاه آخر، حيث بدأوا يدرسون العصبية والنعرات الطائفية في المسلمين سنية أو شيعية، والمشاكل بين المسلمين والمسيحيين، وحتى داخل الشيعة أو داخل السنة، فريق هنا وهناك، حتى يتم إشغالنا بعصبياتنا التي تجعل الإنسان لا يعترف بالرأي الآخر. وبذلك استطاعوا أن يتركوا تأثيراتهم على المجتمع كله، بحيث فقدنا الإحساس بالقوة والوحدة، وفقدنا الإحساس باللّه خلال عبادتنا من صوم وحج وغيره بالمعنى الذي نستشعر فيه قوة اللّه، وبذلك فقدنا قوة الإيمان، ولم نقل حسبنا اللّه ونعم الوكيل.

قطار التبعية:

تلك هي الحرب الإعلامية التي تتحرك معها الحرب السياسية والأمنية والاقتصادية، الأمر الذي جعل الكثير من الناس والأنظمة يسيرون في قطار التبعية، وأنهم لا بد أن يرتبطوا بالغرب ويخضعوا لهم وينتصروا بهم، بعضهم على بعض، لأنهم هم الذين يمكنهم أن يحلوا مشاكلنا، لأننا حسب تصوّرهم عاجزون عن حل مشاكلنا بأنفسنا بسبب الخضوع لشياطين السياسة والاقتصاد والإعلام والأمن. إن اللّه سبحانه وتعالى لا يريد لنا أن نواجه قوة المستكبرين بالتمنيات والدعوات، ولكنه سبحانه وتعالى يريد لنا أن نجمع كل عناصر القوة في داخل نفوسنا. فعندما تؤمن باللّه وتعتمد عليه، فإنك بذلك تستطيع أن تخطط وتفكر وتعدّ لنفسك كلّ عناصر القوة الموجودة عندك لتواجه بها الآخرين. أما عندما تخاف فإنك تسقط أمامها وتهزم قبل الدخول في المعركة. لهذا فإن قيمة الإيمان هي أن نحاول الحصول على القوة النفسية، لنفكر في موقع القوة، ولنعرف كيف نخطط وكيف نتحرك هنا وهناك، فلا نستغرق في الإعلام لنسقط

أمامه، ولكن علينا أن نفكر في خلفيات الإعلام والطريقة التي يفكرون بها، بحيث تحسبهم جميعاً، ولكنهم في الواقع يعيشون الصراع فيما بينهم.

لذلك لابد لنا أن نستحضر المعادلة التي ما زلت أكررها منذ سنين، وهي أن في الضعيف عنصر قوة وأن للقوي عنصر ضعف. فعلياً أن نحارب القوي في نقاط ضعفه بنقاط قوتنا بدلاً من أن نحارب القوي بنقاط ضعفنا.

النماذج المقاومة:

ونتابع النماذج الإسلامية التي أخذت بأسباب القوة في صراعها مع الصهاينة والمستكبرين، وهذا ما يتمثل في المقاومين والمجاهدين في لبنان وفلسطين بحيث نجحوا في إدخالهم في المأزق السياسي والأمني الضاغط على ظروفهم العامة، وهكذا في بعض مواقع المستضعفين من غير المسلمين من الذين آمنوا بقضيتهم بطريقة وأخرى. إن هناك حرباً استكبارية ضد المسلمين والعرب تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب، والكثيرون يرتجفون من هذه الحروب لأنهم يعتبرون أن أمريكا تمثل القوة الكبرى في العالم، ولكننا نعرف أن الشعوب إذا خططت وفكرت بعقل وموضوعية بدون إنفعال فإنها تستطيع أن تحاصر جبروت الاستكبار، ولكن المشكلة هي أننا لا نستخدم قوتنا، بل نحاول أن نحرك نقاط ضعفنا هنا وهناك. **﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١)**، **﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢)**.

فالقضية ليست كما يقول بعض الناس إن تلك الآية قد نزلت في زمن فرعون وأنها خاصة بقوم موسى ﷺ، بل إنها تتحرك دائماً في مدى كل زمان ومكان حتى تصل إلى نهاية العالم. **﴿نُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٣)**. فالمهم أن يخرج المستضعفون من استضعافهم، وعند

(١) الحج: ٤٠.

(٢) القصص: ٥.

(٣) القصص: ٦.

ذلك لن يستطيع المستكبرون أن يفرضوا أنفسهم على المستضعفين.. والحمد لله
رب العالمين.

ولاية الله وولاية الشيطان الحرب والقتال في ظلّ الولايتين

○ القتال في سبيل الله

يمثل كلّ الأهداف التي ترتفع

بمستوى الإنسانية ليكون الناس

أحراراً ○

➤ أهداف الحرب والقتال.

➤ القتال لأجل الإنسانية.

➤ القتال لفرض العقيدة.

➤ مواجهة خطط المستكبرين.

➤ المطلوب فهم الواقع.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

متابعة لما تقدم من الحديث، نشير إلى أن من بين الآيات التي عالجت ملامح أولياء الشيطان في مقابل أولياء الله، تلك الآيات التي تتحدث عن الغاية التي يحارب من خلالها المسلمون ولأجلها في مقابل الغاية التي يحارب لأجلها أولياء الشيطان، وهي التي تحدد هدف الحرب في الإسلام، ولاسيما أن المستكبرين يثيرون اليوم كما أثاروا بالأمس أيضاً ضجة إعلامية على الإسلام، سواء كانوا من الكافرين أو من غير الكافرين . من أهل الكتاب . فهم يعتبرونه عدوانياً، ويصورونه من خلال سيرة الرسول ﷺ بأن معتقيه حملوا السلاح من أجل أن يقاتلوا كل من خالف الإسلام أو كل من لم يؤمن به، وأنه فرض نفسه على الناس بالقوة، ويرون أنه انتشر بالسيف لا بالدعوة الإنسانية أو الإقناع.

أهداف الحرب والقتال:

لذلك نلتقي في آيتين من القرآن الكريم بما يبين الخط الإسلامي في بعض الجوانب العامة التي تحدّد الهدف الإسلامي للقتال. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۖ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١). وهاتان الآيتان تكملان بعضهما بعضاً. فالآية الأولى

تتحدث عن نموذج من الناس، وهم المستضعفون الذين يعيشون في بلد ما صغيراً كان أم كبيراً، حيث يضطهد هؤلاء لأنهم لا يملكون عناصر القوة في مجتمعهم، فلا يملكون مالاً يجعلهم في الموقع الاقتصادي المتقدم، ولا عشيرة أو أكثرية في المجتمع حيث يكونون قوة اجتماعية، ولا موقعاً سياسياً مسيطراً من خلال الظروف التي تمنح جهة ما قوة سياسية ليؤثروا في المجتمع، ولا سلاحاً يجعل منهم قوة عسكرية. فهم المستضعفون الذين يعيشون تحت تأثير الظلم، سواء كان ثقافياً بحيث يُمنعوا من حرية الفكر، سواء أكان دينياً أو سياسياً أو متنوعاً مما يأخذ به الناس من خطوط فكرية، وهكذا يعيشون الظلم السياسي، فلا يملكون الحريات السياسية التي يستطيعون من خلالها تقرير مصيرهم أو اتخاذ مواقف يحددون من خلالها انتماءاتهم السياسية، سواء كانت تتصل بمحاور داخلية أو خارجية.

وهناك ظلم اجتماعي، باعتبار أن هؤلاء المستضعفين قد يمثلون وضعاً اجتماعياً معيناً من خلال الخطوط الاجتماعية التي يجتمع أو يتنوع فيها الناس، كما لو كانوا لا يمثلون قبيلة أو عشيرة قوية أمام الذين يمثلون قوة في العشيرة. وهكذا قد يكونون في مواقع تعصب فيها القائمون، سواء على أسس مذهبية أو طائفية أو غيرها، ويعيشون الظلم الاقتصادي الذي يمنعهم من تنمية مواردهم المالية وطاقاتهم وخبراتهم التي يمكنهم أن يوظفوها للحصول على العيش الكريم. هؤلاء الذين يعيشون الظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني، فيشعرون بالاختناق في البلد الذين يقيمون فيه، فيلتفتون يميناً ويساراً ليجثوا عمّن يمنحهم القوة خارج واقعهم المؤلم، فلا يجدون هناك أية جهة تمنحهم القوة أو تحل مشاكلهم، ولذلك يشعرون بالاضطهاد وبسقوط معنى الحرية في واقعهم، فيلتجئون إلى الله ويقولون «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا»، وهذه الحالة توحى بأنهم عندما يعيشون في السجن الكبير الذي يفرضه عليهم الطغاة لا يملكون وسيلة للخروج والتحرر من خلال ما يعيشون فيه.

ويريد الله سبحانه وتعالى في آية أخرى للمستضعفين الذين يعيشون هذا الضعف في المحيط الذي لا يملكون معه التحرر الذي يكسبهم تنمية عناصر القوة وهم في بلدهم، الخروج من هذا الحصار المكاني لئلا يبقوا تحت تأثير الاستضعاف الذي يفرض عليهم ديناً غير دينهم وموقفاً غير موقفهم إذا كانوا يستطيعون الخروج، إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني في خضوعهم لسيطرة المستكبرين الذين يفرضون عليهم الانحراف في عقيدتهم ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ إذا أخذوا بأسباب الانحراف للمستكبرين في وقت كانوا فيه قادرين على الخروج ولم يخرجوا. فعندما تكون قادراً على التحرر من الضغط الذي يفرض عليك الانحراف، فإن ضعفك ليس مبرراً عند الله ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ هؤلاء الذين لا يملكون أية فرصة للخروج من الواقع المنطبق عليهم ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْزُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

ثم يقدم الله سبحانه وتعالى أهداف الهجرة التي ينطلق فيها الإنسان ليتحرر من الخضوع للواقع الفاسد المفروض ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١) فهذه الآية توحى بأن هؤلاء هم من المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، لأنهم لا يملكون فرصة ذاتية للتحرر من ذلك الواقع ((اجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً)) ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٢) ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا

(١) النساء: ٩٧-١٠٠.

(٢) الطلاق: ٢-٣.

مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا».

ثم يؤكد القرآن الكريم الخط العام في مسألة القتال ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾.

القتال لأجل الإنسانية

القتال في الإسلام ينطلق في خطين من الخطوط العامة، فالقتال في سبيل الله يمثل كل الأهداف التي ترتفع بمستوى الإنسانية، حيث يريد سبحانه للناس أن يكونوا أحراراً، ولذلك فإن القتال ضد الذين يستعبدون الناس هو قتال في سبيل الله. وكما نقرأ في كلام الإمام علي عليه السلام: ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً))^(١)، فحرّيتك تعني أن تكون سيّد نفسك، لأن الله لم يسلط إنساناً على إنسان إلا في نطاق القانون الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً. فالقاعدة العامة هي أن الناس مسلّطون على أنفسهم وأموالهم، وعليهم أن لا يخضعوا للواقع الذي يحاول القائمون عليه استعباد الناس من خلاله، إن من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، لأنه واقع مرفوض وغير مبرر، ولذلك يجوز الإفلات بل يجب التخلص منه. فالقتال في سبيل تحرير الناس من ذلك الاستعباد يُعتبر قتالاً في سبيل الله، وكذلك عندما يواجه الناس الجهة التي تريد أن تذلهم وتوقفهم في مواطن الذلّ وتصادر عزتهم وكرامتهم، فيكون القتال من عزة المؤمنين وعن عزة المستضعفين هو قتال في سبيل الله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

ونحن نقرأ في سيرة الإمام الحسين عليه السلام أنه حينما رفض عروض الأمويين كلّها، فإنه أعطى شرعية الموقف الذي يؤكد العزة في مقابل الذين أرادوا أن يذلّوه، فقال عليه السلام: ((إلا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السِّلّة والذِّلّة

(١) شرح نهج البلاغة. ج ٤، ص ٢٩٨.

(٢) المنافقون: ٨.

وهيهات منا الذلة، يا بى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون))^(١)، منطلقاً من القرآن الكريم ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وكذلك عندما تأتي قوة ما، سواء كانت قوة محلية أو إقليمية أو دولية، وهي تريد أن تذلل المؤمنين المستضعفين، فتكون مواجهتهم مواجهة في سبيل الله. فلو فرضنا أن الجهة تريد مصادرة ثروات المؤمنين والإستيلاء على أسواقهم واقتصادهم بالقوة التي تملكها، فالقتال ضد هؤلاء لحفظ ثروات البلد يعتبر قتالاً في سبيل الله. وكذلك الذين يريدون أن يضغطوا على الحريات الفكرية والدينية الإسلامية أيضاً تعتبر مجابهتهم قتالاً في سبيل الله الذي يشمل القضايا الإنسانية كلها التي يحب الله للإنسان أن يعيشها، باعتبار أنها تمثل الفطرة التي أودعها الله في الإنسان ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢). أوَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَاشُوا كُلُّ الضَّعْفِ، بحيث لا يملكون أية فرصة للقوة مما يتمثل في هذا الدعاء الذي يبتهلون فيه إلى الله للخروج من حالة الضعف، فإن ذلك القتال مشروع في الإسلام، ولكن مسوغات هذا القتال ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(٣) للدفاع عن النفس، لأن الذي يريد فرض القتال على المسلمين فإنه يجوز قتاله تحت هذا المبدأ ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤).

القتال لفرض العقيدة

ولذلك فإن القتال في الإسلام لا يستهدف إكراه الناس للدخول في

(١) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٦٥، ج ٢٥، ص ٨٠.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) البقرة: ١٩٤.

الإسلام، وقد قال الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)، «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^(٢)، «أَقَانَتْ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى
يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ»^(٣)، «وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»^(٤).
أما القتال في زمن النبي ﷺ، فهل كان دفاعياً أو وقائياً؟ وإذا كان هناك ما يوحي
من الآيات على أن القتال حصل لمجرد فرض العقيدة، فإنه جاء في سياق تاريخي
خاص، كما في قوله تعالى: «سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ
يُسْلِمُونَ»^(٥) باعتبار أن أولئك القوم أعدوا العدة لقتال المسلمين، فيبقى القتال
ضد المعتدين مشروعاً حتى يسلموا، لأن الإسلام هو الوسيلة التي تسقط كل
عدوانهم، وكان النبي ﷺ يقبل مَنْ يُسَلِّم ظاهرياً من دون أن يعتقد الإسلام حقيقة،
لأن خطة الإسلام هي عزل المشركين عن المجتمع وتحييدهم عن ذلك الموقع،
فكان كثيراً من الناس قد أسلموا رغبة، وبعضهم أسلم رهبة. ويقول الله سبحانه
وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ
مَأْمَنَهُ﴾^(٦) ويقول سبحانه وتعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا
أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٧) يعني التزموا في بداية الأمر بقانون
الإسلام وإن لم يكن عن عقيدة راسخة ويقين وإخلاص، لأن الدخول في الإسلام
ولو بهذا الشكل يمثل تحييداً للذين يحاولون العدوان على المجتمع الإسلامي، بل
وإدخالهم في المجتمع الإسلامي، ليكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما على
المسلمين.

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) يونس: ٩٩.

(٤) الكهف: ٢٩.

(٥) الفتح: ١٦.

(٦) التوبة: ٦.

(٧) الحجرات: ١٤.

فهناك المنافقون الذين حدثنا الله عنهم ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) فقد قبلهم الرسول ﷺ ودخلوا إلى الواقع ومنحهم حق العيش في المجتمع الإسلامي، ولكن من دون أن يعترفوا بالقاعدة الفكرية لهذا المجتمع. فالإسلام أراد أن يعطي الجنسية الإسلامية لأولئك العدوانيين حتى يسلموا. فالقتال في الإسلام إذاً هو قتال حضاري ومن أجل الدفاع عن الشعوب المستضعفة والدفاع عن القضايا الإسلامية التي ترفع من شأن الإنسان في مقابل الذين يريدون إسقاطه.

مواجهة خطط المستكبرين:

وعلى ضوء هذا، نعرف أن المواجهة الإسلامية لكل المستكبرين في العالم لا تتطلق من خلال عقدة ضد شعب ما، وإنما تتطلق ضد السياسة الاستكبارية التي تريد فرض إرادتها على الشعوب المستضعفة في العالم. لنبدأ في عملية تنظير وحوار حول هذه السياسة في طرح فكرة النظام العالمي الجديد، حيث دار جدل واسع حول خطوطه وأسس وأفاقه وانشغل المثقفون عندنا بذلك، ثم جاءوا بالعمولة، وهي مشروع ابتدعته أمريكا والدول الغنية السبع الكبار في العالم، لجعل اقتصاد الشعوب المستضعفة جزءاً من الاقتصاد العالمي، ولتحتيم كل الحواجز أمام الشركات الكبرى، في الوقت الذي لا نملك فيه القوة لمواجهة هذا الهجوم الاقتصادي للشركات الكبرى التي تريد أن تفرض اقتصادها على العالم كله.

ونحن لا نزال مشغولين بالعمولة، وهي كلمة حق يراد بها باطل، لأن أساس العمولة بالمفهوم الغربي هو أن تسيطر شركات السلاح والبتترول والشركات الاقتصادية والانتاجية على الاقتصاد العالمي. ونحن نعرف أن الكثير من الحروب التي نعيشها الآن، سواء في أفريقيا أو آسيا من خلال الخطط السياسية، لا

سيما الأمريكية، كانت من بناء أفكار هؤلاء الرجال الذين تتشكل منهم الإدارة الأمريكية الآن، وهم من عملاء شركات البترول أو السلاح الأمريكية أو ملائكتها أو إداريها. وقد قرأت قبل أيام لكاتب أمريكي يقول إن غزو أفغانستان لم يكن لإنقاذ الشعب الأفغاني، بل لأن أفغانستان تمثل بوابة رئيسية لنفط بحر قزوين الذي يمثل ثروة نفطية هائلة، فأرادت أمريكا الإمساك بها من خلال آذربيجان أو السيطرة على غيرها وما إلى ذلك. ولكن الإعلام الأمريكي يقوم بحملة تضليلية للشعب الأمريكي وللعالم، حول كل الأحداث التي تجري في العالم، ولا سيما لقارة أفريقيا التي يقطنها حوالي ٥٠٠ مليون شخص، حيث تخطط أمريكا لطرد أوروبا منها لتتطلق الحروب من داخل أفريقيا لتحصد الحروب الملايين منهم في عملية لتآكل هذه الشعوب، فتسيطر عليها بكاملها للاستيلاء على ثرواتها الطبيعية. ولذلك لم نسمع في الشرق الأوسط حديثاً عن مظاهرات ضد العولمة، وإنما كان ذلك في أوروبا وكندا التي يعيش فيها أيضاً المستضعفون، وهم يدركون أن العولمة خطة لأجل زيادة إفقار المستضعفين، ولذلك نشهد مثل هذه التظاهرات التي تجوب أوروبا بل وفي أمريكا، لأن هذه الشعوب تدرك أن هذه الحروب إنما يخطط لها من قبل المستكبرين للسيطرة على ثروات العالم والمواقع الاستراتيجية، والتي هي أشبه بحالة الصراع التي كانت أيام الحرب الباردة قبل سقوط الاتحاد السوفياتي، فكان السباق على المواقع الاستراتيجية بينهم، ويقوم الآن الصراع على البترول الذي تريد أمريكا السيطرة عليه بالكامل، وما الهجمة الأمريكية على العراق إلا من هذا القبيل، حيث تحاول أمريكا من خلال ذلك الإمساك بعنق أوروبا واليابان والسيطرة على أسعار النفط بالطريقة التي تترك فيها التأثير الاقتصادي على أسعار نفط روسيا، فتعيش روسيا أزمة اقتصادية.

المطلوب فهم الواقع:

لذلك علينا أن نفهم عمق القضايا ولا نعيش الشعارات المجردة، وكما يقول

الشاعر العربي:

المستجير بعمر عند كريتته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

فهذا واقعنا منذ عهد الاستعمار حتى الآن. ماذا جنينا من قوى الاستكبار؟ وإذا لم نتحول إلى شعوب منتجة ولم نخطط للاكتفاء الذاتي، فسوف نقع تحت سيطرة المستكبرين الذين يعملون من أجل تجويع الشعوب وإسقاطها وإفقارها ونهب ثرواتها، بينما الإسلام في الحرب كان يريد إنقاذ الشعوب، وهذا كان هدف الفتوحات الإسلامية في العهد الأول، حتى تلك الفتوحات الإسلامية التي كانت تتطلق من خلال نظم غير شرعية مثل الأمويين. فإننا لم نسمع أن هناك حرباً خاضها الأمويون أو العباسيون تستهدف نهب ثروات الشعوب، لأن الحرب كانت حرباً يخوضها المسلمون، مع أننا لا نتفاوض عن التجاوزات التي لا تشكل إطاراً عاماً، فعندما دخل الإسلام إلى الأندلس فقد أعطاه الحضارة والعلم والمعرفة، حتى أن الكاتب الأوربي (غوستاف لوبون) قال: ((ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب المسلمين)). فالإسلام لم يقاتل لاستعباد الشعوب أو مصادرة ثرواتها، وكان إنسانياً في كل حروبه، ومن الطبيعي أن تحصل بعض الأخطاء، لأن المحاربين ليسوا معصومين، ومع ذلك لو قارنا بين الفتوحات الإسلامية وبين الحروب التي انطلقت من الغرب، فإننا نرى الفرق هائلاً كما يشهد الكاتب (غوستاف) نفسه، وذلك لأن الحرب في الإسلام لم تشرع إلا لأهداف إنسانية. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) وهو نداء لكل المسلمين.

وتحدد الآية الثانية خط المؤمنين في قتالهم وما هو خط أولياء الشيطان في قتالهم وبمن يرتبط هؤلاء وأولئك؟ وكيف يقاتل الذين يعتمدون على الطاغوت؟ هذا ما سنتحدث عنه في المحاضرة القادمة إن شاء الله .. والحمد لله رب العالمين.

أولياء الله وأولياء الشيطان أهدافهم وغاياتهم

○ لنعرف مع من نقف؟

وفي سبيل من نقاتل؟ وكيف

نضاهم حركية القتال لدى

المؤمنين ولدى الكافرين ○

○ مرجعية الطاغوت.

○ التحاكم إلى الطاغوت.

○ البراءة من الطاغوت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

متابعة لما تقدم في إطار الحديث عن أولياء الله وعن أولياء الشيطان، نقف أمام هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١). إن الله سبحانه وتعالى يتحدث في هذه الآية عن أهداف القتال لدى المؤمنين ولدى الكافرين، لنعرف مع من نقف، وفي سبيل من نقاتل؟ وكيف نفهم حركية القتال وخطه في هذا الجانب أو ذاك الجانب؟! والذين آمنوا هم الذين يخلصون في توحيد الله، فلا يخلصون لغيره إلا من خلال الإخلاص لله، فإن هؤلاء عندما يفكرون ففكرهم في خط وحي الله، وعندما يتحركون فحركتهم في الخط الذي يرضاه الله، وهدفهم هو الهدف الذي يحبه الله.

وقد ألمحنا في حديث سابق إلى أن سبيل الله الذي يقاتل المؤمنون تحت عنوانه يمثل كل ما يرفع مستوى الإنسان مما يحبه الله ويرضاه. فالقتال في سبيل المستضعفين المضطهدين من قبل المستكبرين الذين يمنعوهم من أن يمارسوا حريتهم الفكرية أو السياسية أو العسكرية، فيضغطون عليهم من أجل إسقاط قضاياهم وأوضاعهم، هو قتال في سبيل الله، وقتال من أجل إقامة الحق وإزهاق الباطل، وذلك من أجل أن يأخذ الحق حريته في ممارسة فكره وشريعته وقوته، والقتال من أجل الدفاع عن النفس هو قتال في سبيل الله ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾^(٢) لذلك فإن المؤمن عندما يقاتل فإنه لا يقاتل من

(١) النساء: ٧٦.

(٢) البقرة: ١٩٠.

أجل اضطهاد الإنسانية أو مصادرة ثرواتها وإذلال شعوبها، بل يقاتل في سبيل الله وللمصلحة الإنسانية العليا، وعندما نفهم أن الله هو الرحمن الرحيم الحكيم، فإن القتال في سبيله هو من أجل الحضارة الإنسانية المنفتحة على الخير والعدل، أما الكافرون، وهم الذين لا يركزون على قاعدة روحية أو إنسانية، بل يستغرقون في ذاتياتهم وفي الجوانب المادية لما يستهدفونه في أوضاعهم الخاصة والعامة، فهم يعيشون حالة الضياع في الحياة بسبب فقدانهم الإيمان بالله، وهو سر الوجود وأساس الكون، ولذلك فقد استغرقوا في شهواتهم ولذاتهم وأطماعهم، وتشبثوا بالأرض ولم يرفعوا ببصرهم إلى السماء، فعندما انطلقوا في الحياة بعيدين عن الله، التقوا بالطاغوت فتحاكموا وقاتلوا في سبيله.

مرجعية الطاغوت:

وقد حدثنا القرآن الكريم عن الطاغوت، وأنه لا يمكن للإنسان أن يكون مع الله ومع الطاغوت في آن واحد، وكلمة الطاغوت مأخوذة من الطغيان، وهو تجاوز الحد الذي يفرضه المبدأ والعدل والحق والخير. والطاغوت هو الذي يمثل ذلك كله ويتنوع حسب تنوع الموقف الذي يطغى فيه. فهناك طاغوت تجاوز الخط الديني المتمثل في وحي الله فكراً وشريعةً ومنهجاً وأخذ بفكر ومنهج آخر وشريعة أخرى، ففكره منحرف عما أوحى به الله ومنحرف عن شريعته ومنهجه سبحانه. وهناك طاغوت اجتماعي، وهو الذي يمثل القيم الاجتماعية التي ترتبط بالقيم الجاهلية، والتي تقع تحت سيطرة مواقع النفوذ ومراكز القوة لتفرضها على الناس، كما نلاحظ ذلك في المجتمعات التي تخضع لتقاليد وأعراف ترتبط بالجاهلية، وفي المجتمعات العشائرية، حيث يأخذ هؤلاء بقانون العشائر بدلاً من قانون الإسلام، وهو ما يمثل الطاغوت الاجتماعي. أما الطاغوت السياسي، فهو المنهج الذي يأخذ بالظلم السياسي والسلوك الشرير الذي يصادر حياة الناس وواقعهم، وقد يتمثل في شخص أو دولة أو محور دولي وعالمي. وهناك طاغوت عسكري، وهو القوة العسكرية التي تبغي في الأرض بغير الحق، وتستغل ما لديها

من وسائل القوة لاضطهاد الناس ومصادرة أموالهم وأمنهم وما إلى ذلك. لذا فالطاغوت لا ينحصر بخطأ أو شخص معين، بل إن لكلٍ منهما طاغوته ولكل مجتمع طواغيته. وقد حضت الديانات على رفض الطاغوت جملةً وتفصيلاً، لأن على الإنسان أن يستمسك بموقع القوة التي لا تتقضم ولا تهتز، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^(١) فالإيمان بالله وحده هو الذي يفرض على الإنسان الكفر بالطاغوت، لأنه يفرض الالتزام العقيدي والعملية بالله وحده بما يؤكد رفض كل ما عداه في أي جانب من الجوانب، وهو يمثل القاعدة الصلبة التي إذا ما استند إليها فإنه سيقف في موقع الثبات والصلابة.

ونقرأ أيضاً الآية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، فنجد أن الله سبحانه وتعالى يفرق بين المؤمنين في أخذهم بأسباب الإيمان وبين الكافرين في أخذهم بأسباب الكفر، وذلك أن الإيمان يوحى إلى الإنسان بأن الله وليه، وعندما يعيش الإنسان تحت ولاية الله، الذي هو نور السموات والأرض، وهو الخير كله والعدل كله والنور كله، فإن الله يخرجهم من ظلمات الجهل والتخلف ومن كل ظلمات الشر والظلم وما إلى ذلك لينفتح على النور كله.

فالقرآن يقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾^(٣)، فالشريعة التي أنزلها الله للنبي محمد ﷺ هي شريعة الحياة التي لا تحمل الموت، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٤).

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) المائدة: ١٥.

(٤) الأنفال: ٢٤.

وهكذا في كل المنهج الذي وضعه الله سبحانه وتعالى للإنسان في الحياة الفردية والاجتماعية، فإن هذا المنهج يمثل النور الذي يضيء في الإنسان معاني الإنسانية ليعيشها في إنسانية الآخر، حيث يشرق العقل على العقل، والقلب على القلب، والشعور على الشعور، ليكون الإنسان كله نوراً في نفسه وفي مواقع الإنسانية. أما الذين أولياؤهم الطاغوت فإن الطاغوت يمثل الظلام الذي لا يفتح على النور للإنسان وللحياة كلها، والطاغوت يمثل الشر، والشر هو الظلمات، ويمثل الاستكبار وكل العناصر السلبية في واقع الإنسان. ولذلك فإن الطاغوت يخرج الإنسان من العدل إلى الظلم، ومن الخير إلى الشر، ومن الحق إلى الباطل، لأن ذلك هو معنى الطغيان في التجاوز عن الحد، ليبقى الإنسان متحركاً في الظلمات ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١) ولذلك قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾. وهكذا نرى الذين يسيرون مع الطاغوت الذي لا يلتقي بالله من قريب ولا بعيد، كيف أنهم ينشرون الظلام الفكري والروحي والاجتماعي والسياسي على كل الناس، وإن خيل للناس من خلال عمى الألوان أن هذا الظلام هو النور.

ونقرأ أيضاً في خطاب الله للرسول ﷺ وهو يتحدث عن اليهود، الذين كانوا يحدثون الكافرين عن النبي القادم ﷺ من خلال قراءتهم لكتبهم، ولكنهم عندما جاء النبي ﷺ كفروا به، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٢) وهو التوراة ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ فعندما سألهم المشركون قائلين لليهود: أنتم أصحاب الكتاب الأول، هل نحن أهدي أم محمد ﷺ، وهل أن خطنا هو الأكثر هداية أم خط هؤلاء المسلمين؟ ولا إشكال في أن أي إنسان يؤمن بالله فإنه لا يعتبر أن هناك هدًى لدى المشركين الذين يعبدون الأصنام، ومع

(١) النور: ٤٠.

(٢) النساء: ٥١.

ذلك كان اليهود بسبب حقدهم الذي يختزنونه ضد المسلمين يقولون إن المشركين أهدي من الذين آمنوا سبيلاً، مع أن المسلمين يعبدون الله وحده ويؤمنون بالتوراة والإنجيل، وقد جاء القرآن مصداقاً لما بين يديه وهو يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء «أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ»^(١) ويوجه المسلمين إلى أن لا يجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن، ومع ذلك كان اليهود نتيجة حقدهم وعصبيتهم يقولون وهم يشيرون إلى المشركين «هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنُ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا»^(٢) لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يملك القوة كلها ويملك العزة كلها.

ونحن نلاحظ - أيها الأحبة - وجود هذه الظاهرة عندنا، حينما يقارن البعض بين المسلمين وبين غير المسلمين، فيفضلون غير المسلمين على المسلمين، والله أجاب بقوله «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ❖ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^(٣) لأن المسلمين وإن كانوا مخطئين في بعض أقوالهم أو أعمالهم، ولكن تبقى قضية الإيمان فوق كل قضية، ولا يمكن أن نقدم الذين لا يؤمنون على المؤمنين في أي حالة من الحالات.

التحاكم إلى الطاغوت:

ثم يتحدث الله سبحانه وتعالى عن مسألة التحاكم إلى الطاغوت، فعندما يدعى الإنسان إلى حكم الله، فإنه أحياناً يرفض حكمه، ولكن عندما يدعى البعض إلى حكم الطاغوت الذي يرتكز على غير شريعة الله فإنه يبادر إليه «أَتُمِ تَرِ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»^(٤) لأنه سبحانه وتعالى قال:

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) النساء: ٥١-٥٢.

(٣) القلم: ٣٥-٣٦.

(٤) النساء: ٦٠.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^(١)، ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٢).

ويشير القرآن الكريم إلى أولئك المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت، وهم أولياء الشيطان، لأنهم لو كانوا أولياء الله لتحاكموا إلى الله ورسوله الذي يملك الحق في حكمه وشريعته، وهذا ما عبر عنه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣)، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٤)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾^(٥) يعني أنهم يرفضون أن يتحاكموا إلى شريعة الله وما أنزله الله على الرسول ﷺ، مع أنهم يقولون بأنهم آمنوا، ومن المعلوم أن للإيمان نتائج وامتداداته ولوازمه المنفتحة على خط الله ورسوله في التشريع والقضاء في جانب الالتزام، في كل الأمور، باعتبار أن ذلك - حسب إيمانه - هو الحق الذي لا باطل فيه، والخير الذي لا شر فيه، فيما يكون العكس هو المتمثل في الجانب الآخر وهو الطاغوت.

ثم يؤكد القرآن الكريم على أن مسألة اجتناب الطاغوت أياً كانت طبيعته، هي رسالة كل الأنبياء ولا تختص برسالة الإسلام وحده، بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٦) فللإيمان عنصران: إيجابي وسلبي، إيجابي ويتمثل في الإيمان بالله، وسلبي ويتمثل في اجتناب الطاغوت والبراءة، منه لأنهما خطآن متباينان لا يلتقيان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) النساء: ٦٠.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) النساء: ٦١.

(٦) النحل: ٣٦.

وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ». ثم يتحدث بعد ذلك عن البشارة للذين يجتنبون الطاغوت (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ)^(١).

البراءة من الطاغوت

ومن خلال كل هذه الآيات، نفهم أن القرآن أراد للمؤمنين أن يرفضوا حكم الطاغوت جملة وتفصيلاً، أن يرفضوا منهجه والانتماء إليه أو القتال في سبيله. إن علينا أن نعرف من يقود أية معركة من المعارك، فإذا كان الطاغوت هو قائد المعركة لتكون السلطة والانتصار له، فعلينا أن نجتنب ذلك كله، حتى أنه في كثير من الحالات قد ندخل في مسألة التوازن بين طاغوت وطاغوت آخر، بحيث نخير بين أن نقاتل مع هذا الطاغوت أو مع ذاك الطاغوت، فالقتال مع الطاغوت مرفوض كلياً، وهذا ما أكدّه الإمام علي عليه السلام الذي يرفض أن يكون الإنسان محايداً بين الحق والباطل: ((كن في الفتنة كابن اللبون)) والفتنة هي التي يتصارع فيها طاغوتان باطلان، واللبون هو ولد الناقة الذكر الذي لم يبلغ سنتين ((لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب))^(٢).

ولذلك، فإن على الأمة الإسلامية أن تحل مشاكلها بنفسها وتسقط طواغيتها بنفسها، وإن التقت مع هدف الطاغوت الآخر، فيلزمها أن لا تكون تحت قيادته ولا تخضع لأوامره. هذا ما أردنا الحديث عنه في هذه الندوة .. والحمد لله رب العالمين.

(١) الزمر: ١٧-١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة. ج ٥. ص ١١٣. ب ٢.

ولاية الله وولاية الشيطان (١) معطيات الولايتين

○ علينا مواجهة الطاغوت
لأنه بدأ بقاتلنا، وعلينا أن نكون
بمستوى الموقف فلا نكون
حياديين ولا نعيش حالة
الضعف ○

➤ المواجهة الشاملة.

➤ السلام والعنفوان معاً.

➤ المواجهة العاقلة.

➤ أثقال المسؤولية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في الندوة السابقة تحدثنا حول الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

المواجهة الشاملة:

وقد بقي من هذه الآية هاتان الفقرتان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، فهذا التوجيه لمقاتلة الشيطان يُراد منه أن يحمل المؤمنون في العالم رسالة المواجهة ضد أولياء الشيطان، لأن أولياءه يمثلون الفريق الذي يُفسد في الأرض ويثير الفتن ويخنق الحريات ويصادر إنسانية الإنسان. هؤلاء الذين يتحركون في خط الشيطان من خلال كل حبائله وغروره وكيد وحيله وأحزابه وأبنائه. وهذا لا يعني أن الإسلام يريد من المؤمنين أن يحملوا السيف لقتاله، بل علينا مواجهة سيف الطاغوت، والذين يتحركون في ضوء خططه، من أجل أن ينفذوا إلى كلِّ موقع في العالم. إن علينا مواجهتهم لأنهم بدأوا بقتالنا، وعلينا أن نكون بمستوى الموقف، فلا نكون حياديين، ولا نعيش حالة الضعف. والقتال في المفهوم الإسلامي يلتقي بمضمونه الحركي الحضاري بمفهوم الجهاد. ومفهوم الجهاد في الإسلام يعني استفار كلِّ الجهود والطاقات في مواجهة الذين يتحركون ضد رسالة الإسلام وضد ثقافتنا واقتصادنا وسياستنا.

فقد يكون جهادنا ثقافياً عندما يتحرك أولياء الشيطان من أجل القيام

بحرب ثقافية ضد شريعة الإسلام وثقافته وفي الواقع الذي يتحرك فيه، وقد يقومون بحرب سياسية من أجل أن يتحوّل العالم الإسلامي إلى هامش سياسي من هامش السياسة الاستكبارية الشيطانية في العالم، وربما ينطلق هؤلاء في حرب اقتصادية من أجل مصادرة ثروات العالم الإسلامي ومنعه من تأسيس الاقتصاد على أساس الاكتفاء الذاتي، ومنعه من أن يستثمر ثرواته لينطلق من أجل أن يكون قوة منتجة بدلاً من أن يكون قوة مستهلكة، لأن الخطة الاقتصادية التي رسمها أولياء الشيطان المستكبر، تفرض أن تشكل بلادنا أسواقاً أستهلالية لمنتجاتهم في كل المجالات، من دون أن ننطلق في عملية الإنتاج والتصنيع. لذلك فإن قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ يعني أن نواجههم من حيث يقاثلوننا، في السياسة والثقافة والاقتصاد والأمن، وعلينا تعلّم فنون القتال وإتقان خططه، لأنه لا يكفي أن تمتلك إرادة القتال وحسب، بل أن يكون لنا علم القتال، لأن الكثير من القتال الحماسي والاندفاعي الذي ينطلق من المشاعر ولا ينطلق من العقول قد يؤدي إلى الهزيمة بدلاً من أن يؤدي إلى النصر، وفي تاريخنا القريب، عندما ندرس الحروب العربية والإسلامية، فإننا نجد أن القيادات التي قادت هذه الحروب عملت على أن تخطط للهزيمة لأنها لا تعرف كيف تخطط للنصر. ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ هو خطاب لجميع المؤمنين في العالم على أساس الانطلاق في قوة الإسلام الاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية، ليكون أولياء الله قوة في مواجهة أولياء الشيطان، وأن لا يكون المؤمن حيادياً في عملية الصراع، بل أن يكون له انتماء للموقف الذي يحقق العنفوان والعزة للمسلمين جميعاً. إنه الخطاب الذي يستنفر أولياء الله من المسلمين الذين يعملون على تعبئة كل طاقاتهم في مقابل التعبئة العامة لأولياء الشيطان، بحيث يتحوّل العالم إلى فريقين يختلفان في وعي مسألة الهدف الكبير الذي يستهدفه كل واحد منها في حركته في الحياة.

السلام والحنفوان معا:

ولذلك يجب أن نكون حذرين تجاه ما نسمعه من دعوات ينطلق بها الغرب من أن الإسلام هو دين الرفق والسلم والتسامح وليس دين الحرب، وذلك بهدف أن نسترخي أمام كل التحديات. صحيح أن الإسلام هو دين الحضارة الإنسانية التي تتحرك إنسانياً في حالتها الحرب والسلم، ولكن هذا الكلام كلام حق يُراد به باطل، لأن المسألة هي أن الإسلام كما يريد لك أن تكون إنسانياً في احتضان الآخر، يريد لك أن تكون عزيزاً في مواجهة الذين يريدون إذلالك، وأن تكون قوياً في مواجهة الذين يريدون إضعافك، وأن تكون في موقع العزة عندما يراد لك أن تكون في موقع الاحتقار.

إن للجهاد موقعه وللرفق موقعه، لذلك نقول إننا نسالم من يسالمنا، ولكننا أيضاً نحارب من يحاربنا، والله سبحانه وتعالى قال لنا: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿١﴾. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهرُوا على إخراجكم أن تولَّوهم وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١)، ولذلك نحن نقاتل اليهود الآن في فلسطين لأنهم أخرجونا من ديارنا، ونقف ضد السياسة الأمريكية، لأنها عاوت إسرائيل على إخراجنا من ديارنا، وهكذا في ما يخص كل السياسات الغربية وغيرها. لذلك ينبغي أن لا نخدع بالكلمات التي يطلقها بعض المسؤولين الغربيين للتصويه على المسلمين وليتصدقوا علينا بهذه الكلمات بأنهم مع الإسلام، فلا بد لنا أن ندرس ما وراء الكلمات، فلا نسقط أمامها، وقد قرأت بالأمس تصريحاً لسياسي أمريكي كان يملك موقعاً مميزاً يقول إن عليكم أن تدرسوا ما نفعل ولا تدرسوا ما نقول، فالقضية هي أن الكلام في الإذاعات وفي الصحف أو ما نسمعه من خطابات هو

للاستهلاك، والمُراد منه أن نسقط أمام الكلمات، وعلينا أن نعرف أن الحقيقة غالباً ما تكون وراء الكلمات، وكما يقول الشاعر النجفي أحمد الصافي، وقد قلب الحكمة المعروفة (انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال):

كثُر الخداع اليوم في أقوالنا
فانظر إلى من قال لا ما قيلاً
فعلينا دراسة شخصية وخلفية القائل وموقعه وأهدافه، لكي نتخذ على هذا الأساس موقفنا المناسب، فالآية الكريمة ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ تشير إلى أنه علينا القتال ضد العدوان الفعلي أو على المستوى القتال الوقائي ضد من يستعد للاعتداء علينا.

المواجهة العاقلة:

أما الفقرة الثانية من الآية: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ فتعني خطة الشيطان وطريقته في التخطيط وفي تحريك مواقفه وترتيب أوضاعه ومواقفه. فعلى دراسة خطط الآخرين بدون الاعتبار لقوة السلاح، فالآية تتحدث عن المكر والمكيدة ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، وقد يكون ذلك الشيطان دولة كبرى (مثل أمريكا) أو محوراً دولياً (كالهلف الأطلسي) الذي اجتمع هذه الأيام للتخطيط لحربه التي يبحث فيها عن عدو جديد له وهو الإسلام، وقد تتفوق هذه الدول الحليفة علينا بمقدراتها العسكرية والاقتصادية والسياسية، ولكن بالتخطيط تتحرك هذه المقدرات، والتخطيط عملية فكرية وميدانية، فكم يحرك الواقع الميداني، ولذلك لا يعني أن من يملك القوة العسكرية أنه يملك الفكر كله أو العمق كله. فالشيطان يركز على قاعدة السيطرة على مقدرات الناس، والاستعلاء والاستكبار على الناس. وهذه القاعدة لا تنطلق من عمق الإنسانية، ولذلك فهي تطفو على السطح.

أما أولياء الله، فإنهم ينطلقون من عمق مصلحة الإنسانية، لأنه سبحانه وتعالى أراد أن يكون الإنسان خليفة له في الأرض ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً^(١) لإعمار الأرض ونشر العدل فيها وجعلها ساحة للسلام وأخذاً بأسباب العلم وحركة في تطويره والاستزادة منه «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»^(٢) فننطلق لنجعل من الأرض جنة مصغرة، ونحاول في خطئ المسؤولية في الأرض أن يتهيا الناس لمجتمع الآخرة (الجنة) «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»^(٣). لذلك فإن أولياء الله ينطلقون في تحركهم من عمق الإنسانية، بينما ينطلق أولياء الشيطان من سطح العناصر السلبية، لذلك فإن كيدهم ضعيف لأنهم يتحركون في ممارستهم القتل والسجن والتعذيب والإرهاب، لذلك فعندما تستعمل كل قوتك الإنسانية مع ما أعطاك الله سبحانه وتعالى من عناصر القوة في رحمته ولطفه ووحيه، فإنك بذلك تتغلب على الشيطان «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا».

ونستوحي من هذه الآية أنه يجب علينا أن لا نجمد عقولنا، ولا نعيش في الماضي لنكون ونحن في الحاضر تحت تأثير الماضي الذي تحمل الذين عاشوا فيه مسؤولياتهم. «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٤)، فعلينا أن نعيش الواقع الحاضر ونزرع المستقبل للدنيا والآخرة، كما قيل في الحديث الشريف: ((الدنيا مزرعة الآخرة))^(٥)، فعندما نزرع في الدنيا العدل والخير والعلم والحضارة وكل ما يحبه الله، فبذلك نصنع الآخرة. فهناك من يحمل جنته على ظهره، وهناك من يحمل جهنم على ظهره من خلال ما يصنع. فلا بد لنا أن نتعلم أن نفكر، وأن يفكر كل واحد منا بحسب طاقته وإمكاناته، وهكذا تتكامل الطاقات بين عناصر الأمة، فتبدع الأمة عندها وتخطط لمستقبلها الفكري، ولكن عندما نطلب من الآخرين أن يفكروا ويخططوا لنا ونمنع

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) الحجر: ٤٧.

(٤) البقرة: ١٣٤.

(٥) بحار الأنوار. ج ٢٩. ص ٢٣٩. ج ٢. ب ١٩.

بعضنا بعضاً من أن نفكر بحرية، خاصة الذين لا يطبقون الإبداع الفكري، والتهم عند هؤلاء جاهزة لتكفير الذين يبدعون، لأنهم لا يستطيعون مناقشتهم. فمن حَقَّ أن تفكر بطريقة معينة، ومن حق الآخرين أن يفكروا بطريقة أخرى، ويكون حل الاختلاف بين تلك الأفكار هو أن يناقش بعضهم البعض بحكمة وانفتاح دون أن يسب أحدهم الآخر. فقد كنّا أساتذة العالم عندما انطلقت الحضارة الإسلامية لتؤسس لبقية الحضارات الحديثة، فلماذا أصبح العالم، خاصة العالم العربي منه، يقف في الدرجة العليا؟ لأنه تمرد على تخلفه وأسقط كل عناصر التخلف وبدأ بمعالجة المشاكل والتعقيدات بالحوار والجدال الفكري، حتى استطاعوا الوصول إلى ما هم عليه.

أما نحن فقد توقفنا عن التفكير وصادرنا عقولنا، وصادرها الذين يريدون إسقاط عقولنا، لأنهم يخافون من العقول عندما تفكر وتفتح الحقيقة، سواء كان ذلك في مواقع دينية أو سياسية أو اجتماعية. فإن الذي يصادر الفكر ويرجمه هو الذي لا يملك أن يناقش الفكر. فالذي يملك العلم يملك أن يحرك قضايا العلم، لذلك ليست عقولهم من ذهب وعقولنا من فضة أو تراب، فنحن نملك عقولاً لو حركناها وانفتحنا بها على العالم، لاستطعنا تحقيق ما نبتغي، وكلنا نعرف. وهذا ما تحدثنا عنه أكثر من مرة. أن كثيراً من الذين اخترعوا واكتشفوا في الغرب وصنعوا ما صنعوه كانوا من العالم الإسلامي، لكن لم تحتضنهم بلدانهم التي لم تحترم العلم، وإنما تحترم الجهال الذين يفتحون على مواقع لا يملكون كفاءتها. ولو أننا قدّمنا كل هؤلاء العلماء الذين أخذوا بأسباب العلم، لاستطاعت بلادنا أن تأخذ بأسباب التقدم والرقي والازدهار. وهناك نقطة مهمة لا نريد للأخوة إغفالها، وهي أن الدول المستكبرة قد أخذت بأسباب التقدم الحضاري في العلم والمعرفة والتنويع لوسائل الحياة، ما سهل للإنسان أوضاعه في الواقع الذي يتحرك فيه العلماء ولكن المسألة هنا أن الذين قادوا حركة التقدم هم والمكتشفون والمبدعون، منطلقين في إنتاجهم من حبهم للإنسان

وللحياة وللمعرفة الإنسانية، ولكن القادة السياسيين يحاولون توظيف ذلك للسيطرة على الإنسان المستضعف من خلال استغلال حاجته إلى ذلك، لمصادرة إنسانيته بطريقة وأخرى. إن المسألة هي أن الملحوظ في هذا التقدم (مع تحفظاتنا حول بعض مفرداته) هو الهدف لا المضمون فحسب.

أنقال المسؤولية:

وهناك نقطة أود أن أختتم بها هذا الجانب بخصوص الصراع الذي تخوضه أمريكا ضد العالم العربي والإسلامي، إن أمريكا لا تريد عالماً عربياً وإسلامياً قوياً، وتريد أن تكون هي في الدرجة الأولى والأقوى في العالم، ثم الدول الأخرى المسماة بالدول السبع الكبار، أما في المنطقة الإسلامية، فإن أمريكا تعمل على أن تكون إسرائيل هي الأقوى. فهي تعمل على أن تسقط كل بلد يريد أن يصبح قوياً، لأنها لا تريد موقعاً عربياً أو إسلامياً يمكن أن يحصل على قوة موازية لقوة إسرائيل، بل يعملون لتكون إسرائيل هي الأقوى في المنطقة. لذلك فلا تغرتكم دموع التماسيح التي يذرفها بعض المسؤولين الأمريكيين وغيرهم بأنهم يريدون إنقاذ هذا الشعب أو ذاك الشعب من حاكمه، وهم الذين صنعوا هؤلاء الحكام الذين صادروا حرية شعوبهم.

إن الله خلق لنا عينين في وجوهنا لنبصر بهما، ولكنه أراد أيضاً أن نحافظ على قوة العين في عقولنا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١)، وهكذا ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(٢) لأن من ينسى هو الذي لا يملك البصيرة في عقله ليتذكر الحقيقة والمصير.

أيها الأحبة، إننا نحمل أثقال المسؤولية تجاه الأمة، فنحن لسنا أفراداً بل

(١) الحج: ٤٦.

(٢) طه: ١٢٥-١٢٦.

أمة، وللأمة في كل واحد منّا جزء، فعليّنا أن نحترم هذا الجزء من الأمة في شخصياتنا، فأنت فرد في حاجاتك الشخصية، ولكنك جزء من مجتمع وجزء من أمة، فلا تخن معنى الأمة فيهما على حساب معنى الفردية فيها. ولذلك نقول إنّ الأنانيين خونة، لأنهم يخونون أمتهم عندما يستخدمون طاقة الأمة لديهم لحساباتهم الشخصية ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾. ولنا حديث آخر.. والحمد لله ربّ العالمين.

ولاية الله وولاية الشيطان (٢) مقارنة عملية

○ جعل سبحانه وتعالى

الحدَّ الفاصل بين أتباع خطوات

الشيطان وبين التمرد عليه

الالتزام بما جعله الله في

شريعته حلالاً طيباً. وهذا

يتطلب منا أن نعرف الحلال

فيما شرَّعه الله لناخذ به في

كل المجالات ونترك ما حرَّمه

الله ○

➤ المنهاج الشامل.

➤ أساليب الشيطان.

➤ ارتكاز التقليد على الحجة.

➤ التقليد الأعمى.

➤ الحرية الجنسية مثلاً.

➤ اصنع فكرك بنفسك.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في الندوة السابقة تحدثنا عن أولياء الشيطان، وقد أفاض القرآن الكريم
في الحديث حول خطوات الشيطان، فأطلق بعض آياته وفصل بعضها، لأن أولياء
الشيطان يستمدون خطوطهم الفكرية والعملية من خلال إichاءات الشيطان في
ظل طرقه وآثاره، ولكي نعرف جيداً ملامح أولياء الشيطان في سلوكهم العملي
وفي منطقاتهم الفكرية، فإنه لابد لنا أن نتابع بعض الآيات القرآنية التي تحدثت
عن الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا
وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١)، ففي هذه الآية إشارة إلى ما
حرّم الله مما يأكله الناس وما أحلّه لهم، وقد جعل سبحانه وتعالى الحدّ الفاصل
بين أتباع خطوات الشيطان وبين التمرد عليه الالتزام بما جعله الله في شريعته
حلالاً طيباً. وهذا يتطلب منا أن نعرف الحلال فيما شرّعه الله لناخذ به في كل
المجالات ونترك ما حرّمه الله، أن نعرف الحلال والحرام في المأكولات، وكذلك
الملحق بها من المشروبات.

المنهاج الشامل:

وقد أعطى الله عنواناً لما أحلّه وما حرّمه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٢)، فالطيب ما يشتمل على
العناصر التي تجعل الأكل طيباً للمذاق فيما يمنحه الإنسان من العناصر التي

(١) البقرة: ١٦٨.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

تشتمل على منفعة الإنسان في نموه بالطريقة الواقعية العملية، (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) وهي كل ما يمثل الخبث في العناصر الواقعية المشتملة عليها، سواء في المذاق أو في العناصر السلبية، ولذلك لا بد من أن نعرف ما أحلّه الله من الحيوان وما حرّمه، وما أحلّه الله من الشراب وما حرّمه.

فلا بد أن نميز في الواقع الخارجي بين الحيوانات المذكّاة (الذبائح التي ذُبِحَتْ على أساس الشروط الشرعية) وتلك التي ذُبِحَتْ بطريقة غير شرعية. وقد حدّثنا الله سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله: «لَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ»^(١)، فالذبيحة الحلال لا بد أن تشتمل على عناصر معينة عملية، وهي فَرِي (قطع) الأوداج الأربعة، ولا بد من ذكر اسم الله عليها، وربما اشترط استقبال القبلة بالذبيحة في بعض المذاهب الإسلامية، وذلك في الفقه الإمامي الجعفري. وربما كان المشركون يجادلون المؤمنين بأنه ما هو الفرق بين الذبيحة التي يذكر عليها اسم الله وتلك التي لا يذكر عليها اسم الله؟ ولماذا تحلّلون هذه وتحرمون تلك؟ مع أن النتيجة واحدة في الواقع، لأن ذكر اسم الله أو عدم ذكره لا يغيّر شيئاً من طبيعة العناصر المادية الموجودة في الحيوان، ولكن الله سبحانه وتعالى يريد لنا أن نفكّر على أساس أن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الحيوانات فإن أرواح الحيوانات مثل أرواح الناس، هي ملك الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن نزهق أي روح إلّا من خلال رخصة من الله لنا في ذلك، سواء في مسألة الحيوان أو الإنسان. لذلك فإن الإنسان عندما يريد أن يأخذ رخصة الله له في ذبح هذا الحيوان أو ذاك، فلا بدّ له أن يمارس ذلك باسم الله، على أساس أن يعطي لهذه الذبيحة معنىً روحياً فيما يُقبَلُ عليها في طعامه، بالإضافة إلى المعنى المادّي لها، فيعني أني أذبحها باسم الله.

وفي المنهج الإسلامي التريويّ أن الإنسان عندما يأكل فإنه يُستحب ذكر

اسم الله، ليعيش الإنسان في طعامه هذا الجانب الروحي مع الجانب المادي، وكأن الله يريدنا أن نعبدته حتى في ذبائحنا، كما في صلاتنا وصومنا وما إلى ذلك. لذلك جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ وفي آية أخرى ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾^(١). وجعل الله من الأمور المحرمة ما أهّل به لغير الله، فقد كان المشركون عندما يذبحون فإنهم ينادون باسم الأصنام، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾^(٢).

فمن خطوات الشيطان أن يلقي الشبهة في نفوس المؤمنين في هذه المسألة. ولا بد لنا أن نتنبه إلى أننا من خلال هذا النوع من العلاقات الاقتصادية في العالم، ومن خلال نقص اللحوم عندنا، أصبح الكثير من الناس يستوردون اللحوم من بلاد الغرب، ونحن نعرف جميعاً بأن شروط الذبيحة عندنا ليست معتبرة في بلاد الغرب، وعلى ضوء هذا، علينا أن نحتاط لأنفسنا فيما نستورده من اللحوم المجمدة. ونحن لا ننكر أن هناك في الغرب شركات إسلامية ويشرف عليها مسلمون، ولكن ما يجدر الالتفات إليه هو أننا سواء كنا في الشرق أو في الغرب، فإن علينا أن نحتاط عند مشاهدة عبارة (لحوم حلال)، لعدم وجود الثقة في تلك العبارة على اللحوم المستوردة. فلا نأكل الميتة باسم اللحم الحلال، ولأن أكلها يكون محرماً إن لم نتأكد من أنها ذُبِحت بالطريقة الشرعية. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وكلمة (مِمَّا فِي الْأَرْضِ) تشمل الحيوان والنبات، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

ثم يفصل لنا سبحانه وتعالى ما هي خطوات الشيطان العامة في اتجاه آخر ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾^(٣)، يعني عندما تدرسون ذهنية الشيطان

(١) الأنعام: ١١٨.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) البقرة: ١٦٩.

في العقدة التي يحملها ضد بني آدم ثأراً من آدم، فإنها تفرض عليه أن تكون خططه في كل آثاره في خطّ السوء، وكلمة (السوء) هذه عنوان لكل الأقوال والأفعال والعلاقات والمواقف التي تسيء إلى الإنسان سواءً في حياته أو مصيره في آخرته. و(الفحشاء) هي كل فعل يتجاوز حد الاعتدال الذي أراد الله سبحانه وتعالى للناس الأخذ به، ولذلك فهو الذي يتجاوز ما شرّعه الله سبحانه وتعالى.

أساليب الشيطان:

فالشيطان إنما يتحرك من أجل أن يزيّن للإنسان الأخذ بالسوء والفحشاء التي تتجاوز الحدود الشرعية على أنها وفق خط الاعتدال، لأن الشيطان يحاول أن يلبس الحق بالباطل وبالعكس ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني أن تتسبوا بعض الصفات مثل الشرك أو نسبة الأنبياء إلى الملائكة أو المسيح لله وما إلى ذلك مما لا يتناسب مع عظمتة سبحانه وتعالى، فيحاول الشيطان أن يخلق أوهاماً نفسية وحركية، بحيث تجعلكم تتسبون إلى الله ما لم تقم لكم حجة به ﴿أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾^(١)، فهل أذن لكم الله بذلك القول في أن تشرّعوا الحلال والحرام، فتحلوا ما حرّم الله وتحرموا ما أحلّ (أم على الله تفترون) أي أخذتم سبيل الافتراء على الله سبحانه وتعالى في ذلك.

ثم يؤكد القرآن على نقطة مهمة في حياتنا الفكرية والعملية، وهي (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)^(٢)، وهذه أيضاً من خطوات الشيطان، وهي تقليد الآباء في أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، وفي أوضاعهم الشخصية. فهذه المسألة من المسائل التي لا تركز على قاعدة صحيحة، لأن الأجيال السابقة لنا قد لا تمتلك الثقافة الواسعة والعميقة التي تجعلها مرتكزة على أساس الحق. فمن الممكن أنها

(١) يونس: ٥٩.

(٢) البقرة: ١٧٠.

لم تأخذ بأسباب العلم والثقافة والهدى لظروفها الاجتماعية ومؤثراتها التاريخية أو الجغرافية وما إلى ذلك من الأوضاع السياسية والاقتصادية التي تفرض عليها أن تأخذ ببعض أفكار التخلف والباطل أو خطوط الجهل وما قد يخضع للأهواء النفسية، ما لا يجعل هناك قيمة علمية للفكرة أو خط الهداية.

وعلى ضوء ذلك، فإن امتداد هذه الخطوط الفكرية أو العادات والتقاليد أو الأوضاع إلى الأجيال اللاحقة لا يمثل مصلحة لهذه الأجيال أولاً، ولا يركز على أساس ثانياً. لأننا لو أردنا مخاطبة جيل الأبناء فيما هو الأساس الذي ارتكزوا عليه في تقليد آبائهم، فإننا لا نجد جواباً مقنعاً، لأن كل إنسان لابد له عندما يأخذ فكرة شخص أو جيل معين على أساس الالتزام بالمطلق بها، فلا بد له أن يدرس شخصية ذلك الشخص أو مستوى ذلك الجيل، لأن مسألة التقليد تتنوع، فنحن قد نحتاج إلى التقليد في الحياة فيما لا نملك الخبرة فيه، فنرجع إلى الأطباء في الأمور الصحية مثلاً، لأنهم يشخصون المرض ويشخصون الدواء، وهكذا في بقية الأمور الاقتصادية والاجتماعية، فهو رجوع الجاهل إلى العالم ورجوع من لا خبرة له إلى من له خبرة. وحتى في الجانب الفقهي في مسألة (تقليد المراجع)، فإننا نرجع إليهم على أساس خبرتهم في الفقه، لأنه لابد لنا أن نأخذ التكليف ممن له الخبرة، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). ومسألة تقليد الفقهاء لا تمثل خصوصية مقدسة تختلف عن خصوصيات التقليد لأصحاب العلوم الأخرى، وإن كان الفقه مقدساً باعتبار أن الشريعة مقدسة، وإلا فالقضية لا ترتبط بشخص الفقيه، والتقليد يعتبر حجة الإنسان عندما يأخذ برأي الخبراء الموثقين فيما يحتاجه من شؤون الخبرة، فهذا أمر ثابت، ولكن في الأمور التفصيلية، أما التقليد في العقائد فلا يجوز، لأنها تمثل الأساس الذي تبني عليه الانتماء للدين، فلا تقليد في العقائد والأصول، إنما يكون التقليد في فروع الدين. وعلى الإنسان أن يحاول التفكير والاجتهاد

والتعلّم ليختار لنفسه عقيدته، ولكلّ مستواه ولكل إمكانياته في هذا المجال.

ارتكاز التقليد على الحجة:

إذاً فمسألة التقليد لابد أن ترتكز على أساس من الحجة فيما يدركه العقل وفيما ينطلق به الواقع الإنساني في مسيرته من موقع الفطرة، أما أن نرجع إلى الآباء، فهناك تقاليد وعادات للآباء قد تكون مختلفة عن المصلحة العميقة للإنسان وعن العناصر الإيجابية لحياته العامة أو الخاصة. فعلى أن ندرس عاداتهم وتقاليدهم كما ندرس كل حركة في التاريخ من الجانب الفكري. فقد ندرسه من خلال الحجج والمعطيات الفكرية عندهم، فإذا اقتنعنا بها فيكون التزامنا بها لا من جهة أنها أفكار الآباء، بل باعتبار أنها أفكارنا، لأننا درسناها واقتنعنا بها فتبنيناها. أما الحالة الثانية، فهو أن نأخذها من ناحية عاطفية، لأن على الإنسان أن يمثل الامتداد لهذه المسيرة العائلية، لأن العاطفة قد تفرض علينا أن لا نبتعد عن الأجواء التي كان يعيش فيها الآباء، فنأخذ كل ما تركوه لنا، وهنا يتدخل القرآن الكريم في هذه المسألة، فيقول ماذا يمثل الآباء لكم، فإذا كان الآباء من أهل الخبرة وكان ما تركوه لكم يرجع فيه إلى أهل الخبرة، فالمسألة هنا ليست عاطفية، بل تكونون في هذه الحالة قد رجعت إلى أهل الخبرة، سواء كانوا في الماضي أو الحاضر. أما إذا كان الآباء لا يملكون تلك الخبرة أو الهدى، فما هو الأساس لاتباعهم، بحيث تغلقون عقولكم عن كل دعوة أو هدى يقدم إليكم؟ فالمسألة هي فيما يحمله الإنسان من فكر وفيما يتخذه من مواقف وفيما يأخذ به من عادات وتقاليد، هي مسألة حياتك ومسألة مصيرك في الأمور المتعلقة بقضايا المصير. فكيف تتطرق في القضايا المصيرية أو الحيوية بلا أساس؟ فإذا فعلت ذلك تكون حياتك وامتداداتها كريشة في مهبّ الريح ! فلاحظوا تعبير القرآن الكريم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فالنبي ﷺ يقول لهم هذا ما أنزل الله فاسمعوا واطلبوا الحجة عليه، لأن المسألة متصلة بمصيركم، فيقولون ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ فالرسول ﷺ

أراد منهم أن يعيشوا حركية العقل والحوار، ولكنهم أغلقوا عقولهم واستغرقوا فيما كان عليه آباؤهم، انطلاقاً من الجانب العاطفي الذي يحاول فيه الإنسان أن يكون نسخة عن أبيه في المسألة المطروحة للاستساخ. فالشخص يستسخ على صورة شخص آخر بغير اختياره. وبعض الناس . اليوم . يحاولون أن يكونوا نسخة عن آبائهم باختيارهم، ومن دون دراسة عناصر شخصية الآباء التي يمكن أن يبني حياته عليها .

التقليد الأعمى:

وفي المسيرة التاريخية لدينا ألوان من تقليد الضعيف للقوي، وهذا ما قد يصل إلى حد الفوضى، وكما هو التقليد الأعمى للغرب من خلال بعض نقاط الضعف التي نعيشها . فنحن مسلمون لنا أخلاقنا في المضمون وبالشكل الذي يحافظ على هذا المضمون . ومن بين تلك المسائل المسألة الأخلاقية التي تتصل بالمسألة الجنسية، حيث جعل الإسلام للجانب الجنسي نظاماً دقيقاً يتحرك على أساس احترام الناحية الجنسية للإنسان (الرجل والمرأة)، باعتباره غريزة طبيعية كما هو الأكل والشرب، وقد شرع الله للجانب الجنسي، سواء للرجل والمرأة، ما هو جائز، كما في مسألة ملك اليمين فيما كان من الماضي وقد انتهى، والزواج هو مما هو باق، ليحرم ما هو خارج عن هذا الإطار، وقد حصن الإسلام المسألة الجنسية بضوابط معينة، ففرض على المرأة الحجاب بالطريقة الشرعية المعتدلة في ستر الجسد كله ما عدا الوجه والكفين وعدم التبرج، وأن لا تكون المرأة مجرد جسد يثير الفرائز، بل أن تكون إنسانة محترمة، كما أراد للرجل أن لا يكون متخنناً (متأنثاً)، وأراد الإسلام للرجل والمرأة أن يتحركا من خلال إنسانيتهما في بعدهما الإنساني . فلإنسان عقل لا بد لصاحبه أن ينميه، وقلب لا بد أن يربيه، وإرادة لا بد أن يقوِّها، ومسؤولية في بناء نفسه وبناء حياته، وغريزة لإشباع المعدة حتى يبقى على قيد الحياة، وهكذا فقد وضع سبحانه وتعالى حداً للأكل والشرب

بقوله تعالى: «وَكُلُّوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا»^(١)، فأراد الله للإنسان أن يعتبر الجانب الجنسي أحد جوانب حياته وليس عنواناً لحياته، بحيث إن للجنس جانباً يتعلق بامتداد النسل وآخر يتعلق بجانب إشباع الغريزة ولكنه لا يعتبر عنوان الحياة.

الحرية الجنسية مثلاً:

فالإسلام وضع هيكلاً تشريعياً متكاملاً يمثل كل جوانب الحياة، ففي مسألة لباس المرأة، أراد لها أن تتحجب بينما لم يرد للرجل أن يتحجب، لأن المرأة بحسب طبيعة المسيرة الإنسانية والتربية العامة، تعيش الجانب الأنثوي بالشكل الذي تكون فيه عنصر الإغراء، ولذلك نرى أنها استغلت - اليوم - في الإعلام على اختلاف ألوانه، ونلاحظ أن حالة الاغتصاب في الدول التي فيها الحرية الجنسية تكون أكثر من الدول التي ليس فيها الحرية الجنسية، لأن طبيعة الإغراء، خصوصاً مع كل هذا التخطيط للأزياء وفي طريقة عرض ما يعرف بمسابقات ملكات الجمال، ومسألة المكياج، وغيرها من الطرق والأساليب التي تحاول أن تجعل الجانب الجنسي عند المرأة هو القيمة مع وجود نساء مثقفات ومفكرات وقائدات وما إلى ذلك. في هذا المجال، أراد الإسلام وضع حالة التوازن في المسألة الجنسية، بحيث لا يبتعد عن مسألة الزواج، لكن الذي حدث في الشرق، وبفعل تأثير الأجانب والاستعمار ومن خلال المناهج التربوية والتلفزيونية وما إلى ذلك، أُدخلت الحياة الغربية على المسلمين بكل أفكارها، وقد وصل الغرب إلى قاعدة فكرية تعتبر أن الإنسان حر في كل تصرفاته على أن لا تصطدم حرته مع حرية الآخرين، فلا تعتبر جريمة في الغرب إذا خرج الرجل عارياً أو المرأة خرجت عارية، ربما ليس في الشارع، ولكن عبر السماح بانتشار نوادي العراة. فعندما كان الأمريكيون والإسرائيليون موجودين في جنوب لبنان - قبل التحرير - كانوا يسبحون عراة على البحر. فالحرية الجنسية في الغرب تقتضي أن لا

يعاقب المرأة أو الرجل على الزنا إلا إذا تعارض ذلك مع الحقوق الشخصية. فالغرب انطلق وانفتح على مسألة عالم التجميل والأزياء، وحول المجتمع إلى حالة طوارئ من الإغراء، سواء في الشارع أو النادي أو الإدارة. وما أكثر مشاكل المدراء، مع السكرتيرات، وما أكثر مشاكل الموظفين مع زميلاتهم في التصرفات الجنسية السطحية أو الكاملة. والمشكلة عندنا أننا أخذنا بالعادات والتقاليد الغربية ووضعنا عليها عنوان التقدم واعتبرنا المرأة المحجبة متخلفة وخارجة عن طبيعة العصر، ولكن في الوقت نفسه لدينا بعض روااسب الأخلاق، فالأب مثلاً يسمح لابنته أن تخرج بأحدث صرعات الموضة أو أن تعيش طبيعة الاختلاط بالجامعات والنوادي والمساح المخلطة، وهناك بعض الآباء والأمهات يمنعون بناتهم من ارتداء الحجاب، وكذلك بعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من الحجاب، ما يؤدي إلى الانحراف بشكل طبيعي، باعتبار أن المرأة تملك غريزة بحاجة إلى إشباع، وكذلك الرجل يملك مثل هذه الغريزة، فيما تحتاج الأخلاق إلى حماية، مثل البيئة والمناخ، فإذا أبعدنا المناخ الأخلاقي وأوجدنا حالة تماس دائمة ومناخ للإغراء على أوسع نطاق، فإنه لا إشكال أن هذه الممارسات توجب التوهج الجنسي الدائم، ما يؤدي بالنتيجة إلى الوقوع في المحذور فيما صاغه أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله:

فكلام فموعد فلقاء

نظرة فابتسامة فسلام

وفي هذا الجو نفسه، فإنه إذا انحرفت الزوجة وانحرفت البنت أو الأخت،

اجتمع شيوخ القبيلة، وكما قال المتنبي:

حتى يراق على جوانبه الدم

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى

ولكن من الذي قادها إلى ذلك العار، ومن الذي هيأ لتلك المرأة ظروف

الانحراف؟ ففي ظل هذا التساهل والانفتاح على أخلاقيات غربية، بقيت

العادات والتقاليد العشائرية هي السائدة، ولكن ليس وفق ما حصنها الإسلام،

لذلك نجد أنه في الوقت الذي تم فيه الانفتاح على عادات الغرب وتقاليده، يبقى

الحفاظ على مسألة الشرف الأخلاقية التي نما عليها الناس، ليكشف عدم تبني أفكار هذا الغرب الذي انفتحنا عليه، ليكون حال أبناء مجتمعنا كما قال الشاعر:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل في الماء

ففي مسألة غسل العار، هناك تخفيف عن القاتل، حتى وإن كان القتل لمجرد شبهة أو إشاعة، دون أن يثبت الزنا شرعاً، فكيف نجمع بين هذه العادات ومسألة الأخلاق في وقت نترك فيه وراء ظهورنا الشريعة الفراء التي شرعت لنا الضوابط التي نصون بها مجتمعنا من هذه الإشكاليات. فكيف نجيز لأنفسنا قتلاً من هذا النوع، وقد قال الله تعالى: ﴿لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١) على أن يكون الشهداء عدولاً مستقيمين قد شاهدوا العملية الجنسية، بحيث إنهم لو شاهدوا رجلاً وامرأة بوضع معين من الإغراء على سرير واحد بما يوحي بشيء ما فإنهم يشهدون على ذلك ولا يجوز لهم أن يشهدوا بالزنى، وإذا شهدوا بالزنى فإنهم يحدّون حدّ القذف. وقد تعزّر المرأة بفعلها والرجل كذلك. وكذلك نلاحظ شرعاً أن الإقرار لا يكفي، فلو أقرّ الزاني أو الزانية بالزنا مرة واحدة، فإنه لا يكفي لإيقاع العقوبة، بل لابد من الإقرار أربع مرات، وقد أتى شخص للنبي ﷺ قائلاً له: ((لقد زنيت)) فقال له النبي ﷺ: ((لعلك قبلت أو فخذت أو كذا)) ولما أصرّ المعتبر أربع مرات أقام عليه النبي ﷺ الحدّ، فهذا هو الجانب الشرعي. ثم حتى لو زنى الرجل والمرأة فليس للزوج أو للأب أو للأخ أن يقيم الحدّ، بل هي من مسؤولية الحاكم الشرعي، لأن الإسلام لا يجيز تطبيق القانون لأي كان، لئلا تصبح فوضى. ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٢)، فمسؤولية القصاص من مسؤولية السلطان (الولي)، ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ

(١) النور: ١٣.

(٢) الإسراء: ٣٣.

تَتَّقُونَ^(١).

اصنع فكرك بنفسك:

هذا هو المنهج الإسلامي، وهو أولاً أن تحاول صُنع فكرك بنفسك، وأن تقتنع بالشيء الذي تلتزمه أو تنتمي إليه، ولا تتبع الآخرين على أساس عاطفي أو على أساس الصورة التي تجذبك، ولكن «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٢)، وكما جاء في آية أخرى: «قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ»^(٣) فالإنسان عليه أن يختار الأفضل، ولكن «قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ»، هذا كله من خطوات الشيطان.

ولذلك لا بد لنا أن نكون أمة تبذل وتتبع الفكر والخطوة، وأن نعمل على أساس أن نحاور أفكارنا لنقتنع بها، وقد سمعتم مني أكثر من مرة، (أن العقل هو حجة الله علينا غداً وسوف يسألنا الله عما ارتكز عليه العقل)، وقد روي عن النبي ﷺ: ((إن الله عندما خلق العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال سبحانه وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أعز علي منك، إياك أمر وإياك أنهى، وإياك أتيب وإياك أعاقب))^(٤). فإن الله يثيب الإنسان على قدر عقله، ويعاقب الإنسان على قدر عقله. فعلياً أن ننمي عقولنا. يقول سبحانه: «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٥) فالمسألة أن نأخذ من الماضي ما يعطي الحياة قوة وهدى ورشداً ونترك للماضي كل أخطائه ونقاط ضعفه ولنأخذ بنقاط القوة.. والحمد لله رب العالمين.

(١) البقرة: ١٧٩.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) الزخرف: ٢٤.

(٤) أصول الكافي، ج ٩، ص ١٨٧، ح ٣.

(٥) البقرة: ١٣٤.

ولاية الله وولاية الشيطان (٣) خطوات الشيطان وأساليبه

○ هناك شياطين من
الجنّ وشياطين من الأنس علينا
ان نكتشفهم من خلال
خطواتهم ومن خلال كل
اوضاعهم، حتى نتجاوز كل
الوسائل التي يعملون على
تحريكها من اجل إثارة الحروب
التي تضر بالإسلام والمسلمين
في الواقع الإسلامي ○

- العيد: تواصل وأخوة ومحبة.
- مجتمع السلم.
- خطوط السلام.
- بين السلم والحرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

العيد: تواصل وأخوة ومحبة:

وبارك الله لكم في عيد الفطر السعيد الذي نرجو أن يكون عيداً نتواصل فيه ونتبادل فيه المحبة، لنؤكد أخوتنا الإيمانية ووحدتنا الإسلامية، كما قال الإمام علي عليه السلام في وصيته الأخيرة: ((وعليكم بالتواصل والتبادل وإياكم والتدابير والتقاطع))^(١) وكان الإمام علياً عليه السلام يريد أن يقول إنه مهما اختلفتم في بعض أفكاركم وأوضاعكم، فإن عليكم التواصل دائماً وأن يبذل كل واحد منكم نفسه للآخر للانطلاق من وحدة الإيمان والإسلام بالرغم من الاختلاف في التفاصيل، ولعل رائد الوحدة الإسلامية - الإمام علي عليه السلام - قد عاش مشكلة إبعاده عن حقه في الخلافة التي كانت حقاً له من الله فيما أمر الله به نبيه محمداً عليه السلام باستخلاف علي عليه السلام ولياً للمسلمين يوم (الفدير)، ومع ذلك فإن الإمام علي عليه السلام تواصل مع المسلمين جميعاً، حتى أولئك الذين أبعده عن الخلافة وأخذوا مكانه فيها، فبذل لهم كل فكره فيما قدمه لهم من نصائح، وبذل لهم كل جهده، وأكد على المسلمين أن يقفوا صفاً واحداً أمام الأخطار الخارجية التي كانت تتحدى المسلمين من قبل الروم تارة ومن قبل الفرس تارة أخرى، فكان شعار الإمام علي عليه السلام: ((لأسلمن) أو لأسلمن) ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة))^(٢).

هذا الإمام الذي أطلق كلمته الخالدة في عيد الفطر فيما نحن فيه، إذ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٥، ص ١٩٣.

(٢) نفسه، ج ٢، ص ٢٠٣.

يقول: ((إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وقيامه))^(١)، ((وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد))^(٢). كأن الإمام علي عليه السلام يقول لنا إن بإمكاننا تحويل كل أيامنا أعياداً، لأن عيد الفطر هو عيد القيام بالمسؤولية وعيد طاعة الله في كل يوم والقيام بالمسؤولية الفردية والاجتماعية، وبذلك يعتبر هذا اليوم عيداً يحتفل به المسلمون بقدر ما يطيعون الله فيه وبقدر الابتعاد عن معصية الله، وهو ما ينبغي للمؤمن أن يفرح به، لأنه سبحانه وتعالى هو الذي هيا له السبيل للحصول على رضا الله سبحانه وتعالى، ونسأل الله أن يجعل هذا العيد عيداً ينتصر فيه الإسلام وأهله على الكفر وأهله والاستكبار وأهله، وأن يتوحد المسلمون أمام الأخطار الكبرى التي تواجههم من الشرق والغرب ومن الداخل والخارج، ويبقى النداء: ﴿واعتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣)، و ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي﴾^(٤)، و ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾^(٥). وهو نداء الوحدة الإسلامية.

مجتمع السلم:

ونتابع حديثنا عن ملامح أولياء الشيطان من خلال خطوات الشيطان التي أراد الله لنا أن نبتعد عنها، ليكون طريقنا طريق الله الذي هو ولينا وطريق أولياء الله بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٦). هذه الآية تدعو المؤمنين للدخول في السلم كافة، وقد تنوعت آراء المفسرين حول كلمة (السلم)، فقال بعضهم إن المراد بهذه الكلمة هو الدخول في الإسلام لأنه يتحقق بالأخذ بشريعته ومنهجه، فهو يفتح قلوب

(١) شرح نهج البلاغة. ج ٤. ص ١٨.

(٢) نفسه. ص ٥٧.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) الأنبياء: ٩٢.

(٥) المؤمنون: ٥٢.

(٦) البقرة: ٢٠٨.

الناس إلى الله وعلى بعضهم البعض، ويقول بعض المفسرين بأن المراد من كلمة (السلم) هو الاستسلام لله سبحانه وتعالى، أي استسلام الإنسان لربه وطاعته له وانقياده لأوامره ونواهيه، بحيث يتعد عن الاستغراق في ذاته باستغراقه بالخضوع لربه، وهذا ما يؤدي إلى السلام مع نفسه ومع ربه ومع الناس ومع الطبيعة والحياة كلها.

ولكننا في تفسيرنا (من وحي القرآن) رأينا أن المراد بهذه الكلمة في الآية الكريمة لا الإسلام ولا الاستسلام لله بمعنى الطاعة والانقياد، لأن الخطاب القرآني موجه للمسلمين بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا). وعندئذ ستكون هناك مشكلة بيانية في الآية، لأنهم إذا كانوا مؤمنين فكيف يطلب منهم أن يدخلوا الإسلام أو يراود بذلك الاستسلام والطاعة الذي هو نتيجة إيمانهم وما يقتضيه، ولذلك فإن الظاهر من الآية أن المقصود بكلمة (السلم) هو السلام، أي الصلح مع الآخرين ومهادنتهم، لأن هذه الكلمة استعملت في أكثر من موقع من القرآن الكريم في هذا المعنى، فيفيد معنى الآية أن يأخذ المؤمنون بالسلام فيما بينهم ويأخذوا بالسلام فيما بينهم وبين الآخرين، وعدم الأخذ بأسباب التنازع والتباعد الذي يؤدي إلى المنازعات والخلافات التي تؤدي إلى الحروب.

ونحن نقرأ قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١). فإن الله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ ويخاطب المسلمين من خلال رسوله، أنكم وإن كنتم مع الآخرين الذين يكيدون لكم والذين يخططون من أجل مواجهةكم بكل الوسائل التي تقود إلى الحرب، فإنهم إن (جَنَحُوا) إلى الوفاق والسلم أو المصالحة معكم فحاولوا أن تستجيبوا لهم، لأنكم إنما تحاربونهم لأنهم فرضوا الحرب والقتال عليكم، ولم

يتعاملوا بالوسائل السلمية عندما كنتم تدعونهم إلى الله أو تدخلون معهم في جدال أو في حوار من أجل التفاهم على كلمة الله.

وفي آية أخرى يقول الله سبحانه وتعالى: «فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا»^(١) يعني إذا اعتزل الأعداء الحرب ولم يواجهوا المسلمين بقتال، فينبغي القبول بالمصالحة والمسألة معهم طالما لم يلجأوا إلى قتال المسلمين: «فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِفْ لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْضُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا»^(٢)، بمعنى إذا بقي الأعداء في ساحة المواجهة مع المسلمين، عند ذلك يجب على المسلمين متابعة القتال ضد المعتدين، ولكنه سبحانه وتعالى يقول: «فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»^(٣)، يعني أن لا يضعف المسلمون أمام الأعداء أو يستسلموا لهم، لأن المؤمنين هم الأعلون ولن ينقص الله أعمالهم. وهذه هي الحالة التي يمثل السلم فيها ضعفاً للمسلمين بحسب الظروف المحيطة بهم أو من خلال ما يخطط له الأعداء للاستفادة من ذلك، للالتفاف على الموقع الإسلامي لإيقاع الهزيمة بهم، ما يجعل من الدعوة إلى السلم دعوة لتقوية الفرصة على المسلمين في الانتصار بحسب ما يملكونه من مواقع القوة التي قد تمنح الواقع الإسلامي نقلة نوعية جديدة إلى الأفضل. فهذه الآيات كلها تتحدث عن كلمة (السلم) بمعنى الصلح والموادعة وما إلى ذلك.

ونقرأ في خطاب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى مالك الأشتر عندما ولّاه على مصر بقوله عليه السلام: ((وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلَاحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ)) يعني إذا طلب عدوك الصلح وبادر إليه فلا تدفعه إذا كان الصلح ((لله فيه رضا)) يوحى إليك بالمصالح التي تترتب عليه في موقف المسلمين بما يعزّز مواقعهم القوية ((فإن في الصلح

(١) النساء: ٩٠.

(٢) النساء: ٩١.

(٣) محمد: ٣٥.

دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك))^(١) لكن لا تستسلم للذين يريدون الصلح وكن حذراً منهم، لأن الأعداء ربما يقبلون الأمور على المسلمين ويعتدون العدة للمستقبل من خلال ذلك الصلح، فالحذر الحذر من العدو عند مصالحته، لأنه ربما يتغافل المسلمون بمحاولته إيقاف الحرب لكي يستغل المسلمين ويحاول تجديد قوته وتنظيم مواقعه، وكن حذراً في قراراتك وفي دراستك للأرض التي تقف عليها وللواقع الذي يتحرك فيه أعداؤك، ولا تخضع لحسن الظن بعدوك، على أنه لا يمكن أن يخون أو يتراجع، لأن هذه المسألة من المسائل المصيرية، فلا بد للإنسان أن يكون حذراً. ومن خلال ذلك نفهم من قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً» يعني على المسلمين أن يأخذوا بأسباب الدخول في السلام ما دام فيه مصلحة للمسلمين للعمل في خطِّ الدعوة وتنظيم أمورهم مع الحذر فيما يمكن أن ينطلق فيه العدو من مؤامرات وخطط عدوانية «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ»^(٢) الذي يحاول أن يعطي كل حركة للسلام ويعمل على أساس تعقيد الأمور وإثارة الهواجس والمشاكل التي تؤدي إلى نتائج سلبية على الأمن العام للناس.

خطوط السلام:

وهذه المسألة تتحرك في خطين. أولهما: خط علاقة المسلمين مع غير المسلمين. وثانيهما: خط المسلمين مع بعضهم البعض. أما في خط علاقة المسلمين مع بعضهم البعض، فإن الله سبحانه وتعالى يريد لهم أن يدخلوا في السلم بجميع فئاتهم ومذاهبهم وأعراقهم ومواقعهم، ليتوحدوا بالإسلام الذي يريد لهم أن يكونوا مسلماً لبعضهم البعض، وكما يقول الحديث الشريف: ((المؤمن من سلم المسلمون من يده ولسانه))^(٣)، ونقرأ الحديث: ((المسلم من ائتمنه الناس

(١) شرح نهج البلاغة. ج. ٨. ص ٣٧٥.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) بحار الأنوار. ج. ٩٠. ص ٢٥٩. ح ١٣. ب ١٢.

على أموالهم وأعراضهم))^(١). فإن الله سبحانه وتعالى لا يريد للمسلمين أن يتقاتلوا مع بعضهم البعض بالرغم من كل الخلافات التي تحصل فيما بينهم، لأن الوسيلة التي شرعها الإسلام لتجاوز الخلافات بين المسلمين هي وسيلة سلمية وليست عنيفة «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(٢). فإذا كانت هناك خلافات بين المسلمين، سواء كانت مذهبية أو اجتماعية أو سياسية، فعلى المسلمين أن يتحاوروا فيما بينهم على أساس القاعدتين اللتين يركز عليهما الإسلام، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن المسلمين بأجمعهم يؤدون الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله) على أساس وحدانية الله، و(أشهد أن محمداً رسول الله) على أساس نبوة محمد ﷺ.

وقد أكد الإمام علي عليه السلام في وصيته الأخيرة بعدما ضربه ابن ملجم، على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ بقوله ﷺ: ((أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم))^(٣)، مؤكداً ﷺ أن كتاب الله وسنة نبيه يمثلان وحدة المسلمين وكما تقول الآية: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»، وقوله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(٤)، وكذلك قال الله سبحانه وتعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٥). ثم لو أن المؤمنين لم يأخذوا بهذه الوسيلة الإسلامية لمعالجة الخلافات بينهم على مستوى النظرية والتطبيق واقتتلوا فيما بينهم كما حدث في صدر الإسلام عندما اقتتل المسلمون على أساس مذهبي تارة أو بسبب الطمع بالحكم أو الانحراف عن خط الرسالة

(١) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٧٧، ح ٣، ب ١.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٢١١، ح ٧، ب ١٤.

(٤) الأحزاب: ٣٦.

(٥) النساء: ٦٥.

تارة أخرى، فهناك ما يحسم النزاع هذا، إذ ورد في الآية الكريمة: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(١). فعلى المسلمين معالجة اقتتال المسلمين فيما بينهم أيّاً كانت الأسباب، وأن يصلحوا بينهم بعد دراسة أسبابه لتسوية الأمور والعمل على إيقافه حتى في حالة عدم حسم القتال لأي جانب منهم ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يعني إذا بادرت إحدى الطائفتين بالعدوان ولم تقبل الصلح في أي حلّ لكونها انطلقت من خلال عقدة نفسية، فيجب إيقافها عند حدّها. ﴿فَإِنْ فَاعَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ فإن رجعت تلك الطائفة الباغية إلى الحق فإن ذلك نهاية النزاع والحرب ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. وقد اعتبر الإسلام الصلح بين الأخوة من المؤمنين مسؤولية المؤمنين جميعاً، وذلك هو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢)، للتأكيد على أن العلاقة بين المؤمنين هي علاقة الصلح والسلام على صعيد القاعدة الإيمانية العامة.

هذا هو المنهج الإسلامي في إحلال الوئام والسلام بين المسلمين قبل نشوب القتال أو بعده، ويوجّه القرآن المسلمين لأن يحافظوا على الوسائل التي تجنبهم الخلافات فيما بينهم، كما ذكرت الآية القرآنية بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٣). فعلى المسلمين وعباد الله المؤمنين أن يمتنعوا عن إطلاق الكلمات التي تثير العصبية بينهم وتقود الناس إلى الخلافات، لأنّ الشيطان يحاول أن يلتقط الكلمات المملوءة بالعداوة والبغضاء، والتي لا يدرس صاحبها الذي ينطق بها النتائج السلبية المترتبة عليها مما يستغله الشيطان وأتباعه، بينما إذا تكلمنا

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) الإسراء: ٥٣.

بالكلمات الطيبة التي تجمع ولا تفرق، والتي توحد ولا تمزق، والتي تحبب ولا تبغض، فإن أثراً طيباً عاماً سيعم المجتمع ويشيع المفاهيم الصالحة «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ»^(١)، فإن الشيطان لن يجد مجالاً لإيجاد المشاكل والفرقة بين المسلمين طالما التزموا بالكلمات الطيبة والحوار الهادئ «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ»، يعني يحاول أن يجد من خلال الكلمات السلبية ما يثير المشاكل بين المسلمين «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا». وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن ندخل في السلام ونحسن الخطاب فيما بيننا إذا اختلفنا كمسلمين، سواء في مذهبياتنا أو في أعرافنا، أن ندخل في السلام وأن نلين كلامنا وقلوبنا وأن يرحم بعضنا بعضاً. وكما وصف سبحانه وتعالى نبيه الكريم محمد ﷺ في كتابه الكريم «فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»^(٢)، «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»^(٣). فنفهم من خلال تلك الآيات الكريمة أن نلين كلامنا كما كان النبي ﷺ يلين كلامه مع الآخرين، وعلينا أن نلين قلوبنا ولا نجعلها قاسية للناس من حولنا، وأن نعيش هموم المسلمين، وأن نعيش الرأفة والرحمة بهم ونتألم لما يصيبهم من المشقات. فهذا هو المنهج الإسلامي الذي يخطط للمسلمين أن يدخلوا في السلم كافة.

بين السلم والحرب:

أما الدائرة الثانية، وهي دائرة أعداء المسلمين المستكبرين، فإن الخطأ الإسلامية أن نواجههم عندما يفرضون علينا القتال، لأن الله أراد العزة للمسلمين

(١) إبراهيم: ٢٤.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) التوبة: ١٢٨.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ولكن إذا دعانا هؤلاء إلى المسالمة والصلح فعلى أن ندرس الأمر، هل هو في مصلحة المسلمين في ساحة الصراع بينهم وبين المستكبرين أو الكافرين، بحيث يجب أن يسالموهم، أو ليست المصلحة في السلام، لأن المستكبرين إنما يهدفون أن يجعلوا من دعوتهم للسلام فخاً يصطادون فيه الواقع الإسلامي حسب مخططاتهم ومؤامراتهم، ويعملون على أن يجعلوا المسلمين في حالة غفلة واسترخاء لما يخططه لهم الأعداء؟ ففي هذه الحالة، على المسلمين أن يلحظوا المصلحة الإسلامية العليا، فإذا كانت المصلحة الإسلامية على المستوى العسكري والأمني لا تؤدي إلى نتيجة سلبية، وربما يؤدي العنف إلى سلبيات كثيرة للإسلام والمسلمين، في هذه الحالة، علينا قبول دعوة الصلح بشروط مدروسة وبحذر للمستقبل، وأن ننقل الصراع من الدائرة العسكرية إلى الصراع في الدائرة السياسية والاقتصادية والثقافية وما إلى ذلك، لأن السلام في هذه الحالة ربما يمكّننا من الأخذ بأسباب حرية النفاذ للشعوب أكثر للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ولتناقشة الأمور بطريقة عقلانية وموضوعية، كما أراد الله لنا أن نسالم من يسالمنا، كما بقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، فإذا سالمكم هؤلاء الذين لا يدينون بدين الإسلام ولم يقاتلوكم ولم يضغطوا عليكم ليخرجوكم من دياركم، فإن الله لا ينهاكم أن تسالموهم وتقسطوا معهم، لأن الله أراد العدل لجميع الناس ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٣). ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾^(٤)، وكما يفعل اليوم اليهود في فلسطين من

(١) المنافقون: ٨.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) الحديد: ٢٥.

(٤) الممتحنة: ٩.

القتل والتدمير وإخراج المسلمين من ديارهم، وحسبما يشير الإعلام اليوم بوجود خطة جديدة يعمل لها الكيان الصهيوني لتشريد الفلسطينيين إلى الأردن أو أمكنة أخرى. فالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ تعني أنه لا يجب على المسلمين في هذه الحالة مهادنة الصهاينة الغاصبين، ولا يجوز عقد المعاهدات معهم، بل يكون الموقف منهم كما ذكرت الآية الكريمة: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾^(١).

وهكذا . أيها الأحبة . نستطيع من خلال هذه الجولة مع الآيات الكريمة التأكيد على أن الإسلام يريد السلام مع الناس كلهم ولا يريد الحرب إلا في حالة الاعتداء واضطهاد المسلمين وإخراجهم من ديارهم ومواجهة من يساعد على ظلم الناس، لذلك فالإسلام دين سلمي لا حربي، فهو في موقع السلم يتبع أسس التفاهم والحوار مع الآخرين، وفي موقع الحرب يتخذ موقع الدفاع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٢)، ولعل التعبير عن خطوات الشيطان لأن الشيطان لا ينطلق من موقع واحد، وإنما يحاول بخطوات متلاحقة إثارة الفتن هنا وهناك في مختلف وسائله وحبائله حتى في حالة السلم، ليفرض الشقاق بين الناس والاقتتال وما إلى ذلك. فالله سبحانه وتعالى يريد لنا أن نتعامل بوعي لئلا يقودنا الشيطان إلى عذاب السعير ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣) ونحن نعرف أن هناك شياطين من الجنّ وشياطين من الأنس علينا أن نكتشفهم من خلال خطواتهم ومن خلال كل أوضاعهم، حتى نتجاوز كل الوسائل التي يعملون على تحريكها من أجل إثارة الحروب التي تضر بالإسلام والمسلمين في

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) البقرة: ٢٠٨.

(٣) فاطر: ٦.

الواقع الإسلامي فيما بين المسلمين، أو في خارجة مع غيرهم، ما يفرض الحذر في كل الحالات الانفعالية من دون دراسة أو تخطيط، ويبقى للآيات الأخرى حديث آخر في الأسبوع القادم إن شاء الله .. والحمد لله رب العالمين.

ولاية الشيطان (١) حديث الإفك

○ خطوات الشيطان

تريك حياة الإنسان الفردية

والاجتماعية، وتفتح ابواب

الاهتزاز الروحي والنفسي ○

○ التخطيط للمنهج الإسلامي.

○ مجرى القصة.

○ التأثير السلبي.

○ مراكز الشيطان المعاصرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

لا نزال نتابع الحديث عن خطوات الشيطان، تلك الخطوات التي تربك الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية، وتفتح للمجتمعات أبواب الاهتزاز الروحي والنفسي بشكل عام. ففي سورة (النور) قصةٌ تتحدث عن واقع النبي العائلي، وهي قصة (الإفك). هذه القصة التي انطلق فيها بعض المسلمين بالحديث عن اتهام بعض زوجات النبي ﷺ. والمشهور أنها عائشة، وهناك رواية تقول إنها مارية القبطية - بأنها أتت بالفاحشة. وقد عاش المسلمون حالة اهتزاز في هذه المسألة، وعاش النبي ﷺ هذه المشكلة بروحية الألم، ولكنها في نفس الوقت كانت روحية الرسول ﷺ الذي لا يبادر بالحديث عن أية قضية قبل أن ينزل عليه الوحي لمعالجتها. وعندما ينزل الوحي في أية قضية من قضايا المسلمين، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، فإنه لا يركّز على خصوصية القضية، لكي تكون المعالجة لها للتخطيط للمنهج العام، لينطلق المسلمون في خط القضية التي تمثل نموذجاً منه.

التخطيط للمنهج الإسلامي:

وهذا ما لا بد لنا أن نتعلّمه من القرآن الكريم، وهو أننا يجب أن لا نركز في القضايا الخاصة ليكون، الحل في دائرة خصوصية، بل لنجعل من كل قضية صغيرة نموذجاً للمشكلة الكبيرة، وهكذا نستطيع أن نجعل مشاكلنا الصغيرة التي تحدث لنا على مستوى هذا الفرد أو ذاك نافذة تطل على المشكلة الكبيرة، ليكون الحل لتلك المشكلة في سعتها وامتداداتها، ليعيش الناس ثقافة حل المشكلة الكبرى من خلال دائرة المشكلة الصغرى. ومن جهة أخرى، فإن المنهج القرآني لم

يهمل القضية المرتبطة بالموقع العائلي للرسول ﷺ تحت تأثير بعض الذهنيات الاجتماعية التي لا تتقبل معالجة بعض القضايا المتحركة في النطاق السلبي للشخصيات الكبيرة على المستوى الديني أو الاجتماعي، بحجة أن الموقع المميز يحمي الشخص الكبير من التحدث عن خصوصياته في الجو العام، بل يؤكد للمسلمين أن قضايا الرسول كقضايا الناس الأخرى في خضوعها للمنهج الأخلاقي التشريعي في ما يأخذ به الناس من ألوان الانحراف من أجل توجيه الأفعال كلها.

لقد كان الرسول ﷺ - كما ذكر في السيرة - يقول إنه ينتظر أمر ربه في تلك الإشاعة، كما ذكر في سورة (النور) عدة آيات لمعالجة هذه القضية، انطلاقاً من خصوصيتها، معتبراً تداول المسلمين لتلك الإشاعة فيما بينهم، وعدم انسجام ذلك مع الخطوط الأخلاقية الإسلامية التي أرادها الله للمسلمين أن يسيروا عليها، هو من خطوات الشيطان، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١). إذاً هذه القصة في كل مفاعيلها ونتائجها كانت تعيش في أجواء الشيطان في إيجاد الحيرة في المجتمع الإسلامي بالمستوى الذي قد يترك بعض التأثير على الجو النبوي العائلي.

مجرى القصة:

ولنبداً القصة من بدايتها عن الذين تحدثوا بتلك الإشاعة، إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ وَالِافْكِ هُوَ الْكَذِبُ الْعَظِيمُ الَّذِي قَلْبٌ فِيهِ الْأَمْرُ عَنْ وَجْهِهِ، كَمَا جَاءَ فِي (مجمع البيان)، وقال الراغب: ((ورجل مأفوك مصروف عن الحق إلى الباطل)). وفي إطلاق هذه الكلمة على مضمون الإشاعة تأكيد

على أنها باطللة جملة وتفصيلاً، وأنها تقع في موقع الخطورة على واقع المسلمين بصرفها المسألة عن الحق إلى الباطل. (عُصْبَةُ مِنْكُمْ) يعني جماعة من المسلمين (لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ) فمن الممكن أنكم تتصورونه لوناً من ألوان الشر الذي أحاط بالمسلمين، ولا سيما أن القضية تتعلق باتهام إحدى زوجات النبي ﷺ بالفحشاء، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول: (بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) لأنه يحدد الخط الفاصل بين المنافقين وغيرهم، هؤلاء المنافقون الذين يريدون أن يعملوا على هز المجتمع المسلم واستغلال أي حالة من الحالات السلبية لإسقاط هذا المجتمع وتشويه صورة البيت النبوي، ولأن هذه القضية تجعل هناك حلاً لأمثال هذه القضايا، وكيف يتصرف المسلمون أمام هذه القضايا ليأخذوا بالمنهج الإسلامي السليم، فلا يخضعوا للأجواء الانفعالية غير المسؤولة التي تتحرف عن المنهج الأخلاقي الإسلامي في التثبت من الأخذ بخبر الفاسق، لأن ذلك قد يصيب الأبرياء، فيؤدي إلى ندم الآخذين به حيث لا ينفعهم الندم، فينطلق الوحي أمام هذا الجو المتوتر المحموم ليصحح لهم المسيرة على أساس التشريع الإسلامي، مما قد يكون تأثيره أكثر في انفعال المسلمين به. (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فالشخص الذي أطلق الإشاعة فإنه هو الذي يتحمل ضراوتها، وأما الذين تناقلوها من دون تحقيق وتدقيق، فلكل واحد منهم نصيب من الإثم بحسب حجم تصرفه في هذه القضية.

ثم يوجه الله سبحانه وتعالى الخطاب للمؤمنين: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) هذه الإشاعة الكاذبة (ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا) ليبادروا عندما يستمعون لإشاعة تستهدف أي شخص، رجلاً أو امرأة، في موقع مميز أو عادي غير مميز في المجتمع المسلم، ليبادروا إلى ظن الخير بالمسلمين لا إلى الحكم السريع بالشر بمجرد إطلاق إشاعة سلبية ضد مسلم أو مسلمة، عليكم أن تقولوا إن تلك الإشاعة غير صحيحة، وإن المؤمن أو المؤمنة لا يتجرأ على الزنا. (وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) يعني هذا كذب واضح. ثم يشير بعد ذلك إلى نقطة أخلاقية

إسلامية ورد فيها الحديث عن الإمام علي عليه السلام وهو يتحدث عما يمكن أن ينسب إلى المؤمن هنا وهناك، والتي قد توحى بالسلبية ويمكن أن تحمل على الإيجاب، فيقول عليه السلام: ((ضع أمر أخيك على أحسنه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً))^(١). فالإنسان ربما يتكلم بكلمة قد توحى بالشر فيعتبر متهماً، ولكن عليك أن لا تستعجل الحكم عليه ما دام هناك احتمال - مهما كانت درجته - أن يكون فيه الخير. فمثلاً قد تجد إنساناً مقتولاً وتجد شخصاً يحمل السلاح أمام القتل وفي نفس الوقت تجد ملابس ذلك الشخص المسلح ملطخة بالدم، فالقضاء العادل لا يقول إن فلاناً قتل فلاناً، بل يقول إن فلاناً متهم بالقتل لاحتمال أن يكون هذا القتل قد اعتدي عليه من قبل شخص آخر وكان ذلك المسلح يريد أن يدافع عنه أو في مقام الدفاع عن النفس. فهنا القضاء يحاول البحث في جوانب براءة المتهم، سواء كانت التهمة واقعية أو غير واقعية، وهذا يمثل قاعدة الصحة في أفعال المسلمين التي توحى بها الكلمة المعروفة: ((احمل أخاك على سبعين محملاً)) وقاعدة: (المتهم بريء حتى تثبت إدانته)، وذلك هو ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

ثم عندما تسمع الإشاعة عن الزنا مثلاً، فعليك أن تقول إن شهادة الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهود عدول - أي مستقيمين شرعاً أمام السلطة التشريعية، وعند ذلك تثبت التهمة، (فإذا لم يأتوا بالشهداء على عملية الزنا كانوا من الكاذبين الولا جاءوا عليه بأربعة شهداء)، بمعنى أنهم يعاملون معاملة الكاذبين ولا يقبل بعد ذلك قولهم، لأن الاتهام في أي شيء يحتاج إلى إثبات، فإذا لم تأت بالإثبات فلا تقبل الدعوى، وكما قال الشاعر:

والدعاوى إن يقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء

يعني لا ينطلقون من قاعدة صحيحة، وأراد الله سبحانه وتعالى بتلك

القضية توجيه المسلمين وإصدار العفو عنهم حتى يتحركوا مستقبلاً في خط التوبة والأخذ بهذا المنهج الإسلامي ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ وخضتم فيه من الكلام اللامسؤول الذي يسيء إلى الإنسان البريء وإلى سلامة المجتمع واستقراره ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، لأن ذلك هو الجزاء الطبيعي للعمل السيئ في طبيعته ونتائجه كوسيلة من وسائل الردع النفسي عن الاستمرار في مواقع مماثلة.

التأثير السلبي:

ثم يبين الله سبحانه وتعالى حجم الجريمة في كل أنواع الإشاعات التي تتحدى كرامة الرجال والنساء من المؤمنين والمؤمنات بدون أساس ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ فتأخذون القول الذي سمعتموه بطريقة سطحية لا تركز على الوعي والتثبت، وتديرون ألسنتكم فيه فينتقل من لسان إلى لسان ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١) فعلى الإنسان عندما يتحدث بشيء أن يكون عنده العلم بذلك الشيء، كما قال الرسول ﷺ لبعض من سأله: ((على ماذا يشهد؟))، فأشار له النبي ﷺ إلى الشمس في وقت الضحى قائلاً له: ((على مثل هذا اشهد أو دُعْ))، أي أن تشهد إذا كانت الشهادة واضحة كوضوح الشمس، لأن الشهادة تتعلق بحقوق الناس وكرامتهم وبالقضايا المصيرية لهم، لأن قضية الشهادة في مثل تلك المواقف مصيرية وحاسمة، خصوصاً في المجتمعات العشائرية - مثلاً - التي تعتبر فيها مسألة الشرف والعفة من القضايا التي تسفك فيها الدماء على الظنة والتهمة. فإذا ظهرت إشاعة في العشيرة مثلاً على امرأة ما فيكون كما قال المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوائبه الدم
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ﴾

هَيْئًا» كما يقول بعض الناس (الكلام ما عليه جمرک)، بينما يقول القرآن الكريم: «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»^(١)، «وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ»، لأن الله سبحانه وتعالى يحفظ للمؤمنين كراماتهم، وقد ورد أن ((حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة سبعين مرة))، كما قال الإمام الصادق عليه السلام. فإن إهدار كرامة المؤمن أعظم عند الله من حرمة الكعبة، لأن القيمة الإنسانية للإنسان المؤمن أعظم من قيمة الحجر مهما كانت القيمة الدينية له. «وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ» فإذا سمعتم أية إشاعة، «قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا» لأن ذلك يتعلق بكرامة أشخاص وحرمتهم «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» فالبهتان أعظم من الغيبة، وهو أن تنسب إلى شخص ما لم يفعله أو ما لم يثبت عندك أنه فعله، أما الغيبة فهي أن تتحدث عن عيب في شخص مشهور عند الناس «يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ»^(٢) فليكن أن لا تعودوا للتكلم بمثل هذا البهتان مرة ثانية، وأن لا تعطوا لأي شخص الحرية ليتحدث بالسوء بما يتصل بأعراض وكرامة المؤمنين والمؤمنات «يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»، لأن الإيمان لا يتمثل فقط في العبادات، بل يتجسد في الأخلاق أيضاً وفي الوقوف عند حدود الله التي لا يريد الله أن يعتدى عليها، بل إنما شرعت العبادات لأجل أن تؤصل إنسانية الإنسان وفق المنهج الإلهي الذي أراد الله للإنسان أن يأخذ به، وكما في قوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»^(٣). ونقرأ في حديث آخر: ((من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بُعْداً))، ونقرأ في قوله تعالى في الصوم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^(٤)، أي أن تحصلوا من الصوم على ملكة التقوى،

(١) ق: ١٨.

(٢) النور: ١٦-١٧.

(٣) العنكبوت: ٤٥.

(٤) البقرة: ١٨٣.

وهي أن لا يجدك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، وكذا في الحج، جاء الحديث: ((لا يعبأ الله بمن أم - أي قصد هذا البيت - البيت الحرام إذا لم يكن فيه خصال ثلاث: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يرد به جهل الجاهل، وخلق يداري به الناس))^(١)، أي أن يكون شخصية إيجابية تتميز بسعة الصدر الذي قد يعفو عمن أساء إليه أو يسكت عن جهله ويعرض عنه ولا يثير العصبية أو الحساسية. «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٢).

هذه الآيات التي ترفع مستواكم الأخلاقي والاجتماعي، حيث يعلم سبحانه أمراضكم وخطاياكم، ويمنحكم الحكمة في كل تشريعاته التي يشرعها فيما تأخذون به أو تتركونه، وهناك قاعدة عامة، كما في قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»، يعني أن الذين يشيعون الاتهام للمؤمنين ويقذفون المحصنات أولئك لهم عذاب أليم في الدنيا، فإن الذي يقذف المحصنة بالفحشاء يكون عقابه ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة بعد ذلك، وما عند الله أكثر من ذلك. وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: ((من أذاع فاحشة كان كمبتديها))، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ((من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»))^(٣). كما تشمل البهتان في هذا المجال. «وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٤) لأن الله غفور رحيم، على أن لا تعودوا لمثله أبدا، ثم يعطي المثل (من خطوات الشيطان) الذي يثير القيل والقال والتعرض لأعراض الناس وكرامتهم، ولا سيما إذا كانوا

(١) أصول الكافي. ج. ٥. ص ٩٧. ح. ٣. ب. ٧.

(٢) النور: ٥٩.

(٣) أصول الكافي. ج. ١٩. ص ٢٣٧. ح. ١٧. ب. ٩.

(٤) النور: ٢٠-١٩.

ينطلقون من عقدة خفية (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر الفحشاء والمنكر ويشيع الفاحشة والمنكر.

ثم يفصل الله الحديث عن الذين يقذفون المحصنات (والمحصنة هي المرأة المتزوجة أو العفيفة) (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ❖ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ❖ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ^(١)). (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) لأن الشيطان يملك من وسائل الإغراء والإغواء ما يدفع الإنسان إلى السقوط تحت تأثيرها، بما يحركه من غرائزه وشهواته، وما يثيره من أطماعه ونوازعه الذاتية المنحرفة أولئك الله يزكي من يشاء بما يفيض عليهم من لطفه، وبما يفتح عليهم من أفكار الخير ومشاعر الإيمان، وبما يدلهم عليه من سبل الهدى والاستقامة في الحياة (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) يسمع لمن سألته التزكية ويعلم من يتطلع إليها.

من خلال ذلك - أيها الأحبة - نجد أن الله يؤكد أن هذا المنهج الذي يأخذ به الكثير من الناس في تلقف الإشاعات، لا سيما تلك التي تتصل بأعراض الناس وكرامتهم بما يسقط من شأنهم في المجتمع، هو منهج ليس إسلامياً، لأن الإشاعات قد تحاصر الكثير من الناس الأبرياء، باعتبار أن الإشاعة عندما تنطلق في المجتمع الغافل عن الله والتقوى، فإنها تسري في المجتمع كما تسري النار في الهشيم، وعند ذلك يجد الأبرياء أنفسهم عاجزين عن مواجهة هذه الحملات التي تُسقط مكانتهم، لا سيما إذا كان المستهدفون لهم ممن يملكون مواقع متقدمة في الحياة، فإذا أردنا - أيها الأحبة - أن يكون مجتمعنا مجتمعاً متماسكاً صلباً قوياً وثابتاً واعياً، بحيث لا يتحدث بشيء ما على مستوى ما يتناقله الناس، فإن هذا لا يتحقق إلا بالتمسك بالمنهج الإسلامي والقرآني كما بيناه، وبهذا يستطيع كل إنسان في المجتمع أن يشعر بالأمان الاجتماعي، لأنه يعرف أن المجتمع لا يتحدث

عنه على أساس الظنون والتهم.

مراكز الشيطان المعاصرة:

وفي مرحلتنا هذه التي تتحرك فيها كل أجهزة المخابرات الدولية والإقليمية والمحلية التي تكيد للأحرار وللمسلمين وللمستضعفين، وتحاول أن تقوم بحرب الإشاعة التي هي من أساليب الحرب، تظهر خطوات الشيطان بأساليب معاصرة، ونحن نعرف أن الحرب النفسية هي من أشد الحروب، لأنها تسقط المجتمع قبل أن يدخل المعركة، بحيث تجعله يعيش الاهتزاز والقلق وفقدان الثقة بين أفراد، وبذلك يسقط تحت تأثير مخططات المستكبرين الذين لا يريدون الخير للمستضعفين، بل يريدون بنا الشر.

لذلك لابد لنا من الانتباه والوعي أمام هذه الحرب الإعلامية التي تحاول أن تشيع الخوف هنا وهناك، أو أنها تريد أن تدمر الشخصيات، سواء كانت دينية أو إصلاحية، ممن يخافهم المستكبرون والظالمون على سياساتهم وأطماعهم. فمسألة أن نقف بمواجهة الاستكبار ليست في إطلاق الشعارات لنسقط هذا المحور أو ذاك، بل في بناء مجتمعنا على قاعدة قوية ثابتة، بحيث لا تتأثر بما يثيره الآخرون في أجهزتهم المخابراتية التي تتطلق من دراسات اجتماعية أو دينية أو مذهبية. لأن هناك جامعات خاصة تهتمك بجد لتخريج الأشخاص الذين يديرون المخابرات ويدرسون فيها نقاط ضعف الشعوب وتقاليدها وعاداتها ومشاكلها. ومن خلال ذلك، يخططون لإيجاد فتنة وإثارة الفرقة بين الناس، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فكل قضية مماثلة تتطلق من إشاعة لا تستند على حجة أو بينة واضحة فهي من خطوات الشيطان ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فعلينا أن نبتعد عن ذلك كله.. والحمد لله رب العالمين.

ولاية الشيطان (٢) وسائل الشيطان في إضلال الناس

○ انتبهوا إلى خطوات
الشيطان في عقولكم فيما
تلتزمون به من فكر شيطاني،
وفي قلوبكم فيما تنبض فيه
من نبض شيطاني، وفي
حياتكم فيما يتحرك فيه
الشيطان ليعيث في حياتكم
وعلاقاتكم ومعاملاتكم ○

☞ المنهج الإسلامي في الاجتماع.

☞ المسؤولية الاجتماعية.

☞ حركة المال في المجتمع.

☞ الخسران الكبير.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

إن رحلة الإنسان مع الشيطان طويلة منذ خلق الله الإنسان في شخص آدم
ﷺ، ومنذ أن نزل إلى الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في الوقت
المعلوم. وقد تحدّث القرآن الكريم عن خطوات الشيطان الذي يحاول بكل ما أُوتي
من قدرة ليستغلّ قدرة الإنسان ويجعله يسير في الاتجاه السلبي في حياته.

المنهج الإسلامي في الاجتماع:

ومن بين الأمور التي يعالجها القرآن هي مسألة العلاقات الإنسانية
وارتباطها في مسيرة التكامل الاجتماعي وانفتاح الإنسان على الإنسان، حيث إن
الله سبحانه وتعالى وضع النظام الاجتماعي على مدى التاريخ، على أساس تنوّع
القدرات الذهنية والجسدية، فمنهم من يعيشون الحاجة في جانب من جوانب
حياتهم، ومنهم من يشعرون بالاكتماء، وربما يعيش آخرون الاستغناء في حاجاتهم،
وقد أراد الله للإنسان في أكثر من جانب أن يعيش هموم الإنسان الآخر، وأن يمد
يده إليه في قضاء حاجاته وتلبية أموره فيما لو كانت مسؤوليته مباشرة من
مسؤولياته، وهذا ما لاحظناه في حالة الإنفاق، فإنك لا تتفق من مالك، لأنّ المال
في الإسلام هو مال الله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا
جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾^(١)، أي أنفقوا من المال الذي جعلكم الله فيه وكلاء، وأن
تتصرفوا فيه وفق المنهج الذي وضعه الله. ونقرأ في آية أخرى قوله تعالى:
﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٢)، فنجد في الآيات القرآنية أن الإسلام وضع

(١) الحديد: ٧.

(٢) النور: ٣٣.

عدة خطوات لإنفاق المال، فهناك موارد تجعل الإنفاق على مستوى الحق الأعلى المألزم لا على مستوى الإحسان الذاتي، كما في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١).

ثم نلاحظ أن إنفاق المال في سبيل الله له دور معين في تزكية النفس وتطهير العقل وتنظيف القلب ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢)، فأراد الله في خطابه للنبي ﷺ ولئن جاء من بعده أنه عندما يقبض الحقوق المالية من المكلفين، أن يدعو لهم ويصلي عليهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾. ونلاحظ في قصة (قارون) الانحراف في استخدام المال في قوله تعالى في حديث قومه معه. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٣). وتشير الآية التالية إلى مركز المال في الإسلام وبعده في حياة الإنسان كوظيفة رسالية إنسانية في حدود المسؤوليات الذاتية في حاجات الإنسان وفي دوره الأخلاقي العملي في الحياة العامة والخاصة بقدر ما يتصل الأمر بملكياته للمال، مع ملاحظة تحريكه نحو الآخرة كهدف لنشاط الإنسان في الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٤)، أي انظر كيف تتصرف في هذا المال بما ينفعك في الدار الآخرة، وهو المستقبل في كل هذا البحر اللجّي من الشهوات والأطماع ﴿وَلَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لأن الدنيا هي طريقك إلى الآخرة، أن تأخذ منها ما يفيدك في الآخرة، وما يعينك على القيام بمسئوليتك تجاه نفسك وعيالك ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك، ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تحرّك المال فيما

(١) الذاريات: ١٩.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) القصص: ٧٦.

(٤) القصص: ٧٧.

يفسد حياة الناس الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية وما إلى ذلك، فلا تجعل المال وسيلةً من وسائل إفساد المجتمع وإفساد الحياة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

المسؤولية الاجتماعية:

وهكذا أراد الله أن يربط الناس بعضهم ببعض، وأن يحسَّ الإنسان من موقع المسؤولية بالإنسان الآخر. وهذا ما أراده الإسلام، في أن تكون العلاقة بين المؤمنين على مستوى الارتباط العضوي، كما قال الرسول ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى))^(١)، فمن الطبيعي أن الارتباط العضوي يجعل كل عضو مسؤولاً عن العضو الآخر. وعلى ضوء هذا، فالقرآن الكريم يتصدى للذين لا يفتحون على العطاء ويعيشون الأنانية في ملكية المال ويعتبرونه حالة ذاتية لتلبية حاجاتهم، حيث أن الله سبحانه وتعالى لا يريد للإنسان أن يصرف كل ماله ويترك أولاده بدون مال وبدون ما يغطّي حاجاتهم، وقد جاء عن النبي ﷺ: ((ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع))^(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٣)، فالإسلام يركّز على التوازن في كل شيء.

فمسألة الإيمان في الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ تنطلق في كل الحالات من المسؤولية الاجتماعية، بحيث أنه ﷺ لا يعتبر المؤمن مؤمناً إذا انطلق بعيداً عن مسؤولياته الاجتماعية في تلبية ما يستطيعه من حاجات المجتمع أو في الانفتاح عليه، حتى لو كان يصليّ ويصوم ويذهب إلى الحجّ والعمرة، فالإنسان الأناني الذي لا يتحسّس جوع الآخرين هو ليس بمؤمن، لأن الإيمان ليس مجرد كلمة في اللسان أو مجرد فكرة في العقل أو نبضة في القلب، بل إن الإيمان في

(١) بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ١٤٢، ح ٥٠، ب ١٢.

(٢) أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٦٨، ح ١٤.

(٣) البقرة: ١٩٥.

عمقه هو أن تتحوّل إلى إنسان تتجسد فيه قيم الرسالة. وفي الحديث الشريف: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها))^(١). وهنا يتحدّث القرآن الكريم عن الذين يمتنعون عن العطاء خوف الفقر والحاجة ويشعرون بأنهم أصحاب عيال، وبحجة أنهم إذا أعطوا المال للفقراء فإنهم سيفتقرون، وأن هذا ما لا يتناسب مع مسؤولياتهم العائلية، ويعتبر أن ذلك من تهويل الشيطان، إذ يقول تعالى: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^(٢)، فالشيطان يعد الناس بالفقر ويأمرهم بالفحشاء، والفحشاء هي كل عمل يتجاوز الحد الطبيعي، إذ يأمرهم بالاحتفاظ بأموالهم خشية الفقر إذا أنفقوا منها، أو إذا تصدقوا، فلا يساهمون في أي مشروع خيري أو في أية مشاريع تسهم بتقدّم المجتمع وبرضى الله ورسوله، حتى أن البعض منهم يقول: «أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ»^(٣)، فتلك العقلية الشيطانية التي توحى للبعض بأنه ليس مسؤولاً عن المحتاجين، بل الله خالقهم وهو مسؤول عنهم، «وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

حركة المال في المجتمع:

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يصوّر لنا كيف أنه يعدنا مغفرةً وفضلاً، وقد تعرّض القرآن في أكثر من آية لما يعطيه الله للإنسان بما ينمي ماله على مستوى الحسنات «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^(٤)، فأَي بنك في العالم يعطي فائدة للإنسان كما يعطيها الله سبحانه وتعالى (الواحد بسبع مائة) ١٩ وقوله تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣٢٠، ح ٣٥، ب ١٢.

(٢) البقرة: ٢٦٨.

(٣) يس: ٤٧.

(٤) البقرة: ٢٦١.

أَمْثَالِهَا^(١) وفق الخط العام للإنفاق وعمل الخير.

وهكذا - أيها الأحبة - نجد أن القرآن يحض على فعل الخير، ويعطي على هذا الخير الجزاء والأجر، وذلك كما في قوله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ)^(٢)، وقوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)^(٣)، فإن الله ي خلف للإنسان ما ينفقه في الدنيا والآخرة. (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)^(٤)، فأنت تتفق والجنة هي ثواب ذلك الإنفاق. فإن إنفاقك اليوم يعطيك الأمن والفرح الروحي في غدك ومستقبلك.

وهكذا يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن الذين يمتنون أموالهم بالربا على أساس أن الربا يعطيهم زيادة على رأس المال من دون عمل ومن دون إنتاج عملي في هذا المجال (يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ)^(٥)، فإن الله يربي الصدقات للإنسان، بحيث يجدها كثيرة عندما يفد عليه يوم القيامة. ونلاحظ من جهة ثانية أنه سبحانه وتعالى يتحدث عن بعض الناس الذين يتصدقون بما لا يرغبون فيه من الطعام أو الحاجات، فإن الله يريد للإنسان أن ينفق من طيبات ما كسب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ)^(٦)، أي لا تقصدوا إعطاء الشيء الذي لا ترغبون فيه (وَلَسْتُمْ بِأَخِيذِهِ) إذ لو أراد أحد أن يعطيكم ذلك الشيء فإنكم لا تقبلونه (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) مما تتسامحون في صفاته، بعدم التدقيق بألوان الرداءة في خصائصه الذاتية من خلال الظروف التي تفرض عليكم أخذه. (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

(١) الأنعام: ١٦٠.

(٢) الحديد: ١١.

(٣) سبأ: ٣٩.

(٤) البقرة: ٢٧٤.

(٥) البقرة: ٢٧٦.

(٦) البقرة: ٢٦٧.

غَنِيٌّ حَمِيدٌ)، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحْتَاجُ لَأَمْوَالِكُمْ، إِنَّمَا هِيَ زَكَاةٌ لَكُمْ (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)^(١)، (وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ)^(٢).

وهناك فريق من الناس ممن يسمّون في المجتمع بالمستورين وهم الذين (لا يسألون الناس إلحافاً)^(٣) بل يصبرون على الجوع وعلى كثير من الحالات، فيحدثنا الله سبحانه وتعالى أن أولئك المستورين من الأفراد والعوائل هم الأولى بالعطاء من أولئك الذين يمدّون أيديهم للناس، ويتخذونها تجارة وليس للحاجة الحقيقية، فالإنفاق يكون (للفقراء الذين أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ)، (وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) فالفقراء الذين لا يستطيعون الهجرة لبلاد أخرى للحصول على الرزق (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا) أي لا يلحّون على الناس بالمسألة، فهم أولى بالإنفاق (وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) وقد أراد الله سبحانه وتعالى لنا أن نتحرّك في جميع مواقع الإنفاق، سواءً كان سرّاً أو علانيةً، حسب مجالاته، فتتفق علانية حتى تشجّع الناس الآخرين على الإنفاق (مثل حملات التبرع)، أو في السرّ، كما لو أننا نريد أن نعطي الأشخاص الذين لا يحبون أن يعرف أحد بذلك الإنفاق، لأن لهم كرامتهم وعفتهم وكانوا أعزّاء في قومهم وما إلى ذلك.

ويؤكد القرآن الكريم (إِنَّ الْمُسَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ)^(٤)، (قُلْ إِنْ رِئِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) البقرة: ٢٧٠.

(٢) البقرة: ٢٧٢.

(٣) البقرة: ٢٧٣.

(٤) الحديد: ١٨.

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ^(١)، أي يضيق الرزق على بعض الناس بحسب حكمته في توزيع الرزق على الناس (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ).

الخرسان الكبير:

ونقرأ عن بعض الناس الذين يجمعون المال ويخزنونه، وعندما يأتيهم الموت لا يحصلون من ذلك المال على شيء، لأنهم تركوه للورثة، إذ إنهم يقدمون على الله من دون شيء وليس لهم من المال إلا القبر والكفن (وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ)^(٢)، حيث كان يظن أن الأمل كبير في امتداد حياته إلى ما لا نهاية أو إلى نهاية بعيدة، ما يجعله ناسياً للآخرة ولمسؤولياته في الدنيا التي يواجه نتائجها في الآخرة، فإذا واجه الموقف الصعب في حالة الموت ورأى نتائج الأعمال مما يقبل عليه، طلب من الله أن يؤخره إلى أجل قريب، ويأتيه الجواب: (وَكُنْ يُؤَخِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)^(٣).

ثم يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن الناس البخلاء، ويعبر سبحانه وتعالى عن البخل بأنه مرض، لأنه يجعل الإنسان في زنزانة، ويجعله عبداً للمال، إذ إن هذا الغني الذي يبخل ويجمع المال إنما هو موظف عند المال، وفي النهاية يكون ماله له، كما يقول الشريف الرضي: 'ما كان فاضلاً عن قوته فليعلم بأنه ميراث، فربما يحرم البخيل نفسه من المال ويدخل النار، لأنه أغمض في موارده مصادره، ثم يأتي الوارث له، فيدخل بإنفاقه المال إلى الجنة وذاك البخيل يدخل النار، وقد سبحانه وتعالى عن البخل (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لَأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)^(٤) الذي يقيه الله من

(١) سبأ: ٣٩.

(٢) المنافقون: ١٠.

(٣) المنافقون: ١١.

(٤) التغابن: ١٦.

البخل الذي لا ينفث على العطاء.

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن المهاجرين من الذين وفدوا من مكة وجاءوا المدينة صفر اليدين، وعن كيفية تعاظم الأنصار معهم: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا»^(١) أي أنهم لم يكونوا يشعرون بالضيق من أولئك المهاجرين الذين هاجروا إليهم وشردوا من ديارهم «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ»^(٢). وربما نجد في عصرنا الكثيرين من هؤلاء المهاجرين الذين يخرجهم الظغاة والمستكبرون من بلادهم لأنهم يلتزمون الخط الإسلامي الأصيل في المبدأ والتفاصيل، فينبغي على المسلمين مساندة هؤلاء المهاجرين ومساعدتهم، فقد قدم الأنصار المهاجرين على أنفسهم فمدحهم الله بقوله: «وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»^(٣)، ووقاهم شح أنفسهم «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ».

ثم يقول سبحانه وتعالى للناس الذين يبخلون عن العطاء في سبيل الله، وسبيل الله هو كل مشروع في طريق الخير مما يرضاه الله سبحانه وتعالى: «هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ»^(٤)، لأن البخل يحرم نفسه من ثواب الله ومن الأجر العظيم لجزاء الإنفاق، ويحرم نفسه من كل القيم الروحية التي يحس بها المنفق «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ». فهناك أناس طيبون خيرون يؤثرون على أنفسهم ويحسون بمشاكل الآخرين. ويتوعد الله البخلاء بقوله سبحانه وتعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ

(١) الحشر: ٩.

(٢) الحج: ٤٠.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) محمد: ٣٨.

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١) لأنهم منعوا حق الله وحق الناس، وربما أخذوا المال بطرق لا يرضاها الله سبحانه وتعالى، لأن هناك مظلومين قد يحتاجون إلى قوتك وأنت تمنع عنهم القوة.

فالبخل يتحول إلى طابع وعنصر أساسي من عناصر الشخصية، فلو أن الله سبحانه وتعالى قال أيها الناس إنني أمتحكم رحمتي لتوزعوها على الناس فماذا تكون النتيجة؟ (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لأَمْْسِكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ)^(٢) بحجة أن هذا يستأهل وهذا لا يستأهل (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا) وهذا هو الواقع اليوم عندنا، حتى أن البعض يقوم بتوزيع الجنة أو النار على هذا وذاك، والله سبحانه وتعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)^(٣)، (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)^(٤)، بينما بعض الناس يقولون إن الله لا يرحم هذا ولا يرحم ذاك، مع أنه ورد في بعض الأحاديث: ((إن لله رحمة يوم القيامة يتطاوّل لها عنق إبليس))، فعندما يرى إبليس كثرة ما يرحم الله من الناس، فإنه يقول قد يرحمني الله، وهذا كناية عن رحمة الله الواسعة، ولكن البعض يحاول أن يضيق رحمة الله على الناس، وقد يتدخل البعض بشؤون الله ويقوم بتوزيع الجنة أو النار بحسب عصبياتهم النفسية. ويقال إن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وهو من الثقة - وكما يرويها (الكافي) - قال ما مضمونه: ((نحن الشيعة ولا يدخل غيرنا الجنة))، فقال له الإمام: ((وبقية الناس يعرفون ما أنتم عليه؟)) قال: ((لا)). لأن الله سبحانه وتعالى يعطي من يستحق ومن لا يستحق كما ورد في الدعاء: ((فإن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فرحمتك أهل أن تسعني وترحمني لأنها وسعت كل شيء)). ويقال إن الإمام زين العابدين عليه السلام قال

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) الإسراء: ١٠٠.

(٣) النساء: ١١٦.

(٤) الأعراف: ١٥٦.

لبعض أبنائه: ((يا بني افعل الخير مع أهله ومع غير أهله، فإن لم يكن أهله فانت من أهله)). لذلك فإن على الإنسان أن يكون واسع الأفق وواسع العقل والمشاعر، وعلينا أن ننظر إلى الناس نظرة رحمة لا نظرة حقد، وأن نتعاون مع من نلتقي معهم في الفكر، وأن نتحاور مع من نختلف معهم، لأن القلب الذي يمتلئ حقدًا على الناس لا يمكن أن ينفع أحداً. ولذلك فإن الأنبياء ﷺ كانوا يحبّون الناس، وقد قال الله سبحانه وتعالى وهو يصف النبي ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُنُتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

ولذلك فإن عليكم - أيها الأحبة - أن تتبهاوا من خطوات الشيطان في عقولكم فيما تلتزمونه من فكر شيطاني، وفي قلوبكم فيما تتبض فيه قلوبكم من نبض شيطاني، وفي حياتكم في ما يتحرك فيه الشيطان ليعبث في حياتكم وعلاقاتكم ومعاملاتكم، فإن الله يريد للإنسان أن يعيش الخير للناس كلهم، لأن الخير يجلب الخير والعقل والقلب، وحاولوا أن تريحوا قلوب الناس بما يريح الناس به القلب من أساليب، لأن الإنسان إذا انفتح قلبه انفتح عقله، فالقلب المفتوح هو الذي يعطي المجال لانفتاح العقل، ونحن بحاجة لنفتح قلوب الناس على الله حتى تنفتح عقولهم وحياتهم على الله، والشيطان يريد أن يبعدنا عن الله ليخرجنا من الجنة كما أخرج أبونا من الجنة. وللحديث صلة إن شاء الله..
والحمد لله رب العالمين.

ولاية الشيطان (٣) التحدي العدائي للإسلام ورموزه

○ دور المسلم هو الاندماج
في كل المجتمعات ولكن مع
الحفاظ على هويته الفكرية
الإسلامية الروحية
والسياسية ○

○ منهج في المواجهة.

○ المجابهة بالمثل.

○ مقاطعة مجالس المستهزئين.

○ من القرآن الكريم إلى رحاب السُّنة.

○ المواقف السلبية مرفوضة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

منهج في المواجهة

يركز القرآن الكريم في سورتين من سوره الكريمة على دور الشيطان والتذكير به، وعلى أن يتخذ الإنسان المؤمن موقفاً حاداً من القوى المضادة بطريقة أو بأخرى، ولكن قد يتدخل الشيطان ليبعد الإنسان عن هذا الموقف ويتجه به في اتجاه آخر يبتعد به عن القاعدة الإسلامية التي قد تدخل في الموقف الديني أو السياسي أو الاجتماعي، وهذه المسألة قد تتلخص في دراسة القوى التي تختلف اتجاهاتها في مواجهة الإسلام، وذلك بالعمل على إضعافه بمختلف الوسائل والأساليب النفسية التي تُضعف روحية المسلمين، أو ببعض الأساليب الإعلامية التي تحاول تشويه صورة الإسلام إعلامياً، أو ببعض الوسائل التي تحاول تُسقط الحقوق الإسلامية سياسياً عبر قنوات يُحدث فيها بأسلوب السخرية ضد الإسلام ورموزه ورجالاته أو ضد شريعته وعقيدته ومواقفه السياسية، بحيث يُطلق الاستهزاء أو السخرية بطريقة عدوانية حادة. والمواجهة في هذه الحالة لا تكون بطريقة علمية، لأنه لم يأخذ الجانب الموضوعي في مهاجمة الإسلام، ولذلك يطلب القرآن الكريم أن تُواجه السخرية بالسخرية، فمن يحاول الاستهزاء بك بإثارة نقاط الضعف عندك حاول أن تُثير نقاط الضعف عنده بطريقة السخرية أيضاً، لأن الموقف ليس موقف فكر معارض يجتذب الفكر الآخر في عملية حوار وجدال، ولكنه موقف يراد منه أن ينطلق بأسلوب يُسقط أسلوب الآخر أو يُضعف معنوياته، وهذا ما نقرأه في تجربة النبي نوح ﷺ عندما كان يصنع الفلك في أرض ليس فيها ماء ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأْ مِنْ قَوْمِهِ

سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ^(١)، فإذا كنتم تسخرون انطلاقاً مما تثيرونه من أن السفن لا تُصنع في المناطق التي ليس فيها أنهار أو بحار، فإننا نسخر منكم لأنكم لا تحدقون بالعواقب الوخيمة التي تنتظركم، ولا تعرفون طبيعة ما نخطط له.

المجابهة بالمثل:

لذلك، فإن الموقف هو أن تدرس الأسلوب الذي يحاول إسقاط معنوياتك ونفسيك وإضعافها، فتحاول مجابهته بالأسلوب نفسه، كما في حالة الحرب التي تفرض عليك استخدام أدواتها الدفاعية. فمن يوجّه إليك صاروخاً لا يمكن أن تُقدّم إليه باقة ورد، بل لابد أن تقابله بصاروخ يدفع عنك عدوانه ويبعد عنك الهزيمة أمامه، ولكن عندما يقدم لك وردة فكرية، حاول أن تُقدّم له وردة فكرية أيضاً، باعتبار أن قضية التنوع الفكري ترتبط بحسابات العقل مع العقل الآخر، وترتبط بالقلب في حساباته مع القلب الآخر، وقد ترتبط المسألة بالكلام الذي يطلقه الإنسان مع الآخر، لذلك فعندما تكون في مجتمع، سواء كان صغيراً أو كبيراً، وتسمع هؤلاء الذين يستهزئون بآيات الله أو يكفرون به، فيتحدثون بالكلمات القاسية التي تعبّر عن موقف كفر، فإذا كان المناخ والجو يسمحان لك بالردّ فعليك عندئذ الردّ، وهذا أمر تفرضه كل العناوين الإسلامية في خط المواجهة: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، والاعتداء هنا قد يكون جسدياً أو فكرياً، أو أنه يطال الانتماء والموقف، وما إلى ذلك من العناوين التي تفرض على الإنسان المسلم أن يواجه الموقف بما يماثله ليسقط الوسائل العدوانية الموجهة ضد الإسلام وأهله.

أما إذا كنت غير قادر على ذلك، ولم تكن لك فرصة للردّ، كما لو كان هناك

(١) هود: ٣٨.

(٢) البقرة: ١٩٤.

مجتمع لا يسمح لك بأن تردّ على الخطيب الذي يتحدى الإسلام أو الذي يهاجم رموزه ورجالاته، ففي هذه الحالة، يقول لك الإسلام إن عليك الانسحاب حيث لم تستطع أن تعبّر عن رفضك بالرد بالكلمة القوية. وهذه طريقة يمارسها كل الدبلوماسيين اليوم في العالم عندما يحضرون مجلساً تُهاجم فيه الدولة التي ينتمون إليها أو التي يمثلها هؤلاء الدبلوماسيون، فينسحبون إذا هوجمت سياسة دولتهم، لأن التقاليد الدبلوماسية لا تسمح لهم بالرد على الخطيب، فإذا لم ينسحب الدبلوماسي يُعتبر ذلك إهانة لدولته.

مقاطعة مجالس المستهزئين:

وهنا يشير القرآن الكريم إلى أن المجلس الذي يُستهزأ فيه بآيات الله سبحانه وتعالى ويكفر بها ولا يعبر فيها الإنسان عن اعتراضه أو انسحابه فإنه يُعدُّ من صنف المنافقين، لأن المؤمن هو الذي تكون مواقفه تعبيراً صارخاً عن الالتزام بالإسلام بكل رموزه ونصرتة له، ولكن إذا غفل الإنسان أو سؤل له الشيطان أن لا ينسحب نتيجة الضعف والإيحاء له بالتهاول الموضوعية أمامه، فعليه أن ينتبه لذلك، كما نقرأ في الآيتين الكريمتين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾^(١)، والخوض هو كناية عن الذين يتحركون سلباً حالهم، كمن يخوض في الماء ليخطئه ويخلطه ويثير الكدر الموجود في أعماقه على السطح، أما بالنسبة لآيات الله، فإنه يعني كل العلامات التي ترتبط بالله، سواء كانت ترتبط بذاته المقدسة أو بصفاته، أو بمحاولة النيل من أسمائه الحسنى، أو كانت ترتبط بشرائعه ورسله أو برموز الإسلام من أوليائه أو بالمؤمنين السائرين على خط الإسلام، بحيث تجمع كل ما فيه حرب على مجمل الإسلام وفكره وسياسة وشريعة ومجتمعاً وأفراداً ورموزاً «فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» فإن الإسلام لا يريد أن يعزل المسلمين عن الآخرين، وهو لا يمنع المسلم من مجالسة

الكافرين أو القوى المضادة، لأن دور المسلم هو الاندماج في كل المجتمعات، ولكن مع الحفاظ على هويته الفكرية الإسلامية الروحية والسياسية، بل أن يكون في مواقع اللقاء بالآخرين عنصراً مؤثراً بالمجتمعات «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(١).

وهذه هي مهمة المسلم الذي جعل الله الدعوة إلى الإسلام من أولوياته «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢)، «الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا»^(٣). لذلك فإنه يراد للمسلم أن يعيش مع المجتمعات حتى لو اختلفت معه في الخطوط الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية، شرط أن يكون في موقع القوة في الشخصية، كما هو شأن الآخرين الذين يتعايشون مع المسلمين من خلال إحساسهم بالقوة. وقد طرح الإسلام للمسلمين أن يفتحوا على الآخرين بالحكمة والموعظة الحسنة والدفع بالتي هي أحسن، لأنه على المسلم أن يفتح على الإنسان الآخر من خلال عناصر الإنسانية في نفسه التي لا بد أن يُربّي نفسه عليها، وعناصر الإنسانية في دينه وفق الأساليب التي يتحرك فيها في خطه الإسلامي، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: «فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» وعندما تنتهي حملتهم على الإسلام فيمكنك التحدّث معهم في شؤونك الفردية الخاصة أو التجارية أو الاجتماعية أو السياسية «وَأِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ»^(٤) يعني عندما يحاول الشيطان أن ينسبك ما أراده الله منك من الموقف الاحتجاجي الصامت (بالانسحاب) ضد هذا التصرف المعادي للإسلام، لأنه ربما يوحي إليك الشيطان بما يهوّله عليك بأنهم

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الأحزاب: ٣٩.

(٤) الأنعام: ٦٨.

سيضررونك مما قد لا يكون واقعياً (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وظلموا الحقيقة والناس بهذا الاتجاه السلبي العدواني ضد الإسلام. (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ^(١) يعني أنه سبحانه لا يقول للمؤمنين الاتقياء بأنهم سيحاسبون على ما استهزأ به أولئك المتقولون زوراً على الإسلام، ولكن الله أراد لكم أن تتذكروا وأن تفتحوا عقولكم على ما يصلح أمركم وما يجعلكم تتحركون في الصراط المستقيم.

من القرآن الكريم إلى رهاب الستة

وقد علّق أكثر من نص نبويّ أو حديث من أحاديث الأئمة عليهم السلام حول هذا الموضوع، ففي تفسير علي بن إبراهيم القمي بإسناده عن عبد الأعلى بن أعين قال: قال الرسول ﷺ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يُسب فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم، فإن الله يقول (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)) ^(٢)). فالحديث النبويّ يحاول إعطاءنا المصاديق لتلك الآية الكريمة في الجانب المذهبي. وقد يحضر البعض مجلساً يُسب فيه إمام أو شخص من الأشخاص الذين يتحركون في خط الإصلاح من أجل رفع شأن المسلمين السياسي والفكري والعملي، فتعتبر تلك الجلسة جلسة غيبة فتطبق عليها الآية.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام رواه السيوطي في كتابه (تفسير الدر المنثور) قال: ((لا تجالسوا أهل الخصومات)) الجدل العقيم ((فهم الذين يخوضون في آيات الله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) ^(٣))). وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: ((إن أصحاب الأهواء من الذين يخوضون في آيات الله)) فتطبق عليهم تلك الآية، يعني الذين يتحركون وفق

(١) الأنعام: ٦٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٠٩، ج ١٣، ب ١١.

(٣) الحج: ٨.

أهوائهم وليس من خلال عقولهم ودراساتهم.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((وفرض الله على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله، والإصغاء لما أسخط الله عز وجل))^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٢)، قال عليه السلام: ((إذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به فقم من عنده ولا تُجالسه كائنًا من كان))^(٣). وقد ورد في سبب نزول هذه الآية، أن بعض المسلمين كانوا يجلسون إلى أحرار اليهود في ذلك الوقت ويسخرون من القرآن، فنهى الله المسلمين عن مجالستهم، وإلا فسيكونون مثلهم، لأن المنافق هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر ويعمل عمل الكافر، ولأن المؤمن هو الذي تكون مواقفه ممثلة لمبادئه إلا في حالات الضرورة ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

من خلال ذلك، نخرج بنتيجة، وهي أن على الإنسان المسلم أن لا يعيش الحالة الجامدة التقليدية، بل عليه أن يعيش الإسلام منهجاً وعاطفةً وفكراً في الحياة، وأن يكون موقفه موقف الإسلام في كل أموره، لأن الإسلام ليس مجرد كلمة أو فكرة، بل هو إلى جانب ذلك موقف للحياة، لأن دور الرسالات السماوية هو تغيير العالم على صورتها من حيث الشكل والمضمون لا من حيث الشكل فحسب. ولهذا، فإن على الإنسان دائماً وفي كل مواقفه الإيجابية أو السلبية، أن

(١) أصول الكافي. ج ٢١. ص ١٣. ح ٢٠٢. ب ٣.

(٢) النساء: ١٤.

(٣) بحار الأنوار. ج ١٩. ص ٣٩٠. ح ٦٠٠. ب ١٩.

(٤) البقرة: ١٧٣.

يسأل نفسه سؤالاً محدداً جداً: هل أن الإسلام يمثل بالنسبة له شيئاً يفتح به على كل وجوده الحركي والذاتي مع الآخرين؟ فإذا كان الجواب من نفسه أن الإسلام يمثل عنصراً وجودياً يجسد ذاتيته وواقعه الحركي مع الآخرين، فعليه أن ينظر إلى كل الحياة بمنظار الإسلام، بأن يكون الإسلام هو الفكر والروح والمنهج والعين التي يُبصر بها الموقف، وأن يحدد من الآخرين سلباً أو إيجاباً، موقفه من الأحداث تأييداً أو رفضاً، على أساس الخط الإسلامي سواء في الاستراتيجية أو في التكتيك، لأن على الإنسان المسلم أن يكون دقيقاً حتى في التكتيك بما لا يُسيء إلى المواقف الإسلامية الاستراتيجية، فلا يكون ذاتاً بدون هوية، بحيث يتحرك من خلال ما يضره وما ينفعه شخصاً، بل أن يعتبر نفسه في مسألة النفع والضرر مسلماً يستهدف نفع الإسلام ومنع الضرر عنه.

المواقف السلبية مرفوضة:

لذلك - أيها الأحبة - علينا أن ندرس مواقفنا السلبية والإيجابية ولا نتبع أهواءنا، وعلينا أن نحدد مواقفنا من الآخرين بحسب الخطوط التي يتمثل فيها السلب والإيجاب، سواء في المسألة الإسلامية أو المسلمين بشكل عام، وبأن يكون الإسلام هو العين التي نبصر بها في كل أمورنا، ونحن - أيها الأحبة - نواجه في مرحلتنا هذه الكثير من عناصر الاستهزاء بالإسلام والكفر به على مستوى الهجمة العالمية ضد الإسلام والمسلمين، تحت عناوين مختلفة. وربما نسمع بين وقت وآخر هجوماً على قداسة النبي ﷺ أو السيدة مريم ؑ أو على النبي عيسى ؑ، لأننا معنيون بكل الأنبياء أيضاً، أو على مستوى الحركات الإسلامية المخلصة الصادقة التي يصفونها ظلماً بالإرهاب، فإن علينا أن لا نسقط أمام ذلك، ولكن علينا أن نرد الكلمة بالكلمة، بالجدال بالتي هي أحسن، أو أن نقوم في بعض المواقع بالإعراض هنا أو الرفض هناك. فالمسألة هي أن لا نقف موقف اللامبالاة، على أساس أن بعض الناس يعيشون هذه الذهنية التي يدفعهم إليها الشيطان الذي يوحي للإنسان أن موقفه المعارض أو موقفه المخالف يعرضه

لبعض المشاكل لينجو بنفسه. وربما يطرح البعض فكرة الحياد أمام صراع التيارات والاتجاهات، ولكننا نعرف أن الحياد غير مُبرر لأيّ إنسان يحمل انتماءً فكرياً، بل عليه أن يتخذ موقفاً من الانتماء الآخر المضادّ له، ولا يجوز الالتزام بخط الأكثرية الصامتة التي قد تكون خائنة، لأن السكوت أمام الكوارث التي تصيب الأمة يعطي الطغيان والاستكبار قوة إضافية، لأنه بالسكوت والحياد، وإن لم يكن الإنسان قد نصر الباطل، إلّا أنه بذلك خذل الحق، ولهذا قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يصف موقف بعض الصحابة الذين اعتزلوا القتال الذي دار بينه وبين معاوية في (صفين): ((إنهم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل))^(١)، أي أنهم لم ينصروا معاوية، ولكنهم خذلوا الحق باعتزالهم، فلا يكفي أن لا تنصر الباطل، بل عليك أن لا تخذل الحق، وأن تكون مع الحق، وقد كانت مشكلة الإمام علي عليه السلام في كل حياته أنه كان مع الحق ((علي مع الحق والحق مع علي))^(٢) في موقفه وفي حكمه وفي حربه وسلمه، حتى قال: ((ما ترك لي الحق من صديق))^(٣) كأنه يقول لنا: لا تحافظوا على أصدقائكم إذا كان الثمن هو أن تخسروا الحق. وللحديث صلة إن شاء الله، والحمد لله ربّ العالمين.

(١) بحار الأنوار. ج ٣٨. ص ٢٩٧. ح ٣.

(٢) أصول الكافي. ج ١. ص ٢٩٤. ح ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة. ج ٩. ص ٣٩٢.

ولاية الشيطان (٤) إغواء الشيطان بالخمير والقمار

○ يستطيع الإنسان
مواجهة خطوات الشيطان
عندما يوازن بين ما يأمر
به الشيطان وبين ما يأمر
به الله ○

في أجواء الشيطان.

سبب نزول الآية.

تحريم الفواحش.

ثبات التحريم.

وسائل غير مشروعة.

جدل فقهي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

من الآيات التي تحدثت عن بعض العناوين البارزة التي تمثل خطراً على الإنسان في عقيدته وفي حياته العامة على المستوى العملي، آيتان تحدثتا عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام باعتبارهما رجساً من عمل الشيطان، ولأن الشيطان يحاول أن يستغل بعض هذه العناوين الخطيرة لكي يوجه الإنسان نحو الانحراف، على مستوى إبعاده عن الله سبحانه وتعالى، وعلى مستوى إفساد المجتمع من جهة أخرى.

في أجواء الشيطان:

وقد جاء في الآية الأولى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، فالخمر كما هو معروف عبارة عن الشراب الذي قد يستعمل من خلال عصر العنب أو غيره، وقد سُمي خمرًا باعتبار أنه يخمر العقل ويقال في اللغة: (خمرت الشيء يعني غطيته)، أما الميسر فهو القمار، والأنصاب هي النصب التي كانت تتخذ للعبادة في الجاهلية وكان يُذبح عليها للآلهة، أما الأزلام فهي القِداح التي كانوا يتداولون بها القمار أو يتفائلون بها، وأما الرجس فهو ما يُطلق على القذارة المادية أو المعنوية.

أما الآية الثانية فهي في قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ» على أساس أنهما يؤديان إلى العداوة والبغضاء فيما بين الناس «وَيَصَّدِّكُمُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا

الْبَلَاغُ الْمُبِينُ^(١). وفي هذا البحث نثير عدة نقاط:

سبب نزول الآية

النقطة الأولى: تدور حول سبب نزول هذه الآية، باعتبار أن هناك روايات من طرق أهل السنة سبب في نزول هذه الآيات وما جاء في سورة (النساء) تضيد كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢) إن الإمام علي عليه السلام وبعض الصحابة كانوا يأتون إلى الصلاة وهم سُكَارَى. ومن بعض الروايات التي فندناها في كتابنا (من وحي القرآن) ما ورد في (السيرة الحلبية) أو في كتب متأخرة كما في تفسير سيد قطب (في ظلال القرآن) مما يمكن تسميته (رواية زور)، عن أن الإمام علي عليه السلام قال: ((صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الشراب فأخذت الخمر مأخذها وحضرت الصلاة فقرأت سورة (الكافرون) مغلوطة، فأنزل الله الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾)). ومن ناحية أخرى، روى عكرمة أن الآية نزلت بحق الصحابة (أبو بكر وعمر وعثمان) وصنع لهم علي طعاماً وشرباً، ثم صلى وقرأ سورة (الكافرون) وختمها بقوله (ليس لكم دينكم وليس لي ديني). ولما نقارن بين الروایتين، نجد أن الاختلاف والتضارب بينهما يقع فيمن وضع الطعام والشراب.

ولكننا نلاحظ في رواية أخرى عن القطان عن عمر بن حمران عن سعيد بن قتادة عن الحسن البصري أنه قال: اجتمع علي وعثمان بن مظعون وأبو طلحة وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسهيل أبو بيضاء وأبو دجانة الأنصاري في منزل سعد بن أبي وقاص، فأكلوا طعاماً ثم قدم إليهم شيء من الفضيخ (عصير العنب)، فقام علي عليه السلام منهم قائلاً: لعن الله الخمر، والله لا أشرب شيئاً يذهب عقلي

(١) المائدة: ٩٠-٩٢.

(٢) النساء: ٤٣.

ويُضحك من رأني وأزوج كريمتي من لا أريد، وخرج من بينهم وأتى المسجد، فهبط جبريل بهذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...)، فقال علي: يا رسول الله، لقد كان بصري فيها نافذاً منذ كنت صغيراً، وقال حسن البصري: والله الذي لا إله إلا هو، ما شربها عليّ قبل تحريمها ولا ساعة قطّ. فهذه الرواية مفصلة وواضحة ويرويهما الثّقاة. ثم إذا أردنا دراسة المسألة من جهة أخرى، فإننا نلاحظ أن صاحب (تفسير الميزان) يورد بعض الروايات التي تؤكد أن علياً وعثمان بن مظعون كانا قد حرّما الخمر على نفسيهما قبل نزول التحريم.

ونحن لا نحتاج إلى كل هذا الكلام، فعندما ندرس الإمام علياً عليه السلام منذ طفولته، حيث أخذه الرسول صلى الله عليه وآله منذ كان عمره سنتين من عمه أبي طالب للتخفيف عنه لأنه كان كثير العيال، نجد أن علياً كان قد عاش في كنف الرسول صلى الله عليه وآله وتربى على عيّنهِ، وقد تحدث عن تلك الفترة في نهج البلاغة حيث يقول: ((كان النبي صلى الله عليه وآله يضمّني في حضنه ويشمني عرفه، وكان يلقي إليّ في كل يوم خُلُقاً من أخلاقه، وكنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أمه))، فقد تربى الإمام علي عليه السلام منذ صغره على أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله، ونحن نعرف أن النبي صلى الله عليه وآله كان في الدرجة العليا من الأخلاق والبُعد عن كل ما يسيء إلى العقل والروح والجسد، وقد وُكِّل به الله عظيماً من ملائكته، وهو جبرائيل عليه السلام، وكان في كل يوم يعلمه علماً أو خُلُقاً من أخلاقه، لذلك فمن الطبيعي أن تكون أخلاق الإمام علي عليه السلام هي نفس أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله، فمن أين يأتي الافتراء عليه بتلك الروايات؟ لا سيما أن الناس العقلاء قبل التحريم كانوا يعرفون أن الخمرة مُذهبة للعقل وتترك الإنسان متحركاً بغير وعي أو مسؤولية.

ويُنقَل عن جعفر بن أبي طالب أنه قال: ((والله ما شربت الخمر منذ عرفت أنها تذهب بعقلي))، والمعروف أن علياً كان يتفوّق على أخيه جعفر بأخلاقه وسلوكه، فإذا كان جعفر يترك الخمر لنتائجها الخبيثة على العقل، فكيف لا يتركها علي؟ لذلك فإن الروايات كان المراد منها إيجاد ثغرة في شخصية الإمام

علي ﷺ في موضوع الصراع على الخلافة، ولم أذكر تلك الرواية المفتراة على الإمام علي ﷺ في الطبعة الأولى من (وحي القرآن) لأنها رواية سخيفة، ولكن عندما قرأت ما كتبه سيد قطب وما ورد في (السيرة الحلبية)، رأيت أن أناقش تلك الرواية في الطبعة الثانية (من وحي القرآن) لكي لا يقع الإنسان في وهم من هذه الجهة، خاصة وأن بعض المشايخ والمعممين يتقولون بما لا يكذب فيه ولا يُعتد به ولا يُصدّق، فينسبون إليّ في منشوراتهم وكتبهم أنني أكدت صحة هذه الرواية المفتراة، فقلنا لهم (حدث العاقل بما لا يليق فإن لاق له فلا عقل له). هذا الجانب الأول الذي أردت التحدّث عنه، حتى إذا قرأتم شيئاً من هذا القبيل تعرفون وجوه الردّ عليه.

تحريم الفواحش:

النقطة الثانية في هذا الجانب، هي أن هناك بعض المفسرين يقولون إن الله سبحانه وتعالى تدرّج في تحريم الخمر، كما روي عن أبي هريرة أن الخمر قد حرّمت على ثلاث مراحل، إذ قدّم الرسول ﷺ على أناس وهم يشربون الخمر ويلعبون الميسر، فأنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١)، فقال الناس إنه لم يُحرّمهما عليهم وإنما بيّن خصائصهما بقوله ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فبقي بعض الناس بعد نزول تلك الآية يشربون الخمر. حتى كان في أحد الأيام أن قام أحد المهاجرين بإمامة الصلاة وأخطأ في قراءته، فأنزل الله آيةً أغلظ من الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾، وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو سكران فنزلت آية أغلظ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(٢)، فعند ذلك قالوا انتهينا يا ربنا، فقال الناس يا رسول الله: ما هو

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) المائدة: ٩١.

مصير بعض الناس الذين قتلوا في سبيل الله وكانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر قبل نزول آيات التحريم؟ فأنزل الله الآية (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا)^(١)، باعتبار أنه لم يكن محرماً عليهم في السابق، ولو كانوا يعلمون بالحرمة لتركوه. فهذه الرواية تتحدث عن أن التحريم نزل بالتدريج، وهناك روايات تفسر الآية أن البداية كانت في قوله تعالى: (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا)^(٢)، حيث نزع عن السكر صفة الحُسن، ثم قال بعدها الا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى، ولكننا نلاحظ في هذا المجال أن الله سبحانه وتعالى قد حرّم الخمر في جميع الأديان، وقد ورد الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: ((ما بعث الله نبياً قط إلا وفي علم الله أنه إذا أكمل دينه كان فيه تحريم الخمر))، ولم تزل الخمر حراماً، وليس كما يقول المسيحيون بأن السيد المسيح عليه السلام يقول إن قليلاً من الخمر يفرّج قلب الإنسان، وإنما كان التوجيه الديني للناس ينقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حُمِلَ ذلك عليهم جملةً لقطع بهم دون الدين، وكما قال الإمام الباقر عليه السلام: ((ليس أحد أرفق من الله عز وجل، فمن رفقه تبارك وتعالى أنه نقلهم من خصلة إلى خصلة، ولو حمل عليهم جملة لهلكوا)).

نبات التحريم:

ومسألة تحريم الخمر أمرٌ ثابتٌ في الإسلام، حتى ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((شارب الخمر كعابد وثن))، باعتبار أن الخمر يُسقط عقل الإنسان، فيستحل كل شيء. هذا في الجانب العام بالنسبة لهذه المسألة، ولعل أقرب تفسير للتحريم هو أن الله أنزل رسالاته على الناس لتكمل بها عقولهم، ولتطلق في الالتزام الواعي بمسؤولياتهم أمام الله، فلا يتناسب ذلك مع ترخيصهم بشرب ما يذهب العقل.

(١) المائدة: ٩٣.

(٢) النحل: ٦٧.

ونعود إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۚ﴾، والمعلوم أن كلمة الرجس تعني القذارة المادية (مثل البول والغائط والميتة) والقذارة المعنوية، كما نقول فكرٌ قذر أو سلوك قذر، وهو ما ينفر منه الناس، فإن الإنسان كما ينفر من القذارات الحسية والمادية فإنه ينفر من القذارات المعنوية، ﴿رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فالخمر هو رجس من عمل الشيطان، لأنه ينفذ إلى عقل الإنسان فيحجبه عن الواقع ويجمده وينحرف به عن التفكير المتوازن الذي يحسب فيه حساب الأشياء بشيء صحيح. ومن الطبيعي أن الشيطان يخطط لذلك، ولذلك يستطيع الإنسان مواجهة خطوات الشيطان هذه عندما يوازن بين ما يأمر به الشيطان وما يأمر به الله، بين الضرر والنافع، وبين الحسن والقبيح. وهذا إنما يتحقق في العقل الواعي المدرك المتوازن، أما إذا اختلَّ العقل ولم يملك وضوح الرؤية للأشياء ولم يتوازن في حساباته، فإن الشرَّ قد يحسبه خيراً وقد يحسب الخير شراً، والحسن قبيحاً، والقبيح حسناً. فنلاحظ أن الشيطان يزيّن الأمور القبيحة وقد يشين الحسن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(١)، فمتى يملك الشيطان أن يزيّن لهم أعمالهم القبيحة؟ ذلك عندما يفقدون الميزان الذي يميزون به بين القبيح والحسن، ولذلك ورد أن شخصاً خيراً بين خصال ثلاث، إما أن يشرب الخمر أو يزني أو يقتل شخصاً بريئاً، فعندما وازن بين تلك الأمور الثلاثة، رأى الزنى صعباً ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاكِهَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٢) فابتعد عنه وتجنّبه، وكذلك القتل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٣)، فرأى أن الخمر هو أخف الثلاثة، فشرب الخمر، وعندما أذهب الخمر عقله، زنى وقتل النفس المحرمة. فعندما كان ذلك الشخص يملك العقل قبل الشراب، فلم يزن أو

(١) العنكبوت: ٣٨.

(٢) الإسراء: ٣٢.

(٣) الإسراء: ٣٣.

يقتل، لأنه كان يوازن بين الأمور بطريقة سطحية، ولم يقدّر النتائج، ولذلك فإن هدف الشيطان هو أن يفقد الإنسان عقده، لأنه يعرف أن الله قد جعل العقل حجة على الإنسان، لأنه سبحانه يثيب الإنسان بعقله ويعاقبه بعقله.

وسائل غير مشروعة

أما مسألة خطورة الميسر (القمار)، فهو من وسائل الكسب غير المشروع التي حاربها الإسلام بكل قوة، لأن الذين يتخذون القمار وسيلة للكسب فإنهم ينزلون عن الحركة الاقتصادية في المجتمع، لأن الله أراد للمجتمع في حركته الاقتصادية أن ترفع مستواه وتحقق تلبية حاجاته، في تحقيق الاكتفاء الذاتي وفي الحصول على القوة التي تمكنه من مواجهة القوى الكبرى، ومن الطبيعي أن يعمل الناس على تطوير الصناعة والزراعة والبناء والتعليم وما يدخل في عملية التنمية الاقتصادية للمجتمع. أما المقامر، فإنه لا يقدم شيئاً لتنمية المجتمع، لأنه لم يخطط لحياته أن يكون منتجاً، فهو إنسان مجمّد الطاقات، بل هو يعيش كلاً على المجتمع والمجتمع المقامر مجتمع غير منتج. وخلاصة الفكرة أن النظرية الإسلامية الاقتصادية تركز على أن المال لا ينتج المال بفعل لعبة الشطارة بل بالجهد الفكري والجسدي القائم على الخبرة التي يقدمها الخبير للآخرين، وبذلك يحقق للحياة نموّها وحركيتها الإنتاجية، وهذه نقطة أساسية في هذا المجال.

والنقطة الثالثة: إن هذه الحمى القمارية تجعل الإنسان يلهث وراء القمار بأمل الربح حتى في حالة الخسارة، فيدفعه ذلك إلى أن يُقامر بكل شيء حتى بمقدساته، وقد ورد في تفسير قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِإِثْبَاطٍ»^(١)، يعني بالوسائل غير المشروعة للكسب، فقليل إن هذه الآية نزلت في مسألة القمار، وقد كان الرجل في الجاهلية يقامر بماله وحتى بأهله

إذا نفذ منه المال، لأن هذه الحمى تجعله لا يأمل بتعويض خسارته إلا من خلال طاولة القمار، بحيث كان يطرح على طاولة القمار كل ما يتوقع أن يقدم له الربح، وهذا ما نلاحظه في كثير من المقامرين الذين يتاجرون بزواجهم أو بناتهم ليحصلوا على المال بأية وسيلة، هذا بالإضافة إلى أن المقامر يُدمر عائلته لأنه يصرف كل ما لديه في القمار.. ولا سيما إذا عرفنا أن المشرفين على نوادي القمار يجعلون الإنسان يربح أولاً ليخسر كل شيء في نهاية المطاف، بفعل اللعبة الفنية القمارية التي تدرس ذهنية المقامرين وتعرف كيف تلعب على نقاط ضعفهم ليخسروا أو ليأتوا ثانية في كل مرة يخسرون فيها، ومن الطبيعي أن الشيطان الذي يوجه الإنسان إلى أن يأخذ بالميسر، فإنه يوجهه إلى أن يبتعد عن خط التوازن في حياته المعيشية العائلية والاقتصادية على مستوى المجتمع والأمة، وهذا ما يُدمر المجتمع ومستقبل الأمة ويبتعد بالإنسان عن التوازن في حياته الخاصة والعامة، ولذلك وصف بأنه «رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، وهنا أماننا نقطة مهمة وهي أن الميسر هو اللعبة القمارية التي تستلزم عوضاً، يعني أن يكون هناك خاسر ورابح، فالقمار متقومٌ بالعوض الذي يربحه أحد المقامرين.

جدل فقهي:

ولذلك ثار جدل فقهي بالنسبة إلى ألعاب التسلية مثل لعب الورق أو الدومينة وما أشبه ذلك في حالة ما إذا خلت من العوض. فالمشهور لدى الفقهاء أن اللعب بآلات القمار حتى لو كانت للتسلية ومن دون عوض ومن دون ربح فهي حرام، ولكن هناك بعض العلماء الآخرين يقولون إنه لا دليل على التحريم إلا من خلال الكلمة الواردة في القرآن وهي كلمة (الميسر) التي تعني القمار، فقد ورد في الحديث: ((كل ما تقومربه فهو ميسر))^(١)، فالقمار هو أن يلعب اللاعبان

(١) الروايات والأحاديث مأخوذة من:

تفسير (من وحي القرآن)، كتاب (السيرة الحلبية)، تفسير (في ظلال القرآن)، تفسير (الميزان).

على أساس أن يربح أحدهما من الآخر، فالعاب التسلية قد تكون حتى في ورق القمار، ولذلك يُفتي بعض العلماء السابقين والمعاصرين مثل السيد أحمد الخونساري صاحب كتاب (جامع المدارك)، وهو أحد الفقهاء المعاصرين الذي توفي مؤخراً، ورأينا هو كذلك أن ألعاب التسلية ليست حراماً لأنه لا ربح فيها وليست ميسراً (قماراً)، كما أنها لا تجلب العداوة والبغضاء، ولكننا نقول أيضاً بأن ألعاب التسلية لا بد أن تكون على طريقة (رُوحوا القلوب ساعة بعد ساعة)، لا على أساس أن يصرف الإنسان كل وقته عن ذكر الله وعن زوجته وأهله وعن عمله ومسؤولياته الإسلامية، كما هو البعض الذي يلعب الورق من أول الليل حتى مطلع الفجر، حتى إذا قام إلى صلاته فهو يأتي بها سريعاً ليعاود اللعب، وفعلٌ من هذا القبيل حرام وغير جائز، لأنه يصد عن سبيل الله، لئلا يقال كما يقول البعض إنهم سمعوا فتوى من السيد فضل الله بأن لعب الورق حلال من دون فهم هذا الرأي، فمثلاً إذا كان شرب الماء حلالاً فهل يشرب الإنسان عشرين غالوناً باليوم؟ وإذا قلنا إن لحم الغنم حلال، فهل يأكل الإنسان عشرين كغ منه يومياً؟ فالحلال هو أن تأخذ الحلال بما لا يضر حياتك ولا آخرتك ولا يضر جسدك ومسؤولياتك.

أما مسألة النرد والشطرنج، فسنأتي إليها في الندوة القادمة إن شاء الله..

والحمد لله رب العالمين.

ولاية الشيطان (٥) أساليبه في الصدّ عن ذكر الله

○ الألعاب قد تكون حلالاً
في العنوان الأولي، ولكنها قد
تكون حراماً بالعنوان الثانوي
عندما تصدّ عن ذكر الله وعن
الصلاة وعن المسؤوليات
العامة والخاصة ○

- الموقف الشرعي من الشطرنج والنرد.
- عود على بدء.
- الحضور الاجتماعي.
- الموقف الشرعي من الأعلام والأصنام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

الموقف الشرعي من الشطرنج والنرد:

لقد تحدثنا سابقاً عما ورد في الآيتين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾^(١)، وقلنا إن الميسر يعني لعب القمار الذي يشتمل على عوض يربحه أحد المتقارمين، بحيث يكون هناك ربح وخسارة، ومن الطبيعي أن يجلب هذا اللعب العداوة والبغضاء، لأن الخاسر مهما كان انسجامه في اللعب القماري، فإنه يشعر بالعقدة في نفسه تجاه اللاعب الآخر الذي سبب خسارته للمال في القمار.

وعلى هذا قلنا إن ألعاب التسلية، سواء كانت ألعاباً بأدوات القمار كما في لعب الورق، أو الدومنة وما إلى ذلك مما استحدثه الناس حتى على طريقة الكمبيوتر، إذا كانت للتسلية ولم يترتب عليها الربح والخسارة على مستوى اللاعبين، فإنه لا ينطبق عليها عنوان الميسر، كما هي الحال في الألعاب الرياضية التي يحاول البعض تمضية الوقت من خلالها، فأفتينا بأنها ليست محرمة، كما هو رأي الكثير من العلماء، وقد أثار الشيخ الأنصاري رحمته الله في كتاب (المكاسب) ذلك، وقال إن المطلقات الناهية عن الميسر والقمار من الآيات والروايات منصرفة إلى الفرد الغالب، وهو اللعب بالآلات المذكورة مع الرهن، وإن صدق القمار على

اللعب من دون عوض فيه نظر، وقد ناقشه أستاذنا السيد الخوئي ؑ، ولكننا لاحظنا في أبحاثنا الفقهية أن هذه المناقشات غير تامة، ولم يجد السيد الخوئي ؑ دليلاً على حرمة اللعب بآلات القمار من دون عوض، إلا المطلقات الكثيرة الناهية عن اللعب بالنرد والشطرنج وبكل ما يكون معداً للتقامر، فإنه لا شبهة فيه من وجهة نظره أن اللعب بالأموال المذكورة يعم ما كان مع المراهنة وعدمها.

وقد ناقشنا ذلك كله، إلا أن الظاهر من كلمة (الميسر) التي وردت فيها هي لعب القمار المشتمل على الربح والخسارة ولا يشتمل اللعب بغير العوض، ولكن كما بيّنا في الدَّوَّة السابقة، بأنه يجب على اللاعبين عدم الاستغراق في اللعب بما يؤثّر على مسؤولياتهم تجاه عوائلهم، وأن لا يصرفوا الوقت باللعب كثيراً، وقلنا إن ذلك حرام حتى وإن كان للإنسان أن يُسَلِّي نفسه على طريقة ((رَوْحُوا القلوب ساعة بعد ساعة))، فإن ترويح القلوب ساعة بعد ساعة لا يكون على حساب المسؤوليات العائلية والاجتماعية وغيرها، لذلك نقول إن هذه اللعبة قد تكون حلالاً في العنوان الأولي، ولكنها قد تكون حراماً بالعنوان الثانوي عندما تصدّ الإنسان عن ذكر الله وعن الصلاة وعن مسؤولياته العامة والخاصة.

عود على بدء:

ويبقى أن نتناول مسألة الشطرنج والنرد، خاصة وأن لعبة الشطرنج أصبحت عالمية ومستقلة عن لعبة القمار، وخصصت لها مؤسسات وأجريت حولها دراسات بالمستوى الذي اعتبرت فيه من الألعاب التي تتميّ الفكر، بحيث يحصل اللاعبون من خلال تحريك قطع الشطرنج من موقع إلى آخر على قوة فكرية ورياضة ذهنية.

وعلى ضوء هذا، فقد أفتى السيد الخميني ؑ بحليّة الشطرنج، وكان عنوان فتواه العامة هو تحريم اللعب بأدوات القمار حتى على سبيل التسلية، إلا أنّ الشطرنج خرج عن كونه من أدوات القمار، فخرج من موضوع التحريم، فأصبحت ألعاب الشطرنج من الألعاب المتداولة في الجمهورية الإسلامية في

إيران التي هي عضو في النادي الدولي لألعاب الشطرنج.

أما رأينا، فإن المحرّم من الشطرنج هو الشطرنج القماري، كما يظهر مما ورد في الأحاديث عن النبي ﷺ والأئمة ﷺ حول حرمة الميسر (القمار) المشتمل على الربح والخسارة، إذ يظهر أن لعبة الشطرنج تخرج عن كونها لعبة قمار، لأنها أصبحت لعبة تنمي الفكر من خلال التسلية، وكما نقرأ في بعض النصوص الواردة عن الإمام جعفر الصادق قال: ((الشطرنج ميسر والنرد ميسر))، يعني به إذا كان الشطرنج والنرد من مصاديق الميسر (القمار) فهو حرام، ولم تُحرّم بذاتها. وحينما سئل الإمام الرضا ﷺ عن الميسر قال: ((الثقل من كل شيء قال: والثقل ما يخرج بين المتراهنين من الدراهم وغيرها)) يعني الربح، وهو أساس التحريم.

وعن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: ((إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فإنهما من ميسر العجم))، لأن العرب كان سائداً عندهم لعب الميسر لكن بأدوات أخرى، لأن الشطرنج والنرد لم يكونا متعارفين عندهم، فأراد أن يقول لهم إن هذا شبيه بالميسر الذي تلعبونه، لذلك لا يجوز أن تمارسوا هذه اللعبة التي تستخدم فيها الأمم الأخرى هذه الأنواع من الأدوات أو تتداولها الأمم الأخرى.

وعلى هذا الأساس أفتيينا بأنه لا مانع من اللعب بالشطرنج والنرد شرط أن لا يكون هناك عوض داخل اللعبة. ولذلك فإننا نختلف مع السيد الخميني ﷺ الذي يقول بالحليّة إذا خرج الشطرنج والنرد عن كونهما من أدوات القمار، إذ إننا نرى أن التحريم يقوم على أساس المقامرة الذي يختزن العوض، فالمهم اللعبة القمارية وليس الأدوات. وفي ضوء ما تقدّم، فإنّ الله سبحانه وتعالى يؤكّد لنا بأن الخمر والميسر هما من العادات التي استحدثها وأوحى بها الشيطان أو شجّع عليها لأجل أن يوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وذلك لما يتركه الخمر من تأثير سلبي على عقل الإنسان، الأمر الذي يدفعه إلى القيام بالكثير من الأعمال السلبية ضد

الآخر. أما بالنسبة للميسر، فإن الأمر واضح فيه، فإنَّ الخسارة تترك أثرها النفسي في إثارة العقدة عند الطرف الخاسر. ولذلك فإنَّ الفرق بين اللعبة القمارية واللعبة الرياضية، هي أن اللعبة الرياضية تتحرك على أساس أن ينطلق الفريقان من اختبار مهاراتهم الرياضية، ثم ليعانق الخاسر الرابع، وهكذا سُميت لعبة رياضية، أما عملية القمار فهي محاربة بين المتلاعبين، وهما الرابع والخاسر، ولا سيما عندما يكون حجم الخسارة كبيراً على الخاسر ويؤثر على حياته العائلية والاقتصادية وغيرها.

الحضور الاجتماعي:

وقد أراد الإسلام للإنسان أن يختار من الشرب ما ينعش جسده ولا يترك تأثيره في عقله، كما أراد له في المسألة الاقتصادية اختيار ما ينمي عقله وثروته بالوسائل التجارية والصناعية وغيرها. والمروي عن الأئمة عليهم السلام أن التجارة لا تنحصر في الحصول على المال، بل هي مسألة لإنضاج العقل من خلال طبيعة التجربة المتحركة في العمل الاقتصادي والتجاري، التي تُضيف للإنسان في كل عملية وعلاقة تجارية علماً جديداً وعقلاً جديداً.

فقد جاء أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً له: ((إني هممت أن أدع السوق وأترك التجارة))، فأجابه الإمام: ((إذا يقل عقلك ولا ينتفع منك شيء))، فإذا تركت التجارة والسوق والعلاقات المتحركة مع الناس ولم تلاحق بالدراسة التطورات الاقتصادية في العالم وبقيت في بيتك، فإن عقلك سوف يتجمد، باعتبار أن العمل في المجال التجاري والاجتماعي يمنحك تجربة جديدة.

وقد ورد عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((والعقل حفظ التجارب))، فكل تجربة، تضيف إلى عقلك عقلاً جديداً. وقال عليه السلام: ((وخير ما جرى ما وعظك)) تجربة تعطيك فكرة جدية ووعظاً جديداً وتفتح لك آفاق المعرفة، فيما لم تكن تعرفه سابقاً. هذا بالنسبة إلى الخمر والميسر.

الموقف الشرعي من الأزيام والأصنام:

وأما الأنصاب مما ورد في الآية الكريمة، فهي كناية عن النصب التي كانت توضع ليذبح عليها القرايين للأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى، وهي شكل من أشكال الشيطان، وأي عمل شيطاني أكبر من أن يترك الناس عبادة الواحد القهار ويعبدوا أدوات الشيطان؟

أما مسألة الأزيام، فقد اختلف في تفسيرها، فإن البعض يقول إنها بعض الآلات التي كانوا يتقمارون بها على الذبيحة، فهي من أدوات القمار، والبعض الآخر يقول إنها كانت من الأدوات التي يستخيرون بها (للتفاؤل أو التشاؤم). وعلى هذا الأساس، يستشكل بعض علمائنا في الاستخارة بالمسبحة، لأنها قد تكون من الأزيام، لا سيما أنها قد تستعمل بما يشبه القرعة، كما ورد في بعض الروايات (افعل أو لا تفعل)، وكما في بعض الرقعات، حيث إنه مكتوب فيها كلمات مثل (أمرني ربي) أو (نهاني ربي). ولكن الفقهاء يقولون إن هناك فرقاً بينها وبين الأزيام، حتى لو استخدمت للتفاؤل والتشاؤم، إذ تُعتبر الاستخارة بالمسبحة أو بالقرآن نوعاً من أنواع الدعاء والابتهاال إلى الله والالتجاء إليه في وقت الحيرة الخائفة، فيختار الله له، وقد ورد في دعاء الاستخارة: ((اللهم إني أستخيرك برحمتك خيرة في عافية)) أو ((أستخير الله برحمته في عافية)) أو ((اللهم إني أستخيرك بعاقبة الأمور وأستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور، اللهم إن كان هذا الأمر مما قد نيطت بالبركة أعجازه وبواديه، وحضت بالكرامة أيامه ولياليه، فخر لي اللهم فيه خيرة ترد شموسه ذلولاً، وتقعص أيامه سروراً، اللهم إما أمر فأتّمروا وما نهى فأنتهي، اللهم إني أستخيرك برحمتك خير في عافية))، فهي من أنواع الدعاء، فإذا اطلع الله على قلب الإنسان ورآه صادقاً في الالتجاء إليه في الوقت الذي سُدَّتْ عليه أبواب الرأي في المسألة، فإن الله هو أرحم من أن لا يستجيب دعاء من دعاه واستشاره في استشارة، ولكن علينا أن نعرف بهذه المناسبة، أن الخيرة ليست من الوسائل التي يستعملها الإنسان عشوائياً، بحيث

إذا خطرت له فكرة بادر إلى الاستخارة، لأن الاستخارة مثل الدعاء، فهي ليست من الوسائل التي تكون بديلاً عن العقل، فإن الله أعطاك عقلاً، وجعل بيدك من خلال عقلك القدرة للتعرف على الأشياء الضارة والنافعة. فلماذا لم تستخدم عقلك؟ فإذا لم يصل عقلك إلى نتيجة حاسمة، فعند ذلك وضع الله بين يديك استشارة الآخرين «وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ»^(١) حتى خاطب نبيه ﷺ، وهو الغني عن الاستشارة ((وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله))، وقد ورد ((من شاور الرجال شاركها في عقولها)). فإذا تحيرت في أمر ما فارجع إلى أهل الخبرة والمعرفة «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٢) ليعرفوك فيه ما جهلت من ذلك، ويرفعوا عنك حيرتك، ولكن إذا وصلت إلى مستوى بنسبة ٥٠٪ سلباً أو إيجاباً، ولم تصل إلى نتيجة لا من ناحية التفكير ولا الاستشارة، عند ذلك عليك باللجوء إلى الله، واطلب منه ذلك «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ»^(٣). وهناك فكرة في الإسلام تقول إن الله لا يستجيب لك دعاءك إذا كنت قادراً على أن تقوم بالشئ بنفسك وتتبع الوسائل التي وضعها الله بين يديك للوصول إلى النتائج المطلوبة، وقد ورد أنه لا يستجيب الله لدعاء رجل جالس في بيته ويطلب الرزق من الله، لأن الله سبحانه وتعالى يقول له: «فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»^(٤). أو رجل يدعو على زوجته، فيقدم الله سبحانه وتعالى حلاً لمشكلته «فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ»^(٥) فقد جعل الله أمرها إليه، ورجل رزقه الله مالاً فأسرف فيه وبذره وفرط فيه فيقول الله سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»^(٦)، ألم أمرك بالاقتصاد

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) النحل: ٤٣.

(٣) يوسف: ٦٤.

(٤) الملك: ١٥.

(٥) البقرة: ٢٢٩.

(٦) الفرقان: ٦٧.

وأنهاك عن الإسراف والتبذير ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(١)، ورجل أقرض إنساناً مالا فلم يكتب عليه ولم يُشهد، فأنكر عليه ذلك المال، فیدعو عليه، فإن الله لا يستجيب له دعاءه، ويقول له ألم أمرك بالإشهاد والكتابة على القرض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ❖ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ﴾، ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾. فإن الله لا يريد للإنسان أن يكون متواكلاً، بل أن يكون متوكلاً، والتوكل على الله لا يعني أن لا تقوم بجهد أمرك الله أن تقوم به، كما هو حال ذلك الأعرابي الذي ترك دابته في الصحراء فضاغت ظناً منه أن التوكل إنما يكون بهذه الطريقة، في حين أن التوكل يجب أن يكون مقترناً بالتعقل، فقليل له (إعقلها وتوكل) يعني اربطها. وقد ورد أن المتوكلين هم الزراعون، فإن الفلاح لا يقف على الأرض بالدعاء طالباً من الله أن يعطيه شعيراً أو حنطة، بل يعمل كل جهده في تهيئة الأرض للبذار والسقي، ثم يقول يا رب هذا ما أستطيعه، وعليك الباقي. فهذا هو المقصود بفكرة الاستخارة.

وعلى ضوء ذلك، يتبين المراد من الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ باعتبار أن الاستغراق في الخمر والميسر يصدّ عن ذكر الله، وعلى الإنسان دائماً أن لا يسمح لأي شيء في حياته أن ينسيه ربه وأن يصدّه عن ذكره، وذكر الله ليس ذكر اللسان فحسب، بل هو ذكر القلب والوعي، وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: ((وذكر الله على كل حال، لا يكفي أن يقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وإن كان منه، ولكن أن تذكر الله عند ما حرم عليك فتتركه وأن تذكر الله في ما أوجب عليه عليك

فتفعله))^(١). فالذكر هو الذي يجعلك تشعر أن الله حاضر أمامك، يأمرك وينهاك، يذكرك ويبشرك. وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: ((واشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر))^(٢) وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٣) فقد يستغرق الإنسان في تجارته وفي ذاتيته، في بيته وعائلته، في لهوه وفي عبثه، في أطماعه ومشاغله، بحيث يصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة، والكثير من الناس قد يستغرق في مشاغله حتى ينسى صلاته، فتفوته اليوم والشهر والسنة، وهو يحدث نفسه إنني أقضيها بعدئذٍ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾، ونقول انتهينا يا رب العالمين.. والحمد لله رب العالمين.

(١) الأحاديث والروايات المروية في هذه المحاضرة مأخوذة من كتاب (بحار الأنوار). ج ٢٠ و ج ٢٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة. دعاؤه بخواتم الخير. ١١٥ ص ٥١. س ٣.

(٣) الحشر: ١٩.

هل اليا نصيب من القمار؟

○ اليا نصيب نوع من

المسابقة بين المشتركين، فهي

ليست عملية مغالبة، كما أن

ليس كل مغالبة قماراً ○

➤ مقاربة فقهية.

➤ آراء الفقهاء.

➤ إضلال الشيطان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

تحدثنا في الندوة السابقة عن الميسر (القمار)، وهناك عنوان جديد منتشر في العالم في الزمن المعاصر وهو (اليانصيب)، وكان قد دار حوله جدال، هل هو من القمار أم أنه خارجٌ عن مفهوم القمار؟ وعلى ضوء ذلك، انطلقت الفتاوى في حليته وفي حرمة، فمن اعتبره من القمار أفتى بحرمة، ومنهم السيد الخميني والسيد الخوئي *.

والبعض أفتى بأنه خارج عن القمار، ومنهم السيد محسن الحكيم * والسيد السبزواري *، والشيخ حسين الحلي *، ونحن نميل إلى هذا الرأي الأخير.

مقاربة فقهية

ونودُ أن نعرض بطريقة مبسطة لكلا الرأيين. أما الرأي الأول كما أفتى به السيد الخوئي * والسيد الخميني * بتحريم اليانصيب، فإنه يركز على أن القمار يعبر في معناه اللغوي عن مطلق المغالبة مع الرهن، فكلُّ عملية سباق تجري بين متسابقين ليأخذ أحدهما، وهو السابق، العوض على هذا الأساس فهو من القمار، دون أن يكون ذلك مختصاً باللعب بأدوات القمار، فالقمار كما بيّنّا في الندوة السابقة بأنه اللعب المرتكز على المغالبة، والتي يأخذ فيها الغالب العوض من المغلوب، وعلى هذا الأساس، يُعتبر اليانصيب أيضاً نوعاً من المسابقة بين المشتركين في هذه اللعبة، فمن خرج رقمه أو اسمه فيكون هو الرابع، ويكون الطرف الآخر هو الخاسر.

ولكن هناك مناقشةٌ حول هذا الموضوع كما أفاده السيد الخوئي *، وذلك

لأنّ عملية اليانصيب كما هو معروف، ليست عملية مغالبة، لأنه لا يوجد في لعبة اليانصيب أشخاص يتغالّبون مع آخرين، ولأنّ كل المشتركين في لعبة اليانصيب لا يعرف بعضهم بعضاً،

ولا يُعتبرون في حالة مغالبة مع الآخرين الذين يأخذون أوراق اليانصيب الأخرى، بل إن عملية اليانصيب إما تتطّلق من مشروع الدولة التي تطرح أوراقاً ليشتريها الجمهور لأجل إنجاز مشاريع معيّنة، مثل إنشاء المستشفيات أو دور رعاية الأيتام وما إلى ذلك، للحصول على رصيد مالي من خلال ذلك، وللتشجيع على ذلك يخصص عدة جوائز لإنجاح هذه المهمة، أو قد ينطلق من شركات تريد الترويج لبضائعها، فتطرح أوراق اليانصيب مثلاً لمن يشتري بضاعة معيّنة، بحيث يتم الترويج للبضاعة من خلال تلك الأوراق، فيأمل المشتري بالحصول على الربح عند الشراء من خلال تلك الأوراق، أو أن بعض الشركات تريد استثمار الأموال من خلال هذه الطريقة مثل لعبة (الوتو) و (التوتو) والتي عرفت مؤخراً في الغرب. فلو درسنا هذه المسألة من خلال واقعها كما هو، فإنه ليس فيها مغالبة، إن كانت صادرة من دولة أو شركة خاصة، وتلك الدولة أو الشركة لا تتغالّب مع الناس، بل للناس الحرية في أن يشتروها أو لا يشتروها، أو إذا كان الإنسان يريد الحصول على رصيد مالي من خلال ذلك، ثم يُعلن عن الفائز، والذي يتحدد بالورقة الفائزة عن طريق القرعة، ولذلك لا مغالبة فيها بين الدولة أو الشركة والمشاركين باليانصيب، فهم لا يعرف أحدهم الآخر، وكلهم يحدّقون بنتيجة القرعة، فمن يظهر رقمه يربح.

والنقطة الثانية من المسألة: إننا لا نعتبر كل مغالبة قماراً، وهو ما أكّد عليه السيد محسن الحكيم رحمته الله في رسالته العملية الفقهية (منهاج الصالحين)، حيث إنه اعتبر أن القمار هو ما تتوقّف الغلبة فيه على إعمال العقل، حيث إن المتقامرين يكونون مشدودي الفكر بلعبة القمار عن كل ما حولهم، ويركزون كل فكرهم بنقل هذه الورقة أو القطعة من هنا وهناك كما هي لعبة الشطرنج، وسواء

كانت اللعبة في المقاهي أو في النوادي العالمية، فإنهم يركّزون كل تفكيرهم في اللعبة من أجل الحصول على الربح أو تجنّب الخسارة، ولذلك فهو حرام، وقد علّق السيد الشهيد محمد باقر الصدر * على كلامه بقوله: (لا يتوقف عنوان القمار على ذلك) وفاقاً لأستاذه السيد الخوئي *، ولكننا نرى أن العرف العام لهذه الكلمة يتفق مع ملاحظة السيد الحكيم *. وعلى ضوء ذلك، فإنه إذا كانت المغالبة مجردة عن أعمال الفكر في الربح والخسارة، وتتعلق من خلال الصدفة ومن دون أن يمارس الإنسان فيها أي جهد فكري، فهذا لا يعتبر قماراً. ومن الممكن أن يستشكل أحدهم لجهة أن بعض الناس يطلق كلمة القمار ويريد منها لعبة الحظ واليانصيب، ولكنه ملحوظ من جهة أنه لا يُعرف فيها النتائج، فلا يُعتبر ذلك من القمار، مثلما يقال فلان يقامر بسمعته، فيعتبر هذا الكلام من باب الاستعارة وليس من باب الحقيقة.

والنقطة الثالثة في المسألة: هي أن الله سبحانه وتعالى قد حدّثنا في محكم كتابه عن النتائج السلبية للخمر والميسر، والتي لا تنطبق على لعبة اليانصيب (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) ^(١) فهل مَنْ يخسر لعبة اليانصيب تصيبه العداوة والبغضاء من الرابع؟ ومن خلال دراسة واقع اليانصيب، لا نرى شيئاً من ذلك، إذ لا أحد يعرف الآخر، ثم بيّنت الآية الكريمة النتيجة من الخمر والميسر كما في قوله تعالى: (وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ) وذلك عندما يستغرق المقامر في اللعبة طوال الليل - مثلاً - وينسى ذكر الله والصلاة، بينما من يشتري ورق اليانصيب فإنه ينتظر نتيجة السحب ولا يعرف المشتركين أو من هو الذي يربح أو يخسر ولا يوجد ربح أو خسارة بين شخصين، فالدولة أو الشركة تجمع هذا الرصيد المالي الحاصل من بيع اليانصيب، وهي التي تعطي من هذا المال للفائزين، ولهذا نرى أنه لا علاقة للعبة اليانصيب ولا لعبة اللوتو بالقمار من قريب أو بعيد، لعدم حصول

المغالبة كما في القمار.

آراء الفقهاء:

وكان السيد محسن الحكيم رحمته الله يبيح التعامل باليانصيب من حيث المبدأ، وكذلك كان المرحوم الشيخ حسين الحلي رحمته الله - الذي كان بمستوى المراجع ولكنه لم يصل إلى درجة المرجعية - يرى أنها من قبيل القرعة، ولكن السيد محسن الحكيم رحمته الله كان يستشكل في ورقة اليانصيب، لأنها ليست مالاً، إذ ليس لها قيمة مالية. فكان رحمته الله يقول لمقلّديه (أن يدفعوا مبلغاً للتنازل عن تلك الورقة)، وهذا نص كلامه: ((لا يجوز بيع أوراق اليانصيب. نعم، يصحّ الصلح بينهم بدفع مقدار من المال على أن يملكه ورقة اليانصيب المشتملة على الرقم الخاص على نحو يكون من أحد الأفراد الذين تكون الجائزة مرددة بينهم)). ولكننا نرى أن مالية كل شيء تكون حسب النتائج المحتملة التي يمكن للإنسان أن يحصل عليها، فطالما أنه يشتري الورقة وتضعه في عداد الذين يدخلون القرعة، فلا إشكال في ذلك. ومن باب الاستطراد، قد يسأل الرابع هل عليه تخميس المال رأساً؟ فالجواب أنه عند حلول رأس السنة يكون تخميس المال وليس في وقت الربح.

وقد أجبنا كذلك عن تساؤلات بعض مقلدنا في أوروبا وأمريكا عن اللوتو والتوتو، فقلنا لهم إنه لا إشكال فيهما. ونخرج من كل هذا البحث إلى أن اليانصيب لا يعتبر من الميسر (القمار)، وعلى ضوء هذا، نرى أن لعبة اليانصيب حلال وليست حراماً.

إضلال الشيطان:

ونعود إلى مسألة أساليب الشيطان وهمزه ونفثه ووسوسته وكيد وحبائله وخدعه وغروره وفتنته وحيله وشركه وأتباعه وأشياعه، حتى أنه ورد في الحديث أنه يجري في الإنسان مجرى الدم، حيث يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿إنه

يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ»^(١) فتلك مشكلة، وذلك أن لا ترى عدوك وهو يراك في كل مكان، فالله سبحانه وتعالى حدثنا بقوله: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ❖ وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ❖ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ❖ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^(٢). وليس هناك من يعبد الشيطان إلا طائفة تسمى (اليزيديين) - حسب ما يُقال - فهم يعبدون الشيطان بحجة اتقاء شره وليس تقديساً له، ولكن ليس هناك من يقول - فيما نعلم - إنه يعبد الشيطان، وربما تتحدث وسائل الإعلام عن طائفة في العالم تطلق على نفسها عبادة الشيطان ولكن نقرأ في بعض الآيات أن الشرك بالله هو بمستوى عبادة الشيطان، كما نقرأ في القرآن الكريم في خطاب النبي إبراهيم عليه السلام لأبيه الذي كان يعبد الأصنام فنصحته إبراهيم أن لا يعبد الشيطان «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ❖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا»^(٣)، فالأصنام لا تملك حياة ولا حساً ولا تملك أية قوة تمنع الضرر عن الناس، فكيف يعبدونها؟ فما معنى اعتبارها آلهة؟ والمفروض أن الإله هو الذي يتميز عن عباده، لأنه هو الذي يملك أمرهم ويملك شؤونهم، بينما نجد أن هذه الأصنام لا تملك شيئاً من ذلك «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا»^(٤).

ولا غرابة في أن يعلم الصغير الكبير، وفي أن يملك الولد من العلم ما لا يملكه أبوه، لأن قضية العلم لا تتصل بكبر السن وصغره، فكان النبي إبراهيم (ع) يقول لأبيه إنك في عبادتك لهذه الأصنام اتبعت الشيطان في ما أوهمك وفي ما زين لك من الأفكار بأن لهذه الأصنام أسراراً مقدسة خفية تجعلها في مقام

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) يس: ٦٠-٦٣.

(٣) مريم: ٤١-٤٢.

(٤) مريم: ٤٣.

الآلهة، فهذا من إحياءات الشيطان، وعليك أن تعرف كيف كان عصيان الشيطان لله، وأنه استكبر منذ البداية ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدُ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾^(١)، فاعتبر النبي إبراهيم ﷺ أن أباه كان يعبد الشيطان لأنه كان يخضع لما تصوّره من وجود خصائص في هذه الأحجار ويزعم أنها في موقع الألوهية.

ونقرأ في قصة (الهدهد) الذي أرسله النبي سليمان ﷺ في مهمة وتأخر عنه مرة، وظن أنه قد تمرد عليه، إذ قال الله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۖ لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾^(٢) فأراد سليمان من الهدهد معرفة سبب تأخره ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾^(٣) وهذا يعطينا الفكرة على أن الأنبياء قد لا يعلمون كل شيء في الواقع، وإلا فكيف يغيب الهدهد عن علم سليمان ﷺ حيث يتوعدّه ﷺ ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ فقال له الهدهد ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٤). ويبدو من الآية أن ذلك الهدهد كان يملك عقيدة الإيمان بالخالق سبحانه، ويعرف طبيعة الانحراف الشيطاني الذي يُبعد الناس عن عبادة الله سبحانه وتعالى، ويوحى لنا ذلك بأن الطيور أو الحيوانات قد تملك قابلية المعرفة التي أودعها الله فيها، وليست هي مجرد جسم يتحرك غريزياً، وإذا كانت الحيوانات تختلف عن الإنسان بأنها لا تملك إنتاج الفكر، إلا أن لديها قابلية التعلم، كما نلاحظ ذلك في ألعاب السيرك، حيث

(١) مريم: ٤٤-٤٥.

(٢) النمل: ٢٠-٢١.

(٣) النمل: ٢٢.

(٤) النمل: ٢٢-٢٤.

تتدرب الحيوانات على كثير من الألعاب والأوضاع، فتدُلنا الآية على أن هذا الهدد يملك من الوعي والمعرفة بحيث إنه يخاطب سليمان بكل قوة وثقة ويعلق على ما رآه ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ويشير إلى مرجع هذه العبادة ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ فخيّل لهم أن سجودهم للشمس هو الحق ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الذي يقودهم إلى الله، ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لأن هذه الفكرة الوهمية الخالية من أية قاعدة علمية خاضعة للأسس الفكرية العقيدية، هي التي منعتهم من الاهتداء بهدى العقل الذي يهدي الإنسان إلى الحق وإلى توحيد الله في كل شيء، فبين الهدد لسليمان ﷺ على أن عبادتهم للشيطان هو أساس سجودهم للشمس.

وهكذا يتكرر في القرآن موضوع تزيين الشيطان للإنسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(١).

معنى العبادة:

والمقصود بكلمة (العبادة) الطاعة المطلقة التي يستغرق فيها العابد في المعبود، بحيث يستسلم لما يأمر به أو ينهيه عنه دون تفكير أو تحفظ، وهي لا تكون إلا لله وحده سبحانه وتعالى، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢). فالعبادة هي الطاعة المطلقة التي تدفع في تنفيذ أوامر المعبود ونواهي من دون أي تساؤل أو توقف.

ثم بين الله سبحانه وتعالى مصير الأجيال الكثيرة من قبل ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ فحاولوا أن تدرسوا مصير الأجيال التي

(١) فاطر: ٦.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

أضلَّها الشيطان وواجهت مصيرها المشؤوم. «إِنَّمَا يَدْعُو حَزِيئَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ»، ولقد حذر الله سبحانه وتعالى بني آدم بشكل عام «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»^(١) لأن الشيطان أراد أن يثأر لنفسه من بني آدم ليخرجهم من الجنة، وبيّن سبحانه وتعالى أنه لا سلطان للشيطان على الإنسان سوى أنه يزيّن للناس ويحسنّ لهم القبيح ويقبّح لهم الحسن، إذ أعطاهم الله عقلاً، فلماذا لا يفكرون بعقولهم ؟ وقد أرسل الله للناس رسلاً فلماذا لا يتبعونهم ؟ وأنزل عليهم كتباً وشرائع، فلماذا لا يقرأونها ويلتزمون بها ؟ فعليهم الحجة، وأن يكونوا بالمستوى الذي أراده الله.

ولا يزال الشيطان يتحرك في دوائر الجن والإنس، وعلينا أن نتعرّف على خطواته لدى الأنس كما نتعرف عليها لدى الجن. ونحن نعرف - أيها الأحبة - أن الشيطان الأكبر يحاول أن يهدد العالم كله بقوته الاقتصادية والعسكرية والسياسية ليخضع العالم له، وهو امتداد لهذا الشيطان اليوم الذي يجري في الإنسان مجرى الدم، فعلينا الاحتراس من هذا الشيطان الأكبر.. والحمد لله ربّ العالمين.

المنهج الإسلامي في بناء الإنسان

○ كان علي رضي الله عنه يريد
للإنسان أن لا يستغرق في زاوية
نفسه ليكون إنسان الذات، بل
أراد له أن يكون مرتبطاً بالله
بكل معاني المسؤولية ○

○ عرفان علي رضي الله عنه .

○ المثل الأعلى .

○ شخصية الحق .

○ برنامج علي رضي الله عنه .

○ لنكن مع الحقيقة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

عندما ندرس حياة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام دراسة موضوعية بعيدة عما يتحدث به الناس في الخصوصيات التفصيلية لمسألة الخلافة، وهو ليس بعيداً عنها في مسألة النص وفي مسألة التقويم النبوي لشخصيته في العمق، فإننا نلاحظ أن خلافته كانت تختلف عن أية خلافة إسلامية على مدى التاريخ.

عرفان علي عليه السلام:

لذلك لا بد لنا من أن ندرس بعمق ما يتميز به الإمام علي عليه السلام في انطلاقته في آفاق الله وهو يتحرك في حياة الناس، بحيث كانت المسؤولية في وجدانه عليه السلام في كل ما تعنيه مسؤولية الإنسان بالله، هذه العلاقة التي هي - في الأصل - ليست علاقة تجريدية مطلقة، بحيث يقضي الإنسان وقته كله في الابتهاال والتعبير عن العشق في الله مما أخذ به البعض في اتجاهات التصوف، بل كانت مسألة المعرفة بالله التي تتصل بكل حركة الإنسان، منذ ولادته إلى حين مماته، وتتصل بحركة الحياة في عمراتها وتطورها وجعلها أغنى وأقوى، ولذلك فإن عرفان علي عليه السلام هو عرفان الإسلام الذي يتصل بمعنى خلافة الإنسان في الأرض، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) فأراد الله للإنسان أن يكون المخلوق الذي يعمر الأرض في عقل منفتح، ذلك العقل الذي هو رسول من داخل الإنسان إلى جانب الرسول الذي أرسله الله للإنسان ليكون عقلاً من الخارج.

لذلك، فإننا عندما ندرس الإمام علياً عليه السلام في كل حديثه عن الله سبحانه وتعالى، فإننا نرى أنه عندما كان يخاطب الناس في عصره، فإنه كان يخاطب الناس جميعاً، حيث يقول لهم: ((ليس أمري وأمركم واحداً، إنني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم)). فالإمام علي عليه السلام كان يريد للإنسان أن لا يستغرق في زاوية نفسه ليكون إنسان الذات، بل أراد له أن يكون مرتبطاً بالله بكل معاني المسؤولية.

المثل الأعلى:

فالإمام علي عليه السلام كان يقدم للناس المثل الأعلى.. كان إذا تألم فإنه يشتكي إلى الله، كما دعائه وهو يشتكي من ظلامه قريش له، أو في دعائه عندما كان يشتد الصراع في مسألة الخلافة: ((اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان)) فلسنا من الناس الذين يدخلون الصراع على الخلافة ليحصلوا على مكاسب سلطوية ذاتية تضخم لهم ذواتهم ومنافعهم الشخصية، ولم نكن من الناس الذين يعتبرون الحكم وسيلة من وسائل الاستعلاء، وهو الذي كان قد طلق الدنيا ثلاثاً، واكتفى منها بطمرين ومن طعمها بقرصين، ((ولا نرد التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك)) لقد كانت الخلافة بالنسبة لي - والحديث لعلي عليه السلام - رسالة تكمل حركة الرسالة النبوية، لأن هناك معالم للدين قد ضاعت، سواء كانت في جانب العقيدة أو الشريعة، أو في جانب الوسائل والأهداف التي يتحرك فيها الناس من أجل التوصل إلى النتائج التي يريدون، لذلك فإنني أستهدف في الخلافة مسألة أن نرد هذه المعالم إلى مستواها الصحيح، ((ونظهر الإصلاح في بلادك))، لأننا نلاحظ أن الواقع السياسي والاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي قد اتجه نحو الفساد، ولذلك فإن من مسؤوليتنا في الحكم هو أن يكون حركة لإظهار الإصلاح الذي هو طابع المجتمع الإسلامي الذي يتحرك فيه الناس، ((ونقيم المعطلة من حدودك)) ولإقامة الحدود المعطلة لأجل تطبيق القانون الإسلامي، لأن هناك انحرافاً عن الحدود الإسلامية وعن مسارها وخطها المستقيم ((فيأمن المظلومون من عبادك)) لأن

المظلومين لا يمكن أن يأمنوا على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من خلال الحكم الفاسد الذي لا يخضع لقانون أو قاعدة. فكان الإمام يخشع وهو يخاطب ربه: يا رب كنت أول من سمع الدعوة وأول من أجاب رسولك وأول من صلى معه، وسأبقى الأول أسمعك وأسمع آياتك وأستجيب لرسولك من خلال رسالتك.

وتبقى الصلاة التي كانت قرّة عين رسولك قرّة عيني، تلك التي بدأتها في بيتك الحرام وسأنهاها في بيتك، فكان الإمام علي ؑ يريد للناس أن يجتمعوا إليه ليقصدوا به، لأنه ؑ لا يعتبر الحكم حالة شخصية، بل هي - عنده - مسؤولية يخضع لها الحاكم، وكان ؑ يعيش التواضع للناس كافة، فكان يقول لهم في بعض كلماته إنه ربما جال في نظركم بأني أحب الإطراء والفخر، ولو كان كذلك لتركته لله سبحانه وتعالى.

شخصية الحق:

أيها الأحبة، لذلك كان الإمام علي ؑ يعيش المسؤولية في عقله وقلبه وحياته منذ أن انطلق مع الرسول ﷺ، فتعلّم منه أن يكون الإنسان الرسالي المسؤول على مستوى النظرية والتطبيق، وعلى مستوى الجهاد والحركة وما إلى ذلك. ولذلك نرى أن الرسول ﷺ قدّم علماً للناس بما يقدم صاحب المسؤولية المسؤول الذي سوف يحمله المسؤولية. فلماذا كان الرسول ﷺ يقول - وهو ما يذكره جميع المسلمين - ((علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما يدور)) إذ لم يكن علي - يومذاك - مسؤولاً في موقع الحكم في ذلك الوقت، فكان واحداً من المسلمين يجاهد ويعيش مع رسول الله ﷺ، فلماذا التركيز عليه إذ؟ ليس إلا لأن الرسول ﷺ أراد أن يقول للمسلمين: تطلعوا لهذا الإنسان، فهو يمثل الحق كله، وبذلك يمثل الإسلام كله، لأن الإسلام هو الحق، كما ذكرت الآية ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١)، فالإمام علي ؑ كان كل عقله حقاً،

ولم يقترب منه الباطل لا من قلبه ولا من حياته، ولم يقل الرسول ﷺ مثل تلك الكلمة بحق أحد - قريباً كان أو بعيداً - سوى الإمام علي عليه السلام، ليقوم النبي ﷺ بعملية إبحائية للتدليل على مكانة الإمام ﷺ في المستقبل.

ثم كان الرسول ﷺ يقول: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))، ولم يكن النبي ﷺ يمتلك معهداً ليوثي عليه رئاسته أو ليشجع الناس للدخول في ذلك المعهد، بل كانت الحياة الإسلامية واسعة ومنفتحة وليس فيها مواقع رسمية. فكان النبي ﷺ هو الواقع كله، وكان الناس يسألونه ويتعرفون منه على مبادئ الدين، فأراد أن يقول للناس إن علياً يملك كل ما يملكه الرسول من العلم. فكأن الرسول ﷺ أراد أن يقول للناس: إنكم إذا فقدتموني فإنكم لن تفقدوا العلم بفقدي، فقد تفقدون رسالة السماء إلى الأرض، ولكن لن تفقدوا العلم، لأن الباب لا يزال مفتوحاً على مدينة العلم من خلال علي عليه السلام، وكان الرسول ﷺ يقول: ((علي أقضاكم))، فعلي يملك ميزان الحق في كل ما يتنازع فيه الناس، وكانت كلمته الرائدة لعلي عليه السلام: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)). فالنبي ﷺ قدّم علياً للمستقبل الإسلامي من بعده قبل أن تُطرح المسألة في الساحة، لأنه أرادهم أن يعرفوا علياً في الأفق الواسع وليس كبطل للجهاد فقط، ولكن كبطل للحق والعلم والمسؤولية كلها. ولكن المشكلة هي أن القوم لم يبلغوا الرشد الثقافي الذي يملكون فيه أن يدرسوا عمق الأمور ويتعرفوا طبيعة الإحياء التي أراد الرسول ﷺ الإحياء بها، ولذلك لم يرتقوا إلى ذلك المستوى. وهذا ما جعل الناس عندما حصلت واقعة غدير (خم) لتؤكد أن علياً عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم، كما كان الرسول ﷺ - بنص القرآن - أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يذهبون يميناً وشمالاً في احتمالات لا يملك الإنسان أي تفسير فكري.

ثم إننا لا نريد - هنا - أن نخوض ما خاض به الكثيرون، ونتحدث عن سبب ابتعاد القوم عن علي عليه السلام، بحجة أنه شاب وهناك من هو أكبر سناً منه في القوم تارةً، أو أنه قد قتل صناديد قريش تارةً أخرى، أو لأن القوم لم يكونوا يفهمون

طبيعة هذا التشريع في مسألة الولاية. ولكن ما يلفت النظر هو أننا عندما ندرس ما جرى في (السقيفة) بعيداً عن كل ملابساتها، لا نجد في الذين طرحوا المسألة مَنْ قدّم برنامجاً إسلامياً، فالأنصار كان قولهم: (منّا أمير ومنكم أمير) على طريقة السياسة اللبنانية، أي على الطريقة الطائفية أو العشائرية، وتناسوا أن الإسلام بتلك العظمة، رسالة من الله انطلق وسقط في سبيله الشهداء، فكأن القوم يريدون أن يكون خليفة الرسول ﷺ من بعده من الأنصار أو المهاجرين من دون أن يتمتع بأي كفاءة أو أن يمتلك أي برنامج، وهل من الممكن لأي مجتمع أن يقدم مسؤولاً بتلك الطريقة؟! فبينما كان الرسول ﷺ وقد حضرته الوفاة وفيما كان الإمام علي ﷺ مشغولاً بتجهيزه، كان القوم يتنازعون فيما بينهم على من يخلفه، ولم يستشيروا الإمام، بل ولم يرشحوه، في حين أننا نجد في مسألة الشورى أن الذي اقترح الشورى فيما بعد كان يقول إنه ((لو ولي علي الخلافة لحملهم على المحجة البيضاء)) يعني الخط الأبيض، خط الحق، لذلك كان الإمام علي ﷺ يقول: ((فجعلها في جماعة وزعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى أقرن إلى هذه النظائر)).

برنامج علي ﷺ:

لكن علياً ﷺ عندما تسلم الخلافة فيما بعد، فإنه حدّد للناس حقه عليهم وحققهم عليه، حتى لا يفهم الناس مسألة الخلافة على أنها حق الخليفة وحسب، حتى إنه ﷺ دعا الناس في خلافته إلى أن ينتقدوا حكمه وهو المعصوم. ولذا كان يقول لهم كما ورد في (نهج البلاغة): ((لا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي أو لعدلي يعرض عليّ، فإن من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مشورة بحق أو مقالة بعدل، فإني لست فوق أن أخطئ، إلا أن يكفي الله مني ذلك)). وقد كفاه الله ذلك بعصمته.

كان علي عليه السلام . كما ورد في (نهج البلاغة)، ولم يحفظ لنا الشريف الرضي عليه السلام إلا القليل من كلام علي عليه السلام، لأنه كان يختار منه باعتباره تراثاً بلاغياً - يثقف الناس أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً وإدارياً، وكان يثقف عماله وولاته على الأمصار، فكان يعظهم ويراقبهم، لأنه كان يعيش هاجس أن يرتفع بالمجتمع إلى مستوى المسؤولية، وأن يعيشوا الإسلام فكراً وحركة وعملاً وليس مجرد اسم كما ورد في الأثر: (لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه)، حتى إنه كان يتحدث عن حالة المساجد أنها ((عامرة بالبناء ولكنها خراب من التقوى ومنها تخرج الفتنة)).

لنكن مع الحقيقة:

لذلك - أيها الأحبة - علينا أن نعرف أن علياً كان مع الحقيقة، ولذلك لا يجوز لنا أن نكون مع الخرافة باسم علي، وأنه عليه السلام كان مع العدل كله، فعلينا أن لا نكون مع الظلم، وكان علي مع العلم كله، وهو القائل: ((قيمة كل امرئ ما يحسنه))، فعلينا أن لا نكون مع الجهل، وكان مع التقدم في الوعي والفكر، فعلينا أن لا نكون مع التخلف. ومشكلة بعض الناس أنهم يوظفون الخرافة باسم علي، بزعمهم أنهم يرفعون من شأنه، ولكنهم يخطئون، لأن علياً عليه السلام أراد للناس أن ترتفع بعلمه، فكان عليه السلام يقول للناس ((إن ها هنا علماً جماً لو وجدت له حملة)). فكان يشكو أنه لم يجد من يفتح على علمه، وكان يقول لهم: ((سلوني قبل أن تفقدوني))^(١). فلم يستغلوا ذلك. فإذا كنتم السائرين بخط الولاية، فالولاية رسالة وتقدم وحقيقة علمية وثقافية، وإن مجتمع علي عليه السلام ليس هو المجتمع الذي يتحرك فيه الجاهلون والخرافيون باسم الدين والدين منهم براء، فلقد أراد عليه السلام للمسلمين أن يوجهوا سيوفهم إلى رؤوس الأعداء كما وجه سيفه إلى رأس مرحب وعمرو بن عبد ود وغيرهما، ولكننا - للأسف - نوجه سيوفنا إلى رؤوسنا باسم

(١) الروايات والأحاديث في هذه المحاضرة مأخوذة من كتاب (نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام).

علي عليه السلام وباسم الحسين عليه السلام، وقد قال بعينهم إن شيعة أهل البيت كانوا يمثلون حركة الجهاد ضد الأعداء فأصبحوا يمثلون حركة الجهاد ضد أنفسهم.

أيها الأحبة، لا يكفي أن نقول ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾^(١) تلك دعوة أهل الجاهلية، فهل ندخلها في الإسلام ونعود إلى الجاهلية؟ فسلام عليك يا أبا الحسن، يا أول القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً، وسلام عليك يوم ولدت في بيت الله ويوم استشهدت في بيت الله، وسلام عليك يوم كانت حياتك كلها لله، فاذكرنا عند ربك اشفع لنا عند الله، وادعُ لله وأنت في عليائك أن يثبتنا على الرسالة وعلى الولاية وعلى الحق كله.. والحمد لله رب العالمين.

القضية العراقية وملابساتها

○ الحرب الإعلامية تمثل

في حقيقتها سلاحاً فتاكاً من

أقسى الأسلحة في الحروب،

لأنها تمثل تشويهاً لصورة

الواقع، بحيث تجعل الواقع

بصورة مغايرة للحقيقة، أو

تجعل الإنسان في متاهات

الفرضيات والاحتمالات ○

تجارب من الماضي.

من الذي فرض (صدام)؟

تركيز الوجود الأجنبي.

تضارب مصالح المستكبرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين
الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

في أحاديثنا السابقة، كنّا نتحدث عن مفهوم الشيطان في القرآن الكريم، لأن مشكلة الإنسان منذ أن خلقه الله وحتى الآن على مدى التاريخ كله، هي مشكلة الصراع بين أتباع الإيمان بالله وبين أتباع الشيطان. وقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن شياطين الإنس والجن، وخصوصاً في المسألة الإعلامية - على حدّ تعبيرنا اليوم - كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾^(١)، لأن الحرب الإعلامية تمثل في حقيقتها سلاحاً فتاكاً من أقسى الأسلحة في الحروب، لأنها تمثّل تشويهاً لصورة الواقع، بحيث تجعل الواقع بصورة مغايرة للحقيقة، أو تجعل الإنسان في متاهات الفرضيات والاحتمالات، وكما يقال (السيناريوهات)، بحيث تترك هذه الحرب الإعلامية الإنسان في حيرة مما يأخذ به أو يدعه، وقد يكون هذا النوع من شياطين الإنس متفوقاً على شياطين الجنّ، وربما تعمل على الاستفادة من مآسي الإنسان، على مستوى الأشخاص الذين تستخدمهم لمصلحتها، على اعتبار أنهم يعيشون مشكلة ما، فيحاول هؤلاء الشياطين من خلال أجهزتهم أن يحلّوها، أو وضعاً معيناً فيحاولون السيطرة عليه، وهو ما نجده في كلّ تلك الأجهزة من المخابرات التي تخدم الدول الاستكبارية، والطفاة الموظفين لدى المخابرات الاستكبارية، بحيث نجد أن واقعنا الإسلامي مليء بالكثير من المسلمين الذين يتحركون ضد أمتهم وضد مصالح شعوبهم، على أساس استغراقهم في مشاكلهم الخاصة، وربما يندفعون كشعوب للاستغراق في آلامهم وتعقيداتهم - وهي حق - ولكن هذه الأجهزة الاستكبارية

تحاول أن تشير إليهم وتمنيهم أن الحلَّ عندها وبيدها، بحيث إنهم يستغرقون فيها ولا يلتفتون إلى المتهاتات التي يمكن أن تنتهي بهم، لأن العادة تقتضي أن الإنسان عندما يعيش مشكلة ما صعبة تتحدى كل واقعه، فإنه يستسلم لكل إشارة أمل ليتخلص من بعض اليأس بقولهم له إن الأمل عندهم.

تجارب من الماضي

وهكذا كانت تجربة العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين مع أجهزة قوى الاستكبار العالمي، متمثلةً آنذاك في بريطانيا وفرنسا وغيرهما ممن كان يتحرك تحت غطاء الاستكشافات الجغرافية أو العلمية أو التاريخية أو البحث عن الآثار القديمة، وذلك لأغراض تجسسية، فكان يتعرف على نقاط الضعف والقوة، ويرسم الخرائط للمناطق المجهولة، ولا سيما التي قد تختزن الثروات، وذلك للاستيلاء على مقدرات المسلمين، على أساس أنهم جاءوا لتخليص العرب في الشرق الأوسط من الحكم العثماني، فجاءوا أولاً للتحدث مع العرب من خلال أجهزة المخابرات التي كانت تنفذ إلى مواقع الإمارات العشائرية في الخليج، من خلال توظيف شخص بريطاني ليتعامل مع رئيس هذه العشيرة أو تلك، ولإذكاء الخلافات بين آل الرشيد وآل سعود في الجزيرة العربية، وآل مبارك في الكويت، وما أشبه ذلك، وبما كانوا يمتنون هذا الفريق أو ذاك على أساس أن لهم شأنًا كبيراً في المنطقة، فكان أولئك الأمراء يُخدعون بالوعود، ويأخذون المخصصات المالية من بريطانيا لترتيب أوضاع عشيرتهم هنا وهناك، أو للتزود بالأسلحة ضد خصومهم، وعلى أساس أن الإنجليز جاءوا محررين للعرب من السيطرة العثمانية التركية، فكان العرب يصدقون الإنجليز، وذلك بسبب ما كان يعانيه العرب، ولا سيما الشيعة، من ظلم العثمانيين.

ولكن بالرغم من مصادرة الدولة العثمانية الواقع الإسلامي لخطأ أهل البيت (عليه السلام)، فإن الحوزة العلمية في (النجف الأشرف) يومذاك أفتت بالوقوف إلى جانب الدولة العثمانية ضد الإنجليز، باعتبار أن الحوزة العلمية كانت ولا تزال

تحمل هموم المسلمين كافة، بالرغم من المخططات الاستعمارية التي كانت تهدف إلى فصلهم عن العالم الإسلامي. وهكذا انطلقت الفتاوى، فيما امتثلت العشائر لتقاتل المستعمرين من دون أن تملك أي توازن في القوى، وكانت المسألة أن الإنجليز كانوا يقولون إننا لسنا محتلين، ولكننا محررون، وعندما يتم تحرير العرب من العثمانيين فيسمنحونهم الاستقلال، وهو ما ورد في وثيقة الجنرال البريطاني (مود)، وهذه الوثيقة كما جاء في حديث الصحفي (روبرت فسك) - وهو من الصحفيين الجيدين القريبين من المسألة العربية وهو يكتب في صحيفتي (الحياة) و (الشرق الأوسط) - فيقول: (إنه في يوم ١٨/٣/١٩١٧، أصدر اللواء ستانلي مود البريطاني إعلاناً للشعب العراقي بأنه جاء لتحرير العراق من الطغاة العثمانيين)، حيث أعلن الضابط البريطاني أن جيوشهم قد جاءت محررة وليست غازية، بقوله: (يا أهل بغداد، إنكم عانيتم ٢٦ جيلاً من الطغاة الأجانب الذين كانوا يثيرون العائلات العربية ضد بعضها البعض لكي يستفيدوا من انقساماتكم، وإن هذه السياسة كريمة بنظر البريطانيين والحلفاء، لأنه لا يمكن أن يتحقق السلام والازدهار في ظل العداوة وسوء الإدارة)، يعني أنهم جاءوا محررين وموحدين للعراقيين، على اعتبار أن العثمانيين فرقوا العراقيين وخلقوا لهم المشاكل كما جاء في المذكرة البريطانية.

وهنا يعلق الصحفي (روبرت فسك) بقوله: (ما أشبه جنرال الأمس مود بجنرال اليوم طومي فرانكس الذي يقول أيضاً إنهم جاءوا محررين)، وبما يذكر بالمشاعر الكاذبة لبوش لدعوته العراقيين بقبول الاحتلال الأجنبي للعراق والتحكم بشعبه وثرواته، وهكذا يعيد التاريخ نفسه، كما توحى به كلمات المستعمرين منذ عام ١٩١٧م وحتى الآن.

من الذي فرض (صدام)؟

ولكن السؤال هو: من الذي فرض الطاغية صدام على الشعب العراقي؟ وكما هو معلوم، فإنه قد جيء 'بصدام' وبيع بعض السائرين في خطه عام ١٩٦٣م في

العراق للوقوف بوجه جمال عبد الناصر، وبحجة إيقاف التغفل الشيوعي في حكومة عبد الكريم قاسم، وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧م في فلسطين، خطّط الاستعمار أن يستعيد هؤلاء السلطة في العراق عام ١٩٦٨، لتحجيم دور المرجعية الدينية في (النجف الأشرف) والقضاء على الميراث الشيعي الممتد لأكثر من ألف عام فيها، وقد أوكل الاستعمار لعميلهم صدام استلام السلطة في العراق من البكر عام ١٩٧٩م بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، لغرض الوقوف ضد تلك الثورة وإعلان الحرب عليها لمنع تأثيرها في بقية أنحاء العالم الإسلامي، خاصة بعد التأييد المطلق لها في العراق من قبل الشهيد المرجع السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) قائد الثورة الإسلامية في العراق، فامتدت الأيدي الأثيمة لاغتياله ولإدخال العراق في النفق المظلم وعصور ما قبل التاريخ من الاستعباد والظلم والحروب هنا وهناك، فكانت حرب الثمان سنوات ضد إيران، والتي كان فيها وزير الدفاع الأمريكي الحالي (رامسفيلد) يجتمع مع صدام منذ بداية تلك الحرب التي حظيت بتأييد الأمريكان، حيث كانت الأقمار الاصطناعية الأمريكية تحدد لقوات صدام المواقع التي عليه أن يضربها في إيران باعتراف الأمريكان أنفسهم، في حين كانت دول الخليج تمول آلة الحرب الصدامية ضد الثورة الإسلامية في إيران بسبب الضغط الأمريكي بما وصل إلى عشرات المليارات، فتم بذلك تدمير الاقتصاد العراقي والإيراني والخليجي بحجة الادّعاءات الغربية لدول الخليج بأن تلك الثورة الإسلامية ستكتسحهم، وكان الموقف نفسه لباقي الدول العربية، حيث وقفت ضد الثورة الإسلامية في إيران ما عدا سوريا، فقد وقفت سوريا بقيادة الرئيس الراحل (حافظ الأسد) مع تلك الثورة ناصحاً العرب بالوقوف إلى جانبها لمواجهة العدو المشترك، وهو العدو الصهيوني، ولكن إحياءات شياطين الإنس للعرب هي التي أوصلتهم إلى ما هم عليه اليوم، لتبلغ ذروتها في احتلال الكويت عام ١٩٩٠م من قبل صدام، حيث أعطت السفارة الأمريكية (غلاسبي) في بغداد الضوء الأخضر لصدام، بحجة أن

مسألة النزاع بين العراق والكويت مسألة عربية لا تتدخل بها أمريكا، على خلفية مطالبة الكويت بعدد من مليارات الدولارات بدعوى استخراجها النفط من جنوب العراق خلال الحرب العراقية الإيرانية، فأوحى الأمريكان للكويتيين بعدم إعطاء تلك المبالغ التي يطلبها صدام ليتأزم النزاع بينهما إلى حالة الحرب. والسؤال هنا: ما هي مصلحة أمريكا من ذلك؟

تركيز الوجود الأجنبي:

والجواب هو أن أمريكا كانت بذلك تريد أن تركّز قواعدها في الخليج للسيطرة على دول المنطقة، وبمباركة من حكّام الخليج، على أساس أن صدام يشكلّ خطراً عليهم، فدخلت دول الخليج بمعاهدات دفاعية مع أمريكا وفرنسا وروسيا والصين وغيرها، وعندما تحصل مشكلة ما بين دول الخليج، تتدخل أمريكا بحجة حسم النزاع لزيادة نفوذها، كما حصل في المشكلة بين قطر، والسعودية أو بين قطر والبحرين، وقد نقلت أمريكا قاعدتها الرئيسية من السعودية إلى قطر، كما هي عليه الآن في حربها ضدّ العراق، بحجة إزاحة نظام صدام عميلها السابق، في قاعدة العديد. وهكذا استطاعت أمريكا أن تحصل على وجود شرعي لقواعدها في الخليج وموقع عليه من قبل دول الخليج. ونعرف جميعاً كيف تم إجهاض الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م التي كادت تصل إلى بغداد، فأجهضها الجيش الأمريكي عندما سمح لصدام باستخدام الطائرات والمدفعية لقصف المحافظات المحررة في الشمال والجنوب، وكانت حجة أمريكا حينئذٍ أنها تريد فقط إخراج صدام من الكويت دون إسقاط نظامه، حيث لم تنتفِ حاجتهم إليه كما هي عليه اليوم. فكان دور صدام هو مصادرة قوة الشعب وإذلاله وجعله يبحث عن لقمة عيشه بدل البحث عن كرامته وحرية المسلوبة من النظام المستبدّ، وكان دور ذلك النظام إرباك الواقع العربي والإسلامي خدمة للصهيونية، فكان في كل مرة يخرج بتصريح: أن الكويت لا تزال قضاءً عراقياً وغير ذلك من التصريحات الاستفزازية التي تكلف الأمة أثمناً باهظة.

وبعد أحداث ١١ أيلول، اكتشف الأمريكان أن شعبية (بن لادن) كبيرة في بعض دول الخليج، بسبب الرصيد الكبير للعدوان الأمريكي على المسلمين، وخاصة دعمهم للكيان الصهيوني، لذلك أرادت أمريكا أن تتدخل مباشرة في الخليج، بحيث أرادت تغيير المناهج الدراسية لدولة في كليات الشريعة والعلوم الإنسانية، بحيث يفقد المسلم أي نوع من أنواع الأخذ بأسباب القوة والجهاد، بحجة أن الإسلام هو دين التسامح والسلام، وأن تطرد من المناهج الدراسية كل كلمات الجهاد لتشمل الآيات التي تحرّض المسلم على عدم قبول الظلم، كما في قوله تعالى ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^(١) إذ يأمل الأمريكان أن تفسّر بغير معناها الحقيقي.

وبعد حرب أمريكا في أفغانستان، أخذت تفكّر بالموقع التالي الذي يمكن لها من خلاله الحصول على انتصار كبير على مستوى العالم لتؤكد قيادتها للعالم، فكانت خطتها إنهاء دور صدام بحجة إزالة أسلحة الدمار الشامل من العراق، وهي التي كانت زوّدت صدام بها، فبدأت اللعبة الدبلوماسية بين أمريكا وبقية الدول التي لم توافق على الحرب على العراق، مثل فرنسا وألمانيا وروسيا والصين بموجب قرار مجلس الأمن المرقم (١٤٤١)، والذي اتخذت منه أمريكا مبرراً للقيام بالحرب زوراً، بعد أن هددت فرنسا وروسيا باستعمال حق النقض (الفيتو) ضد قرار ثانٍ، فلم تحصل أمريكا على تسع أصوات في مجلس الأمن لقرار ثانٍ، ومع ذلك فقد شنت الحرب على العراق رغم رفض بقية الأعضاء المذكورين، وحتى غير الدائمين، مثل الباكستان والمكسيك والكاميرون وأنجولا وتشيلي.

تضارب مصالح المستكبرين

وهنا يمكن أن نسأل: هل إن فرنسا وروسيا والصين وألمانيا قد عارضت أمريكا لأجل مصلحة الشعب العراقي؟ والجواب: طبعاً، كلا، لأن تلك الدول أيضاً

تسير وفق مصالحها وتريد إثبات مكانتها مثل أمريكا . فألمانيا وفرنسا تتزعمان الاتحاد الأوروبي، وكذلك الصين، حيث تطمح لتصبح من الدول العظمى في العالم، لأن عدد سكانها اليوم أصبح أكثر من مليار نسمة، فيما تحاول روسيا استعادة دورها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، إذ إن أمريكا تخشى من ظهور محور جديد يقف بوجهها، مثل الاتحاد السوفيتي السابق، وتريد أن تبقى القطب الأوحـد في العالم، أما بريطانيا التي كانت في يوم من الأيام تُسمى بريطانيا العظمى، فقد أصبحت اليوم تابعة لأمريكا، وهي تسعى لإرباك الاتحاد الأوروبي، فأمريكا بغزوها العراق تريد السيطرة على مقدرات البترول العالمي لمدة خمسين سنة على الأقل، والذي يمثل الشريان الحيوي لاقتصاد العالم، فالمطلوب أن تملك أمريكا مصادر الطاقة في العالم حتى لو أنها كانت غير محتاجة للنفط، ولكن لأجل التحكم بالسوق العالمية، فهي تقول: (من لم يكن معنا فليس له حصة بالعراق غداً بعد الحرب)، حيث سيكون في العراق إعماراً واستثماراً، وحسب تصريح وزير الخارجية الأمريكي، سوف تعمل أمريكا على تغيير سياسة المنطقة لحساب مصالح السياسة الأمريكية، فهي لا تأتي لأجل مصلحة الشعب العراقي الذي وصل إلى أقصى حالات الألم والضياع والتشريد والقتل وما إلى ذلك، ولكن السؤال: هل إن أمريكا محررة وكأنها حماسة سلام ليتكلم (بوش) باسم الإنجيل، وأنه حريص على مصلحة الشعب العراقي وتحريره من نظام صدام؟ وقد قيل (حدث العاقل بما لا يليق فإن لاق له فلا عقل له). وهكذا فإن شعارات (بوش) المطروحة اليوم هي نفس شعارات الجنرال (مود) حين دخوله العراق عام ١٩١٧م، بحجة أنهم جاءوا محررين ولتعليم الحضارة والديمقراطية !! وكم عانى الشعب العراقي من الاستعمار البريطاني ولا يزال يعاني من تبعاته . وربما يكون نفط العراق هو الجائزة التي ستقدمها أمريكا لبريطانيا، ولا شك أن تكاليف الحرب ستحصل عليها أمريكا من نفط العراق، وكذلك بالنسبة لإعادة إعمار العراق، فمنذ الآن تستدعي أمريكا الشركات الأجنبية لاستثمار نفط العراق، فإذا عرفنا

أن العراق مدين بمقدار ٦٠ مليون دولار لحدّ الآن، فماذا يبقى للشعب العراقي؟ ورغم أنني لا أريد أن أهوّن من مشكلة وجود النظام السرطاني لصدّام كما ذكرت في نشرة (بيّنات) في عاشوراء بالمحاضرة، حيث قلت إنّنا لو أردنا المقارنة بين صدام ويزيد، بغضّ النظر عن جريمته العظمى التي تمثّلت بقتل الحسين ﷺ التي كانت أم الجرائم على مرّ التاريخ، والمقارنة ما بين طريقة صدام وطريقة يزيد، نرى أن يزيد يمثّل حماسة سلام بالنسبة لصدّام الطاغوي، ونحن نعرف - أيها الأحبة - أن الشعب العراقي مظلوم ومجروح، ولكني في الوقت نفسه لا أثق بأمريكا ولا أثق بأنّها تعطي للشعب العراقي الحرية، لأنها لم تعط دول الخليج والدول المتحالفة معها في العالم العربي والإسلامي أية حرية وأية ديمقراطية حقيقية، لأن الديمقراطية الحقيقية هي التي تجعل الشعب يدير أموره بنفسه، وهذا ما لا ترضاه قوى الاستكبار والشركات الاحتكارية والبتروولية التي تريد إدارة شؤون العراق.

لذلك فنحن في الوقت الذي نقف فيه ضد مخططات أمريكا في العراق للاستيلاء على مقدراته السياسية والأمنية والاقتصادية، فإننا ندعو إلى أية وسيلة تحفظ للشعب حريته في إسقاط الطاغية صدام اليوم قبل غد أو بعد غد، ومشكلتنا نحن أننا بين سرطانيين: (سرطان صدام) و (سرطان أمريكا)، وكما قال الشاعر:

المستجير بعمر عند كربيته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فلا بد من أن نتابع المواقف بوعي، وأن ندرس الأمور بالأفق الواسع، فالعالم الآن سوف يتغيّر بعد الحرب لعداوة أكبر ممّا كان الأمر عليه من قبل.

ولكنّ البعض يقول: ما هو الحل إذا لم نكن مع صدام أو أمريكا؟ وإننا نقول: إن الحل هو مع الشعب العراقي، وحتى لو نجحت أمريكا في إزاحة نظام صدام، فعلى الشعب العراقي أن يقود نفسه بنفسه، وأن لا يسمح بقيام حكومة تشرف عليها أمريكا، فإذا أردنا الحرية فهي ليست عنواناً للغزل، بل الحرية هي

أن يملك الشعب قراره بنفسه من خلال قياداته المخلصة غير المرتهنة لأي نفوذ أجنبي: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا»^(١).

اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة، وغير سوء حالنا بحسن حالك، وأصلح كل فاسد من أمور المسلمين، إنك أرحم الراحمين .. والحمد لله رب العالمين.

دور الشيطان في إضلال الناس

○ القرآن جاء من أجل أن

يخطط للناس حياتهم، كيف

يملكون وعي الواقع ووضوح

رؤيا الأشياء، لئلا ينخدعوا أو

يغشوا تائراً مما يقدم لهم،

كما في تقديم الباطل بصورة

الحق، أو تائراً بالذين

يشوهون الحق ويقدمونه

بصورة الباطل ○

○ خطط الشيطان.

○ مهام الشيطان.

○ لعبة الشعارات.

○ الأمانى المزيفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء الله المرسلين.

ونواصل حديثنا في تأثير الشيطان وفعله في الإنسان والمجتمع، لأن هذا العصر - كغيره من العصور - يتحرك فيه أكثر من شيطان، ولذلك علينا دائماً أن نستنطق القرآن الكريم الذي يرسم لنا الخطوط العامة للملامح الشيطان وخططه في إضلال الناس، سواء في ذلك شياطين الإنس أو شياطين الجن. ومن يقرأ القرآن الكريم، يشعر بأن القرآن يجري معه في كل حياته، وأنه ليس مجرد كلمات يفسرها من خلال القواميس، ولكنها كلمات يفسرها الواقع، فهو يؤسس لثقافة قرآنية، لأن القرآن جاء من أجل أن يخطط للناس حياتهم، كيف يملكون وعي الواقع ووضوح رؤيا الأشياء، لئلا ينخدعوا أو يُغشوا تأثراً مما يُقدم لهم، كما في تقديم الباطل بصورة الحق، أو تأثراً بالذين يشوهون الحق ويقدمونه بصورة الباطل.

وهذا هو الذي أريك الكثير من سلامة التصور الفكري للإنسان المسلم، لذلك كنّا نقول ولا نزال، إن علينا قراءة القرآن قراءة حركية، بمعنى أن نتحرك لنجد القرآن معنا في كل جيل وفي كل مرحلة من حالات الصراع. وقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام ما مضمونه أن القرآن لو نزل بقوم واختص بهم لمات القرآن عندما يموت الناس، ولكن القرآن يجري مجرى الليل والنهار ومجرى الشمس والقمر، فكما أن الزمن يتجدد ولا يقف عند مرحلة معينة، كذلك يتجدد القرآن ويبقى يخاطب الإنسان عقلاً وقلباً وحركة.

خطط الشيطان:

وعوداً على بدء، يحدثنا الله سبحانه في بعض آياته عن بعض خطط

الشيطان، من حيث العناوين الكبرى التي سار عليها في حركته الإنسان: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا﴾^(١)، والمراد منها أنهم كانوا يدعون أن الملائكة إناث ويتحدثون عنهم أنهم بنات الله وينسبونها إلى الله أو الجن، وإنما سُميت المرأة أنثى باعتبار أنها تمثل اللين والأنوثة والرقّة والنعومة، فكأن الله يتحدث عن هؤلاء الذين يعبدهم المشركون من دون الله، وهم لا يملكون القوة أو القدرة ولا الفاعلية، فكأنه يقول لهم إنكم تعبدون من دون الله ما لا غنى لكم فيه، ﴿وَأِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ والمريد هو الشديد في كفره وعصيانه، المتماذي في شره، العاري عن الخيرات، هذا المخلوق الذي يخضعون لكلّ وساوسه ويدعونه من دون الله، فيسيرون في خطئه ويتعدون عن خطئ الله سبحانه وتعالى، وهو الذي أبعد الله عن رحمته عندما استكبر ورفض السجود لآدم ﷺ، وعندما طلب من الله أن يمهله إلى يوم القيامة، أعطى الله سبحانه عنواناً كبيراً لحركته وبرنامجه عندما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(٢)، وقد ردّ الله سبحانه فعل الشيطان هذا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٣). وعباد الله هم الذين يعيشون الوعي لمسألة الإيمان بالله ومسألة الشيطان في كلّ ما يتحرك فيه. وهذا مقتضى الخطّة الشيطانية على مدى الزمن، والتي أهلكه الله فيها حيث قال: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخْدِنَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾^(٤)، بمعنى سوف أجعل لي نصيباً من عبادك، بحيث يأتمرون بأمرى وينفذون خططي ويدخلون الحرب التي أدخلها وينطلقون بالسلم الذي أنطلق فيه، لأنه عندما ينفذ هؤلاء الناس خطط الشيطان فإنهم سيكونون

(١) النساء: ١١٧.

(٢) الأعراف: ١٦-١٧.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) النساء: ١١٨.

من أتباعه.

وبحسب الظاهر فإن كلمة الشيطان تمتد لتشمل كل الشياطين التي نستوحي منها كلّ الواقع السياسي والأمني والاجتماعي، فعندما نلاحظ الطفلة، فإننا نجدهم يعملون على أن يحصلوا على أتباع لهم من الناس، سواء في البلد الذي يحكمونه، أو في العالم عندما تتسع سلطتهم على مستوى العالم، وهذا التصنيف يجري على مستوى الدول حسب موازين القوى، فمثلاً هؤلاء من جماعة أمريكا، وأولئك من جماعة روسيا، وآخرون من جماعة بريطانيا ولو أنها أصبحت تابعة لأمريكا، ولكن يبقى لها جماعتها وسياستها واقتصادها. وهكذا أيضاً عندما نلاحظ أولئك الذين يريدون إثارة الانقسام في المجتمع، سواء كان الانقسام سياسياً أو اجتماعياً أو طائفيّاً، فالفئات المسيطرة على الناس تحاول أن تجذبهم إلى تأييدها في سياستها ومصالحها وما إلى ذلك. ومن الطبيعي أن أهل الخير أيضاً يعملون على جمع الناس على الخير والإيمان، ولكنهم لا يعتبرون ذلك نصيبهم بل هو نصيب الله، لأنهم لا يتحركون من خلال حالة فتوية أو شخصية، ولكنهم يعبدون الله ويدعون له ويتحركون مع الناس في سبيل الله، كما هم الأنبياء ﷺ والأوصياء ﷺ عندما يُوجّهون الناس إلى طريق الإصلاح.

مهام الشيطان:

ونرى ما يفعله الشيطان في أتباعه، كما ورد في الآية الكريمة: **(وَلَا ضَلِيلُهُمْ)**، فالضلال - هنا - يمثل الدخول في المتهاتات التي لا يعرف الإنسان كيف يتحرك فيها بأمان، لأن المتهاتات مثل البحار والصحارى أو مثل الأجواء، فإنه عندما يفقد الإنسان (البوصلة) التي تدله على الطريق في البر أو البحر أو الجو، فإنه سيضيع، لأنه لا يعرف ملامح الطريق الذي يسير فيه، ولا يعرف الوسائل التي توصله إلى الهدف، لذلك فإن دور الشيطان أولاً هو أن يُفقد الإنسان التركيز بحيث لا يستطيع أن يتماسك، فيخضع لكل التيارات والأجواء المحيطة به، فتارةً يكون يسارياً وتارةً يكون يمينياً، ومرة يصير مسلماً أو غير

مسلم، لأنه لا يملك القاعدة، كما قال الشاعر:

إذا الريح مالت مال حيث تميل

فالشخص الذي لا يملك أرضية يقف عليها، فإن الريح تأخذه يميناً وشمالاً، فهو يميل مع الأهواء والنزوات، فيفقد البوصلة والملامح التي تهدي إلى الطريق، وينسحب ذلك عليه عندما يتحرك من دون قاعدة فكرية، فيقع في المتاهات الفكرية أو الثقافية، ولذلك ترى البعض أحياناً يختلف تصوّره عندما يكون في بيته عما هو عليه في المدرسة، أو عما هو عليه عندما يشاهد برنامجاً تلفزيونياً، فهذا معناه أن هذا الإنسان ليس لديه قاعدة فكرية يستطيع وفقاً لها تحديد موقفه أمام التيارات المختلفة، وهذا هو الضلال.

لهذا - أيها الأحبة - نقرأ في سورة (الفاتحة) قوله تعالى: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)^(١)، والمغضوب عليه هو الذي يعرف الحق ويجحده، والضال هو الذي لا يعرف الحق وهو التائه، فدور الشيطان هو أن يمنع الإنسان من أن يرتكز إلى قاعدة فكرية تحدد له معالم الطريق للقضايا التي يؤمن بها، أو يمنعه من أن يبني قاعدة سياسية تحدّد له الموقف السياسي، لأنه ليس أصعب في وقتنا الحالي من تحديد الموقف، خاصةً بعدما انطلقت السياسة لتصبح علماً وحركةً وأخطبوطاً يمد خيوطه إلى كلّ مكان، فتواجه مثلاً في الجانب السياسي المحلي مشاكل لا بد لك من أن تحدد موقفاً تجاهها، وكذلك في الجانب الإقليمي أو الدولي، بحيث تحدد لك موقفاً آخر، خصوصاً إذا كانت الخطوط السياسية الإقليمية والدولية متشابكة مع بعضها البعض، إذ في الزمان القديم، كان يمكن لكل بلد أن يحدد سياسته ضمن حدوده، أما الآن، فقد أصبح الناس قرية واحدة، وقديماً، لم تكن القضايا الاقتصادية أو السياسية مرتبطةً أو متأثرةً بالسياسة الاقتصادية العالمية، وهكذا الأمنية، أما الآن، فالوضع مختلف، فمثلاً نلاحظ القضية الفلسطينية كيف كانت وكيف هي الآن، أو قضية الاستعمار الفرنسي

والإنكليزي كيف كان بداية القرن الماضي، هذا فضلاً عن الترابط بين السياسة والفكر، فلا نستطيع الفصل بينهما، ولا يمكن تحديد الموقف السياسي من دون الانطلاق من قاعدة فكرية. وهكذا عن علاقة الجانب المحلي بالجانب الإقليمي والدولي، وكيف تتم الموازنة بين تلك الجوانب، فقد نلاحظ أن هناك أناساً، سواءً في العالم الإسلامي أو في العالم الثالث، يشتغلون بالسياسة ولكنهم لا يملكون ثقافةً سياسية، وإنما يعيشون الشعارات فقط، والثقافة السياسية ليست مجرد شيء تقرأه، ولكنها تمثل عملاً وتجربةً وحركةً، يعني أن تقرأ في الكتاب السياسي مع ملاحظة الواقع، وهذا ما ينسحب أيضاً على الجانب الأمني والعسكري، فعندما يضع الإنسان خطةً من خلال التعليمات الدراسية أو العسكرية، فإن عليه أن يغيرها حسب أرض الواقع الميداني، حيث إنه يكتشف أنه كان ينطلق من حالة فكرية تجريدية. لذلك فالمأزق الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن كمسألة الحرب في العراق، نرى فيها أن أمريكا تغير خططها حسب الظروف، بينما نحن تعودنا، سواءً في المجالات الثقافية أو في الحوزات، أن نفكر في شيء تجريدي، ما هو الممكن وما هو المستحيل، ولكن هناك شيئاً ميدانياً في الواقع مختلفاً عن الدراسة، فلا بد أن ندرس الخطة من خلال حركة الواقع.

لعبة الشعارات:

لذلك فالشياطين، سواء كانوا من شياطين الإنس أو الجن، فإنهم يعملون لجعل الناس تضيع بالخطوط والشعارات، مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهكذا عندما تتحرك أجهزة الإعلام المختلفة المقروءة والمرئية والمسموعة، فإنها تتحرك من خلال خطة سياسية تجعل الناس لا تعرف الطريق ولا الهدف، وهذه المسألة تشمل العالم غير العربي والإسلامي، وهذا ما يلاحظ في خطاب (بوش) وجوقته المتأثرة بإسرائيل، وهي تعمل لحساب الشركات الاحتكارية، فإنهم عملوا على تضليل الشعب الأمريكي وجعلوه يصدق أكثر، مع أننا نعرف أن نظام الطاغية (صدام) في العراق هو من أكثر الأنظمة دموية

ووحشية في التاريخ، وإلا فهل من المعقول تصديق أن (صدام) الطاغية يهدد أمريكا وأنه خطر على العالم وعلى الشعب الأمريكي، فعندما طرحوا موضوع أسلحة الدمار الشامل، كانت تلك الأسلحة قد زودت بها أمريكا (صدام) منذ فترة الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨م)، وقد ضرب (صدام) منطقة (حلبجة) وإيران بتلك الأسلحة، حتى إن (رامسفيلد) - وزير الدفاع الأمريكي الآن - كان يجتمع بصدام، وكذلك (دك شيني) - نائب الرئيس الأمريكي - كان قد أخذ عقداً بمبلغ (٢٤) مليون دولار. لذا، فإن الموضوع ليس أسلحة الدمار الشامل، وهي موجودة عند إسرائيل التي تمتلك (٢٠٠) رأس نوويّ وأسلحة كيميائية وبيولوجية، فضلاً عما تمتلكه أمريكا من الأسلحة الذرية والكيميائية وهي التي تصدرها للعالم. بل المسألة أنهم قاموا بعملية غسل دماغ الشعب الأمريكي أو البريطاني، وإن كانت لم تتطل على كل الرافضين للاستكبار العالمي من خلال تلك المظاهرات الضخمة في سائر أنحاء العالم، والتي لم يكن لها علاقة بالعروبة والإسلام. فالمشكلة هي أنهم يريدون بالحرب على العراق محاصرة الجميع، بما في ذلك محاصرة الدول الأوروبية.

الأمانى المزيّفة

وعودةً إلى الفكرة الأساسية، فإنّ قوله: «وَلَا ضَلِيلَنَّهُمْ» يعني أن الشيطان يخطّط ليختلط الحق بالباطل والخير بالشر، كما نرى الآن (بوش) وهو يتكلّم بالإنجيل ويدعو الله بالنصر، لذلك فإنّ خطة الشيطان هي أن يدخل الإنسان بمختلف المتاهات، والاستعداد لمواجهة هذه الخطط يكون بعدم الاستسلام لهذه الأجواء المعقدة التي تتحرك فيها العواصف على اختلاف أنواعها. ولذلك علينا أن نكون شعباً مفكراً، فعندما نسمع حدثاً - مثلاً - بالتلفزيون، أو نقرأ خبراً في الصحيفة، فإنه يجب أن نفكر بخلفيات الأمور، ونتعوّد على أن لا نعيش في الزاوية المحصورة فيها بالمشكلة، بل أن ننظر إلى المستقبل ونخطّط له، لأن المستقبل قد يكشف لنا الكثير في ما لا نعرفه في الحاضر.

﴿وَلَا مُنِيْنَهُمْ﴾ وهنا تنطلق الأمنية في خطين: في الاستغراق بالأحلام الخيالية، يفكر بالهواء، ويعيش الأوهام في مواجهة المستقبل، ويحاول أن يجعل الناس تبتعد عن الواقع وتغرق في الأحلام، والأحلام هي التي تجعلنا نخطط للمستقبل، ولكل إنسان حلمه السياسي والديني والاقتصادي، لكن علينا أن نربط بين الأحلام والواقع، وليس كما قال الشاعر:

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى ولا فقد عشنا بها زمناً رغداً

وهو منطق ليس مقبولاً، أن نترك الأمور للصدف. أو كما قال الشاعر:

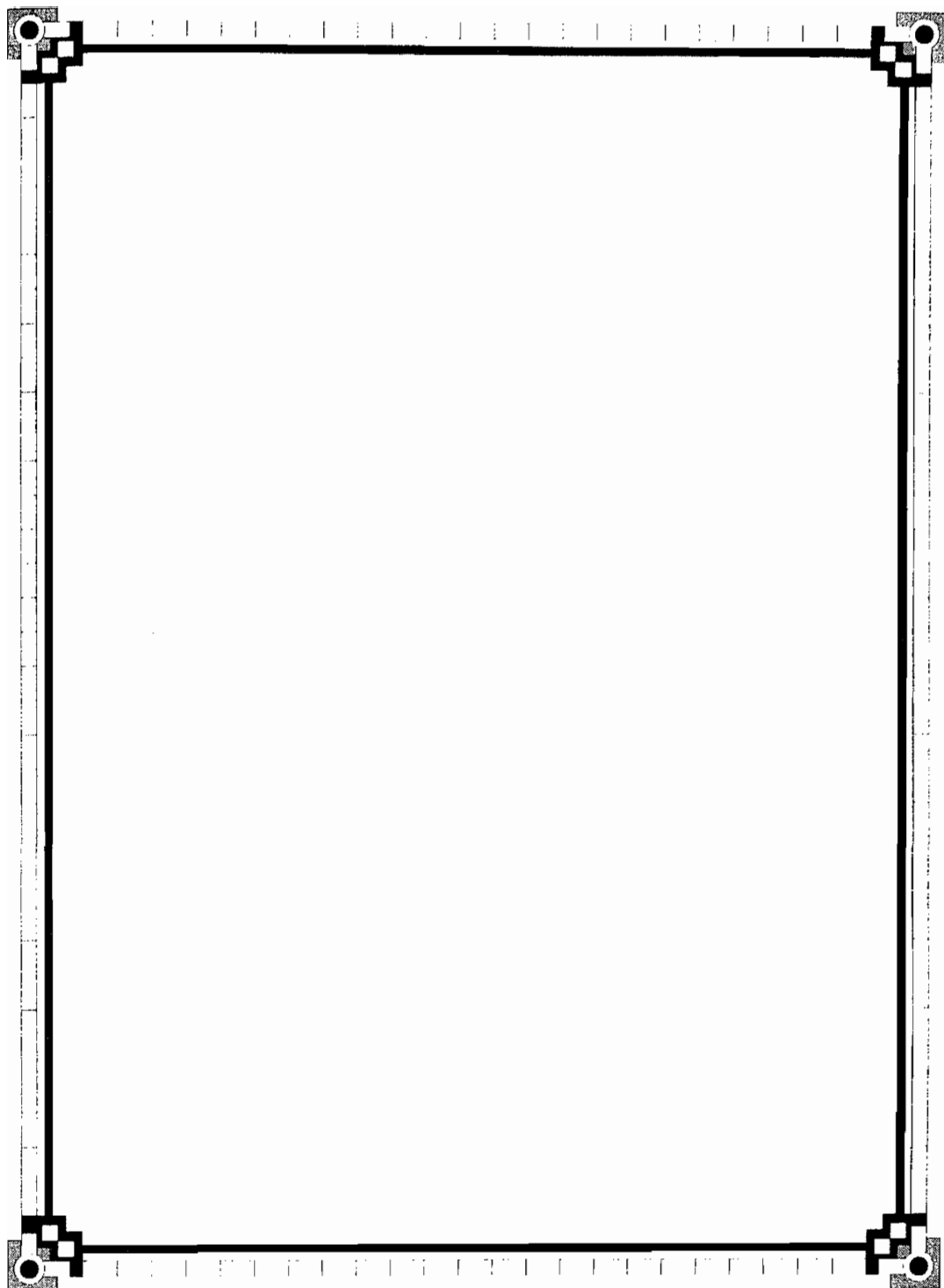
ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

يعني احبس نفسك في نفس اللحظة، ليكون لك فكرها وسياستها وأمنها. فهل هذه هي التي يمكن أن تجعل الإنسان خليفة لله على الأرض كما أراد سبحانه وتعالى؟ لذلك ينبغي أن نعطي أحلامنا جرعة من الواقع ولا تبقى معلقة في الهواء، لأنه إذا لم تستطع تحويل الأحلام إلى مشروع، فإنه لا قيمة لها، لأنها تبقى تعيش في الخيال، ولعلنا في الشرق الإسلامي نعيش الخيال أكثر من الحقيقة، ولذلك عندما يسيطر الخيال علينا ستهرب الحقيقة منا.

والجانب الثاني من الأحلام، هي تلك الأحلام الموعودة المعسولة، كما ذكرنا في الندوة السابقة، من أن الاستعمار جاء بحجة إنقاذ العالم العربي من الخلافة العثمانية، وقالوا نحن جئنا محررين، وغرق العرب بالأحلام واصطدموا بالاستعمار. وهكذا نلاحظ في الحرب التي خاضها (صدام) ضد إيران بحجة حماية البوابة الشرقية للوطن العربي، ولكنه دمر اقتصاد العرب وسياستهم، ودمر الاقتصاد الإيراني، ثم سمى هزيمته في الحرب انتصاراً، وهكذا في أكثر من موقع، والآن نسمع كلاً من الإدارة الأمريكية والإدارة البريطانية تدعيان أنهما جاءتا بهدف التحرير، فكيف ذلك؟ ومن باب الطرفة يقال إن بعض الناس تقول إن عداوة أمريكا مكلفة، ولكن صداقة أمريكا قاتلة، فأمريكا تقتل أصدقاءها حينما تستغني عنهم.

لذلك أقول إن علينا الانتباه إلى آخر الآية الكريمة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١)، فتلك الآية ليست مختصة بموضوع شرب الخمر فقط، بل تشمل السياسة أيضاً وهكذا نفهمها في كل التجربة.. والحمد لله رب العالمين.

باب الحسائل



الفصل الأول

المسائل القرآنية

□ أولاً: مسائل التفسير.

□ ثانياً: المسائل العامة.

أولاً: مسائل التفسير

الإكراه في الدين:

□ قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١) بينما نرى أن الحكم الفقهي على

المرتدّ هو القتل، فكيف نفسر هذا التناقض الظاهر؟

○ هذا ليس تناقضاً، بل إننا نفهم حكم الإسلام بالنسبة للمرتدّ لجهة أن الإسلام يقول إن لكل من تتكون له شبهة أو إشكال في الإسلام فإن علماء المسلمين على استعداد لأن يستمعوا إليه، فليقل ما عنده، فإذا أقنعوه فعليه أن يتنازل عن موقفه، وإذا لم يقنعوه فلا حجة عليه، ثم يقول له إن كان مقتنعاً بالكفر فليأخذ حريته ولكن لا يعلن ذلك، لأن إعلان الكفر في المجتمع الإسلامي يُسيء إلى التوازن في العقيدة الإسلامية للناس، ولذلك فإن الإسلام قبل من الناس الذين دخلوا الإسلام إسلامهم رغبة ورهبة، حيث قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢)، ولكن هناك من لا يريد أن يتكلم مع العلماء، ولا يريد أن يناقشهم ويناقشوه، ولا يريد إلا أن يعلن كفره أمام الناس، وهو ما يوجب إضعاف الإسلام. وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه اليهود في صدر الإسلام ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ﴾^(٣) يعني ادخلوا بالإسلام واكفروا به ليقال إنه لو لم يكن في الإسلام نقص لما ارتدّ هؤلاء، فقضية المرتد لا تتصل بحرية الفكر، بل بحرية النظام العام في الإسلام، على أن الآية الكريمة لا تقيد أكثر من أن الدين لا يتحقق إلا بالقناعة، أي لا يفرض فرضاً على المستوى الفكري، وهذا صحيح.

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) آل عمران: ٧٢.

السما ذات الرجع:

□ ذكر المفسرون للآية الكريمة: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ»^(١) أن معنى الرجع

هو المطر، فما ربط المطر بالآيات التي وردت في هذه السورة؟

○ إن هذه الآيات تتحدث عن خصائص هذه العناوين: السماء والأرض،

والله سبحانه يحدثنا عن ذلك بقدر ما يتصل الموضوع بالإنسان، والذي يتصل

بموضوع السماء بالنسبة لنا في حياتنا التي نعيشها إنما هو المطر، لقوله تعالى:

«وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ

بَهِيَجٍ»^(٢) فالمطر هو الحقيقة التي تأتي من السماء، والمراد بالسماء هو العلوّ

وليس كوكباً معيناً، ولا إشكال في ذكر المطر في هذا المقام، لأنه من إنتاج هذا

الفضاء العالي، وهو أمر يناسب الآيات بذكر السماء والأرض.

منهج الطباطبائي في التفسير:

□ ما هو المنهج المعتمد في تفسير الميزان للسيد الطباطبائي؟

○ يقوم منهج السيد الطباطبائي ﷺ على تفسير القرآن بالقرآن، ولذلك

فإنه يحاول تفسير الآية بما ذكر عنها في آية أخرى، ولعل الغالب على تفسير

الميزان هو الجانب الفلسفي، ويعتمد على الروايات الواردة أحياناً كثيرة، ويحاول

أحياناً إخضاع الآية للرواية، وربما تكون الرواية غير موثقة، وهذا ما سجلناه عليه

في ملاحظتنا على تفسير الميزان في تفسيرنا (من وحي القرآن).

التوبة للجاهلين:

□ ما المقصود بقوله تعالى «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا»^(٣).

(١) الطارق: ١١.

(٢) الحج: ٥.

(٣) النساء: ١٧.

وقد يرتكب الذنوب من يعرف حرمتها، فهل له من توبة؟

○ إن التوبة للذين لا يعملون السوء بسوء نية وإصرار، لأنها لا تشمل من يعمله بسوء نية وإصرار، كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ؟ فَإِنَّ التَّوْبَةَ لِلَّذِينَ تَكُونُ لَهُمْ سَعَةً مِنْ أَمْرِهِمْ (عَمْرِهِمْ)، وليس على طريقة فرعون الذي قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾^(٢) إذ قالها وهو على حافة الهلاك، فليس لتلك التوبة فائدة. ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٣).

القرآن وعصمة الأنبياء:

□ في القرآن آيات كثيرة تبين أن الأنبياء ارتكبوا أخطاءً، وهذا ينفي

العصمة؟

○ إنها لا تتحدث عن أخطاء بحجم المعصية، بل تتحدث عن نقاط ضعف بشرية، فالنبي قد يخاف أو يتألم، أما إنه يتمرد على الله بمعنى الخطأ والمعصية فليس كذلك، وقد يكون من باب ترك الأولى، ولنا تفصيل حول هذا الموضوع في تفسيرنا (من وحي القرآن).

حشر الوحوش:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(٤)؟

○ يعني أن الحشر هو لكل ذي نفس حي، وبمعنى أن الوحوش حينما تعتدي فإن لها حساباً معيناً، وهذا أمر لم يشرحه الله لنا بشكل مفصل.

(١) النساء: ١٨.

(٢) يونس: ٩٠.

(٣) النساء: ١٧.

(٤) التكوين: ٥.

ولاية الكافر:

□ نرجو تفسير الآية: (لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)^(١) ؟

○ يعني أن لا تتحزبوا لهم وتسقطوا أمام كبريائهم إلا أن تتقوا منهم تقاة، أي في حالة عدم الاستطاعة، وإلا فمع الاستطاعة فإنه لا يجوز ولايتهم، وأما قوله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) أي إنكم إذا لم تأخذوا بهذا النهي عن ولاية الكافرين فإن الله سيدخلكم جهنم، وسيكون ذلك موجباً لغضبه الذي يوجب استحقاق العقاب الشديد.

آية التطهير ونساء النبي ﷺ:

□ ذكرت آية (التطهير) في سياق الحديث عن نساء النبي ﷺ، فهل تشمل الآية نساء النبي أم أنها تقتصر على أصحابه؟

○ إنها تقتصر على أصحاب (الكساء)، لأن الآية نزلت لوحدها وليست متعلقة بنساء النبي ﷺ، والرواة من السنة والشيعة يقولون إنها نزلت عندما كان الرسول ﷺ في بيت (أم سلمة)، فجمع عليها وفاطمة والحسن والحسين ﷺ وضمهم تحت الكساء وكان معهم ودعا بقوله ((اللهم هؤلاء أهل بيتي ..)) ونزلت هذه الآية (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)^(٢) فقالت أم سلمة للنبي ﷺ: ((يا رسول الله هل أنا معهم؟)) فقال لها ﷺ ((أنت على خير)) وهذا النص تتفق عليه روايات السنة والشيعة، وعندما رُتّب القرآن لم يرتب على أساس تاريخ النزول، لأنه كان يتابع المسيرة الإسلامية من مكة إلى وفاة الرسول ﷺ، ولذلك تحدثت الآيات عن موضوعات مختلفة، فمنها مثلاً آية

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

نزلت في حالة حرب، وأخرى في حالة السلم، وآية موجهة إلى نساء النبي، وأخرى موجهة إلى أهل البيت، وعندما كان النبي يشرف على ترتيب القرآن، فإنه وضع هذه الآية في هذا الموضع، ومع ذلك، فإنها لا تشمل أزواج النبي ﷺ، بل تختص بأهل بيته ﷺ لما ذكرناه، وهناك أبحاث مفصلة حول هذا الموضوع.

النفس الأمارة:

□ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(١) فما هو المقصود بالاستثناء، وهل تتدخل رحمة الله لبعض الناس من دون البعض الآخر؟
○ إن رحمة الله لطف منه للإنسان جزاء عمله، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه وينتصر عليها، فيساعده الله على ذلك ولا يسلب الاختيار منه.

الشمس والنهار:

□ قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۖ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ۖ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا﴾^(٢)، والمعروف أن الشمس هي التي تظهر النور، فلولاها لما كان النهار، فكيف يجلي النهار الشمس؟

○ إن النهار حالة زمنية، فالشمس وإن كانت هي سبب النهار، إلا أن هذه الحالة الزمنية هي التي تظهر فيها الشمس، فيكون النهار بناءً على ذلك مظهراً للشمس.

إدانة الفرحين:

□ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٣)، لماذا لا يحب الله الفرحين؟

○ يعني بذلك هؤلاء الذين يعيشون حالة البطر، ذلك البطر الناشئ من

(١) يوسف: ٥٣.

(٢) الشمس: ١-٣.

(٣) القصص: ٧٦.

النعمة، فيستولي عليهم الإحساس بالغنى والاستغناء عن الله، ومثال ذلك في القرآن (قارون).

محو الليل:

□ ما معنى قوله تعالى: (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)^(١)،

فكيف يمحو الله الليل؟

○ معناه أن الله يمحو الليل بضياء النهار، وهو كناية عن انتهاء الليل وبداية النهار في هذه الدورة الكونية المعروفة.

فتق السماوات والأرض:

□ قال تعالى: (أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا)^(٢)، فما هو

تفسير ذلك؟ وهل تدل على أن السماوات والأرض كانتا واحدة؟

○ المقصود من قوله «كانتا رتقا» أي كانتا مضمومتين ملتحمتين، إما في اتصال بعضهما ببعض بحيث يكون المدلول أنهما كانتا تمثلان جسماً واحداً، أو في داخل كل واحدة منهما أو فصلنا كل واحدة منهما من أجزائها. وفي تفسير آخر كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام قيل له: ((ما هذا الرتق والفتق؟)) فقال أبو جعفر عليه السلام: ((كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات، ففتق الله السماء بالقطر وفتق الأرض بالنبات))^(٣).

أئمة النار:

□ قال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ)^(٤) فما معنى ذلك؟

○ الإمام هو الذي يقود الأمة، سواء إلى الخير أو إلى الشر، إذ هو الذي

(١) الإسراء: ١٢.

(٢) الأنبياء: ٣٠.

(٣) أصول الكافي. ج ٢٣. ص ٣٥٢. ح ٣. ب ١.

(٤) القصص: ٤١.

يتقدم الناس، والناس يأخذون بفكره وقيادته وما إلى ذلك. وهنا يراد بأئمة النار الذين يدُّون الناس على النار ويقودونهم إليها على خلاف أئمة الهدى.

الكذب إلى الله:

□ قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)^(١)، فما

معنى ذلك؟

○ (الكذب) هو ما يبذله الإنسان من جهد في طاعة الله، فالعمال مثلاً يبذلون جهدهم في العمل، فكذلك المجاهدون في الله، ولذلك يقول الله تعالى للإنسان إن دورك في الدنيا أن تعمل عند الله، وأنت الآن تعمل وستلاقي الجزاء غداً.

خشية العلماء:

□ ما معنى قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(٢)؟

○ يعني الذين يملكون العلم، وهم الذين يخشونه أكثر كما في الآية (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)^(٣)، فكلما ازدادت معرفة الإنسان بالله ازدادت خشيته له.

تكليم موسى ﷺ:

□ ما معنى هذه الآية: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)^(٤)؟

○ كلمة (تكليم) من باب تأكيد المسألة، يعني أن الله كلمه بشكل مؤكد.

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) النساء: ١٦٤.

اشتعال الرأس بالشيب:

□ هل التعبير الوارد في القرآن «واشتعل الرأس شيباً»^(١) مجاز أو حقيقي؟
 ○ هو من المجاز، لأن الاشتعال يحصل من النار فقد شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفُشُوهُ فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار وأخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته.

عداوة الأبناء والأزواج:

□ ما هي أبعاد العداوة في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ»^(٢) فتقوده وما الطريقة التي يتم بها توجيه الأبناء؟

○ قد تطلب الزوجة من زوجها ما يؤدي إلى ضلاله أو إلى معصية الله فتقوده إلى عذاب سعير، أو قد يطلب الولد من أبيه أن يقوم بأعمال تخالف رضا الله سبحانه، وذلك بسبب التأثير الذي يتركه الأولاد والأزواج لدى العلاقة وطبيعتها. وقد فسر الله لنا عداوة الشيطان «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ»^(٣)، أي احذروهم ولا تستسلموا لهم، فعندما تطلب منك زوجتك أو ولدك شيئاً معيناً، فعليك أن تكون حذراً وتدرس الطلب هل هو في رضا الله أو لا ؟ أما كيفية توجيه الأولاد، فعلينا أن ندرس نفسياتهم وندرس نقاط الضعف والقوة لديهم، وندرس الأساليب التي يمكن أن نتحرك فيها، حتى نفتح فيها عقولهم وقلوبهم بهذه الطريقة، لأن الأبوين يتحملان المسؤولية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

(١) مريم: ٤.

(٢) التغابن: ١٤.

(٣) فاطر: ٦.

وَالْحِجَارَةُ^(١) وَ(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)^(٢).

رجع السماء:

□ في قوله تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ)^(٣)، هل يمكن تفسير هذه الآية على أساس الحقائق العلمية أم مصداقها هو المطر؟ وإذا فسرت على أساس الحقائق هذه فهل يعتبر ذلك تفسيراً على أساس الرأي؟

○ تفسير (الرجع) هو المطر. ولكن تفسير القرآن باكتشافات علمية فيه نقطتان سلبيتان. أولاً: إن الكلمة قد لا تتحمل هذا الاكتشاف العلمي، فمثلاً هناك من يفسر قوله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)^(٤) بما انتهت الاكتشافات العلمية في الذرة، ولكن المراد من الذرة في الآية أصغر جزء، ولذا لا نستطيع تحميل الكلمة معنى لم يلتفت إليه أحد من المسلمين على طول التاريخ.

وثانياً: إن الاكتشافات العلمية متحركة. اليوم تكتشف نظرية وبعد عشر سنين تتبدل النظرية أو يكتشف خطأها، فعندما يفسر القرآن بتلك النظرية ويظهر خطأها فمعناه أن القرآن أخطأ، ولذلك فإن تفسير القرآن علمياً يختلف بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية. فما كان من الحقائق العلمية فإنه من الممكن أن يكون مراداً شرط أن يكون منسجماً مع اللفظ، وأما تفسير القرآن بالنظريات العلمية، فإنه موقف خطر كما لو استند في تأييد نظرية (داروين) في أصل الأنواع إلى القرآن، لأنها نظرية منطلقة من استنتاجات ودراسات أثبتت فشلها.

سيل الأودية:

□ ما معنى قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا

(١) التحريم: ٦.

(٢) طه: ١٣٢.

(٣) الطارق: ١١.

(٤) الزلزلة: ٧.

فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَيْدًا رَابِعًا^(١) ؟

○ (الزبد) هو المادة التي تطفو فوق الماء أو عند صهر الذهب (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) وهو ما يظهر عند الاشتعال كما في صناعة الذهب والحلي أو اتخاذ الأواني والآلات المصنوعة من الحديد والمعادن، فيظهر شيء مثل الزبد. (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) وقد شبه الباطل بالزبد، الزبد الذي يكون فوق الماء لأنه لا استقرار له ولا بقاء بل يرمى خارجاً. أما ما ينفع الناس فهو نفس الماء، فإنه يمكث في الأرض ويتحول إلى خزانات جوفية، وهذا هو مثل الحق، فالباطل قد يطفو ويظهر ولكنه يذهب مثل الزبد، والحق يتعمق لأنه في مصلحة الإنسان وفي حياة الإنسان.

وصف الليل باللباس:

□ قال تعالى في كتابه: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا)^(٢) ، فما معنى ذلك؟

○ لأن اللباس يستر الإنسان، وكذلك ظلام الليل عندما يكون دامساً، فإنه يكون ساتراً عن العيون إذا أريد الهرب من العدو أو بياتاً له أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور.

تحريم الخنزير:

□ هل كان الخنزير معروفاً ويؤكل في الجزيرة العربية حين نزول آية التحريم؟ وكيف فسر لهم الرسول ﷺ أسباب التحريم؟ وهل هو محرم أيضاً في الديانات الأخرى؟

○ قال الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)^(٣)

(١) الرعد: ١٧.

(٢) النبأ: ١٠.

(٣) الحشر: ٧.

والظاهر أن أهل الجزيرة العربية لم يكونوا يأكلون الخنزير ما عدا النصارى، إذ إن اليهود لم يكونوا يأكلون لحم الخنزير أيضاً، ولكن التحريم لا يختص بهم، فهو حكم عام لجميع المسلمين في كل زمان ومكان. والآية تقول: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا»^(١). وهناك دراسات تفيد أن هناك أضراراً في لحم الخنزير.

المغارب والمشارك:

□ قال الله سبحانه وتعالى: «رَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ»^(٢) وفي آية أخرى «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»^(٣)، فلماذا ذكر ذلك في صيغة الجمع مرة، وفي صيغة المثنى في الآية الأخرى؟

○ ذلك بحسب طبيعة حركة الكرة الأرضية، فكلاهما صحيح، لوجود عدة مشارق وعدة مغارب، فالشمس مثلاً عندما تغرب عندنا فهي تشرق في بلدان أخرى التي يكون فيها الزمن متفاوتاً، وبذلك يستفاد من القرآن الكريم كروية الأرض، فلو كانت الأرض مسطحة لكان لها مشرق واحد ومغرب واحد، وربما كان يشار بذلك إلى تعدد الشروق والغروب في مواقع النجوم التي تمتد في الفضاء، وأما التعبير بالمشئ، فربما يراد مشرقاً الشمس والقمر ومغرباهما، وربما اختلاف مشرقها ومغربها تبعاً لاختلاف مواقع الكرة الأرضية.

معنى الصمد:

□ ما معنى قوله تعالى: «اللَّهُ الصَّمَدُ»؟

○ يعني أنه الذي يقصد إليه في الحوائج، وهو المقصد في الحوائج ولا

(١) الأحزاب: ٣٦.

(٢) المجاز: ٤٠.

(٣) الرحمن: ١٧.

مقصد غيره.

الأنساب يوم القيامة:

□ جاء في الآية الكريمة: (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) ^(١) وقال الرسول ﷺ: ((كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي)). وقال الإمام علي عليه السلام: ((إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته)). فما الاختلاف في ذلك؟

○ هناك تحفظ على بعض هذه الأحاديث، لأن القرآن هو الأساس، ويُرد علمها إلى أهلها، فالنسب ليس قيمة بنفسه، فهو يحملك المسؤولية، فإذا انتسبت إلى النبي ﷺ فستتحمل مسؤوليته، لذلك قال الشاعر:

إذا العلوي تابع ناصبياً فما هو من أبيه
وكان الكلب منه خيراً لأن الكلب طبع أبيه فيه

كما أننا نلاحظ أن الله تحدث بالهلاك عن أبي لهب عم النبي ﷺ، ولم يتحدث عن أبي جهل وأمثاله، مع أنه قد يكون أشد كفراً وإيذاءً للنبي والإسلام، فقول الإمام علي عليه السلام هو الموافق للقرآن، وذلك ما استشهد به في قوله تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ) ^(٢)، لذلك يروى أن ابن طاووس جاء الإمام السجاد عليه السلام ورآه يبكي بكاء الشاغل الحزين في سجوده عند فناء الكعبة، فقال له: ((أبوك علي وجدك رسول الله وأملك فاطمة))، فقال له السجاد عليه السلام: ((دع عنك حديث أمي وأبي وجدتي، خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً))، فالنسب وحده لا يكفي إلا مع العمل، وكما قال الشاعر أبو فراس الحمداني: (كانت مودة سلمان لهم رحماً) - في إشارة إلى قوله عليه السلام ((سلمان منا أهل البيت)) ^(٣) - ((ولم يكن بين نوح وابنه

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٩٢ ح ٤٤ ب ١٣.

رحم))^(١) في إشارة إلى قوله تعالى: «قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ»^(٢).

ولد الله:

□ ما المقصود بهذه الآية «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ»^(٣)؟

○ يعني إن تزعمون أنه خلقه في عالم الغيب أو في عالم الحس وتعبدونه كما تعبدون الله لاعتقادكم بأنه ذو قدرة وسيطرة في سرّ الألوهية الكامنة في ذاته يستمدّها من علاقة النبوة التي تربطه بالله، فأنا أول العابدين لهذا الولد، لأن من الطبيعي أن يعبد الإنسان ابن الله من خلال عبادته لله، ولكن كيف تثبتون ذلك؟ وما هو دليلكم عليه؟ فإنني لا أجد لذلك أي أثر من حجة أو دليل، ولذلك فإنني أعبد الله وحده ولا أعبد غيره، لأنه لا شريك له في الألوهية ولا في العبادة من ولد أو غيره، سبحانه رب السموات والأرض ورب العرش عما يصفون له من الولد، والله العالم.

ورود النار:

□ هل تعني الآية الكريمة: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا»^(٤) أن كل مخلوق لابد أن

يدخل النار؟ وكيف ذلك بالنسبة للصديقين والصالحين؟

○ بعض المفسرين يقول إن كلمة (واردها) تعني يمر عليها أو يصل إليها كما في قوله تعالى: «وَرَدَّ مَاءَ مَدْيَنَ» فلا تعني أن النبي موسى ﷺ دخل الماء، بل وردّها كأنه وصل إليها، كأن طريق الجنة تمر بالنار، ولذلك ينشأ الحوار بين أهل الجنة وأهل النار كما في قوله تعالى: «فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ❖ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ

(١) بحار الأنوار ج ٢٢، ص ١١١، ب ٢.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) الزخرف: ٨١.

(٤) مريم: ٧١.

فَتَنَّتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرِيصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ^(١) فال بعض يفسرها بأن المؤمنين يتفرجون على الكافرين وهم في النار حينما يقولون ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾^(٢).

آية البلاغ:

□ متى نزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣) وما

المناسبة وما هو تأثيرها على الواقع الإسلامي؟

○ المعروف بين المفسرين في أكثر من رواية عن السنة والشيعة، هو أن النبي ﷺ لما وصل غدير (خم) في حجة الوداع، نزلت عليه الآية بخصوص ولاية علي عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ لأنك بذلك تترك الأمة بدون راعٍ وولي وقائد ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ إذا كنت تخاف من كلام الناس بأنه جعل ابن عمه ولياً عليهم، ولذلك فقد جمع النبي ﷺ الناس في وقت الظهيرة ونصب له منبراً من أهداج الإبل ورفع علياً عليه السلام حتى بان بياض إبطيه، وقال: ((أيها الناس، أستم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: اللهم بلى، فقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار))^(٤). وانطلقت ولاية علي عليه السلام بشكل واضح جداً لتثبت العقيدة الإسلامية بأن الولاية هي التي تمتد من خلال الرسالة، ولكن القوم انطلقوا في اتجاه آخر، وحرّموا المسلمين من قيادة تمثل عمق قيادة الرسول ﷺ، لأن علياً عليه السلام علمه النبي ﷺ وعقله عقله، وقد أبعد عن حقه فقال ﷺ: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة)) وبيعة الغدير هي حقيقة الحقائق، ولا يمكن أن

(١) الحديد: ١٣-١٤.

(٢) الأعراف: ٥٠.

(٣) المائدة: ٦٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٢٣١، ح ٢.

ينكرها إلا مكابر. ومن الطريف والمضحك جداً أنني وأنا منذ خمسين سنة أبشر بالغدير وهناك بعض الناس في قم وغيرها وحتى في الشام ومن المراجع من يقول إن السيد فضل الله يشكك بالغدير، وشر البلية ما يضحك.

بأي آلاء ربكما تكذبان:

□ من هو المخاطب بهذه الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

○ الخطاب موجه إلى الجن والإنس، وهما الثقلان ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تُنَفِّذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفِذُوا لَا تَنْفِذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(١).

المباهلة:

□ تقول الآية الكريمة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) هل المقصود بأنفسنا هي نفس النبي؟

○ (النفس) هو تعبير عن المحبة العميقة بين النبي ﷺ وعلي ﷺ، ويعبر عن مدى الاندكالك بين الشخصيتين، ولذلك فهو تعبير أدبي عن المحبة والتقدير، وليس وارداً للحديث عن المساواة في الدرجة.

عيسى ومريم ؑ بآية واحدة:

□ قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٣). لم يذكر سبحانه وتعالى آيتين مع أنهما اثنان، وذكر بأنهما آية واحدة، لماذا؟

○ المقصود نوع الآية، بمعنى أنهما معاً وسوية آية، أي من خلال النظرة لهما. إن آيتي مريم وعيسى ؑ مندمجتان، لأن مريم حملت بعيسى ﷺ من دون

(١) الرحمن: ٣١-٣٣.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) المؤمنون: ٥٠.

أب، ولذلك فحياتها وحياته معاً تشكلان معجزة واحدة. فالمقصود نوع الآية أو جنس الآية.

معنى المهاد:

□ ذكر في كتاب الله العزيز قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾^(١). فما

معنى المهاد؟

○ المهاد في اللغة الوطاء، ومَهَّدَ الشيء أي وطأه، ولذلك صارت الأرض المحضن للإنسان، والمهد الذي يأوي إليه الناس، وذلك بتمهيدها مادياً بانبساطها، ومعنوياً في التمهيد الروحي والأخلاقي وفي ما يتصل بما أودعه الله من سنن الوجود وقوانينه في هذه الأرض.

معنى شر غاسق:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾^(٢) ؟

○ (الغاسق) هو الليل المظلم إذا ادلهم وسيطر، باعتبار أن طبيعة الظلام تترك لكل الذين يريدون أن يقوموا بالشر في حياة الناس الحرية في حركتهم، ما يمكنهم من الفرص لتنفيذ خططهم، ولذلك نستعيز بالله منهم.

تقديم العقاب على الثواب:

□ جاءت الآية ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾^(٣)، قبل آية ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾^(٤). هل

تعطي هذه الآية معنى أن غضب الله قبل رحمته؟

○ الواو لا تدل على الترتيب، وإنما الآية بصدد بيان الله أن الجنة تزلف أي تقرب للمؤمنين، والنار والجحيم تسعّر للعاصين والكافرين.

(١) النبأ: ٦.

(٢) الفلق: ٣.

(٣) التكويد: ١٢.

(٤) التكويد: ١٣.

○ يريد سبحانه وتعالى في تلك الآية أن يبين لنا أن بعض الناس يؤسس بنيانه الفكري والثقافي على تقوى الله الذي يؤدي به إلى الجنة، والبعض يؤسسه على أساس واهٍ سرعان ما ينهدم، ولا علاقة لمركز التجارة العالمي أو البنتاغون بآية من القرآن.

الفسوق في القرآن:

□ ما معنى كلمة (الفسوق) ؟ وما هي علامات الفاسق كما ورد في القرآن الكريم ؟

○ الفسق في اللغة الخروج عن الطاعة، ولذلك يُطلق الفسق على الكفر، لأن الفسق هو الخروج أو تجاوز الحد المعقول «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^(١)، وربما أريد من كلمة (الفسق) هي المعصية والانحراف عن خط الطاعة.

سرقة يوسف عليه السلام:

□ ما قصة الآية الكريمة «قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ»^(٢) فمن السارق ومن هو المسروق ؟

○ كان أخوة يوسف يتهمونه أنه سرق دجاجة أو شيئاً من هذا القبيل في طفولته، فقال لهم يوسف: «قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ» فكذبهم يوسف عليه السلام.

الجهر بالسوء:

□ ما قصة الآية الكريمة: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا»^(٣) ؟

(١) السجدة: ١٨.

(٢) يوسف: ٧٧.

(٣) النساء: ١٤٨.

○ استُدلَّ بهذه الآية على جواز ذكر الظالم بالسوء وأن يغتابه المظلوم، ولكن اختلف العلماء هل أن ذكر الظالم بالسوء يختص في ما ظلمه فيه فقط، فيشكو الظلم من إنسان آخر أو تشكو الزوجة من زوجها في هذا الحد الذي ظلم فيه، أو أن للمظلوم كل الحرية في اغتياب الظالم في كل شيء. والصحيح هو الأول.

النفس المطمئنة:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۖ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾^(١) وقد ورد في بعض الروايات أن النفس هي الحسين ؑ

○ المراد منها هي النفس التي عاشت الطمأنينة والاستقرار العقلي والقلبي من خلال الاعتقاد بالله، ومن خلال السير في خط طاعة الله، والتي لا تعيش اهتزازات الانحراف في المعصية والانحراف بالسير على خلاف الحق، هذه النفس المطمئنة بالله في معنى ربوبيته وفي معنى عبوديتها له، فلا قلق عندها ولا حيرة ولا اهتزاز، لأنها سارت في خط الله وطاعته في مواضع رضاه، فيأتيها النداء عندما تتفتح على العالم الآخر ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾، وهذا هو الاطمئنان الجديد، فعندما يخرج الإنسان من الدنيا فتأتيه الهمسات من الله أن لا يخاف، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٢).

وأما ما ذكره السائل من تفسير بعض الروايات بأنها نفس الإمام الحسين ؑ، فإن الروايات لو صحت فإنه لا إشكال أن الحسين ؑ في القمة من النفس المطمئنة، كما هو جدّه وأبوه وأمه وأخوه والمعصومون من ذريته ؑ

(١) الفجر: ٢٧-٣٠.

(٢) المطففين: ٢٦.

والأنبياء ﷺ وكل السائرين في خط الإسلام الحق، فإذا كان هناك ما ورد من الروايات في ذلك، فهو على نحو التطبيق لا على نحو التفسير.

الذي أضحك وأبكى:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾^(١)؟

○ المراد بالضمير هنا هو الله، لأنه هو الذي جعل في الإنسان طاقة الضحك عندما يعيش السرور، وطاقة البكاء عندما يعيش الحزن، فهذه الحالة النفسية التي تدفع إلى الضحك والبكاء هي من تغذية الله في الجانب الشعوري للإنسان.

الرسول ﷺ واختيار زواجه:

□ يقول الله في كتابه الحكيم: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾^(٢)، فهل المراد من الآية أن غاية الرسول ﷺ من الزواج هي الحسن والجمال؟

○ إن الآية لا تدل على السلبية المشار إليها. نعم، الإنسان يختار المرأة الجميلة ولو كان الإنسان هو النبي، لأن الزواج فيه جانبان: جانب حسي وآخر معنوي. فالجانب الحسي يرتبط بالجانب الجمالي، أما الجانب المعنوي فهو يرتبط بالجانب العقلي والشعوري وما يتصل بهما ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٣)، فلا يدل ذلك على سلبية للنبي ﷺ، بحيث يفهم منها أن غاية النبي ﷺ من الزواج بالنساء هو الجانب الجمالي، إذ كانت أغلب زيجاته عادية جداً، كن من النساء الأرامل والكبيرات في العمر، ما عدا عائشة، فهي المرأة الوحيدة التي كانت عذراء وصغيرة السن. نعم، في الإسلام على الإنسان أن لا ينظر إلى المال فقط

(١) النجم: ٤٣.

(٢) الأحزاب: ٥٢.

(٣) الروم: ٢١.

أو الجمال فقط، فالزواج ليس حالة غريزية وحسب، لأنه ليس مشروعاً اقتصادياً، كمن يتزوج من غنيّة ليستفيد من مالها، أو امرأة تتزوج من رجل غني حتى تحصل على ماله، لأن الحياة الزوجية مشروع إنساني بين إنسان وإنسان وليست بين مال ومال. فهل يتحدث الإنسان مع العقارات أو الأرصدة بالبنوك؟ بل هما عقل وقلب يتكلم كل منهما مع عقل الآخر وقلبه. ولا مانع من أن يلاحظ الإنسان بعض الخصائص الموجودة في الطرف الآخر إذا ضمن الجانب الأساسي فيه. ولذلك يقول الرسول ﷺ: ((إن جاءكم من ترضون دينه فوزّجوه إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير))^(١). وهناك من سأل النبي ﷺ قائلاً له: ((من أتزوج؟ فأجابه: عليك بذات الدين))^(٢)، لأن المهم أخلاق الإنسان ودينه، سواء كان الزوج أو الزوجة، فبذلك تكون حياتهما مستقرة ومضمونة من الناحية الأخلاقية أو العملية.

نسخ الآية:

□ ما المقصود بالآية الكريمة: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا»^(٣) فلماذا النسخ إذا كان الإتيان بمثلها؟
○ الظاهر كما يقول به الكثير من المفسرين أن المقصود بالآية ليست الآية القرآنية بالمعنى المصطلح، بل هي الآيات السماوية كالكواكب وما أشبه ذلك.

الستر في القرآن:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة: «وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ»^(٤) ؟
○ الخمار هو الذي تلبسه المرأة ويغطي الرأس والرقبة، أما الجيوب فهي الصدور فيمتد الخمار ليغطي الصدر أيضاً.

(١) بحار الأنوار. ج ١٣. ص ٢١٥. ح ١٠١ ب.

(٢) نفسه. ص ٢٩٠. ح ١٥٠ ب.

(٣) البقرة: ١٠٦.

(٤) النور: ٣١.

العصمة في القرآن:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)^(١) فكيف نفسر عصمة

الأنبياء ضمن هذا النص القرآني؟

○ بيّنا أن معصية آدم ليست قانونية ولا يستحق عليها العقاب، لأن الله لم يخلق آدم أساساً للجنة بل خلقه للأرض، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يدخل آدم ﷺ في دورة حضانة - كما يذكر ذلك الشهيد السيد محمد باقر الصدر - حتى يتعلّم كيف يحذر وينتبه إلى وساوس إبليس. فقد أراد سبحانه وتعالى لآدم أن يعيش معنى خديعة إبليس وتوريط آدم بأشياء غير واقعية، كما يتدرب أحد الأشخاص على السلاح وغير ذلك.

فهناك من يأمر بصفة إرشادية مثل الطبيب أو كمن ينصح البعض بعدم الزواج من فلانة، فإن عدم إطاعته له هنا ليس معصية، بل يترتب على ذلك أثر وهو أثر وضعي. ولذلك فإن معصية آدم ﷺ لا تنافي العصمة، وإنما ذلك من باب مخالفة الأولى.

آدم ﷺ في القرآن:

□ قرأت في كتاب أن المقصود بآدم في القرآن هو الجنس البشري لا آدم

كشخص، وأن الخطاب موجّه للبشرية جميعاً، فما هو رأيكم؟

○ هذا خلاف الظاهر، فإن الله يتحدث عن آدم كمخلوق خاص، بدليل قوله تعالى: (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ❖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)^(٢) ثم قال الله لآدم وحواء: (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ❖ إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا

(١) طه: ١٢١.

(٢) ص: ٧١-٧٢.

تَعْرِىٰ ❖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ»^(١) فهذه الآيات ليست لكل الجنس البشري، وكذلك كما في قوله تعالى في الآية الكريمة: «فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ»^(٢) وقوله: «فَلَنَّا أَهْبِطُونَا مِنْهَا جَمِيعًا»^(٣).

تحديد العلاقات الإنسانية:

□ يرجى توضيح الآيات القرآنية التالية من سورة النور «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ❖ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»^(٤)؛

○ هذه الآيات بصدد تربية الإنسان المسلم بلحاظ الواقع العربي يومذاك أو ما يلتقي معه في العادات عندما يتخفف الإنسان من ثيابه في وقت الراحة، أو يعيش الحياة الزوجية قبل صلاة الفجر، أو يتخفف من ثيابه في قيلولة الظهر، وكذلك بعد صلاة العشاء وهو يتخفف من ثيابه - أيضاً - ولا يريد الظهور بما يتستر منه حتى أمام الأطفال، ولذلك يقول الله تعالى: «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ» بمعنى أنهم صاروا بالغين، فعليهم الاستئذان «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا» إذ إن المرأة في السن المتقدمة في مرحلة الشيخوخة ليست في موضع الإغراء والإغواء، وليست في وارد عالم الأزواج «فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ

(١) طه: ١١٧-١١٩.

(٢) البقرة: ٣٧.

(٣) البقرة: ٣٨.

(٤) النور: ٥٨-٥٩.

عَلِيمٌ^(١).

نفي الريب عن الكتاب:

□ قال الله سبحانه وتعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٢) فلمن هذه

الإشارة؟

○ الإشارة للقرآن، لأنه بحسب طبيعته ليس فيه الريب.

اختلاف الناس:

□ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ

خَلَقَهُمْ﴾^(٣)، فكيف خلقهم الله للخلاف والحق واحد؟

○ لعل المراد بالاختلاف - هنا - هو هذا التنوع الذي فطر الله الناس عليه

بما يتمثل به وجودهم، وبما تفتح عليه أفكارهم، وفيما تتحرك فيه حاجاتهم، وبذلك تتنوع علاقاتهم وسبلهم في الحياة، فإن الله أراد للناس في وجودهم وفي خصائص إنسانيتهم أن يعيشوا هذا الاختلاف، في وقت رسم الله لهم فيه خطأ الوحدة، وأراد لهم أن يتحركوا فيه من خلال عقولهم التي أراد لهم أن يجعلوها في خط المسؤولية لتفتح على الحقيقة بالوسائل التي يصل بها الإنسان إلى الحقيقة. فنحن متوِّعون في خصائصنا من خلال طبيعة وجودنا، لأن الحياة لا يمكن أن تتطور وتتطور إلا من خلال هذا الاختلاف الوجودي في العناصر الإنسانية.

أما مسألة الصراط المستقيم، فقد وضعه الله بين أيدينا، وجعل هذا الوجود الإنساني الذي يعيش التنوع في الخصائص مرتكزاً على خط الفطرة التي لا بد للإنسان أن يستنطقها عندما يريد أن يفتح على الحقيقة من خلال الله

(١) النور: ٥٩-٦٠.

(٢) البقرة: ٢.

(٣) هود: ١١٨-١١٩.

سبحانه وتعالى، وربما يكون ذلك في ما اقتضته سنة الله في وجود الإنسان من اختلاف في مستوى التفكير وطريقته، وتنوع في التجربة وطبيعة النتائج التي ينتهي إليها كل منهم، مما يوجب كثيراً من التنازع والارتباك في شؤون الحياة الخاصة والعامة للناس، ويؤدي إلى الانحراف عن الخط المستقيم والبعد عن خط الإيمان والاقتراب من خطوط الكفر والضلال ولعل هذا هو التفسير الأقرب. .

المس واللمس:

□ ما الفرق بين المس واللمس في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١)؟

وما هو الفرق بين المطهر والمطهر؟

○ الظاهر أن اللمس والمس معنى واحد من الناحية المادية، ولكن من الناحية المعنوية قد يراد باللمس الاقتراب المعنوي، وهو المس الثقافي أو التفسيري من باب التفسير - على نحو الاستعارة - لأن الإنسان عندما يفسر شيئاً فقد مسّه النص، مسّه بوعيه وثقافته، فعند ذلك يكون المس شيئاً واللمس شيئاً آخر. كذلك المطهرون والمُطَهَّرُونَ، فالمُطَهَّر هو الذي يجلب الطهارة لنفسه، من قبيل الإنسان المحدث بالحدث الأكبر فإن عليه أن يغتسل، والمُطَهَّر هو الذي يعيش الطهارة في نفسه وتعتبر الطهارة جزءاً من شخصيته.

قسم الله:

□ أقسم الله تعالى وهو الكمال المطلق في كثير من الآيات القرآنية مثل

﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾^(٢)، و﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(٣)، فما هو تفسير ذلك؟

○ قيل في بعض الأحاديث أن لله أن يقسم بخلقه ولا يجوز لخلقه القسم إلا به، وهناك بعض الأحاديث تقول إنه لا يجوز القسم بالأنبياء أو الأئمة أو

(١) الواقعة: ٧٩.

(٢) التين: ١.

(٣) العاديات: ١.

القرآن، ولا يجوز القسم إلا بالله، وسرُّ قسم الله بتلك الأمور، أن الله أراد أن يوجه الناس إلى ما فيها من خصائص ومن أسرار ليلتفتوا إليها ويستفيدوا منها، لأن القسم بالشيء لابد أن يكون له مكانة وخصوصية ما، لأن ذلك يخضع للخصائص والعناصر الموجودة فيه.

عذاب الدنيا:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾^(١)، فهل كانت تلك الجنة في الدنيا أم في الآخرة؟ وهل استمر العذاب عليهم بعد أن قالوا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٢)؟

○ هذا مما كان في الدنيا وليس المقصود جنة الآخرة، بل المقصود بها البستان، وقد ضرب الله مثلاً بهذا النفر من الناس الذين كانوا يغترون بما يملكون، فأصبحت جنّتهم كالشجر المقصود بعد أن كانوا تنادوا على حرمان الفقراء، فعاقبهم الله على ذلك وعرفوا ما هم عليه من ضعف.

الطيبون والطيبات:

□ ما تفسير قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(٣) وكيف أن فرعون كان خبيثاً بينما كانت زوجته من خيرة النساء؟

○ الآية معناها أن كل شكل لشكله ألف، بمعنى أن الخبيث الذي يعيش الخبيث الفكري والشعوري فهو ينجذب إلى الخبيثة، وأن الطيب ينجذب إلى الطيبة. وفي مقام الإيحاء، فإن الآية بصدد الإشارة إلى أن الإنسان إذا كان طيباً فعليه أن يفتح على الطيبات، وأن المرأة إذا كانت طيبة فعليها أن تختار لنفسها

(١) القلم: ١٧.

(٢) التوبة: ٥٩.

(٣) النور: ٢٦.

طيباً .

نسيان للنفس :

□ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، وقال تعالى في موضع آخر ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢) فماذا يعني نسيان النفس؟

○ يعني أنهم إذا نسوا الله فقد نسوا المسؤولية، وليس ذكر النفس بمعنى الذكر الذاتي، لأن كل واحد يعرف نفسه، ولكن أن تنسى نفسك يعني تنسى مصلحتك ومسؤوليتك في الارتفاع بالنفس إلى تحقيق ما فيه خلاصها ونجاتها من عذاب أليم وتستسلم للغرائز والشهوات.

أما قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ فيعني أهملهم، فإنه سبحانه وتعالى لا ينسى، وفي آية أخرى: ﴿قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ ❖ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تَنْسَى^(٣) كما تقول نسيت فلاناً يعني أهملته وأنت لا تتذكره.

حزن الأنبياء ﷺ وخوفهم :

□ ما هو تفسيركم للحزن والخوف بالنسبة للأنبياء، مما ورد في عدد من الآيات القرآنية؟

○ الأنبياء ﷺ بشر، والبشر يحزن ويخاف ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٤) فإنه عندما رأى ثعباناً مقبلاً عليه خاف منه، وكذلك النبي إبراهيم ؑ عندما جاءته الملائكة وهو لا يعرف أنهم ملائكة ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾^(٥)

(١) الحشر: ١٩.

(٢) التوبة: ٦٧.

(٣) طه: ١٢٥-١٢٦.

(٤) طه: ٦٧.

(٥) هود: ٦٩.

فعمل لهم طعاماً من العجل وقربه لضيوفه ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾^(١).

ملجأ لوط ﷺ:

□ قال الله تعالى: ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾^(٢) ألم يكن النبي لوط ﷺ يعلم أن ركن الله هو أشد الأركان؟

○ النبي لوط ﷺ كان يتحدث عن الأوضاع الطبيعية المحيطة به، وليس معنى ذلك أنه لم يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فهو يفتش عن جماعة مؤمنة يستعين بها على دفع الشر عن ضيوفه، أو يلجأ إلى عشيرة مانعة قوية تقف معه للمواجهة. ولذلك لم ينظر إلى التأييد الإلهي الذي يعتبر من تحصيل الحاصل، ولذا جاء الرد الإلهي عبر الملائكة: ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾^(٣).

التفسير ومصاديقه:

□ ما رأيكم في إنسان يدعي أنه لا يوجد تفسير صائب للقرآن الكريم، ويدعي أن التفاسير متناقضة، وأن الإسلام الصحيح انتهى بعد وفاة الرسول ﷺ إذ حدثت بعده ﷺ حروب ومنازعات؟

○ يبدو أن القائل ليس مستعداً لأن يحرك فكره ليدرس الآراء الموجودة في الواقع، سواء على مستوى التفسير أو على مستوى آخر، ونحن نعرف أنه لا يوجد عالم يعرف الحقيقة كلها، وليس هناك شخص يملك التفسير الحقيقي مائة بالمائة. ففي الإسلام قوانين عالمية ومحلية، فترى القضاة يختلفون في هذا القانون وذاك القانون، وفي تفسير هذا النص وذاك النص. فليس معنى ذلك أن

(١) هود: ٧٠.

(٢) لوط: ٨٠.

(٣) هود: ٨١.

نرمي كل القوانين أو كل التفاسير في البحر لأنها غير متفق عليها، وأن الإسلام مات لأنهم لم يتفقوا عليه، فعندنا العقل، وعلينا أن نستعرض الآراء ونميز بين الصحيح وغيره، بل إن اختلاف المسلمين في الفكر والتفسير يمثل مصدر غنى للثقافة الإسلامية. صحيح أن هذا الاختلاف أربك الواقع الإسلامي، ولكن هذا الإرباك حصل بسبب العصبية وليس بسبب الاختلاف الفكري المجرد عنها، ويقول سبحانه وتعالى عن الاختلاف ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) وقد أعطى للإنسان عقلاً ليفكر ويفتح باب الحوار ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)، ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤).

قطع يد السارق:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥)، فما المقدار الذي يجب أن يقطع من يد السارق في حد السرقة؟

○ هناك رأي نستقر به وهو أن تقطع أصابعه الأربعة من الكف اليمين وتترك الراحة والإبهام وهو الرأي الشهور للإمامية. أما المذاهب الأربعة فقد اتفقت على أن الكف اليمين تقطع من المفصل، وذلك يرجع إلى السنة إذ لم يحدد القرآن المقدار.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) آل عمران: ٦٦.

(٥) المائدة: ٣٨.

إحصاء نعم الله:

□ قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١) فكيف لا نحصى

النعمة؟

○ إن الهواء الذي نتنفسه نعمة، والطعام بأنواعه نعمة، وأجهزة الجسم نعمة، وكل ما حولنا في الكون من نعم الله، ولا يستطيع الإنسان إحصاء كل هذه النعم، لأن هناك نعماً خفية.

قواعد التأويل:

□ هل يحتاج التأويل عند الشيعة إلى اطلاع على قواعد اللغة العربية أم

يحتاج إلى العرفان الإلهي والزهد في الدنيا والتفاني في الله سبحانه وتعالى؟

○ إن كل تأويل للقرآن لا ينسجم مع قواعد اللغة العربية وعلى ما يفاهم

به الناس في اللغة العربية فإنه ليس حجة علينا، ولا دخل للعرفان والزهد في فهم اللغة، إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٢) و﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ تَزَلَّ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٣)، فعندما بعث الله رسوله محمداً ﷺ بالقرآن كان الناس يفهمون معاني القرآن بفطرتهم الصافية من دون تعقيد.

حكمة التبليغ:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤)، فما هي حكمة التبليغ وكيفية بالنسبة لطلبة الحوزات الدينية، خاصة بالنسبة للتبليغ في أوساط المسلمين الذين تنقصهم

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) يوسف: ٢.

(٣) الشعراء: ١٩٥، ١٩٢.

(٤) آل عمران: ١٠٤.

الثقافة الشرعية؟

○ للإسلام جانبان، أولهما أن تلتزم به في مسؤولياتك التي كلفك الله بها، وثانياً: أن تدعو الناس للإسلام، سواء الذين لا يؤمنون به أو المسلمون، للالتزام بشريعة الإسلام، ولكن بأسلوب هادئ وعقلاني «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»^(١)، فمسألة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى هي مسؤولية كل مسلم ومسلمة كل حسب طاقته وعلمه، لأن الإنسان كلما ازداد علماً ازدادت مسؤولياته.

روح الله:

□ ورد في القرآن الكريم أن عيسى ﷺ روح الله، فما هو الفرق بين روح الله ونفس الله؟

○ روح الله تعني قدرة الله على سبيل الكناية، ولم يرد التعبير المذكور في خلق عيسى ﷺ فقط، بل ورد بالنسبة لآدم ﷺ، إذ يقول سبحانه وتعالى: «إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ❖ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين»^(٢) فالروح تعني القدرة، وروح الله واحدة لا تتجزأ «إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه»^(٣)، ونفخ الروح هو كناية عن القدرة الإلهية في خلق البشر من خلال قدرة الله، وليس كما يتصوره بعض المسيحيين من أن عيسى ﷺ هو روح الله وأن الله تجسد فيه.

إمام الهدى وإمام الضلال:

□ قال الله سبحانه وتعالى: «يوم ندعو كل أناس بإمامهم»^(٤)، والإمام نوعان إمام خير وإمام شر، والناس يحشرون يوم القيامة كل مع إمامه، فهل هذا

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) ص: ٧١-٧٢.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) الإسراء: ٧١.

نوع من أنواع الشفاعة؟

○ هناك تفسيران: أولهما أن إمامهم يعني الكتاب الذي يشرع لكل إنسان عن أعماله. وهناك تفسير ثانٍ: بمعنى الذي يقتدي به ويتبعه، فكل من يتبع شخصاً معيناً، سواء كان اتباعه من خلال تفكيره خيراً أو شراً، فهو يتحمل مسؤولية اتباع أي شخص يتبعه، فإن كان إمام خير كان خيراً، وإن كان إمام شر كان شراً.

صوم مريم

□ ما المقصود بالآية الكريمة (فَإِذَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا)^(١)؟

○ كانت مريم ؑ كآية امرأة يدركها الضعف في حالات من هذا القبيل، ولذلك نجدها عندما ولدت عيسى ؑ (قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)^(٢) لأنها لا تملك حجة الدفاع عن نفسها، لأنها فتاة عذراء فمن أين يأتيها الحمل؟ (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)^(٣) فكانت تفكر كيف ستواجه قومها؟ فأوحى إليها أن تكلم قومها بالإشارة، وكان في ذلك الوقت يمكن أن ينذر الإنسان الصوم عن الكلام، كما في قصة النبي زكريا ؑ (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا)^(٤) (فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أي أن تشير إليهم أنها صائمة عن الكلام عندما يكلمونها عن كيفية ولادتها عيسى ؑ، فأنقذها الله سبحانه وتعالى، حيث تكلم عيسى ؑ (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)^(٥).

(١) مريم: ٢٦.

(٢) مريم: ٢٣.

(٣) مريم: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٤١.

(٥) مريم: ٣٠.

شراء الأنفس:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن اللّٰه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(١)، فكيف يشتري الله الأنفس والأموال؟
○ إن الله سبحانه وتعالى هو المالك لنا ولما نملك، ومع ذلك فقد وهبنا الله نفوسنا فقال إن هذه نفوسكم التي خلقتها مع أنها ملكي فأنا أشتريها منكم، فعليكم أن تقدموا أنفسكم من خلال الاختيار الذي وضعته في تكوينكم، أو قدموا أموالكم وأنا أعطيكُم الجنة، والشراء في الآية كناية عن التعويض والمقابلة.

إتمام الحج:

□ قال تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة﴾^(٢) فهل تعني الآية وجوب العمرة مثل وجوب الحج، وأداؤها قبل الحج، خاصة وأن تكاليفها أقل بكثير من الحج؟
○ العمرة إنما تكون واجبة عندما لا يكون الحج حج التمتع واجبا على الإنسان، أو عندما لا يستطيع تأدية الحج مع استطاعته للعمرة المفردة، وعليه، فيجب أن يعتمر الإنسان إذا استطاع العمرة، أما إذا كان بلده بعيدا ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ مثل أغلب الناس البعيدين عن مكة، فهؤلاء عليهم حج التمتع، وهو يتألف من عمرة وحج. ولذا نقول في الإحرام ((أحرم عمرة التمتع لحج الإسلام)) فمن أتى بحج التمتع وهو مؤلف من عمرة وحج تسقط عنه العمرة المفردة. أما لو كان مكلفا بحج القران أو الأفراد فعليه أن يعتمر العمرة المفردة مع استطاعته لها.

فهم القرآن:

□ ذكرتم في ندوة سابقة أن العرب كانوا يفهمون معاني القرآن الكريم بفطرتهم الطبيعية، بحيث إنه أنزل بلسان عربي مبين، فما حاجتنا لهذا العدد

(١) التوبة: ١١١.

(٢) البقرة: ١٩٦.

الكبير من التفاسير وشروح المعاني، خاصة وأن ذلك سبب الفرقة بين المسلمين؟
 ○ إنما نحتاج إلى هذه التفاسير من جهة ابتعادنا عن الفطرة العربية، وذلك بسبب الاختلاط بشعوب كثيرة بعيدة عن اللغة العربية، حيث تغيرت أذواقنا ولم نعد نملك الفطرة الصافية لفهم اللغة العربية، هذا أولاً. وثانياً إن التفاسير القرآنية فيها إحياءات ولوازم قد لا ينتبه إليها الإنسان العادي، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^(١) فنحن نفهم العدل بأن نعطي كل ذي حق حقه، لكن ما هي خطوط العدل؟ وما هي حقوق الناس؟ وكيف تعدل مثلاً، وهكذا هناك حاجة إلى تفسير القرآن باعتبار أن القرآن جاء للحياة كلها، ولكل مرحلة من مراحل الحياة قضاياها التي لا بد أن نستوحي القرآن فيها. وقد قال الإمام الباقر عليه السلام معبراً عن هذه الحقيقة ((إن القرآن يجري مجرى الليل والنهار والشمس والقمر))^(٢).

السياحة أربعة أشهر:

□ في قوله تعالى في سورة (التوبة): ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِّمُوا أَنْكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾^(٣)، فما هي دلالة هذه الآية عند نزولها أو أية مرحلة من تاريخ المسلمين؟

○ وردت الآية عندما أنهى النبي ﷺ العهد المعقودة بين المسلمين وبين المشركين وترك لهم أربعة شهور، وذلك لإعطائهم مهلة للتفكير في الأمر في ما يريدون أن يختاروه من الإيمان بالإسلام أو البقاء على الشرك، لتبدأ بعد ذلك عملية إخراجهم من المنطقة، ولم يكن ليعالج هذه المسألة بالقوة بالمواجهة، بل أبقى لهم الأمن وحرية الحركة في أي مكان يذهبون إليه على أساس أنهم واجهوا

(١) النحل: ٩٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ١٠٩، ح ٢٢، ب ٩.

(٣) التوبة: ٢٤.

الإسلام بالحروب والمنازعات.

الحذر من الله:

□ ما معنى قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)^(١)؟

○ الآية الكريمة واردة في مقام تحذير الناس الذين يستهينون بأوامر الله ونواهيه، ويعتبرون أن الله سيعفو عنهم ويغفر لهم، أي عليكم أن تحذروا الله سبحانه وتعالى وهو القوي. وقد ورد في (دعاء الافتتاح): ((وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة)) ويقول الله سبحانه وتعالى: «يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم»^(٢). لذلك، فإن على الإنسان أن يحذر من الله، لأنه لا يضمن أن يغفر له إذا عصاه.

هبوط إبليس:

□ ورد في سورة (الأعراف): «قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها

فاخرج إنك من الصاغرين»^(٣) ثم قوله تعالى: «قال اخرج منها مذعوما مدحورا»^(٤) ثم قوله سبحانه: «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو»^(٥)، فلماذا تكرر

الأمر بالخروج والهبوط؟ وما هو المقصود من الهبوط؟

○ إنما عبرت الآية الكريمة بلفظ الهبوط باعتبار أن الجنة تمثل موقع

العلو الشأني وليس بمعنى العلو المكاني، لأن الإنسان عندما ينزل من مرتبة عالية إلى مرتبة أسفل منها فيعتبر ذلك هبوطاً. وقد يراد الهبوط المادي بأن تكون الجنة في موقع العلو المكاني. ثم إننا لا نعرف جغرافية الجنة لنعرف موقعها ونحدد بشكل أكثر دقة معنى الهبوط المذكور. ثم إنه لم يتكرر الإخراج والأمر

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) الانفطار: ٦.

(٣) الأعراف: ١٣.

(٤) الأعراف: ١٨.

(٥) البقرة: ٣٦.

بالخروج والهبوط، وإنما هو أمر بخروج واحد، تكرر الحديث عنه في القرآن الكريم بصيغ متعددة.

الوسوسة لأدم وحواء:

□ بعد خروج إبليس من الجنة، كيف تم الوسواس لأدم وحواء كما يدل على ذلك القرآن ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾^(١)؟

○ عندما غضب الله على إبليس فإنه بقي يتردد على الجنة وإن لم يكن مقيماً فيها، لأن إقامته فيها انتهت، وذلك من غيب الله سبحانه وتعالى، لم يتعرض له القرآن الكريم، ولا نعرف تفاصيله.

تحدي الجن والإنس:

□ الآية التي تتحدى البلغاء والجن والإنس هي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢)، فهل تتحداهم لياتوا ببلاغة القرآن أو أن يأتوا بكتاب ببلاغة القرآن أو بالمعاني المتضمنة لها الآيات؟

○ الظاهر أن المسألة هي التحدي من ناحية البلاغة ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) أو مثل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٤) ومثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥)، ومن الممكن أن يكون المنظور هو المضامين، لأن في القرآن أسراراً ومعاني وتشريعات، ولذلك يكون قوله تعالى ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

(١) البقرة: ٣٥-٣٦.

(٢) الإسراء: ٨٨.

(٣) البقرة: ٢٣.

(٤) الكوثر: ١.

(٥) الإخلاص: ١.

لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ) في مقام التعجيز على المستوى الشكلي والمضموني معاً. فمن الممكن أن تجمع الآيات المشار إليها، سواء كانت سورة أو عشر سور، الجانب البلاغي والجانب العلمي أو التشريعي وما إلى ذلك.

ضرب الأمثال في القرآن:

□ ما معنى قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^(١)؟

○ يعني بيّنا (المثل)، وهو كناية عن النص الذي يتحرك في أسلوبه من أجل توضيح الفكرة للناس على نحو تقوم به الحجة عليهم، لأن التصريف هو التكرير الذي تتنوع فيه الأساليب والكلمات، والتي تلتقي عند هدف واحد في التوعية المنفتحة على آفاق الحق في العقيدة والتشريع وحركة الحياة.

الحذر من الموت:

□ قال الله تعالى: ﴿أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾^(٢) وهناك مقولة تقول ((الحذر غلب القدر))، فهل هذا يعني أن الإنسان يمكن أن ينجو من الموت إذا كان حذراً؟

○ مقولة ((الحذر غلب القدر)) لا يعني أن الإنسان قادر على تجنب الموت، فإن الله يقول في كتابه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣) بل المقصود من ذلك هو أن هناك أسباباً للموت وللقدر، بحيث يمكن للإنسان أن يدفع الأسباب، وإلا فإن من الأسباب ما لا يمكن أن يحذر منه الإنسان فيموت جزماً.

(١) الإسراء: ٨٩.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) الأعراف: ٣٤.

القاعدون والمجاهدون:

□ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)، فكيف تفسرون تفضيل الله للمجاهدين بأموالهم على القاعدين ووعدهم بالحسنى؟

○ الآية الكريمة بصدد الحديث عن تفضيل المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله على القاعدين بطريقة مؤكدة، وذلك ما يوحي به أسلوب التكرار من حيث الابتداء بقوله ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾، وذلك لتقرر التفضيل من جانبه السلبي من حيث عدم المساواة بين هذا الفريق وذاك. ثم أوضحت الموضوع بخصوصيته الإيجابية بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾، وليس المراد من الدرجة الوحدة في الأرقام الحسابية، بل من حيث النوع، وهو ما يؤكد وقوع الكلمة بعد فقرة عدم الاستواء، لبيان أن هذا الفريق أولى من ذاك، ولذلك عقب بالحديث عن الأجر العظيم والدرجات منه تعالى، والآية تشير إلى أنه إذا لم يكن الجهاد إلزامياً فإن القعود ليس خطيئة بحد ذاته.

استقرار الشمس:

□ قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٢)، فما هو رأيكم في تفسير هذه الآية الكريمة، مع أن علماء الفلك أثبتوا أن الأرض تدور حول الشمس؟

○ لعل المراد في الآية أن الشمس تسير بنظام كوني وفق المدى الذي وضعه

(١) النساء: ٩٥.

(٢) يس: ٣٨.

الله سبحانه وتعالى لها، وليس معناه السير الحركي والمادي، كما نقول مثلاً إن الأمور والأوضاع تسير على أحسن حال، وبالخط الذي يمثل الاستقرار والرخاء والأمن وما إلى ذلك.

ظن يونس:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ»^(١)، فما المقصود من قوله «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» وكيف يكون من الظالمين؟

○ لن نقدر عليه يعني لن نضيّق عليه، كما ورد في الآية «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ❖ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ»^(٢) فقدّر عليه رزقه يعني ضيّق عليه الرزق، «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ»^(٣). أما قوله «سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» فإن نسبة الظلم إلى يونس عليه السلام إنما يصح باعتباره خالف الأولى ولم ينتظر طويلاً ويفسح المجال لقومه بالتوبة، باعتبار أن مهمته قد انتهت عند ذلك المقام من التبليغ لهم، إلا أن ذلك كان خلاف الأولى كما يقال.

التسابق في الخيرات:

□ ما هو تفسير قوله تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا»^(٤)؟

○ جاءت الآية في سياق الحديث عن تبديل القبلة وتحويلها من بيت المقدس إلى البيت الحرام، لتشير الآيات إلى أن لكل رسالة قبلة. ولكن العنوان الكبير هو الخيرات التي تشكّل العنوان الذي ينبغي للمسلمين أن يتنافسوا فيه

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) الضجر: ١٥-١٦.

(٣) الرعد: ٢٦.

(٤) البقرة: ١٤٨.

ويلتقوا عليه لمواجهة مسؤولياتهم أمام الله الذي يحاسبهم غداً، وهو القادر على الإتيان بهم أينما يكونوا، وفي ذلك إشارة إلى البعث والنشر.

انشقاق القمر:

□ ما المقصود بالآية الكريمة: «اقتربت الساعة وأنشأ القمر»^(١) وهل وقع

الانشقاق فعلاً أم أنه علامة من علامات اقتراب الساعة يوم القيامة؟

○ بعض المفسرين يقولون إنه حدث انشقاق القمر للنبي ﷺ من باب

الإعجاز عندما طلب منه المشركون أن يأتيهم بمعجزة، وهناك رأي يرى أنه علامة من علامات الساعة ليوم القيامة.

اصطفاء مريم ﷺ:

□ ما هو تفسير قوله تعالى في سورة (آل عمران) عن مريم ﷺ «وإذ قالت

الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»^(٢)؟

وكيف يكون اصطفاء مريم ﷺ على النساء ونقول إن فاطمة الزهراء ﷺ هي سيدة نساء العالمين؟

○ لا تنافي في ذلك، لأن الاصطفاء هو الاختيار، وقد اصطفى الله مريم ﷺ

على نساء العالمين في اختيارها، لظهور قدرة الله في المعجزة التي تمثلت في

ولادة عيسى ﷺ، ولذلك يصح أن يقال اصطفاه الله على نساء العالمين في مرحلتها

على أساس أمومتها لعيسى ﷺ الذي كان آية من آيات الله المميّزة في الخلق،

واصطفى السيدة الزهراء ﷺ على نساء العالمين من جهة أخرى. وقد وردت

الروايات في كون مريم ﷺ سيدة نساء عالم زمانها، وأن السيدة الزهراء ﷺ سيدة

نساء العالمين بشكل عام، كما ورد أنها سيدة نساء أهل الجنة.

(١) القمر: ١.

(٢) آل عمران: ٤٢.

الله هو المثل الأعلى:

□ في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى) ^(١) ما هو المقصود بالمثل؟
○ يعني أن الله سبحانه وتعالى هو المثل الأعلى بالنسبة لمقامه وصفاته وحمده، وهو لا يماثله شيء في ذلك (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ^(٢).

جعل الفتنة:

□ في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ) ^(٣)، فما هو معنى الفتنة؟ وكما ورد في قوله تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) ^(٤) فكيف يمكن تحرير المجتمع من الفتنة؟

○ سبب نزول هذه الآية أن رجال قريش أرسلوا للنبي ﷺ يفاوضونه على ترك الرسالة إن شاء مالأ أو جاهاً أو ملكاً، فأبى عليهم لأنه رسول الله ﷺ، فقالوا له إن كنت كذلك فسل ربك يبعث معك ملكاً يصدقك ويجعل لك جناناً وقصوراً من ذهب وفضة، فنزلت هذه الآية لتؤكد أن شريعة النبي ﷺ ما هي إلا امتحان واختبار، لأن الله إنما جعل بعض الناس لبعض فتنة لاختبارهم، ولو شاء الله لجعل الرسالة لرسوله الدنيا كلها فلا يخالفونه.

ضعف الشيطان:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) فبأي قوة نقاتلهم، مع أن القوة بيدهم، سياسياً واقتصادياً وثقافياً؟
○ قلنا إنهم يملكون القوة العسكرية والمادية، ولكنهم لا يمكنهم أن يسيطروا على عقولنا. ولعلكم سمعتم مني مراراً هذه المعادلة، وهي أن في القوي عنصر

(١) النحل: ٦٠.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) البقرة: ١٩١.

ضعف وفي الضعيف عنصر قوة، فلنحارب الأقوياء في نقاط ضعفهم بنقاط قوتنا، بدلاً مما نفعله الآن من أننا نقاتلهم بنقاط ضعفنا في نقاط قوتهم. ثم إننا نتحدث عن قوتنا في تعميق الخطة وتوسيعها وامتداداتها وتجميع عناصر القوة على أساس المستقبل إذا كان الحاضر لا يتسع لذلك، لأن هناك حقيقة إنسانية، وهي أن القوة ليست خالدة، كما أن الضعف ليس خالداً، فالقوي اليوم قد يكون ضعيفاً غداً، والضعيف اليوم قد يكون قوياً غداً، وذلك هو قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١).

هدى الأمم في المستقبل:

□ قال الله سبحانه تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٢)، فإذا كان سبحانه وتعالى لن يحاسب أمة حتى يبعث لها رسولا يعلمها الشرائع السماوية، فكيف يحاسب الأمم القادمة ونحن نعلم أن النبي محمداً ﷺ هو خاتم المرسلين؟

○ إن النبي محمداً ﷺ هو خاتم الرسل وقد بعثه الله رسولا لكل الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٣)، فتبقى الرسالة حتى لو مات الرسول. وتطلق الشريعة في مدى الزمن حتى يرث الله الأرض وما عليها، كما في الحديث المأثور ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة))^(٤)، ولذلك كانت معاجز معظم الأنبياء محدودة وفي وقت معين، كما

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) أصول الكافي ج ٥، ص ٣٢٠، ح ٥٠.

هي معجزة النبي موسى ﷺ ومعجزة النبي عيسى ﷺ، ولكن معجزة الرسول محمد ﷺ، وهي القرآن، فإنها خالدة، وهي تمتد على مدى الأجيال، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن بما لم يتكفل به في حفظ التوراة والإنجيل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

عين حمئة:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ)^(٢)؟

○ قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) وهو الموقع الذي ينتهي إليه العمران من جهة الغرب في ما يمكن أن يبلغه لاصطدامه بحاجز مائي أو جبلي، ويقول (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) وذلك كناية عن مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج، وهو الحمأ، وتوجد البرك كأنها عيون الماء، فرأى الشمس تغرب من هناك.

تفضيل الرجال في القرآن الكريم:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ)^(٣)، فما هو وجه التفضيل للرجال على النساء؟

○ قوله تعالى: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)^(٤) يعني بسبب العناصر الموجودة عند الرجل في تكوينه الجسدي وفي طاقته الحركية، بحيث يتحمل المسؤولية ليقوم بإدارة شؤون الأسرة بالطريقة الحكيمة التي لا بد من أن يشارك أسرته معه فيما يتعلق بأموالهم، تماماً كما هو مدير الإدارة في شؤون إدارته المرتبطة بالآخرين، وهذا ليس تفضيلاً بالقيمة بل

(١) الحجر: ٩.

(٢) الكهف: ٨٦.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) النساء: ٣٤.

بالإدارة (ويما انفقوا من أموالهم) لأنه هو الذي يتحمل المسؤولية المالية في الحياة الزوجية، ما يجعله في موقع المشرف على شؤونها. ولا بد من الإشارة إلى أن ذلك مختص بالعلاقة الزوجية في تنظيم دور الرجل والمرأة فيها وليست شاملة لعلاقة الرجل بالمرأة بشكل عام.

ضرب الزوجة في القرآن:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (واضربوهن)^(١)، وأنتم تقولون لا يجوز للرجل أن يضرب زوجته؟

○ لعل السائل لم يكن حاضرا حينما قلنا إن معنى (واضربوهن) تختص بالشؤون الأساسية للحياة الزوجية التي تقوم عليها هذه الحياة، وهي العلاقة الزوجية الجنسية، ولا تشمل الحالات اليومية والفردية من وظائف المرأة أساسا مثل الطبخ وغير ذلك، بمعنى أن الزوجة إذا منعت زوجها من الحق الذي التزمت به في عقد الزواج فإنه يحق للزوج اتخاذ الموقف المناسب لذلك، وقد قال تعالى: (واللاتي يخافون نشوزهن) والنشوز معناه امتناع الزوجة عن إعطاء زوجها الحق الجنسي، فقد تستحق الضرب بذلك بدلا من تقديم الشكوى إلى المحكمة لتبعث شرطيا وما إلى ذلك، فتلك قضايا شخصية جدا (فعظوهن) ويعني بذلك استخدام كل الأساليب المقنعة، ثم (واهجروهن في المضاجع) يعني التأديب النفسي، وبعد ذلك (واضربوهن) وهو الضرب البسيط غير المبرح، والمرأة الأصلية الواعية الملتزمة بالدين لا تلجئ الزوج إلى ذلك.

انتظار هود:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (فانتظروا إني معكم من المنتظرين)^(٢)، فما معنى ذلك؟

(١) النساء: ٣٤.

(٢) الأعراف: ٧٩.

○ الآية بصدد الحديث عن موقف هود من قومه، وقد كذّبوه وردّوا عليه تمسكاً بطريقة آبائهم، فكان أن أنذرهم بما سيقع عليهم من العذاب، فكان ما وعدهم به .

الصوامع في القرآن:

□ ما المقصود بكلمة (الصوامع)؟

○ هي المواقع التي كان يتعبد بها الرهبان.

الصوم إلى الليل:

□ قال تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١)، فما تفسير ذلك؟

○ يتحقّق الليل بغروب الشمس، لأن النهار يكون عند طلوع الشمس ويمتد باستمرار وجودها في الأفق، فإذا غربت الشمس تحقق الليل، ولا يوجد اختلاف شامل بين الإمامية والسنة بصدد الحمرة المشرقية، فكثير من العلماء الشيعة ورأينا كذلك أنه إذا سقط قرص الشمس تحقق الغروب.

هدى الإنسانية:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، فكيف ذلك؟

○ يعني أن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان فجعله مختاراً ﴿وَهَدَيْنَاهُ

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) السجدة: ١٣.

الْتَجِدَيْنِ^(١)، فقد أراد الله أن يستتطق عقله ليختار هداه بنفسه أو ليتحرك في ضلاله بسوء اختياره، ويؤكد إرادته في خط الالتزام بمسؤوليته وتحمل نتائجها، لأن حكمة الله قد اقتضت ذلك، وهذا هو خط العدل في إعطاء الإنسان الحرية في التزاماته في كل أموره، ولكن الله قادر على أن يخلقه مهتدياً، ولكن ذلك ليس بواجب على الله ولا منافياً لعدله.

وصف إبراهيم ؑ بالأمة:

□ ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)؟

○ كان إبراهيم ؑ يمثل أمة بلحاظ أنه يحمل مسؤولية الأمة ورسالتها، وإنما وصف بالأمة لأنه قام مقام الجماعة في عبادة الله، كما يقال فلان في نفسه قبيلة، أو لأنه الإمام المقتدى به.

الأمة الخيرة:

□ قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)، فهل المقصود الأمة الإسلامية؟

○ إنها الأمة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وهي الأمة الإسلامية ما التزمت بذلك فعلاً وحقيقةً.

حدود الجنة:

□ ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) فإين موقع النار من هذه الآية؟

(١) البلد: ١٠.

(٢) النحل: ١٢٠.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٤) آل عمران: ١٣٣.

○ ليس المراد من كلمة العرض كما في خطوط الطول والعرض، واللّه العالم، بل يعني العرض سعتها، أي المبالغة في سعة الجنة في هذا المقام، أما أين تقع النار، فعلياً أن لا نحاول الحديث عن جغرافية الجنة والنار، بل أن نعرف الطريق إلى الجنة فننتبعه، ونعرف الطريق إلى النار فننتجنبه.

شياطين الجن والإنس:

□ ما هو الفرق بين شياطين الإنس وشياطين الجن؟ وأيها ذكر في

القرآن؟

○ كلاهما ذكر في القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿قل اعوذ برب الناس﴾ ملك الناس ❖ إله الناس ❖ من شر الوسواس الخناس ❖ الذي يوسوس في صدور الناس ❖ من الجنة والناس^(٢). أما الفرق بينهما، فإن شياطين الجن دورهم الوسوسة للإنسان، وقد يتحرك شياطين الإنس بالوسوسة، ولكن ربما يتحركون من خلال التواصل بينهم بما هو أخطر من دور شياطين الجن، لأنها قد تتميز بالأوضاع المادية، وشياطين الإنس يستوحون من شياطين الجن، ولكن كيف يتم معرفة ذلك، فهذا أمر من غيب الله سبحانه وتعالى.

دخول العاصين إلى النار:

□ قوله تعالى: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ❖

خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾^(٣)، فهل يعني ذلك أنهم يدخلون النار ويخلدون فيها بينما تبقى السموات والأرض على ما هي عليه الآن، أي قبل زلزلة الساعة ويوم القيامة؟

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) سورة الناس.

(٣) هود: ١٠٦-١٠٧.

○ كلا، فإن كلمة (خالدين فيها) يعني عندما يحين دخولهم، فإنهم يدخلون في النار ما دامت السماوات والأرض في علم الله، وليس معناه أنهم لا يدخلون النار، فإن الآية لا توحى بذلك.

الموت والوفاة:

□ قوله تعالى: «حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا»^(١)، فهل هناك

فرق بين الموت والوفاة؟

○ الموت هو نوع من أنواع الوفاة، لأن الوفاة من التوفية، وهي بلوغ الشيء حده. وقد ورد في تفسير قوله تعالى لعيسى ﷺ : «أذ قال الله يا عيسى إني متوفيك»^(٢) يعني حدد له الوقت للعيش في هذه الدنيا.

معنى الأخدان:

□ ما المقصود بالآية الكريمة: «ولا متخذات أخدان»^(٣)؟

○ يعني لا يجوز أن يتخذ النساء لهم عشاقا بغير الطريقة الشرعية.

الماء أصل الأشياء:

□ ما معنى قوله تعالى: «وجعلنا من الماء كل شيء حي»^(٤)؟

○ الآية تشرح نفسها بنفسها، فكل الأشياء الحية من إنسان وحيوان ونبات، فإن الماء هو مصدر الحياة فيها.

النبي ﷺ والشورى:

□ هل آية الشورى (وشاورهم في الأمر)^(٥) تعني أن الرسول ﷺ يأخذ

(١) الأنعام: ٦١.

(٢) آل عمران: ٥٥.

(٣) النساء: ٢٥.

(٤) الأنبياء: ٣٠.

(٥) آل عمران: ١٥٩.

بالشورى في التعامل مع المؤمنين أم أنه ملزم بالرأي فقط؟

○ إن الآية القرآنية تقول: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ إن الله يحب المتوكلين﴾ إن هذا هو الذي أراده الله للرسول ﷺ أن يأخذ به مما قد لا يكون في حاجة إليه، لأنه سبحانه سدد نبيه بالعصمة، فلا يقول إلا حقا وصوابا ولكن لكي يكون ذلك منهجا عاما لمن يأتي من بعده ويتحمل المسؤولية، لأن الله عندما، أدب رسوله ﷺ بما أراد له أن يسير عليه، خاطب سبحانه وتعالى من خلاله المؤمنين ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾^(١)، فأمره سبحانه وتعالى كما أمر كل مسؤول بأن يشار الناس من حوله، ولكن يبقى الرأي له، فقد يأخذ بأرائهم إذا كانت على حق، وقد لا يأخذ برأيهم، لأن المشاورة تعني أن يستمع إليهم ويتداول الأمر بينهم ويناقشهم ثم يؤكد النتيجة ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ فهذا هو المنهج، ولا بد أن يأخذ به كل مسؤول فيما يتحمل من مسؤولية القضايا العامة المرتبطة بالواقع الإسلامي، وقد أراد الله من المسلمين أن تكون طريقتهم في الحياة عندما يريدون أن يأخذوا بمشروع أو عندما يتحركون في خط، أن يشارورا بعضهم البعض، وحتى في البيت العائلي الواحد، لا بد أن تكون فيه شورى بين الزوجين وبين الوالدين وأبنائهم، وهكذا في كل موقع يتحرك فيه الناس في القضايا العامة، وقد ورد: ((من شاور الرجال شاركها في عقولها)) لأنك عندما تستشير فإنك تضم عقلا إلى عقلك، ومن الطبيعي أن عقلي يتحاوران فيتشاوران أفضل من عقل واحد، وقد ورد ((من استبد برأيه هلك)).

نزول السكينة على النبي ﷺ:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة: ﴿إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين

كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١)، فهل الهاء تعود للنبي

ﷺ؟

○ نعم، الضمير يرجع إلى النبي ﷺ لأن الحديث كله عن النبي ﷺ، إذ يقول تعالى كما في نهاية الآية: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهذا التأييد لا إشكال ولا ريب أنه للنبي ﷺ، فالسكينة والتأييد وردا في سياق واحد.

نسيان الآيات:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فكيف ينسى الله ذلك؟
○ قد لا يكون المراد به الآيات القرآنية، بل الآيات الكونية، والنسيان هو الإهمال والترك.

موالاة الكافرين:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٣)، ولي أخ غير ملتزم بدينه؟

○ الموالاة تعني أنك تمنحه كل ودك مع ما يختزنه من ضلال وكفر، وأما الجانب العاطفي المجرد من ذلك فإنه لا ينهى الله عنه، كما ورد في الحديث عن الإمام علي بن الحسين ﷺ: ((إن العصبية التي يَأْثُمُ عليها صاحبها هي أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن أن يعينهم على الظلم)). فعندما يتصل الأمر بالمبدأ فيتقدم المبدأ على العاطفة، كما في قصة النبي إبراهيم ﷺ ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) المجادلة: ٢٢.

عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ^(١)، فيجب أخذ الموقف المضاد للإنسان المعاند في الفكرة المضادة مع بقاء العلاقات الإنسانية في طبيعتها العاطفية.

الصوم خير:

□ قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٢)، فهل يعني تفضيل الصوم دائماً؟
○ كلا، الآية في مقام أن الصوم خير للإنسان من حيث أصل الالتزام بالصوم بما هو تكليف شرعي، ولا يعني أنه واجب في حالة السفر أو المرض، كما هو مقتضى الآيات الأخرى والروايات التي ذكرت أن الإفطار واجب في المرض والسفر.

نظر النفس:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، ماذا يعني نظر النفس؟ وكيف تنظر؟

○ يعني أن كل إنسان لابد أن يفكر في مستقبله وأن يعرف ما هو رصيده ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٤)، فماذا قدمت ليوم القيامة، فاحسب حسابك ورصيدك لذلك اليوم لتستغفر الله من الذنوب.

فرعون وقومه:

□ يقول تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾^(٥)، فما معنى استخفاف

فرعون بقومه؟

(١) التوبة: ١١٤.

(٢) البقرة: ١٨٤.

(٣) الحشر: ١٨.

(٤) البقرة: ١١٠.

(٥) الزخرف: ٥٤.

بقومته ٩

○ بمعنى أنه استغل غفلاتهم وجهلهم وتخلفهم، وحاول أن يوحى إليهم ببعض أفكاره وأدعائه بالربوبية، وهذا شأن كل الطغاة الذين يستغلون جهل الناس وتخلفهم ويسيطرون على عقولهم ويفرضون عليهم أفكارهم الضالة.

طبيعة الإنفاق:

□ هل الآية الكريمة: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾^(١)، تشمل الإنفاق في سبيل الله أم تقتصر على الإنفاق الشخصي؟
○ في الإنفاق كله.

العقاب في القرآن:

□ يقول القرآن الكريم إن سبب نزول الإنسان إلى الأرض هو أبوهم آدم ﷺ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، فكيف يتحمل بنو آدم وزر أبيهم آدم ﷺ؟

○ إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ﷺ أساساً ليسكن الأرض ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾^(٢)، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يدخل آدم في دورة تدريبية من خلال قصته مع إبليس في الجنة، ودوره في إضلال الإنسان، وإن لم تكن له سلطة على بني آدم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾^(٣) حتى أن إبليس يقول كما جاء في القرآن ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾^(٤). فأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين لآدم أن هناك من يفش في القول، وهو إبليس ورهطه ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾^(٥)، فأراد الله

(١) الإسراء: ٢٩.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الإسراء: ٦٥.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) الأعراف: ٢١.

سبحانه وتعالى لآدم أن يعيش التجربة مع إبليس قبل النزول إلى الأرض. ولم تكن هناك مشكلة لبني آدم حين نزولهم إلى الأرض، لأن الله قد أعطاهم العقل والهداية «وهديناه النجدين»^(١) وأرسل إليهم الرسل وأعطاهم حرية الإرادة والاختيار وحذرهم من إبليس «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير»^(٢). فما الوزر الذي يتحملة آدم تجاه بنيهِ؟

العتل الزنيم:

□ في حديث القرآن عن صفات الذين كانوا يكيدون للرسول ﷺ وللرسالة يقول تبارك: «مناع للخير معتد أثيم ❖ عتل بعد ذلك زنيم»^(٣)، ما معنى العتل الزنيم؟

○ يصور القرآن الكريم صفة الواحد من هؤلاء بأنه «مناع للخير» فلا يعمل الخير، ولا يسمح لأحد أن يقوم به، مستخدماً كل الوسائل التي تتيح له أن يكون حاجزاً بينه وبين الناس. «معتد أثيم» فهو يعمل على الاعتداء على الناس في ما لا يملك حقاً فيه، كما يمتد في الإثم الذي يتمثل بالأعمال الشريرة التي يرفضها الله سبحانه، اعتل بعد ذلك والعتل هو الفظ الغليظ، وقيل: إنه الفاحش السيئ الخلق، أو الجافي الشديد الخصومة بالباطل «زنيم» وهو الذي لا أصل له، أو الدعي الملحق بقوم وليس منهم، والمعنيان متصادقان، وقيل: هو المعروف باللؤم، قيل: هو الذي له علامة في الشر يعرف بها، وإذا ذكر الشر عرف به، أو أنه يسبق إلى الذهن. وهما يعيشان في جو واحد. هذه هي الصفات التي كانت تتمثل في أولئك الذين كانوا يعيشون في مجتمع الدعوة الأول ممن قد تكون لهم وجهة اجتماعية، ومنزلة اقتصادية، تؤهلهم أن يقدموا طروحاتهم المشبوهة للنبي ﷺ، ليبطلوا موقعه الروحي الثابت على الحق بصلافة.

(١) البلد: ١٠.

(٢) فاطر: ٦.

(٣) القلم: ١٢-١٣.

النظرة الحاقدة:

□ قال الله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾^(١)، إن حقد المشركين ضد رسول الله ﷺ دفعهم لتطويقه حتى بالنظرة، كيف تفسرون ذلك؟

○ يقول تبارك وتعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ أي ينظرون إليك الذي يريد أن يصرعك ببصره، في ما كانوا يعتقدونه بأن العين تقتل الذي تصيبه، أو أنهم يحدقون بك تحديقة الحقد الذي يشتعل في عيونهم حتى يخيل إليهم أنهم سيحرقونك به، أو أنهم ينظرون إليك كما ينظر الإنسان إلى المجنون في حالة نفسية توحى بالخوف منه، والاستعداد بالانقضاء عليه إذا بدرت منه أية حركة ﴿لما سمعوا الذكر﴾ الذي جاءهم بما لم يعهدوه من الأفكار والأجواء والمواقف، فكانوا يثيرون القضية كعادتهم في كل كلام خارج عن المألوف، مما يسمعون من أي شخص، فيعتبرونه جنونا، لأنه كلام لا يصدر عن الناس العقلاء الذين تتحرك عقولهم في دائرة المألوف المعروف لدى المجتمع، ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾ وقد ذكر صاحب الميزان أن رميهم بالجنون له عندما سمعوا الذكر دليل على أن مرادهم به رمي القرآن بأنه من إلقاء الشياطين، ولذا رد قولهم بأن القرآن ليس إلا ذكرا للعالمين.

ونلاحظ أن هذا الاحتمال غير ظاهر، لأن المسألة قد تكون في دائرة الاحتمال الذي ذكرناه، كما أن إلقاء الشياطين له لا يعني جنونه، إذا لم يكن الكلام يوحى بالذهنية الجنونية في طبيعته، ما يجعلنا نفهم منه التأكيد على التهمة، أو الإيحاء به من خلال استغرابهم لمضمون القرآن في خروجه عن المألوف في تفكيرهم.

اليوم والروح:

□ يقول تبارك وتعالى: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)^(١)، ما هو هذا اليوم، وما معنى التقدير بألف سنة، وما الروح في هذه الآية؟

○ الظاهر أنه يوم القيامة الذي يقع فيه هذا العذاب، ويتمثل فيه المشهد العظيم في عروج الملائكة إلى الله، وهم الموكلون بالعذاب، ليتلقوا أوامره التي ينفذونها في كل الشؤون المتعلقة بالكون في حركة القيامة، كما كانوا ينفذونها قبل ذلك، لأنهم «عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ❖ لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»^(٢).

كما يصعد إليه في هذا اليوم الروح، وهو الخلق الغيبي العظيم الذي حدثنا الله عنه في القرآن في أكثر من آية كما لو كان خلقاً متميزاً عن الملائكة، في ما يعهد الله إليه من النزول بأمره إلى الناس، مما لا نملك تصوراً دقيقاً عنه، وفي تنفيذ ما يمكن أن يكون قد عُهِدَ إليه بتنفيذه، وقيل: إنه جبريل الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء ﷺ.

ثم ما هو تحديد هذه الخمسين ألف سنة؟ هل هو تحديد دقيق في الحدود الزمنية التي تخضع لها السنة، كما يعرفها الناس في الأرض، حيث اليوم الأرضي يمثل الحركة الزمنية الحاصلة من دورة الأرض حول نفسها في أربع وعشرين ساعة، بينما نعلم أن هناك نجومياً تدور حول نفسها بالمقدار الذي عادل يومنا آلاف المرات؟ ويمكن أن يكون ذلك التعبير وارداً مورد الكناية عن طول هذا اليوم العظيم، في ما اعتاده الناس من التعبير بهذه الطريقة عن ذلك، وقد يكون الحديث عن ذلك تعبيراً عن خط الانحراف، وما هذا الرقم الكبير إلا دليل على الإحساس بطول هذا اليوم.

(١) المعارج: ٤.

(٢) الأنبياء: ٢٦-٢٧.

وقد ورد عن النبي محمد ﷺ في ما روي في (الدر المنثور) عن عدة من الجوامع عن أبي سعيد الخدري قال: ((سئل رسول الله ﷺ عن «يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» ما أطول هذا اليوم، فقال: والذي نفسه بيده، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة كتوبة يصلّيها في الدنيا)).

وجاء في حديث الإمام جعفر الصادق ﷺ: ((إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله عزّ ذكره، فإذا علم الله عز وجل ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه، فحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة، ثم تلا «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»)).

القتال على تأويل القرآن:

□ قال الرسول ﷺ: ((وإن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على

تنزيله))؟

○ يعني هذا الحديث أنه ﷺ قاتل على التنزيل ليؤمنوا بما أنزل الله عليه من وحي، ولعلنا نتذكر عمار بن ياسر عندما كان يرتجز في واقعة (صفين) ويقول: ((نحن قاتلناكم على تنزيله واليوم نقاتلكم على تأويله))، والتأويل يعني تفسير القرآن وتطبيقه بالطريقة التي يعرف فيه المحق من المبطل، وخط الحق من خط الباطل، وهذا ما اختلف فيه المسلمون.

تفسير الكوثر:

□ «أعطيناك الكوثر»، ما المراد بالكوثر؟

○ الظاهر أنه النسل الكثير، لأنهم كانوا يقولون إن محمداً ﷺ أبتّر أي (لا نسل له)، ولكن الله أعطاه من خلال السيدة فاطمة ؑ النسل الكثير، فهو ﷺ ليس ابتراً، حيث لا فرق في ذرية الإنسان أن تكون من أولاده الذكور أو من أولاده الإناث، وتلك المقولة التي تجعل الأبناء من الأولاد الذكور فقط إنما هي عقلية

جاهلية.

بنونا بنو أبناثنا وبناتنا أبناؤهن بنو الرجال الأبعاد

خشية القرآن:

□ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُظَرِّهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)، كيف يبعث القرآن خشية الله في الروح؟

(١) إذا كان الله يريد للإنسان أن يذكره ليذكر نفسه، وأن يتقيه ليحصل على رضوانه في جنته، فإن القرآن هو الذي يتولى المهمة في توعية الفكر والروح، حيث إنه يطوف بالإنسان في رحاب آيات الله ومواقع عظمتها، وفي آفاق المسؤولية في إطاعة أوامره ونواهيه، لأنه سبحانه أراد للإنسان الاستفادة من كل مفردات الطبيعة الكونية وسننها الإلهية، في إقامة نظام الحياة على أساس الحق، وحث على إظهار مشاعر الخشوع والرغبة والخضوع أمامه، مما ينساب في الإحساس، وينفذ إلى العقل، ويلامس الكيان كله بمواقع الذكرى التي تبتعد به عن الغفلة، مما يمكن له أن يصوغ الإنسان صياغة جديدة حتى يكون عبد الله، وإنسان المسؤولية الباحثة أبدا عن طاعته، والهاربة كلياً من معصيته.

وهكذا يريد الله أن يوجه اهتمام الإنسان إلى هذا القرآن ليقراه ويتدبره ويعيش مع مفاهيمه المتحركة في آياته، ليرى فيها ربه، ويتعرف إلى نفسه وإلى الحياة من حوله، ويعي دوره الكبير في خلافة الله في الأرض، فلا ينظر إليه ككتاب تتحرك فيه الكلمات حسب المعاني اللغوية في كتب اللغة، بل يعيش معانيه من خلال الآفاق التي تنطلق إليها الروح في عمق الإيمان، فكان المثل الذي يوضح الصورة هو السبيل إلى إيجاد التأثير العميق الذي يمكن للقرآن أن يتركه في وجدان الإنسان الروحي.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ بما فيه من عبر وعظات ووصايا ونصائح، ومفاهيم وأحكام، وترغيب وترهيب، وتعداد لمواقع عظيمة الله في الكون، ولامتداد قدرته في خلقه، وهيمنته على الأمر كله، أعلى جبلا بكل ما يمثله الجبل من جمود في الإحساس لغياب الحياة عنه، ومن صلابة في صخوره القاسية، ومن ضخامة الحجم الذي يطل به على الأفق الواسع ليحجب الكثير منه في امتداد النظر، مما لا تستطيع الرياح أن تهز جبروته، ولا الزلازل أن تسقط قمته، ولكن هناك شيئا يختلف عن عصف الرياح وخطورة الزلازل، يمكن أن يصدعه فيتشقق، ويثير الإحساس فيه فيخشع، وهو القرآن النازل من الله عليه لو قدر أن ينزله عليه كما أنزله على الإنسان، ﴿لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ لأن طبيعة معانيه تؤثر في عمقه، بالرغم من الصلابة والضحامة والجمود الذاتي فيه، وإذا كانت هذه هي الحال مع الجبل، فكيف يجب أن يتمثله الإنسان المملوء وعيا وشعورا في انفعاله به في ما يعيشه من خشية الله، ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ في ما يستهدفه القرآن من أسلوب الأمثال الذي يعني تشبيه الأشياء ببعضها البعض لإيضاح الفكرة، ﴿لعلهم يتفكرون﴾ ليكتشفوا من خلال الفكر شيئا جديدا في المعرفة، وأقفا واسعا في وعي العقل والشعور.

العزة المطلقة:

□ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾^(١)، كيف نستوحي هذه الآية المباركة؟

○ ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ فإن العزة تنطلق من مواقع القوة التي تمنح صاحبها القدرة على إخضاع باقي القوى له، والوقوف أمامها لمنعها من التحرك في الاتجاه الذي يؤكد قوتها في مقابل قوته. والله هو القاهر فوق عباده، والمهيمن على الأمر كله، وليس لعباده معه شيء، فهم الفقراء إليه في كل شيء،

وهو الغني عنهم في كل شيء، ما يجعل العزة له جميعا، كما أكد ذلك في كتابه العزيز، «ولرسوله» الذي يستمد عزته من الله، لأنه يستمد قوته منه، فينصره على الكافرين والمشركين، ويظهر دينه على الدين كله، «وللمؤمنين» في ما يعيشونه في داخل أنفسهم من الشعور بالقوة من خلال اعتمادهم على الله وتوكلهم عليه، ما يجعلهم في موقع قوي يتحرك داخل ذواتهم منطلقا من إرادتهم الصلبة.

فالمؤمن لا يعيش الضعف الداخلي أمام كل التهاويل والاضغوط التي يوجهها إليه الكافرون والمشركون والظالمون، ما دام واعيا لإيمانه ولموقعه من ربه وموقع ربه منه، وذلك ما عبر عنه الرسول ﷺ لصاحبه «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا»^(١)، وفي ما حدثنا الله عن موقف المؤمنين «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٢)، في ما يواجه به المؤمنون الكافرين في ساحة القتال «قل هل تريبون بنا إلا إحدى الحسنين»^(٣)، ما يوحي بأن المؤمن لا يخاف الموت، ولا يضعف أمام كل التهاويل التي تخوفه بالموت.

وقد استوحى الإمام جعفر الصادق ﷺ من الآية عمق العزة في شخصية المؤمن، من خلال عمق إرادة العزة في حركة إيمانه، فقد جاء في (الكافي) بإسناده إلى سماعة عن أبي عبد الله (جعفر الصادق ﷺ) قال: ((إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، ألم تر قوله سبحانه وتعالى ههنا «ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين»^(٤) والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا)).

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) التوبة: ٥٢.

(٤) المنافقون: ٨.

سؤال الأمام:

□ قال الله سبحانه وتعالى: (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما

كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)^(١) فما معنى (لا تسألون)؟

○ يعني أن الأمة تعيش تاريخها، سواء كان ذلك في كفرها وإيمانها، أو في

انحرافها واستقامتها، فكل أمة تحاسب على أعمالها، وستواجه نتائج أعمالها يوم

القيامة (كل أمة تدعى إلى كتابها ❖ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)^(٢). أما

الأمة الإسلامية التي جاءت بعد تلك الأمة، فإن الخطاب موجه لأبنائها بأنه لماذا

تشغلون أنفسكم بما عملته الأمم السابقة، حيث إنكم لستم مسؤولين عن

أعمالهم؟ فاشغلوا أنفسكم بمشاكلكم، لأن الله لا يحملكم مسؤولية ما عمله

الآخرون، فماذا يفيدنا أن نقول: فلان في الجنة وفلان في النار، إذ يقول الله لنا

في الآية الكريمة (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ❖ وأن سعيه سوف يرى ❖ ثم

يجزاه الجزاء الأوفى)^(٣) فلماذا تشغلون أنفسكم بما عمله الناس في الماضي ولا

تشغلون أنفسكم بما تعملون أنتم وسوف تسألون عنه غدا يوم القيامة. وفي ضوء

ذلك، لابد لنا من التخطيط لدراسة أوضاع المسلمين في الماضي، حيث عاش فيه

المسلمون خلافاتهم الفكرية والعقيدية ونزاعاتهم السياسية، لنأخذ منها العبرة

وما يبقى لنا مما يتصل بمسؤولياتنا، ثم نترك أمرهم إلى الله ليواجهوا

مسؤوليتهم التي لا يسألنا الله عنها، ولنواجه مسؤوليتنا في ما نأخذ به أو ندعه

مما حملنا الله الاهتمام به.

ما معنى تيسير القرآن؟

□ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)^(٤). الملاحظ أن كثيرا من

(١) البقرة: ١٤١.

(٢) الجاثية: ٢٨-٢٩.

(٣) النجم: ٣٩-٤١.

(٤) القمر: ١٧.

الناس عندما يقرأون القرآن لا يفهمون جزءا كبيرا من مقاصده إلا بالرجوع إلى التفاسير، فيكونون في هذه الحالة محكومين لفهم المفسرين، ولا يصبح تلقينهم الفهم من القرآن مباشرة؟

○ إن القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب، إذ عندما يقول الله «يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل»^(١)، أو «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه»^(٢)، «واقموا الصلاة وآتوا الزكاة»^(٣).. فإن هذه الآيات مفهومة لعموم الناس، ولكن هناك آيات يفهم منها ظاهريا ويجهل الناس بعض تفاصيلها، والمرجع في ذلك العلماء «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون»^(٤)، وهناك آيات متشابهات، وقد جعل الله سبحانه وتعالى وسائل لمعرفة، ويستعين الناس في ذلك بالرجوع إلى العلماء المختصين، ولا يمنع ذلك الاستفادة من القرآن الكريم. هذا مع أن فهم القرآن وكونه مذكرا هو أن يكون محرضا على التذكير، كما في قوله تعالى: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»^(٥). بل إن قوله تعالى: «فهل من مدكر» أي بما قص من أخبار الماضين، وما يثيره من آيات العبرة، وما يحركه من المفاهيم الحكيمة التي تبني لهم عقولهم وتدير لهم حياتهم، ليخرجوا من الغفلة واللامبالاة، ليكون ذكرى لكل حياتهم. والسؤال الاستكاري في الآية لغرض إثارة السؤال على كل فكر وشعور ليهتز ويتذكر لينفتح على الحقيقة الإلهية في كل واقعه.

ذكر الله بعد النسيان:

□ ما معنى قوله تعالى: «واذكرك إذا نسيت»^(٦)؟

(١) النساء: ٢٩.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) النور: ٥٩.

(٤) النحل: ٤٣.

(٥) محمد: ٢٤.

(٦) الكهف: ٢٤.

○ يعني أنك إذا نسيت مسؤوليتك أمام الله فاذا ذكر ربك وهو الله.

الحق والباطل:

□ ما معنى الآية الكريمة: (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان

زهوقاً)^(١)؟

○ إنها تؤكد أن الحق هو في توحيد الله، وبما أوحى إلى رسوله محمد ﷺ، وأن الباطل قد زهق، وهو الذي يتمثل في الشرك والوثنية وما إليها، وذلك بمجيء رسالة الإسلام التي أثبتت صحة التوحيد وما يتفرع عنه وصوابيته وبطلان الشرك ومفاعيله، بحيث سقط الباطل أمام حجة الحق الواضحة القوية.

النقص في الأرض:

□ بالنسبة للأرض، ما معنى قوله تعالى: (تنقصها من أطرافها)^(٢)؟

○ هو النقص في بعض أطرافها، كحدوث الزلازل والبراكين وما إلى ذلك، وقد تفسر بالموت الذي يتعرض له الناس جيلاً بعد جيل.

آية الشورى وآية التبليغ:

□ هل هناك تناقض بين آية الشورى وآية التبليغ؟

○ ليس معنى الشورى المشاورة في الأمور التي يشرعها الله ويوحى بها بحيث يستشير الله الناس في ذلك، بل هي في القضايا التي تتصل فيما بين الناس في شؤونهم وأمورهم، وعندما اقتضت حكمة الله تعيين الوصي والخليفة، أمر نبيه ﷺ بأن ينصب علياً عليه السلام من بعده خليفة على المسلمين، لأن علياً هو المتعين من الله، كما في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم

(١) الإسراء: ٨١.

(٢) الرعد: ٤١.

الكافرين»^(١)، فهذا أمر يرجع إليه سبحانه، كما هو الحال في الأوامر الإلهية الأخرى مثل «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين»^(٢). فعندما أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل إلى الناس فهل استشار أحدا؟ فكان النبي ﷺ مأمورا من الله ببينة (يوم الغدير) للإمام علي ؑ «بلغ ما أنزل إليك من ربك»، فمسألة الشورى في الإسلام ليست ملزمة للنبي ﷺ، إنما هي لتوضيح الفكرة في حال اختلاف الآراء بين الناس، ومن الطريف جدا ما ينقل عن أحد الشخصيات العلمية السورية المعروفة، وهو الأستاذ (محمد كرد علي) الذي قال له البعض إنه إذا كان ما يقال عن النبي ﷺ أنه نصب الإمام عليا ؑ للخلافة بدون استشارة أحد من المسلمين، فهذا تشكيك بعصمة النبي ﷺ، فكيف يفرض شخصا على المسلمين بدون استشارتهم؟ فكان أن أجاب على ذلك لبعض العلماء بأنه إذا كان ذلك تشكيكا بعصمة النبي ﷺ عند تنصيبه عليا ؑ الخلافة، فإن ذلك يعني أن نشكك في الله عندما ينصب رسولا للناس بدون استشارتهم، ثم إن النبي ﷺ لم ينصب عليا بأمره بل بأمر من الله.

المؤمن والمسلم في القرآن:

□ هل أن كلمة (المؤمنين) تساوي كلمة (المسلمين) كما جاء في الآية التي تتحدث عن النبي لوط ؑ «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ؕ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين»^(٣)؟

○ نعم تتساويان، لأن المؤمن هو الذي أسلم لله سبحانه وتعالى عن عقيدة.

معنى الوسيلة:

□ قال الله سبحانه وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) الذاريات: ٣٥-٣٦.

الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون»^(١)، فهل الجهاد هو الوسيلة أم هو جزء منها؟ وما هي أبعاد هذه الوسيلة؟

○ الوسيلة وهي الوصلة إليه والقرب منه، وهي كناية عن الطرق التي يتحرك فيها الإنسان على أساس من هدى، والغايات التي يدعو الله الناس إلى أن يبلغوها، من خلال ما يتعاملون به من وسائل وما يخططون له بالمسير على منهاجه القويم وصراطه المستقيم في أحكامه التي شرعها والأعمال التي دعا إليها والمواقف التي حث عليها، وبذلك يصل الإنسان إلى طاعة ربه، وعليه، فإن الوسيلة هي كل الطرق التي تؤدي إلى طاعة الله ورضوانه، وهي بعدد أنفاس الخلائق، ومنها الجهاد والصلاة والصوم والدعوة إلى الله، والدفاع عن المجتمع المؤمن وما إلى ذلك.

التجانس الإنساني:

□ قال سبحانه وتعالى: «الخبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ»^(٢)، فما هو حال المرأة المؤمنة التي تقوم بكل واجباتها الشرعية من صلاة وصوم ويمنعها زوجها من ذلك ويهجرها ويؤلب أولادها عليها، لأنه يملك المال الذي يغريهم به، فما هي دلالة الآية؟

○ معنى الآية أن كل شكل يألف ما يشاكله، فالخبِيثُ عادةً ينجذب للمرأة التي تكون أخلاقها كأخلاقه، والخبِيثَةُ تنجذب إلى الشخص الذي ينسجم معها، وليس قضاء وقدرًا يفرض نفسه على الواقع في هذا الجانب أو ذاك، وهذا ما نلاحظه في الآيتين الكريمتين، ويقول سبحانه وتعالى: «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) النور: ٢٦.

فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ❖ وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين^(١)، وليس معناها أن كل خبيث يتزوج خبيثة أو كل خبيثة تتزوج بخبيث. وربما تبطل المرأة المؤمنة بزواج غير مؤمن بفعل الظروف المحيطة بها، وربما نلتقي مع إنسان مؤمن يتزوج بامرأة غير مؤمنة بفعل الظروف كذلك، لأن قضية الزواج تخضع للظروف الموضوعية، وما على تلك المرأة السائلة المؤمنة إلا أن تصبر أو ترفع أمرها للحاكم الشرعي إذا اختارت ذلك لعدم صبرها على أذى زوجها الذي قد لا يحتمل في طباعه السيئة، ليطلقها الحاكم الشرعي إن لم يحسن الزوج معاشرتها إذا رفض طلاقها مع إصراره على طريقته في المعاشرة.

أحسن الخالقين:

□ ما هو تفسير الآية: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(٢)؟

○ ليس هناك خالق غير الله سبحانه، ولكن الآية تعني أن كل ما خلقه الله فهو الأحسن ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾^(٣) ويذكر القرآن بالآية ﴿هل من خالق غير الله﴾^(٤).

ترجمة يد الله:

□ في تفسير ﴿يد الله فوق أيديهم﴾^(٥)، هل يمكن ترجمتها إلى لغة أجنبية

كالإنكليزية مثلاً، بأن نتجاوز الترجمة الحرفية التي تكون بالترجمة ((The hand of God is over the others)) فنجعلها بالترجمة

(١) التحريم: ١٠-١١.

(٢) المؤمنون: ١٤.

(٣) السجدة: ٧.

(٤) فاطر: ٣.

(٥) الفتح: ١٠.

المنوية بأنها تعني القدرة والسلطة الإلهية؟

○ لا يجوز الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، لأن في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم كناية ومجاز واستعارة.

الحكم بين الزوجين:

□ تقول الآية الكريمة: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾^(١)، فما هو مدى التطبيق لما يحصل بين الزوجين من خلافات قبل الوصول إلى حالة الافتراق أو الطلاق وما قد يتركه ذلك من أثر على مصير الأطفال وتفكك الأسرة؟

○ للأسف لم يأخذ المسلمون بتلك الآية، وهو ما يمكن تسميته بـ(لجنة التحكيم العائلي)، والأفضل أن يتدخل عقلاء العائلتين لفض النزاع بين الزوجين.

تفسير الحسنة:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾^(٢)، فما هو المراد بالحسنة في الدنيا والحسنة في الآخرة؟

○ الظاهر أن الحسنة في الدنيا هو بما يفيضه الله سبحانه وتعالى بألطافه على عباده بما يجعل حياتهم سعيدة طيبة، وبما يهيئ لهم سبل الهداية والطاعة، أما الحسنة في الآخرة فهي رضاه سبحانه وتعالى الذي يؤدي بهم إلى ثوابه في نعيم الجنة.

خلق الإنسان:

□ قال الله عز وجل: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ خلق من ماء دافق ❖

(١) النساء: ٣٥.

(٢) البقرة: ٢٠١.

يخرج من بين الصلب والترائب»^(١)، فما هو تفسير هذه الآيات؟

○ الآية الكريمة في مقام الحديث عن كيفية خلق الإنسان في عملية اتحاد الحيوان الذكري (المني) بالبويضة الأنثوية (عملية التلقيح)، والصلب هو ظهر الإنسان الذي يتدفق منه الماء الدافق (المني) من الناحية العلمية، وحسبما تقول الآية «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين»^(٢). وهناك تفسير آخر ومفاده أن الترائب والصلب المشار إليهما في الآية الكريمة من الذكر نفسه، وليس المراد بالترائب من المرأة والصلب من الذكر كما هو التفسير الأول.

الحب والبغض في الله:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتريصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين»^(٣)؟

○ إنها تفسر نفسها بنفسها، فعندما كان الرسول ﷺ يدعو للجهاد، فقد كان الناس يتذرعون بشتى الأعذار ليتملصوا من الجهاد وطاعة الرسول ﷺ، كما هو شأن عمر بن سعد - فيما بعد - في إقدامه على حرب الإمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء، إذ كان يتذرع بوقوفه إلى جانب الطاغية، بن زياد بوجه الإمام ﷺ لأنه كان يخشى على ضيعة له أو أن يهدم له داره أو يخشى فقد أولاده وما أشبه.

إعداد القوة في مواجهة العدو:

□ قال الله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل

(١) الطارق: ٥-٧.

(٢) الأعراف: ١٧٢.

(٣) التوبة: ٢٤.

ترهبون به عدو الله وعدوكم»^(١)، فما هو مدى إمكانية تطبيق هذه الآية على واقعنا الإسلامي الحالي، وخاصة في العراق، لقرب زوال نظام صدام، وما هي توجيهات سماحتكم في حالة إحكام السيطرة الأنجلوأمريكية على العراق؟

○ لا بد لنا من المراقبة والمتابعة للأحداث الجارية الآن، لأن مسألة المواجهة، سواء كانت ضد صدام أو ضد الاحتلال، بحاجة إلى وضع خطة مدروسة ودقيقة، لأن العدو يخطط، فعلينا أن نخطط أيضاً، وأن ندرس ونربط بين الوسائل والأهداف على الأرض وليس في الهواء، فتحن حينما نريد تخلص الشعب العراقي من الطغاة ومن الاحتلال، فلا بد أن تكون لقيادات المعارضة العراقية المخلصة - ولا سيما الإسلامية منها - خطة عملية مدروسة، وأن تعرف كيف تواجه الأوضاع في العراق، «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»، وكما قال المتنبى في شعره:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

وبعض الناس يعتقد أن المسألة مجرد إصدار فتوى علمائية بالجهاد، ولكن ما هي خطة الجهاد وأدواته؟ فهل هي مقاطعة اقتصادية فقط أم أنها أشمل من ذلك؟ إذ لا يجوز الانفعال بالمواقف، ومشكلتنا هي الانفعال والارتجال دون العمق في التخطيط والأسلوب الأمثل للمواجهة، فربما يكون العدو المهاجم استغفلنا، فعلينا دراسة الأسباب ومعالجتها قبل الدخول بالمواجهة، وكما قيل، إن الذي يضحك هو الذي يضحك أخيراً، وهو مثل غربي، وأكبر من هذا المثل ما ورد من أنه جاء أحدهم للرسول ﷺ وقال له: ((أوصني)، فقال له الرسول ﷺ: فهل أنت مستوص إذا أوصيتك))، حيث أراد النبي ﷺ التأكيد منه مرة ثانية وثالثة، فقال له ﷺ: ((إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يكن رشداً فأمضه، وإن يكن غيا فأنته عنه)) يعني: لا تنظروا إلى بدايات الأمور، ولكن انظروا إلى عاقبتها، كما يقول في الدعاء: ((اللهم نسألك حسن العاقبة)). لذلك - أيها الأحبة -

علينا أن نفهم مغزى وصية النبي ﷺ التي يمكن أن نطبقها في حياتنا كلها .

يأجوج ومأجوج:

□ ورد في القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج، ولم يتم حتى اليوم اكتشاف شيء عنهم من خلال التنقيب عن الآثار في الأرض شبرا شبرا، فنرجو توضيحكم؟

○ حدثنا القرآن الكريم عن يأجوج ومأجوج في ذلك الوقت، ولكن البعض قد يفسر قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء﴾^(١) أن يكون معناها أنهم يبقون إلى يوم القيامة، فيدك الله السد دكا، والبعض لا يربط تفسيرها بذلك.

إهلاك القرى والمدن:

□ ما هو تفسير الآية الكريمة: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾^(٢)، فهل أن سبحانه يبعث المترفين للفساد في القرية ثم يهلكها يسببهم؟

○ كلا، ﴿والله لا يحب الفساد﴾^(٣)، إذ معنى أمرنا مترفيها يعني قد تم تكليفهم من قبل الله، ولكنهم تمردوا على طاعة الله واتبعهم أهل القرية في ذلك، فإن الله - عندئذ - يهلكهم سوية، لأن الله سبحانه وتعالى في تدبيره الكون قد جعل الاختيار للإنسان.

الصلاة على النبي ﷺ:

□ قال الله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾^(٤)، فهل إن الصلاة على النبي ﷺ تعني ((اللهم صل

(١) الكهف: ٩٨ .

(٢) الإسراء: ١٦ .

(٣) البقرة: ٢٠٥ .

(٤) الأحزاب: ٥٦ .

«على محمد وآل محمد») وهل معناها أن المؤمنين يدعون للصلاة على النبي وأن يقوموا هم بفعل الصلاة عليه ﷺ؟

○ معنى الصلاة في الأصل هو الدعاء، كما جاء في اللغة العربية، وإن نسبة الصلاة إلى الله سبحانه وتعالى للمؤمنين هي المغفرة «وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ❖ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»^(١)، فالصلاة على المؤمنين من قبل الله سبحانه وتعالى هي المغفرة لهم وتسيير أمورهم، أما الصلاة من الله على النبي ﷺ فهي رفع درجته، والصلاة منا أيضا على النبي ﷺ هي أن نطلب من الله أن يرفع درجته وأن يقبل شفاعته وأن يرفعه إلى مقام أعلى.

الإيمان والإسلام:

□ ورد في القرآن الكريم: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون»^(٢)، فكيف ينسجم الخطاب للذين آمنوا مع وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون؟

○ المراد من الذين آمنوا المسلمون الذين يلتزمون الإسلام عقيدة، كما ورد في الآية الكريمة: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم»^(٣)، فهناك من المؤمنين العاصون، فهل كل المؤمنين يصلون على أذياتهم، كما يقال في مقام المدح، أي يملكون الالتزام العملي؟ فالإيمان هو حالة في العقل (القلب)، ولكن البعض من المؤمنين قد لا يلتزمون التزاما كاملا كما ذكرتهم الآية بأنهم يقولون ما لا يفعلون، وليس في ذلك منافاة.

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٧.

(٢) الصف: ٢.

(٣) الحجرات: ١٤.

وصف السكر بالرزق:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾^(١)، نرجو توضيح الآية وخصوصا كلمة (السكر) وأنه حسن؟
 ○ بالعكس تماما، فالمعنى هو وجود عنصر الخير والشر في تلك الثمرات، وأن الله سبحانه وتعالى يترك الاختيار للإنسان في أن يجعل من تلك الثمرات رزقا حسنا أو يكون سكرا من الشراب، وقد نهى الله عنه.

ثانياً: المسائل العامة

إحياءات القرآن الكريم:

□ نرجو منكم توضيح قصدكم في تفسير القرآن على طريقة إحياءات كلماته، وكيف يمكن ذلك أن لا يخلو من بعض الإشكالات، لأن كل كلمة تحمل، فضلاً عن معناها الذي وضعت له، الكثير من الإحياءات؟

○ الواقع أن مسألة الإحياءات القرآنية لا بد من أن تنطلق من قواعد اللغة العربية، فقد أخذنا عن بعض روايات الأئمة عليهم السلام، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١)، أن الإمام الباقر عليه السلام فسرهما: ((من نقلها من ضلال إلى هدى))، فنستوحي من ذلك أن الله سبحانه وتعالى كما يعطي القيمة للحياة المادية، فإنه يعتبر الحياة الروحية والعلمية أهم وأعلى وأسمى من الحياة المادية (يعني أن نستوحي الشيء الروحي من الشيء المادي)، ونقرأ أيضاً في رواية أخرى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ❖ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ❖ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ❖ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ❖ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ❖ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ❖ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ❖ مَتَاعًا لَكُمْ وَلَآئِنَّمَكُمُ﴾^(٢)، فإذا كان الإنسان يعرف قدرة الله في ذلك الطعام المادي، فإن الطعام الروحي، وهو العلم، أكثر قيمة في لطف الله من المادية، لأنه يقوده إلى الجنة. ولذلك فعندما نقول بضرورة التماس الإحياءات القرآنية، فإننا نقول أيضاً بضرورة أن لا تخضع للجانب الذاتي، بل للطريقة التي نستنتج منها وفقاً لقواعد اللغة العربية، مثل الاستعارة والكناية والمجاز وما إلى ذلك.

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) عبس: ٢٤-٣٢.

نجاسة المشركين:

□ قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾^(١)، وقد قرأت
لسماحتكم أدامكم الله أنكم تحكمون بطهارة عموم الناس مهما كان دينهم
وعبادتهم، فكيف يستقيم ذلك؟

○ لا يراد من النجاسة في الآية الكريمة المذكورة النجاسة المادية، بل
النجاسة الروحية، وذلك بقرينة قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ
عَامِهِمْ هَذَا﴾، فإذا كانوا نجسين ومنجسين للمسجد الحرام فكيف يعطيهم الله
مهلة عام، والأمر الثاني، فإن المراد من المسجد الحرام هو مكة المكرمة وليس
البيت الحرام، بدليل الآية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(٢)، فإن النبي ﷺ أُسْرِيَ به إلى السماء
من بيت أم هاني أخت الإمام علي بن أبي طالب ؑ، فمكة كانت تعتبر المسجد
الحرام، كما في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣).
والأمر الثالث أن هذه الآية وردت في مسألة إنهاء المعاهدة مع المشركين
لإخراجهم من مكة، ولم ترد في مقام بيان عدم مخالطتهم والتحفظ من
نجاستهم، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ لأن المشركين كانوا
أصحاب رؤوس الأموال، فإذا خرجوا من البلد فإنه قد يختل الجانب الاقتصادي،
فيعدهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي
يغنيكم الله من فضله.

فالآية بعيدة عن موضوع نجاسة المشركين، وهناك عنصر تاريخي، وهو أن
المشركين حينما خرجوا من مكة بقوا في الجزيرة العربية ولهم أقارب، ولم ينقل

(١) التوبة: ٢٨.

(٢) الإسراء: ١.

(٣) البقرة: ١٩٦.

أن أحداً سأل النبي ﷺ عن مشكلته مع أقربائه هؤلاء، فلو كانت المسألة مسألة نجاسة مادية فقط لكان المسلمون قد سألوا النبي ﷺ بذلك، فلم يرو الشيعية ولا السُّنة كذلك بنجاسة الإنسان الكافر، وهناك رواية تتحدث عن نجاسة الكتابي، لكن للأئمة ﷺ روايات في الطهارة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١)، يعني أن الله أحل للمسلمين الزواج من الكتابيات، فهل يتزوج المسلم بامرأة كلها نجاسة، فكيف يعيش معها، والسيد محسن الحكيم المرجع الأعلى (رحمه الله) - يومذاك - بقي ٦٠ سنة أو أكثر يفتي بنجاسة الكتابي، ثم التفت إلى نقطة هامة، بحيث إنه كان يفتي بجواز الزواج للمسلم من الكتابية، فكيف للإنسان أن يتزوج بامرأة نجسة، فأفتى بالطهارة لذلك السبب، كما ذكر السيد الحكيم في كتابه (مستمسك العروة الوثقى) في طبعة لاحقة. لذلك نقول إن كل إنسان يعتبر طاهراً، سواء البوذي أو الهندوسي، لأن النجاسة المشار إليها هي نجاسة الفكر والعقيدة، مثلما تقول (ليس هناك إنسان أنجس منه) يعني أقدر منه في أخلاقه وسلوكه.

الفاتحة في الليل:

□ يزعم البعض كراهية قراءة سورة (الفاتحة) للموتى في الليل، بحجة أن

الموتى قد يتركون مواضعهم في دار السلام؟

ج: تلك من العجائب، وما أكثر ما يتحدث البعض عن مثل ذلك، مثلما يقول البعض من المقرئين على المنابر الحسينية، بأن الله قد أرسل أربعة آلاف من الملائكة لنصرة الإمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء، فلم يتسن لهم الوصول في الموعد

المطلوب!! وكأنهم في زحمة مواصلات أو تاهوا في الطريق!! وما أكثر الخرافات التي تقال باسم الحسين ﷺ وبأنهم بقوا ليكون شعناً غبراً إلى يوم القيامة، وكأنهم يريدون إثارة عاطفة الناس بذلك، في الوقت الذي لا نحتاج فيه إلى مثل هذه الروايات المكذوبة لإثارة العاطفة في مسيرة النهضة الحسينية التي هي أكبر من أن يوصف مثلها على مدى التاريخ، حيث قدّم الإمام الحسين ﷺ كل ما يملك من المال والأهل والأصحاب والنفس لنصرة دين الحق ضد الباطل. تلك هي ثقافة عاشوراء التي يجب تبيانها على المنابر، وكان هناك عدد من المقرئين من أمثال الشيخ اليعقوبي ﷺ والشيخ محمد علي قسّام ﷺ والسيد حسين الكفائي ﷺ يحفظ المقتل بأصوله، وعندنا اليوم الشيخ الدكتور أحمد الوائلي عميد المنبر الحسيني حفظه الله، الذي يعتبر مدرسة ثقافة وتنوير المسلمين بالنهضة الحسينية ومغزاها، وقد قال الإمام الصادق ﷺ: ((أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا))، فليس هناك حاجة لسرد الخرافات والابتعاد عن المعاني السامية الحسينية.

الآية والحديث القدسي:

□ ما هو الفرق بين الآية القرآنية والحديث القدسي، إذ كلاهما من الله

سبحانه وتعالى؟

○ القرآن هو كلام الله لفظاً ومعنى، كما أنزله على قلب النبي ﷺ، والحديث القدسي كلام الله نقل بالمعنى، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ الآيات القرآنية ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١) ولم يتكفل بغيره، ولذلك لم يقترب التحريف من القرآن بالزيادة أو النقصان، وقد يكون الحديث القدسي هو بعض ما نزل على الأنبياء ﷺ قبل نبينا محمد ﷺ، وقد يكون سنده صحيحاً أو غير ذلك.

بلاغة القرآن الكريم:

□ لماذا نعتبر بلاغة القرآن من ضمن معجزته، والحال أن هناك مؤلفات

أدبية أبلغ؟

○ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، فلا يوجد أبلغ من القرآن الكريم على مرّ العصور. وعلى سبيل النكتة، حاول البعض أن يأتي بمثل آية بقوله (إنا أعطيناك الجواهر، فصلّ لربك وجاهر، ولا تطع كل كافر)، ولما علم الخليفة بذلك المتقول أمر بصلبه، فجاء أحد الناس ساخراً بقوله: (إنّا أعطيناك العمود، فصلّ لربك قعود، وأنا ضامن لك أن لا تعود). صحيح أنك قد تجد أسلوباً أدبياً راقياً في بعض العناصر كما في بعض النصوص الأدبية، ولكنها لم تصل إلى بلاغة القرآن الكريم في طبيعة معالجته كل الأسرار البلاغية في جميع الجهات، بينما كانت التجارب الأدبية الأخرى تلاحظ جانباً دون جانب، ولذلك فإننا نجد أنه منذ بزوغ فجر الإسلام، حيث كان العرب يومذاك رجال البلاغة، لم يجرؤ أحد أن يرفع إصبعه ليقول إنه يستطيع أن يأتي بمثل ما جاء به القرآن الكريم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٢)، ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) فقد تحداهم القرآن الكريم عل مرأى ومسمع منهم، ولم يثبتوا أمام التحدي الذي امتد مع الزمن كله.

ما المقصود بعدم تحريف القرآن؟

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٤)، فما المقصود بعدم تحريف القرآن؟ هل هو من ناحية الكلمات أو حتى من الخطأ اللغوي والإعرابي والفصاحة؟ ألا نرى في بعض الآيات أخطاءً إعرابية؟

(١) البقرة: ١١١.

(٢) يونس: ٣٨.

(٣) هود: ١٣.

(٤) فصلت: ٤٢.

○ المقصود من تحريف القرآن يعني تبديل القرآن فيما نزل من الله، سواء في زيادته أو نقصانه، لأن الله تكفل بحفظه بما لم يتكفل بحفظ أية كتب سماوية أخرى، فالتوراة مثلاً محدود بالفترة التي كانت بين نبوة النبي موسى ﷺ والنبي عيسى ﷺ، بينما الإنجيل كان في الفترة بين نبوة عيسى ﷺ والنبي محمد ﷺ. وأما القرآن فهو كتاب الحياة التي تمتد منذ نزول القرآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو مصدق لما بين يدي الله، يجمع خلاصة ما في التوراة والإنجيل، لذلك نقول لا زيادة في القرآن ولا نقصان، ولا أخطاء إعرابية ولا لغوية ولا بلاغية، ولكن هناك كلاماً لدى بعض المفسرين من أن بعض الكلمات قد يظهر من الناحية الإعرابية أنها تشتمل على مخالفة القواعد اللغوية، فلا بد من تأويلها مثل «وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ»^(١) فإنها معطوفة على «وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» وهنا في هذا المجال مثلاً يذكر أن في مصحف (ابن مسعود) يقول والمقيمون الصلاة. وعليه، فإن احتماله يكون من خطأ النسخ مثل الكتابة الإملائية مثل (الصلاة) تكتب (الصلوة) و(الزكاة) تكتب (الزكوة) بدون الألف، أو ربما عندما استسخوا القرآن حدثت مثل تلك الإملاءات وهي ليست خطأً أو تحريفاً في القرآن، والمعروف بين أكثر المفسرين أن ليس هناك خطأ من النسخ، بل أن هناك تقديراً محذوفاً وهو أعين المقيمين الصلاة، بينما يروي البعض وجود خطأ لا علاقة له بالوحي من قريب أو من بعيد، وفي جميع الأحوال، فإن ذلك ليس مصداقاً للتحريف حتى لو كان خطأً من النسخ أو اختلافاً في القراءة.

الحروف الزائدة في القرآن:

□ بالنسبة للوضوء، كتب في إعراب (برؤوسكم) إنها جار ومجرور، فهل يمكن أن يكتب حرف زائد في القرآن، وكما هو معلوم أن الله لم يضع أي حرف في القرآن إلا بمعنى له؟

○ حسب قواعد اللغة العربية، قد يرد المفعول وقد يلصق به باء زائدة ويكون عندئذٍ في محل نصب، وعدها زائدة وفقاً لقواعد اللغة العربية لا يعني عدم فائدتها ليقال كيف يشتمل القرآن على ألفاظ أو حروف زائدة، والباء هنا وإن كانت زائدة، فإنه أُريد بها أنه لا يجب المسح بكل الرأس خلال الوضوء بل بعض الرأس، فالباء للتبعيض.

نزول القرآن:

□ نحن نعرف أن نزول القرآن كان في ليلة القدر، فأين وإلى أين نزل؟
○ الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على الرسول محمد ﷺ، أما كيف أنزله فهذا أمر من عالم الغيب.

صلاحات الملائكة:

□ في قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١)، وفي دعاء (كميل) يقول الإمام علي عليه السلام: ((وكننت أنت الرقيب عليهم والشاهد لما خفي عنهم))، فهل يخفى على الملكين شيء؟ وما هي الأشياء التي تخفى عليهم؟
○ نعم، يخفى على الملكين شيء، فالله يُطلع الملكين على ما يفعله الإنسان، أما على ما يخفيه الإنسان في داخل نفسه فلا يطلع عليه الملكين، ولذلك يقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، ويقول أيضاً: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣).

الاجتهاد في النسخ:

□ هل أن مسألة نسخ الآيات في القرآن الكريم خاضعة للاجتهاد الفقهي،

(١) ق: ١٨.

(٢) يس: ٦٥.

(٣) فصلت: ٢١.

أم هي محل اتفاق لدى علمائنا؟

○ النسخ من الأمور المختلف عليها، فهناك من يرى أن هناك نسخاً في القرآن ويفسر بعض الآيات على أنها ناسخة وبعضها منسوخ، وهناك من يرى أن ما اعتبره البعض نسخاً ليس بنسخ حقيقة، ومنهم السيد الخوئي رحمته الله كما في كتابه المسمى (البيان في تفسير القرآن) الذي حاول فيه أن يفسر كل الآيات التي قيل إنها منسوخة بطريقة لا تتسجم مع النسخ، ولذلك فإن المسألة اجتهادية وليست مسألة متفقاً عليها بين المسلمين.

صراحة النصوص القرآنية:

□ أليس من الغريب أن لا تنزل نصوص صريحة في القرآن تمنع الاختلاف بين المسلمين في دينهم، حيث نجد أن تحريم الخمر ولحم الخنزير صريح جلي، بينما يختلف المسلمون في أوقات الصلوات الخمس؟

○ قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١)، فإن النبي صلى الله عليه وآله أوضح ما لم يفصل فيه القرآن، ولكن اختلف الناس فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله، كما أنهم اختلفوا من ناحية تفسيرية فيما جاء في القرآن، كذلك وبعبارة أخرى، فإن الله قد بين في الشريعة كل شيء، ولكن الناس اختلفوا رغم بيان كتاب الله ووضوح سنة النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢).

القرآن والإنجيل:

□ يقول الكاتب الفرنسي الذي يحاكم الآن بتهمة الإساءة للإسلام أن من يقرأ القرآن يحس بالإرهاق، عكس الإنجيل الذي كتبه يهود مبدعون أدبياً، ألا يعني ذلك أن القرآن ركز فعلاً على العرب لذلك يعتبر مرهقاً للشعوب الأخرى؟

○ إن مضامين القرآن تلتقي مع مضامين الإنجيل الذي لم يطرأ عليه

(١) الحشر: ٧.

(٢) التغابن: ١٢.

التحريف، لأن القرآن هو خلاصة ما جاء في التوراة والإنجيل، لذلك فإنه قد يرهقه ذلك، لأنه لم يعيش أجواء القرآن، ولأنه يعيش العقدة تجاهه نتيجة التربية العصبية، فالإنسان عليه أن يعيش أجواء الكتاب الذي يقرأه حتى يمكن أن يريحه أو يرهقه، بينما ذلك الكاتب الفرنسي كان منذ طفولته يسمع للكنيسة ويتعلم الإنجيل، والإنسان عادة يرتاح لما يألفه، ولا يرتاح لما لا يألفه.

إتلاف الآيات بالحرق:

- هل يجوز إتلاف ما كتب عليه آيات قرآنية وأسماء مقدسة، وخصوصاً إذا كان الإتلاف غير ممكناً إلا بواسطة عملية الحرق؟
- ورد في الأحاديث حُرمة حرق ما هو مكتوب عليه من آيات القرآن.

تداول المصحف الشريف:

- عن تداول ومداولة القرآن بين بعض القراء، أرى الكثير من حملة القرآن يستخفون بحمله أو قراءته، وكأن القرآن قصة أدبية، بينما نرى هذا الشخص عندما يحمل طبقة بيض فيحملها بكلتا يديه مبالغة بالحد؟
- لا بد من احترام القرآن مضموناً وشكلاً، ولذلك يحرم هتك المصحف أو الإساءة إليه، ولكن مصاديق الهتك مختلفة، وأهم من كل ذلك هو تدبر القرآن.

تواتر القرآن:

- أنا سُني وأسمع بأن الشيعة يدعون بأن جزءاً من القرآن مفقود؟
- ليس هناك من الشيعة من يدعي ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، فإن الله تكفل بحفظ القرآن عن الزيادة والنقصان، ولم يتكفل بحفظ التوراة والإنجيل، وعلى هذا فقد أجمع الشيعة بأن القرآن هو ما بين الدفتين، وعندما جمع القرآن فقد أقره أئمة

الشيعة، حتى أنهم طلبوا منا أن نعرض كل الأحاديث على كتاب الله، فما وافق كتاب الله نأخذ به، وما خالفه نرفضه، ولذلك فالشيعة تعتقد أن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو مصون عن التحريف، وما ورد من الأحاديث مما يوهم بالتحريف فعلينا أن نطرحه أو نؤوله.

منهج التأويل:

□ ما هو اعتراضكم على فكرة أو منهج (التأويل)؟ وما هي النتائج التي توصل إليها وتعارض مع مذهب أهل البيت؟

○ كلمة (التأويل) لها معنيان، أولهما ما يرجع الشيء إليه كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾^(١)، وذلك التأويل يُعرف في يوم القيامة، وأما التأويل بالمعنى الثاني، فهو يعني حمل اللفظ على خلاف ظاهره، وقد أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين، فلا بد أن نخضع فهمنا للقرآن للقواعد الأصلية للغة العربية التي تقول إن كل لفظ له ظاهر، فعلينا أن نأخذ بظاهره، إلا أن يكون هناك دليل لفظي أو عقلي على إرادة خلاف ذلك الظاهر. فمثلاً في المجاز عندما يُقال رأيت الأسد، يصلّي فإن كلمة (الأسد) موضوعة لغة للحيوان المفترس، أما كلمة (يصلّي)، فقد وضعت لمن يدعو لغة أو لمن يقيم الصلاة المعهودة وهو الرجل، ولذلك تكون كلمة 'يصلّي' قرينة على إرادة خلاف الظاهر من كلمة الأسد، وهناك بعض الآيات التي تدل - مثلاً - على تجسّد الله كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾^(٢) أو ﴿قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٣) و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤) و ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٥) و ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦)، فالدليل

(١) الأعراف: ٥٣.

(٢) الفجر: ٢٢.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) القصص: ٨٨.

(٥) الرحمن: ٢٧.

(٦) الفتح: ١٠.

العقلي كما هو الدليل النقلي القطعي يؤكد أن الله سبحانه ليس جسماً كالأجسام، وهو ما أكدته القرآن الكريم «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ»^(١) وقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٢)، وما دلّ عليه الدليل العقلي من أن الله لا يُرى، ولذلك يُعدل من ظاهر اللفظ إلى غيره للقرينة العقلية والنقلية، فيكون الوجه مما يعبر به عن الذات، ولذلك عندما نقول لفلان وجه فيعني ذاته، واليد تمثل العطاء والقوة، وهكذا فكل معنى ينسب إلى القرآن على خلاف الظاهر ليس هناك قرينة عليه فهذا يسمى بالتأويل الذي لا شاهد عليه، وهذا غير صحيح. نعم، في بعض الحالات تطلق بطن القرآن بمعنى آفاق وعمق القرآن وامتداداته.

ختم القرآن:

- ما قولكم بختم القرآن أو ختم سورة أو بعض سورة ؟
- قراءة القرآن أمرٌ حسن على كل حال وهي مستحبة، وأما ختم القرآن فلا يطلق إلا على قراءة المصحف كله.

القرآن وغير المسلم:

- إني أعمل بطباعة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على شكل برواز، وهناك من يشتريها من إخواننا المسيحيين أو الصابئة، فهل يجوز إعطاؤهم الآيات القرآنية مطبوعة على برواز خشب وبيعها أم لا ؟
- نحن مستعدون لإهدائها لهم، سواء اللوحات القرآنية أو القرآن نفسه، ولا يجب أن نستشكل في مسألة وضع اليد على القرآن، بينما المسيحيون في كل أنحاء العالم يوزعون الإنجيل بعدة طرق، ولكن مشكلتنا أننا قد علّقنا القرآن ووضعناه للبركة وعلى القبور لقراءة الفاتحة وللاستخارة، بينما كان النبي ﷺ يريد إسماع القرآن للمشركين ليهتدوا به «هُدًى لِلنَّاسِ».

الفصل الثاني

المسائل العقيدية

الجبر على الأعمال:

□ هل يستطيع المخلّدون في النار أن يحتجوا على الله بأن وجودهم في عالم الشهادة فيه نوع من الجبر وهم غير مخيّرين بمجيئهم إلى الدنيا؟

○ إن مجيئهم إلى الدنيا لا يجعلهم كافرين بشكل عفوي، لأن الله خلقهم في الدنيا وهم قادرون على الخير أو الشر «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا»^(١) فقد أعطاهم الله عقلاً وإرادة، فلماذا لم يركزوها؟ وبعث لهم أنبياء، فلماذا لم يستجيبوا لهم، فلا حجة لهم على الله.

الدعاء والقدر:

□ ما فائدة الدعاء إذا نزل القدر؟

○ إن الدعاء هو من القدر، فالله يقدّر الأمور بأسبابها، وهناك أسباب مادية وأسباب روحية. يعني أن الله يرزق الإنسان إذا دعاه، وينصره إذا دعاه، وهكذا.

الاستنساخ وقدره الله:

□ تتناقل الأنبياء اليوم عن مسألة حمل سيدة كورية بأول إنسان مستنسخ، فما هو تعليقكم على ذلك، وكيف نفهم ذلك دون تعارض مع الدين؟

○ إن الاستنساخ بطبيعته لا يتعارض مع الدين، لأن الخلق هو خلق القانون وليس خلق الشكل، فنرى كيف يولد الكائن الحي الطبيعي الإنسان أو الحيوان ونرى الكائن المستنسخ كيف يوجد، فهل نرى هناك مصادمة مع العقيدة على نحو يتحول الإنسان إلى خالق؟ كلا، إن الإنسان أو الحيوان يولد من خلال تلقيح النطفة للبويضة، والنطفة فيها ٢٣ كروموسوماً وكذلك البويضة فيها ٢٣

كروموسوماً فعند التلقيح تصبح خلية كاملة من ٤٦ كروموسوماً، وبهذه الطريقة يولد الكائن الحي، وفي الاستساخ يأخذون خلية حية ناضجة فيها ٤٦ كروموسوماً وتفرغ البويضة من الكروموسومات الثلاثة والعشرين ويوضع ٤٦ كروموسوماً بالبويضة، فيولد المستسخ من ٤٦ كروموسوماً مثل العملية الطبيعية للتلقيح، فالذين يستسخون انطلقوا من نفس القانون بإيجاد كائن حي من خلية تتكون من ٤٦ كروموسوماً ولم يخلقوا قانوناً جديداً، ولم يستطع الإنسان أن يخلق هذا القانون منذ كان الاختراع والاكتشاف حتى الآن، فهذا إذن من الناحية الدينية لا يتعارض مع العقيدة. ومن ناحية الحلال والحرام، فعلى أن ندرس فيما إذا كانت السلبيات أكثر من الإيجابيات، فنقول إنه حرام كما في حالة «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافَعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(١)، فكل ما كان إثمه أكثر من نفعه فهو حرام، ولذلك قلنا مثلاً التدخين حرام، لأن ضرره أكثر من نفعه، أما إذا كان نفع الشيء أكثر من الضرر أو يتساوى فيه النفع والضرر فنقول عنه حلال، ولكن تجربة الاستساخ لا تزال جديدة فلا نحكم عليها بحكم قاطع بأنها حرام أو حلال.

الكفر غضباً:

- ما حكم من يقول على الآخرين بغضب بأنه لا يؤمن بريه ولا بالنبى؟
- إذا كان يقول ذلك معتقداً فقد كفر، أما إذا كان يقول ذلك في حالة غضب ودونما قصد فعليه الاستغفار وأن لا يعود إلى ذلك.

البلاء والعقاب:

- كيف يفرق الإنسان بين البلاء والعقاب؟
- على الإنسان أن يدرس الحالة التي تحدث له، فالعقاب ربما يتمثل في ما يجعله الله في داخل العمل، فمثلاً عقاب الذي يأخذ السم أنه يموت، وعقاب

الذي يدخن هو السرطان.. ولذا يقول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١) ، فالعقاب هو نتيجة العمل.

وأما البلاء فإنه ناتج عن الظروف الطبيعية، فمثلاً المشكلة الاقتصادية هي مشكلة متعلقة بظروف المنطقة السياسية أو الاقتصادية أو المشكلة النفسية حسب المحيط الذي يعيش فيه الإنسان، فهذا ليس معناه عقاباً. والبلاء قدّمه الله لنا على أساس الاختبار ﴿الْمُ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ^(٢) فأنت تقول إنني مؤمن، ولكنك عندما تقع في التجربة فربما تسقط، كما قال الإمام الحسين عليه السلام: ((إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم يحوطونه ما درت معاشهم فإذا مُحْصُوا بالبلاء قل الديانون))^(٣).

الله هو النور:

□ أطلقت كلمة (النور) على الذات القدسية لله ووردت في مواضع

مختلفة، فما هو تعليقكم على كلمة (النور)؟

○ لأن الله هو الذي يملك بذاته الإشراق ويضيء لما حوله، فهو النور الذي أعطى لكل شيء نوره، وهو خالق النور، وهو سر الوجود، وهو الذي أعطى الموجودات هداها، وهو الذي ألهم كل نفس هداها، فالله نور والرسل نور - أيضاً - لأنهم يهدون الناس، والقرآن أيضاً نور، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(٤) باعتبار وظيفته ودوره (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ

(١) الروم: ٤١.

(٢) العنكبوت: ١-٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٥، ح ٣.

(٤) المائدة: ١٥.

سُبُلَ السَّلَامِ^(١) وقد يكون بعض الناس كالأئمة والأولياء أيضاً نوراً، ولكن نور النبي غير نور الله ونور الأولياء والقرآن، وهكذا مثل كلمة الوجود، فوجود الله شيء ووجود الإنسان شيء آخر.

البداء:

□ يتهم الشيعة بالبداء، وقد قرأت للشيخ المفيد خلاف ذلك؟

○ ليس المقصود بالبداء عند الشيعة بأنه يكون عند الله علم بالشيء ثم يبدو له فيه شيء آخر، بل يعني أن الله قد يبدي الشيء ثم يظهر ويكشف خلافه لحكمة ما، والحقيقة واحدة عند الله، إلا أنه يبين الحق بعد ذلك، كما في مسألة النبي إبراهيم ﷺ عندما رأى في المنام أنه يذبح ولده إسماعيل «قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» فقد رأى إبراهيم نفسه وهو يقوم بمقدمات الذبح، وكان الوحي يأتي للأنبياء أحياناً بواسطة المنام، فاعتبر ذلك أمراً بذبح ولده، فدعا ولده حتى يأتمر بأمر الله «فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ» يعني صرعه «وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»^(٢) فإن الله أراد أن يظهر لإبراهيم أنه ليس مأموراً بالذبح الفعلي، بل هو مأمور بأن يقوم بمقدماته من دون أن يؤدي ذلك إلى الذبح الفعلي، وهذا ما قام به إبراهيم ﷺ، ولذلك جعل الله في الحج فريضة الأضحية حتى يتذكر الناس ويعرفوا أن إبراهيم ﷺ كان على استعداد أن يضحي بولده بدم بارد وأن ولده أيضاً قبل التضحية، فهذا لا يعني بداء، ولكنه الإبداء .

(١) المائدة: ١٦.

(٢) الصافات: ١٠٢-١٠٥.

المساجد على القبور:

□ هل نستطيع أن نتخذ من الآية القرآنية «لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا»^(١) دليلاً على جواز التعبد عند القبور وبناء المساجد عليها، في وقت نرى البعض يعتبرون إقامة المساجد على القبور والصلاة والدعاء فيها قرب قبور أولياء الله الصالحين من النبيين والأئمة عليهم السلام شركاً بالله، خاصة وأن المستضعفين الذين اقترحوا ببناء المسجد هم الأكثرية دائماً؟

○ إن الأخ السائل يتحدث عن مقولة وقع فيها جدل بين بعض المذاهب الإسلامية. فهناك مذهب يتهم مذهباً آخر بالشرك أو بما يقرب من الشرك عندما يصلّون عند قبور الأنبياء والأئمة. وهناك أحاديث حتى عند الشيعة ورد فيها ((لا تتخذوا قبور أنبياءكم مساجد))، لكن هذا المعنى لا واقع له مما يلتزمه المسلمون، سواء من الشيعة أو السنة، وذلك باتخاذ القبور مساجد، لأنهم لا يسجدون لها، وعندما يصلي أحدهم عند القبر ركعتين قريبة إلى الله تعالى ويهدي الثواب للميت، فأى شرك في ذلك. فهو قد صلى قريبة إلى الله ولم يتوجه للقبر ولم يستقبل القبر قبلة، ولم يتوجه بصلاته إلى صاحب القبر، وإنما توجه لله سبحانه وتعالى. لذلك هذه الشبهة التي يتهم بها بعض المسلمين ناشئة من عدم التدبر والفهم للأحاديث التي ورد فيها: ((لا تتخذوا قبور أنبياءكم مساجد)) أو ((لا تتخذوا قبوري مسجداً)) وما إلى ذلك.

نعم، هناك بعض المظاهر التي يستعملها بعض الناس من باب التواضع فينبغي أن لا يأتي بها الإنسان، كالذي يدخل مشهداً من مشاهد الأولياء فيسجد عند أبوابه مثلاً، فإنه وإن لم يسجد له كما هو المقطوع به، ولكن مظهره هذا يجعل الآخرين يفكرون بطريقة لا تتسجم مع قصده، مع أنه يأتي بذلك الفعل بكل تأكيد من باب المحبة، ولكن على الإنسان عندما يحب هذا أو ذاك، فإن عليه

أن لا يعبر عن حبه وولائه بالطريقة التي تجعل الناس تظن فيه غير ما يعتقد . وكثير من الاتهامات الموجهة ضد الشيعة بعضها جاء نتيجة مظاهر من هذا النوع، فبعض الناس بدلاً من أن يدعو الله فهو يقول (يا علي ارزقنا أو أشفنا)، مع اعتقاده أن الله هو الشافي وهو الرازق .

نعم، إننا نتوسل بهم ونقدمهم كشفعاء، لأن الله يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾^(١) و ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾^(٢) وقد أُذن لهم بالشفاعة، وعلينا أن نتوازن بالعاطفة ولا نعطيها معنى على غير ما نعتقد .

الإكراه في الدين:

□ إن الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣) تعني حرية الإنسان في الإيمان بالله، فلماذا كان الله في الماضي يعذب الأقوام التي لا تؤمن به ؟

○ أولاً إن الآية الكريمة تقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فليس هناك إكراه، لأن الإنسان يكره على شيء غير واضح، فمثلاً الشمس أمامك وأنت تراها، فهل من المعقول بأنك تكره حتى تؤمن بالشمس، ولذا فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾ لأن الدين واضح بَيِّن . ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، ثم إن الله جعل العقل حراً ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٤)، فلإنسان الحرية، ولكنه مسؤول عن ممارسة الحرية، فإذا اخترت الكفر فما هي حجتك على الكفر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾، فعليك حساب المسؤولية، فإذا كنت قد كفرت ولم تتحمل مسؤولية كفرك، بمعنى لم تتطلق من دليل ولم تتطلق من حجة أو برهان، فإن الله

(١) الأنبياء: ٢٨ .

(٢) طه: ١٠٩ .

(٣) البقرة: ٢٥٦ .

(٤) الكهف: ٢٩ .

سبحانه وتعالى يحاسبك، لأنك عطّلت تفكيرك، ولأنك كفرت بدون حجة، ولذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١) ويقول: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢). وهذا ليس معناه أن الله إذا أعطاهم الحرية فإنه لا يحاسبهم، فكلّ حرية مسؤولة، فالدولة مثلاً عندما تعطي الحرية في الإعلام أو في السياسة، فإنها تعطيك حقّ الحرية، ولكن عندما تنحرف عنها فإنها تخضعك للقانون، فالحرية لا تعني الفوضى أو تجاوز القانون.

اعتراض إبليس:

□ كيف يعترض إبليس على أمر الله، ونحن نعلم أن الملائكة مطيعون دائماً. وعندما طلب إبليس من الله إمهاله إلى يوم القيامة وقد صدر القرار بمعاقبته، فهل غير سبحانه القرار وترك إبليس لكي يمتحن الإنسان بواسطته، أي أنه لم يكن مقررًا ذلك الاختبار الدنيوي للبشر كعقوبة لآدم وللبنس؟

○ إن إبليس ليس من الملائكة، ولكنه كان يعيش مع الملائكة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣) هذا أولاً. وثانياً إن الله عاقبه بطرده من الجنة، وفي الأساس، إن قضية آدم تقوم على أن الله خلقه للأرض أراد له أن يدخل آدم وحواء في دورة تدريبية، لأن الله خلق آدم طاهراً، أي بدون تجربة، وهو لم يعيش في مجتمع، فأراد الله لآدم أن يعطيه فكرة حسية بأن هناك من يغش وهناك من يحلف كذباً باسم النصيحة. لذلك كانت التجربة مع إبليس، وجعل نزول آدم إلى الأرض نتيجة هذه التجربة، وعندما نزل إلى الأرض عرف السبب، ﴿كما أخرج أبايكم من الجنة يئزع عنهما لباسهما﴾^(٤)، ولذلك لم يتغير القرار كما هو

(١) الأنعام: ١٤٩.

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) الكهف: ٥٠.

(٤) الأعراف: ٢٧.

مفروض السؤال، لاستحالة ذلك على الله الذي يعلم البداية والنهاية للأشياء قبل خلقها أو وقوعها، بل كان ذلك مقررأ من أول الأمر.

حياة البرزخ:

□ هل يشعر الإنسان بالوقت في البرزخ بين لحظة الموت والقيامة؟
○ الظاهر أنه لا يشعر بالوقت، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۚ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(١) فلم يكن إحساس بالزمن عند الموت.

خلق البلدان من الأنبياء:

□ من المعلوم أن رسالات الأنبياء كانت في فلسطين أو شبه الجزيرة العربية، فما هو الحال عن الشعوب الثانية كالهنود الحمر في أمريكا أو البوذيين في اليابان، فلماذا لم تصلهم رسالة الإسلام قبل حملات التبشير والاستكشافات الأوروبية؟ وهل يتحمل العلماء المسلمون مسؤولية التقصير في التبليغ الإسلامي إلى كافة أنحاء العالم؟

○ إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٢) فإن الله يخبر النبي ﷺ بأن هناك أنبياء كثيراً ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾^(٣) ومعنى ذلك أن كل أمة قد أقام الله عليها الحجة، ولكن الله لم يذكرها كلها لنا، فيقولون إن الأنبياء مجموعهم ١٢٤ ألف نبي، ولكن القرآن يتحدثنا عن مجموعة من الأنبياء، والمسلمون بحسب إمكاناتهم دعوا إلى الله حسب إمكاناتهم، ففي الصين مثلاً يوجد ملايين المسلمين، وبدأت في اليابان أيضاً حركة الإسلام، وإن شاء الله تستمر حركة الرسالة في العالم كافة.

(١) المؤمنون: ١١٢-١١٣.

(٢) فاطر: ٢٤.

(٣) النساء: ١٦٤.

قيمة الدعاء عقائدياً:

□ ما هي الأبعاد العقائدية والفكرية في الآية الكريمة: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١) ؟

○ إن المراد هو دعاء العبد في ما يهّمه من أمور الحياة أو ما يحسّه من مشاعر الإيمان به والخشوع له والخضوع إليه، فيكون المعنى أن الله لا يعبأ بكم لولا دعاؤكم إياه في ما يمثّله ذلك من التصديق بوجوده والإذعان بوحدانيته والإخلاص لعبادته. فيكون المعنى أن الدعاء هو الذي يمنحكم رعاية الله وعنايته بكم، باعتبار ما يمثّله من الدلالة على إيمانكم به. وهناك تفسير آخر، هو أن الدعاء هنا هو دعاؤه سبحانه وتعالى، فيكون المعنى أن الله لا يعبأ بكم في أي وضع من الأوضاع لولا دعاؤه لكم لتهتدوا ولتعبدوه وحده لا شريك له. ولعل المعنى الأول هو الأقرب.

نزول النقم على أمة محمد ﷺ:

□ هل تنزل النقم على أمة الرسول محمد ﷺ كما نزلت على الأمم السابقة كعاد وثمود؟

○ يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢)، فهناك أمانان، أحدهما بوجود النبي محمد ﷺ، وثانيهما بالاستغفار، ويبقى مجال الاستغفار، ولكن الله سبحانه وتعالى يبتلينا للامتحان والاختبار وليس للتعذيب: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣)، فلما غيّرنا ما بأنفسنا غير الله ما بنا، لأنه ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الأنفال: ٥٣.

الَّذِي عَمِلُوا^(١)، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ الْبَلَاءَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَّا قَاءً، بَلْ هِيَ نَتَاجُ أَعْمَالِنَا، فَمَنْ يَزْرَعُ الرِّيحَ لَا بَدَّ أَنْ يَحْصِدَ الْعَاصِفَةُ كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ.

الاذكار وتخفيف العذاب:

□ تعج كتب السنّة والشريعة بأحاديث عن ذكر الصلاة على النبي كذا مرة مثلاً، فإنه يخفف عنه عذاب البرزخ، أو من ذكر الله سبحانه وتعالى كذا مرة يخفف مثلاً عنه العذاب يوم القيامة، فما صحة ذلك؟

○ الذكر هنا ليس ذكر اللسان من دون وعي، فالذكر هو أن نذكر الله وسره في ربوبيته ونذكر مقامه سبحانه وتعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)^(٢) وأن تذكر الله كما ورد في مضمون كلام الإمام الصادق عليه السلام: ((أَنْ تَذْكُرَهُ لَيْسَ سُبْحَانَ اللَّهِ بِاللِّسَانِ، وَلَكِنْ هُوَ أَنْ تَذْكُرَ اللَّهَ فِي الْوَاجِبِ فَتَفْعَلَهُ، وَتَذْكُرَهُ عِنْدَ كُلِّ حَرَامٍ فَتَنْتَهِيَ عَنْهُ))، فالذكر هو الذي يعطي خط الانسجام في خط الله سبحانه، ولذلك يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: ((وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ))، بحيث تذكر الله في قلبك ووعيك وعقلك. وهذا طبعاً يمتد إلى مواقع الالتزام، ثم هناك حديث يقول: ((وَمَنْ حَسَنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْطِيهِ عَلَى حَسَنِ ظَنِّهِ))، ولا إشكال أن مثل هذا الذكر يخفف العذاب ويرفعه موضوعاً.

خلق حواء من آدم:

□ هل خلق الله حواء من ضلع آدم؟

○ إن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، وهو ليس بحاجة إلى أن يخلق حواء من ضلع آدم، ولم يثبت ذلك في رواية ولا هو ظاهر من القرآن الكريم.

(١) الروم: ٤١.

(٢) النازعات: ٤٠-٤١.

متى خلقت حواء:

□ هل هناك دليل على أن الله خلق حواء، لأنه سبحانه خلق آدم ثم جاء

الخطاب لآدم وحواء؟

○ إن الله خلقهما سوية، ولكن أراد الله أن يبين خلق الإنسان ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ۖ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(١) وطبعاً هو الإنسان المخلوق داخل الإنسان.

خلود الناس في النار:

□ هل الأقوام السابقة من الناس التي نزل عليهم العذاب خالدون في النار

وليس لهم أمل يوم القيامة بدخول الجنة؟

○ الجنة والنار من علم الغيب لله سبحانه وتعالى، ولم يتبين لنا البرنامج التفصيلي والزمني لهما بدليل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢). فلماذا نشغل أنفسنا بمن يدخله الله الجنة ومن يدخله النار؟ إن علينا أن نهتم بأنفسنا ومسؤوليتنا، ولدينا برنامج عقائدي يقوم على أن كل من قامت عليه الحجة وابتعد عنها فهو يستحق العذاب. نعم، هناك فرق بين الاستحقاق والفعالية، فكما يحكم مثلاً على أحد الأشخاص بالسجن المؤبد ثم يشمل العفو، فإن الله سبحانه وتعالى قد يشمل البعض بعفوه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٣) ويظهر من بعض الأحاديث أن لله رحمة يوم القيامة يتناول إليها عنق إبليس، وذلك من كثرة ما يرحم الله الناس، فيظن إبليس بشموله الرحمة، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾^(٤) فلو أعطى الله رحمته لبعض الناس فإنهم لا يعطونه لأحد، وحتى إذا

(١) ص: ٧١-٧٢.

(٢) النساء: ١١٦.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) الإسراء: ١٠٠.

أعطاهم رزقه فلا يعطونه لأحد .

سبب نزول آدم من الجنة:

□ هل كان نزول آدم من الجنة بسبب الخطيئة التي ارتكبها أم لا ؟
○ كما قلنا في الحديث بأن الله سبحانه وتعالى خلق آدم للأرض وكانت مخالفته مما صدر منه وحواء مناسبة لنزوله إليها .

زمن العصمة:

□ إن الشيعة الإمامية يعتقدون بعصمة النبي ﷺ والإمام ﷺ منذ طفولته وإلى أن يرتحل إلى ربه، فما معنى هذه العصمة ؟

○ العصمة تنطلق من أن الله يخلق في شخصية المعصوم بعض الخصائص التي من خلالها يختار له الكمالات الفكرية والعملية، فالعصمة لطف من الله للمعصوم. فينتقل هذا اللطف من خلال بعض العناصر التي يودعها الله في المعصوم ويتعهد الله له بها، ولذلك فقد وكل الله بالنبي ﷺ ملكاً من أعظم ملائكته يلقي إليه في كل يوم علماً، بالإضافة إلى أن الله يخلق في نفس المعصوم بعض العناصر التي تدفعه للأخذ بالكمال والابتعاد عن الانحراف، ويتعهد، كما في الآية حيث يقول الله سبحانه وتعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(١)، فيعطيه الجو العام للعصمة. ولكن التفاصيل تتحرك من خلال التعليمات المندرجة التي يعلمها الله إياه. أما ما هي الثمرة من العصمة، فذلك لأن دور النبي ﷺ والمعصوم هو أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، فلا بد أن يكون نوراً كله. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يخرج الظلمة من كل عقل وقلب النبي ويخلق له عقلاً وقلباً وإرادة نورانية ولكنها ممزوجة باختيار المعصوم، حتى لا يقال إنه يتحرك مثل الآلة بدون اختيار منه. فهي عصمة واعية وليست عصمةً مجبورةً بهذا المقام.

إجابة مقترحي المعجزات:

□ إن المشركين يعلمون أن الرسول من البشر وكل الرسل من البشر، فإذا كان الرسول قد دعا الله بالاستجابة لإحدى المقترحات التعجيزية لألقى الحجة عليهم!!

○ لم يجبههم الرسول ﷺ، لأن إجابتهم لذلك لا تنفع ولا تؤدي إلى إيمانهم، لأنهم بصدد التعجيز، فإن أجابهم إلى معجزة طلبوا منه أخرى، ويكفي أنهم يتهمونه بالسحر إن عجزوا عن أي إشكال. أما لماذا أجاب موسى ﷺ وعيسى ﷺ وإبراهيم ﷺ، فإن الظروف المحيطة بهم مختلفة، فإن الله سبحانه وتعالى أعطى موسى العصا ليس لجهة أن يؤمن الناس، بل لجهة أن موسى ﷺ كان مستضعفاً وليس بمقدوره أن يدخل على فرعون إلا بما يؤهله للدخول عليه. وكذلك غيره من الأنبياء ﷺ، كما في عيسى ﷺ، حيث لا يمكن أن يأخذ عيسى ﷺ موقعه من دون أن يباري الأطباء يومذاك. أما النبي محمد ﷺ، فقد كان يتعرض إلى ما يتعرض إليه، ولكنه لم يكن كما هو الحال مع النبي موسى ﷺ مثلاً، فإنه كان في منعة إلى حد ما، وإن كان قد أُوذي بما لا مثيل له.

ما يكتبه الله:

□ قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(١) وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٢) فكيف يكون ما يصيب الإنسان مكتوباً عليه وهو من فعل يديه؟

○ هو مكتوب عليه من جهة، ومن فعل يديه من جهة أخرى، وذلك أن الله يكتب ما يعلم أنه سيحدث بالمستقبل بأسبابه، فهو يعلم بالمستقبل كما هو الحاضر، لأنه هو الذي خلق الإنسان ويعرف أنه سوف يعصي الله باختياره أو

(١) التوبة: ٥١.

(٢) الإسراء: ٧.

يطيعه، وليس معنى ذلك أن الله كتب عليه المعصية، فאלله يعلم أن الإنسان يعصيه، فمثلا - مع الفارق - إذا أرسلنا طالبا لمدير المدرسة وقد عرف المدير ذهنية الطالب وكتب بالدفتري أن الطالب سيرسب، فعدما يرسب الطالب فهل نقول إنه رسب بسبب المدير لأنه كتب رسوبه؟ كلا، بل إن حدس المدير قاده إلى أن يكتشف أن الطالب سيرسب في المستقبل، فليس معنى الآية بأن ما يكتبه الله هو المقدر بنحو يسلب اختيار الإنسان، بل هو مما علمه الله في مستقبلنا باختيارنا، وهو سبحانه لا يخطئ في علمه.

الابتلاء بالحرمان:

□ قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١) فإذا كان الله يعلم ما في باطننا وداخلنا فلماذا هذا الامتحان؟

○ إن الله لا يريد أن يمتحننا ليعلم، ولكنه سبحانه يمتحننا ليظهر ما عندنا ويقوي تجربتنا، لأن الابتلاء ليس شرا كله، فالإنسان الذي لا تعترضه مشاكل ولا يخاف ولا يجوع، فإنه يكون طريا كما هو العود، ينكسر عندما تمسكه. ولذلك يريد الله سبحانه لنا أن نعيش التجربة الصعبة في الحياة، حتى يشتد عودنا وتعمق تجربتنا في إغناء عقولنا. والتجارب، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: ((خير ما جربت ما وعظك)) و((في التجارب عقل مستحدث))، فنستفيد عقلا جديدا من خلال التجربة، كما في المثل (اسأل مجربا ولا تسأل حكيما)، لأن التجربة هي التي تصنع الفكرة من خلال المعاناة، أما الحكيم فيقرأ الفكرة التي جربها الآخرون، والله يريد للإنسان أن يثبت فكره من خلال ممارساته.

ففي كثير من الحالات يدعي الإنسان أنه المخلص والتقوي، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان، وهناك بعض الناس لا يعرف نفسه إلا عندما يدخل في تجربة

صعبة. فالذي يتباكى يعصر عينيه لينزل دمعة أو دمعتين، لكن الإنسان الحزين تنزل دموعه من دون أن أن يتكلف ذلك، وفي ذلك قول المتنبى:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾^(١) أي لا يختبرون، ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾^(٢) فليعلمن يعني ليظهرن الله للإنسان حقيقته، فقد يخيل للإنسان الذي لم يعيش التجربة أنه سائر على الخط، ولكنه في الواقع ليس كذلك، فكثير من الناس يدعي دعاوى كثيرة، ولكن ليس له دليل.

الشیطان من الجن:

□ الشیطان حسب الظاهر هو مخلوق من الجن، فكيف یوسوس للملايين

البشر؟

○ إن الشیطان من الجن، كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾^(٣) والوسوسة تعني التدبير في الخفاء، كما هو عمل المخابرات التي تشتغل من خلال الصحف والسياسيين والأحزاب، ومن خلال وسائل الإعلام والفضائيات. فكلها مثل الوسوسة. فالإعلام هو الذي یوسوس ویخلق في نفس الإنسان الانطباعات والمشاعر والأفكار وحالات البغض والحب لهذا وذاك.

وما أكثر الشیاطین هذه الأيام وهي تصنع الخبر، فالمخابرات اليوم لا تجمع الأخبار وحسب، بل إنها تصنع الحروب والفتن، وحتى في المجتمع الديني فهي تفكر بخلق الفتن والنزاعات. وكل يوم تخلق مشكلة بين الناس لیضرب بعضهم بعضا. فالآن مليارات من الشیاطین «شیاطین الإنس والجن یوحي بعضهم إلى

(١) العنكبوت: ٢.

(٢) العنكبوت: ٣.

(٣) الكهف: ٥٠.

بعض زخرف القول غرورا^(١). فقد حدثنا الله سبحانه وتعالى عن أولئك الشياطين وهم لا يملكون قدرة خارقة، حتى من كان من شياطين الجن، فهو يوسوس ويخلق الأجواء لذلك «يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا»^(٢)، وقد قال الله سبحانه وتعالى للشيطان «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بريك كيلا»^(٣) فالواعون هم الذين يملكون القاعدة الفكرية والروحية، وليس للشيطان عليهم سلطان، بل إن الله هو الذي يمنح المؤمنين رعايته «إلا من اتبعك من الغاوين» الذين يهملون سر الإيمان بالله ويتبعون الشيطان ويستغرقون في وساوسه وغواياته.

تضحية غير المؤمن:

□ ما الذي يدفع الإنسان الملحد الذي لا يؤمن بالثواب والعقاب للقيام بأعمال الخير وإعانة المحتاجين والدفاع عن المظلومين، وقد يضحي بنفسه في سبيل ذلك، فهل نتوقع أن تشملته الرحمة الإلهية مع أنه منكر لوجود الله سبحانه؟

○ ربما يكون ذلك متولدا من الناحية التربوية، وقد يكون عند بعض الملحدين رواسب دينية، فهو قد يقول إنه لا يؤمن بالله، ولكنه من حيث لا يشعر فهو يذكر الله في أعماقه، كذاك الذي يقول (أموت وليحيا الآخرون)، فماذا يفيد إذا هو شعب موتا فربما أنه يفكر بحياة أخرى، ولكنه لا يعلن ذلك. أما مدى شموله برحمة الله، فحسب الآية الكريمة تقول «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»^(٤) وأن أمر رحمة الله ومغفرته بيده ولا نستطيع التدخل في ذلك.

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) النساء: ١٢٠.

(٣) الإسراء: ٦٥.

(٤) النساء: ١١٦.

الطاعة وسعة الرزق:

□ أنا إنسان مؤمن نشأت منذ الصغر على طاعة الله ورسوله وأهل بيته ﷺ وأدبت كل ما يطلبه الشرع المقدس من واجبات الإنسان المسلم، ولم أقرب الحرام في حياتي، وجاهدت في سبيل الله بيدي ولساني وقلبي، ولكن رزقي شحيح جدا رغم سعيي في طلب الرزق الحلال، فماذا أفعل؟

○ عليك بالصبر، لقوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾^(١) فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ❖ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾^(٢) كلا، فليس البلاء إهانة وعقوبة للإنسان، بل هو قد يكون ناشئا من طبيعة الأوضاع الطبيعية المؤثرة في سعة الرزق وضيقه بحسب السنن الواقعية في حياة الإنسان، فتتحول المسألة في الممارسات الإنسانية إلى اختبار وامتحان، وقد وعد الله المؤمنين أنه سيجعل لهم من بعد العسر يسرا.

الجن في حياتنا:

□ ما هي علاقة الجن بالإنسان، وخصوصا أننا نسمع أن فلانا مصاب بالجن؟ وما هو تفسيركم لقول أمير المؤمنين ﷺ: ((واكفني شر الجن والإنس من أعدائي))؟

○ ربما يعيش الإنسان التهاويل الشعبية في الخوف من الجن، ولا دليل على علاقة الجن بالإنسان على نحو يكون الإنسان مسكونا بالجن أو متلبسا به، ولذلك فما يقال إن فلانة أو فلانا متلبس بالجن ويريد من يخرج الجن من جسمه، فهذا كله خرافة. أما قول علي ﷺ: ((واكفني شر الجن والأنس من أعدائي)) فهو بمقام إزالة تلك الحالة النفسية التي ربما يتصورها الإنسان.

(١) الزمر: ١٠.

(٢) الفجر: ١٥-١٦.

حب النفس:

□ المجتمع مصاب بأمراض خطيرة مثل حب النفس، وذلك ما يؤدي إلى

تخريب المجتمع، فما تعليقكم ؟

○ حب النفس بذاته ليس قيمة سلبية، ولكن على الإنسان أن يحب لنفسه النجاة وتنمية نفسه علميا وروحيا وحركيا، مما يحقق لها الدرجة العليا في الكمال؛ وأن يحب لنفسه الحصول على رضا الله سبحانه الذي أراد من حبنا لأنفسنا أن نجعلها تدخل الجنة، وقد تحدث سبحانه عن بعض الذين ارتكبوا المعاصي «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون»^(١). فحب النفس ليس أمرا سيئا بالمطلق، وإنما يكون سيئا عندما يكون سببا للاقتتال والاعتداء والاستئثار.

الالتزام بالعبادات:

□ أنا طالب جامعي وأعلم أن الإسلام هو دين الحق، ولكنني أحس أن أداء

الصلاة هو عبء ثقيل علي ؟

○ قد يكون عبئا ثقيلا عليك لأنك لم تتعوده، فمثلا عندما تلعب رياضة ما فهل هي عبء ثقيل عليك إذا كانت تصيب جسمك بالجهد والتعب؟ بالطبع إنك لا تعتبر الرياضة عبئا، لأنك تتصور أنك بهذه الرياضة ستحصل على قوة الجسد وتكون بطلا من أبطال الرياضة وتحصل على الشهرة أو المال، بينما بالصلاة تحصل على رضا الله سبحانه وتعالى.

وأنت طالب جامعي، فإذا قيل لك ستقابل شخصية كبرى في الوقت الفلاني فهل هذا ثقيل عليك؟ فكيف إذا كان من نلتقيه هو الله سبحانه وتعالى، وهو يقول لنا قابلوني خمس مرات في اليوم، ويقول ادعوني أستجب لكم «وقال ربيكم ادعوني أستجب لكم»^(٢)، «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

(١) النحل: ١١٨.

(٢) غافر: ٦٠.

الداعي إذا دعان^(١). فهل تقول له كلا لأن الصلاة ثقيلة عليك. فالثقل ينطلق من خلال عدم فهم الإنسان لما يقوم به من ذلك العمل. ولذلك فإن عليك أن تدرس النتائج الإيجابية للصلاة في الدنيا والآخرة لتقبل عليها بكل جد وشغف، لأنها معراج روح المؤمن إلى الله وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الإخبار في باب العقائد:

□ هل تخضع الأحاديث المختلفة في العقائد والأخلاق والتاريخ لنفس

القواعد الرجالية التي تطبق على أحاديث الأحكام، أم فيها نوع من التساهل؟

○ لا فرق بين الروايات التي تتضمن أحكاماً فقهية أو فضائل أو قصصاً

أخرى، لأننا نعتمد الحديث الموثوق، فإذا كان الراوي من الغلاة أو الفسقة فكيف نعتمد عليه؟ لأن مشكلتنا أن بعض الفقهاء سابقاً كانوا يقولون بالتسامح في ما يسمونه بـ(أدلة السنن، كالمستحبات والمكروهات أو الفضائل أو التعازي)، بحيث يمكن أن يؤخذ بالرواية وإن كان رواتها من الوضاعين. ولنا على هذا الموقف تحفظ كبير، لأن علينا أن نتعرف الكلام الموثوق عن النبي ﷺ أو الأئمة ؑ، فإذا ثبت ذلك بحجة في حكم شرعي أو غيره، كما في الأدعية والزيارات، أخذنا به، ولذلك فإنه عندما ننسب شيئاً للإمام علي ؑ، فإن علينا أن نعرف مصدره، لنميز الصحيح من غيره، وكان الإمام الصادق ؑ يقول: ((لقد كثر الكذابة علي))، وقال النبي ﷺ: ((فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))، ويقول الإمام الصادق ؑ: ((لقد دس أبو الخطاب في كتب أصحاب أبي أربعة آلاف حديث)) وإذا كان قد نقل أهل الحديث هذه الأحاديث كما في كتاب (البحار)، فإن ذلك لا يعني صحتها، إذ يقول صاحب البحار إنه لا يضمن صحة أكثر ما في كتابه، ويقول في شرحه لأحاديث الكافي الموسوم (مرآة العقول) إنه لم يصح عنده من كتاب الكافي إلا خمسة آلاف حديث.

الدليل على الشفاعة:

□ هل أن التوسل بالأئمة عليهم السلام أن يشفعوا لنا مما له مستند في القرآن

والسنة؟

○ الشفاعة ثابتة كما في القرآن، إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(١) وقوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾^(٢) فالشفاعة مؤكدة في القرآن من خلال المنهج الذي وضعه الله سبحانه وتعالى، والشفعاء يعرفون لمن يشفعون من خلال الخطوط العامة التي وضعها الله للشفعاء، وهناك أحاديث تدل على مشروعية الاعتقاد بها.

الاختلاف في حكم الله:

○ يقول الإمام علي عليه السلام في مسألة الاختلاف في الفتيا بعد كلام طويل ((وكتابهم واحد ونبيهم واحد، فأمرهم سبحانه بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه؟)) كيف بنا ونحن نرى اليوم أن المسألة الواحدة فيها عدة آراء لكل مرجع له رأي؟

○ الإمام علي عليه السلام يعالج في هذا القول المسألة من خلال الحالات النفسية التي تترك أثرها في التفكير والاستنتاج، على أساس قوله تعالى: ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾^(٣)، ولا يريد الاختلاف في وجهات النظر التي تستند إلى الأدلة التي يجوز للفقهاء النظر فيها والاستنباط منها، لأنهم يختلفون في فهم النصوص الصحيحة في الكتاب والسنة.

النصر الإلهي:

□ حسبما نعرف أن الله نصر المسلمين في معركة (بدر) بمدد غيبي، فلماذا

(١) الأنبياء: ٢٨.

(٢) سبا: ٢٣.

(٣) الجاثية: ١٧.

لم ينصرهم في بعض المواقع الأخرى؟

○ لأنهم كانوا قلة في بدر، وهي أول معركة يخوضها المسلمون، ولذلك كانوا بحاجة إلى مدد غيبي من الله سبحانه وتعالى: (وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)^(١) فأعطاهم الله دعماً مادياً وجواً روحياً بهذا المدد الغيبي، فقاتلوا في أضياء هذا الجو وبهذا الإيمان الذي انطلقوا به، أما عندما كثر المسلمون وأصبحوا قادرين على الانتصار، فكان النصر الإلهي في تلك المعارك يختلف عن معركة بدر.

الدليل على وجود الخالق:

□ من خلال حديثي مع بعض الشيوعيين، فإنهم يريدون بعض الأدلة المقنعة لوجود الله؟

○ عليك إجابته بأن إثبات وجود الله هو وجودك، حيث كنت عدماً فوجدت، فمن الذي أوجدك، والشاعر يقول:

فوا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

لذلك فإن بعض الناس يغلق على عقله فينطلق بهذا السؤال من دون نظر يبصر به مخلوقات الله الدالة على عظمته، ومن دون سمع يفتح فيه على كلمات الحجة والبرهان والوعي والإيمان، ومن دون فكر يحلل ما رآه وما سمعه ويربطه بالحقيقة التوحيدية من عمق الفطرة الصافية في معنى إنسانيته، ولذلك فإذا فتح عقله لا بد له أن يدرك وجود الله سبحانه وتعالى، وربما يحسن ذكر المثل الشعبي في هذا المجال، فقد قيل لامرأة عربية أنه كيف تستدلين على وجود الله، فقالت: (بهذا المغزل - وكانت تغزل - فإن حركته تحرك وإن سكنته سكن)، وقيل أيضاً لأعرابي كيف تستدل على وجود الله فقال: (البعرة تدل على البعير، وأثر

الأقدام تدل على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف (الخبير).

وفي العهد العباسي كان في بغداد ملحد بمنطقة الكرخ، أراد أن يناقش عالما مسلما بمنطقة الرصافة، فحددوا له موعدا لذلك، فتأخر العالم المؤمن عن الموعد، فقال له الملحد لماذا تأخرت عن الموعد؟ فأجابه العالم المؤمن بأنه تأخر في الشاطئ لعدم وجود زورق وانتظر مدة حتى تتركب الأخشان والمسامير، فقال له الملحد كيف أناقش العالم الذي يقول هذا الكلام الهراء؟ وكان جواب ذلك العالم المؤمن: إذا كان كلامي حول صنع الزورق لنفسه هراء، فأين هراء كلامك في صنع الكون نفسه. إن القضية هي أن فطرة الملحد استيقظت في نفسه من دون شعور، فالإنسان بفطرته يؤمن بوجود الله سبحانه وحتى الطفل يدرك ذلك.

تسمية الله:

- هل يجوز تسميته تعالى بأسماء مثل واجب الوجود أو القديم الأزلي؟
- هي ليست أسماء ولكنها صفات، فلا مانع من ذلك.

العدل من أصول الدين:

- لماذا اعتبر العدل أصلا من أصول الدين دون غيرها من الصفات؟
- وقع العدل - في كونه أصلا من أصول الدين - محل خلاف بين المسلمين - المعتزلة، والأشاعرة - بين القائلين بدور العقل في ما يعرف بمسألة الحسن والقبح كما يقول المعتزلة بينما يقول الأشاعرة إن العقل لا دور له في الحسن والقبح. فالمعتزلة التقوا مع الإمامية على اعتبار أن العقل يحكم أن الله لا بد أن يكون عادلا.

حرق الشيطان:

- إذا كان الشيطان مخلوقا من النار فكيف يحرق بنار جهنم؟
- الإنسان المخلوق من التراب يتأذى - أيضا - عندما يضرب بالتراب،

فليكن الشيطان على هذا النحو، مع أن أصل الخلق لا دخل له بما يؤول إليه بعد ذلك، ثم إن ذلك مما يرجع إلى قدرة الله سبحانه وتعالى.

خلق ذوي العاهات:

□ يقول البعض: كيف يخلق الله ذوي العاهات وهو العادل سبحانه؟

○ العاهة ليست عقوبة، فقد يكون أحد الناس جميلاً ولكنه غبي، بينما يكون ذو العاهة أذكى منه. ثم إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الكون حسب القوانين المودعة فيه، فإن ذلك يعني تأثير هذه القوانين على حياة الإنسان، فقد يتأثر الطفل المخلوق بالوراثة أو بالحالة النفسية للأم - مثلاً - أو نتيجة التعرض للإشعاعات والمواد الكيماوية وأسلحة الدمار الشامل في الحرب، وعالمنا عالم محدود، فلا يمكن أن تحصل على شيء إلا وتخسر شيئاً آخر. فمثلاً إذا أردت النجاح فعليك أن تسهر الليالي لتتجهز لامتحان، أو أنك تنام وتترك واجباتك، وعندئذ فكيف تنجح؟ وليس هناك كمال مطلق للإنسان، بل إن الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى وحده. فالإنسان يتأثر بما أودعه الله في الكون من القوانين المادية. وعندنا الآن مثلاً أناس مكفوفون ولكنهم يعلمون المبصرين، فلماذا نركز على جانب واحد في الحياة. الشاعر بشار بن برد كان أعمى وهو صاحب البيت المشهور بقوله:

من راقب الناس مات هماً وفاز باللذة الجسور

وقد سأله أحد المبصرين عن منزل رجل فأجابه، ولكن السائل لم يفهم، فأمسك به بشار وقاده إلى المكان المطلوب وهو أعمى، وهو يقول:

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم قد ضل من كانت العميان تهديه

وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾^(١)، وحتى مسألة الفيضانات، فإنها قد تهدم وتدمر ولكنها قد

تتفع في ري الأراضي التي لم يصلها الماء، وحتى الزلازل أو البراكين أو أية ظاهرة كونية ففيها إيجابية ما. ولكن الناس تعودوا أن ينظروا إلى السطح دون العمق، وقد قال الله تعالى: ﴿فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾^(١)، ثم إن موضوع العدل هو أن تعطي كل إنسان حقه، والظلم هو أن تمنع الإنسان حقه، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا وليس لنا الحق عليه. نحن في حالة التوسل بالنبي ﷺ والأئمة نقول: (بحقهم الذي أوجبته على نفسك). فإن الله هو الذي أكرمهم وجعل لهم حقا في الشفاعة، وليس لهم أي حق ذاتي على الله بعيدا عن ذلك.

الموت في كلمات علي ؑ:

- يقول الإمام علي ؑ في (نهج البلاغة): ((الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم))، فما معنى ذلك؟
- الموت هو عنوان نهاية الحياة، والدنيا تطوى كل يوم من الخلف.

الأنبياء من الذكور:

- ثم خص الله (الذكور) بالرسالة والنبوة من دون الإناث؟
- ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾^(٢)، ثم من الممكن جدا أن المسار التاريخي هو المسار الذي يملك الرجل فيه موقف القيادة - ولو أن هناك بعض النساء لديهن قابلية جيدة - ولكن ذهنية الرجل أكبر، والله سبحانه وتعالى هو أعلم بحكمته، ولا يعني ذلك تمييزا بين الذكر والأنثى، فقد رفض الله العمل الجاهلي ضد المرأة ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا

(١) الرعد: ١٧.

(٢) الأنبياء: ٢٣.

ساء ما يحكمون»^(١). فلم يفرق الله بين الرجل والمرأة في المسؤولية ولهما نفس التكليف؟

اليقين والبحث في الأصول:

□ إن البحث في أصول الدين هو بحث عقلي حتى الوصول إلى اليقين ولو بشكل إجمالي، ويبدأ البحث بعد سن التكليف، فإذا كان المرء لم يصل إلى اليقين في هذه الأصول، فكيف يتعامل مع عبادته التكليفية خلال فترة البحث في أصول الدين، وهل يجب عليه قضاؤها؟ أم ماذا يفعل؟

○ الإنسان لابد له أن يفتح عقله في الأصول لتكون قريبة من الوجدان.

المصلحة في وجود الشيطان:

□ هل هناك حكمة ومصلحة من وجود الشيطان؟ لأن الله لا يخلق شيئاً

عبثاً؟

○ إننا ننطلق من موقع الاختيار، فالله سبحانه وتعالى يقول: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً»^(٢)، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى لم يسلط الشيطان علينا، ولو أن الشيطان يوسوس ويزين للإنسان، وقد قال الله تعالى: «إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين»^(٣)، «وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون»^(٤)، وهذا هو منطق الشيطان.

أما مسؤوليتنا، فهي مواجهة خطط الشيطان من خلال ما حملنا الله من

(١) النحل: ٥٨-٥٩.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) الحجر: ٤٢.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

المسؤولية العقيدية والعملية، باستتطاق العقل في حسن الطاعة وقبح المعصية، والسير على طبق الشريعة الثابتة بالكتاب والسنة، بالإرادة القوية المنفتحة على الله، والابتعاد عن الشيطان في كل أساليبه.

عقائد المسنين:

□ ما هو موقف الأم الكبيرة في السن التي لا تعرف القراءة الكتابة، ولا تعرف مذهب أهل البيت (ع)، مع أنها توفيت وهي محبة لهم على الفطرة؟
○ الناس يحشرون على نياتهم يوم القيامة، والله أرحم الراحمين.

الدين الإسلامي وبناء الإنسان:

□ ما هو الرد على من يدعي أن دين الإسلام هو دين تخلف وبناء إنسان خيالي؟

○ إن الذي يدعي ذلك على الإسلام هو المتخلف، فما هي الحضارة؟ إنها هي التي تقول إن العقل هو أساس تقدم الإنسان، وإن العلم هو أساس سمو الإنسان، كما في الآية الكريمة: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾^(١)، ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٢)، فالقرآن يدعو الإنسان إلى التعلم والاستزادة من العلم، وكما في الحديث الشريف: ((اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد))، فهل هذا تخلف؟ ومن التفكير في ما خلق الله ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه﴾^(٣) ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^(٤)، فالتأمل والتجربة في الإسلام مرتبطان بالواقع وليس بالخيال. ومشكلة بعض الناس أنهم لا يفهمون الإسلام بسبب تخلفهم، بل ويفرضون تخلفهم على الإسلام، وكم عانينا

(١) الزمر: ٩.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) آل عمران: ١٩١.

(٤) الحشر: ٢.

من الذين تخلفوا وفسروا الإسلام من خلال تخلفهم، فأعطوا العالم صورة التخلف عن الإسلام، ولكن الإسلام هو سر الحضارة الإنسانية، وهذا ما أكدته نهرو - الرئيس الهندي الأسبق - بقوله: ((إن الحضارة الإسلامية هي أم الحضارات الحديثة)).

الموت يوم الجمعة:

□ هل من فضل يوم الجمعة أن يغفر الله لمن مات فيه، أو أن العشر الأواخر من شهر رمضان هي أيام العتق من النار لمن مات فيها؟

○ إن لله سبحانه وتعالى ألطافا للإنسان في كل وقت، وعلى الإنسان أن لا يفكر في أي وقت يموت، بل عليه أن يفكر على أي خط يموت، (فلا تتمنى الموت إلا بركن وثيق) وأن يموت الإنسان وهو يقول: ((فإذا انقضت أيام حياتنا، وتصرمت مدد أعمارنا، واستحضرتنا دعوتك التي لا بد لنا منها ومن إجابتها، فصل على محمد وآله، واجعل ختام ما تحصي علينا كتبه أعمالنا توبة مقبولة، لا توقفنا بعدها على ذنب أو معصية اقترفناها))، فالمهم أن يموت الإنسان وهو منفتح على الله.

حرية الاعتقاد لغير المسلمين:

□ وقل الحق من ريكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر^(١)، فهل حرية الاعتقاد الديني في الإسلام مضمونة لأهل الكتاب فقط أم أنها يمكن أن تشمل الملحدين والوثنيين؟

○ ليس المقصود بالحرية أنهم معذورون في ذلك، بل المعنى أن تقول الحق من ربك وأن تقدم لهم كل ما يثبت الحق في عقولهم من حجج وبراهين وأدلة ﴿فمن شاء فليؤمن﴾ وذلك عندما تقوم الحجة عليه، ﴿ومن شاء فليكفر﴾ عندما يتعقد ويغلق عقله عن الحق، فالله خلق الإنسان حرا ولم يقيد العقل بأي قيد في

تكوينه، بحيث إنه أعطى للعقل الحرية في التفكير بما يشاء، ولكنه يتحمل المسؤولية في تلك الحرية ﴿فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١)، فعلى الإنسان أن يكون مسؤولاً في حركة حرية العقل التي أعطاها الله إياه، ليجعل عقله يتحرك للوصول إلى الحق، وليؤمن به من خلال الأدلة التي يقيمها دعاة الحق على الحق.

الحسد والعين:

□ المعروف أن الحسد هو تمنى إزالة نعمة الغير، وقد تحدث عنها القرآن، ولكن هناك إصابة عين، كيف يحدث ذلك؟

○ لقد ورد في الحديث أن العين حق، ولكن الكلمة مجملة وغير واضحة في عالم التطبيق، لأنها لو كانت صادرة بإطلاقها فينبغي أن يسقط كل الناجحين بالمحسودين، ومن باب النكته، يمكن القول إن الذين لديهم عين حسودة من الأنسب لهم أن يصيبوا بوش وصدام أو شارون بالعين بدلا من أن يصيبوا الناس المساكين.

تأثير الشيطان:

□ هل تعتبر النفس من مصاديق القول إن الشيطان يجري في عروق بني آدم كما يجري الدم في العروق؟

○ كلا، لا يطبق مثل الشيطان على نفس الإنسان بنحو يشله عن الاختيار والتفكير، لأن الله سبحانه وتعالى أعطى للإنسان عقلا يستطيع من خلاله التحكم بغرائزه في مثل هذا المقام.

تسبيح الحيوانات:

□ كيف يكون تسبيح الحيوانات لله سبحانه وتعالى؟

○ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً﴾^(١)، فهم يسبحون بالطريقة التي ألهمهم الله إياها.

التركيز على العقاب:

□ لماذا يركز الخطباء على الأسلوب السلبي في طرح الأفكار للناس، مثل عذاب القبر ونار جهنم، وقليل ما يركزون على الأسلوب الإيجابي، مثل الثواب والتوبة والجنة؟

○ عن الإمام علي عليه السلام قوله: ((إن الفقيه هو من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يئسهم من عذاب الله))، فعلى الواعظ للناس أن يكون بين أمرين، بين الخوف والرجاء، كما في الحديث المأثور: ((خف الله لو أتيت به حسنات الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو أتيت به ذنوب الثقلين لعفا عنك، وما من مؤمن إلا وفي قلبه نور خيفة ونور رجاء))، ولذا فإن على الإنسان أن يأمل برحمة الله لأنها وسعت كل شيء، ولكن عليه أن يخاف الله ليمنعه من التجرؤ على معصية الله.

تصور الله:

□ هل يعني تصور الله في الصلاة تجسيدا أو تحديدا له؟

○ أن تتصور الله كما في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد ❖ الله الصمد ❖ لم يلد ولم يولد ..﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾^(٣) أي أن تتصوره في معنى الربوبية ولا تتصوره جسدا كبقية الأشياء، وهو القائل: ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٤)، وأن تتصور الله بمعنى التوحيد الإلهي.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الشورى: ١١.

قوانين الرزق:

□ يقال مرة بأن الله لم يعط المال لشخص لمصلحة ما يقال مرة أخرى إنه لم يعطه لعدم توفر أسباب الرزق، فأيهما صحيح؟

□ كلاهما صحيح، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل شيء قدرا (إنا كل شيء خلقناه بقدر)^(١). فقد ركز سبحانه الكون على الأسباب، وجعل قضية الرزق كما هي قضية الصحة والمرض أو قضية الخوف والأمن، وهي من القضايا التي تخضع للقانون الكوني، فإن الله لم يجعل الحياة كلها مبنية على الغيب، ولكنه سبحانه قد يعطينا بعض الغيب من لطفه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)^(٢).

حياة البرزخ:

□ هل حياة البرزخ وموضع الميت فيها يمكن أن يعطي فكرة عن مصير الميت، إذا كان في الجنة أو في النار، وما دور الحشر في ذلك؟

○ ذلك من علم الغيب وليس من مسؤوليتنا التي كلفنا الله بالاعتقاد في تفاصيلها، وعلينا أن نسأل عن الأشياء التي هي من مسؤوليتنا التي كلفنا الله بها في الحياة. والمهم أن نعد أنفسنا لما ينفعنا عند الله يوم القيامة.

دعاء الإمام علي عليه السلام على خصومه:

□ كيف يتم التوفيق بين كلام الإمام علي عليه السلام وحبه للناس، وبين ما ورد في دعاء (كميل) يقول: ((اللهم ومن أراذني بسوء فأرده ومن كادني فكده))، فهو يدعو على الناس ولا يدعو لهم بالهداية والمغفرة؟

○ الإمام عليه السلام بذلك الدعاء يستعين بالله على من يظلمونه ويطلب الحماية من الله، وقد بينا سابقا ملاحظة أن الأئمة عليهم السلام عندما يدعون الله فإنهم يقدمون

(١) القمر: ٤٩.

(٢) الطلاق: ٢-٣.

لنا نموذج الدعاء، كما في (الصحيفة السجادية) مثلاً وغير ذلك من الأدعية، وكان الأئمة عليهم السلام يتفاعلون مع الأدعية ويكون خضوعاً لله سبحانه وتعالى وتواضعاً له من منطلق الضعف للإنسان أمام ربه.

حجية التكليف:

□ ما هي حجية الحكم الشرعي في التكليف؟ وهل إن الله سبحانه يكلف الناس فوق طاقتهم؟ وما هو حكم تكليفه سبحانه للملائكة وإبليس بالسجود لآدم عليه السلام وقد أمر بأن لا يسجد إلا لله سبحانه؟

○ ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(١). أما بالنسبة للسجود لآدم عليه السلام، فإن البعض يصور إبليس بأنه من الموحدين المخلصين لأنه لا يريد السجود لغير الله، ولكن المسألة هي أن إبليس لم ينطلق من حالة توحيدية، والتي يجب أن تكون في التوحيد في العقيدة وفي الطاعة وفي العبادة ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾^(٢)، إذ لو سجد إبليس لآدم حسبما أمره الله فقد عبد الله بطاعته، وثانياً إن إبليس لم يرفض السجود لآدم بحجة أنه لا يريد السجود لغير الله، ولكنه يقول: ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾^(٣)، فقد انطلق من عقدة الكبرياء، وليس من أصالة التوحيد، لذلك طرده الله.

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

(٣) ص: ٧٦.

الفصل الثالث

مسائل السيرة

- أولاً: الرسول الأكرم ﷺ.
- ثانياً: الإمام علي ﷺ.
- ثالثاً: فاطمة الزهراء ﷺ.
- رابعاً: الإمام الحسين ﷺ.
- خامساً: الإمام المهدي ﷺ.
- سادساً: الأئمة ﷺ.

أولاً: الرسول الأكرم ﷺ:

زواج النبي ﷺ بامرأة زيد:

□ أرجو توضيح العلة في زواج الرسول ﷺ من زوجة زيد؟

○ تحدث القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١)، وقد استغل المستشرقون الموضوع وحاولوا أن ينسبوا إلى النبي ﷺ ما لا يتناسب حتى مع أخلاقه الطبيعية، إذ كانت زينب بنت جحش بنت عم الرسول ﷺ، وكان هو وليها وقيماً عليها، وكان زيد قد تبناه الرسول ﷺ كما هو سائد في الجاهلية، ولكن الله قد ألغى التبني، فقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ وكان القوم قبل الإسلام يقولون عن زيد إنه ابن النبي، فألغى التشريع الإلهي ذلك التبني وألغى اعتباره نظاماً للنبوّة، لأنه لا يجوز لأحد أن يتزوج زوجة ابنه ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢)، ولذلك كان النبي ﷺ حذراً من الموضوع ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾^(٣)، فإن الله سبحانه طمأن رسوله من كلام الناس في هذا المجال ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾، فكان زواج النبي ﷺ من زوجة زيد بعد أن طلقها زيد هو لتأكيد هذا التشريع.

أخلاق إسلامية:

□ هل صحيح أنه كان للرسول ﷺ جار يهودي يؤذيه يومياً، وفي أحد الأيام

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٤.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

لم يؤذه اليهودي فافتقده الرسول ﷺ وزاره بعد أن افتقد أذاه له ؟
 ○ الحديث مروى عن الإمام الحسن ﷺ . فكان اليهودي كل يوم يضع
 الأذبال أمام بيت الإمام ليغيظه، فيأمر الإمام برفعها، ويوماً ما لم يرَ الإمام ﷺ
 ذلك، فبعث إليه مستفسراً عن السبب في عدم إرسال الهدية المعتادة إليه، فخجل
 اليهودي من نفسه، وربما هو مروى عن النبي ﷺ .

زواج النبي ﷺ من الصغيرات:

□ كيف يتزوج الرسول ﷺ بفتاة تصغره بأربعين سنة مع الفارق الكبير
 بينهما ؟

○ المجتمعات العربية في ذلك الوقت كانت تتقبل مثل هذا الفارق في العمر
 بين الزوجين، وكانت البنت تبلغ التاسعة من عمرها (وخاصة في المناطق الحارة
 مثل الحجاز)، ولا يمكن أن نقيس العرف الاجتماعي الحالي لدينا على تلك
 الأزمنة القديمة، وقد يتقبل العرف الاجتماعي حالياً ذلك التفاوت عن الحد الذي
 أشار إليه السائل.

وبالنسبة للنبي ﷺ، لم ينقل عن زوجته عائشة أية شكوى في حياتها مع
 النبي ﷺ، وربما يزيد التفاوت الذي أشار إليه السائل عن الحد، حيث إنه ليس
 هناك مانع من فارق السن في الزواج. وقد جاءنا هذا الاعتراض من الغرب.
 فالزواج هو تراص بين الزوجين ويخضع الفرق في العمر وغير ذلك مما يرجع
 إلى الوضع الاجتماعي أو الاقتصادي إلى طبيعة المجتمع.

تدين النبي قبل البعثة:

□ هل كان النبي ﷺ على دين النبوة قبل البعثة، وهل كان معصوماً قبل

النبوة ؟

○ خلق الله النبي ﷺ معصوماً، ولكن بما لا ينافي الاختيار، فالنبي ﷺ كان
 على الخط العام للنبوات، يعني على خط النبي إبراهيم ﷺ، وهو الإسلام بالمعنى

العام، لأن خط إبراهيم يشمل الخط العام في كل النبوات، كما ورد في قوله تعالى: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)^(١).

ثانياً: الإمام علي عليه السلام

الإمام علي عليه السلام رائد الوحدة الإسلامية:

□ بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام علي عليه السلام، ألا ترى أنه رائد الوحدة الإسلامية؟
○ تحدثت مئات المرات عن هذه الفكرة. فإن الإمام علي عليه السلام هو صاحب الحق على لسان رسول الله ﷺ: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))^(٢) و((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(٣) و((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار))^(٤) و((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(٥)، وكما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي عندما سئل لماذا قدمت علياً فقال: ((احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل)).

وقد أبعد الإمام علي عليه السلام عن حقه في الخلافة، ولكنه كان يرى نفسه مسؤولاً عن الإسلام والمسلمين خارج الخلافة كما هو مسؤول في داخل الخلافة، لذلك عندما واجه الموقف ورأى أن هناك ردة عن الإسلام وخطر عليه من الخارج، ويمكن أن يستغل ذلك أعداء الإسلام من الروم والفرس آنذاك للإجهاد عليه ورأى المشاكل الموجودة في داخل الواقع الإسلامي، فإنه كان عليه بين أمرين: بين أن يطالب بحقه وبين أن يجمده، ولذلك اندفع بكله لمعاونة خصومه في دفع الخطر عن الإسلام والمسلمين، ولإعطائهم المشورة والحماية. وهذا ما تحدثت به

(١) الحج: ٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢١٠، ج ١٠٦، ب ٢٦.

(٣) أصول الكافي، ج ٨، ص ١٠٧، ج ٨٠، ب ٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٠، ج ٨٠، ب ٢٥.

(٥) نفسه، ص ٣٠١، ج ٢٥، ب ٣.

عن نفسه في كتابه إلى أهل مصر يقول ﷺ: ((فما راعني إلا انثيال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه التي هي إنما متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه))^(١).

وقد قالها عمر: ((لولا علي لهلك عمر))^(٢) وقال: ((قضية ولا أبا الحسن لها))^(٣)، فلا قضية إلا ويحتاجون فيها أبا الحسن، وخاصة في المواقف الحساسة والقضايا المصيرية، فنراه عندما ذهب المسلمون في زمن خلافة عمر إلى المعركة ضد الفرس، وكان قائد الجيش يومذاك قد أرسل إلى عمر أن يقدم عليه وأن يأتي إلى قلب المعركة ليتحمس الجنود أكثر، فاستشار عمر المسلمين، ووصلت الاستشارة للإمام علي ﷺ كما هو مذكور في (نهج البلاغة)، فرفض الإمام علي ﷺ ذلك قائلاً لعمر: ((أنت رأس الأمر وسنامه))^(٤)، بالرغم من أحقية علي ﷺ بالخلافة، ولكن عمر يومذاك كان هو المتصدي للأمر وللموقع القيادي، فإذا ذهب إلى المعركة وسقط فإن ذلك سيكون سقوطاً للمعركة، ولكنه نصحه بأن يبعث بالجنود للنصر، جاعلاً بذلك الإسلام في مقدمة أولوياته، لأن علينا أولاً أن نستريح من تحدي الكفر. فمن يفكر مثل الإمام علي ﷺ ١٩ وهو القائل ﷺ: ((لأسألن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة))^(٥). واليوم الشيعة يكفرون السنة والسنة يكفرون الشيعة، والشيعة يكفرون بعضهم بعضاً ويشغل بعضنا ببعض الآخر، ونحن نرى الكفر يهدد كل المسلمين، ونحن نعاون

(١) شرح نهج البلاغة. ج ٦. ص ٣٠٠. ح ٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٤. ص ٣٥. ح ٥٠٢٥. ب ٢.

(٣) نفسه. ص ٤٢. ح ٥١٣٩. ب ٢.

(٤) شرح نهج البلاغة. ج ٩. ص ٢٣٩.

(٥) نفسه. ص ١٠٩.

الكفار بعضنا على بعض. فعليكم بقراءة (نهج البلاغة)، حيث يقول ﷺ: ((لأبقرن الباطل في خاصرته حتى أخرج الحق منه))^(١)، وكما قال ذاك الرجل الألماني (لو جاء علي في هذا الزمن لوجدت مسجد الكوفة مملوءاً بالقبعات الغربية ولن تجد فيه موطيء قدم لعربي واحد). فالإمام ﷺ كان يصيح ((سلوني قبل أن تفقدوني))^(٢)، فيقول له أحدهم كم شعرة في رأسي؟ ونحن عندنا الكثير من هذه النماذج الآن، فلو خرج الإمام ودخل الانتخابات فعلى كم من الأصوات يحصل منّا؟ فالإمام ﷺ يقول عنه عمر ((لو وليها علي لحملهم على المحجة البيضاء))^(٣)، الكثيرون من الناس لا يتحملون المحجة البيضاء.

عصمة علي ﷺ:

□ هل عصمة الإمام علي ﷺ اكتسابية أم أنها موهبة من الله لعصمته

المسبقة؟

○ في العصمة جانب يتمثل في اللطف الإلهي، وفيها - أيضاً - جانب آخر يمثل حركية وقابلية المعصوم نفسه بما هو مختار.

دفن الإمام علي ﷺ:

□ هل صحيح أن جسد الإمام علي ﷺ رُفع إلى السماء ولم يدفن في

النجف؟

○ عيسى ﷺ وحده الذي رفع إلى السماء، أما الإمام علي ﷺ فإنه مدفون في النجف الأشرف، وقد تواتر ذلك بما لا يقبل الشك في قليل أو في كثير.

إمامة علي ﷺ:

□ هل يمكن القول إن الله ترك تنصيب الإمام علي ﷺ للرسول ﷺ؟

(١) شرح نهج البلاغة. ج ١. ص ٢٠٥. ب ٣.

(٢) نفسه. ص ٣١٨.

(٣) نفسه. ج ٣. ص ١١.

○ ذلك القول غير صحيح، لأن الله سبحانه وتعالى فرض على النبي ﷺ تنصيب علي ﷺ للخلافة بأسلوب فيه شيء من التهديد - وليس هو بتهديد - والمراد به التأكيد على خطورة المسألة، بحيث إنها تساوي حجم الرسالة، فيكون تبليغ الرسالة، في جانب وتنصيب علي ﷺ في جانب متوازنين، فإذا لم ينصب علياً ﷺ فلم يبلغ الرسالة، باعتبار أنه ترك الكيان الإسلامي في مهبّ الريح ولم يخلف أحداً ليرعاه من بعده، وكما في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) ^(١) وتقول الروايات إن هذه الآية أنزلت يوم (الفدير) في بيعة الإمام علي ﷺ (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) لئلا يخاف النبي ﷺ من الناس أن يقولوا إنه نصّب ابن عمه وصهره للخلافة ليخوضوا في ذلك إن الله لا يهدي القوم الكافرين. وعلى هذا الأساس نزلت الآية في ظروف قاسية لم تكن تسمح بالاجتماع أو التوقف، إذ كان الوقت في حر الظهيرة، بحيث إن الشخص لم يكن يستطيع وضع رجله على الرمال، بل كان يضع ثوبه تحت رجله - كما تقول الرواية - بسبب حرارة الشمس، فجمع النبي ﷺ الناس ونصب له منبراً من أحجاج الإبل، وبدأ يبين لهم الأمر بقوله ﷺ: ((أستأوى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) فهو ﷺ يملك عليهم شيئاً أكثر مما يملكه المؤمنون على أنفسهم (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) ^(٢)، فقالوا: ((بلى)) فقال: ((اللهم اشهد)) ثم قال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار)). لذلك لم تكن المسألة مسألة شخصية للنبي ﷺ، ولم تكن له الحرية في ذلك، وإن كنا فرضنا - وفرض المحال ليس بمحال - أن أعطى الله للنبي الحرية في ذلك، لاختار ذلك، ليس لأن علياً ﷺ ابن عمه، لأن أبناء عمومته كثيرون، ولا لأنه صهره، ولكن لأن علياً ﷺ هو المتعين من الله وليس هناك غيره من يستطيع حمل أمانة الرسالة

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الأحزاب: ٦.

وإدارة واقع المسلمين، فنزلت الآية الكريمة في يوم (البيعة) في (غدير خم):
 ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١)، إذ
 بدأ الإسلام من في التوحيد والنبوة وكمل في الولاية.

الحزن على الأعداء:

□ إذا كان الله سبحانه يأمر النبي ﷺ بأن لا يحزن على الكافرين، فكيف
 كان الإمام علي ﷺ يبكي عند انتهاء معاركه على من مات من أعدائه؟
 ○ كان يتألم لهم كما كان النبي ﷺ يتألم عليهم، لأنهم لم يهتدوا بهداه، لأن
 الحرب عند الإمام علي ﷺ رسالة، وفي (نهج البلاغة) أنه عندما دفع الإمام ﷺ
 بجيشه إلى (صفين) لمحاربة معاوية الذي تمرد على الدولة الإسلامية، ووصل إلى
 (صفين) وقد استبطن أصحابه إذن الإمام لهم بالحرب في (صفين)، فقالوا أكان
 ذلك كراهية للموت وقد أصبح عمر الإمام ستين سنة أو شكاً في أهل الشام؟
 فسمع الإمام ﷺ ذلك الكلام، والإمام كان قائداً شعبياً، فأحب أن يفهم الناس
 الحقيقة حتى لو كانت في مواجهته، فهو كان يطلب منهم أن ينتقدوا حكمه ولو
 أنه كان فوق النقد لأنه فوق العصمة، فقال لهم: ((أما قولكم ذلك هو كراهية
 للموت، فوالله لا أبالي أدخلت إلى الموت أم خرج الموت إلي))، فلا يخاف الموت في
 سبيل الله ((وأما قولكم إن كان ذلك شكاً في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب
 يوماً إلا رجوت أن تهدي بي فئة فتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي أن أقاتلها
 على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها))، فلم يكن الإمام يهوى قتل الناس، بل
 لهدايتهم، ومع الأسف فإن الإمام ﷺ ابتلي بنا مثلما كان مبتلياً بقومه، وربما عرف
 فضله غير المسلم وقصر في حقه المسلم، وذلك الشاعر المسيحي يقول:

حتى عد من فرط حبه علويا

جلجل الحب في المسيحي

واخشعي إنني ذكرت عليا

يا سماء اشهدي ويا أرض قري

الإمام علي عليه السلام والسؤال:

□ عندما قال الإمام علي عليه السلام: ((سلوني قبل أن تفقدوني))، فلماذا لم نر

أسئلة من كبار الصحابة عن طرق السماوات؟

○ هناك عقدة عند البعض، وهناك من أراد الاستهزاء بالإمام ليسأله كم شعرة في رأسه، فردَّ الإمام بأن الرسول ﷺ أخبره بأن على كل شعرة من رأس السائل المستهزئ ملكٌ يلعبه، وربما يُعنى البعض الآن في مسائل جانبية أو ليست جانبية، ولكنها من المسائل التي ينبغي التعامل بها بحذر أو يمكن تأجيلها أو ليس فيها مصلحة علمية، كما لو سأل البعض عن الولاية التكوينية أو أي الأنبياء أفضل وغير ذلك، مما لا يترتب عليه أثر شرعي أو عملي فعلي، ولو كان الإمام علي عليه السلام موجوداً لكفره الكثيرون ممن يعتبرون أنفسهم رموزاً للإسلام، وقد قال عمر: ((لو وليها علي لحملهم على المحجة البيضاء))، وكذلك يقول الإمام علي عليه السلام: ((ما ترك لي الحق من صديق)).

عصمة الإمام علي عليه السلام:

□ هل أن عصمة الإمام علي عليه السلام متفق عليها لدى الشيعة؟

○ إنها من المتسالم عليها لدى الشيعة الإمامية، فهو العصمة كلها في كل أموره وشؤونه، كما جاء في حديث النبي ﷺ: ((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار)) ومن كان مع الحق كله فلا يخطئ.

الإمام علي عليه السلام وحقه في الخلافة:

□ إذا كانت ولاية علي عليه السلام بأمر من الله، فلماذا لم يحارب الإمام علي عليه السلام

لأخذ حقه بالخلافة إذا كان ذلك أمر الله ولا يجب مخالفته؟

○ كما نعرف جميعاً أن الله أراد من رسوله أن يبلغ ما نزل من ربه في تنصيب الإمام علي عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^(١)، ووقف الرسول ﷺ وخطب الخطبة المعروفة بخطبة (الوداع) قائلاً: ((الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)) فقالوا: ((اللهم بلى)) فقال: ((اللهم اشهد)) ثم قال: ((فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار)). وهكذا نصب الإمام علياً ﷺ خليفة للمسلمين بأمر من الله سبحانه وتعالى، وهذه حقيقة، ولكن عندما دارت الدائرة، أبعد الإمام علي ﷺ عن حقه نتيجة الأوضاع القلقة التي عاشها المسلمون بعد النبي ﷺ، وقد كان الإمام علي ﷺ مشغولاً بتجهيز الرسول ﷺ.

ويتحدث الإمام علي ﷺ عن حاله في الخيار بين أن يطالب في حقه بالخلافة، أو يشن حرباً في داخل الواقع الإسلامي، أو يصبر ليحفظ الإسلام، ونعرف أن أبا سفيان قد جاء إلى الإمام علي ﷺ وهو يحمل في رأسه أفكاراً - وهو يتظاهر بالإسلام - وخلاصتها أنه أراد أن يعيد سيطرته على الواقع الإسلامي في ذلك الوقت، أي أن يستغل الإمام علي ﷺ، وأراد منه أن يكون ورقة رابحة له يلعب بها في دوره المعين، فطلب من العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ قائلاً له: أن امض لابن أخيك عليّ لنبايعه والله لأملأن عليهم خيلاً ورجلاً، فجاء العباس للإمام علي ﷺ وحديثه بمقالة أبي سفيان، فكان الرد بأن أبا سفيان لم يكن يوماً مخلصاً للإسلام، والإمام علي ﷺ عاش لله وللإسلام، وكانت قضية الإسلام عنده ﷺ أعظم من فوت الخلافة، ولذلك قال في كتابه لأهل مصر كما هو في (نهج البلاغة): ((فما راعني إلا انشغال الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يريدون محق دين محمد ﷺ، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم هذه التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت حتى زاح

الباطل وزهق واطمان الدين وتنهنه)) وكانت كلمته ﷺ المشهورة: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة)).

علي ﷺ يرتفع حيث يتضع الناس، وهو يكبر حيث يصغر الناس، وعلي ﷺ في الأعالي، هو الذي كان يشعر أنه خليفة الرسول ﷺ في الواقع الشعبي وإن كان بعيداً عن الواقع السياسي والرسمي، لذلك كان ﷺ وهو صاحب الحق، يعاون الذين تقدموا في الخلافة، لا من خلال شخصياتهم، ولكن من خلال موقعهم ودورهم ومركزهم، فكان ﷺ يعطيهم العلم والمشورة، وذلك في قوله تعالى ﷻ: ((وهو يعلم أن محلي فيها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير)) ويقول: ((لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلاً على غاريها ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندي من عضة عنز))^(١).

فافهموا علياً ﷺ جيداً تفهموا الحياة جيداً، وتفهموا الوحدة الإسلامية جيداً، وتفهموا كيف يمكن أن نجمد كل ما يوحى بالفتنة وكل ما يعصف بنا من خلافات، لأن المخابرات الدولية ومنها الأمريكية تحاول أن تنفذ حتى إلى مواقعنا الدينية لزرع الفتنة هنا وهناك، وعلي ﷺ هو الذي فقأ عين الفتنة، وانطلق من أجل حماية الإسلام وحفظه، وهو الذي نصبه رسول الله، ولكنه - مع ذلك - حفظ وصية الرسول ﷺ كما حفظ وصية الله في أن يحفظ الإسلام في صبره كما حفظ الإسلام في سيفه. تلك هي المسألة، لأن الإمام علي ﷺ كان رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

المرأة والعقرب:

□ ذكر الإمام علي ﷺ في (نهج البلاغة) أن ((المرأة عقرب حلو اللدغة))،

وقد شرح الشيخ محمد عبده أن المرأة إيذاؤها لطيف العشرة، فما هو رأيكم بما ورد في النهج عن المرأة؟

○ ليس كل ما ورد في (نهج البلاغة) منسوب قطعاً للإمام علي عليه السلام، فما ورد في (نهج البلاغة) هو للإمام عليه السلام في الجملة، ولا بد من توثيقه من خلال وثيقة الرواة، وأن نعرضه على القرآن لندرس مدى موافقته أو مخالفته، لأن الأئمة يقولون لنا: ((كل ما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار))، وهذا نظير ما ورد في قوله عليه السلام: ((أن المرأة شر كلها))، فكيف تكون المرأة شر كلها والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١)، فالإنسان فيه جانب الخير وجانب الشر، ثم إن المرأة إذا كانت كلها شرّاً فعلى أي أساس يعاقبها الله على هذا الشر إذا كان قد خلقه فيها. فهذا ضد مفهوم القرآن، ثم يقال: ((وشر ما فيها لا بد منها))، يعني لا بد منها لإنجاب الأولاد، مع أن هذا المعنى في الرجل أيضاً. وقد اطلعت أخيراً على أن تلك الرواية منسوبة للمأمون وليس للإمام علي عليه السلام، إذ يقول المأمون كما في كتاب (بهجة المجالس) ((أن النساء شرار كلهن وشر ما فيهن أنه لا بد منهن)).

ثالثاً: فاطمة الزهراء عليه السلام:

عصمة السيدة الزهراء عليه السلام:

□ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني أغضب لغضب فاطمة))، فهل نفهم من هذا الحديث أن الزهراء عليه السلام معصومة؟

○ إن السيدة الزهراء عليه السلام معصومة بآية التطهير بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢)، وهو دليل عصمة

(١) الإنسان: ٣.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

الرسول ﷺ والإمام علي ﷺ والزهراء ﷺ والإمام الحسن والحسين ﷺ، هذا أولاً. وثانياً: كما ذكرنا في عدد من كتبنا، أن الزهراء ﷺ سيدة نساء أهل الجنة وسيدة نساء العالمين لا بد أن تكون معصومة. وثالثاً: إن حياة الزهراء ﷺ كانت تمثل العصمة في فكرها وفي عملها. فالحديث الذي يشير إلى أن الرسول يغضب لغضب فاطمة في قوله ﷺ: ((فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله)) يدل على ذلك، لأنها ﷺ لا تغضب إلا لله ولم تتطلق في غضبها من حالة ذاتية نفسية، بل كان عقلها من عقل الرسول ﷺ وقلوبها من قلبه ﷺ، فقد صاغها صياغة تمثل التجسيد الروحي للإنسان الذي ليس لديه شيء إلا لله ورسوله.

رابعاً: الإمام الحسين ﷺ:

العار والنار:

□ نرجو توضيح كلام الإمام الحسين ﷺ يوم عاشوراء: ((الموت أولى من ركوب العار، والعار أولى من دخول النار))؟
○ يعني أن الإنسان لا يمكن أن يعيش الذل (العار)، وأن الموت أفضل من العار، ولذا قال ﷺ: ((لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد، ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى، الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وجدود طهرت من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام))، والعار أيضاً أولى من دخول النار، لا كما هو سائد، حيث يقتل بعض الناس بناتهم بحجة غسل العار بسبب تهمة ظنة مما يسمى قتل الشرف، لأن قتل النفس المحرمة (بالتهمة والظنة) لا يجوز، لأنها سبب دخول النار.

خامساً: الإمام المهدي عليه السلام:

انتظار المهدي عليه السلام:

□ إحدى الروايات لروائي روسي، يعاتب فيها صديقه الذي أخلف مواعده بالحضور قائلاً: لماذا تأخرت، فلقد انتظرتك انتظار المهدي، فهل يدل ذلك على أن انتظار المهدي عليه السلام اعتقاد سائد عند شعوب الأرض الأخرى، وحسب الآية الكريمة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١)؟

○ المسلمون بشكل عام ينتظرون الإمام المهدي عليه السلام، حتى أبناء العامة الذين يقولون إنه لم يولد، أما الشيعة فالمعروف أنه يوجد منهم من يعيش في روسيا أيضاً، وربما كان المقصود في الرواية الانتظار الطويل الذي ليس له موعد مسبق معين، وليس من الضروري أن يكون الروائي مؤمناً بهذه المسألة.

علامات ظهور المهدي عليه السلام:

□ ما هي علامات ظهور الإمام الحجة عليه السلام؟

○ هذا ليس من مسؤوليتنا، لأن غيبته من غيب الله وظهوره من غيب الله. فالأمر لله، ودورنا أن نهيب له بعض المواقع الإسلامية ونهيب أنفسنا لنكون جنوده، وكما نقرأ في دعاء (الافتتاح): ((اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة)). فعلى كل واحد منا أن يكون داعية للإسلام ومشروع قائد. فكم من احتفال عملنا، ولكن هل أعددنا احتفالاً لأنفسنا كقياديين ودعاة إلى الله؟ فهل نريد أن يظهر الإمام ونحن مشغولون عنه وعن الإسلام بأنفسنا.

وأنقل لكم قصة طريفة حول هذا الموضوع: تعرفون مسجد (السهلة) بين

الكوفة والنجف، وفيه مقامات للأنبياء وللحجة عليه السلام، ومعروف بين الناس - ولا نعلم مصدر ذلك - أنه في كل أربعاء يذهبون لذلك المسجد لغاية أربعين أربعاء لقراءة الدعاء منذ زمن، وكان أحدهم قد أكمل الأربعين أربعاء وتهياً لاستقبال الإمام، فدخل عليه ورحب به بقوله يا مولاي يا سيدي شرفتنا، ولما جلس في صدر المجلس فقال للرجل عليك بالانفصال عن زوجتك لأنها أختك من الرضاعة، وكذلك عليك بالخروج من البيت لأنه وقف للأيتام، وأموالك حرام فعليك بالتخلي عنها، فخرج الرجل من المنزل صائحاً هذا حرامي في البيت فأخرجوه. وربما يكون هذا هو موقف الكثيرين منا عندما يخرج الإمام الحجة عليه السلام. والحسين عليه السلام جدّ الحجة عليه السلام، عندما انطلق في مسيرته قال: ((الناس عبيد الدنيا والدين لعق على أسنتهم يحوطونه ما درت معاشيتهم فإذا مُحْصُوا بالبلاء قلّ الديانون)). فمن يدري إذا خرج الإمام الحجة عليه السلام ونحن في غيبة ونميمة، وكذا فقد نكون من أنصار أعدائه مثل الذين كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام وأخبروه (أن قلوبهم معك وسيوفهم عليك) . فتسأل الله العافية.

المهدي عليه السلام ومستقبل البشرية:

□ بمناسبة ذكرى ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، يروى أنه عند ظهوره سيصلي السيد المسيح عليه السلام خلفه، فهل تنصحون المسيحيين بضرورة التخلي عن مساندة اليهود وفتح باب التقارب مع المسلمين بدلاً من وصمهم بالإرهاب، بينما الكيان الصهيوني في فلسطين هو الإرهاب الحقيقي؟

○ ننصح المسيحيين والمسلمين - معاً - أن لا يتعاونوا مع اليهود، لأننا اليوم نرى الكثير من المسلمين يتعاونون مع اليهود (إسرائيل)، ونحن نريد للمسيحيين أن يؤمنوا بالسيد المسيح عليه السلام كما أرسله الله سبحانه، وكذلك نريد للمسلمين أن يؤمنوا بالنبي محمد عليه السلام كما أرسله الله سبحانه.

والقضية الفلسطينية هي قضية السيد المسيح عليه السلام وقضية النبي الأكرم عليه السلام وقضية كلّ الرسالات والأنبياء. وأتذكر أنني اجتمعت مرة بأحد الكرادلة المسيحيين

من الفاتيكان، وهو الكاردينال (أرنير) وهو من نيجيريا، فقلت له ما هي مسؤولياتك فقال البحث عن الحوار الإسلامي المسيحي، فقلت له ما هو موضوع البحث الآن، فقال نبحث عن موضوع الحريات في الإسلام والنظرة إلى المرأة. فقلت له أسألك عن قضية أكبر، فلو كان السيد المسيح ﷺ موجوداً الآن فمع من يكون، هل يكون مع اليهود أم مع الفلسطينيين؟ والمفروض أن السيد المسيح طرد اللصوص من ساحة الهيكل، فكيف بلصوص الأوطان من اليهود الذين سرقوا فلسطين؟ فقال هذه قضية سياسية ويمكنك التكلم بذلك مع سفير الفاتيكان في بيروت. فقلت له أسألك عن ضميرك المسيحي، فتدخل بذلك السفير البابوي بدمشق قائلاً إن إسرائيل (الكيان الصهيوني) هي أمر واقع نتعامل معه. فقلت له إن الشيطان أيضاً أمر واقع، فهل نعترف بشرعيته، فليس كل أمر واقع يعترف به وإن كان على الباطل، فسكت.

فالقضية الفلسطينية رغم أنها قضية إسلامية كبرى، إلا أن المسيحيين أيضاً لو أخلصوا للمسيح ﷺ لكان عليهم أن يشاركوا المسلمين في موقع الدفاع عن المستضعفين في فلسطين، سواء كانوا من المسلمين أو من المسيحيين، وقد أرادنا القرآن الكريم أن ندعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم ولا سيما المسيحيين منهم، بالتأكيد على التقارب من خلال المواقع المشتركة بيننا.

نصرة المهدي ﷺ:

□ كيف يجسد الإنسان نصرة الإمام المهدي ﷺ عملاً وروحاً؟

○ هناك طريقتان: مباشرة وغير مباشرة. فالطريقة المباشرة هي أن ننصر الخط الرسالي الذي ينطلق فيه الإمام الحجة ﷺ، وهو إمام المسلمين كباقي آبائه، وليس هناك خصوصية له من هذه الناحية، فهو كباقي الأئمة الإثني عشر ﷺ، دوره كأدوارهم هو نصرة الإسلام وإقامة العدل الشامل على أساس الإسلام. فعندما نريد نصرة الإمام، فإن علينا أن ندعو للإسلام ولا نكتفي بالدعاء، كما لو اكتفى أحدهنا بقراءة دعاء (الندبة)، بل علينا أولاً أن نتقف أنفسنا وأهلنا

بالإسلام، ونواجه القضايا الإسلامية والتحديات ضد المسلمين. ونواجه الظالمين والمستكبرين الذين يفرضون أنفسهم على كل المسلمين في الاقتصاد والسياسة والأمن.

أما الطريقة غير المباشرة، فهي أن نعدّ أنفسنا بحسب مسؤولياتنا الشرعية، ولا يعني ذلك أننا في زمن الغيبة أحرار لتتخلى عن مسؤولياتنا ونجلس فنشرب الشاي ونذهب لمسجد السهلة و٤٠ أربعاء مكتفين بذلك، فإن الله سبحانه جعل المسؤولية كما في الآية الكريمة، «الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا»^(١)، فنحن مسؤولون في كل شيء، وننتظر قدوم الإمام في هذه الحال، ولعل أفضل تعبير لهذه الحال هو دعاء (الافتتاح): ((اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تعز فيها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك))، أن تكون مشروع داعية للإسلام وتعدّ نفسك للقيادة.

سادساً: الأئمة

المعصومون والدليل على عصمتهم:

□ من هم المعصومون وما هو الدليل الشرعي والعقلي على عصمتهم؟
○ الأنبياء ﷺ والأئمة ﷺ هم المعصومون، وكذلك السيدة الزهراء ﷺ. أما سبب عصمة الأنبياء، فلأن الله أراد من الأنبياء أن يخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فلا بد للنبي أن يكون نورا في عقله ونورا في قلبه وحياته، وأن يكون النور كله حتى يعطي الناس النور، وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، فإن الله كما خلق شمسا كونية كلها نور كذلك خلق شمسا إنسانية كلها نور، أما الأئمة ﷺ، فإن الإمامة تمثل امتدادا للنبوة، وكما قال النبي ﷺ لعلي ﷺ: ((يا علي، أنت مني

بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، أما الزهراء ؑ، فهي بنت المعصوم وزوجة المعصوم وأم المعصومين، وقد أراد الله أن يكرمها فجعلها معصومة من أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

الروايات الضعيفة:

□ لماذا ضمّن صاحب بحار الأنوار والكليني في الكافي أحاديث ضعيفة في

كتابيهما؟

○ صاحب (البحار) يعتبر كتاباً أشبه بالكشكول، وهو لا يضمن صحة ما في كتابه، أما صاحب (الكافي)، فربما يضمن صحة ما كتبه على رأي، ولكن مَنْ جاء بعده من العلماء لا يضمنون صحته، فمثلاً، صاحب كتاب البحار له شرح كتاب الكافي بعنوان (مرآة العقول في شرح أحاديث الرسول)، وقال إنه لم يصح لديه من أحاديث الكافي سوى خمسة آلاف حديث، ولذلك فليس عندنا صحاح ١٠٠٪ مثل السنّة، فلا يمكن أن نقول مثلاً حديث التحريف صحيح لأنه موجود في كتاب الكافي، فكتب الأحاديث عندنا من حيث الصحة مختلف فيها، فقد يصحح العلماء هذا الحديث ولا يصححه الآخرون، وهناك معايير لذلك.

مصادر الحديث:

□ على أي المصادر اعتمد الشيخ الكليني في كتابه (أصول الكافي)؟

○ روى أحاديثه عن رواية مشهورين يومذاك، ولهم كتب وأصول رويت عما قبلهم من طبقة الرواة.

أجواء ولادات الأئمة:

□ ماذا نستوحي من ولادات ووفيات الأئمة الطاهرين، خاصة ونحن أمام

ذكرى ١٥ شعبان في وضعنا الحاضر وما نعانیه كأمة إسلامية؟

○ علينا أن ندرس شخصية الإمام في عظمة عناصر الشخصية في ذاته

وفي دوره الرسالي، وعلينا أن لا نجعل مناسبات الأئمة مجرد دموع في الوفاة

أو بسمات أو فرح في المواليد، وإن كان ذلك أمراً مهماً، بل علينا أن ندرس تراث الأئمة وفكرهم ونقدم فكرهم للعالم حتى يتعرفوا على الفكر الحضاري للإسلام، وليحل مشاكل الأمة الإسلامية، ولذا ورد الحديث: ((أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا)) فكيف يكون إحياء الأمر؟ قال الإمام الصادق عليه السلام: ((إحياء الأمر هو أن تحدثوا الناس بمحاسن كلامنا، فإن الناس إذا عرفوا محاسن كلامنا أحببونا)).

الفصل الرابع

المسائل الفكرية

الديمقراطية والإسلام:

□ كيف ينظر الإسلام إلى الديمقراطية عندما يلاحظ آليات تطبيقها في

الغرب، وما هو رأيكم في نظرية الشورى؟ وما هي حدودها؟

○ للديمقراطية جانبان:

الأول: الجانب الفلسفي والجانب الفكري، وتعني الديمقراطية وفقاً لذلك

أن أساس شرعية كل فكر هو تصويت الأكثرية، فلا يوجد حق ثابت أو باطل ثابت، فالإسلام من وجهة نظر الديمقراطية إذا أنتجته الأكثرية فهو حق، ولكن لو أن الأكثرية لم تنتخب الإسلام فيكون باطلاً وليس له أساس شرعي. وهذا ما لا نقبل به، فلو فرضنا أن الأكثرية صوتت على خلاف التشريع الإسلامي فلا نقبل به، لأننا نؤمن أن هناك حقاً وهناك باطلاً، فما يأتينا من قبل الله ورسوله فهو الحق وما عداه باطل، سواء صوته الناس أو لم يصوتوا ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وثانياً: هناك الجانب التنظيمي والإداري، وهو آلية الديمقراطية من

الناحية السياسية، كما في انتخاب النواب أو رئيس الجمهورية. وهو الحل الأقل سوءاً، حتى أن منظري الديمقراطية يقولون إنها ليست أفضل الحلول، بل أقلها سوءاً، وليس من الضروري أن تمثل الديمقراطية أكثرية الشعب، فمثلاً الانتخابات الفرنسية سواءً الرئاسية أو النيابية لا تمثل أكثرية الشعب في الواقع، فمثلاً إذا كان الذين يصوتون في الانتخابات النيابية بنسبة ٣٦٪، فمعنى أن أكثرية الشعب صوتت للانتخابات النيابية، ونعرف أن النظم الديمقراطية مثل أمريكا ليس فيها انتخاب مباشر، بينما إيران فيها انتخاب مباشر، حتى بالنسبة لرئيس الجمهورية.

فهي متفوقة على أمريكا في مجال الاستفتاء. وفي أمريكا تسيطر الشركات الاحتكارية على الانتخابات، فالمرشح الأمريكي يموله اللوبي الصهيوني، سواءً في انتخابات الرئاسة أو مجلس الشيوخ، لذلك نجد أن مجلس النواب ومجلس الشيوخ الأمريكي معاً هما مع إسرائيل، رغم أن اليهود لا يمثلون فئة كبيرة، لذلك يمكن القول بأن الديمقراطية تتسجم مع الشورى، ونعتقد في زمن الغيبة أن الشورى، هي الحل، ولا بد من تركيز الشورى في أهل الحل والعقد من الأمة أو في الأمة كلها أو في الأكثرية، ويحتاج ذلك إلى بحث مسهب.

تنامي الصحوة الإسلامية:

□ هل أن ظهور وتنامي الفكر الإسلامي هو بسبب فشل الأيدولوجيات الأخرى كالقومية والاشتراكية والشيوعية، أم هي ضرورة تاريخية لا بد منها لحل المشكلات، وما هو ردكم على فوكوياما؟

○ نعتقد أن الإسلام عندما يُقدّم إلى العالم بصورته المشرقة وينفتح على قضايا الإنسان ومشاكله واحتياجاته بعيداً عن التخلف والجهل وبعيداً عن الفكر المغلق، فإن الأمم ستنتفتح على الإسلام، وربما انطلقت الصحوة الإسلامية بسبب فشل بقية الأيدولوجيات وما رآه الناس في الإسلام، ولكن - مع الأسف - فإن تخلف المسلمين وجهلهم وتفرقهم والتمزق الطائفي بينهم أجمع، هو الذي منع الصحوة الإسلامية من الانفتاح على العالم كله.

أما ردنا على المفكر الياباني فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) الذي يقول فيه بأن الظهورية الإسلامية ستفشل، فإنه رجم بالغيب، فلا يمكن الحكم على تيار معين بالفشل إلا بعد دراسته من جميع جوانبه.

الواقع الفكري:

□ لقد تشردم الواقع الفكري العربي والإسلامي حتى أدى إلى أزمة في

توجهات الأمة الفكرية القائمة، أناشدكم في إنشاء حركة فكرية سياسية تقود الجماهير نحو وسطية الإسلام وسعة أفقه، وحركة نلّم بها شعنتنا ونرأب بها صدعنا؟

○ في الواقع نحن نحاول أن نكتشف الخط الإسلامي الفكري الأصيل الذي يبتعد عن الخرافة التي عششت في كثير من خطوط الفكر الإسلامي، وعن التخلف الذي يفرض نفسه على فهم النصوص الإسلامية، ونحاول أن نكتشف هذا الخط في الكتاب والسنة وفي تجارب المفكرين الإسلاميين، الخط الذي لا يتحرك نحو التجزئة الفكرية بحيث يعزل الجانب الفكري عن بقية الجوانب، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو ثقافية، لأننا نعتقد أن الإسلام وحده هو الذي تترابط فيه كل الجوانب، ولذلك لا بد لنا أن نناقش كل المفردات الإسلامية في علاقاتها بكل هذه الروابط الموجودة في حياة الأمة، وهذا ما نحاول أن نكتشفه. أما قضية إنشاء حركة، فهي تحتاج لظروف موضوعية قد لا نملكها.

الفضائية الثقافية:

□ لماذا لا نمتلك فضائية نطلُّ بها على الملايين بدلاً من خطاب المنبر؟

○ الفضائية تحتاج إلى ميزانيات مالية كبيرة، وكثير من المؤمنين غير مستعدين لإنشاء فضائية، فهم يصرفون مليون دولاراً لبناء حسينية أو مسجد لا ضرورة لهما، ولا يتبرعون لإنشاء محطة فضائية، ولا يعني ذلك أن المساجد أو الحسينيات لا تشكل أهمية للمسلمين، وإنما بمعنى أنها قد لا تكون ضرورية مع وجود عشرات الحسينيات وقلة مرتاديهما مع حاجتنا إلى الفضائية، فهذه عقلية غير منفتحة، ليس فقط بالنسبة للفضائية فحسب، بل بالنسبة إلى أمور أخرى أيضاً، فنحن الآن في كل مغترباتنا الأمريكية والأوروبية والكندية بحاجة إلى مدارس، وقد طرحنا شعاراً مضمونه ((أن المدرسة قبل المسجد))، لأننا نستطيع أن نصلي في المدرسة، ولكننا لا نستطيع التدريس في المسجد، والفضائية تحتاج

على الأقل إلى ميزانيات مالية ضخمة سنوياً، وقلت إن الفضائية أفضل من كثير من مشاريعنا الحالية، ولكن حتى الآن الذهنية السائدة لا تتفاعل مع ذلك، ونحن نحتاج إلى أن نخاطب الناطقين باللغة الإنكليزية أو الإسبانية أو الفرنسية، وللأسف فإن هذا التقصير يطال حتى المواقع الرسمية، وهذا ما لمسناه من خلال اجتماع وزراء الإعلام العرب حيث لم يقرروا إنشاء فضائية تنطق باللغات الحية الموجودة في العالم، بينما نجد أن إسرائيل قامت مؤخراً بإنشاء شبكة فضائية باللغة العربية لأجل السيطرة على العرب ثقافياً وإعلامياً.

وفي الأسبوع الماضي، خصص مجلس النواب الأمريكي ١٣٥ مليون دولاراً لتقوية صوت أمريكا إذاعياً وتلفزيونياً وباللغات العربية والفارسية والأوردية وغيرها لتحسين صورة أمريكا، والشعوب الأخرى ليست ضدنا، ولكنها تأخذ الصورة الواقعية عن القنوات الفضائية الأمريكية التي يسيطر عليها اليهود. فمثلاً بالنسبة للقضية الفلسطينية، نجد أن وضعنا هو وضع الأمة التي لا تعيش شخصيتها كأمة، فقد أصدرنا من قبل حكماً بمقاطعة البضائع الأمريكية، فترى هذا ينتقد وذاك يقول لماذا، بينما ترى أن موقف اليهود موحداً تجاه صحيفة (لوس أنجلوس) التي نشرت تحليلاً أو خبراً فيه نوع من الحياد، وليس لأجل الدعاية للفلسطينيين، فقد قاطع الصحيفة المذكورة ألف يهودي، وهناك أيضاً بعض القنوات الأمريكية التلفزيونية تمت مقاطعتها شهراً أو شهرين، لأنها نقلت صورة تمثل مأساة فلسطين، فاليهود أصبحوا أمة، وكل يهودي يشعر أنه مسؤول عن اليهودية في العالم، بينما نحن مشغولون ببعض البعوض وبنقاشات عقيمة.

علماء الدين والأمة:

□ هناك هوة بين رجال الدين وعامة الناس، فكيف تردم هذه الهوة؟

○ ليس بين كل علماء الدين والأمة هوة، وأعتقد أن علماء الدين الذين

يخدمون الناس، والذين يقومون بتوعيتهم، والذين يتحملون مسؤوليتهم، والذين

يكونون كما كان رسول الله ﷺ: ((كان فينا كأحدنا))، فإن الناس تفهم جيداً موقعهم وإخلاصهم، ونحن نقول على علماء الدين أن يتحركوا كرساليين وكأناس يعيشون بين الناس ليكونوا خدماً للناس، لأن الأنبياء ﷺ كانوا خدماً للناس.

الفكر الحديث:

□ كيف نصوغ فكرنا بأساليب حديثة؟

○ ربما الأهم الآن هو كيف نصوغ فعلنا، فالفكر الإسلامي موجود، وقد أسهم عدد من المفكرين الإسلاميين الطليعيين بنظريات فكرية بأساليب حديثة جيدة يقرأها الشباب المعاصر والمفكر والمثقف، ويبقى تكريس هذا الفكر وتفعيله على المستوى الواقعي بعد الاقتناع به.

الوحدة بين السنة والشيعة:

□ هل التقارب بين الشيعة والسنة يكون بحل العقد الأساسية ومن أهمها الولاية التي تعتبر ركناً من الأركان الأساسية العقيدية، أم يكون التنسيق بالجزئيات؟

○ يقوم التقارب بين السنة والشيعة على أساس أن يكونوا مسلمين، وأن يمثل لهم الإسلام شيئاً، بينما ما نراه أن الشيعة صارت ديناً والسنة ديناً. السنة يكفرون الشيعة والشيعة يكفرون السنة، وكأنه لا شغل لنا بالإسلام غير أن نثير القضايا المذهبية التي تثير الحساسيات. فنحن نكفر هذا ونكفر ذاك، ونشتم ونلعن ونسب ونثير كل الأمور، أما ماذا سيحل بالإسلام وماذا سيفعل الأجنبي، فهذا لا محل له في وجداننا.

ومنذ ١٣٠٠ عام أو أكثر لم يستطع السنة إقناع الشيعة بالخلافة ولا الشيعة أقتنعوا السنة بها. مع ذلك نقول أنت إبق على رأيك وأنا أبقي على رأيي، ولكن هناك قواسم مشتركة ومساحات للحوار. فنحن متفقون على وجوب الصلاة

والصوم والحج والزكاة، فكل ذلك مورد اتفاق ومحل اتفاق، فلماذا نركز على نقاط الخلاف، فإذا كانت الذهنية علمية، فليجلس العلماء مع بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١) فالله أعطانا منهجاً وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢) وحبل الله مفسر في تفسير (القرآن) وفي تفسير آخر بـ(الإسلام)، فهل غيرتنا على ولاية علي بن أبي طالب ﷺ أكثر من غيره علي ﷺ نفسه.

إن علينا أن نتعلم الوحدة الإسلامية من علي بن أبي طالب ﷺ، فهو رائد الوحدة الإسلامية. ولقد ذكرت هذا الكلام دائماً ومراراً، وقرأت هذا القول مئات المرات، ((ولكنه المسك ما كررته يتضوع))، فإنه في كتابه إلى أهل مصر كان يبين رأيه للناس ويقول ﷺ: ((فما راعني إلا انثيالي الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي، حتى إذا رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام - أي صارت ردة - فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً يكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما زال كما يزول السراب وكما ينقشع السحاب، فنهضت حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنت)) هذا هو علي بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب ﷺ هو الذي نصح عمر عندما استشاره في أمر خروجه مع الجيش لمواجهة الفرس، بأن لا يخرج، ((لا تذهب، فأنت رأس الأمر وسنামه))، فإذا ذهب عمر فسيكون الضغط والحمل على الجبهة التي فيها عمر وسيسقط، فأبعث بالرجال دون أن تذهب معهم للجبهة، فكان الإمام علي ﷺ يفكر بالإسلام، وهو القائل: ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة)).

(١) النساء: ٥٩.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

تلك عظمة أمير المؤمنين، فالإمام هو الذي كان يعطي المشورة حتى قال عمر: ((لولا علي لهلك عمر)).

دور المرأة في الحياة:

□ إحدى الأخوات تقول إنها متزوجة وتشعر بتقصير في دينها وتعلم أن لكل مسلم رسالة ودوراً عليه أن يؤديه، وهذا إحساس بالتقصير ولا تعرف ماذا تفعل في أسرة محدودة وهي غريبة، وتحس بأن ذلك لا يعفيها من أداء رسالتها والاقتداء بالزهراء ؑ وزينب ؑ، فماذا عليها أن تعمل؟

○ نقول لهذه الأخت الفاضلة أولاً من ناحية عمل البيت فإنه جهاد، وجهاد المرأة هو حسن التبعل، وهي في عملها البيتي المنزلي تكون في عبادة عندما تعمل ذلك قربة لله، لأن المرأة شرعاً ليست مسؤولة عن العمل في البيت وحتى في حالة الإرضاع ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^(١)، فالمرأة تعطي كل جهدها في البيت وتكلفتها الأمومة تسع شهور مع خطر الوضع ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٢) وقد تحدث الله بشكل خاص عن المرأة الأم، لأن الأمومة تجعلها في حالة طوارئ. أما من ناحية القراءة، فعلى الأخت الاستمرار بالقراءة، وهناك مجالات اجتماعية للتحدث عن قضايا دينية وسياسية واجتماعية، ولها الحق مثل الرجل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فهذه الآية ليست مختصة بالرجال فقط، بل هي موجهة للرجال والنساء. ولكن التقاليد هي التي جعلت المرأة تنكفى عن العلم.

وأذكر أنه قبل ٢١ سنة عندما كنت في لندن أشارك في أحد المؤتمرات وكان فيه رجال ونساء، وقد وجهت لي امرأة نفس السؤال، فكان الجواب من قبل

(١) الطلاق: ٦.

(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) الزمر: ٩.

مسلمة ألمانية متزوجة من مسلم ولها أربعة أولاد كانت عندما يذهب أولادها إلى المدرسة وزوجها إلى العمل، فإنها كانت تمسك التلفون وتتحدث مع صديقاتها عن الإسلام، وهي بالإضافة إلى ذلك كانت تكتب للصحف بما عندها من الوسائل، على عكس بعض النساء اللاتي يلهون بالحديث والتلفزيون.

المسجد والمدرسة:

□ ذكرتم في ندوة سابقة أن 'المدرسة قبل المسجد' من حيث الأهمية، ولكن الرسول ﷺ بنى أول مسجد أسس على التقوى، وكان بمثابة مدرسة شاملة لتعليم الإسلام، فيمكن أن يتضمن المسجد قاعة دراسية كما يمكن أداء الصلاة في مسجد الجامعة، أفتونا مأجورين؟

○ إن المدرسة قبل المسجد في الغرب، لأن الكثير من الأخوان هناك ليس لديهم إمكانيات لبناء مدرسة ومسجد، فالبعض مستعد لدفع مليون دينار لبناء حسينية أو مسجد، والكثير من الأغنياء ليس له ذهنية للتقرب إلى الله ببناء مدرسة. أما قضية أن النبي ﷺ بنى المسجد فهذا صحيح، ولكن المسجد الإسلامي كان هو المسجد والمدرسة، وكان مقراً لإصلاح السيوف والتعبئة للحرب والسياسة أيضاً، ولم تكن المدرسة معقدة كما هي الآن. وقد روى البعض أنه قال دخلت إلى مسجد الكوفة فإذا بـ (٩٠٠) شيخ يقول حدثني الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أما الآن فمناهج الدراسة مختلف على المستوى العلمي والتربوي واللغوي.

غياب الخطوط التفصيلية:

□ يرى البعض عدم وجود نصوص إسلامية توضح أبعاد النظام السياسي في الحكم وفي تعيين الحاكم بعد الغيبة، فما رأيكم؟

□ لقد اهتم الإسلام بأصل الحكم الإسلامي وضرورة تطبيق وسيادة الشريعة في حياة الإنسان المسلم، لتترك للمسلمين الحرية في التفاصيل، وقيمة

الإسلام أنه أعطى الحرية في الخطوط الفكرية التفصيلية للنظام السياسي في الإسلام، ولذلك إن لم يكن هناك نص في زمن الغيبة، وإن كان بعض الأخوان يدّعي أن هناك نصوصاً في ولاية الفقيه، لكن يمكن أن يفكر المفكرون المسلمون بالمصلحة الإسلامية العليا للنظام، فيمكن أن يكون مرة شورى أو ولاية فقيه أو غير ذلك، والمسألة تابعة للاجتهاد مما اختلف فيه المجتهدون.

تقدم الغرب وتأخر الشرق:

□ بماذا تفسر تقدم الغرب الكافر وتراجع الشرق المسلم؟

○ يذكر أن عالمين رفيقين من علماء النجف عاشا سوية، ثم أصبح أحدهما مرجعاً وبقي الآخر طالباً، وعندما التقى ذلك الطالب المرجع قال له: شيخنا، كنا سوية فكيف أصبحت مرجعاً وأنا لازلت طالباً؟ فأجابه المرجع بقوله: شيخنا، سرنا ووقفتم.

فإن الغرب استفاد من قواعد الفكر ومناهج المعرفة في الإسلام تلك التي كانت سائدة في الأندلس، إذ كان التأمل مصدر المعرفة، ثم سادت التجربة، وكانوا إلى وقت قريب يدرسون رسائل (جابر بن حيان) الذي تعلّم من الإمام الصادق عليه السلام في الكيمياء، وكذلك رسائل ابن سينا في الطب. فقد تعلّم الغرب منهم، ونحن بقينا نناقش هل البيضة من الدجاجة أم الدجاجة من البيضة؟ وهل الملائكة ذكور أم إناث؟ وهل فكرنا بالقضايا الكبرى للأخذ بأسباب التقدم. فالغرب مشى ونحن توقفنا، وكما في الآية الكريمة: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١). فعندما تأخذ بأسباب العلم تصبح عالماً، وعندما تأخذ بأسباب الجهل تبقى جاهلاً، ومع أن الغرب على مستوى الإدارة السياسية ظالم ومستكبر، ولكنه على مستوى القواعد يفكر بعقلانية، فإذا قدمت له وجهة نظرك يستمع إليك، فإذا اقتنع بها يسير

معك، بينما نحن نتخلف بالسياسة وبالمنهج وبالدين، ونحن لازلنا نحمل عقلية إلغاء الرأي الآخر، بينما الغرب يحمل عقلية الاعتراف بالآخر، في وقت كان الإسلام فيه أول من اعترف بالآخر ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾^(١) فالغرب اعتبر أن العنف ليس أساس التغيير الفكري، وكان الإسلام أسبق منه في ذلك ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢) بمعنى أن نحول الأعداء إلى أصدقاء، بينما ما يجري في مجتمعنا هو العكس، فنحن نحول الأصدقاء إلى أعداء.

التعريف بالإسلام:

□ في سبيل نشر رسالة الإسلام إلى الشعوب النائية، هل من خطة للمرجعية لفتح مراكز ثقافية في كوريا أو اليابان أو جنوب أفريقيا مثلاً، لتوضيح حقيقة الدين الإسلامي لهم بعد اشتداد الهجمة الاستكبارية والصهيونية ضد الإسلام بعد ١١/أيلول/٢٠٠١

○ يحتاج ذلك إلى ميزانية كبيرة، ولكن المشكلة أن بعض الناس مستعد أن يدفع مليون دولار لبناء حسينية أو مسجد مع التأكيد على أهميتهما، ولكنه غير مستعد لدفع عشرة آلاف دولار لإرسال داعية مسلم إلى اليابان أو كوريا أو البلاد الإسلامية التي لم يصل الإسلام إليها، فلا زالت الذهنية القديمة هي السائدة، وكما ذكرت لكم سابقاً، أننا لو أردنا تأسيس فضائية وفق الخط الإسلامي الأصيل وقد تكلف مبالغ طائلة، إلا أن الذهنية السائدة لا تزال تتعثر في التبرع لمثل هذا المشروع.

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) فصلت: ٣٤.

ثقافة الإسلام في مواجهة العولمة:

□ في ظل الواقع الثقافي السائد في عالمنا، وفي ظل العولمة التي تكتسح

الفكر الثقافي العالمي، ما هو وجه التباين بين عالمية الإسلام والعولمة اليوم؟

(١) لا علاقة بين الأمرين من حيث المنهج، لأن العولمة من حيث هي منهج عالمي يحاول أن يسقط كل الحواجز بين موقع إنساني وموقع إنساني آخر، حيث لا يبقى هناك حاجز أمام الفكر، فكل فكر من حقه أن يدخل إلى كل مكان. وهكذا لا يكون هناك حاجز أمام السياسة التي تتحرك من دون حواجز، سواء كانت السياسة فكرة أو حركة، وهكذا بالنسبة للجوانب الاقتصادية، فمن حق الشركات في العالم أن لا يقف أمامها حاجز يمنعها عن أن تقوم بمشروعاتها في هذا البلد أو ذاك. أي على العالم أن يفتح بعضه على بعض، فالعولمة تمثل عنواناً كبيراً من حيث طبيعته الإنسانية، وفي هذا المجال لا فرق بين العالمية والعولمة من حيث هي منهج إنساني.

والإسلام انطلق للعالم (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)^(١)، (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)^(٢). فالإسلام عالمي يرفض أن يضع أحد الحواجز أمامه للانطلاق إلى الناس كافة.

أما مشروع العولمة، فإنه انطلق من خطة بدأت أمريكية أريد لها أن تتحرك في العالم لتزيل الحواجز أمامها ثقافياً واقتصادياً وغيرها، حتى تتطلق كل الشركات الأمريكية وليس أمامها حاجز يمنعها من السيطرة على العالم، وبذلك تتحول العولمة إلى وضع جديد أو خطة جديدة تسيطر على المستضعفين الذين لا يملكون هذه القوة السياسية والاقتصادية وما إلى ذلك. كما نلاحظ الآن عندما يقف الرئيس الأمريكي ليهدد العالم ويقول إننا سنفرض بالقوة القيم

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سبأ: ٢٨.

الديمقراطية والواقع أنهم لا يفكرون بالديمقراطية إلا في أمريكا، وبدأت الديمقراطية، تتكتمش في أمريكا نفسها على أساس تقديم مسألة الأمن على ما عداها، وهذا ما أقرته التشريعات الجديدة، ونرى الرئيس الأميركي يهدد مجلس الأمن إن لم يصدر قراراً في هذه المسألة أو تلك ويقول بأننا سننطلق بقوةنا العسكرية لنطبق ما نعتقد به. فالعولة في حركتها التطبيقية هي حركة الدول الكبرى للسيطرة ثقافياً واقتصادياً وأمنياً على العالم الثالث، حتى دول أمريكا اللاتينية. إذاً فنحن لسنا ضد العولة من حيث الخط العام، ولكننا ضدها في حركة مشروعها في حياة الشعوب.

مفهوم البدعة اليوم:

□ ماذا عن المروي عن النبي ﷺ: ((كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار))

في ظل تطورات العالم؟

○ البدعة هي أن تدخل في الإسلام ما ليس فيه، وليست الاكتشافات مثل السيارات والطائرات واكتشافات أسرار الكون والصعود إلى القمر وغير ذلك من البدعة. فالبدعة في الدين إدخال ما ليس منه فيه، وكما أشارت الآية «اللَّهُ أَذَنُكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ»^(١) يعني أن كل ما تلتزمون به على أساس أنه هو الإسلام، فالمفروض أن يكون قد أذن الله به كما جاء في الكتاب والسنة، وليس كما يحلو للبعض أن يقول إن الإسلام لا يوافق على الحجاب أو أنه لا يمانع من إقامة العلاقات غير الشرعية، فتلك هي بدعة بإدخال ما ليس من الدين في الدين.

الإسلام المعاصر وغير المعاصر:

□ هل هناك إسلام معاصر وإسلام غير معاصر؟

○ الإسلام هو دين واحد. نعم، ربما يفهمه الناس الذين عاشوا في عصر آخر (قبلنا) بطريقة أخرى (قابلة للجدل ومحلاً للمناقشة)، وكذلك المتأخرون، فإنهم قد يفهمون الإسلام بطريقة أخرى، فالعلماء والمفكرون السابقون ليسوا معصومين، فقد يخطئون أو يصيبون، ما عدا الأئمة عليهم السلام ومن ثبتت عصمته مثل عصمة السيدة الزهراء عليها السلام.

الكاظم عليه السلام وسجناء العقيدة:

□ بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام الذي قضى سنوات كثيرة في السجون، هل يمكن اعتبار هذا اليوم يوم السجين الإسلامي للتذكير بكافة سجناء العقيدة الإسلامية؟

○ منذ عدة سنوات دعوت إلى أن نجعل ذكرى وفاة الإمام الكاظم عليه السلام يوم (السجين الإسلامي)، حتى يعرف الناس أن الإمام سُجِنَ لأن الطاغية خاف من امتداده الرسالي في واقع المسلمين بالمستوى الذي كان فيه الإمام الكاظم عليه السلام يعمل على توعية المسلمين في مسألة الحكم والحاكم ومواصفاتها وضرورة أن يكون الحاكم عادلاً يملك الشرعية، ويحكم الناس بما أنزل الله، وأن لا يتحول إلى طاغوت، فكانت المسألة أن الإمام عليه السلام أراد أن يصحح الذهنية بذلك، حيث كان العباسيون يرون أن شرعية حكمهم تستمد من كونهم أبناء عم الرسول عليه السلام، لأن جدهم العباس، ولذلك حاول الرشيد استعراض عضلاته أمام المسلمين، فوقف مرة أمام ضريح الرسول عليه السلام قائلاً: ((السلام عليك يا بن العم)) فكان ردّ الكاظم عليه السلام في مخاطبة النبي عليه السلام حيث قال: ((السلام عليك يا أبه)) فانتفض هارون قائلاً للإمام: ((كيف تقولون إنكم أبناء الرسول وأنتم أبناء ابنته؟)) ولم يلتفت إلى قوله تعالى كما في آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ

نَبْتَهْلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ دَلَى الْكَاذِبِينَ»^(١) فقد أتى الرسول ﷺ بالحسن والحسين ﷺ، فلو لم يكن ابن البنت ابناً فكيف يأتي به الرسول ﷺ. وقد سأل الإمام الكاظم ﷺ هارون أنه لو كان النبي ﷺ حياً وخطب ابنتك فهل ستزوجه إياه؟ فقال هارون: (نعم)، فأجابه الإمام بأنه لا يزوج ابنته للنبي، لأنها تعتبر ابنته، فهو جدّها، فسكت هارون وبهت ولم يجد جواباً.

ولذلك سجن الكاظم ﷺ، لأن الطغاة لا يخافون من السيف الذي يجرد في وجوههم بقدر ما يخافون من الفكر الذي ينطلق من الأصالة وتربية الناس على الحرية. وكانت تلك مهمة أهل البيت ﷺ. وكان كلام الإمام الكاظم ﷺ صارخاً لكل الذين لا يتخذون موقفاً، كما هو دأب بعض الناس الذي يقال له ما هو موقفك؟ فيقول ليس لي موقف، ويقال له ما هو رأيك؟ فيقول ليس لي رأي. فالإمام يقول ((أبلغ خيراً)) فعندما تريد أن تبلغ شيئاً فليكن الشيء الذي تبلغه خيراً ((ولا تكن إمعة، فقد نهى الرسول عن أن يكون المرء إمعة)) والإمعة هي ((أن تقول أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس)) فيقول إن الرأي هو رأي العشيرة أو الحزب ولا يكون له موقف ورأي، وقد خلق الله للإنسان عقلاً ولم يجعل عقول الناس حجة على عقله الذي سيقف أمام الله غداً «يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»^(٢) ويقول له لماذا اخترت كذا فهل يقول بأن الناس قد اختاروا؟ ومتى يعتبر الناس أوصياء على الإنسان؟ ((إنما هما نجدان)) «وهديناه النجدين»^(٣) نجد الخير ونجد الشر ((فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير)).

لذلك علينا الانطلاق بمناسبة وفاة الإمام الكاظم ﷺ، لا من أجل أن نذرف الدمع فقط، وإن كانت المناسبة توحى بالدمع، وإنما أن نتذكر بوفاء الإمام ﷺ أنه

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) النحل: ١١١.

(٣) البلد: ١٠.

استشهد من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، واستشهد من أجل أن يكون الإنسان حراً، ومن أجل أن يسقط الطغاة، وأن يبتعد الناس عنهم. وقد استشهد الإمام من أجل إنسانية الإنسان ومن أجل الرسالة، عند ذلك سوف يدخل في كنف الإمام كل سجناء العقيدة وكل سجناء الحرية. عند ذلك نجعلها مناسبة لأن نستعيد كل سجنائنا ونكرم كل سجنائنا بتكريم ذكرى شهادة الإمام الكاظم عليه السلام.

نضج الفكر الإسلامي:

□ إن كل ما في أيدينا هو من التراث الإسلامي، وإن الفكر الإسلامي لم ينضج بما فيه الكفاية، فهل ذلك هو سبب غيبة الإمام الحجة عليه السلام ؟

○ التراث الإسلامي استطاع الحصول على مستوى كبير من النضوج من خلال مسيرته الفكرية والثقافية، وهو يتحرك من خلال الأجيال الجديدة المثقفة الواعية، الذين يمكن لهم أن يعطوا اجتهاداً متقدماً على اجتهاد الماضين، ويمكن أن يحلوا المشاكل الكثيرة، فقد يتوفر المتأخرون على ما عند المتقدمين، ويتوفر المتأخرون على ما لم يكن عند المتقدمين، لذلك فالفكر الإسلامي في تطور تدريجي. أما سبب غيبة الإمام الحجة عليه السلام فلا يعرفها إلا الله، لأن غيبته من غيب الله، وظهوره من غيب الله، وعلينا أن نذكره دائماً، وأن نستعد لظهوره بالمزيد من الدعوة للإسلام، وبالمزيد من الجهاد للإسلام والوقوف ضد المستكبرين والظالمين. فإن ظهور الحجة عليه السلام ليس بأيدينا ولا بيده، فالإسلام باق والقرآن باق، وكذلك تراث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فعلينا أن نعمل ونكون من الدعاة إلى الله والقادة إلى سبيله حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

الإسلام المعتدل:

□ يتساءل البعض عما إذا كان هناك إسلام معتدل أو لا ؟

○ ليس هناك إلا إسلام واحد: ((حلال محمد حلال إلى يوم القيامة

وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة)) ولكن بعض الناس قد يفهم الإسلام بطريقة تخرج عن التوازن وعن حدود المفاهيم الإسلامية الأصيلة، وهذا تصنيف يرجع إلى التأثيرات الجغرافية أو المذهبية أو الاجتماعية، كما يقال مثلاً هناك إسلام شيعي وسني، وإسلام متطرف وإرهابي، ولكن الحقيقة أن الإسلام واحد، والمجتهد قد يكون مصيباً في فتوى معينة وقد لا يكون مصيباً في أخرى.

نظرية في الجبر:

□ يقول بعض العلماء بأن الشذوذ الجنسي قضية بيولوجية لا تنفك عن بعض أفراد النوع الإنساني، فما هو رأي الشريعة بذلك؟

○ إن بعض الشذوذ الجنسي ناتج عن طبيعة البيئة أو التربية أو الحرمان في العلاقات الجنسية الطبيعية ويسر العلاقات الجنسية الشاذة. ويمكن أن يكون أحدهم بحالة مرضية ما ولكنها ليست بيولوجية، بمعنى أنها ليست جزءاً من التكوين الإنساني كما قد يقال لتبرير هذا الفعل الشنيع. ويمكن دراسة كل حالة شذوذ حسب ظروفها ومؤثراتها، فهي ليست نظرية مثل عملية تحويل الذكر إلى أنثى، لأن الذكر يعيش حالة أنثوية أو بالعكس، وحتى مسألة تغيير الجنس هي مسألة غير واقعية، لأنها تقتصر على تغيير شكلي. فهذه الظواهر الشاذة بالحياة في الجانب الجنسي والاجتماعي أو العقدة النفسية لا يمكن إخضاعها لقاعدة واحدة، فقد تكون كل ظاهرة معينة خاضعة للمؤثرات المحيطة بها ثقافياً أو بيئياً أو تكون طارئة أصلاً.

حال الأمة الإسلامية:

□ نرى أمتنا الإسلامية مقطعة الأوصال فاقدة الوعي مشلولة الإرادة وغير

آبهة بما ينتظرها، فما هو السبب؟ وما هو الحل؟

○ أولاً: إننا لا نحكم على كل الأمة الإسلامية بهذا الحكم، بل إن هناك

أكثر من ظاهرة مشرقة في الطلائع المجاهدة الواعية العاملة من أجل صنع القوة والوصول إلى الوحدة، والعمل على تهئية أسباب النصر هنا وهناك، وإن كان هناك ظاهرة تاريخية سلبية في واقع الأمة الآن فيما أصاب الأمة الإسلامية من تخلف، فهو لأسباب سيطرة المستكبرين والكافرين والذين باعوا أنفسهم للمستكبرين، والذين عملوا على تمزيقها من خلال العصبية المذهبية والطائفية والحزبية وما إلى ذلك، قاله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

أما الحل، فهو أن نوجد نوعاً من التعبئة والتوعية المستمرة لتحقيق طليعة من الأمة تعي ذاتها ومسؤولياتها والأخطار المحيطة بها ومن حولها، عندئذ يمكن للأمة كما استطاعت أن تصنع حضارة في الماضي أن تصنع حضارة المستقبل ﴿وَلَا تَتَيْسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْتَسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، ولدينا في الأمة مفكرون ومجاهدون مخلصون، وكثير من الإيجابيات والسلبيات - أيضاً - ولا يجوز دائماً أن نرجم أنفسنا بما يؤدي إلى وقوعنا في قبضة اليأس الذي تسقط فينا روح الأمل في التغيير والعمل من أجله.

الدفاع عن الإسلام بالحسنى:

- ألا يمكن لأحد علمائنا أن يردّ على القس الأمريكي الذي وصف النبي ﷺ بالإرهابي وليقنعه بالحسنى بدل الضجيج الإعلامي؟
- نحن دعونا إلى ذلك، وربما ستصدر منا فتوى بذلك، وقد دعونا علماء

(١) الأنفال: ٥٣.

(٢) الروم: ٤١.

(٣) يوسف: ٨٧.

المسلمين والمثقفين، وذلك بأن يتم الطلب من تلك القناة التي أذاعت هذا الحديث مع هذا القس أن تعطي المجال للرد على ذلك القسيس أو من خلال ندوة حوارية مع القس، لأن المسألة أنه ليس أن يقتنع القس أو لا يقتنع، لأن موقفه هذا جزء من الحملة الصليبية الصهيونية ضد الإسلام، والتي تسمى نفسها المنظومة المسيحية الصهيونية، وهم من أشد الصهاينة المتعصبين لإسرائيل، ويبلغ عددهم ما بين ٤٠-٨٠ مليون شخص، وهؤلاء يستقون عقيدتهم من خلال التوراة (العهد القديم)، وهي تقول بأن السيد المسيح ﷺ لا يظهر إلا بعد أن تقوم دولة إسرائيل، ولذلك يعملون بكل قوتهم لانتصار إسرائيل، ويعتقدون بأن الله قد أعطى فلسطين كلها لليهود، ولذلك فهم يؤمنون بأنه لا بد من طرد الفلسطينيين من فلسطين، ولذلك يبررون لشارون كل أعماله، وإن بوش ومن هم في الإدارة الأمريكية اليوم مثل وزير الدفاع رامسفليد أو غوانزليزليس أيضاً من نفس الجوقة الصهيونية. فالإدارة الأمريكية الحالية تدير المسألة الفلسطينية ومسألة ما تسميه بالحرب ضد الإرهاب في العالم الإسلامي من خلال تلك العصبية المعقدة ضد الإسلام والمسلمين.

فالقس في مقابله حاول انتقاء بعض الآيات التي قال عنها إنها تشجع على العنف وعلى قتل الناس ويفصلها عن سياقها الصحيح، كما في قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾^(١)، في حين أنها واردة في مقام إلغاء المعاهدات وإعلان الحرب بين المشركين والمسلمين بعد أن حارب المشركون المسلمين وعطلوا المسيرة الإسلامية مدة من الزمن، بحيث كان عدوانهم مستمرا ضد الإسلام والمسلمين، الأمر الذي كان يفرض على المسلمين حسم الموقف معهم ووقف العدوان المستقبلي عليهم، لأن أية دولة تعلن الحرب فهي ستقول لجنودها (اقتلوا الأعداء)، كذلك يقول القرآن

الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١)، وهي في مقام التشجيع على القتال عندما يكون الإنسان داخل المعركة، فيجب أن يكون هناك شرعية للحرب. وهذا فضلاً عن آيات السلم في القرآن الكريم ﴿وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٣)، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾^(٤)، ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ﴾. فالقتال في الإسلام هو إما دفاعي أو وقائي ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٥). ويقول عن النبي ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦).

لكن القسّ المذكور لم يأخذ بكامل مفهوم الآيات، فحاله حال الذي يقرأ الآية ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ ولا يكملها بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٧)، أو ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ ولا يكملها بقوله تعالى ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾^(٨)، فيأخذ الجانب الأول من الآية دون المفهوم الكلي لها ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(٩) لذلك نطلب من المثقفين والعلماء المسلمين في الغرب أن يبادروا إلى إفهام الناس بالإسلام، لأن تلك الفئات حاولت تشويه صورته، فعلينا العمل على هذا الأساس بدلاً من النزاع والاختلاف على أشياء غير جوهرية أو ليست أساسية، بينما ديننا ونبينا الكريم يتعرض للاعتداء والتشويه، ونحن مشغولون في

(١) التوبة: ١٢٣.

(٢) الأنفال: ٦١.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) البقرة: ١٩٣.

(٥) فصلت: ٣٤.

(٦) الأنبياء: ١٠٧.

(٧) الماعون: ٤-٥.

(٨) النساء: ٤٣.

(٩) النساء: ٤٦.

حوزاتنا وفيما بيننا في البحث هل البيضة من الدجاجة أم الدجاجة من البيضة؟ وهل الملائكة ذكور أم إناث؟ ولذا نقول لابد لكل العلماء أن يوضحوا الإسلام للعالم، والعالم مستعد ليفهم الإسلام ويقتنع به، ولكننا لا شغل لنا به، بينما كان في صدر الدعوة الإسلامية عندما يسلم أحدهم على يد النبي ﷺ فإنه يأتي باليوم التالي بشخص آخر ليسلم، وهكذا كانوا يشعرون بأن عليهم أن يخدموا الإسلام. وقد ذكرت الصحف أن القس المذكور قد قدم اعتذارا إلى المسلمين عن كلامه الذي أساء فيه إلى الإسلام ورسوله، ولكننا نعتقد أن المسألة ليست مسألة ذاتية فحسب، بل هي مسألة المنهج العام في الدفاع عن الإسلام كمسؤولية إسلامية عامة.

العولمة وتأثيرها على المرجعيات:

□ في ظل العولمة وتحول العالم إلى قرية صغيرة، ما هو تأثيرها على المرجعيات الدينية، من ناحية ما يتعرض له المذهب والدين من قبل الأعداء؟ وهل من إمكانية لوجود مرجعية موحدة مستقبلا؟

○ العولمة كلمة حق يراد بها باطل، وقد انطلقت من أمريكا حتى تحول الشركات الأمريكية من أجل الاندفاع إلى بلدان العالم الثالث لتسيطر على سياستنا وثقافتنا واقتصادنا، فهي كلمة مجردة مثل كلمة الاستعمار براقعة، وكلمة الاستكبار أفضل للتعبير عن حقيقة الاستعمار، لأن الاستعمار يعني الإعمار والبناء. والتنوع بالمرجعيات لا يخلو من إيجابية من حيث تنوع الفكر، ولكن فيه سلبية، لأنه إرباك اجتماعي يحصل من خلال تعددها. ولا إشكال أن تحطيم الحواجز يزيد من مسؤوليات المرجعية.

تعدد الإسلام:

□ هل الإسلام يتعدد بتعدد الأزمنة؟

○ كلا، ((فإن حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد ﷺ حرام إلى يوم القيامة))، ولكن الأحكام تتغير بتغير موضوعاتها، فمثلا (شرب الماء حلال)، ولكن في حال العملية الجراحية يقول الطبيب إن شرب الماء بعد العملية مضر ويؤدي إلى مضاعفات غير عادية، فيكون الحكم هو الحرمة، وذلك لأنه أصبح مضرا للإنسان، فتغير الأحكام بتغير الأزمان إنما يكون بلحاظ تغير طبيعة الموضوعات التي تتصل بالأحكام.

العلماء التقليديون:

□ نسمع كثيرا من المفكرين الغربيين أنهم ينعتون بعض العلماء المسلمين بالتقليديين، فما مدى صحة ذلك؟

○ البعض منهم تقليديون، ولكن منهم الواعون والمحدثون، كما أن في المفكرين الغربيين كلاسكيين وتقليديين، ولذلك فمن كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة.

حال الأمة الإسلامية:

□ الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يقودها، خاصة في خضم المشاكل التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين، فكيف يتم ذلك عند غياب القائد للأمة؟

○ علينا أن نصنع من داخلنا القائد إن لم يكن لدينا قائد، وكما ورد في دعاء (الافتتاح) الذي ندعو به في شهر رمضان: ((اللهم إننا نرغب إليك في دولة كريمة تعزبها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك)) فاجعل من نفسك مشروع قيادة، حتى إذا فرغت الساحة من القيادة تكون أنت الذي تقود الأمة. فعلينا أن نعيش الروح القيادية. وفي ضوء ذلك، فإن على الأمة في الحالات الحرجة التي تسقط فيها القيادة الفعلية أن تفتش عن القائد الذي يملك القدرة على إدارة المعركة بخبرة وإخلاص.

بين الانفتاح والانغلاق:

□ استعرضتم في كتابكم (الحركة الإسلامية) تيارين فكريين ينطلق بهما التيار الإسلامي، الأول مؤيد لخيار الانغلاق السياسي، وآخر مؤيد لخيار الانفتاح، ولكل دلالته ومركزاته، وقد بدوتم من ذوي الرأي الثاني بشكل مطلق ألا تعتقدون أن الفئة الأولى قد أزرت الخيار الأول من منطلق وقائع وأحداث عانتها وعانى منها رسول الله ﷺ مع بعض المضلين، ما أوجب نزول الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يآلئونكم خبالا﴾^(١)؟

□ هذا السؤال فيه خلط بين حالتين، تارة نقول: إن علينا أن ننفتح على الآخرين، بمعنى أن نحاورهم، ونتعاون معهم في القضايا المشتركة، ونتعاش معهم على أساس القواسم المشتركة، انطلاقاً من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾^(٢)، وفي السيرة أيضاً أن النبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة عقد مع اليهود معاهدة، وخاطب المشركين بالدعوة إلى الحوار والكلمة السواء، وكما كان ﷺ منفتحاً على اليهود، كان منفتحاً على النصارى، وهذا ما نقرأه في السيرة الشريفة، حيث أجلسهم في المسجد وناقشهم وحاورهم.

وتارة أخرى، نقول: إن هناك فرقاً بين أن نحاورهم على أساس القضايا المشتركة، وبين أن نتخذهم بطانة، وأن نجعلهم محل أسرارنا وندخلهم في خصوصياتنا، وليس هم وحدهم الذين لا ندخلهم فقط، حتى أن بعض المسلمين غير المؤتمنين على قضايانا ومصالحنا، لا يمكن أن نشاركهم في همومنا وتطلعاتنا.

(١) آل عمران: ١١٨.

(٢) آل عمران: ٦٤.

وعلى هذا، فالانفتاح هو أن نتحرك مع الآخرين في الحالات السياسية المشتركة التي نحتاج فيها لأن نتعاون معهم، لذلك لا مانع عندنا من التعاون مع كل الناس في حرب إسرائيل، ومواجهة الاستكبار الأمريكي إذا كانوا مخلصين في هذا التعاون .. وأما أن نجعلهم بطانة، كما هي (البطانة) داخل الثوب، فهذا شيء آخر . . . والسائل ربما اشتبه عليه الأمر.

صناعة مفاهيم المجتمع:

□ يرى دعاة نظرية العقد الاجتماعي أن المجتمع من صنع البشر وليس من صنع المؤسسات الدينية، وعندما يتحرر العقل من سيطرة المؤسسة الدينية تحدث النهضة، ثم التنوير، ما تعليقكم على ذلك؟

○ المجتمع في طبيعته الواقعية الإنسانية حالة بشرية، لأن المجتمع يمثل هؤلاء الناس الذين تربطهم ببعضهم البعض علاقات وأوضاع وعقائد ومفاهيم معينة، والذي يصنع للمجتمع فكره وخطوطه الاجتماعية التي يتحرك بها، هي المؤثرات التي تأتيه من الخارج، ولذا، فإن المجتمع قد يخضع لسيطرة فكر آخر قادم من مجتمع ما، فيتأثر به، وهو بذلك لا يكون قد صنع فكره بنفسه، وإنما فرض عليه هذا الفكر بفعل ظروف وأوضاع محددة.

والدين هو أحد الاتجاهات الفكرية والروحية التي تركت تأثيرها في المجتمع من خلال دعوة الأنبياء الذين استطاعوا أن يركزوا في هذا المجتمع أو ذاك الكثير من أفكارهم التي آمن بها بعض المجتمع نتيجة ما تأثر به من طريقة النبي في الدعوة، أو من الأجواء المحيطة به، ولذلك فالدين استطاع أن يترك تأثيره في المجتمع، فصنع لنفسه مفاهيمه وعاداته وشرائعه. وعلى هذا، فالإنسان لا يصنع مفاهيمه من خلال ذاته، بل من خلال المؤثرات الداخلية والخارجية التي تصنع له فكره.

أما الحديث عن أن المجتمع إذا تحرر، فإنه يستطيع أن يتحرك في خط

النهضة والتطوير، فهذا كلام استهلاكي، لأن بعض المؤسسات الدينية شيء، والدين شيء آخر، والدين يفجر طاقات الإنسان نحو الخير والإبداع والحق، وهو سبب رئيسي في تطوير المجتمع ونهضته. أما التخلف الاجتماعي، فقد يخضع لحالات غير دينية تمنع من النهضة والتطور. ويبقى أن نقول لهؤلاء: افهموا الدين جيدا ثم تحدثوا عن دور الدين في التخلف أو النهضة.

العودة إلى الأصول:

□ كيف يتسنى للأمة الإسلامية أن تعود إلى جذورها الحقيقية وتحكم

القرآن في واقعها الآن؟

○ بأن تدرس الأمة واقعها الحالي وتدرس عناصر الضعف والقوة عندها مقارنة بعناصر الضعف والقوة عند الآخرين، كما تدرس مشاكل التخلف التي أثرت على الإسلام، ثم تضع الخطط الحكيمة التي توصلنا إلى أحسن النتائج في تبليغ الإسلام للعالم كافة.

البرنامج الوجداني:

□ إن من يرصد الواقع يلاحظ التمزق بين كوادرننا المرجعية الدينية

والسياسية، فلماذا لا يوجد برنامج وحدوي للتقريب بينهما ليكون الصف الإسلامي أقوى؟

○ يقول سبحانه وتعالى: ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم﴾^(١) «ولا يزالون مختلفين ❖ إلا من رحم ربك»^(٢)، ولا شك أن طموحنا وهدفنا هو أن تلتقي كل الكوادر الإسلامية المرجعية والسياسية والثقافية لتتحرك في طريق الحوار، ليبحثوا في ما اختلفوا فيه في أجواء موضوعية علمية بكل

(١) الشورى: ١٤.

(٢) هود: ١١٨-١١٩.

معنى الكلمة، ولكن أمراض التخلف والاستبداد بالرأي لا تزال تمنع الحوار، سواء بين المسلمين بعضهم بعضاً أو بينهم وبين غيرهم.

الإسلام والسياسة:

□ يقول البعض إن الإسلام شيء والسياسة شيء آخر، فما هو الجواب على

ذلك؟

○ السياسة هي تدبير أمور الناس وإقامة العدل بينهم، وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾^(١)، فإن كل الكتب السماوية والرسل جاءوا من أجل إقامة العدل بين الناس، ولذلك فإن الإسلام هو دين سياسة وعبادة، وعبادته سياسة أيضاً، كما يقول الإمام الراحل الإمام الخميني رحمه الله، وليست السياسة بمعنى الخداع والكذب، لأنها سياسة لا تشرف أحداً من الناس.

انتشار الهدى:

□ هناك مقولة مشهورة للإمام الراحل السيد عبد الحسين شرف الدين

تداولها الألسن والأقلام تقول: (لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال)، فهل يمكن اعتبار هذه المقولة صحيحة على إطلاقها؟ أم أنها مقيدة بقيود كما يقول البعض؟ نلتمس من سماحتكم شرح هذه المقولة، وما هي القيود إن وجدت؟

○ الظاهر أن مقصود السيد شرف الدين رحمه الله هو مواجهة الضلال في

مواقعه بتحريك الهدى فيها، وليس مقصوده أن الوسيلة محصورة بذلك. وربما أنه كان يتحدث عن ضرورة فتح المدارس التعليمية في الواقع الإسلامي، باعتبار أن الضلال انتشر من خلال كثير من مدارس لم تلتزم في رسالتها التربوية أي معنى إنساني أو أخلاقي أو ديني، وهكذا الصحافة والنوادي الثقافية

والاجتماعية والجمعيات والأحزاب وغيرها .

الهروب من الدين:

□ في عصرنا الحديث، ما هو السبب الرئيس لنفور الشباب وهروبهم من

الدين، هل هو هروب دائم أم مؤقت؟

○ أتصور أن مشكلة بعض الشباب مع الدين، قد تنطلق من خلال ممارسة البعض لعملية الفكر الديني، وأسلوبه في الدعوة والتبليغ بالطريقة التي لا تولي اهتماما لتطلعات الشباب أو عناية بحل مشاكلهم، لذا لا يقف هذا البعض بمسؤولية أمام طموحاتهم، ولا يخاطب فيهم الذهنية المفتحة التي تتطلع صوب الآفاق الرحبة. وبالتأكيد، فإن من يعجز عن النفاذ إلى عقول الشباب واحتضان عواطفهم، لا يكون جديرا بتحمل مسؤولية التبليغ، وغالبا ما يؤدي هذا العجز إلى عدم استخدام الأساليب الواعية التي تمهد الطريق لدخول الحقيقة إلى عقولهم. وفي رأيي، إننا بحاجة إلى مهندسين يمهدون الطريق إلى العقل، كما نحتاج إلى مهندسين جديرين يخططون لعمران البلد، ومشكلتنا أننا لا نملك الكثير من المهندسين الذين يتقنون فن وعلم هندسة الطريق إلى عقول الناس وقلوبهم.

ولابد في هذا المجال من الإشارة إلى نقطة هامة، وهي أن الشاب قلق في نظرته إلى الحاضر والمستقبل، وعلينا أن نزيل بالأساليب الهادفة كل هذا القلق الذي يقتحم عالم الشباب لتتفتح لنا عقولهم وقلوبهم. وهناك معادلة ينبغي أن نجعلها عنوانا لعملنا، تؤكد على أنه بقدر ما تحترم قلق الإنسان، وتستمع لصرخات داخله، وتتعاطف مع آلامه وآماله وطموحاته بقدر ما تريح عقله وروحه وإنسانيته. ومن المفارقات المثيرة، أننا في طرورحاتنا وأعمالنا ومنهجيتنا نغلق قلوب الناس عن الحقيقة سياسة واجتماعا ودينا، ومع ذلك نريد منهم أن يؤمنوا بخططنا في أي مجال من المجالات، من دون أن نوضح لهم نهج الحقيقة وطريقها. وعلى الشباب أيضا تقع المسؤولية، لأن بعضهم قد يعيش اللامبالاة تجاه المعرفة

الدينية، ونحن نريد لهم ألا ينظروا إلى القضايا من جانب واحد، لأن الجانب الواحد لا يعطي الصورة الحقيقية لواقع الفكر أو لأية قضية من القضايا، بل ينبغي النظر إلى كل الجوانب لإبراز صورة الحقيقة.

ويبقى أن نقول إن هذا الهروب من الدين يتقلص بشكل واضح، لأن حركة الوعي بدأت تتجذر في واقعنا من خلال هذا الجيل الذي بدأ يبصر طريقه، وهو يسعى بخطى ثابتة ليخرج من هذا النفق المظلم.

سماحة الإسلام:

□ مسلم مقيم في الغرب، فبماذا يجيب جاره الغربي حينما يسأله عن المتشددین الإسلامیین بعد أحداث ١١/أيلول، حيث اشتدت الهجمة الإعلامية على الإسلام في الغرب؟

○ علينا أن نطمئن المواطنين في الغرب بسماحة الإسلام ورسالته العالمية، وأننا لسنا ضد الشعوب الغربية، وإنما نحن ضد السياسة الأمريكية في الغرب، والتي تعمل للسيطرة على العالم بمختلف الوسائل، وتريد أن تبقى القيادة العظمى في العالم بيدها، فلا تريد لغيرها كالصين أو اليابان أو الاتحاد الأوروبي أن تنافسها. ونحن ليس من مصلحتنا أن نقاتل أمريكا بتلك الطريقة كما جرى في تفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك، لأننا ضد السياسة الأمريكية، ولسنا ضد الشعب الأمريكي، فمركز التجارة العالمي يأتيه الناس من سائر أنحاء العالم، فعلى أي أساس يتم تفجيرها؟ وكذلك الطائرات المدنية لا يجوز تفجيرها، فليس ركابها هم الذين يقاتلوننا، وربما كان البعض منهم معارضا للسياسة الأمريكية.

ثم نحن عندما ندرس أحداث ١١/أيلول، نلاحظ أن أمريكا لو دفعت مئات الملايين من الدولارات على أن تحصل على المكاسب التي حصلت عليها من وراء أحداث ١١/أيلول لما كانت لتحصل عليها من قبل، فقد استطاعت بعد تلك

الأحداث أن تسيطر على العالم كله من الناحية العاطفية أولاً والسياسية ثانياً بذريعة الحرب ضد الإرهاب، مستهدفة بالدرجة الأولى العالم العربي والإسلامي لصالح الصهيونية العالمية، وقد كنت أول شخصية إسلامية استنكرت تلك الأحداث، وقلت بأن الإسلام لا يجيز ذلك، فعلينا مجابهة أمريكا بأساليب سياسية واقتصادية، وعندما تحاربنا أمريكا أمنياً فعلينا محاربتها أمنياً، ونحن نريد صداقة الشعب الأمريكي، وقد وجهت أخيراً رسالة إلى مؤتمر المسلمين في أمريكا، وقلت إن على المسلمين أن يكونوا مواطنين أمريكيين مع الحفاظ على مبادئ الإسلام، حيث إننا نريد أن نفعل دورنا (وهناك أكثر من عشرة ملايين مسلم في أمريكا) حتى نستطيع السيطرة على مراكز القرار في أمريكا، وحتى نستطيع مصارعة اللوبي الصهيوني العالمي، وللإمام علي عليه السلام كلمة في هذا الصدد: ((فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك من دنياك بلوغ لذة أو شفاء غيظ، ولكن إطفاء باطل وإحياء حق))، فعلينا التفكير في كل عمل، كيف يعطينا القوة للمستقبل، وليس لإشفاء الغيظ.

دراسة الديمقراطية:

□ إذا طلب الباحث معرفة رأي سماحتكم بالديمقراطية والعلمانية بالتفصيل، فما هي مصادر الكتب التي تنصحون بقراءتها؟

○ سبق وأن تحدثت عن هذا الموضوع في أكثر من كتاب وبشكل متفرق، كما هو في كتاب (من وحي القرآن) و (الحركة الإسلامية)، وفي كثير من الكتب السياسية وما إلى ذلك.

تاريخ البشرية:

□ هل يوجد بشر قبل سيدنا آدم عليه السلام كما يدعي بعض علماء الآثار، حيث يقولون بوجود بشر في قديم الزمان لم يكونوا يتكلمون بلغة مكتوبة، ثم تطوروا

وأصبحوا يتكلمون، وأن ذلك يشير إلى ما يقال عن تطور الإنسان وتدرج تطوره التكويني، فما مدى صحة ذلك؟

○ ورد في بعض الأحاديث أنه كان قبل آدم ﷺ ألف ألف آدم، والمهم البشر كما هو في وضعه الحالي، ولكن إذا كان المقصود من التطور هو نظرية (داروين) فإنها باطلة، لأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان سويا.

غزو الثقافة الغربية للإسلام:

□ قال وزير الخارجية البريطانية الأسبق في محاضرة له في لندن: (إن ثقافتنا مدينة للإسلام كدين يجدر بالغرب ألا ينساه، وقد سمحنا للأيام أن تبعدنا عن بعضنا البعض في هذا النوع من الانفصال بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بفعل الحروب الصليبية أولا وبفعل الاستعمار ثانيا، ويجب ألا ندع سوء التفاهم يستمر ويتواصل). كيف تقيمون هذا الكلام، ولماذا لا تنعكس هذه المواقف ومثيلاتها في الأداء الإعلامي والسياسي الغربي؟ وبإيكم، هل ثمة ثوابت مشتركة وأرضية صالحة لا تزال تتوافر لعلاقات أفضل بين الإسلام والغرب؟

○ نحن نقوم هذا النص تقويما إيجابيا، وقد سبق للأمير تشارلز ولي العهد البريطاني أن تحدث في أكثر من محاضرة حديثا إيجابيا عن الإسلام، ومن قبله رأى الأديب والفيلسوف (برنارد شو) أن الإسلام هو دين المستقبل، وأن المستقبل سوف يحتضن الدين الإسلامي.

ونحن نعتقد أن مثل هذه التصريحات يمكن أن تسد بعض الثغرات السلبية الغربية في النظرة إلى الإسلام. أما مسألة عدم انعكاس هذه النظرة الإيجابية ومثيلاتها في الأداء الإعلامي الغربي، فلأن الغرب لم يقتنع إلى الآن بأن مصالحه ينبغي أن تحقق خارج إطار مصادرة اقتصاد العالم الإسلامي وسياسته وأمنه، بحيث تقوم هذه المصلحة على قاعدة الاحترام المتبادل، وإذا استمر الغرب

في اعتبار أن ثروتنا هي ثرواته، وأن سياستنا لا بد أن تعيش على هامش سياسته، وأن أمننا لا يستقر إلا على هامش أمنه، فلا يمكن أن يكون هناك استقرار وتبادل مصالح حقيقي بين الغرب والعالم الإسلامي. ومن حقنا إزاء هذا الوضع اللامتوازن أن ندافع عن استقلالنا السياسي والاقتصادي والأمني، تماما كما يدافع الغرب عن نفسه عندما يواجه تحديا في اقتصاده وسياسته وأمنه، ونحن نعتقد أن المعركة ستبقى قائمة بيننا كعالم إسلامي وبين العالم الغربي إذا بقي مصرا على موقفه بأن العالم الإسلامي ملحق بعالمه.

وفيما يختص بالجانب الفكري الثقافي، فإننا نرى أنه من الممكن جدا أن يقوم حوار بين الغرب والإسلام، لأن الغرب - كما يدعي - يبني مواقفه على الحوار الموضوعي والعقلانية، والإسلام دين الحوار والعقل، والقرآن الكريم في حوار مع الآخر قدم نموذجا حضاريا رائعا، وهو: «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»^(١)، نحن نقدم الحجة على ما نؤمن به ونعتقد، ونقدم البرهان الذي يركز على أساس موضوعي، وعلى أساس قاعدة العقل، وكل ذلك يتم على قاعدة الجدل بالتي هي أحسن، فإذا كان الغرب مستعدا لذلك - ونحن نرى بعض الإيجابيات من بعض المواقع الفكرية هناك - فإنه يمكن إيجاد حوار بيننا وبينه حول قيم الإسلام ومفاهيم الغرب، والإسلام مستعد أن يحاور كل الناس، وهذا ما تتسجم معه الحركة الإسلامية الواعية.

قيمة التفكير:

□ إنني أفكر كثيرا في كل مسألة أقف عندها، سواء كانت دينية أو غيرها،
علام يدل هذا، وهل هو تطبيق للحديث الشريف ((تفكر ساعة خير من عبادة

سنة))؟

○ إن مسألة أن يفكر الإنسان في كل شيء يخطر له أو يطرح عليه أو في كل شيء يواجهه، هي مسألة جيدة ينبغي أن تعيش في عقل الإنسان،. إذ إن الله سبحانه وتعالى يريد للإنسان ألا ينطلق في أي أمر إلا بعد أن يفكر، لكن على الإنسان أن يفكر في القضايا التي تتصل بمسؤولياته، فهو عندما يفكر في الجوانب العقيدية الأساسية، عليه أن يفكر بالتزاماته الدينية الشرعية، وفي علاقاته الإنسانية وفي مواقفه السياسية والاجتماعية، وحتى في الأمور المتصلة بمسؤولياته كإنسان مسؤول أمام الله، ومسؤول أمام نفسه في أن يؤكد شخصيته بالطريقة التي يفتني بها عقليا وروحيا ومعنويا، ولعل سر المشكلة في امتداد تخلفنا في الواقع، هو أن هناك تيارا يمنع الناس من التفكير الجدي في الأمور الفكرية الحيوية المتصلة بالعقيدة في تفاصيلها، وبالمفاهيم العامة في عناصرها الدقيقة، ولا يؤمن بالحوار العلمي الموضوعي في مواجهة الفكر، بل يتحرك ليرجم المفكرين الطليعيين بالتكفير والتضليل من دون دراسة موضوعية وبدون علم.

الغزو الثقافي:

□ أحد المثقفين يقول: (إن القائلين بالغزو ليسوا سوى حراس على حدود تخلفنا الحضاري، يبعدون عنا حصيلة حضارة الغرب المتقدم وثقافته، يحضرون حول عقولنا خنادق التحذير والتخويف، فما أراه أن فكرة الغزو الثقافي مصطنعة وشبه جملة غير مفيدة، ولا تعبر إلا عن وهم من أوهامنا، فالغزو عملية مستحيلة على الإطلاق). ما تعليقكم على ذلك؟

○ طبعا هذا القائل هو من العلمانيين، ونحن نرد عليه بنقطتين: الأولى: إن العلمانيين أنفسهم يقولون بالغزو، غزو الرجعية والتخلف والأصولية، أي أنهم خائفون من الغزو، لأن هناك واقعا يحمل فكرا معينا يغزوه فكر آخر يحل مكانه ليأخذ دوره.

والنقطة الثانية: هي أننا عندما نتحدث عن غزو ثقافي، فلأننا نملك ركائز فكرية وثقافية معينة، نقتنع ونلتزم بها، وهناك فكر آخر، نعرف أنه بعيد عن فكرنا يحاول نفس جميع المرتكزات التي نؤمن بها على مستوى الفكر الثقافة. ونحن لا نرفض الفكر الغربي جملة وتفصيلاً، ولا نرفض الفكر الذي لا نعرفه، بل إننا نناقشه وندرسه، فنبقى على ما ينفعنا ونطرد ما يضرنا. وعلى هذا، فليس تعبيرنا بالغزو الثقافي أننا لا نريد مجيء الفكر الغربي إلينا، ولكن بعد أن درسنا هذا الفكر بدقة وموضوعية، ووجدنا أنه يعمل على إلغاء دورنا في الحياة، قلنا إننا لن نسمح له أن يزحف إلينا، تماماً كأى فكر آخر لا يسمح لأى فكر أن يسيطر عليه.

بداية العام الهجري:

□ مع نهاية العام الهجري، كيف يمكن تقييم حالة الأمة الإسلامية؟
 ○ الحالة التي يؤسف لها هو ما وصلت إليه الأمة الإسلامية، حيث إننا أصبحنا نطلب الحماية من الأمريكيين لكي يعينونا على حل مشاكلنا ولكي يوجهونا، ونتحالف معهم كما يتحالف الحمل مع الذئب، وبعض الناس يتصور أن أمريكا ستعطيه المن والسلوى تحت غطاء الديمقراطية المزعومة، في حين أن أمريكا تعمل لمصلحتها ومصلحة الشركات الاحتكارية، فهم يصنعون الأسلحة ويجربونها على المستضعفين مرة في أفغانستان والآن يريدون تجربة الأسلحة الفتاكة في العراق، فهل يجربونها على جسم صدام صنيعة الاستعمار الذي لم يتأثر بالحصار وكان يبني له الملاجئ والقصور بينما يعاني الشعب الأمريين؟! وأصبح اليوم حال الأمة الإسلامية كما قال الرسول ﷺ: ((كيف بكم إذا تداعت عليكم الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها؟ فقليل له أ يكون ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: بلى. فقليل له هل من قلة؟ فقال: كلا، بل غثاء كغثاء السيل الكثير. فقليل له: لماذا؟ فقال: بسبب حبكم للدنيا وكراهة الموت)).

علم النفس والقرآن:

□ بعض نظريات علم النفس متناقضة مع النظرة القرآنية للنفس الإنسانية، فهل توجد دراسات للتوفيق بين نظرة العلم ونظرة القرآن للنفس البشرية؟

○ علم النفس في معظمه مجرد نظريات، وهي نظريات قابلة لإثبات العكس، فمثلاً نظرية (فرويد) محدودة بتجاربها، وجاء من بعده من يناقش نظرية فرويد، فمن الخطأ أن نخضع القرآن لعلم النفس، فعلينا أن نفهم القرآن فهما دقيقاً ونتابع الدراسة القرآنية عن النفس الإنسانية، ونناقش نظريات علم النفس، لنحصل على ثقافة قرآنية مستقلة، فتلك نظريات استقرائية وليست علمية مثل ٢=١+١.

أمور المسلمين:

□ قال الرسول ﷺ: ((من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم))، ولكن شعور بعض المسلمين بالعجز الكامل عن تغيير أي شيء يجعلهم يفقدون اهتمامهم تدريجياً حتى بمتابعة الأحداث أو سماع الأخبار، فما هو الحل؟

○ «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»^(١)، وهناك البعض يستسلم قبل أن تحصل المعركة، وكما قال الشاعر

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

الكتب الحديثية:

□ في كتاب (روضات الجنات) يقال إن في الكافي زيادة عشرين كتاباً، فهل يعتبر (الكافي) أساساً أم لا؟

○ كتاب (الكافي) كتاب حديثي فيه أحاديث صحيحة وأحاديث غير

صحيحة، وكما ذكرنا في ندوة سابقة أنه ليس لدى الشيعة صحاح مثلما هو حال أهل السنة (صحيح مسلم أو البخاري)، فعلينا التحقق من مصدر الأحاديث.

تنظيم النسل:

□ ورد في الحديث أن ((قلة العيال أحد اليسارين))، فهل هي دعوة لتحديد النسل، وما رأي الإسلام في ذلك النسل؟

○ إنها ليست دعوة لتحديد النسل، ولكنها حديث عن واقع، وهو أن قلة عيال الإنسان تقلل من مسؤولياته في الإنفاق المالي، بمعنى أن مدخوله سوف يحقق له كفاية ورخاء، بينما كثرة العيال قد تثقل على الإنسان، فيعيش بعض الصعوبات المالية . . أما موقف الإسلام من تحديد النسل، فإنه لا يحرم تنظيم النسل، حيث يمكن للزوجين أن يتفقا على الاكتفاء بعدد معين من الأولاد، وذلك باستخدام موانع الحمل المشروعة، حيث لا يجوز التعقيم الكلي الدائم لكل من الزوج والزوجة، كما لا يجوز الإجهاض. وعلى هذا، فلا مانع من استخدام الوسائل التي لا تستلزم محرمات شرعية في عملية تنظيم النسل.

ولكن القرآن الكريم أراد للإنسان ألا يكون منطلقا في تحديد النسل من الخوف من قلة وشح الرزق، فيقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١)، فكأن الله تعالى يقول، بأنه قد تكفل برزقك ورزق أولادك، فلا تكن قليل الثقة بالله، بل لتكن تلك الثقة الكبرى به سبحانه. وقد ورد في الحديث بأن المؤمن لا يكون مؤمنا ((حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده)) فإذا، يجب ألا يكون منطلقك في تنظيم النسل نابعا من عدم الثقة بالله، ولا مانع من أن تدبر أمورك وتتدبرها بطريقة أو بأخرى مع ثقك بالله، وبأنه تعالى قادر أن يكفيك ﴿إليس الله بكاف عبده﴾^(٢).

(١) الإسراء: ٣١.

(٢) الزمر: ٣٦.

أدوات الواقع:

□ تشيرون دائماً إلى أنه يجب تغيير الواقع بأدوات الواقع، فماذا تقصدون بذلك، كما أننا نتوجه إلى سماحتكم أن تقدموا لنا نموذجاً لذلك، وبالتالي ما الحصيلة لو جرت محاولة تغيير الواقع بدون أدوات الواقع؟

○ إن المقصود بذلك هو القيام بعملية التغيير بالوسائل العملية الموجودة في ساحة الواقع، وعدم القيام بأي ضغوط تغييرية. ولعل المثال البارز على تغيير الواقع هو ما قام به النبي محمد ﷺ في حركة الدعوة التي كانت تتحرك بوسائل واقعية وبشكل تدريجي، كما أنه لم يستسلم لقوة الشرك المهيمنة على الساحة كلها آنذاك، أما الوسائل غير الواقعية، فإنها لا تجدي نفعاً في عملية التغيير، وقد ترتدُّ على أصحابها وتفشل كل مخططاتهم.

دور الشباب العراقي:

□ ما هو دور الشباب العراقي في هذه المرحلة؟ وما هي نصيحتكم لهم وهم في حيرة من أمرهم بين الطاغية (صدام) والهجوم الأمريكي على العراق؟

○ نحن ضد الطاغية (صدام)، وضد الهيمنة الأمريكية حتى انقطاع الأنفاس، فكلاهما يمثل نوعاً من الطغاة الظالمين الذين يعيشون في الأرض فساداً ويقتلون الناس بغير حق، ومن الطبيعي جداً أن يدافع كلُّ شعب عن بلده، سواء كان الدفاع ضد الظلم الداخلي أو الخارجي، وكما بيّنا في الندوة السابقة، فإن مسألة الدفاع بحاجة إلى وضع خطة وقيادة داخلية لمقاتلة طرفي الطغاة.

دور المبلغين:

□ ماذا ينبغي للمسلمين، وخاصة العلماء المبلغين في الوقت الراهن؟

○ أن يعملوا من أجل تأصيل المفاهيم الإسلامية بخصوص العزة والكرامة والحرية والوعي للناس، وأن يقدموا قضية الإمام الحسين ﷺ على حقيقتها، وإن

كانت العاطفة ضرورية في ثقافة (عاشوراء)، ولكن علينا أن نبين معاني النهضة الحسينية، وكما قالت زينب ؓ لابن زياد: ((ثكلتك أمك يا بن مرجانة، فكذ كيدك وناصب جهدك فوالله لن تمحو ذكرنا..))، وقد كان الحسين ؓ يوم عاشوراء كما قال بعض الشهود: ((فوالله ما رأيت شخصا قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أشد بأسا وأربط جأشا من الحسين ؓ)، وإن كانت الرجالة لتشد عليه فيشد عليها، فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا اشتد عليها الأسد))، وهو القائل:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا انشني

فليس المسألة إثارة عاطفة الناس لأجل البكاء فقط، بل المفروض أن تصور تضحيات الحسين ؓ بصورة أدبية، حتى بدون الحاجة إلى النعي الذي يوحى بالانكسار، فنحن بحاجة إلى أن نستمد من واقعة (كربلاء) القوة والعزيمة بوجه الباطل.

الفصل الخامس

المسائل التربوية

البر بالوالدين:

□ إلى أي مدى يمكن تلبية طلب الوالدين بزيارتهم، وأحياناً تغضب الوالدة عندما تتأخر الزيارة لها قليلاً؟

○ الواجب بر الوالدين بما لا يُثقل الظروف، ولكن لابد من المحاولة بإقناع الوالدة بالتي هي أحسن، فإن الوالدين بحاجة إلى العاطفة والشفقة عندما يكبران، وذلك قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا^(١)﴾، فإن ذلك يوحى بضرورة تحمّل الأوضاع السلبية الصادرة عن الوالدين مهما كانت قاسية.

التباهي:

□ هناك ظاهرة التباهي والتفاخر بين فتياتنا هنا في بلاد الاغتراب في المقتنيات (الجواهر وما إلى ذلك) أو الملابس أكثر من الاهتمام بالمطالعة والعلم، هل أن التربية بنظركم لها دور؟

○ إنني أعتقد أن التربية الروحية والنفسية لها الدور الكبير في هذه المسألة، فنحن نعرف مثلاً أنه في الوقت الذي تتطلق فيه الكثرات من بنات الغرب في الأخذ بأسباب الترف والزينة واللهو والعبث، نجد أن هناك أيضاً الكثرات منهن من يهملن هذه الأمور، وينفتحن على قضايا العلم والفكر والعمل الاجتماعي وما إلى ذلك من الأمور العامة التي ترتفع بمستوى الفتيات.

إننا نقول لفتياتنا: إن الإنسان هو من يغني إنسانيته، وهو من يعتبر أن قيمة الإنسانية هي بمقدار ما يخدم علمه وثقافته وروحانيته ويمارس المهمات العامة في مجتمعه، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو ثقافية . . إن الإنسان هو الذي يعيش في عالم القيم ((قيمة كل امرئ ما يحسنه)) على ما جاء في قول

أمير المؤمنين علي عليه السلام. إن علينا أن نجعل فتياتنا وشبابنا يدركون أن تقدم الإنسان ليس في ما يلبس ويقتني، بل هو في ما يغني عقله وقلبه وحياة الناس من حوله، وهذه هي الحضارة.

حدود التعامل بين الأنقاء:

□ ما هي الحدود التي يحددها الشرع في التعامل بين الشقيق وشقيقته، وكيف تنظرون لشقيق يعادي شقيقته في المنزل من دون أسباب وجيهة؟
○ إن الله تعالى يريد للرحم أن تتواصل، ويريد للشقيق ألا يتعسف بفعل ذكوريته في معاملة شقيقته من خلال منطق القوة والضعف، لأنه لا ولاية له عليها من قريب أو بعيد، سواء ولاية شرعية أو إنسانية أو اجتماعية، فهي حرة في ما تفعل في نطاق الخط الإسلامي، كما هو حر في ما يفعله في نطاق الخط الإسلامي.

العمى عن عيوب النفس:

□ يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((عجبت لمن ينكر عيوب الناس، ونفسه أكثر شيء معاباً ولا يبصرها)). عندما يعمى الإنسان عن عيوبه، ويلاحق عيوب الناس، إلى أين يؤدي به هذا العمى؟

○ إن مسؤولية هذا الإنسان أياً كان موقعه، هو أن يتقن صنع نفسه، بأن يدرس عقله وما فيه من نقاط ضعف وقوة، وأن يدرس قلبه وما فيه من العاطفة المنحرفة أو المستقيمة، وأن يدرس حياته وما فيها من الخطوط التي تنطلق من الحق أو الباطل. لا بد للإنسان أن يكمل نفسه، لأنه مسؤول عن نفسه، وسوف يقف وحده يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(١)، فأنت مسؤول عن نفسك أولاً، ولست مسؤولاً عن غيرك إلا بقدر ما تتصل مسؤوليتك بغيرك، تماماً كما جاء في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^(١) أو كقوله تعالى: «وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»^(٢). على الإنسان أولاً أن يدرس نفسه، فيدرس عيوبه العقلية والعاطفية والحركية، ويدقق في مواقفه وعلاقاته، قبل أن يحدّق في عيوب الناس، وإذا صادف وحدّق في عيوب الناس، فعليه أن يطلب من الله سبحانه ألا يبتليه بمثل هذه العيوب كما ابتلى بها هؤلاء الناس، إن الإنسان الذي يبصر عيوب الآخرين، ولا يحدّق في عيوبه هو إنسان غائب عن نفسه وفاقد لها.

الروحانية:

□ في غمار الحياة التي نعيشها تضيع الروحانية في زحمة المشاغل والهموم والمسؤوليات، فتقسو القلوب، وتصبح العبادات عادةً تمارسها . . فحتى نحافظ على توهج الروحانية، ما نصيحتكم في ذلك؟

○ نصيحتي للشباب المؤمن ما أنصح به نفسي من الإقبال الدائم على الله تعالى، ومن الذكر لله دائماً، الذكر في العقل والقلب واللسان «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»^(٣)، وعلينا أن نتأمل دوماً بعظمة الله في الكون وأنفسنا ومواقع نعمه علينا، وما نُقبل عليه من علاقاتنا بالله في خطئ المسؤولية، ووقوفنا غداً بين يدي الله للحساب، علينا أن نفكر في ذلك كله، بحيث لا نقدّم رجلاً ولا تؤخر أخرى حتى نعلم أن ذلك لله رضى. يجب أن يكون كلُّ همنا في الحياة رضى الله، رضى الناس أم غضبوا، وأن يكون خطئ الله خطئنا، لتتعرف مواقع رضى الله في ما أحله وأوجبه، ومواقع سخط الله في ما حرّمه وكرهه.

(١) التحريم: ٦.

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الحشر: ١٩.

اختيار الزوجة:

□ يقول الرسول ﷺ: ((تُزَوَّجُ الفتاة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها أو لدينها، فاظفربذات الدين تربت يداك))، فهل هذه كافية للزواج أم هناك اعتبارات أخرى؟

○ الزواج عقد يقوم على التراضي بين الزوجين ورغبة كل منهما بالآخر، ولذلك على الإنسان أن ينظر إلى دين المرأة بالدرجة الأولى ولتكن بقية الاعتبارات بالدرجة الثانية.

الاحتفاظ بالسِر:

□ إذا قال شخص سراً لأحد، فهل يجوز إفشاؤه؟

○ لا يجوز إفشاء السر إلا إذا كانت هناك مصلحة عليا للمسلمين أو لصاحب السر من باب قاعدة التزام بين المصلحة والمفسدة، وقد ورد في الحديث ((المجالس بالأمانات وليس لأحد أن يحدث بحديث يكتمه صاحبه إلا أن يكون ذكراً له بخير)).

صرف الأولاد للعمل:

□ متى يستطيع الأب تشغيل ابنه؟

○ من المهم ملاحظة مصلحة الابن أولاً وعدم تشغيله بمهام وأعمال لا تتناسب مع جسمه أو تربيته، لأنه لا ولاية للأب على ولده إلا بما يصلح أمر ولده، فلا يجوز للأب أن يعتبر ولده مثل قطع أثاث البيت يتصرف به كما يشاء، كما في ضربه، ومن الظريف أنه عندما يحاول أحدهم أن يخلصه منه يقول له: (لا تتدخل هذا ولدي)، فاللّه جعل الولاية للأب على ابنه بضربه بما يصلح أمره وينمي طاقته.

صلة الرحم وبر الوالدين:

- في حالة تعارض بر الوالدين مع صلة الرحم، فايهما أولى مثلاً؛ إطاعة الوالد في معاداة من يعاديهم حتى وإن كان هو على حق؟
- يجب أن تتم محاولة صلة الرحم بطريقة لا ينزعج منها الوالدان، ولكن حينما يطلب الأب - مثلاً - من ولده أن لا يطيع الله سبحانه وتعالى، وذلك عندما يطلب منه بأن يقطع رحمه فهو مما لا يجوز، ولذلك لا تقطع صلة الرحم تلبيةً لرغبة الوالدين الذاتية.

سجدة الشكر:

- بالنسبة إلى سجدة الشكر، هل تكون سجدة واحدة أم أكثر؟
- تكون بعدد نعم الله سبحانه (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) ^(١)، وهي مستحبة في كل وقت.

التوكل في الحياة:

- هل يتناقض التوكل مع السعي ومحاولة الإنسان البحث عن حلول لمشكلة ما وطلب المعونة لحلها من أشخاص آخرين أم أن هذا واجب؟
- التوكل من شرطه أن يأخذ الإنسان بالأسباب التي وضعها الله للوصول إلى أغراضه مما يملكه الإنسان في قدراته وعلاقاته والظروف المحيطة به، وقد ورد في حديث الإمام الصادق عليه السلام: ((المتوكلون هم الزراعون))، كما هو الفلاح الذي لا يكفيه قوله: اللهم ازرع لي الأرض حنطةً أو تفاحاً، بل يحاول أن يدرس طبيعة الأرض الزراعية ويكافح كل الأمراض والمواد التي تؤثر على الزراعة، ثم يضع البذور ويسقي الأرض بالماء حسب الفصول، ثم يتعهد الزراعة ويلاحظها ويطلب من الله داعياً بقوله يا رب هذا ما أستطيعه وأتوكل عليك فيما لا

أستطيعه، فالتوكل هو أن تعمل كل شيء تستطيع عمله للوصول إلى النتائج التي تطلبها، ثم إنك عندما تواجه المستقبل الذي ربما يسقط عملك فتوكل على الله، وهكذا يقال إن شخصاً قال: (إني تركت دابتي في الصحراء وتوكلت على الله ورجعت فلم أجدها)، ف قيل له: (اعقلها وتوكل) أي اربطها، ونلاحظ كذلك مخاطبة الله لرسوله ﷺ بقوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(١) يعني في كل أمر تريد أن تسير فيه فعليك بالمشورة، ثم إذا أخذت الرأي الصحيح من خلال الشورى فتوكل على الله، فالله سبحانه هو الذي أمرنا بالسعي ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣) والاستعانة بالآخرين لا على أساس أنهم هم الذين يقضون لك الحاجة، بل لأنهم هم الجهة التي من خلالها أراد الله تسخيرها من أجل إعانتك.

عقوق الوالدين:

□ كنت في السابق أتشاكس مع والدتي في عمل البيت وأثور عليها، ولكن بعد وفاتها بدأت بالندم وعرفت عاقبة العقوق، فكيف أكفر عن ذلك؟

○ التكفير أولاً بالاستغفار، وقد يكتب الإنسان عاقاً لوالديه في حياته ثم يكتب باراً بعد وفاتها، وذلك بالدعاء لهما والصدقة عنهما وقضاء الحقوق التي كانت تلزمهما للناس وبالطلب إلى الله أن يعوضهما عن حقهما المتعلق لولديهما بما يخفف عنه مسؤوليته، وفي دعاء (يوم الاثنين) عن حقوق العباد كما ورد في الأدعية: ((اللهم وأيما عبد من عبادك أو أمة من إمائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو في أهله أو ولده أو غيبة اغتبتها أو تحامل عليه بميل أو هوى أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) الجمعة: ١٠.

شاهداً، حياً كان أو ميتاً، فقصرت يدي وضاق وسعي عن ردها إليه والتحلل منه، فأسألك يا من يملك الحاجات وهي مستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إرادته أن ترتضيه بما شئت وتهب لي من لذك رحمة إنه لا تنقصك المغفرة)). فيطلب من الله الرضا فيسقط عنه كل حق من حقوقه.

مراتب الظلم:

□ ما هي مراتب الظلم؟

○ للظلم أقسام، كظلم الإنسان لربه بالمعصية والكفر، كما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) فإن الإنسان يظلم نفسه بتجاوزه حق الله، كما في وصية لقمان لابنه ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) وكذلك ظلم الإنسان للإنسان بقتله أو اغتصاب ماله وما إلى ذلك من أنواع الظلم.

ما هي النجوى:

□ في الدعاء المأثور: ((الحمد لله الذي بعد فلا يرى وقرب فشهد

النجوى))، فما هو معنى النجوى؟

○ النجوى هي كلام السر، كما في قوله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾^(٣)، بحيث إنه سبحانه يسمع الهمس بين الطرفين.

توادة المسلمين:

□ قال الرسول ﷺ: ((من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه سبعين كربة من

كربات يوم القيامة، ومن سمع منادياً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)) فهل نحن بالمستوى هذا الذي يشار إليه في الحديث الشريف؟

(١) النحل: ١١٨.

(٢) لقمان: ١٣.

(٣) المجادلة: ٧.

○ إذا فرضنا أن الحاجة كانت ملحة وكان المستمع إليها من المسلمين قادراً عليها من دون أن يكون عليه حرج وفقاً للشروط الشرعية، فإنه يجب على المسلم إعانة أخيه المسلم. وعلينا أن نعمل لنكون بالمستوى المطلوب لرضا الله سبحانه وتعالى، كما يقول سبحانه وتعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١). ولكن البعض منّا يتوأسى بالعصبية والحققد.

الطمع والطموح:

□ ما هي حدود الطموح؟ وهل يصبح طمعاً في بعض الأحيان؟

○ الطموح هو أن تطوّر بالطرق الشرعية أهدافك نحو الدرجات العلى، وأن تصل إلى ذلك، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية. أما الطمع فهو عبارة عما تريده وتصبو إليه من دون أسس شرعية، بل يعتبر تجاوزاً لها، وذلك بأن يستعجل الإنسان النتائج التي يتوخاها ويبدأ بجمع الحرام والحلال في فعله من دون الالتفات إلى الموازين الشرعية والقيم الأخلاقية.

السعي في الزواج:

□ بعض الأشخاص يدعون للابتعاد عن السعي في تزويج المسلمين ادعاءً منهم أن هذا العمل يتنافى مع مهمة رجل الدين، فكيف السبيل إلى ردّ هذا القول حسب سيرة الرسول ﷺ والأئمة ؟

○ إن من أفضل الأعمال هو السعي في تزويج المسلمين والمسلمات، وهذا ما كان يمارسه النبي ﷺ بشكل غير معروف في تقاليدنا، وهذا ما حصل عندما جاءته امرأة وقالت له: يا رسول الله أريد زوجاً، فالزواج حق للرجل والمرأة، ولكن التقاليد منعت المرأة من التحدث عن حاجاتها الشخصية، وقد كان مهر تلك المرأة هو ما يحفظه الرجل من آيات القرآن الكريم وتحفيظه لها. فالمهر ليس قيمة وشراء كما هو اليوم بالملايين، فإن ((شؤم المرأة غلاء مهرها)) كما ورد في

الحديث. ولعل قيمة ممارسة العالم الديني للزواج هو إبعاده عن حالات الانحراف عن خط الشرع، ولكنه ليس مختصا به، فيمكن للرجل والمرأة القاصدين للعلاقة الزوجية إنشاء الزواج بالعقد إذا كانت الشروط الشرعية متوفرة فيهما.

حصار العمل الاجتماعي:

□ هل أن الحديث ((كما تكونوا يول عليكم)) صحيح وما معناه؟
○ بمعنى أن القيادات تنطلق من قلب المجتمع، فإذا كان المجتمع مجتمعا فاسدا، فليس من المعقول أن تتولى قيادته قيادة خيرة، لأن القيادة منه. وأما إذا كان المجتمع مجتمعا خيرا فإن قيادته تكون منه، وهذا يعني أن تكونوا خيرين لتستطيعوا أن تنتجوا من داخلكم ولما خيرا، فهذا في مقام الكناية.

تأديب الأبناء:

□ ورد في قول للإمام علي ؑ أن ضرب الأب لابنه كالسماد في الزرع، فكيف ذلك؟

○ لا يجوز للأب أن يضرب ولده إلا في حالة الضرورة القصوى، وبذلك يمكنه أن يترك تأثيره الإيجابي على شخصيته بما يحقق له من منعة من الانحراف، ولكن ذلك ليس على نحو القاعدة العامة، والحديث المذكور غير معلوم الصحة.

سيادة التخلف:

□ كثيرا ما تذكر عبارة (نحن نعيش التخلف في السياسة وكذلك في الإعلام)، فكيف يكون الإنسان متخلفا سياسيا وإعلاميا؟

○ إنما يكون الإنسان متخلفا سياسيا عندما يحاول مواجهة الواقع السياسي بالقضايا الصغيرة ولا يواجهها بالقضايا الكبيرة من خلال طبيعة الارتباط بالأمور المحلية أو الصغيرة بالأمور الدولية أو الكبيرة، وكذلك التخلف في الإعلام في حالة عدم محاولة دراسة الإعلام من خلال خلفياته، لأن الإعلام

أصبح سيد الموقف، فهو الذي يغيّر الكثير من النظرة إلى الأشياء، وأصبح ينتج صوراً سلبية. والمعروف أن الإنسان عليه أن يقرأ ما بين السطور، وكما يقول المثل العراقي (يقرأ المحي). فالحقيقة بين السطور وليست في السطور، فيجب أن لا نكون مستهلكين سياسياً وإعلامياً، لأن من سبّل النهوض بالأمة أن ندرس خلفيات الإعلام وجذور السياسة وبالوعي والتوعية الكاملة.

ترك الصلاة:

□ شاب تارك للصلاة ولديه الرغبة الدائمة في إقامتها، ولكن في كثير من الأحيان تعثره عقبات نفسية، فما العمل؟

○ جاهد نفسك وهو الجهاد الأكبر، فحساب النفس وجهادها لإقناعها بالنتائج السلبية الكبرى التي تترتب على ترك الصلاة، ومن يترك الصلاة كمن يكون قطع الصلة بالله سبحانه وتعالى، وقد أعطانا الله خمس مواقيت للصلاة لنقف بين يديه كي نناجيه ونطلب محبته وحوائجنا منه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١)، فهل تشغلنا عن لقاء الله لعبة رياضية أو حفلة أو حالة نفسية معينة، فذلك يعني عدم الشعور بالله سبحانه وتعالى عند التهاون بالصلاة.

وساوس الشيطان:

□ هل يحاسب الإنسان على وساوس الشيطان إذا لم يطبقها على أرض الواقع؟

○ كلا، فإن الإنسان يحاسب على عمله وليس على ما نوى وما فكر.

عدم الإعانة على الحرام:

□ زوجتي تغتاب الناس كثيراً، وعندما أقول لها إن هذا لا يجوز لأنه من

الكبائر تقول لي بأنني أَدافع عنهم وتقف ضدي وتبرُّر الأمور تبريراً غير صحيح،
فماذا أفعل معها؟

○ حاول بالتدريج دراسة ذهنيته لمعرفة الأمور التي يمكن أن تفتح قلبها
وعقلها، وادع لها الله بالهداية.

رد الشر بالشر:

□ ما معنى قول الإمام علي (ع): ((رُدُّ الحِجْر من حيث أتى فإن الشر لا
يقابله إلا الشر))؟

○ إذا صحَّ هذا القول عن الإمام علي (ع)، فذلك يعني أن تدافع عن نفسك
بالطريقة التي تستطيع فيها إنقاذ نفسك من الذي يريد الاعتداء عليك، فإن
الإسلام جعل للإنسان أن يأخذ بحقه ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١) وقد ورد قوله تعالى:
﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢)، فإن الدفاع عن النفس والعرض مشروع. فقد جعل
الله للإنسان خيار العفو أو المواجهة بالمثل.

الإسلام والحب:

□ هل الإسلام دين حب أم دين حرب وقتال؟

○ الإسلام دين حب، وكما قال الإمام الصادق (ع): ((وهل الدين إلا الحب))
وهناك حب من نوع آخر، وهو أن تحب الإنسانية، وتقاتل كل من يسيء إليها،
فالحب ليس معناه القبلات والنبضات القلبية. فالطبيب الذي يقوم بعملية
جراحية للمريض وقد يتألم المريض عندما يقطع له عضو من أعضائه، ومع ذلك
يعتبر ذلك من الحب، لأنه أنقذ حياته، فمن إنقاذ حياة الإنسان نستوحي الأولوية
في إنقاذ حياة الأمة والإنسانية. فعلياً أن نفهم الحب عقلاً بتأثيره ولا نفهمه

(١) البقرة: ١٩٤.

(٢) البقرة: ٢٣٧.

كنبضات قلبية ساذجة بسيطة.

الجهاد الأصغر والأكبر:

□ يرجى إلقاء الضوء على الجهادين الأصغر والأكبر، هل هما متوافقان أم

أن الجهاد الأصغر هو نتيجة للجهاد الأكبر؟

○ الجهاد الأصغر يحتاج للجهاد الأكبر. فإذا أردت الحرب وعرضت نفسك للقتل والجرح من أجل القضية الكبرى، فإنك إذا لم تجاهد نفسك وتقنعها بأن عليك أن تتحمل الألم والتعب والاستعداد للتضحية من أجل الإسلام وفي سبيل الله فلن تكون مستعدا لمثل هذه المعركة. لذلك فإن الجهاد الأصغر يحتاج إلى الجهاد الأكبر.

استحباب بعض الأعمال:

□ هناك الكثير من الصلوات المذكورة في الدعاء مثل بر الوالدين وأداء

الدين والرزق وغيرها، ولا ندري هل يثبت استحبابها؟

○ على الإنسان أن يأتي بها لاحتمال كونها مشروعة بنية رجاء المطلوبة.

أعمال لم يثبت استحبابها:

□ ما هو حكم عمل لم يثبت استحباب أدائه لديكم ومستحب عند الآخرين

علما بأنني من مقلديكم؟

○ إذا فرضنا إن الإنسان يأتي بالمستحب عند الآخرين، فإنه يأتي به على

سبيل رجاء المطلوبة.

تربية الأولاد:

□ التعامل مع الأولاد بالحسنى والأخوة خاصة عندما يكبرون يصبح أمرا

عسيرا، خاصة وأن بعض الأولاد لا تنفع معهم هذه الطريقة، ويعتقدون أن الأب

ضعيف ويستطيعون لوي ذراعه، فما هو العمل؟

○ في الواقع ليست مسألة أن الأولاد لا يمكن أن يتربوا تربية حسنة إلا بالعنف، بل إن الأب في كثير من الحالات لا يحاول أن يفهم أولاده، ولذا على الأب محاولة أن يدرس ذهنية ولده، ما الذي يحبه ولده وما الذي لا يحبه؟ وما هي نقاط الضعف عند ولده وما هي نقاط القوة عنده؟ وما هي المؤثرات التي تؤثر على مشاعره؟ وقد يتصور أن الأولاد كآية قطعة من أثاث البيت، في حين أن علينا إذا أردنا أن نربي أولادنا أن نفهم ذهنيته.

وهناك بعض المربين يقولون إن من الممكن للإنسان أن يصبح أستاذاً جامعياً، ولكن من الصعب أن يكون أستاذ روضة أطفال، باعتبار أنك في الجامعة تواجه عقولاً مفتوحة بعقل مفتوح، ولكن عندما تكون في الروضة أو في الصف الأول الابتدائي، فإنك تواجه عقولاً مغلقة، فكيف تستطيع أن تفتحها؟ فربما تتصور أن الولد لا يفهم، ولكنه منذ الصغر يمتص أخلاق والديه ويمتص الألم والعنف الموجودين في البيت، ويمتص الصور التي يشاهدها في التلفزيون. لذلك نحن قد لا نفهم أولادنا ونحن نقوم بتربيتهم، ثم أن بعضنا لا يصبر على تربية أولاده، فيختصر المسافة ويقوم بضرب ولده، ولا يدرس التأثيرات النفسية التي تدمر حياة ابنه في المستقبل، وقد تستطيع أن تخضعه لك في ذلك الشيء، ولكنك تخلق له عقدة نفسية ضدك في المستقبل.

ولذلك أقول دائماً: إن على الأب أن يتذكر عندما كان ولداً كيف كانت مشاعره ضد عنف والده أو أمه. فعندما يكون ابنك أو ابنتك في سن الزواج، فتذكر كيف كان يتصرف والداك معك عندما كانا يمنعانك الزواج بمن ترغب، فكيف تمنع ابنك؟ وعليك أن تحترم إنسانية ولدك، لأن الولد ليس مثل أثاث البيت، بل هو إنسان يفكر مثلما تفكر أنت بحياتك، ولا أقول أن نتركهم أو نهملهم، بل أن نحاورهم، وهناك مثل يقول (إن كبر ابنك خاويه) أي اجعله أخاً مثلما نقول (أدبه سبعاً وعلمه سبعاً واصحبه سبعاً).

لذلك فإذا أحسنّا التربية ودرسنا أفضل الأساليب، فإن ذلك كفيل

بتربيتهم. وقد يكون من وسائل التربية أن تحرّمه من بعض الأشياء التي يحبها، وليس فقط استعمال أسلوب الضرب. فقد يضرب الأب ابنه لأتفه الأسباب، ربما لأنه يكون منزعجاً في الدائرة أو العمل، فينفّس غيظه على ولده، إنما نحن ننفس عن غيظنا من خلال المؤثرات الخارجية.

الصلاة عمود الدين:

□ ورد في الحديث: ((الصلاة عمود الدين إن قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّتْ رُدَّ ما سواها)) ، فما هو معنى هذا الحديث؟

○ الصلاة تمثّل العمل الذي يربطك بالله ويجعلك تحس إحساساً عميقاً بحضوره ورقابته عليك، فإن جسمك كله وعقلك - أيضاً - يتحرك في الصلاة، ابتداءً بالنية والتكبير والركوع والسجود والقيام والأذكار إلى حين الانتهاء، ولذلك فإنها تجعلك تحس برقابة الله وأنت محاط بحزام أمني. فأول الاستيقاظ تقف بين يدي الله قبل الوقوف بين يدي أي أحد غيره. وعندما تقول نويت أن أصلي قربة إلى الله فإن ذلك يعني أنك تعطي عهداً لله بأن تكون قريباً منه سبحانه وتعالى ولا تعمل أي عمل يبعدك عنه، وعندما تقول (الله أكبر) فتشعر أن كل الكون صغير أمام الله، فليس هناك شيء أكبر منه، وعندما تقرأ سورة (الحمد) وتركع وتسجد فإنك تنتقل من الله إلى الله، فإذا صليت وذهبت لعملك في الصباح فستعود وقت الظهر إلى الصلاة لله، ثم صلاة العصر وكذا صلاة المغرب ثم العشاء، فإنك بمجرد أن تبتعد قليلاً عن ذكر الله فإن الله يدعوك للتوجه إليه في الصلاة مرة أخرى. لأن الصلاة تعطيك عمقاً إيمانياً لكل الأعمال، فعندما تدفع الخمس والزكاة وتصوم وتذهب إلى الحج، فإن ذلك إنما يكون من خلال هذا العمق الإيماني والإحساس برقابة الله عليك وحضوره في نفسك. فالصلاة أساسية بكل هذه المعاني المتدفقة (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)^(١)

فتمنعك الصلاة عما تثيره نفسك من أفكار ومن أحاسيس لا تتناسب مع العبودية لله.

نأديب الأولاد بأداب الآباء:

□ يقول الإمام علي (ع): ((لا تخلقوا أولادكم بأخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم)) فما معنى ذلك؟

○ لا يعني بذلك الأخلاق الأساسية كالصدق والأمانة، لأنها أخلاق أبدية لا زمان لها ولا مكان، ولكن يقصد بها العادات والتقاليد التي لا تبتعد عن الخط الشرعي، كما هي طريقة اللباس وطريقة التحية والسلام والتي تعتبر من الأخلاق المتحركة.

التخلص من الكذب:

□ إني صائمة وعندي جماعة ممن حولي يكذبون كثيرا للحصول مني على مبلغ من المال ولا يرجعونه، فهل يجوز لي أن أكذب وأقول لهم ليس لدي المال؟

○ إذا لم يكن لك طريقة للتخلص منهم فقول لهم ليس عندي مال وتضمنين أن المال في الخزانة الفلانية أو المكان الفلاني أو البنك، وذلك تورية ودفعاً للخرج.

إشاعة العفاف:

□ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾^(١). ما هي الطرق التي توصون بها الشباب والشابات من المسلمين لاتباعها للمحافظة على العفة وسط المغريات التي تدفع الشاب أن يعيش كما تقولون في حالة طوارئ؟

○ أولا: يجب أن يربي الإنسان نفسه على الصبر وعلى الحرمان، فقد

يُحرم الإنسان من أشياء كثيرة، مثلاً قد يحرم من الطعام الذي يغذيه أو من الشراب الذي يروي ظمأه، كما يُحرم من موقع هنا أو من موقع هناك أو من إشباع الغريزة الجنسية. ودور الصبر هنا هو أنه يثبت الشخصية على المبادئ وحالة التماسك، فلا يصزعك الإحساس بالجوع أو الحرمان أو المشاكل التي تحيط بك، وقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن الصبر (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)^(١)، فالصبر لا يمثل حالة من الضعف بل حالة قوة، فبالصبر تسيطر على مشاعرك وأحاسيسك، فتكون أنت سيد جسدك، ولا يكون جسدك السيد الذي يحكم حياتك.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: (لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)^(٢)، ويقول سبحانه: (إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)^(٣)، فلو قيل لأحد الشباب إنك إذا قدرت على الأخذ بأسباب العفة فإنه سيمنح لك صكاً مفتوحاً، فهل من أحد يرفض ذلك؟ فكيف لو كان المانع هو الله سبحانه وتعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)^(٤).

وثانياً: يجب أن يدرس الإنسان المسألة من خلال الأرباح والخسائر. يقول الإمام علي عليه السلام في الصبر: ((إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا خير في جسد لا رأس معه، لا خير في إيمان لا صبر معه)). ثم يحاول أن يبتعد عن المؤثرات وعن مواطن السوء في كل ما يثير في نفسه الإثارة، من

(١) لقمان: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٨٦.

(٣) الزمر: ١٠.

(٤) البقرة: ٢٦١.

الموسيقى المثيرة أو الأحاديث المثيرة وغير ذلك. ثم إن هناك وسائل شرَّعها الإسلام ولم يأخذ بها الناس، فالمتعة شرَّعت في الإسلام، ولكن إخواننا من أهل السُّنة ذهبوا إلى تحريمها، بينما الشيعة ذهبوا إلى تحليل المتعة من خلال الأئمة، كما روي عن الإمام علي عليه السلام يقول: ((لولا ما نهى عنه عمر من أمر المتعة ما زنى إلى شقي))، وهذا هو النظام المسمى بالزواج المؤقت، وهو يُعتبر مكماً للزواج الدائم، ولكن الزواج المؤقت لا يكفل الاستقرار الأسري للرجل والمرأة، ولذلك أصبح غير مرغوب به، أو ربما أصبح مرفوضاً، خصوصاً بلحاظ الذين يمارسونه ممارسة فوضوية، فلا يحفظون كرامة المرأة في ذلك الزواج المؤقت. لذلك كان من المفروض أن يفني الزواج المؤقت الحياة الإنسانية وبما يضمن الحقوق الزوجية، ولكن المجتمع المسلم قد حُرِّم من ذلك التشريع، فأدى إلى كثير من الانحرافات.

وهناك نقطة أصبحت تثقل قضية الزواج في المجتمع، وهي مشكلة المهر الذي أصبح قيمة بحد ذاته، حيث يطلب في الزواج مئات الألوف بحجة ضمان مستقبل البنت. فأصبحت مسألة الزواج الدائم مثل عملية البيع والشراء، ما يؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج، بينما يقول الرسول ﷺ: ((إن جاءكم من ترضون دينه فوزجوه)). وقد ورد ((شؤم المرأة غلاء مهرها))، فالمرأة ليست سلعة تباع وتشترى. وإزاء الأزمات الاقتصادية، فمتى يستطيع الشباب توفير متطلبات الزواج، من الشقة المؤثثة وغيرها؟ وعلى المجتمع التعاون لتوفير سبل الزواج للشباب. فمثلاً الطالب والطالبة يمكن أن يتزوجا ويسكنا في منزل متواضع، وفي حالة الخوف من حدوث الإنجاب، فهناك وسائل لمنع الحمل مؤقتاً، وإلا كما قال سبحانه وتعالى: ((إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ))^(١).

وقد جاءت إحداهن للرسول ﷺ طالبة الزواج (عندما تأتي البنت - اليوم - لأبيها طالبة الزواج يقول عنها الناس إنها بلا حياء، فما الفرق بين طلب الزواج

للرجل أو المرأة وكلاهما لديه غريزة (١٩) وكان النبي ﷺ جالساً بين أصحابه، فقال لأصحابه: من منكم يتزوجها، فأجاب أحدهم إنه يريد الزواج ولكنه لا يملك شيئاً، فقال له وهل معك شيء من القرآن، قال: نعم، فقال النبي ﷺ: (زوجتكها بما معك من القرآن).

تأديب الأبناء:

□ إذا ضرب الأب ابنه فأوجعه ثم استغفره فما هو تكليفه الشرعي؟ وإذا كانت هناك دية فما قيمتها؟
○ طبعاً تختلف الدية حسب قوة الضرب وتأثيره وتدفع قيمتها لولده وليس للحاكم الشرعي.

حاجات الإنسان:

□ قال رسول الله ﷺ: ((اللهم بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه، ولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائضنا...))، بينما يمكن القول ((ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان))، فما رأيكم؟
○ إذا صحت هذه الرواية عن النبي ﷺ فلا تنافي بين القولين، باعتبار أن الخبز مما تقوم عليه حياتنا، لأنه الغذاء الطبيعي للإنسان، والخبز كناية عن الغذاء، والجسم يحتاج إلى قوة لأداء الفرائض، والقوة بحاجة إلى غذاء يقيم الجسم، والمقصود أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان وإنما هناك أشياء معنوية ورسالية عامة.

دور الدعاء في حياتنا:

□ ما هو دور الدعاء في البناء الأخلاقي والروحي للمسلم، وأيها أفضل؟
قراءة القرآن أو الدعاء، وهل يجوز تكرار الآية أو الآيات؟
○ الدعاء فيه جانبان: جانب تتحدث فيه مع الله وتبتل فيه إليه وتشهده على إخلاص العبودية له، ما يجعلك تتقرب إلى الله وتعيش في قربه، وتشعر مع

ذلك بحاجتك إلى الله من خلال فقرك المطلق أمامه. والجانب الثاني فإن معاني الأدعية، وخصوصاً الأدعية القرآنية وأدعية النبي ﷺ وأدعية الأنبياء وأدعية الأئمة، أنها تشكل مدرسة ثقافية واجتماعية وأخلاقية وسياسية ونفسية. وعلينا عندما نقرأ الدعاء أن نشعر بأننا ندخل مدرسة الدعاء، فمثلاً إن الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن موسى ﷺ أثناء هربه من فرعون وهو يقول: «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ»^(١) يعني يريد أن يقول إني يا رب لازلت أعيش الفقر في غناك، والإنسان عندما يظهر فقره وحاجته إلى الله وقت الشدة، فكأنما يستمد من الله الغنى والقوة. وعندما التقى مع شعيب ﷺ دعا ربه دعاءً سياسياً، ولا بد لكل السياسيين أن يتمعنوا في هذا الدعاء «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ»^(٢)، بمعنى يا رب إنك أنعمت عليّ وأعطيتني الراحة والطمأنينة والاستقرار وسأشكرك على نعمك هذه بطريقة أخرى، وهي أنني لن أكون ناصراً لأي مجرم من خلال ظلمه للإنسان، لأن الإنسان يجب أن يعطي عهداً لله بالشكر على نعمه بطريقة الوقوف أمام كل الظالمين والمجرمين.

وهناك دعاء للإمام زين العابدين ﷺ يقرأ في ليلة (عرفة) والجمعة، وربما هو موجود في دعاء يوم الأضحى في (الصحيفة السجادية)، يقول فيه: ((وقد علمت أن ليس في حكمك ظلم ولا في نعمتك عجلة وإنما يعجل من يخاف الفوت))، بمعنى أن الذي يستعجل إنما يستعجل لأنه يفوته هذا أو ذاك. فيحاول اللحاق به ((ويحتاج إلى الظلم الضعيف)) لأن القوي لا يظلم، والظالم عندما يظلمك فإنما يخاف منك، لأنه يعيش ضعفاً أمامك، فيحاول أن يظلمك حتى يتفادى ما لديك من قوة، وهذه هي فكرة أساسية نستنبطها من خلال هذه الأدعية التي تكرر هذه المفاهيم، وهي تشير إلى الظواهر الاجتماعية والسياسية فضلاً عن الأطر العقيدية والمعرفة الإلهية.

(١) القصص: ٢٤.

(٢) القصص: ١٧.

وكلمات الأئمة ؑ تشكل حلقات متكاملة مع بعضها البعض، فالإمام الباقر ؑ هو تلميذ أبيه الإمام زين العابدين ؑ، وهو يتحدث عن الناس الذين يستعرضون عضلاتهم وينتفخون ويمشون مشية الخيلاء، يقول الإمام ؑ عنهم: ((ما من امرئ يتيه. والتيه يعني الخيلاء. إلا لذلة يجدها في نفسه))، فمن يستكبر ويستعرض عضلاته ويتمايل ويتخايل أمام الناس، فذلك يمثل تغطية عقدة نقص، ولا تتصوره قوياً، فهو يغطي عقدة الضعف الموجودة فيه. لذلك نقول لكم إذا أردتم أن تفهموا أهل البيت ؑ فعليكم أن تفهموا تراثهم وتدرسوهم جيداً، وليس بالدمعة وإن كانت حالة إنسانية طبيعية، لأنهم ليسوا دمعة فقط، فهم بسمه الفرح في ثغر الرسالة، فعلياً أن ندرسهم، وكما يقول الإمام ؑ: ((حدثوا الناس بمحاسن كلامنا))، فالدعاء مدرسة روحية وعقلية ثقافية واجتماعية وسياسية في بعض الحالات. فعلياً أن نعيش الدعاء بوعي ككتاب نقرأه من أوله إلى آخره، فبالدعاء نشعر كأننا نخاطب الله. ولذا قلت لكثير من الناس عندما تحس بالتعب والانكسار تكلم بذلك مع الله بلا أية مشكلة وبدون رسميات، أن تعيش الدعاء مع الله في أي مكان، سواء في الحمام أو في السيارة أو في غيرهما. لأنك تدعو الله وهو القريب إليك، وهو سبحانه يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾^(١) فالله سبحانه حنون عطوف رحيم ولا حواجز بيننا وبينه.

وأما قصة الأفضل، هل هو قراءة القرآن أو الدعاء، فإن الأفضل أن نقرأ القرآن ونفهمه، وأن ندعو بدعاء القرآن وغيره، فالقرآن يعطينا روح الرسالة وفكرها ويعرفنا الله. ونقرأ الدعاء حتى نعيش مع الله. أما بالنسبة لترديد آية أو آيات معينة عدة مرات وما يسمى بالختومات، فإذا كانت الآية معبرة فلا مانع من تكرارها، على أن لا يكون التكرار مجرد لقلقة لسان، بل نفهمها ونعيش معناها في تكرارها على طريقة (هو المسك ما كررته يتضوع) .

وساوس الشيطان:

□ إني مؤمنة بالله ورسوله وموالية لأهل البيت^{عليه السلام}، وأعرض منذ سنة إلى حالة لم تحصل لي سابقاً، وهو حديث النفس والتخيلات المتمثلة بالكفر وكل ما هو غير صحيح ومخالف للدين تجاه الله ورسوله والدين، وتزداد هذه الحالة أثناء الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والتسبيح، وحتى أثناء الاستماع إلى الراديو أو أشخاص يذكرون القرآن، وتستمر معاناتي وصراعاتي مع نفسي يومياً لهذه الحالة، فأصبحت استغفر الله بعد كل كفر وأستعيد به من الشيطان الرجيم، وأعيد الصلاة والوضوء والتسبيح لأكثر عن ذلك؟

○ أقول لهذه المؤمنة إنها من أفضل المؤمنات ومن أعمقهن إيماناً، لأن هذه الحالة النفسية نتيجة الهواجس التي تشعر بالزلزال النفسي. وهذه الهواجس لا تمس إيمان الإنسان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١) يعني تلك الأفكار الشيطانية التي تحاول إثارة الهواجس في نفس الإنسان حتى يشعر بالزلزال النفسي فيتذكر الله ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ثم علمنا سبحانه بقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ❖ مَلِكِ النَّاسِ ❖ إِلَهِ النَّاسِ ❖ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ❖ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ❖ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٢) وقد جاء أحدهم للنبي ﷺ قائلاً له: ((إني هلكت، فقال له رسول الله ﷺ: جاءك الخبيث يعني الشيطان. فقال من خلقك؟ فقلت الله، فقال لك من خلق الله؟ فقال الرجل: نعم، فأجابه الرسول ﷺ: ذلك هو محض الإيمان))، يعني أن هذه الحالة التي تحسها في نفسك تدل على إيمان عميق. لذلك نقول للأخت المؤمنة أن لا تعتني بهذه الهواجس، لأن الله سبحانه وتعالى لا يحاسبها على ذلك ما دامت تختزن الإيمان الحق في عمق وجدانها. وهذا هو الإيمان

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) سورة الناس.

العميق. ولا تعيد الصلاة، ولا تعيد الوضوء، وعليها أن تستعيز بالله من الشيطان الرجيم.

المزاح بالباطل:

□ كيف يمكن لنا التخلص من العادات السيئة غير الإسلامية كالمزاح بالباطل، وهناك من يمزح ويدخل في مزاحه الفواحش وعندما تعاتبه يقول أنا أمزح، وما معنى قوله كان ﷺ لا يمزح إلا حقاً، وما معنى لا يجوز المزح ولو كذباً؟

○ المزاح بالشكل الطبيعي ليس محرماً، ولكن عندما يتحول الإنسان إلى شخصية المزاح، فإن هذا يضعف عقله عن الجدية، وقيمة العقل هو أن يكون جاداً في كل قضايا الحياة، وقد ورد الحديث عن الإمام زين العابدين ﷺ في وصيته الأخيرة لأولاده: ((اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في هزله أو جدّه، فإن المرء إذا اجتراً على الصغير اجتراً على الكبير ولا يكذب الكذاب وهو مؤمن))، ولذلك فإن ما ظهر علينا من صرعات من قبيل الكذب العالمي في أول (نيسان)، فهو كله باطل وتخلف، وهذا التخلف لا يرضاه الله ولا رسوله ولا الأئمة ﷺ.

الشدوذ:

□ هل يوجد مصطلح مرادف لـ (اللواط) نظراً لاقتراحه باسم أحد الأنبياء؟

○ يوجد تعبير بديل وهو الشدوذ الجنسي المذكر أو (المثلية الجنسية).

الدعوة بصمت:

□ كيف نكون دعاة صادقين لأهل البيت بغير ألسنتنا؟

○ بأن نكون القدوة، إذ يقول الإمام الصادق ﷺ: ((كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الصدق والورع فإن ذلك داعية))، فمثلاً في الموقف العام بين السنة والشيعة، يقول الإمام الصادق ﷺ: ((عودوا مرضاهم وشيعوا جنائزهم وصلوا جماعتهم حتى يقولوا رحم الله جعفر بن محمد فلقد أدب أصحابه))، فالأصل هو السلوك، لأن السلوك الحسن هو الذي يكون الداعية لخط أهل

البيت ﷺ. إن أئمتنا ﷺ أرادوا أن يعلمونا كيف نعيش الوحدة الإسلامية ونفتح على كل المسلمين، ولكن هناك تعقيدات نفسية فرضت نفسها على المسلمين فأبعدتهم عن هذا السلوك.

الساكت عن الحق:

□ في الحديث الشريف ((الساكت عن الحق شيطان أخرس))، فما المقصود

بذلك؟

○ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١) ونحن معنيون بأن نقول كلمة الحق في كل شيء، في السياسة والاقتصاد والمفاهيم والشرعية، وقد يزيّن الشيطان لبعض الناس الباطل بصورة الحق، فبعد أن يتضح الحق يجب أن نقول به، إلا في حالة التقية ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٢). كما في بعض الحالات عندما نقول الحق فقد نصاب بضرر شخصي، عند ذلك يجوز لنا أن لا نقوله من باب التقية التي قد تصل بالإنسان إلى حالة الاضطرار، مثلما حدث لعمار بن ياسر عندما عذبه المشركون وأرادوا له أن يقول كلمة الكفر، فقالها، ثم جاء إلى النبي ﷺ وقال له: ((يا رسول الله هلكت)) فأجابه الرسول ﷺ بأن الله قد أنزل بحقه قرآناً ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) فإن عادوا يا عمار لتعذيبك وإكراهك على قول كلمة الكفر فعد. وإنما يكون الساكت عن الحق شيطاناً أخرس لأنه يعين الباطل على الحق. وهذا شأن الشيطان في مهمته في إضلال الناس في وسائله سلباً وإيجاباً.

أنواع الذنوب:

□ في رحاب دعاء (كميل): ((اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم ..))

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) النحل: ١٠٦.

إلى آخر ما ورد عن هذه الذنوب، فما تأثير تلك الذنوب؟

○ تترك تلك الذنوب تأثيرها في حياة الإنسان، وتؤدي كل واحدة منها إلى نتائج تتناسب معها، وهذه الذنوب كالموبقات والكبائر وما إلى ذلك وكذا الظلم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) فالذنوب تغير النعم ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢). وهكذا الذنوب التي تحجب الدعاء، ففي بعض الأحاديث أن الكلام الفاحش يحبس الدعاء، وكذلك الفتن والتنازع والغيبة والنميمة، كل ذلك يؤثر في حبس الدعاء.

معرفة قدر النفس:

□ ما معنى قدر النفس في الحديث: ((رحم الله امرأ عرف قدر نفسه))؟
○ يعني أن لا يطفئ الإنسان فينتفخ في شخصيته، ولا يهبط بنفسه بنحو الإحباط، أي أن ينظر إلى نفسه نظرة متوازنة.

تضييع الأهل:

□ ما معنى الحديث الشريف: ((ملعون ملعون من ضيع من يعول))؟
○ يعني ذلك الإنسان البطال الذي لا يشتغل ويترك أولاده بحاجة للناس، أو ذلك الذي رزقه الله مالاً فلعب به قماراً أو شرب خمرأ أو أتلفه في المخدرات أو أنفقه بالإسراف، أو ذلك الإنسان الذي سافر أو هاجر وترك عياله بدون نفقة، كما هو الحال في مفارقة الرجل لأسرته، بحيث تبقى زوجته معلقة، وهذه وحشية، لأن بعض الرجال لا يعترفون بحاجة المرأة إلى الرجل كما حاجته إلى المرأة، فيهمل زوجته. ولذلك على من يترك زوجته، فإن عليه تخييرها عند فراقه لها، هل تستطيع الصبر على الفراق، فإذا اختارت الصبر فجزاها الله خيراً، وأما

(١) الرعد: ١١.

(٢) الروم: ٤١.

إذا لم تقبل فعليه بطلاقها قبل تضييعها وتركها معلقة، ومن الناحية الشرعية على الزوج أن ينفق عليها، وإذا لم ينفق على زوجته فإنها لو اشتكت عليه فإن الحاكم الشرعي يطلقها، وكذلك لو أهملها جنسياً أو كان يضربها أو يظلمها، فقد جعل الله سبحانه ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) و﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾، فإن حق الطلاق وإن كان بيد الرجل ولكن عليه أن لا يستبد بها ويكون ظالماً، وإن كان يحج ويزكّي ويصلي ويقيم مجالس عزاء الحسين ؑ، فالنبي ؑ يقول: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله)) بينما البعض يقول عن المرأة ((تكرم عن طاريها))، وقد لا يُذكر اسم المرأة ويقال عنها حريمه، بينما النبي محمد ؑ كان يذكر ابنته الزهراء فاطمة ؑ وكذلك اسم زينب ؑ.

كثرة التورية:

□ ما هو رأيكم حول كثرة استعمال التورية من قبل الزوج مع الزوجة؟
○ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، فالتورية لا تستعمل إلا في الحالات الضرورية جداً.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

□ من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المرتبة الأخيرة، وهي بالقلب وهي أضعف الإيمان، فما المقصود بأقوى الإيمان؟
○ أقوى الإيمان هو أن تحرّك إيمانك في خط عملك وموقفك، فالذي يعلن عن موقفه إما باللسان أو بالحركة، فهو الإيمان القوي الذي يركّز في الواقع، أمّا في القلب فهو أضعف الإيمان، لأنه رفض نفسي.

الفصل السادس

المسائل الفقهية

أولاً: المرجعية والتقليد	ثانياً: النجاسات والطهارات
ثالثاً: الوضوء والصلاة	رابعاً: الصيام والكفارات
خامساً: الخمس والزكاة	سادساً: الحج والعمرة
سابعاً: الزواج والطلاق	ثامناً: أموال وبنوك
تاسعاً: السلوك والمعاملات	

أولاً: المرجعية والتقليد

العدول إلى فقيه آخر:

□ أحد الأخوان مقلد لبعض المراجع المتوفين ويريد العدول، فهل يلزمه

النية؟

○ إذا كان مطمئناً ومتيقناً عقلياً لا عاطفياً، يستطيع العدول، والعدول يكفي فيه الالتزام العملي برأي المجتهد الذي يرجع إليه.

تعدد المرجعيات:

□ هل تعدد المرجعيات أمر سلبي أو إيجابي؟

○ هو إيجابي من جهة تنوع الفكر والاتجاهات، ولكنه سلبي من خلال العصبية والتفرق، ((وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر))، والعصبية في النار. ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: ((إن العصبية التي يَأْثُمُ عليها صاحبها هي أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليست العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن أن يعين قومه على الظلم)).

المبلغون الفاشلون:

□ ما هو تعليقكم على ظاهرة انتشار المبلغين الفاشلين وهمهم الأساس

إثارة الفتنة، وما هي الشروط التي يتطلبها التبليغ؟

○ مشكلتنا هي هؤلاء الذين يلعبون على غرائز الناس ولا يخاطبون عقولهم، وعندما تتحرك الغريزة في مقابل العقل، فالنتيجة معروفة، حيث يكون المجتمع غرائزيا ويميل حيث مال الريح ((همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور الحق ولم يلجأوا منه إلى ركن وثيق)). أما ما هو الحل فإنه كما في الآية «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم

يَا لَيْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ^(١)
 وقوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) وقوله: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ
 تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤) فهذا هو خط التبليغ.

تغيير الحكم الشرعي:

□ إذا أفتى أحد الفقهاء في حكم وتبين خطأ حكمه، فهل يتحمل المقلد

العقاب؟

○ لا يتحمل المقلد مسؤولية تغيير الحكم من وجهة النظر الفقهيّة، بل
 يتحمل الفقيه المسؤولية إذا كان قد قصر في الاستنباط، وإلاّ فللمجتهد أجران إن
 أصاب وأجر إن أخطأ.

الفقه والفلسفة:

□ يقال إن القطيعة بين الفلسفة والفقه أصابت الفقه بالجمود، وذلك

لعدم إدراك الفقيه لمشكلات العصر. فهل ينطبق هذا الكلام على الفكر الشيعي،
 مثلما ينطبق على الفكر السني؟

○ إن دخول الفلسفة في الفقه أفسد الفقه، فالفقه هو استنباط الأحكام
 الشرعية من الكتاب والسنة، أما قضية الابتعاد عن الحياة، فهذا حسب ذهنية
 الفقيه الذي يدرس القواعد الفقهية، وهي ليست مرتبطة بالفلسفة. ولتجاوز
 الجمود، لابد من أن ينفذ الفقيه إلى الاطلاع على الواقع في ظروفه المتنوعة
 وينفتح على الرأي المستقل الذي لا يخضع لتقليد الماضي في اجتهاداته الفقهية.

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) الإسراء: ٥٣.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) آل عمران: ٦٦.

الظن في التشريع:

□ يعتبر علم (أصول الفقه) الطريقة التي يؤخذ منها الاستنباط الشرعي، وهو مأخوذ من رواية أهل البيت عليهم السلام، فإذا كانت الأحكام المستخلصة ظنية وجعل الطريق للوصول إلى حكم الشرعي ظنياً، فهذا يعني أن التشريع ظني ؟

○ بعض أصول الفقه وقواعده ما هو ثابت في القرآن ومنه ما هو ثابت في الأحاديث أو بالعقل، وأما ما كان ظنياً فهو حجة، وكل ما قام عليه الدليل القطعي فإنه حجة ويجوز اتباعه.

التقليد حسب الشيعاء:

□ منذ بداية بلوغي وحتى الآن بقيت على تقليد نفس المرجع دون التحري عن الأعلام، فهل في ذلك تقصير أم لا ، علماً بأنني أقلد حسب الشيوع بين الناس ؟

○ لا يوجد في العالم من هو الأعلام بشكل مطلق، سواء كان طبيباً أو مهندساً، وكذلك في الفقه، حتى أن الذي يشهد بأعلمية شخص يعتمد غالباً على الظن أو العاطفة، فإن الذي يريد أن يشهد من هو الأعلام فعليه أن يعرف كل المجتهدين في العالم، وهذا مما يصعب تحقيقه لدى هؤلاء الشهود، ولذلك فشهادات أهل الخبرة ناقصة، لأن هذا الخبير درس عند المرجع الفلاني فيقول إنه هو الأعلام، وذاك من جماعة فلان وهكذا، وحتى الشهادة بالأعلمية ليست واقعية بلحاظ الدراسة الدقيقة للواقع.

ولذلك رأينا أنه يجوز تقليد كل مجتهد عادل ممارس في البحث والتدريس والفتوى، خصوصاً وأن المرجع في الوقت الحاضر ليس فقط من يفهم بالفقه والأصول، ولكن هو من يفهم الحياة ومشاكل الناس ويجب على علامات الاستفهام الموجودة عند الشباب ويسدُّ الفراغ لديهم، لأن الأئمة كانوا يجيبون على كل شيء من المسائل، سواء كانت سياسية أو فلسفية أو اجتماعية، ونريد من المرجعية أن تكون كما كانت المرجعية عند الأئمة عليهم السلام، مع الاحتفاظ بمقام

وخصوصية الأئمة عليهم السلام، لأن الزمن قد تغير والحاجات تتغير.

من هو المحتاط؟!

□ من هو المحتاط؟ وهل يعتبر الأخذ بآراء جميع المراجع احتياطاً؟ وهل

يجب على الإنسان أن يقلد فقيهاً معيناً؟ وما هو حكم عمله؟

○ الاحتياط لغير المختصين عسير، ولا يستطيع الإنسان أن يأخذ بأغلب

الآراء، وعلى الإنسان أن يقلد مرجعاً معيناً، فإذا كان هذا المرجع يجيز التبعية

في بعض الفتوى، كما نجوز نحن ذلك في بعض الفتاوى التي هي محرجة

للإنسان، فيجوز له الرجوع إلى غيره مع تقليده، أما إذا كان المرجع لا يجوز

التبعية إلا في الاحتياطات، فيجوز له ذلك، أي ينتقل إلى مرجع آخر فيها فقط.

تقليد الفقيه خارج البلد:

□ هل يحق للمكلف تقليد مجتهد خارج بلده؟

○ المسألة هي هل أن المجتهد كفاء للتقليد أم لا، ولا يتعلق ذلك بحدود

البلد.

عمر الفتوى:

□ ما هو حكم الفتوى الصادرة من الفقيه بعد وفاته، وهل تسري على

المسلمين؟

○ إذا كانت من قبيل الولاية فهي مخصوصة في حياته بناءً على نظرية

ولاية الفقيه، وإذا كانت من قبيل الفتوى وكان الإنسان يرجع لهذا الفقيه في

الفتوى فيمكن الاستمرار عليها مع استمراره على تقليده.

اشتراط الألفية:

□ بعض العلماء يصبح مرجعاً، وهو يشترط في رسالته العلمية التقليد

لألفية، وهو ليس مشهوراً بالألفية بين الناس، فلماذا يجوز للناس أن يقلدوه؟

○ أولاً: ربما يرى نفسه الأعم.

ثانياً: إن التكليف متعلق بالناس، فإنهم إذا اقتنعوا به وفقاً للشروط الشرعية فلهم تقليده، وإذا لم يقتنعوا به فلهم ترك تقليده، وهو لا يفرض عليهم ذلك.

الانفتاح في الفقه:

□ ترد كلمة (الانفتاح) في العديد من المصطلحات السياسية والاقتصادية وغيرها، فما هي دلالتها في الفكر الإسلامي المعاصر؟

○ الانفتاح هو التفكير من خلال طبيعة الأفق الذي تحدده المادة الفقهية أو الانفتاح على الفكر الآخر لتقارن بين المعطيات الموجودة عندك وعند الآخرين.

إجماع الفقهاء:

□ هل أن إجماع الفقهاء على أمر من الأمور العقائدية ملزم للفرد، بحيث يمنعه من تكوين قناعاته الذاتية وفق الأدلة المتوفرة؟

○ إن إجماع الفقهاء على حكم شرعي لا حجة له في نفسه، إلا من حيث إنه كاشف عن قول المعصوم ﷺ وفعله وتقريره، كذلك إجماع الفقهاء على رأي إذا كان الإجماع مرتكزاً على دليل، فالقيمة ليست في إجماعهم، ولكن القيمة للدليل.. فإذا فرضنا أن الدليل كان تاماً، فعلينا أن ننضم إليهم، لا لأنهم أجمعوا على هذا، بل لأن الدليل صحيح، وإذا كان دليلهم غير صحيح، فإن الإجماع لا يكون حجة، والدليل لا يكون حجة.

ونحن نعرف أن كثيراً من الأمور التي ربما صارت موضع إجماع المتأخرين أو مشهورهم في بعض العقائد، لم تكن محل إجماع لدى العلماء المتقدمين من كبار الفقهاء. لذلك فإن قول الفقهاء والمتكلمين ليس حجة في نفسه، فهم ليسوا معصومين، بل إنهم يخطئون ويصيبون. ولكن إذا اعتمدوا في آرائهم على سماعهم ذلك من المعصوم، وثبت عندنا أنهم سمعوا من المعصوم، فرأيهم حجة

علينا، وإذا كانوا قد اعتمدوا على أدلة شرعية أو عقلية، فعلينا ألا نقف أمام إجماعهم، بل علينا أن نستنطق أدلتهم. فإذا كانت أدلتهم تامة فإننا نقبل بها، لأنها تثبت الحق، وإذا كانت غير تامة، فإننا نختلف معهم. وكم خالف المتأخرون المتقدمين فيما قد أجمعوا عليه، أو فيما اشتهر بينهم في الفقه وغيره؟

تقليد الأموات:

□ نحن مجموعة غير قليلة مستمرين على تقليد السيد الخوئي رحمته الله، وفي المستجدات نقلد مرجعاً آخراً فهل يجوز لنا البقاء على ذلك أو تغيير تقليدنا في المستجدات لسماحتكم مع البقاء على تقليد السيد الخوئي رحمته الله؟

○ نعم، يجوز ذلك.

تعطيل الحدود:

□ من المسؤول عن تعطيل الحدود الشرعية في زمن غيبة الحجة عليه السلام؟

○ المسؤول هو كل من يسهم في الفساد والإثم والعدوان (ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمَلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ^(١).

تقليد الفقيه:

□ هل أن تقليد العالم المجتهد يجب أن يكون من قبيل الطاعة العمياء أم بعد مناقشته حيث أنه غير معصوم من الخطأ كما هو معلوم؟

○ الرجوع إلى الفقيه من باب الرجوع إلى أهل الخبرة، كمثّل الطبيب حينما يتبع المريض تعاليمه لأجل الشفاء، وهو أيضاً غير معصوم، ولا مانع من الدخول معه في نقاش حول فتواه إذا كان السائل يملك أدوات القدرة العلمية على مناقشته.

تقليد الأعلام:

□ في حالة تقليد مرجع ثم العدول عنه إلى مرجع آخر وكلاهما يقول بالأعلمية، فهل يجوز العدول عنهما بالتقليد لسماحتكم طالما لا تعتبرون وزناً لموضوع الأعلمية؟

○ في مسألة التقليد لا أرى شرط الأعلمية، حيث لا يوجد في العالم كله من هو الأعلم «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»^(١)، في كافة مجالات الطب والهندسة وبقية الاختصاصات، فالأعلمية فرضية لا واقع لها، فعندنا مثلاً عشرون مرجعاً، فهل هناك من يستطيع التمييز من هو الأعلم، فطالب العلم والمقلد معاً ليس مطلعاً على أبحاث ودراسات جميع المراجع ليميز من هو الأعلم. فمثلاً من يراجع طبيباً معيناً ويشهد أنه الأحسن في اختصاص الطب، فإننا نجد في الوقت نفسه مراجعين آخرين يشهدون لأطباء آخرين بالكفاءة أكثر، وهكذا، فمسألة تقليد الأعلم غير واقعية، فقد ترى البعض في الأصول بينما غيره متميز في الفقه، وربما يكون للبعض دقة أصولية، ولكن ليس لديه ذوق عرفي، فلكل ورده رائحة، وقد قال سبحانه وتعالى: «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»^(٢) ونقول إنه يكفي في المقلد أن يكون مجتهداً عادلاً ممارساً بالتدريس والإفتاء ومواجهة قضايا المجتمع وما يحدث في العالم الإسلامي وما إلى ذلك.

وفي ضوء ذلك، لا مشكلة في الرجوع إلى مجتهد إذا حصل لك الاطمئنان المستقر بكفاءته المرجعية.

(١) يوسف: ٧٦.

(٢) النحل: ٤٣.

ثانياً: النجاسات والطهارات

الاعتسال فوراً:

□ هل يجب على المجنب أن يغتسل فوراً، وهل يستطيع أن يمسك الأشياء

دون تنجيسها؟

○ الجنابة لا توجب تنجيس الجسد إن لم تكن هناك نجاسة عينية لجهة نجاسة المني. كما أن الحيض لا يجعل جسد المرأة نجساً إلا في محل خروج دم الحيض، ولذلك لا يجب عليه الغسل رأساً، لأن الغسل لأجل الصلاة أو ما يتوقف عليه لأجل الطهارة مثل الصوم، كما لو كانت الجنابة قبل الفجر، فلو فرضنا أن شخصاً أجنب ليلاً في غير حالة الصوم، فإنه يستطيع أن يبقى إلى الفجر ليغتسل لأجل صلاة الفجر.

طهارة الماء الملاقى:

□ ما حكم الماء الذي يتطاير من الضم عند طبيب الأسنان مع احتمال أن

يكون معه دم؟

○ إذا كان الفرض مجرد شك فيحكم بطهارة الماء، أما إذا كان مع الماء دم

فهو نجس.

خروج الدم من الجبهة:

□ إذا كان الشخص يصلي وخرج من جبهته دم بقدر بسيط أثناء السجود،

فهل هذا يفسد الصلاة؟

○ إذا كان الدم أقل من مقدار درهم فلا بأس بذلك، مع أخذ العلم بأن لا

ينجس موضع السجود.

مزيل العرق:

□ هل يعتبر مزيل العرق نجساً؟

○ ليس نجساً.

الماء المختلط بالوضوء:

□ في الوضوء هل يجب غلق الصنبور قبل غسل اليد اليسرى حتى لا

يختلط ماء الغسل؟

○ يمكن غلقه بإصبعين والمسح بالأصابع الثلاثة.

الحاجب في الوضوء:

□ إذا كان إزالة الحاجب من مواقع أعضاء الوضوء صعبة كما لو كان صيفاً

أو صمغاً أو غيره، فهل يكفي الوضوء فقط، أم ينبغي التيمم؟

○ في رأينا أنه يكفي الوضوء ويتيمم من باب الاحتياط.

تطهير التراب النجس:

□ هل أن ماء المطر يطهر التراب النجس، وهل يجب أن يصير التراب طيناً

حتى يطهر؟

○ مجرد ملامسة المطر لأي شيء يطهره ما لم يكن هناك نجاسة عينية.

وقوع النجاسة على أعضاء الوضوء:

□ لو وقعت النجاسة أثناء الوضوء على عضو من أعضاء الوضوء بعد

الانتهاء منه والانتقال في الوضوء إلى عضو آخر، فهل يبطل الوضوء؟

○ لا يبطل الوضوء، ولا بد من إعادة تطهير المحل الذي وقعت عليه

النجاسة.

الجلود المستوردة:

- ما حكم الجلود الملبوسة المستوردة من الغرب، هل تنجس لابسها في حالة تعرّقها عند ملامسة البشرة؟
- إذا كان الجلد من حيوان مذكى أو مشكوك التذكية حتى لو كان من الغرب فإن حكمه الطهارة، لأن في الغرب مسلمين أيضاً. أما إذا علم بأنه ليس مذكى فإن حكمه النجاسة فينجس ملاقيه برطوبة.

الاستحمام بعد الغسل الواجب:

- هل يجوز الاستحمام بعد غسل الجنابة مباشرة أو بفترة قصيرة؟
- نعم، يجوز ذلك.

الغبار النجس:

- إذا سقط غبار نجس على الثوب والفرش، فهل تتنجس أم أنها فقط تتنجس بالغبار الكثير؟
- لا ينجسها الغبار الخفيف ولا الكثير إذا لم تكن هناك رطوبة، ولا داعي للوسوسة.

النفس السائلة:

- في المسائل الفقهية مصطلح (النفس السائلة) و (النفس غير السائلة) فما هو المقصود من ذلك؟
- النفس السائلة للحيوان يعني الذي يشخب منه الدم عند الذبح.

شحم الخنزير في الأطعمة:

- تستخدم بعض المطاعم في الدول الأجنبية شحم الخنزير مخلوطاً بالزيت المقلي للبطاطا، فهل يجوز أكل البطاطا؟
- لا يجوز أكل تلك البطاطا المقلية بالزيت المخلوط بشحم الخنزير لأنه

نجس فينجس ما لاقاه .

شحم الخنزير في معجون الأسنان:

□ ما حكم معاجين الأسنان التي تحتوي شحم الخنزير؟

○ الواجب تطهير الفم من استعمال تلك المعاجين لو استعمالها الإنسان، إذ

إن مجرد استعمالها من دون تناولها ليس محرماً.

ثالثاً: الوضوء والصلاة

وجوب صلاة الجمعة:

□ في مناقشة أحد الأخوان حول صلاة الجمعة قال بأنها واجبة فلماذا هي عندكم مستحبة؟ وذكر لي دليلين أولهما من القرآن وثانيهما فعل الرسول، فكيف نجيبه؟

○ إن رأينا أن صلاة الجمعة واجبة، بينما رأي بعض العلماء الموجودين الآن هو الوجوب التخييري، وبعض العلماء يراها حراماً في أيام الغيبة، من ناحية لزوم التشريع، حيث هناك وجهة نظر تقول بأن صلاة الجمعة مشروطة بوجود الإمام العادل وليس فقط المعصوم، يعني بوجود الدولة الإسلامية، والبعض يقول إنها واجبة مطلقاً للإطلاق في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، حتى أنه روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه من ترك ثلاث جمع من غير عذر كان ممن طبع على قلبه بالنفاق. حتى أن أحدهم قال للنبي إني أحب الحج ولكن لا مال لي لأداء الحج فقال له: ((عليك بصلاة الجمعة فإنها حج المساكين)) وإن صلاة الجمعة ليست روتينية، فهي صلاة فيها جانب روحي ثقافي عبادي، وفيها أيضاً جوانب سياسية واجتماعية.

قراءة الحمد في الركعتين الأخيرتين:

□ في الركعتين الثالثة والرابعة في الصلاة الرباعية، هل يجوز قراءة الفاتحة؟

○ المصلي مخير بين الفاتحة والتسبيح.

آذان أهل السنة:

□ هل يجزي آذان أهل السنة للصلاة؟

○ لا يوجد هناك فرق في وقت الأذان بين السنة والشيعة، فمن ناحية صلاة الفجر فإنه عندنا نحن الشيعة أو عند أهل السنة هناك احتياط لجهة عدم إمكانية التأكد من ضوء الفجر عند البزوغ، أما في آذان الظهر فليس هناك فرق، أما في صلاة المغرب فهناك رأيان كما يراه الشيعة بأن الغروب هو غروب الحمرة المشرقية، وهناك رأي آخر كما كان يراه بعض المراجع، وهو رأينا، بأنه لا يوجد فرق بين الشيعة والسنة في أن الغروب هو غروب قرص الشمس وليس الحمرة المشرقية، وربما كان من باب الاحتياط يتم التأخير قليلاً عن الأذان للتأكد من دخول الوقت.

القراءة في الصلاة:

□ هل يجوز القراءة في الصلاة بعد الحمد بآية وليس بسورة كاملة؟

○ المشهور بين العلماء أنه يجب قراءة السورة كاملة، بينما رأينا أنه يجوز الاكتفاء بآية، والأحوط قراءة سورة.

حضور صلاة الجمعة:

□ أنا قريب من مكان إقامة صلاة الجمعة، فهل يجوز لي عدم حضورها؟

○ رأينا أنه يجب حضور صلاة الجمعة عندما تقام بشرائطها الشرعية.

التهاون في الصلاة:

□ في كثير من الأحيان أفيق من النوم ولا أنهض للصلاة، فبم تنصحونني؟

○ لو فرضنا أنك استيقظت من نومك وقيل لك إنك ستعطى مائة دولاراً إذا صليت، فهل تتماهل بالصلاة؟ بل تخشى النوم عندئذ لتلا تخسر المائة دولار،

وقد قال الله تعالى: «ما عندكم ينفذ وما عند الله باق»^(١)، فعلى الإنسان أن يفكر بأن ثواب الله هو أعظم من ثواب الدنيا، فإذا رضي الله عنك فهو يرزقك ويعطيك الصحو والأمن. وعلى كل حال، فإن عدم الصلاة بعد الاستيقاظ يمثل معصية كبيرة.

القضاء عن الميت:

□ هل يجوز القضاء جماعة عن الميت، كما لو كان عليه قضاء عشرة أيام بأن يقضي عنه عشرة أشخاص في يوم واحد؟
○ نعم، يجوز ذلك، لأن الترتيب غير ضروري.

التحميد في التشهد:

□ ورد في استحباب التشهد قول الحمد لله ولم يرد كما هو أهله؟
○ لا نأتي به على أساس استحباب خاص في المورد، بل هو مما دل عليه في موارد أخرى، وهو من توابع الحمد.

كثير السفر:

□ إني سائق وأسافر كثيراً في عمل السواعة، ولذلك فأنا أتم صلاتي خلال سفري للعمل، وكذلك في حالة النزهة، فما هو الحكم؟
○ في رأينا، كما هو رأي السيد محسن الحكيم رحمته الله وعلماء آخرين، أن الإنسان إذا كان كثير السفر فعليه أن يصلي تماماً كما هي وظيفة من كان عمله السفر.

السفر لغير العمل:

□ إني موظف في شركة المسافة بينها وبين بيتي ضمن المسافة الشرعية وأسافر لها أربع أو خمس مرات في الأسبوع، ولذلك أتم الصلاة أحياناً أذهب

للنزهة أو لزيارة صديق (لغير العمل)؟

○ من كان كثير السفر فإن عليه أن يتم صلاته في جميع أسفاره .

تقدم وتأخر صلاة الجمعة:

□ إذا أقيمت أكثر من صلاة الجمعة في مكان واحد قلتم إنها باطلة إلا

الأولى فما هو المقصود بذلك؟

○ يعني بالأولى هي الصلاة التي يتم فيها التكبير أولاً، ويجب أن تكون

المسافة بين مكان صلاة الجمعة وأخرى ٥٢٠٠م، فإذا كانت الأخرى قريبة بما دون المسافة شرعاً فتكون الصلاة المتأخرة في التكبير باطلة .

الصلاة سوريا:

□ هل يعتبر تعمّد الصلاة أو القيام بالعبادات أمام الكافر رياءً، مع العلم أن

القصد هو إثارة فضول ذلك الشخص أو بهدف الحوار معه؟

○ إن ذلك لا يعتبر رياءً، فالرياء هو أن تصلي أو تصوم لكي يمدحك الناس

على ذلك، أما أنك تقوم بها لأجل أن يخشع الإنسان المقابل أو بهدف المحاوره معه فذلك ليس رياءً .

حكم الوسواس:

□ زوجي مخلص في حياته الزوجية معي، ومنذ بدأ الصلاة أخذ الوسواس

يلاحقه بالوضوء وبالصلاة والبيت ويؤثر على حياته معي بعصبيته؟

○ نطلب من الأخت أن تراجع زوجها عالماً دينياً أو بعض الأخوان ليحلّوا له

هذه المشكلة من الناحية الشرعية، لأن الوسواس مرض شيطاني، وقد نقل عن

الإمام الصادق عليه السلام أن رجلاً جاءه مبتلى بالوضوء والصلاة، فوصفه أنه يعبد

الشيطان لأنه يطيع الشيطان، فالمرض النفسي ناشئ من عدم فهم الفقه

الإسلامي والتكليف الشرعي، وذلك يحتاج إلى شخص يملك الحكمة والأسلوب

والوعي حتى يعالجه كما يعالج أي مريض .

تنبيه الأبناء على الصلاة:

□ ما هي نصيحتكم للأبناء والأمهات إذا كان الأبناء يتماهلون في أداء

الصلاة في أوقاتها؟

○ «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»^(١) لابد من المحاولة

معهم بالإقناع والترغيب بدلاً من أسلوب التعقيد.

حدود البلد:

□ الذي يسكن في دمشق وأراد السفر، فهل يبدأ المسافة من آخر البيت أم

من آخر المدينة؟

○ يبدأ في حساب المسافة من آخر المدينة إلى أول المدينة الأخرى.

شرط المسافة في بناء المساجد:

□ هل يمكن تطبيق شرط المسافة في صلاة الجماعة كما في صلاة الجمعة

حتى يكون بناء المسجد غير محصور في منطقة واحدة، بينما تشكو بقية المناطق

والمدن قلة المساجد وقلة أئمة الجماعة أو وكلاء المرجعية؟

○ لابد أن يكون في كل بلد مكان للصلاة ومكان للاجتماعات العامة، وعلى

المسلمين أن يتعاونوا على ذلك. وما ذكر من شرط المسافة فهو مختص بصلاة

الجمعة.

الصلاة خلف إمام مجهول:

□ أنا طالب في كلية الطب، وهناك بعض المحاضرات تكون متعارضة مع

وقت الصلاة، ما يؤدي إلى تأخير أداء صلاة الظهر والعصر حتى الساعة الخامسة

عصراً، وتوجد في الكلية صلاة جماعة قائمة ومن غير المذهب، فما حكم الصلاة

معهم؟

○ صلّ جماعة حتى مع الذين لا يتفقون معك في المذهب وتقرأ بنفسك وتسجد بما يصحُّ السجود عليه.

معرفة إمام الجماعة:

□ في صلاة الجماعة، هل يجب على المأموم معرفة الإمام معرفة دقيقة أم يكفي المعرفة الإجمالية كما لو دخل المأموم صلاة المسجد وهو يرى كثرة جمهور المصلين خلف الإمام؟

○ إذا كان وجود الكثير من المصلين خلف الإمام يقنع بعدالة الإمام فليس من الضروري أن يعرفه معرفة دقيقة.

حضور صلاة الجمعة:

□ بالنسبة لصلاة الجمعة والجماعة، إذا لم توجد في مدينة معينة أو لأسباب معينة ولم يقيم المؤمن بأدائها فهل يتوجب الإثم عليه؟

○ إذا لم تكن صلاة الجمعة قائمة بشروطها الفعلية فعلى المكلف أن يصلي الظهر ولا إثم عليه.

وجوب القضاء:

□ عند إخواننا أبناء العامة، أن من يريد البدء بالصلاة والالتزام مهما كان عمره فإن عليه فقط أن يلتزم من تاريخ توبته دون قضاء ما فاتته، فهل يوجد عندنا مرجع لا يشترط القضاء؟

○ عندنا لا بد من قضاء الصلاة التي فاتته بعد البلوغ. وما نسيه السائل إلى أهل السنة فيه تأمل، لأنهم يختلفون في مسألة القضاء ويطلب ذلك من محله.

الالتزام في شهر رمضان:

□ هناك من يلتزم بالصلاة والصوم في شهر رمضان فقط، فما هو

توجيهكم لهم وهل تنطبق عليهم آيات المنافقين؟

○ إنهم عصاة وليسوا منافقين. فنسألهم لماذا تصلون وتصومون فقط في شهر رمضان؟ أليس من أجل رضا الله والامثال لأوامره؟ ونحن نعرف أن الصوم في شهر رمضان هو الصوم الصغير الذي أريد منه أن يكون مقدمة للصوم الكبير، لأن الله فرض علينا الصوم الكبير، وهو أن نصوم عن فعل المحرمات وترك الواجبات، وذلك ليس له وقت محدد في ليل أو نهار، وفي شهر من السنة دون آخر. وقد فرض علينا الصيام عن الطعام والشراب في شهر رمضان (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١) فهو - أي الصوم - مقدمة للتقوى، والتقوى هي أن لا يجذك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك، ولذا ورد في الحديث ((رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهرة)) فالصيام هو أن تصوم من خلال عمق ذاتك وفطرتك وخوفك من ربك وحبك له.

المسح في الوضوء على الباروكة:

□ شخص يلبس باروكة على رأسه يواجه صعوبة في مسح الرأس في الوضوء أو غسل الجنبات، لأن الباروكة مادة لاصقة على الرأس لمدة خمسين يوماً، وهناك صعوبة في نزعها، فما هو العمل في حالة الوضوء أو الغسل؟

○ لا يجوز المسح على الباروكة بل يجب المسح على الرأس، لأن الباروكة مثل الطربوش خارج الرأس، وإذا كان المكلف لا يستطيع الوضوء في حالة الباروكة اللاصقة فعليه التيمم بدل الوضوء.

صلاة التراويح:

□ لماذا لا نصلي التراويح مثل أبناء الجماعة؟

○ صلاة التراويح موجودة عند الشيعة، ولكنها تسمى النوافل لا التراويح،

وهم - أي أبناء السُّنة - يؤدونها جماعةً ونحن نصليها فرادى، لأن صلاة الجماعة في النوافل حسب مذهب الإمامية مختصة بالفرائض فلا تشرع.

وجوب صلاة الجمعة:

□ لماذا يختلف العلماء في وجوب إقامة صلاة الجمعة مع أن النص القرآني صريح في إقامتها؟

○ الكثير من العلماء يقولون إن صلاة الجمعة واجبة عند توفر شروطها، ومنها وجود الإمام العادل (حضوره فعلاً)، والبعض الآخر يخير بين صلاة الظهر والجمعة، ورأينا هو وجوب إقامة صلاة الجمعة عيناً تعييناً، كما نص القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فكان الاهتمام كبيراً في القرآن بإقامة صلاة الجمعة.

لبس الحذاء في الصلاة:

□ رأيت فتاة تصلي وهي مرتدية الحذاء فنصحتها بعدم جواز ذلك ولم تستجب ولم ينفع معها جميع المحاولات، فما هو الحل؟

○ من الناحية الأدبية الأفضل خلع الحذاء في حالة الصلاة لقدسيته، وكما في قوله تعالى لموسى ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٢) مع عدم المقارنة بذلك. ولكن من الناحية الفقهية، إذا كان الحذاء مما يجوز لبسه في الصلاة ولا يمنع من كيفية السجود فيجوز لبسه في الصلاة.

الصلاة عن الهرم:

□ هل تجب الصلاة عن الكبير الذي لا يعي ما يفعل؟
○ لا تجب الصلاة عنه، لأنه لا يعتبر مكلفاً في حال فقدان الوعي.

(١) الجمعة: ٩.

(٢) طه: ١٢.

تقديم الإفطار على الصلاة:

- في شهر رمضان، هل يجوز تقديم الإفطار على الصلاة؟
 ○ تقديم الصلاة على الإفطار للمكلف أمر مستحب وليس واجباً، وعلى أية حال، إذا نازعته بطنه بالإفطار فعليه أن يقدم الإفطار على الصلاة، حتى لا تشغله بطنه عن التوجه إلى الصلاة.

اللحن في القراءة:

- عندي أخطاء بالقراءة في الصلاة، وفي الأيام التي بدأت فيها تصحيح القراءة أنسى أحياناً وأقرأ خطأ، فهل أعيد الصلاة في كل مرة أخطأت فيها؟
 ○ إذا سهوت فعليك بسجدة السهو في حالة الخطأ بالقراءة أحياناً.

خطبة صلاة العيد:

- بالنسبة لتقديم الخطبة على صلاة الجماعة التي خالف فيها بنو أمية السنة إذ كانت الصلاة عندهم تقام قبل الخطبة، فكيف يجري اليوم تقديم الخطبة على الصلاة؟

- لقد ورد عندنا تقديم الخطبتين على الصلاة في صلاة الجمعة، بينما في صلاة العيد تقديم الصلاة على الخطبتين، كما في الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ)^(١)، فيعني هنا ذكر الله هو الخطبة قبل صلاة الجمعة.

الجهل بالقبلة:

- أحد مقلديكم نزل بمسكن جديد ولم يعرف اتجاه القبلة وكان يصلي منحرفاً يمين القبلة، فهل يعيد صلاته؟
 ○ نعم، يعيد الصلاة.

السفر عبر طريق مختصرة:

- كنت أسافر بين مدينتين وأقصر في الصلاة حسب المسافة الشرعية، ثم اكتشفت طريقاً آخر أقصر من تلك المسافة، فما حكم الصلاة السابقة؟
- المهم هو طول المسافة، فإذا سلكت المسافة الأبعد فتكون الصلاة قصراً، أما إذا سلكت المسافة الأقرب فتكون الصلاة تماماً.

وجوب صلاة الجمعة على النساء:

- هل أن صلاة الجمعة واجبة الحضور عينياً على النساء؟
- لا تجب على النساء صلاة الجمعة، وإن كان يصح منهن الصلاة وتغني عن الظهر لو أنهن حضرن صلاة الجمعة.

السفر الكثير:

- أعمل وأقيم في مدينة تبعد عن أهلي مسافة ٢٠٠ كم، وأزورهم مرة واحدة في الشهر وليوم واحد، فما حكم صيامي في ذلك اليوم من شهر رمضان، هل أفطر أم أبقى صائماً، وما حكم الصلاة في ذلك اليوم، هل تكون تامة أم قصراً؟
- خلال السفر تصلّيها قصراً، ولكن في المدينة التي تقيم فيها أو في المدينة التي يقيم فيها أهلك تكون صلاتك تامة، وكذلك بالنسبة للصيام من يوم السفر عليك أن تفطر.

الصلاة قضاء قبل الأداء:

- هل يجوز أن نصلي صلاة الظهر أو العصر بعد غروب الشمس مباشرة أو في أثنائه قبل أن نصلي المغرب؟
- لا يجوز ذلك، لأن الصلاة في تلك الحالة تكون قضاءً، لأن الغروب الذي يدخل فيه وقت صلاة المغرب وينتهي به وقت صلاة الظهر هو غروب قرص الشمس.

الدعاء للصلاة:

- متى نقول دعاء التوجه ((وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً))؟ هل نقوله قبل تكبيرة الإحرام أم بعدها؟
- قبل تكبيرة الإحرام.

الأذان والإقامة لصلاة القضاء:

- هل يتوجب الأذان والإقامة لصلاة القضاء؟
- إن الأذان والإقامة من الآداب المستحبة التي يُؤتى بها قبل الصلاة ويتأكد استحباب الإتيان بالإقامة أكثر من الأذان، ولذا، يجوز للمصلي الصلاة بدونهما.

الفاتحة والتوحيد في موضع السبحانيات:

- أحياناً أجدني أكملت سورتي الفاتحة والتوحيد في موضع السبحانيات في الركعة الثالثة أو الرابعة وأركع، فهل هذا صحيح، وهل يستوجب ذلك سجود السهو؟
- يصح ذلك ولا موجب لسجدي السهو ما دامت الزيادة من نوع الذكر لله تعالى، خاصة وأنها من القرآن الكريم.

تقديم القضاء على الفريضة:

- هل يجوز تقديم صلاة القضاء على الواجب؟
- أداء الصلاة الواجبة يكون في وقتها وقبل أداء صلاة القضاء، ويجوز تقديم القضاء إذا لم يلزم منه تفويت الصلاة الواجبة، ولكن تفويت وقت فضيلة فريضة واجبة أمر خلاف الاستحباب.

القضاء من جلوس:

- هل يجوز قضاء الصلاة في حالة الجلوس؟

○ إذا كان متمكناً من أداء الصلاة في حالة القيام، فلا يجوز قضاؤها جلوساً، ويؤجل القضاء حتى ارتفاع العذر.

شروط الجماعة للنساء:

□ هل يشترط في صلاة الجماعة للنساء الاتصال بصلاة جماعة الرجال؟

○ تصح الصلاة مع وجود حاجز بين الرجال والنساء مع لحاظ الاتصال بينهما في غير ذلك.

رابعاً: الصيام والكفارات

ثبوت الهلال:

□ أنتم المرجع الشيعي الوحيد الذي أعلن أن يوم الخميس ٢٠٠٢/١٢/٥ م هو أول أيام العيد وقبل أسبوع من تاريخه، فما هي الأسس التي تعتمدونها لرؤية الهلال؟ وإلى متى يبقى هذا الاختلاف بين المسلمين عند الاستهلال؟

ج: إن رأيي في الهلال، كما هو رأي السيد الخوئي رحمته الله في أبحاثه العلمية، حيث يقول إن الهلال ظاهرة كونية «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(١). فمثلاً يحصل وقت اليوم والليل، فكذاك الشهر، والشهر ينتهي بدخول القمر المحاق، إذ للقمر منطقة مضيئة وأخرى مظلمة، فعندما يقابل المنطقة المظلمة الأرض عند ذلك يدخل في المحاق، وعندما تبدأ المنطقة المضيئة من القمر (النصف الثاني) فمعناه بدأ الشهر. فالشهر ينتهي بدخول القمر في المحاق، ويبدأ الشهر الثاني بخروج القمر من المحاق يعني عندما يبدأ بانجلاء المنطقة المضيئة في القمر تدريجياً «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»^(٢). ففي البداية يكون مثل الخيط، ثم تبدأ المنطقة المضيئة بالتدرج إلى أن يصبح بديراً. فكيف نعرف أن القمر خرج من المحاق ونعرف عندئذٍ بداية الشهر؟ فهناك وسيلة الرؤية، وهي ليست الوسيلة الوحيدة، بل إحدى وسائل المعرفة، فمثلاً يقال لك إذا رأيت فلاناً أخبرني، فأنت إذا لم تشاهده بل اتصل بك تليفونياً فلا بد لك من إخباره بوجوده، لأن المقصود إذا عرفت بوجوده في البلد، فكذاك في الحديث: ((صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته)) يعني إذا عرفت بوجود القمر بأية وسيلة كانت، وعلى المسلمين التيقن بذلك والالتزام ببداية شهر الصيام ونهايته. ولو فرضنا وجود غيوم لا تمكّننا من

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) يس: ٣٩.

رؤية الهلال وأكملنا صيام ثلاثين يره^١، فهل نفطر أم لا بحجة عدم رؤية الهلال، طبعاً لا يجوز ذلك، فلا يمكن أن يكون الشهر العربي أكثر من ثلاثين يوماً.

فالآن علماء الفلك هم المسؤولون عن مسألة الاستهلال، وذلك بسبب التطور الكبير الذي أمكن معه رصد القمر في كل لحظة، وبذلك يمكن أن يقوم الفلكيون باكتشاف ذلك في هذا المجال. ونحن نتذكر مسألة الكسوف الكلي الذي حدث مؤخراً، فمنذ مدة طويلة كان علماء الفلك يقولون بوقت حدوثه، وكذلك هذا العام قالوا سيكون الكسوف في أستراليا يوم الأربعاء. فالحسابات الفلكية التي يصعدون فيها إلى القمر، والتي يحددون بها مسار المركبة الفضائية للوصول إلى المريخ في الوقت الفلاني (بعد سنة أو سنتين)، إذ بلغت الحسابات الفلكية من الدقة بحيث إنه منذ مائة سنة لم يحدث خطأ واحد.

فرائنا كما هو رأي السيد الخوئي، بأنه يمكن من خلال علماء الفلك المختصين إثبات أن الهلال سيولد في الوقت الفلاني، وأن فيه كمية من الضوء بحيث يمكن رؤيته في أي بلد نلتقي معه بجزء من الليل، وقد يتحقق فيثبت عندنا الهلال حتى لو لم نشاهده بالعين المجردة. وقد اتصلت منذ أسبوعين بعدة فلكيين في الكويت وكندا، وحتى من خلال صفحات الإنترنت، اطلعنا على أنه يشاهد في بعض جزر المحيط الهادي التي نتصل معها بجزء من الليل، فأعلنّا في (ندوة السبت) الماضية أن العيد هو يوم الخميس.

وفي رأيي أن الزمن تجاوز مسألة الاختلاف على رؤية الهلال، وأن علينا الرجوع إلى علماء الفلك في ذلك، لأن مسألة بداية الشهر ونهايته كمسألة بداية اليوم ونهايته، وليست من مسؤولية الفقهاء، فهي أمور كونية في تحديد أوقات الفصول والأيام. ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(١)، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾^(٢)، ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾. لذلك نعتقد قطعاً أن العيد كان يوم الخميس، وأن الناس

(١) القمر: ٤٩.

(٢) الطلاق: ٣.

التي صامت يوم الخميس كان صياماً ليوم العيد من وجهة نظرنا، وتقع مسؤولية ذلك على اختلاف مراجع التقليد حول الموضوع، ولكل واحد عذره في اجتهاده أو تقليده إن شاء الله.

التخلف عن صيام النذر:

□ نذرت الصيام ١٠ أيام متتالية، وعندما بدأت الصيام اضطررت لقطعه لأمر هام جداً، فما هو الحكم من الناحية الشرعية؟
○ إذا كانت الحالة اضطرارية فلا بأس عليك، أما إذا كانت غير اضطرارية فتدفع الكفارة.

الإفطار العمدى:

□ لقد أفطرت في شهر رمضان العام الماضي، فكيف أكفر عن ذلك، وكان السبب هو سوء حالتي النفسية؟
○ عليك أن تقضي وتكفر عن نفسك، أي تدفع عن كل يوم إطعام ستين مسكينا أو تصوم شهرين متتابعين.

زكاة الفطرة:

□ وضع مؤمن فطرة شهر رمضان عنده ولم يتصرف بها، فما هو حكم ذلك؟
○ الأحوط أن يدفع الفطرة لمن يستحقها مطلقاً ولو بعد حين إن لم يكن بمنطقته فقراء.

الإفطار على محرم:

□ ما هو حكم من أفطر في شهر رمضان بشيء حرام يوماً واحداً وهو لا يعلم بحرمة؟
○ رأينا أنه لا فرق بين الإفطار على الحلال والإفطار على الحرام في نوع

الكفارة، ولذلك لا تجب إلا كفارة واحدة، وإن كان المعروف عند كثير من العلماء أنه لا بد من الجمع بين صيام شهرين متتابعين وإطعام ستين مسكيناً.

صيام المرضعة:

□ إنني ولدت في شهر رمضان وأرضع طفلي فهل يجوز لي الصوم؟
○ إذا كان الصوم مضراً بك أو بالطفل بحيث يتضرر في حالة عدم الإرضاع ولا يوجد شيء يغذيه إلا منك فيجوز لك الإفطار وربما لا يجوز لك الصوم.

الصيام قضاء في السفر:

□ المعروف بين الفقهاء وكذلك عندكم، أنه في حالة السفر يجوز الصلاة قضاءً تماماً وقصراً، فهل يجوز قضاء الصيام أيضاً في حالة السفر؟
○ لا يجوز قضاء الصوم في السفر، لأنه لا يجوز الصوم فيه، إلا إذا نذر صوم الاستحباب في السفر، فإنه يجوز قضاءً وأداءً.

الصوم وتقدم العمر:

□ هل يسقط تكليف الصوم عند تقدم المكلف بالعمر، وما حدود ذلك؟
○ إذا كان الصوم حرجياً عليه وفيه مشقة لا يتحملها أمثاله فيسقط عنه.

فدية الصوم:

□ هل يستطيع المريض أن يستمر في إعطاء فدية الصوم في حال كونه متمكناً؟
○ إذا كان متمكناً فيعطى عن كل يوم ثلاثة أرباع الكيلو من الرز أو الطحين.

التدخين في شهر رمضان:

□ بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك، فهل من توجيه لبعض الناس

المقلدين لمن يفتي بجواز التدخين في نهار شهر الصيام وضرورة أن يستغل المدخنون هذا الشهر للإقلاع عن التدخين نهائياً لأجل الصحة العامة وحماية البيئة من التلوث؟

○ نقول إن التدخين حرام في كل السنة وليس فقط في شهر رمضان المبارك، لأن التدخين مضر والإضرار بالنفس حرام، وهو يؤدي إلى التهلكة ولو بعد حين، وهذا بإجماع كل أطباء العالم، وقد قال الله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا»^(١) فالدخان ضرره أكثر من نفعه، ومن يدخن في شهر رمضان فهو يرتكب جريمتين، جريمة في ضرر نفسه، وجريمة في هتك حرمة شهر رمضان.

الإفطار للمريض:

□ زوجتي مصابة بقرحة معدية، ومنذ ذلك الحين أوصاها الطبيب بعدم إفراغ المعدة من الطعام، فهل يجوز لها الإفطار في شهر رمضان؟

○ يحرم عليها الصوم، ففي حالتها يكون الإفطار طاعة والصوم معصية.

صوم البنت الصغيرة:

□ بنت عمرها تسع سنوات، هل يجب عليها الصيام ولم يظهر عليها علامات البلوغ؟

○ على الأحوط وجوباً أن البنت تبلغ عند إكمالها تسع سنوات هجرية، فإذا كانت ضعيفة ولا تستطيع الصيام فلا يجب عليها.

الصوم في النفاس:

□ مضى على نفاس إحدى الأخوات عشرة أيام، ومضى عليها يومان من طهرها، وبعد يومين رأت دمًا ولكنه ليس بصفة دم النفاس أو الحيض، بل بصفة

دم الاستحاضة، ولكن موعد عاداتها في تلك الأيام، وقد عملت بأحكام دم الاستحاضة، ودخل شهر رمضان وهي على هذه الحالة، فهل صلاتها وصومها صحيحان؟ وهل عليها قضاء الصلاة بعد تمام الطهارة؟
() يعتبر حكمها في هذه الحالة الاستحاضة.

الإفطار بسبب الصداع:

□ امرأة تصيبها نوبة شقيقة عند الجوع أو الحر، وقد نصحتها الطبيب بعدم الصوم فما هو الرأي؟
() يجوز لها الإفطار إذا كان الصوم يضرها ضرراً فوق العادة، وعندئذٍ يحرم عليها الصوم.

كثير السفر:

□ أسافر بسهولة من حمص إلى دمشق (١٦٠ كم) لمدة أقل من عشرة أيام متقطعات خلال شهر رمضان، فما هو الواجب في هذه الحالة؟
() إذا كان المكلف كثير السفر فإنه يتم صلاته، أما إذا كان سفره صدفة أو غير متكرر فيفطر ويقصر في الصلاة.

الاغتسال للصوم:

□ هل يجب على الذي يحتلم في شهر رمضان بعد صلاة الفجر أن يغتسل ويبقى على صيامه ولا قضاء عليه أم يصوم يومه ثم يقضيه بعد شهر رمضان؟
() كلا، عليه أن يغتسل ويبقى على صيامه، لأن الإماء المتعمد في نهار شهر رمضان هو المفطر وهو المحرم، أما الاحتلام فلا يوجب الإفطار.

قضاء الصوم الفائت:

□ هل يجب قضاء ما فات من الصوم منذ البلوغ ولعدة سنوات؟
() نعم، يجب على المكلف كما هو مفروض القضاء بالتدريج مع دفع

الكفارة، وهي إطعام ستين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين، وبالتدرج أيضاً عن السنوات السابقة.

إفطار المرأة الحامل:

- هل يجوز للمرأة الحامل الإفطار في شهر رمضان إذا كان الصوم يضرها أو فيه ضرر على الجنين؟
- لا يجوز لها الصوم، ويجب عليها الإفطار في مفروض السؤال.

فطرة شوال:

- كم هي فطرة شهر رمضان هذه السنة؟ وهل يمكن للمقيم في سوريا أن يطلب من أهله في العراق أن يدفعوا له الفطرة بدلاً عنه؟
- الأحوط وجوباً في الفطرة أن تصرف في البلد الذي يقيم فيه الإنسان إذا كان فيه فقراء، ولا يجوز إرسالها إلى البلد آخر، ومقدارها ثلاثة كيلو غرامات من التمر أو الحنطة وحسب أسعار البلد.

زرق الإبر في رمضان:

- هل تفطر الإبرة التي تزرق في الوريد إذا كانت مادتها مغذية؟
- إذا كانت الإبرة بالمصل مغذية للجسم بحيث كانت التغذية الرئيسة بواسطتها فتعتبر مفطرة، وإلا فلا تفطر حتى لو كان فيها بعض العناصر المغذية الدوائية.

ارتكاب المحرم أثناء الإفطار:

- سافرت في رمضان وقطعت المسافة الشرعية وفي ذلك اليوم ارتكبت محرماً فهل يجب علي الكفارة أم القضاء فقط؟
- عليك القضاء فقط لأنك لم تكن صائماً.

السفر في رمضان:

□ سافرت بمهمة لصالح الشركة من دمشق إلى مدينة تبعد ٨٠ كم ورجعت بنفس اليوم خلال الدوام الرسمي وبقيت على صيامي، فهل كان عليّ الإفطار والقضاء؟

○ إذا رجعت قبل الزوال (الظهر) فيمكنك تجديد نية الصوم، وإلا فعليك الإفطار والقضاء إلا إذا كان عملك يقتضي السفر باستمرار.

الصوم مع الاحتلام:

□ ما حكم صيام الشخص الذي احتلم بعد أذان الفجر ولم يغتسل إلى ما بعد أذان الظهر أو أذان المغرب؟

○ صومه صحيح ولكن عليه الغسل من أجل الصلاة. ولذلك فإنه يَأْثُم لتأخيره الغسل إلى ما بعد المغرب، لأنه يؤدي إلى ترك الصلاة أو بطلانها.

خامساً: الخمس والزكاة

دفع الخمس:

□ اهلنا في العراق يملكون بيتاً يسكنون فيه وسيارة يتنقلون بها، وهم محتاجون جداً للنقود، فهل يجوز دفع الخمس لهم؟

○ إذا كانوا لا يملكون قوت سنتهم فيجوز دفع الخمس لهم، إلا إذا كانوا لا يحتاجون إلى السيارة مثلاً وأمكن الاستغناء عنها، وقد أجزنا دفع الخمس للمحتاجين في العراق بمقدار النصف، ولكن هناك احتياطاً وجوبياً في عدم دفع الخمس للأصول والفروع، يعني الأب والأم والأولاد.

تخميس القرض:

□ هل يجب أن أخمس قرضاً من الدولة لتسهيل الدراسة؟

○ لا خمس في القرض، بل في الأرباح والمكاسب.

تخميس الذهب:

□ عندي قطعة ذهب سعرها ١٤.٥٠٠، ومنذ سنتين لم ألبسها سوى أربع أو خمس مرات، فهل عليها خمس؟

○ إذا كانت لا تزال تشكّل حاجة ولو بهذا الشكل فلا خمس عليها.

الإنفاق بدون نية الخمس:

□ أنا أنفق أكثر من خمس مالي، ولكن جميعه لغير السادة، فهل يجزي، وهل أستطيع أن أحاسب مقدار ما صرفت بموضع سهم السادة فيصبح مجموع المصروف مدفوعاً عن المبلغ؟

○ نصف الخمس للفقراء السادة، ولذلك يجب دفعه لفقراء السادة.

تخميس مال من الخمس:

□ أنا من مقلديكم، وقد استلمت مبلغاً من المال كحق شرعي (خمس)، فإذا

بقي سنة عندي ولم أستعمله أو بقي شيء منه فهل يجب فيه الخمس؟

○ إذا فرضنا أنه بقي إلى السنة الأخرى، فإنه يجب الخمس فيه إذا أخذه

على نحو التملك. وللتفصيل يرجع فيه إلى كتابنا (فقه الشريعة).

سهم السادة:

□ هناك مقولة تقول بأن سهم السادة مخصص فقط للسادة المعممين؟

○ لا يختص بالسادة المعممين، بل قد يكون منهم سادة معممون فقراء وقد

لا يكونون كذلك، ويعطى السهم للفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافاً، الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

تسلم الحق الشرعي:

□ أعطاني أحد الأشخاص مبلغاً من المال خمساً، وإنني غير محتاج إليه،

فهل تكليفي الشرعي إعلامه بالحال أو أنه يحق لي التصرف فيه؟

○ لا يحق لك التصرف بذلك المال، بل عليك أن ترجعه إلى الحاكم

الشرعي، لأنك غير مستحق، كما لو قال لك أحدهم إن لك ديناً عليّ فخذ دينك وأنت تعرف أنه ليس لك دين عليه، فهل يجوز لك أخذ هذا المال مع علمك بفراغ ذمته تجاهك. وكذلك الأمر في المقام.

إخراج الخمس لأول مرة:

□ من يريد أن يخمس لأول مرة، فهل يخمس كل ما يملك من مال حتى لو

لم يكن المال قد حصل عليه بطريقة العمل؟

○ ما كان من المؤونة أو ما اشتراه أثناء السنة أو ما ورثه فلا يخمسه، وأما

الشيء الذي مرت عليه السنة فيجب عليه التخمس.

الخمسة للأقارب:

□ ومن أراد أن يخرج الخمس، وأهله وإخوانه كانوا بحاجة ماسة للمال، فهل يعطيهم من ذلك المال بما فيهم الأب والأم؟

○ الأب والأم يجب الإنفاق عليهم من مال المكلف الخاص وليس من الخمس، لأنهما واجبا النفقة، أما بالنسبة للأخوة والأعمام والأخوال وأبنائهم، فإذا كانوا من مصاريف الخمس فيمكن دفعه وصرفه فيهم ((الأقربون أولى بالمعروف)).

إعطاء الخمس لعوائل المظلومين:

□ هل يجوز إعطاء الخمس إلى عوائل المعتقلين والشهداء في العراق، ما هو حكم حق الإمام؟

○ لقد رخصنا لمقلدنا بأن يصرفوا نصف الخمس في مثل هذه الموارد ويوصلوا لنا النصف الآخر، فإذا صرفوا سهم السادة أوصلوا سهم الإمام ﷺ، وإذا صرفوا سهم الإمام ﷺ أوصلوا سهم السادة.

وجوب الخمس:

□ هل الخمس يعطى مرة واحدة بالسنة أم لكل وارد أو محصول؟

○ يعطى الخمس مرة واحدة بالسنة في ما زاد عن المؤونة. .

دفع الخمس قبل أوانه:

□ هل يجوز لي دفع الخمس قبل أوانه أو أدفعه بعده بأشهر؟

○ يجوز للإنسان أن يدفع الخمس متى ما حصل له الربح، ولكن رفقاً بالإنسان، فإن الله سبحانه وتعالى أخر دفع الخمس إلى آخر السنة، لاحتمال الحاجة للصرف والمؤونة المعاشية قبل حلول السنة.

خمس الدار:

- شخص حصل على المال من خلال عمله، فاشترى به داراً خلال سنته، فهل يفرض عليه الخمس بحلول رأس السنة، علماً بأنه يملك داراً أخرى للسكن؟
○ إذا كانت له دار أخرى فعليه أن يخمس قيمة الدار المشتراة.

خمس أرض مشتراة:

- اشتريت قطعة أرض ولم ابنيها وسوّرتها ثم سافرت وعدت بعد ثلاث سنوات وقمت ببيعها، فهل عليها الخمس؟
○ نعم عليها خمس، لأنها ليست من مؤونتك السنوية.

زكاة الفطرة:

- هل تجوز زكاة الفطرة على المؤمن الذي لا يملك قوت سنته؟
○ نعم، يجوز دفع زكاة الفطرة للمؤمن الذي لا يملك قوت سنته.

مصرف الصدقة:

- هل الصدقة تحل على كل سائل أم أن هناك من لا يستحقها، ومن هو المستحق؟

○ حسب الآية الكريمة، فإن الصدقة للفقراء الذين لا يملكون قوت سنتهم لا فعلاً ولا بالقوة (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِتْحَافًا)^(١).

الخمس في أرض:

- شخص اشترى قطعة أرض بمرتبته الشهري منذ زمن ثم قام باستعمالها

للزراعة وتم تأجيرها سنوياً لشخص يزرعها فلم تسدّ الحاجة السنوية، ثم باع تلك الأرض الزراعية لغرض الحج، فهل يجب الخمس فيها؟
 ○ نعم يجب فيها الخمس.

شراء منزل على مدى سنوات:

□ هل يجوز دفع الخمس في المال الذي يجمعه الشخص لسنوات من أجل شراء منزل؟
 ○ كل مال تدور عليه سنة كاملة فيكون عليه الخمس.

رأس السنة:

□ بعث أحد الأصدقاء مبلغاً لشخص ولم يسجل تاريخ استلامه، وصُرف المبلغ بعد رأس السنة التي استحقَّ عندها الخمس، ولم يعرف هل المبلغ هدية أم هو قرض، فما حكم ذلك المال؟
 ○ إذا كان المبلغ قرضاً فلا يجب فيه الخمس، أما إذا كان هدية فعليه الخمس.

الخمس في القربات:

□ لو أني أوصيت لولدي بمؤنة يومه طيلة حياته وما تبقى تكون لخدمة أهل البيت ﷺ، فهل يجب فيها الخمس؟
 ○ وصيتي أن لا توصوا بمثل تلك الوصايا لأنها متعبة للأولاد، وإذا كانت على سبيل الوقف لخدمة أهل البيت ﷺ فليس عليها خمس.

تخميس الهدايا:

□ هل على رأيكم أن الهدية تخمّس إذا مر عليها سنة، فإذا كان الجواب إيجابياً فماذا نفعل إذا كانت عندنا منذ ثلاث سنوات؟
 ○ على رأينا أن الهدية تُخمّس، ولا يجب فيها إلا خمسٌ واحد.

المصاحبة بخصوص الحقوق الشرعية:

□ ما هي كيفية المصاحبة لمن كان مدة من الزمن لا يخمس ومع من يخمس؟

○ تتم المصاحبة مع الحاكم الشرعي أو من ينوب عنه بالنسبة إلى الأموال التي لا يعلم الخمس فيها أو يحتمل الخمس فيها ولا يمكن التعرف عليها الآن.

الخمس في الكتب:

□ هل الكتب يجب فيها الخمس، وإذا كان كذلك، فهل يشمل طلاب العلوم الدينية؟

○ إذا كانت الكتب في معرض الحاجة الفعلية أو القريبة أو كان مما جرت العادة بشرائها في هذا الوقت لعدم التمكن من شرائها في المستقبل مع الحاجة إليها في ذلك الوقت فلا خمس فيها . . أما إذا كان يمكن شراؤها في المستقبل في وقت الحاجة وليست في مورد الحاجة الفعلية الآن فلا بد فيها من الخمس.

الفوائد على الأخماس:

□ هل يجوز لمن يجمع الأخماس الاستفادة من فوائد هذه الأموال لصرفها في بعض الأمور؟

○ الفوائد الربوية حرام، لا يجوز أخذها بهذا العنوان، وهي إنما تكون كذلك إذا كان الإيداع مشروطاً بأخذ الزيادة الربوية، ومن دون ذلك لا مانع من تملكها إذا دفعها المصرف على كل حال، ولا يجوز التصرف بالأخماس والأموال الشرعية إلا من قبل الحاكم الشرعي أو وكيله، وعندئذ فلا مانع من الاستفادة بذلك فيما يكون ذا مصلحة عامة، شرط أن لا تؤدي إلى عدم الانتفاع بالخمسة عند وجود المستحق، والأحوط أن تكون الفوائد المشروعة لعدم الاشتراط تابعة للحق الشرعي، باعتبار أنها ملحوظة فائدة للمال، فليس للوكيل التصرف بها.

دفع الخمس لمن يملك العقار:

□ رجل يملك أرضاً ويحاول بيعها ولكنه لا يحصل على مشترٍ، وهو محتاج

جداً للنقود، هل يجوز دفع الخمس له؟

○ إذا كان بحيث لا يستطيع أن يستدين على أرضه وليس لديه أية طريقة

أخرى يؤمّن بها المال اللازم، ولا يمكن أن يبيع الأرض بأقلّ من سعرها أيضاً،

وليس لديه فرصة أخرى ومن جميع الجهات، فإنه يجوز أن يدفع الخمس له.

سادسا: الحج والعمرة

حج على نفقة الوالدين:

- عمري ١٥ سنة وأنوي الحج في العام المقبل على نفقة والدي، فهل يجوز ذلك مع العلم بأني من مقلديكم؟
- نعم يجوز ذلك وجزاها الله خيرا.

الإحرام لغير العمرة:

- رجل من أهل سوريا متوجه إلى السعودية ويعمل بالقرب من مكة وطريقه يمر من أحد المواقيت، فهل يجب عليه الإحرام بالعمرة.
- إذا كان يدخل مكة فلا يجوز دخولها إلا بعمرة، أما إذا كان يعمل قريبا منها فليس من الضروري أن يدخلها ولا حاجة إلى الإحرام.

الحج بمال مسيحي:

- هل يجوز للمسلم أن يستقرض مبلغا من المسيحي للذهاب إلى الحج؟
- ليس هناك إشكال في القرض من المسيحي أو الهندوسي أو غيرهما والذهاب به إلى الحج وغيره، لأن الإنسان يملك المال عندئذ بالافتراض، إلا من حيث طبيعة العلاقة معهم، وذلك بشرط عدم الإساءة للإسلام.

الحج مع الاختلاف في الهلال:

- إذا صادف أن اختلف المراجع الكرام مع الجهة التي تقوم بترتيب مراسيم الحج بالنسبة لرؤية الهلال، فهل يبطل الحج لجميع المسلمين؟
- إذا لم نقطع بأن الفتوى التي صدرت عن الجهات المشرفة على الحج غير موافقة للواقع فالحج صحيح، بل إن بعض العلماء يقول إننا وإن قطعنا بذلك فالحج صحيح. ولو قطع بعدم الصحة - بناء على الرأي الأول - فإنه يقلبها

عمرة ويؤجل الحج للسنة القادمة إن بقيت الاستطاعة، ورأينا الصحة في حال الشك في موافقة الفتوى للواقع.

حكم العمرة:

□ العمرة هل هي واجبة أم مستحبة؟ ومتى موعدها؟

○ إذا لم يكن الإنسان مستطيعاً للحج، بل للعمرة فقط، فيجب عليه، أما إذا كان مستطيعاً للحج (حج التمتع)، فالحج يشتمل على الحج والعمرة، ولكن يستحب العمرة المفردة في كل وقت، وقد ورد استحباب العمرة في شهر رجب وفي شهر رمضان أيضاً.

النيابة عن الجماعة:

□ هل يجوز الحج بالنيابة عن عدة أشخاص شهداء؟

○ إذا كان الحج مستحباً فتصح النيابة عن عدة أشخاص.

استطاعة الحج في الماضي:

□ كنت قادراً في ما مضى على الحج من الناحية المالية، ولكن لم يسمح لي بالحج قانوناً، أما الآن فأنا أسكن في بيت للإيجار ومتزوج وأعمل في محل تجاري ولدي قطعة أرض لبناء دار للسكن فيها، إلا أن ثمنها يزيد عن حاجتي، ولكنّ قسماً من رأس أموالني بالتجارة هو لتسديد الديون التي أقوم بتسديدها تدريجياً، وبزوال المانع القانوني فسوف أضطر لسحب قسم من رأس المال وسيبقى قسم آخر منه للعيش بشكل طبيعي، فهل يجب عليّ الحج؟

○ نعم، في هذه الحالة يجب عليك الحج.

العمرة عن الحي:

□ هل يجوز لمن يعتمر عمرة مستحبة أن يعتمر عن إنسان على قيد الحياة؟

○ لا مانع من ذلك.

حدوث الحيض في الحج:

- المرأة التي يأتيها الحيض خلال مراسيم الحج ما بين السابع والثاني عشر من شهر ذي الحجة، كيف يكون حجها؟
- تستطيع أن تحرم وتؤخر الطواف إلى ما بعد الثاني عشر من شهر ذي الحجة حتى تطهر أو أنها تقلب الحجة إلى أفراد (بدون عمرة)، حيث يوجد طواف واحد في آخر الحج، وإذا لم تستطع ذلك فعليها أن تستتيب بدلا عنها لإتمام الحجة.

التظليل للرأس في الحج:

- هل يعتبر ذهاب الحاج من الميقات إلى بيت الله الحرام حاسر الرأس واجبا أم مستحبا؟ وما هو الحكم في هذا الأمر لئلا؟
- هناك من العلماء من يقول بحرمة التظليل في الليل والنهار، وهناك رأي آخر يقول بحرمة التظليل نهارا (في الشمس)، أما في الليل فلا يحرم التظليل كما هو رأينا.

شروط الاستطاعة للحج:

- ما حكم من يمنع من الحج مع الاستطاعة المالية؟ كما لو أن السلطة في بلد ما تضع العوائق أمام المستطيع، فهل يسقط الفرض عنه، وهل عليه وزر ما؟
- إذا لم يستطع الحج في سنة ما فعليها الحج في السنة التي بعدها إن استطاع، وإن لم يستطع أيضا بسبب استمرار تلك العوائق فلا وزر عليه.

الإحرام في الطائرة:

- يرجى بيان وقت الإحرام بالنسبة للمسافر بالطائرة عن طريق مطار جدة؟ وهل يجوز الإحرام من مطار دمشق؟

○ غالباً ما يريد الإنسان الذي يُحرم من مطار دمشق بالنذر أن يسهل على نفسه الإحرام لئلا يكلف نفسه الذهاب إلى الجحفة، فإن نذره - من وجهة نظرنا - هذا غير صحيح، لأن النذر الصحيح طبقاً للقواعد الفقهية هو أن ينذر ما هو أشق من الواجب، وذلك كحال من ينذر فيقول نذرت أن أصلي الواجب بدون مستحبات قريبة إلى الله تعالى، ورأينا أن الإنسان الذي لا يمر على ميقات معين يجوز له أن يحرم من جدة، كما هو رأي السيد محسن الحكيم رحمته الله، الذي أضاف إلى ذلك ضرورة النذر في الإحرام من جدة.

التظليل أثناء الإحرام بالطائفة:

□ هل يتحقق التظليل أثناء الإحرام بالطائفة؟

○ إذا نذر الإنسان أن يُحرم بالطائفة فإنه يصدق عليه أنه تظلل، وبناءً على تقليده، عليه أن يدفع كفارة التظليل حسب فتوى مقلده.

الادّخار على أشهر الحج:

□ لو عرف شخص بأنه لن يستطيع مالياً الذهاب إلى الحج إلا إذا ادّخر

لذلك عدة أشهر، فهل يتوجب عليه الادّخار أم لا؟

○ لا يجب تحصيل الاستطاعة، وعندئذٍ فلا يجب الادّخار في مفروض

السؤال.

الاستطاعة للحج:

□ لا يُسمح للعراقيين المهاجرين بالذهاب إلى الحج أو العمرة عموماً، حتى

لو توفرت الاستطاعة المالية، فما هو الحكم؟

○ إذا كانت السلطات المشرفة على الحج لا تعطي التأشيرة للعراقيين لأداء

فريضة الحج أو العمرة فلا إثم على العراقيين، وإنما على من تسبّب بالمنع، وإن شاء الله سيزول النظام الصدامي ليتمكن العراقيون من الحج لبيت الله الحرام ببسرٍ وسهولة.

سابعا: الزواج والطلاق

تجديد العقد:

□ إذا عقد الرجل على المرأة عقداً منقطعاً، فهل يجوز له أن يعقد عليها عقداً دائماً فوراً؟

○ يلزمه أن يهبها المدة ثم يعقد عليها عقداً دائماً، لأنها عندما تكون زوجته فكيف يعقد عليها عقداً دائماً، وعليه، فإنه يقول لها وهبتك المدة الباقية ثم يعقد عليها العقد الدائم.

زواج امرأة فقد زوجها:

□ رجل تزوج من امرأة فقدت زوجها في الحرب، فهل تحتاج إلى أن يطلقها الحاكم الشرعي؟

○ إذا كان يعلم أن زوجها متوفى فالزواج صحيح، أما إذا لم يعلم فلا بد من طلاقها.

موافقة الأب في الزواج:

□ هل موافقة الأب شرط في زواج البكر عند الشيعة والسنة؟

○ هناك خلاف عندنا بين العلماء بالنسبة للبكر البالغة الرشيدة، فمنهم من يقول إن البالغة الرشيدة كالبالغ الرشيد لا يُشترط في زواجها موافقة الأب أو الجد، ونحن نرى ذلك أيضاً باعتبارهما مستقلين (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)^(١) فدفع المال هو كناية عن الاستقلال.

وهناك آراء أخرى. لكن بلحاظ الظروف الاجتماعية، يُستحب أن تستشير

المرأة أباهما أو أخاهما، وإن كان لا يجب عليها ذلك، حتى لا تسيء لأهلها وللواقع الاجتماعي، وذلك حماية للمرأة من أن تخدع من بعض الرجال. أما السنة فإنهم يلتزمون بأن لا نكاح إلا بولي.

الطلاق بشهادتين:

- عندما طلقت كان هناك شاهدان على الطلاق، أحدهما ملتزم بينما الآخر تبين بعد الطلاق، أنه ظالم، فهل الطلاق باطل؟
- يعتبر الطلاق باطلا إذا كان أحد الشاهدين فاسقا وغير عادل.

الطلاق والحيض:

- عندما أجريت صيغة الطلاق كانت الدورة الشهرية قد انتهت، ولكني لم أغتسل، فما هو تعليقكم؟
- الطلاق صحيح، لأن المهم في الطلاق أن لا تكون المرأة في الحيض، أما الغسل فليس شرطا لصحة الطلاق.

الزواج من أختين:

- هل يجوز الزواج من الأختين في الوقت نفسه؟
- لا يجوز ذلك، وهو من المحرمات التي لا يختلف عليها المسلمون، كما في قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيمًا﴾^(١).

طلب الطلاق الخلعي:

□ هل يجوز للمرأة أن تطلب الطلاق الخلعي حتى لو لم يرغب الرجل بالطلاق، أي أن القاضي يطلقها؟

○ في هذه المسألة جدل فقهي، كما حدث في مصر، إذ أقر فيها القانون أن المرأة إذا كرهت الرجل فعلى الرجل أن يطلقها طلاقاً خلعيًا لو طلبت منه ذلك، وإذا رفض فعلى القاضي أن يطلقها، ولكن المشهور بين المسلمين بين السنة والشيعية، أن كراهية المرأة للرجل لا يجبره على الطلاق، وإن كان بعض علمائنا مثل الشيخ الطوسي يرى أن الرجل يجبر على الطلاق، وهناك بعض الآراء بذلك من خلال بعض الوجوه الفقهية القريبة، ولكن الرأي الفقهي العام أنه لا يجوز إجبار الرجل على الطلاق.

هجر الزوج:

□ امرأة هجرت زوجها لمدة ٩ شهور بعد ١٥ عام على الزواج ومنعته حقه الزوجي ولديهم أربعة أطفال وتطلب الطلاق الخلعي، فهل يجوز ذلك؟

○ لا يجوز لها منعه حقه، كما لا يجوز أن يمنعها حقه (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)^(١).

منع الإنجاب:

□ تمت عملية ربط في الرحم لمنع الإنجاب عند طبيب متدين، وقال إنه يمكن إعادة الإنجاب بعد أربع سنوات، مع العلم بأنه لدي أربعة أولاد وأربع بنات، ولعدم علمي بحرمتها، فما هو الحكم بالنسبة إلى أنني ارتكبت محرماً بذلك؟

○ ذكرت عدة مرات أن عملية تجميد الطاقة ممكن، ولكن قتل الطاقة حرام، فإن تجميد عملية الإنجاب مؤقتاً بالوسائل المانعة للحمل حلال، سواء عند

الرجل أو المرأة.

إنجاب الأطفال وحق الزوجة:

- زوجي لا يريد إنجاب الأطفال، ونحن في متوسط العمر، وأخاف فوات الفرصة، فهل يجوز لي مخالفته وترك موانع الحمل، أم في ذلك حرمة؟
- المرأة حرة في جسدها من حيث الإنجاب وعدمه، وليس له أن يفرض عليها الإنجاب أو أن يمنع عنها الإنجاب، وإن كان بعض الأزواج لا يقبلون بذلك.

الزواج من ظالم:

- هل زواج المرأة من رجل يوالي الظالم من أجل الحصول على المال أو على العيش حلال أم حرام؟
- تارة يوالي الظالم بمعنى أنه يخلص له، فإن هذا الشخص ضال ويسير في طريق إعانة الظالمين، أما إذا كان لظروف معينة أو من باب التقية فأمره مختلف، ولذلك يجب دراسة الموضوع بجميع ظروفه، ولا يمكن إعطاء حكم عام بذلك.

تحقق رشد البنت:

- متى تكون الفتاة بالغة سن الرشد (رشيدة) لتقرير مصيرها في الزواج؟
- الرشد لا يختص بالسن، لأن الرشد هو الوعي، بحيث لا يستطيع أحد أن يغشها في حياتها أو مالها، وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾^(١).

موقف الأولاد من زواج الأب:

- زوجتي متوفاة، وأولادي يسيطرون على أموالي ويعارضون زواجي، فما هو الحكم الشرعي بالنسبة لأولادي؟

○ الحكم الشرعي للأولاد بأنهم عاقون إذا منعوا أباهم من الزواج. فلو فرضنا أن أحد الأبناء توفيت زوجته، فهل يحق لأحد أن يمنعه من أن يتزوج ثانية؟ وقد يكون الأب بحاجة إلى الزواج. وقد يكون الرجل الكبير ممن لا تحمله ابنته أو أخته، والزوجة هي التي تلي من الإنسان ما لا يمكن أن تليه البنت أو الأخت. ثم لا يحق للأولاد السيطرة على أموال أبيهم، فذلك خلاف البر بالوالدين وتعد على حقوقه.

تقوى الزوجة:

□ ماذا تقول للمرأة المتزوجة التي تستمع إلى امرأة كاذبة وتقوم بهدم كيان الزوجية لأن تلك المرأة قالت لها بأن زوجك يفكر بامرأة أخرى؟

○ لا يجوز للمرأة المتزوجة فعل ذلك وإن فكر الزوج بامرأة أخرى، فقد أحل الله للرجل الزواج بأكثر من واحدة، وعلى الأخت أن تفهم أن تلك المرأة التي جاءت تحمّل إليها ما يعكر حياتها الزوجية حسب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾^(١) فهي فاسق، لأنها تسعى بالنميمة للفتنة بين الزوجة وزوجها، والنمام فاسق، وعليها أن تقرأ هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾^(٢).

عدة الزوجة:

□ توفي زوجي منذ ١٥ سنة ولم اعتد عليه وأريد الذهاب إلى الحج فهل يجوز؟

○ لا معنى للعدة الزوجية بعد مرور ١٥ سنة، لأنها تنحصر بأربعة شهور وعشرة أيام.

(١) الحجرات: ٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

حقوق الزوجة:

- هل يجوز للزوج أن يترك زوجته إلى الساعة الثالثة فجرا لأنه يقال وتبقى الزوجة خائفة في ذلك الوقت؟
- عليه أن يوجد الظروف التي تؤمن الزوجة على نفسها.

حماية الزوجة:

- من حقوق الزوجة على الزوج هو حمايتها ماديا، فهل يشمل ذلك حمايتها من الأذية الصادرة من أقاربها ولا تستطيع دفع أذيتهم، وإذا لم يدافع عنها الزوج فهل يتحمل الإثم؟
- الزوج هو الذي يتحمل مسؤولية الزوجة عرفا، وعليه أن يدفع الظلم عن كل إنسان، فكيف إذا كانت زوجته، فيجب عليه أن يدفع الظلم عن زوجته من باب دفع المنكر عن المؤمن.

مرض الزوج والتفريق:

- لو أقر الطبيب أو اللجنة الطبية بمرض رب الأسرة قبل عشر سنوات وحكمت لجنة جديدة عليه بمرض الانفصام، فهل يحق شرعا للمرأة أن تطلب التفريق؟
- إذا كان انفصام الشخصية يعتبر نوعا من أنواع الجنون أو أنه كان يؤدي إلى الإضرار بالمرأة ضررا لا يحتمل، فإنه يمكن طلب التفريق. وأما إذا كان غير ذلك فالأمر محل إشكال.

عقد الزواج بالوكالة:

- هل يجوز الزواج بالوكالة، فمثلا الزوج في كندا والزوجة وأهلها في سوريا، فيرسل الزوج وكالة رسمية مصدقة بخط يده ويطلب من شخص هنا التوكيل عنه ويعين المقدم والمؤخر، فهل يصح مثل هذا الزواج؟

○ يصح مثل هذا العقد إذا علمنا أن الوكالة صادرة من الزوج بشكل جدي.

اشتراط الزوجة على الزوج الأول:

□ إذا كان من حق الزوجة أن تشتراط على زوجها الجديد تربية أطفالها من طليقها كمهر لنزاجها منه، وتم الزواج مع غياب وسفر الزوج القديم، فهل يحق للزوج السابق أخذ أولاده إلى بلد آخر، مع العلم أن عمرهما ١١ سنة و٩ سنوات؟

○ الحضانة في رأينا من حق الأم لغاية سبع سنوات، أما بعدها فتعتبر من حق الأب وله الحق في ذلك، وعلى هذا الأساس فليس لها الحق أن تشتراط ذلك على زوجها الجديد إلا بموافقة الزوج السابق لأنه لا حق لها فيه.

منع الزوجة من زيارة أهلها:

□ هل تعصي الزوجة زوجها إذا أمرها بعدم الذهاب إلى بيت أهلها، ومع ذلك تذهب إليهم، وإذا لم تذهب لأهلها أو تتكلم معهم هاتفيا، فهل تأثم؟

○ هناك رأيان؛ أحدهما يرى طاعة الزوج مطلقا، بحيث أنه مع نهي زوجها لها من الذهاب لبيت أهلها أو السلام عليهم فيجب عليها طاعته، إذ أن المرأة لا يجوز لها أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، وهذا رأي غالبية السنة والشيعية.

والرأي الآخر لا يرى ذلك، لأن الزواج ليس سجنًا مؤبدا للمرأة، حتى أصبح البعض يرى أن المرأة عندما تتزوج فإنها لا تخرج من البيت إلا إلى القبر، بحيث لو كانت بحاجة إلى طبيب أو ملابس أو أي شيء آخر فلا يسمح لها بالخروج إلا بإذنه. والرأي الآخر هو ما نتبناه ويراها السيد الخوئي علميا وإن كان يحتاط في الفتوى. ولذلك فإن خروج المرأة من بيت زوجها إذا كان منافيا لحق الجنس فلا يجوز، أما إذا كان الزوج مسافرا فيجوز لها الذهاب إلى بيت أهلها أو لشراء

حاجياتها ولا سلطة لزوجها بمنعها من زيارة أهلها أو مكالمتهم بالهاتف أو بعث رسالة لهم، فالعقد الزوجي فقط يربط المرأة بزوجها بالجانب الجنسي وما يتصل بالحياة الزوجية، أما الجوانب الاجتماعية الأخرى فلا سلطة للزوج عليها، لأن الزواج ليس حالة دكتاتورية بل هو حالة إنسانية (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)^(١) والدرجة هي بمعنى أن الطلاق بيد الرجل. ومن باب الطرافة أن بعض الناس يظن أن الدرجة مثل ناطحة السحاب. فالزواج ليس سجنا مؤبدا للمرأة، بل هو مشروط بالمودة والرحمة (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)^(٢) فالرجل والمرأة لا يجوز أن يتحاكما على بعضهما البعض بالمادة القانونية هذه أو تلك. فالمسؤولية مشتركة بين الزوجين، ولكن بعض الناس مولعون بإتعايب أنفسهم وإتعايب الناس، ولا يعيشون الإنسانية، مثل كثير من الناس عندما لا يعجبه الطبخ فإنه ربما يضرب زوجته، وإلا فمن الناحية الشرعية ليس هناك فرق بين أن تضرب زوجتك أو تضرب أية امرأة أخرى من حيث العقوبة الإلهية، فإن الله لم يسمح لك أن تشتم أو تضرب زوجتك ولا أن تطردها من البيت، والواجب عليك أن تسكنها السكن اللائق. ولكن الزوج عندنا يريد أن يكون مثل عنتر، ويا ليتة يتعامل مع زوجته مثلما كان يتعامل عنتر مع عبلة، فالنبي ﷺ يقول: ((خيركم خير لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

العقود المدنية:

- تقولون ببطلان عقد الزواج المدني وأنه ليس شرعيا، فكيف نستطيع إبرام عقود تجارية وغيرها مع الغرب وهي ليست وفق الشريعة؟
- هناك فرق بين الموردين، ويرجع ذلك إلى أن هناك شروطا شرعية في

(١) البقرة: ٢٢٨.

(٢) الروم: ٢١.

الزواج، فمثلا لا يجوز للمسلمة أن تتزوج غير المسلم، لأن الدين شرط في مثل هذا الزواج، كما أنه لا يجوز الزواج بالمرأة وهي في العدة، وهذا ليس مانعا في القانون المدني، ولذلك فإن العقد المدني عقد غير شرعي لعدم تحقق الشروط الشرعية فيه، والعقد المدني يقول إنه كما تعقد المحكمة الزواج فهي تحكم بالطلاق، والطلاق عندنا أيضا مشروط بالشهود العدول، ولذلك يكون الطلاق المذكور باطلا لفقدان الشروط الشرعية. نعم، إذا فرضنا أنه كان الزوجان مسلمين أو زوجة كتابية والزوج مسلما، وقد وثقا زواجهما عند موثق العقود، فرأينا أن الزواج صحيح إذا كان جامعا للشروط الشرعية، لأن الصيغة اللفظية الخاصة ليست ضرورية، وإن كان الأفضل ذلك. أما العقود (التجارية) الأخرى فإنها كلها تعتبر شرعية. نعم، إذا كان هناك عقد تجاري لا يخضع للشروط الشرعية فلا يجوز ذلك، لعدم توفر الشروط الشرعية، أما العقود التجارية التي ليس فيها ما يخالف الشريعة فلا مانع من ذلك.

لحاق الزوجة بالزوج:

□ بعد الهجرة عام ١٩٨٠ من العراق رفضت زوجتي اللحاق بي، وقد تزوجت في المهجر، فما هو حكم الزوجة الأولى، هل تعتبر مطلقة أم ناشزا؟

○ ربما تكون للزوجة بعض الظروف التي تضطرها للتخلف عن اللحاق بالزوج في الهجرة، فإذا كان السفر حرجا عليها لظروفها التي يجب أن تدرس قبل الحكم عليها فإنه يجوز لها ذلك. نعم، عليك أن تسرحها ولا تجعلها على ذمتك إذا كانت لا تستطيع اللحاق بك، فتطلقها حتى تستطيع أن تأخذ حريتها إذا كان ذلك لا يسيء إليها.

الزواج بالفقير:

□ ورد في الكثير من المصادر للفريقين أن السيدة الزهراء ؑ عندما خطبها الإمام علي ؑ قالت إنه عائل لا مال له، فهل يتناسب ذلك مع وعي الزهراء ؑ؟

○ الحديث غير صحيح. نعم، هناك حديث آخر يقول إنها قالت بأن بعض نساء قريش، كن يتحدثن بذلك، وكانت الزهراء ؓ تشكو للنبي ﷺ بما تتحدث به نساء قريش ولم تكن المسألة منطلقة منها شخصيا، لأنها كانت تعرف أن المال ليس أساس السعادة الزوجية في اختيار الفتاة المسلمة لزوجها، بل هو الدين والخلق، وقد كانت تعرف جيدا المستوى الكبير الذي كان الإمام علي ؓ يتمتع به في فضائله العظيمة مما يحقق لها الرضا في حياتها من جميع الجوانب.

تزويج مريض:

□ شخص مريض عقليا، ولكن فيه أمل بالشفاء، فهل يزوجه أهله أم لا، وهو يريد الزواج؟
○ نعم، يجوز له الزواج، ولكن بأمر الحاكم الشرعي، الذي هو وليه الشرعي إذ ربما يساهم الزواج في شفاؤه.

حكم الطلاق بالوكالة:

□ ما هو حكم الطلاق الذي يحصل بين الزوجين بسبب الوكالة المطلقة التي تمنحها الزوجة للمحامي للتصرف بملكية الزوج عند تعرضه للسجن أو الإعدام بسبب جهاده ضد نظام صدام ومحاولته الهرب من الاضطهاد والظلم إلى بلدان أخرى؟

○ الوكالة المطلقة تتبع مضمونها، فإذا كان فيها الطلاق فيمكن ذلك، أما إذا لم يكن فيها التوكيل بالطلاق، بل إنها تشتمل على أمور قانونية تتعلق بالجوانب المالية، فلا يصح للزوجة أن تطلق نفسها في هذا المقام. فلو فعلت ذلك في هذه الفرضية كان الطلاق باطلا.

الخلع في المحاكم الشرعية:

□ هل يجوز إجراء الخلع عن طريق المحكمة الشرعية التي تسير وفق مذهب غير مذهب أهل البيت ؑ؟

○ المهم استجماع شروط الطلاق بحسب ما يلتزمه الإنسان في الخط الشرعي في هذا المجال.

أمر الزوج زوجته بالتبرج:

□ ما هو رأيكم إذا كان الزوج يأمر الزوجة بالتبرج، وإذا لم تطيعه الزوجة في ذلك فسوف يسبب لها مشاكل عاطفية؟
○ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعلى الزوجة أن تتدبر أمرها بما لا يؤدي إلى معصية الله.

التصرف بأموال الزوج:

□ هل يجوز للمرأة الصالحة أن تأخذ من جيب زوجها ومن نقوده ما تشاء وتخرج من البيت بدون علمه وتتكبد عليه عيشه وتصلي دوما قضاء، فما هو العمل معها علما بأن نقطة الضعف عند الرجل هو خوفه على أطفاله من الضياع؟
○ لا يجوز للمرأة أخذ مال زوجها بدون رضاه، كما أنه لا يجوز ذلك السلوك، لأن عليها حقوقا مثلما لها واجبات «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف»^(١) فعليها أن تتقي الله بطاعة زوجها وحسن المعاشرة لزوجها كما أمر الله، كما يجب على زوجها معاشرتها بالمعروف.

إهانة الزوجة زوجها:

□ زوجة أحدهم تكثر الشجار والصراخ عليه لعدم استطاعته الحصول على عمل، وهي تقوم حتى بتحريض أولاده بعدم طاعته، حتى وصل بهم الأمر إلى إهانته، فما هو حكم الشرع الإسلامي اتجاه هذه الزوجة؟
○ تعتبر هذه الزوجة عاصية لله، لأن الزوج يريد أن يعمل ويشغل وإذا لم يجد عملا فإنه لا يجوز لها على كل حال أن تشجع أولاده على إهانته أو أن تهينه،

فهذا حرام.

حضانة الولد:

□ إذا انتهت فترة الحضانة عند سبع سنوات من عمر الولد عند الأم، فما هو حكم الطفل بعد هذه الفترة، هل يجب النفقة له إذا أصرت الأم على إبقائه معها؟

○ الحضانة بعد سبع سنوات تكون للأب، إلا إذا اتفق الأب والأم على غير ذلك أو كان الأب يسيء الحضانة فتبقى نفقة الولد على الأب، لأنها من شؤون الأبوة في تلبية الحاجات الملحة للولد بقطع النظر عن الحضانة.

اعتقاد شرعية الزواج:

□ تقولون إنه يجب على المسلمين عند العقد المؤقت على الكتابيات أن يؤمن به وبشرعيته، فكيف للكتابيات أن يؤمن بالعقد المؤقت وهن يكفرن بباقي فرائض الإسلام؟ ألا يكون ذلك مجرد إيمان ظاهري؟

○ المقصود أنه لا بد لها أن تقصد الالتزام بالعقد، فعندما تقول (زوجتك نفسي بمهر كذا...) فهي يجب أن تقصد معنى الزواج في أن تكون زوجة مؤقتة، أما إذا تكلمت بدون معنى فلا يكون ذلك عقداً. ولذا أقول إن أغلب العقود التي يجريها الشباب في الغرب تعتبر زنى، خاصة الذين يعقدون مع المشبوهات.

الزواج من امرأة كبيرة السن:

□ إذا أراد شاب أن يتزوج من امرأة أكبر منه سناً فإن الوالدين يعقدان المسألة، مع أن الرسول ﷺ تزوج بخديجة وكانت تكبره بخمس عشرة سنة وهو القدوة لنا؟

○ هناك رواية تقول إن خديجة كان عمرها خمسا وعشرين سنة عندما تزوجها الرسول ﷺ، والقدوة لا تنحصر في موضوع الزوجات اللاتي تزوجهن النبي ﷺ، وليست واردة في هذا الجانب أصلاً، لأن ذلك كان يخضع لمصالح معينة

للمسألة وليست مسألة شخصية أو ذاتية، مع أنه لا يحرم شرعا أن يتزوج الإنسان امرأة أكبر منه سنا ، وكذلك لا يحرم للمرأة أن تتزوج رجلا أصغر منها سنا، ولكن ربما يكون الوالدان ينظران للنتائج المستقبلية، ولربما يظهر كبر السن على المرأة من خلال الحمل والولادة في المستقبل وتتعدد الحياة الزوجية. ومع ذلك، فإنه ينبغي على الوالدين أن لا يضغطا على ولدهما في مسألة الزواج. نعم، على الوالدين تقديم النصيحة للولد أو البنت بدون أن يمارسوا عليهما الضغوط.

الزواج في مذاهب مختلفة:

□ فتاة سنية تقدم إليها شاب شيعي وهي مقتنعة بالزواج منه، ولكن أهلها لا يعرفون أنه شيعي رغم قناعتهم به، ولو عرفوا لرفضوه، وهي في حيرة من أمرها، فما هي النصيحة؟

○ من الأفضل - اجتماعيا - توضيح الأمر للأهل، وإن كانت الحياة الزوجية لا تتعلق بالأهل وإنما تتعلق بالبنت والولد، حيث يجب عليهما دراسة المسألة من ناحية واقعية فيما إذا اكتشف الأهل - فيما بعد - مذهب الشاب. أما من ناحية شرعية فلا يجب عليها أن تعرف أهلها بذلك.

العاطفة في الزواج:

□ في مسألة الزواج، هل يعتمد اختيار الشاب للزوجة وبالعكس على العاطفة أم العقل؟ وما هي أفضل طريقة للاختيار؟

○ كما ذكرت دائما للأخوة والأخوات أن الزواج ٧٥٪ عقل و ٢٥٪ عاطفة، لأن العاطفة تتطرق كما هو اللهب ثم تنطفئ بعد ذلك، بينما الحياة الزوجية علاقة مشتركة بين الزوجين، وقد تصل إلى خمسين سنة، وهي ليست جسدية مادية وحسب، بل هي روحية أيضا، إذ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾^(١)، ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها

وجعل بينكم مودة ورحمة^(١). فالعلاقة الزوجية هي أنك كنت واحدا فأصبحتما اثنين، فإنك كنت تسهر كما تشاء وتأكل كما تشاء وتسافر حيثما تشاء عندما كنت عازبا، ولكن عند الزواج أصبحت مرتبطا بحياة إنسان آخر، ولذا ورد في الحديث النبوي الشريف ((إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه)). فأساس الزواج هو الدين والأخلاق واحترام المشاعر والظروف وهكذا، ولذا نقول إن مسألة الزواج هي من أكثر المسائل تعقيدا، ولذلك فإن على الشاب أو الفتاة دراسة الإنسان المراد الارتباط به دراسة دقيقة وكذلك الاستشارة. أما الاستشارة فهي ليست بديلا عن العقل والشورى (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)^(٢) ولذلك يجب على الإنسان أن لا يقدم على الزواج إلا بعد أن يشبعه درسا وتمحيصا لأنها تحدد مصيره في الحياة.

كفارة الإجهاض:

□ ما هي كفارة الإجهاض إذا أخذت الزوجة بعض الأدوية التي تسيء إلى نمو الجنين أو في حالة الاعتقاد بأن الجنين لا يتخلق قبل أربعين يوما من الحمل؟

○ إن عملية الإجهاض حرام منذ انعقاد النطفة، وقد سئل أحد الأئمة ﷺ عن امرأة شربت دواء لتسقط ما في بطنها، فقال لها: لا يجوز لها ذلك وتقع عليها الدية. وهي تدفعها للزوج (وفي هذا المقام فإن الكفارة بحدود أربعة دنانير ذهب) وإذا سامحها زوجها فلا بأس عليها.

مهام الزوجة:

□ ماذا تقولون للزوجة المؤمنة التي تدرس في الحوزة ولا تؤدي الواجبات

المنزلية؟

(١) الروم: ٢١.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

○ يقول سبحانه وتعالى: «(ر)من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»^(١) فالبيت الزوجي يقوم على المودة والرحمة والاندماج الإنساني بين الزوجين (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)^(٢)، فالحقوق الزوجية متبادلة وإن كان في غير الواجب عليهما. ولذلك فإن المفروض في المرأة المؤمنة - ولا سيما الحوزوية - أن تكون واعية لالتزاماتها الزوجية الأسرية مما يفرضه عليهما الواقع الاجتماعي، في الوقت الذي تمارس فيه مسؤولياتها الدراسية. إن في الزواج جانبا روحيا يخضع للتقرب إلى الله وللانفتاح بالمودة والرحمة على شريك الحياة، ما ينعكس إيجابيا على سائر أفراد الأسرة، وإن فيه جانبا قانونيا قد يحتاج الطرفان إلى مراعاته لتحديد المسؤوليات، ولكن بمرونة إنسانية.

تصدق الزوجة بمال زوجها:

□ هل يجوز للزوجة التصديق بمال زوجها دون علمه؟

○ لا يجوز لها ذلك، لأن كلا من الزوجين مستقل في ماله الخاص، فلا يجوز للأخر التصرف به إلا برضاه.

الابتعاد عن الزوجة:

□ هل يلحق الزوج إثم في حال الابتعاد عن زوجته لمدة طويلة؟

○ نعم، لأن عقد الزواج يفرض القيام بالحقوق الزوجية من نفقة أو معاشرة (وعاشروهن بالمعروف)^(٣) إلا إذا تنازلت المرأة عن حقها.

أبناء الطليقة:

□ هل يحق لطلليقة الرجل أن تمتنع من تسليم أولاد الرجل له إذا أرادهم

(١) الروم: ٢١.

(٢) البقرة: ١٨٧.

(٣) النساء: ١٩.

مع أنها تزوجت شخصاً آخر ولديها طفل من الزوج الجديد؟

○ لا يجوز لها ذلك.

الاستعانة بالسحر:

□ هل يجوز استعمال السحر من أجل ترغيب والد الفتاة بقبول زواج ابنته

من الشخص المستعمل السحر؟

○ قال الله تعالى: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾^(٢)، والله لا يرضى بضرر أحد.

حرية المرأة في الإنجاب:

□ تقولون عن المرأة إنها حرة في الإنجاب وليس للرجل حرية في فرض

ذلك عليها، فلو أرادت المرأة الإنجاب وكان الرجل لا يرغب، فهل تتكفل المرأة بمعيشة الطفل لأنها هي التي اختارت الإنجاب؟

○ ضمن عقد الزواج يجب أن يكون هناك إنجاب، ولكن إذا أراد الرجل

مثلاً عشرة أولاد والمرأة تريد ثلاثة فقط، فالاختيار يكون للمرأة في ذلك، لأن

المرأة هي التي تتحمل التعب وأعباء الحمل، ولذا عندما جاء أحدهم للنبي ﷺ

وقال له من أبر فقال له النبي ﷺ: ((أمك أمك ثم أباك)). أما إذا اختارت

الإنجاب تبعاً لحاجتها النفسية لذلك أو لاعتبارات أخرى، فهي حرة في التصرف

في جسدها في هذا الجانب وغيره وللرجل استعمال وسائل الحمل الاختيارية

لمنع ذلك من دون إساءة للمرأة، ولا علاقة للموضوع بالإنفاق على الطفل من قبل

الأب أو الأم كما هو منطوق السؤال.

(١) طه: ٦٩.

(٢) البقرة: ١٠٢.

رجوع الزوج:

□ زوج كان مفقوداً في الحرب وهو مجهول الحال، وتبين أنه ميت، حيث جيء بجثته ثم تزوجت امرأته، ومن ثم تبين أن الجثة كانت لغيره وعاد الزوج الأول، فما هو حكم الزواج الأول والثاني، وما هو حكم الأطفال من الثاني؟

○ في تلك الحالة يعتبر الزواج الثاني باطلاً، إلا إذا رفعت أمرها للحاكم الشرعي وقد طلقها، أما إذا لم يطلقها الحاكم الشرعي فقد تكون معذورة في الظاهر، ولكن عليها أن تتفصل عن الزوج الثاني وترجع إلى الأول، والعلماء يقولون إنه حتى إذا طلقها الأول فليس لها أن ترجع إلى الثاني، أما بالنسبة للأطفال من الزواج الثاني فإنهم ينسبون إلى الزوج الثاني.

الطلاق الخلعي:

□ هل يجوز للمرأة أن تطلب الطلاق الخلعي حتى لو لم يرغب الرجل بالطلاق، أي أن للقاضي أن يطلقها؟

○ في هذه المسألة جدل فقهي، كما حدث في مصر، إذ رأى فيها القانون أن المرأة إذا كرهت الرجل وبذلت له مهرها فعلى الرجل أن يطلقها، وإذا رفض فعلى القاضي أن يطلقها، ولكن الأمر فقهيّاً مشكوك فيه بين المسلمين سنة وشيعة، حيث إن كراهية المرأة للرجل لا تجبره على الطلاق، وإن كان بعض علمائنا مثل الشيخ الطوسي يرى أن الرجل يجبر على الطلاق، وهناك بعض الآراء على ذلك، ولكن الرأي الفقهي العام حتى الآن أنه لا يجوز إجبار الرجل على الطلاق.

المهر المؤجل:

□ شخص عند العقد دفع المهر المقدم وبقي المؤخر، والعادة أن يدفع المؤخر عند الطلاق، فهل يجب على الزوج أن يدفع المهر إذا لم يطلقها؟

○ المهر المؤجل يدفع عند أقرب الأجلين (الموت أو الطلاق).

اشتراط النفقة على الزوجة:

□ لو اشترط الرجل على المرأة في الزواج أن تكون نفقتها عليها وقبلت، فهل يصح العقد؟

○ نعم، العقد صحيح، ولا علاقة للنفقة بصحة العقد، أما النفقة فإنها تسقط إذا أسقطت المرأة حقها فيها.

الطلاق الخلعى:

□ هل يجوز للمرأة أن تطلب الطلاق الخلعى حتى لو لم يرغب الرجل بالطلاق، أي أن للقاضي أن يطلقها؟

○ يدور حول هذه المسألة جدلٌ فقهي كما حدث في مصر، إذ رأى فيها القانون أن المرأة إذا كرهت الرجل وبذلت له مهرها فعلى الرجل أن يطلقها وإذا رفض فعلى القاضي أن يطلقها، ولكن الأمر مشكوك فيه من الناحية الفقهية بين المسلمين سنة وشيعة، حيث إن كراهية المرأة للرجل لا تجبره على الطلاق، وإن كان بعض علمائنا مثل الشيخ الطوسي يرى أن الرجل يجبر على الطلاق، وهناك بعض الآراء الموافقة له على ذلك. ولكن الرأي الفقهي العام حتى الآن، أنه لا يجوز إجبار الرجل على الطلاق.

تمييز الممتلكات بين الزوجين:

□ هل للزوج الحق باسترداد الذهب الذي يشتريه لزوجته أثناء فترة الخطبة، إذا احتاج للصرف على البيت؟

○ إذا لم يكن جزءاً من المهر، بل كان هبةً، فإنه يجوز استرجاع الهبة ما دامت العين الموهوبة موجودة، إلا إذا كانت الهبة لذي رحم، أما إذا أعطى زوجته مالاً فاشتريت به ذهباً، فليس له أن يسترجعه، لأنه وهب المال ولم يهب الذهب. نعم، لو اشترى لها ذهباً ولم تكن زوجته من أرحامه، فله أن يرجع فيه، لأن الهبة إذا كانت باقية على حالها ولم تتبدل ولم يكن الموهوب له من الأرحام، فله أن

يستردها .

ولاية الجد أو الأب:

□ شابٌ عمره أربع وعشرون سنة ويريد الزواج من فتاة عمرها سبع عشرة وأبوها موافق على الزواج ولكن بعد مدة من الزمن، بينما جدها موافقٌ على زواجها بهذا العمر، فهل يجوز أن يتم عقد الزواج بموافقة الجد ومن دون علم أبيها سواء كان العقد دائماً أو مؤقتاً؟

○ نعم، يجوز للجد - لأبيها - أن يعقد لها من ذلك الشاب، إذ يعتبر الجد للأب ولياً في الزواج للفتاة كما هو الأب ولّي في ذلك عند الذين يشترطون إذن الولي في شرعية زواج البكر، فيجوز للفتاة أن تتزوج بإذن أبيها أو بإذن جدها لأبيها، حتى لو رفض أبوها، لأن للجد الحق كما هو للأب في هذا المجال.

المعاصرة في العدة الرجعية:

□ ما حكم من زنى بامرأة في عدتها الرجعية، ثم عقد عليها بعد انتهاء العدة، لكنه لم يستبرئها في فترة الحيض وكان جاهلاً بالحكم؟
○ إذا كان جاهلاً بالحكم فيمكنه أن يستبرئها بحيضة ويجدد معها العقد.

الزواج بالبنت من زواج غير شرعي:

□ رجل زنى بامرأة فولدت بنتاً، فهل يجوز الزواج من تلك البنت على أساس أنها بنت غير شرعية؟

○ لا يجوز، لأنها تعتبر ابنته، ولكنها لا تترث منه ولا يرثها، كما هو رأينا ورأي السيد الخوئي رحمته الله وغيره من العلماء، فلا يجوز أن يتزوج الزاني من ابنته من الزنا.

صيغة العقد الشرعي:

□ رجل مسلم تزوج بامرأة في بلد غير إسلامي، وتمَّ عقد الزواج عند شيخ

مسلم من أبناء العامة، فهل يعتبر ذلك العقد كافياً أم عليه أن يكمل العقد على المذهب الجعفري؟

○ لا فرق في عقد الزواج بين السُّنَّة والشَّيعة والعقد يعتبر صحيحاً.

شروط الطلاق:

□ ما هي الشروط الشرعية للطلاق؟

○ لابد لصحة الطلاق من أن تكون المرأة - مع الدخول - في طهر لم يواقعها الزوج فيه، ولابد من وجود شاهدين عدلين يتصفان بالتقوى والعدل وما إلى ذلك.

انقطاع عدة الوفاة:

□ امرأة توفي زوجها وبقيت من عدتها ثلاثة أيام، فتزوجت من شخص ثم انفصلت عنه بعد مدة. ما هو تكليفها بالنسبة لعدة الوفاة التي قطعتها وهل تستطيع إعادتها؟

○ الزواج الثاني باطل، لأنه زواج في العدة، ولابد لها من الاعتداد عدة الوفاة بعد علمها ببطلان الزواج الثاني إذا كانت جاهلة بذلك. هذا إذا كانت العدة رجعية.

نظر ابن الزوج:

□ أنا امرأة متزوجة، ولزوجي ولد من زوجة أخرى، هل يستطيع أن يراني من دون حجاب؟

○ هو بمثابة الابن لك، لأنه لا يجوز لك الزواج منه مطلقاً، ولذا فيمكنه النظر إليك من دون حجاب.

ثامناً: أموال وبنوك

الربا مع البنوك غير الإسلامية:

□ نحن في الهند يقبل البعض منا على أخذ القروض من بعض البنوك، مع العلم أن تلك البنوك تفرض فوائد قصيرة الأمد أو طويلة الأمد، ومسوّغ هؤلاء أن التعامل مع هذه البنوك هو أخذ الجزية من الفئة غير المسلمة، على أساس أن البنوك هي ملك دولة غير إسلامية؟

○ هناك رأيان في المسألة، فإن بعض العلماء يرون أنه لا مانع من أخذ الربا من الكافر، ولكننا لا نرى فرقاً بين الكافر أو المسلم في هذا المجال، أما قضية المقاصة من الضرائب المأخوذة من الناس فهو محل تأمل لرعاية قضايا الناس عامة، فإن الدول تأخذ الضرائب لأجل إقامة المشاريع لرعاية قضايا الناس عامة. كما أن المقاصة تفرض ملاحظة وحدة المقدار بين ما يأخذ وما يدفع.

وقد قلنا إن الإنسان إذا وضع أمواله في البنك لأجل الإيداع وضمن عدم السرقة ولم يشترط عليهم أخذ الفائدة فلا مانع من ذلك إذا لم يقصد الاستثمار في البنك، أما إذا أراد أن يستدين من البنك فيمكن الالتزام مع البنك بالقرض دون الفائدة أو ما يسمى بالحيلة الشرعية، ولا نستطيع تطبيق النظام الإسلامي في مجتمع رأسمالي كمثال من يطبق نظاماً اشتراكياً في مجتمع رأسمالي، فهذا غير ممكن، فما طرحناه هو من جهة التخريجات الفقهية لتسهيل أمور الناس على أساس إعطاء بعض العناوين الشرعية بطريقة وأخرى، وإلا فالإنسان يجب أن يكون واعياً في هذه المسألة.

العثور على مال:

□ لو عثرت على مال وأنا محتاج إليه، فهل أتصدق به على نفسي؟

○ هذا المال إذا كان له علامة أو كان كثيراً، فعلى واجده أن يعرف به لمدة سنة حتى يعثر على صاحبه أو يراجع الحاكم الشرعي حينئذٍ.

الغنى والإنفاق:

□ هل غنى الرجل له دخل بإكثار النفقة «لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ»^(١) ؟
○ الإنفاق على قدر حسب الحاجة المتعارف عليها، وإلا فقد يصبح إسرافاً.

استعارة كتاب:

□ لديّ كتاب استعرفته من زميلة لي ثم افترقت عنها وانتقلت إلى مكان آخر ولا يزال كتابها عندي منذ ٤ سنوات ولم أعثر عليها، فماذا أفعل ؟
○ الكتاب في عهدتك، فإذا يؤسست من الوصول إليها وإرجاعه إليها فتستطيعين التصديق عنها.

أخذ الربا من الذمي:

□ ما هي الحكمة والدليل على أخذ الربا من الذمي ؟
○ رأينا أنه لا يجوز أخذ الربا من الذمي إلا إذا كان يجوز ذلك في دينه، باعتبار قاعدة (الإلزام): ((الزموهم بما ألزموا به أنفسهم)).

بيع الفيزا:

□ هل يجوز بيع الفيزا للعمال الأجانب ؟
○ إذا كان القانون يسمح بذلك يجوز ذلك.

أخذ المال من الزوج:

□ هل يجوز لامرأة أن تأخذ من مال زوجها لتشتري لابنتها بدون علمه ؟

○ لا يجوز التصرف بمال المسلم بدون إذنه، سواء كان أباً أو أخاً أو زوجاً وما إلى ذلك.

عقد التأمين:

- ما مدى حلية عقد التأمين على الحياة، وهل يعتبر من الربا؟
- عقد التأمين جائز وليس ربا.

حرمان البنات من الإرث:

□ رجل قسّم أراضيه على أولاده الذكور حال حياته ليحرم بناته وطلب منهم تسجيلها باسمهم جميعاً، ولكنه يتصرف بها جميعاً تصرف المالك ولا يسمح للبنات بأي تصرف، فهل هذا تملك واقعي أم أن أمواله تبقى ميراثاً للجميع؟

□ إذا سجّل هذه الأملاك بأسمائهم بشكل صوري فذلك ليس له قيمة، وأما إذا ملكهم ولكنه مسلوب المنفعة فإنهم مملّوك، ومع ذلك فيجب أن تدرس هذه القضية دراسة واقعية وميدانية وتفصيلية للحكم فيها.

البيع بالتقسيط:

□ لديّ محلّ لبيع المواد المنزلية بالتقسيط، فمثلاً السلعة التي سعرها مائة ألف نبيعها بالأقساط بمائة وثلاثين ألفاً، فهل يعتبر ذلك ربا؟

○ لا يعتبر ذلك ربا، لأن الناس مسلّطون على أموالهم، طالما أن المشتري قبّل بالسعر ابتداءً، لأن الربا هو أن تبيعه بمائة ألف وتقول له إذا تأخرت فيزيد عليك كل شهر عشرة آلاف مثلاً.

ديون متبادلة:

□ إني خياطة وعندي قطع قماش منذ وقت التسفير من العراق عام ١٩٧٩ وغادر أصحابها ولي معهم أموال، والقطع لا تزال موجودة معي فما هو العمل؟

○ إذا كنت لا تعرفين أصحابها فبإمكانك استرجاع مالك من بيع هذه القطع، أما الزائد فترجعين فيه إلى الحاكم الشرعي إذا كان أصحابها مجهولين.

القرض مع الزيادة:

□ بعض الأخوة في العراق يقرضون الناس بالأجل، فيقرضون مثلاً مائة دولار ويشترط أن يستلمها الشخص الدائن بعد مدة مائة وخمساً وعشرين دولاراً، فهل يجوز ذلك؟

○ إن ذلك حرام، ويعتبر ربا، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

توزيع تركة الأرض:

□ توفي أبي وورثنا قطعة أرض وقُدِّرَ ثمنها وقسمناها وأعطينا أخواتنا من ثمن الأرض ويعدها طالبت إحداهن بإرجاع الأموال وأن تأخذ قطعة الأرض بدلها فما هو الحكم؟

○ إذا فرضنا أنها وافقت على القسمة أولاً فليس لها الحق أن تعود عنها، أما إذا كانت غير موافقة على القسمة منذ البداية فحقها في الأرض نفسها.

التصرف ببقعة:

□ وجدنا خاتم ذهب بالدنمارك ولم يكن بالإمكان التعريف به منذ سنة، والخاتم معنا في سورية، فما هو رأيكم الشرعي بذلك؟

○ يرجع بذلك للحاكم الشرعي الذي قد يشير بالتصدق به على الفقراء.

تحديد أجره العامل:

□ هل هناك ضوابط إسلامية لتحديد أجره العامل، وهل يجب الالتزام بها من قبل رب العمل؟

○ أجرة العامل تتحقق عن طريق التراضي بين العامل وبين صاحب العمل، وعلى صاحب العمل أن يقدّر جهد العامل وتعبه، ولو فرضنا عدم وجود شروط تفصيلية بين العامل ورب العمل، وكان الواقع العام في التعاقد خاضعاً لقوانين العمل وهو يفرض شروطاً معينة مثل التعويض، فعند ذلك يمكن أن يطبق قانون العمل إذا لم يتحفظ عليه صاحب العمل، لأن ذلك يمثل الشروط الضمنية التي تقع في موقع التبني بين الطرفين.

إخفاء مال الزوج عنه:

□ هل يحق للزوجة أن تخفي مال زوجها الذي كسبه من بيع بيته بحجة منعه من صرف المبلغ، علماً بأن زوجها لم يستطع الحصول على عمل أو حتى استثمار المبلغ وهي تقنع أولاده بإخفاء المال ليكونوا شركاء فيه ويمنعوا والدهم من التصرف به؟

○ لا يجوز ذلك، لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس حتى لو كان زوجاً.

أموال الأولاد:

□ أصيب أحد أبناء رجل وعمره ١٣ عاماً بحادث سيارة، وبعد عشرة أعوام استطاع الوالد الحصول على مبلغ تعويض عن إصابة ابنه، وقد تم صرف المبلغ على العائلة بما فيهم الولد المصاب، ثم تزوج الولد وخرج بزوجته من بيت أبيه، وهو الآن يطالب أباه بمبلغ التعويض، فهل يحق له ذلك؟

○ يحق له ذلك إذ كان ذلك دية للولد على إصابته، ولكن على الولد أن يقدّر ظروف أبيه وحاجته.

الاقتراض من البنوك:

□ ما هو رأيكم بالاقتراض من البنوك الأوروبية ثم يترك المقرض البلد ويذهب إلى بلد آخر بحيث لا يسدد القرض؟

○ ذلك حرام، لأنه سبحانه يقول ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١) وليس من القسط والإحسان أكل أموال الناس بالباطل والله قد ذم اليهود لأنهم كانوا يقولون إنهم غير مسؤولين عن غير اليهود في أموالهم وأنفسهم ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ يُقِنِّطَارِ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾^(٢) ويعني بالأميين غير اليهود، فإذا كنّا أمثالهم فإن الله يذمنا كما ذم اليهود، وعلى الإنسان أن يكون أميناً على أموال الناس.

العقد الفضولي:

□ ما هو العقد الفضولي؟

○ هو أن تبيع بيت صاحبك مثلاً من دون أن تستأذنه، وهو عقد باطل إلا إذا أجازته المالك ورضي به.

المواجهة الشاملة:

□ في قول سماحتكم بوجوب محاربة الأعداء بالاقتصاد إذا حاربونا بالاقتصاد، والثقافة إذا حاربونا بالثقافة وغيرها، والآن أمريكا تحارب العالم الإسلامي بكل الطرق الاقتصادية والثقافية وغيرها، بينما لا تجيزون حتى السرقة منها، فما الحل؟

○ إن الشعب الأمريكي شيء والإدارة الأمريكية شيء آخر. فهناك عشرة ملايين مسلم في أمريكا مثلاً، وهناك المسالمون من غير المسلمين، ثم إن الإسلام لا يجيز السرقة حتى من الكافر أو الذمي، وللأسف هناك من يستغلون بعض فتاوى الفقهاء مثلما قام شخص في ألمانيا بالسرقة من سوبر ماركت فقيل له إنك

(١) الممتحنة: ٨.

(٢) آل عمران: ٧٥.

مسلم والمسلمون لا يسرقون، فأجابهم بأن فتوى العالم تجيز له السرقة، فحدثت مراقبة شديدة في الغرب على المسلمين حتى على المحجبات عندما يدخلن السوق، فلماذا نجلب السمعة السيئة للإسلام؟ خصوصاً أن ذلك الشخص مثلاً قد حصل على اللجوء في ذلك البلد وتحت حمايته ثم يقوم بسرقة، فذلك عيب وحرام شرعاً، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ((كونوا دعاة للناس بغير السننكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فإن ذلك داعية)) فأدوا الأمانة لمن ائتمنكم عليها، وكما قيل في الحديث: ((لا دين لمن لا أمانة له)).

حكم الفائدة:

□ أنا أعيش في الغرب واستقرضت مبلغاً من البنك وعليه فائدة، وأريد أن أرسل والدتي إلى الحج بهذا المبلغ، فما هو الحكم إذا لم أسدد المبلغ للبنك؟

○ يبقى ذلك المبلغ في ذمتك، فعندما تستدين عليك أن تسدد المبلغ، لأنك عندما تذهب إلى الغرب وتطلب اللجوء فإن ذلك يعني أن هناك عهداً بينك وبين تلك الدولة، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١)، ما يفرض عليك الالتزام بمضمونه في كل التزاماتك العقيدية، ومع الأسف، تصدر فتاوى ليكون البعض لصوفاً بصورة شرعية، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)، فمثلاً الإدارة الأمريكية شيء والشعب الأمريكي شيء آخر، وهناك عشرة ملايين مسلم في أمريكا، وقد ذم الله اليهود لأنهم كانوا يقولون ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾^(٣)، والإمام الصادق عليه السلام يقول: ((كونوا دعاة للناس بغير السننكم ليروا منكم الصدق والخير والورع فإن ذلك داعية))، وفي حديث: ((لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى)).

(١) المائدة: ١.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) آل عمران: ٧٥.

التصدُّق بالفائدة المصرفية:

□ أودعت مبلغاً من المال في البنك بفائدة، فهل يجوز أن أتصدَّق بتلك الفائدة، أم أضع ذلك المبلغ بدون فائدة، وهل يجوز أن أهب أهلي جزءاً من ذلك المبلغ على سبيل الخمس، علماً بأن ذلك المبلغ المودع هو لأجل الزواج أو شراء منزل أو للمعيشة؟

○ لا يجوز للإنسان أن يشترط حصوله على الفائدة إذا أودع المبلغ في البنك، بل يودعه على سبيل المحافظة عليه من الضياع، ولا يجوز له إعطاء الخمس من ذلك المبلغ للوالدين لأنهما واجبا النفقة عليه، بل يعطي الخمس للأقرباء والمحتاجين إذا كانوا متدينين.

البيع للأطفال دون علم الأهل:

□ هل يجوز البيع للأطفال من المحلات والدكاكين بدون إذن أهلهم وعلمهم كالعادة المتعارفة في هذه الأيام؟

○ في صحة معاملات الصبي إشكال، إلا إذا كان مميزاً وكان ذلك بالإشراف عليه - ولو من ناحية عامة - من خلال وليّه. وأما غير المميّز فإنه رغم بطلان بيعه، فإنه يجوز للبائع التصرف بالمال الذي يدفعه الطفل مع إحراز رضا وليّه به، كما يمكن الحكم بالصحة في البيع إذا كان الصبي مجرد آلة للولي في عملية المعاطاتي كما هو المتعارف غالباً.

مصرف النذر:

□ نذرت ذبيحة إذا تحققت أمنيّتي، فهل يجوز أن يأكل صاحب النذر من الذبيحة أم يوزعها على الفقراء فقط؟

○ الحكم حسب القصد، فإذا كانت مندورة للفقراء فعليّه أن لا يأكل منها، أما إذا نذر أن يأكل منها ويوزعها على الفقراء فيمكنه الأكل منها، فالنذر حسب القصد.

الربا من البنوك الكافرة:

□ يرى بعض الفقهاء أن أخذ الربا من البنوك الكافرة برضاهم حلال، فما رأي سماحتكم بذلك؟

○ يجوز للمكلف الأخذ، إذا لم يكن في نيته حين الإيداع الحصول على الربا والفائدة، أو كان الدفع لا بعنوان الاستحقاق الشرعي للأخذ، بل برضا صاحب المصرف على كل حال، حتى لو كان غير مستحق له شرعاً. ولا فرق في حرمة أخذ الربا من الكافر أو المسلم، ولكن إذا كان الكافر ملتزماً بشرعية الربا بحسب الرخصة الدينية لديه أو التزامه العلماني، جاز للمسلم أخذ الفائدة منه على أساس قاعدة الإلزام التي تؤكد إلزام الشخص بما التزم به.

نفقة الولد:

□ في حالة عدم تمكّن الوالد من إرسال نفقة لطفلته التي تعيش مع أمها منذ سنوات بعيدة عن أبيها بسبب حالته الاقتصادية، وعندما تحسّنت الحالة الاقتصادية أرسل المبلغ للطفلة ولكن أمها رفضت استلام المبلغ من الوالد، فهل هو آثم؟

○ لا يعتبر الوالد آثماً إذا كان معذوراً كما هو مفروض السؤال، إنما الإثم هو على من رفض استلام مبلغ الطفلة وهي هنا الأم، لأن المبلغ مُرسل إلى الطفلة وليس للأم، إلا إذا تبرعت الأم بنفقة الطفلة من مالها بحيث لم تكن الطفلة بحاجة إلى الإنفاق، فلا يجب عليه الإنفاق عليها، ولكن مع ذلك، ليس من حق الأم أن تمنع طفلتها من المال الذي يهبه لها أبوها، لأنه لا ولاية للأم على ذلك.

مصرف الضرائب في أمريكا:

□ في أمريكا تُفرض الضرائب على الناس، سواء من العمل أو غيره، وكما يقولون بأنها تُصرف لغرض المساعدات الإنسانية في الحالات الاجتماعية والصحية وغيرها من المجالات، وقد تبين أن جزءاً كبيراً من تلك الأموال

(الضرائب) يذهب لمساعدة إسرائيل عسكرياً وغيرها من المجالات، والتي لم يبلغونا بها عند اللجوء إلى أمريكا، فما هي الفتوى الشرعية في هذا الأمر، مع شعورنا كمسلمين بألم الضمير في ذلك؟

○ ليس من المؤكد أن جميع تلك الضرائب تذهب لمساعدة الصهاينة، بل ربما تذهب لهم النسبة الكبرى منها، والمهم أن طالب اللجوء في الغرب من المسلمين قد التزم بقوانين تلك الدولة المانحة للجوء، والتي تقدم له المساعدات المختلفة والضمان الاجتماعي وما أشبه ذلك. هذا مع ملاحظة مهمة، وهي أن التزام المسلم بذلك قد يؤدي إلى مصلحة عامة، وهي الثقة بالمسلمين في مراعاتهم للالتزامات المدنية في انتمائهم أو في إقامتهم، مما قد يكون له نتائج إيجابية على صعيد الواقع الإسلامي في البلد الذي ينتمون إليه أو يقيمون فيه.

جوائز البطولات الدولية:

□ في بعض البطولات الدولية الخاصة بلعبة الشطرنج، فإن المنظمين يضعون فيها جوائز عينية أو نقدية، فهل يصدق عليها أنها من الميسر الحرام؟

○ الجوائز شيء ولعب القمار شيء آخر، وهو الذي يركز على الربح والخسارة من خلال طريقة خاصة للمغالبة والاستحواذ على المال بما تفرضه اللعبة بين اللاعبين، أما إذا كان هناك مؤسسة أو هيئة دولية تقيم مسابقة ثقافية وما أشبه وتقول إنها تعطي للفائزين جوائز، فإنها لا تُعتبر من القمار.

الرهان على سباق الخيل:

□ هل أن الرهان على سباق الخيل حلال، لأنها لا تركز على جهد الفكر والتفكير؟

○ بالنسبة لقضية الرهان على الخيل فإن فيها صورتين، فتارة يكون الرهان بين اثنين متسابقين، فالبعض يقول إنه لا مانع منه، أما السباق على الخيل بالمشاركة على الربح لتعيين السابق، فالبعض يقول إنه ليس محرماً بذاته،

ولكن قد يُقال بأن هذه المسابقة غير ملزمة.

المسابقات العلمية:

□ إذا كان اليانصيب غير حرام، فما هو حكم المسابقات العلمية والأدبية والثقافية التي غالباً ما تكون من خلال القنوات الفضائية والتي تُبث عادة في شهر رمضان؟

○ هي حلال ولا إشكال فيها.

الجهات الراعية لليانصيب:

□ إذا كانت الجهة الراعية لليانصيب فاسقة أو تستعمل أموال اليانصيب لإنشاء الملاهي أو محاربة المسلمين، فما حكم ذلك؟

○ إذا كان ذلك من باب إعانة الظالمين في ظلمهم فيكون النصيب في هذه الحالة محرماً كأى عمل محلل في ذاته إذا استلزم عنواناً محرماً، نظير الفتوى بتحريم شراء البضائع الأمريكية، فذلك لأجل الضغط على الشركات الأمريكية التي تتعامل مع الكيان الصهيوني. وعليه، فإنّ اليانصيب حرام من هذه الجهة المستلزم لعنوان حرام، ولكن لا بد من التدقيق في صدق العنوان السلبي.

بطاقات الائتمان:

□ بالنسبة لبطاقة الائتمان أو الشيك المعمول بها في المصارف الغربية عند عمليات دفع الفواتير للشراء وغير ذلك، تتطلب وضع الأموال الخاصة بالمسلمين في المصرف مع وجود الفوائد المترتبة عليها، فما هو رأيكم الشرعي بذلك؟

○ إذا لم تكن هناك طريقة للتعامل المالي والمصرفي في الغرب سوى تلك البطاقة فيجوز التعامل بها إذا لم يقصد المودعون المسلمون أخذ الفائدة، إذ إن حرمة الربا لجهة الشرط، فإذا انتفى الشرط انتفت الحرمة.

شراء مع الفائدة:

□ في حالة شراء منزل أو سيارة في أمريكا مثلاً، يقوم المصرف بالشراء ثم يقوم طائب المنزل أو السيارة بتسديد الأقساط لمدة زمنية طويلة مع الفائدة المحددة، فهل يجوز من الناحية الشرعية عملية الشراء بتلك الطريقة؟
○ كما قلنا في السؤال السابق، إذا لم يكن هناك التزام من المسلم بالفائدة فإنه لا إشكال.

حكم الجوائز في المبيعات:

□ ما حكم الجوائز المعمول بها عند بعض معامل البسكويت مثلاً؟
○ لا إشكال فيها.

النذر في أموال الغير:

□ امرأة نذرت إذا حصل ولدها على وظيفة أن تعطي راتبه الأول للمعصومين ﷺ، أو أن تعمل عملاً غير هذا، ولكن من حساب هذا الابن، فهل يتعلق النذر بها أم بولدها؟
○ لا يجب الوفاء عليه، لأن النذر لا بد من أن يتعلق بمال الناذر وعمله لا بمال غيره، حتى لو كان ولداً له، ولا يجب على الولد الوفاء به، لأنه لم ينذر ولا يكفي رضاه في الوجوب.

تاسعاً: السلوك والمعاملات

العقيقة والأضحية:

□ ما هو الفرق بين العقيقة والأضحية؟

○ العقيقة هي الفداء عن المولود بالذبيحة، ويمكن أن يفدي عنه ولو كبر وصار شيخاً، فهي مستحبة بهذا العنوان، وأما الأضحية فإنها مستحبة بذاتها في يوم الأضحي، وكلاهما مستحبان، ولكن الأضحية في الحج هو من الهدى واجبة.

شهادة المدافع:

□ هل يعتبر المدافع عن ماله وعرضه وأرضه شهيداً بغض النظر عن

التزامه بالصلاة والصوم؟

○ يعني من قتل دون ذلك فهو شهيد، بمعنى أنه مظلوم، ولكن ليس بمعنى الشهادة الشرعية التي يترتب عليها الآثار الشرعية والثواب العظيم الموعود به.

العمل في الخمر:

□ ما رأيكم في العمل في محل يباع فيه الخمر دون أن تكون له علاقة

بذلك؟

□ العمل في كل ما يتصل بالخمر حرام ولا يجوز، سواء كان في نقل الخمر أو تقديمه أو بيعه، وذلك للدليل الذي دلّ على التحريم مطلقاً، وهذا بخلاف تحريم الخنزير الذي يمكن تقديمه لمستحليه. نعم، إذا كان الإنسان محتاجاً وكان عدم العمل حرجاً عليه وأنه لا يبيع الخمر فيجوز له ذلك من باب «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»^(١) فهو يجوز له العمل في المحل كما لو كان من باب التنظيف وغير ذلك.

عطر الرجال:

□ لماذا لا يحرم العطر للرجال مع أنه يشكل جمالية للرجل كما للمرأة؟

○ من قال إن العطر حرام للنساء . نعم، إذا كان يشكل إثارة ويجتذب الرجل نحو المرأة اجتذاباً غير شرعي فهذا حرام، كما في قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(١).

مقاطعة البضائع الأمريكية:

□ حول مقاطعة بعض البضائع الأمريكية، فقد يقصّر الموظف أو يتضرر أو

يطرد من الشركة وإن بلاده تشكو شحاً بالوظيفة؟

○ بعض الشركات قد تطرد الموظفين بسبب تغيير الإنتاج، ولا بد لنا في القضايا المصيرية أن نجاهد ونصبر، فهناك أناس وأطفال ووطن يذبح ولا نجد من كلمة إدانة، وهذا ما نراه في موقف أمريكا على لسان رئيسها (بوش) الذي قال عن مجزرة (غزة) إنه عمل قاسٍ، بينما نجده يقول عن منفذي عملية الجامعة العبرية بأنهم 'قتلة'، فأمريكا بهذه السياسة تريد تدمير العالم العربي الإسلامي. و(بوش) يسخر من الزعماء العرب ويقول إن الرئيس الفلاني يتفهم عملنا جيداً، يعني يعذرنا، وأحياناً نراه يفضح حتى عملاءه. وهذا ما نلمسه في قضية العراق، حيث يقال الآن إن أمريكا ستزيل (صدام)، ولكننا نسأل من الذي أبقى صدام لحد الآن وأفشل الانتفاضة الشعبانية؟ ولماذا لم يتم إسقاط نظام صدام عندما تحررت الكويت؟ الجواب هو أن الأمريكان كانوا محتاجين لصدام، ولذلك حافظوا على هذا النظام حتى يومنا هذا، وليس لسواد عيون الشعب العراقي، فإن أمريكا تريد استغلال كل العراق بأسواقه وأمنه وخبراته وثرواته.

التعامل مع غير المسلمين:

- نحن نعيش في بلدان الغرب التي فيها ندرة العوائل الملتزمة، ولكن نجد عدداً لا بأس به من العوائل المسيحية التي تمتلك عادات أفضل من بعض العوائل المسلمة، ولكن المشكلة هي في كونهم غير موحدّين، ولكنهم يعترفون بديننا والتزامنا الديني، فما رأيكم بمسألة تناول الطعام وما يسببه من إحراج لنا؟
- لا مانع من العيش مع الآخرين، ويمكن توضيح تعليمات الدين لهم.

ارتداء الحجاب على البنت:

- هل يجب على البنت أن ترتدي الحجاب في السنة التاسعة من عمرها؟
- نعم يجب ذلك على الأحوط وجوباً.

اللعب بالآلات القمار:

- في كتابكم (دنيا الشباب) تقولون بجواز اللعب بأدوات القمار من دون عوض، فما هو الدليل؟
- لأن اللعب من دون عوض لا يصدق عليه عنوان القمار أو المقامرة، وهذا الرأي لا نتفرد به، إذ اختاره من المعاصرين المرحوم السيد أحمد الخونساري، وكان موضع ثقة الإمام الخميني رحمه الله، حتى أن الإمام عندما أفتى بحلية اللعب بالشطرنج بدون عوض وثارت عليه الإشكالات استأنس برأي السيد الخونساري لتدعيم رأيه، والبحث يحتاج إلى تفصيل.

إظهار الحنك في الحجاب:

- بالنسبة للمرأة المحجبة، هل يمكن إظهار ما تحت الحنك مع إخفاء الرقبة والرأس وما تحت الحنك؟
- الأحوط ستر الحنك.

إظهار القدمين:

□ أنا لا أشك بوجود تغطية القدمين للفتاة عند الخروج، فما هو الدليل

على ذلك؟

○ رأيي هو جواز إظهار القدمين، ولكن الأفضل عدمه.

حكم الانتحار:

□ هل يجوز للإنسان الانتحار إذا عاش تحت التعذيب الشديد؟

○ لا يجوز الانتحار، لأن الله لم يسلط الإنسان على نفسه. نعم، إذا وصل إلى حالة لا طريق له إلا الانتحار، كأن يصل إلى حالة يمكن مع التعذيب أن يعترف على المؤمنين ويعرض حياتهم إلى الخطر ويعرض العمل إلى ذلك، فإنه يجوز له ذلك. أما لمجرد التعذيب والآلام فلا يجوز له الانتحار، وهناك في العالم جدل حول ما يسمى (بالموت الرحيم)، والموت الرحيم هو الحالة التي يعيش فيها المريض آلاماً شديدة، فيطلب من الطبيب أن ينهي حياته، وقد شرع ذلك في بعض الدول كهولندا مثلاً، ولكن أغلب الدول لم تُشرعه، والإسلام لا يشرع الموت الرحيم ولا الانتحار. نعم، عندما تكون هناك قضية كبرى فوق العادة يترتب عليها خطرٌ على المؤمنين أو خطر على وطن بتمامه، ففي ذلك الوقت يجوز الانتحار من باب التضاحم.

الإعلان عن خطأ الغير:

□ إذا أخطأت الفتاة وكان زوجها لا يحاسبها إن علم بخطئها، فهل يجوز

لأخ الفتاة محاسبتها أو إعلام زوجها بخطئها؟

○ في هذه المسألة يجب أن يدرس الإنسان هذا الخطأ، كما لو لم يكن يطلع على حيثياته كاملاً، فإذا كان يشكل خطراً كبيراً فإنه لا يجوز له عندئذٍ الإعلان عنه، خصوصاً إذا أوجب الفتنة أو أدى إلى قتل الفتاة، فهذه قضايا يجب أن تدرس بحسب النتائج.

تحديد التكليف:

□ متى يصبح الفرد مكلفاً بالصلاة؟

○ في الحديث الشريف: ((رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم))، فيكون الإنسان الذكر مكلفاً عندما يبلغ ١٥ سنة، أو تظهر عليه علامات البلوغ الأخرى، أما بالنسبة للمرأة فيعتبر البعض أن البلوغ الطبيعي يتحقق في الحيض، والبعض يقول عند بلوغها تسع سنين، وهو الأحوط، وقد قال الله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١) في إشارة إلى البلوغ الطبيعي.

ظاهرة الأكل في الشوارع:

□ ما هو رأيكم بظاهرة الأكل والشرب في الشوارع وخاصة النساء؟

○ ذلك يختلف بحسب العرف الاجتماعي، ولكل مجتمع أعرافه. فقد يكون مسيئاً عند مجتمع وقد لا يكون كذلك عند مجتمع آخر. وربما أوجب هتكاً للبعض أو إطماعاً للغير كما في المرأة.

شراء اللحوم من تاجر مسلم:

□ اللحوم التي يستوردها تاجر مسلم من بلد مثل الهند الذي فيه

مسلمون وهندوس ويقول إنها ذبحت حسب الشريعة، هل أكلها حلال؟

○ إذا كان موثقاً بأخباره فلا مانع من الشراء منه.

دهون الوجه:

□ هل يعتبر كريم (واقى الشمس) نوعاً من أنواع المكياج، وهل هو حلال أم

حرام؟

○ إذا كان طبيعياً ولم يخرج عن الطبيعة كعنصر إثارة فلا إشكال في ذلك،

وتستطيع الأخت تحديد ذلك بالرجوع إلى المتعارف (بَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ)^(١).

جلب العمال غير المسلمين:

□ نرجو توضيح ما ورد في سؤال الندوة السابقة عن جلب العمال الأجانب للعمل في بلاد المسلمين من الناحية الشرعية، فكيف يتم توفير العمل لهم في الوقت الذي يعيش فيه الشباب المسلم البطالة ويطاردون في العمل حتى على (البسطات) وفي الوقت نفسه ينعم الهندوس والسيخ في بلاد المسلمين بظروف عمل أحسن؟

○ كان السؤال أساساً عن بيع الفيزا، بمعنى أن الدولة قد تعطي الفيزا لبعض الناس ثم يبيعونها باعتبار أنها ملك وحق له قد ينتفع به بعض الناس. أما مشكلة البطالة فالمسألة مختلفة، إذ كيف يجلب العمال الهندوس والسيخ بينما الشباب المسلم جاهز للعمل، فالمشكلة أن الكثير من الأنظمة العربية أصبحت لا تثق بالعمال العرب، هذا قومي وهذا شيوعي وهذا إسلامي، بينما العمال الذين يأتون من الهند مثلاً يؤمنون عليهم، وهذا خطأ، لأن ذلك معناه أن بعض البلدان العربية التي تدخلها العمالة الأجنبية أصبحت غير عربية وغير إسلامية، ولكن المشكلة أن بعض الحكام يفكرون بأنفسهم ولا يفكرون بشعوبهم.

العمل في حلاقة النساء:

□ أنا مقيم في الخارج وعملي حلاق، ولا يقتصر عملي على الرجال فقط، بل يتجاوزه إلى النساء، فهل يجوز لي أخذ الأجرة على ذلك؟

○ لا يجوز للرجل أن يمارس عملاً في حلاقة النساء وتزيينهن، ولكنه يستطيع أن يوظف امرأة تقوم بحلاقة النساء.

الشك في محتويات منتج:

□ منتج غير إسلامي يباع في دولة غير إسلامية غير متأكدين من محتوياته ووردت شكوك باحتوائه أشياء من لحم الخنزير، فما حكمه؟
 ○ إذا لم نعلم بوجود شيء من شحم الخنزير، فيجوز أكله، لأن القاعدة ((كل شيء حلال حتى تعلم أنه حرام بعينه فتدعه))، ومن باب الاحتياط في حالة الشك على المكلف أن يمتنع عن تناوله.

مقابلة السوء بالسوء:

□ كيف نتعامل مع من ظن سوءاً بنا ووجه لنا كلمات قاسية دون أن يعرف الحقيقة، وكأنه فعل ذلك باسم الدين؟
 ○ يحرم عليه ذلك ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١) و ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^(٢) ومن ينحرف عن الخط الإسلامي فإن الله سيعاقبه على ذلك.

نقل أعضاء الخنزير:

□ أثبتت العلوم أن أعضاء الخنزير هي أقرب ما تكون للإنسان، فهل يجوز زرع بعضها في جسم الإنسان؟
 ○ يجوز زرع عضو خنزير في جسم الإنسان، ويكون حكمه حكم بقية أعضاء الجسم طاهراً.

علاقة الحب:

□ ما هو حكم العلاقة بين الجنسين والمسماة علاقة الحب إذا كانت وفق الضوابط الشرعية، إذ إن هذه العلاقة فيها تبادل المشاعر والأحاسيس والأفراح

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الحجرات: ١٢.

والأحزان ويتم ذلك بواسطة الإنترنت أو وجهاً لوجه؟

○ عاطفة الحب من حيث هي عاطفة ليست حراماً، ولكن إذا أدت إلى أفعال محرمة فإنها تكون حراماً، ولكن المشكلة أنه لا يمكن ضبطها في مثل هذه الأجواء، لأن تلك المقدمات تقود إلى الحرام غالباً.

شراء الصابون الأمريكي:

□ ما هو حكم شراء الصابون الأمريكي الذي يساعد على إزالة حب الشباب

ولا يوجد له بديل؟

○ قلنا بتحريم ومقاطعة شراء البضائع الأمريكية مع الإمكان، أما إذا كان الدواء لا بديل له فلا مانع من شرائه، ولا بد من التحقق من ذلك، لا أن يسوِّغ الشخص لنفسه.

حرق جثة الميت:

□ هل يجوز لرجل هندي مسلم أن يحرق جثة جدته التي ماتت على الديانة الهندوسية وكونه الابن الأكبر، وإذا خالف هذه العادة فإنه قد يحصل صراع بين عائلته والعائلة الهندوسية؟

○ إذا كان ذلك مما يؤدي إلى الفتنة بين العائلتين، فإنه يجوز للرجل المسلم اتباع ذلك التقليد طالما أن جدته ليست على دين الإسلام.

الشراء من متاجر تباع الخمر:

□ هل يجوز الشراء من المتاجر التي تتاجر بالخمر حتى لو كانت في

مناطق مسيحية؟

○ إذا كان هناك من لا يتاجر بالخمر من المسلمين فعلياً الشراء من المسلم أو من غيره إذا لم يكن يتاجر بها، وإذا كان التاجر مسيحياً فلا مانع من الشراء منه.

إجهاض المشوهين:

□ ظهرت أخيراً حالات تشوهات بالأطفال حديثي الولادة في العراق، وخصوصاً في الجنوب، وهذه الظاهرة تشكل صدمات نفسية للعائلة، فهل يمكن إسقاط الجنين إذا تم تشخيص الحالة بأجهزة حديثة تبين حالة التشوه والوفاة بعد الولادة؟

○ إذا كان ذلك قبل ولوج الروح للجنين فيجوز الإجهاض بلحاظ حالة الحرج التي تصيب الأم في حمله وولادته وتربيته في المستقبل في الوقت الذي لا يصدق فيه عنوان قتل النفس، فيشمله دليل الحرج، وهو قوله تعالى: «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»^(١)، أما إذا كان بعد ولوج الروح فلا يجوز ذلك. وإلا فلو جاز لنا قتل الطفل المشوه لجاز قتل المشوهين من دون استحداث مصححات لهم، لأن الروح بيد الله.

قانون استقالة الموظفين:

□ هل تخضع استقالة موظف من مؤسسة معينة إلى موازين شرعية معينة بخصوص الحقوق بعد الاستقالة، أم أنها تخضع لقوانين العمل التي وضعتها الدولة؟

○ إنها تخضع لقوانين العمل التي وضعتها المؤسسات ومنها مؤسسات الدولة، لأنها تشكل شروطاً ضمنية بين الدولة والموظفين، وقد ورد (المؤمنون عند شروطهم)، فقد تقتضي قوانين الدولة التعويض أو غير ذلك، فمثلاً لا يجوز الإقالة إلا طبقاً لقوانين المؤسسة أو قانون العمل، على حسب شروط العقد بين الموظف والدولة، وعليهم الالتزام بالشروط.

النشر في مجلات غير إسلامية:

□ هل يجوز كتابة المواضيع والمقالات في المجلات والصحف التابعة إلى جهات ظالمة وفاسقة، مع العلم أن في نشر هذه المقالات مصلحة للمجتمع؟

○ إذا لم يكن فيها تأييد للظلم والفسوق أو تشجيع على قراءتها، لأن الكاتب قد تكون له شعبية، فيقرأ الناس ما يكتبه الآخرون من الأمور التي تؤدي إلى الانحراف فلا يجوز ذلك، وبالعكس إذا كان يكتب أشياء ثقافية إسلامية يرضاها الله فلا مانع من ذلك.

التعزية بوفاة غير المسلم:

□ لي صديقة مسيحية توفيت منذ فترة ويتعذر علي الذهاب لأهلها للتعازي، فهل يمكن الذهاب إلى الكنيسة القريبة من داري لتقديم العزاء أم في ذلك حرج؟

○ يجوز الذهاب إلى الكنيسة لأغراض اجتماعية وليس لغرض العبادة، ولا سيما أن مواساة الآخرين حتى غير أتباع الإسلام يجسد أخلاقية الإنسان المسلم من خلال التراث الإسلامي.

الخيطة للنساء:

□ أنا خياط في دولة أجنبية، هل يجوز لي قياس الطول والعرض للنساء وتقصير الملابس وتضييقها وإظهار مفاتيحتها؟

○ لا تجوز ملامسة الرجل للمرأة الأجنبية، أما من وراء الثياب فيجوز بدون شهوة أو ريبة، ولكننا لا ننصح بذلك، لأن ذلك يوجب الفتنة.

زكاة الغلات:

□ هل يجب الزكاة في غير الغلات الأربع؟

○ الأحوط وجوبا دفع زكاة سائر الحبوب مثل الأرز والعدس ونحوهما.

سباق الرايسرز:

□ ما هو رأيكم في سباق الخيل المعروف بسباق (الرايسرز)؟

○ إن سباق الخيل إن أُريد منه التربية البدنية فهو يندرج في أنواع الرياضات البدنية، وهو جائز بلا إشكال. أما بعد أن تحوّل إلى كونه أداة ووسيلة القمار، خاصة بلحاظ ما يؤدي إليه من سلبيات بأعمق مما هو القمار المتعارف، فإنه لا يجوز.

رد الإحسان:

□ قمت في الصغر بخدمة والدتي والسهرة على راحتها، وعندما حصلت لي

أزمة مالية قامت بمنع كل من يساعدني أو يمد لي يد العون من إخواني، مع العلم أنها تملك ما لا كثيراً، فما هو رأيكم؟

○ هذه الأم - حسب منطوق السؤال - عاقّة لولدها، ولكن بالرغم من ذلك عليك أن لا تكون عاقاً لها.

تقديم اللحوم المحرمة لغير المسلمين:

□ مسلم لديه مطعم في البلاد الأوروبية وله زبائن من غير المسلمين، فهل

يجوز له تقديم اللحوم المحرمة شرعاً لهم؟

○ بالنسبة للحوم غير المذكاة يجوز، أما لحم الخنزير فتحرم شراءه للمسلم وإن كنّا نجيز للعمال تقديمه بشرط أن لا يكونوا من المسلمين، وبشرط أن لا يتاجروا به.

تناول المنشطات:

□ هل يجوز تناول المنشطات في المسابقات الرياضية؟

○ لا يحرم ذلك في نفسه، كعمل يتصل بخيار الإنسان في نفسه لنفسه، ولكن لا يجوز ذلك في المسابقات الرياضية التي تمثل حالة تعاقدية بين المتسابقين، على أساس الالتزام بشروط معينة في العقد، بحيث تكون الرياضة

حركة للجسم الطبيعي الرياضي في قوته الذاتية التي لا يضيف إليها أي عنصر آخر يجعل حركته قوية بشكل غير طبيعي كالمنشطات الخاصة، وذلك للدليل كما في الرواية ((المؤمنون عند شروطهم))، والظاهر احترام الالتزامات الصريحة والضمنية.

نذر الزوجة:

□ هل يجوز للزوج الإيفاء بنذر زوجته إن كان النذر قبل عقد الزواج، سواء كان الزواج دائماً أو مؤقتاً؟
○ هو طبعاً من أحكام الزواج الدائم احتياطاً، فالنذر إذا لم يتحقق في شرطه فللزوجة حله، ولكن إذا تحقق فلا يمكنه حله.

أكل لحم الأرنب:

□ هل يجوز أكل لحم الأرنب؟
○ لا أفتي بالحرمة، ولكن يجب الامتناع عنه من باب الاحتياط الوجوبي، وذلك لعدم وضوح الأدلة وتعارضها.

تبديل الأمتعة:

□ هل يجوز تبديل شيء من الحاجيات عوضاً عن حاجة جديدة بدون علم صاحبها أو وضع حاجة قديمة محل الجديدة؟
○ لا يجوز ذلك، لأنه لا يجوز التصرف بمال المسلم إلا عن طيب نفسه.

شركات دفن الموتى:

□ توجد شركات لدفن الموتى في السويد أشبه بشركات التأمين وتأخذ مبلغاً شهرياً من المشتركين لتتحمل أجور الدفن من نقل ورسوم للدفن في البلد الأم مثل سوريا أو العراق، فهل يجوز ذلك؟
○ نعم يجوز ذلك.

حلوى مشكوك بها:

- أرسل لي صديق من أستراليا بعض الحلوى وزوجي يقول بأنه لا يجوز أكلها لاحتمال أن يكون فيها من شحم الخنزير؟
- إن مجرد الاحتمال لا قيمة له طالما أننا لا نعلم بوجود الدهن المشار إليه في السؤال، فكل شيء يعتبر حلالاً حتى تعلم أنه حرام.

شركة مع غير مسلم:

- صديق مسلم يعمل مع أجنبي سويدي برأسمال مشترك وعمل مشترك في بيع المشروبات المحرمة ولحوم الخنزير، فما هو موقف الشرع من ذلك ولأنه مطمئن لهذه الشراكة من ناحية الثقة والأمانة؟
- لا يجوز المشاركة في بيع الأشياء المحرمة شرعاً، ويجب عزل أرباحه عنه.

ضرب المرفوسين:

- أعمل في بعض المؤسسات، وقد تعرضت بالضرب لأحد الناس ممن هم تحت إمرتي، فهل ذلك حرام، وما هي كفارة ذلك؟
- الاعتداء على الآخرين بالضرب وغيره حرام وكفارته هو أن تتسامح ممن ضربته.

بقايا ممتلكات الآخرين:

- كنت خياطاً واستعملت مما يتبقى من قماش الناس بدون علمهم ولا أعرفهم الآن، فماذا أفعل حتى لا يكون هناك عقاب على ذلك؟
- عليك أن تتصدق بهذا على الفقراء بإذن الحاكم الشرعي.

النذر للمراقدة المشرفة:

- نذرت سجادتين إلى مرقد الإمام موسى بن جعفر الكاظم ؑ إذا تحقق

سفري، وقد اقترب موعد السفر وأريد الوفاء بالنذر وإرسال السجادتين إلى مرقد الإمام الكاظم عليه السلام، وعلمت أن حالة أختي سيئة جداً ولديها طفل رضيع وهي بحاجة للمساعدة وزوجها سيد ملتزم جداً، فهل يجوز لي أن أعطيها مبلغ النذر باسم الإمام الكاظم عليه السلام؟

○ يجب الوفاء بالنذر ولا يصرف النذر إلى مورد آخر، مع إمكانية مساعدة الأخت بشيء آخر. ثم إذا كان لا يمكن تنفيذ النذر لأمر ما مؤقتاً فإنه يمكن تأجيل الوفاء بالنذر.

الإنفاق على الوالدة:

- هل يجب على الولد الإنفاق على والدته إذا لم يكن لها معيل؟
○ نعم، يجب عليه ذلك.

التعامل مع معامل التبغ:

- هل يجوز التعامل مع معامل التبغ لتصنيع السجائر وتجهيزها ببعض

المواد؟

- من يقلد مرجعاً يجهز التدخين يجوز له ذلك.

تحديد المولود:

- هل يجوز تحديد جنس المولود عند انقسام البويضة كما يجري في

بعض الدول؟

- لا مانع من ذلك (علم الإنسان ما لم يعلم)^(١). فإن الله قد هدانا لنكتشف بعض أسرار الخلق، فعندما ننطلق بما وهبه الله لنا من عقل وتجربة، فإن ذلك لا يعني إعجاز الله أو التعدي على سلطانه.

الاختلاط بين الرجال والنساء:

□ هل يجوز للمرأة إذا كانت في صف دراسي يضم النساء والرجال أن تشارك الرجال في أحاديثهم التي ليست من الدرس، وقد تشتمل على الضحك، علما بأن ذلك قد يسبب الشكوك لزوجها فينفر منها؟

○ يقول الله تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾^(٢)، فمن وضع نفسه في مواضع التهمة فلا يلومن من أساء الظن به، فعلى المرأة المحافظة على حياتها الزوجية ألا تأتي بأي شيء يعقد الحياة الزوجية.

دية ضرب الطفل:

□ هل دفع الدية للطفل من قبل أبيه عند ضربه تكون عندما يكبر أم يستطيع أن يدفعها حالا واحتسابها من مستلزمات الحياة؟

○ يمكن أن يدفعها الأب من مستلزمات حياته.

القسم بأسماء الأنمة ﷺ:

□ هل أن القسم بأحد أهل البيت ﷺ تلزم الشخص الوفاء بقسمه؟ وهل هو مأثوم إذا لم يطبق ذلك القسم؟

○ إن القسم بالله وحده هو الذي يجب الوفاء به، ولكن القسم بالأئمة ﷺ وعدم الوفاء به يعتبر إساءة للأئمة، فعلينا أن نتعلم أن لا نقسم بغير الله سبحانه وتعالى، وقد ورد أن لله أن يقسم بخلقه وليس لخلقه أن يقسموا إلا به.

تقديم الدخان:

□ أنا من مقلديكم، وعندي مقهى أقدم فيه الأركيلة، فهل يوجد إشكال في ذلك، وهل حكمها حكم السجائر؟

○ حكمها حكم السجائر، وقد ذكرنا أن التدخين مضر للناس وقد يؤدي إلى التهلكة، وإذا كان هناك حرج شديد عليك في الترك فيجوز لك الرجوع إلى غيرنا ممن يفتي بالجواز، ولكننا لا ننصح بذلك، لأن في التدخين بكل أنواعه إضراراً بالمدخن وبالناس.

مصرف النذر:

□ نذرت ذبيحة إذا تحققت أمنيّتي، فهل يجوز أن يأكل صاحب النذر من الذبيحة أم يوزعها على الفقراء فقط؟
○ الحكم حسب القصد، فإذا كانت منذورة للفقراء فعليه أن لا يأكل منها، أما إذا نذر أن يأكل منها ويوزعها على الفقراء، فيمكنه الأكل منها، فالنذر حسب القصد.

اختلاف الفقهاء في التدخين:

□ من الناحية الطبية يؤثر التدخين في إيذاء وتشويه الجنين، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا يجمع مراجع الدين على حرمة التدخين لأضراره البالغة الواضحة؟

○ قلنا مراراً إن التدخين حرام على الجميع بمن فيهم المرأة الحامل، وقلنا إن المدخنين يرتكبون جريمتين بالنسبة لأنفسهم وبالنسبة للآخرين، خصوصاً في البيت، فإنه يؤثر سلباً على الأطفال، وكذلك في الأماكن العامة، فإنه يؤثر على صحة الآخرين، وتزداد المسألة خطورة في تدخين المرأة الحامل من خلال تأثيره على الجنين الذي لا حول له ولا قوة، ما يعد ظلماً له.

الالتزام بالتكاليف بدون حجاب:

□ فتاة هي محجبة الآن، ولكنها كانت في السابق تصلي وتصوم بدون حجاب، فما حكم صومها وصلاتها؟
○ إذا كان المراد أنها كانت تلتزم بالصلاة والصوم ولا تلتزم بالحجاب كما هو الظاهر، فلا مشكلة في صحتها.

خمس الأموال المجتمعة للحج:

□ هل يخمس المال الذي يجمعه الإنسان لعدة سنوات لأداء فريضة

الحج؟

○ يجب دفع الخمس سنويا قبل أداء فريضة الحج.

نقل الموتى من الغرب:

□ ما هي الفتوى الشرعية في نقل الموتى المسلمين من الغرب إلى بلدانهم

الأصلية، وخاصة أن تكلفة نقل الميت أكثر من كلفة الحي، وقد يستفيد الورثة من تلك المبالغ المصروفة على عملية النقل، مع ما يجري قبل نقل الميت من تفريغ الأحشاء بما فيها القلب والمخ والجوارح الأخرى؟

○ الفتوى الشرعية هي أن يتم دفن الموتى المسلمين في البلدان التي يتوفون

فيها، وعلى المسلمين في بلاد الغرب أن يخصصوا لهم مقابر إسلامية لدفن موتاهم ولا داعي لنقلهم لأماكن أخرى (وما تدري نفس بأي أرض تموت)^(١)، فالأرض كلها لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز تشريح الميت واستخراج أحشائه كوسيلة من الوسائل المفروضة رسميا للسماح بنقله إلى بلده، فما يتوقف على الحرام حرام.

الغلظة في أحكام الإسلام:

□ هناك من يدعي أن بعض أحكام الإسلام مثل قطع يد السارق أو جلد

الزاني أصبحت قديمة وغير إنسانية ومن الأفضل استبدالها بالغرامات المالية أو السجن، فما هو الرأي؟

○ إن الحدود الشرعية في الإسلام ذات جانب وقائي حينما ندرسها

دراسة صحيحة، ولعل التجربة التاريخية دلت على أن هذه الحدود استطاعت أن تحقق نتائج إيجابية على مستوى منع الجرائم أكثر من القوانين المعاصرة.

الاستنساخ البشري:

□ ما هو رأيكم في الاستنساخ البشري، وهل يوجد ما يشير إليه في القرآن

أو السنة؟

○ قلنا إن ذلك لا يتنافى مع العقيدة، ولكن تطبيقه بحاجة إلى دراسة للسلبيات والإيجابيات، ومنذ عدة سنوات تحدثنا عن هذا الموضوع، وأخيرا تحدثنا مع وكالة الصحافة الفرنسية، وكذلك مع قناة الجزيرة الفضائية، وقد يكون ضرر الاستنساخ أكثر من نفعه.

إنشاد الشعر ونظمه:

□ هل يجوز قول الشعر عامة وشعر الغزل خاصة، ومن دون الشعر المأجن؟

○ نعم يجوز ذلك.

وهب الأعضاء عند الموت:

□ ما هو رأيكم في مسألة وهب الأعضاء عند الموت على سبيل الوصية

بذلك، وهل تجب استجازة الورثة لاستئصال تلك الأعضاء؟

○ يجوز للإنسان أن يوصي بأعضائه عند الموت، ولا يجب استجازة الورثة.

الحدود الشرعية لضرب الطفل:

□ ما هي الحدود الشرعية لضرب الطفل؟ وما هي الديات المتعلقة بذلك؟

وما هي القيمة المالية لهذه الديات؟

○ لا يجوز ضرب الطفل مطلقا، إلا في الموارد التي يكون الضرب فيها للتأديب، ويجب أن يكون بمقدار لا يدمي أو لا يكون موجبا لدفع الدية، ولكن أمر الدية يختلف باختلاف الموارد، والتي يكون بعضها منوطا بنظر الحاكم الشرعي.

حكم النذر:

□ هل النذر أمر مستحب؟ ومن قال به؟ وهل له تأثير في تسهيل المطلب؟

(٥) النذر هو نوع من أنواع التقرب إلى الله تعالى، مثلما تقول: لله علي نذر كذا إذا قضى الله حاجتي كذا، لأن فيه نوعاً من الاستشفاع إلى الله سبحانه وتعالى.

العمل في حلاقة مختلطة:

□ ما هو حكم العمل في محل حلاقة في البلاد الأجنبية وأغلب زبائنه من

النساء؟

(٥) لا يجوز للرجال حلاقة النساء. أما إذا كان عمله في المحل إدارياً فيجوز العمل، مع ملاحظة العناوين الأخرى التي قد تغير الحكم.

التقاط الفواكه:

□ ما حكم من يلتقط بعض الفواكه والخضراوات التي تقع على الأرض في

أسواق الخضار والفواكه مثلاً، والتي قد تسحق أو تتلف إذا بقيت على الأرض، وما هو حكم استهلاكها؟

(٥) إذا كانت مجهولة المالك فيعطىها المكلف للفقير أو يستهلكها، أما إذا عرف صاحبها، فإن الواجب إعادتها له، إذ ربما تكون ساقطة من إحدى السلات في حالة زحام السوق أو نقل الفواكه والخضروات بين العربات والمحلات.

حكم ارتداء ربطة العنق:

□ ما حكم لبس ربطة العنق التي تشد على القميص وتبدل على الصدر؟

(٥) لا مانع من لبسها، حيث لا ينطبق على لبسها عنوان آخر محرم.

لباس الشهرة:

□ ما معنى لباس الشهرة وما حكمه؟

(٥) هو اللباس الذي يتزين فيه الرجل بزي المرأة أو بالعكس، بحيث يصدق عليه تأنيث الرجل وتذكير المرأة، ما يؤدي إلى هتك حرمة المؤمن أو المؤمنة، وهو

من اللباس المحرم، ولكن لا تبطل الصلاة فيه.

الجلوس على مائدة الخمر:

□ هل يجوز الجلوس على طاولة مع أحد الأصدقاء لتناول الطعام وعليها

خمر؟

○ لا يجوز الجلوس على مائدة عليها الخمر إلا إذا لم يصدق عليه الجلوس معه على طاولة، كما لو كانت الطاولة طويلة جداً ويكون الجالس بعيداً عن الخمر، حيث يكون لكل واحد مائدته الخاصة، وهذا خلاف مفروض المسألة، حيث إنه كما يبدو صديق، والأفضل مع ذلك كله أن ينسحب من تلك المائدة المتناول عليها الخمر، إلا إذا كان انسحابه يمثل حرجاً أو ضرراً له، ولكن ينبغي عدم التساهل في ذلك، والإنسان المؤمن يعرف نفسه «بَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»^(١).

إلقاء النفايات في الحال العامة:

□ هل إلقاء النفايات في المدارس أو الشوارع محرّم؟

○ إلقاء النفايات في الشوارع وفي غير الأماكن المخصصة لها تُسبّب التلوث في البيئة وتؤثر على صحة الإنسان، وهو حرام، وهو منافٍ لما ورد من أن ((النظافة من الإيمان)).

حكم الأكل بمطاعم الغرب:

□ ما حكم الأكل في مطاعم دول الغرب والتي قد لا تكون ذبائحها حسب

الطريقة الشرعية؟

○ لا يجوز الأكل من المطاعم التي لا تتعامل مع الذبائح وفق الطريقة

الشرعية.

الفهرس

١. البيئة المنحرفة ٦٧
٢. التربية في أجواء منحرفة ٦٧
٣. الموقف من أهل المعاصي ٦٨
- ثامناً: المقاطعة الاجتماعية ٧٢**
 ١. مقاطعة الأبوين ٧٨
 ٢. مقاطعة الوالد المجرم ٧٩
 ٣. مقاطعة الأخ غير الملتزم ٧٩
 ٤. مقاطعة قاطع الرحم ٧٩
 ٥. مقاطعة المرأة المذنبة ٨٠
 ٦. مقاطعة غير الصالحين ٨٠
 ٧. مقاطعة المنافق ٨١
 ٨. مُجالسة من يميئ القلب ٨١
 ٩. صلة من لا يصلي ٨٢
- تاسعاً: التربية الروحية ٨٢**
- عاشراً: التربية الأخلاقية ٩٥**
 ١. الازدواجية ٩٥
 ٢. التوبة والاستغفار ٩٨
 ٣. الغيبة ١٠٣
 ٤. التهجم على العلماء ١١٢
 ٥. الحسد ١١٥
 ٦. الكذب ١١٨
 ٧. السخريّة والمزاح ١١٩
 ٨. عناوين متفرقة ١٢٠
 ٩. حلول تربوية ١٢٦
- كشف بالمحاضرات التربوية ١٣٣**

[باب المحاضرات]

المحاضرة الأولى

السيدة الزهراء ❀ .. السيدة

المقدمة: الفقه التربوي

- أولاً: تربية الأطفال ٧**
 ١. شخصية الطفل ٧
 ٢. التربية في الطفولة ٩
 ٣. تعويد الأطفال على التفكير ١٤
 ٤. أساليب خاطئة ١٦
- ثانياً: تربية الشباب ٢٠**
 ١. تربية الشباب ٢٠
 ٢. إطاعة الوالدين ٢١
 ٣. التعامل مع الأبناء المقصرين في الصلاة ٢٣
 ٤. حقوق الشباب ٢٣
 ٥. أوقات الشباب الضائعة ٢٤
 ٦. تحصين الشباب ٢٥
 ٧. نصائح للشباب ٢٦
- ثالثاً: العلاقة الزوجية ٢٩**
 ١. الزواج المبكر ومقدماته ٢٩
 ٢. إنسانية العلاقة ٣١
- رابعاً: العلاقات الاجتماعية ٣٨**
 - ١- الأخلاق الفردية والاجتماعية ٣٨
 ٢. الأخوة في الدين ٣٩
 ٣. زمن سوء ٤١
 ٤. الاعتزال والاندماج ٤٧
 ٥. أهمية المكاشفة ٥١
- خامساً: العلاقات بين المغتربين ٥٤**
- سادساً: التهذيب الاجتماعي ٥٧**
 ١. في الجانب السلبي ٥٧
 ٢. في الجانب الإيجابي ٦٢
- سابعاً: الأجواء المنحرفة ٦٧**

الحزن مظهر إنساني.....	١٩٥
الجزع انكسار.....	١٩٧
مراتب الجزع.....	١٩٩
مخاوف على المستقبل.....	٢٠٠

المحاضرة السادسة

مفهوم الحزن في القرآن (٢)

حزن الدعاة إلى الله.....	٢٠٥
الحزن قرآنياً.....	٢٠٧
خطاب القوة.....	٢٠٩
الخطاب الأبدي.....	٢١٤

المحاضرة السابعة

مفهوم الحزن في القرآن (٣)

آلام وأحزان الأولياء الصالحين.....	٢١٧
النقد الذاتي.....	٢١٩
الآلام المتبادلة.....	٢٢٣
حزن أم موسى.....	٢٢٤
حزن مريم.....	٢٢٥
الآلام المقدسة.....	٢٢٦

المحاضرة الثامنة

مفهوم الحزن في القرآن (٤)

الحزن النبوي وحزن المؤمنين.....	٢٢٩
إشاعة الحزن واليأس.....	٢٣١
النجوى الشيطانية.....	٢٣٣
الحزن النبوي.....	٢٣٤
حزن المؤمنين.....	٢٣٨
الحاجة إلى التربية الروحية.....	٢٣٩

المحاضرة التاسعة

مفهوم الحزن في القرآن (٥)

حزن النبي يعقوب.....	٢٤٣
سمات شخصية يوسف.....	٢٤٥
حزن يعقوب.....	٢٤٧
الحزن الصابر.....	٢٥٢

زينب.....

في رحاب الزهراء.....	١٣٩
البيت الأول.....	١٤١
دروس من حياة الزوجين.....	١٤٦
آلامها الخاصة والعامة.....	١٤٧
الحياة المثالية.....	١٥٠
الامتداد الزينبي.....	١٥١
.....	١٥٣

المحاضرة الثانية

مفهوم الفرح في القرآن (١)

الجانب الإيجابي.....	١٥٣
القرآن شفاء الصدور.....	١٥٩
قاعدة الفرح.....	١٦٠
المصير المشترك.....	١٦١
الانتصار المشترك.....	١٦٣
الفرح بالهدى.....	١٦٥

المحاضرة الثالثة

مفهوم الفرح في القرآن (٢)

الجانب السلبي (١).....	١٦٧
فرح اللحظة.....	١٦٩
سكن الله في الحياة.....	١٧٠
التوازن في الحياة.....	١٧٤
الأطر الضيقة.....	١٧٤

المحاضرة الرابعة

مفهوم الفرح في القرآن (٣)

الجانب السلبي (٢).....	١٧٩
حقيقة الحياة الدنيا.....	١٨١
زخرف الدنيا.....	١٨٢
نموذج قارون.....	١٨٤
زهو الدنيا.....	١٨٦

المحاضرة الخامسة

مفهوم الحزن في القرآن (١)

الجزع والخوف.....	١٩٣

ولاية الشيطان ٣٠٣

قادة الإغراء ٣٠٥

سلطان الإنسان على نفسه ٣٠٨

سلطان الشيطان ٣١٠

مسؤولية الإنسان ٣١١

المحاضرة الخامسة عشرة

الولاية لغير الله (٣)

حزب الشيطان ٣١٥

ملاحم أولياء الشيطان ٣١٧

الإسراف والتبذير ٣١٨

حزب الله وحزب الشيطان ٣٢٠

المادة والموالة ٣٢٤

المحاضرة السادسة عشرة

الولاية لغير الله (٤)

التخويف الشيطاني ٣٢٥

تخويف الشيطان ٣٢٧

مناسئ خوف ٣٣١

دروس الحاضر ٣٣٣

قطار التبعية ٣٣٤

النماذج المقاومة ٣٣٥

المحاضرة السابعة عشرة

ولاية الله وولاية الشيطان

الحرب والقتال في ظل الولايتين .. ٣٣٧

أهداف الحرب والقتال ٣٣٩

القتال لأجل الإنسانية ٣٤٢

القتال لفرض العقيدة ٣٤٣

مواجهة خطط المستكبرين ٣٤٥

المطلوب فهم الواقع ٣٤٦

المحاضرة الثامنة عشرة

أولياء الله وأولياء الشيطان

أهدافهم وغاياتهم ٣٥١

مرجعية الطاغوت ٣٥٣

المنهج الإسلامي ٢٥٢

حديث البكائين ٢٥٣

المحاضرة العاشرة

مفهوم الحزن في القرآن (٦)

الذين لا يحزنون (أ) ٢٥٧

الأمن المصيري ٢٥٩

مصادر المعرفة ٢٦٠

الاستقامة في القرآن ٢٦٢

من التوحيد إلى ثقافته ٢٦٣

الجهل بلبوس العلم ٢٦٥

المحاضرة الحادية عشرة

مفهوم الحزن في القرآن (٧)

الذين لا يحزنون (ب) ٢٧١

التجربة الإيمانية الأولى ٢٧١

الحزن الأبدي الخالد ٢٧٤

التسليم المطلق لله ٢٧٦

المحاضرة الثانية عشرة

مفهوم الحزن في القرآن (٨)

الأمان من الحزن يوم القيامة ٢٧٩

صفات المؤمن ٢٨١

معنى الأولياء ٢٨٣

الحب الإيماني ٢٨٥

برنامج الأولياء ٢٨٧

المحاضرة الثالثة عشرة

الولاية لغير الله (١) ٢٩٣

ولاية غير الله ٢٩٥

الحب الإلهي ٢٩٧

الولاية المزدوجة ٢٩٨

التقرب لغير الله ٢٩٩

التوسل بالأنبياء ﷺ ٣٠٠

المحاضرة الرابعة عشرة

الولاية لغير الله (٢)

المحاضرة الثالثة والعشرون

ولاية الشيطان (٢)

- وسائل الشيطان في إضلال الناس .. ٤٠٩
المنهج الإسلامي في الاجتماع ٤١١
المسؤولية الاجتماعية ٤١٣
حركة المال في المجتمع ٤١٤
الخسران الكبير ٤١٧

المحاضرة الرابعة والعشرون

ولاية الشيطان (٣)

- التحدي العدائي للإسلام ورموزه .. ٤٢١
منهج في المواجهة ٤٢٣
المجابهة بالمثل ٤٢٤
مقاطعة مجالس المستهزلين ٤٢٥
من القرآن الكريم إلى رحاب السنة ٤٢٧
المواقف السلبية مرفوضة ٤٢٩

المحاضرة الخامسة والعشرون

ولاية الشيطان (٤)

- إغواء الشيطان بالخمير والقمار ٤٣١
في أجواء الشيطان ٤٣٣
سبب نزول الآية ٤٣٤
تحريم الفواحش ٤٣٦
ثبات التحريم ٤٣٧
وسائل غير مشروعة ٤٣٩
جدل فقهي ٤٤٠

المحاضرة السادسة والعشرون

ولاية الشيطان (٥)

- أساليبه في الصد عن ذكر الله ٤٤٣
الموقف الشرعي من الشطرنج والنرد ٤٤٥
عود على بدء ٤٤٦
الحضور الاجتماعي ٤٤٨
الموقف الشرعي من الأزياء والأصنام ٤٤٩

المحاضرة السابعة والعشرون

التحاكم إلى الطاغوت ٣٥٥

البراءة من الطاغوت ٣٥٧

المحاضرة التاسعة عشرة

ولاية الله وولاية الشيطان (١)

- معطيات الولايتين ٣٥٩
المواجهة الشاملة ٣٦١
السلام والعنفوان معا ٣٦٣
المواجهة العاقلة ٣٦٤
اثقال المسؤولية ٣٦٧

المحاضرة العشرون:

ولاية الله وولاية الشيطان (٢)

- مقارنة عملية ٣٦٩
المنهاج الشامل ٣٧١
أساليب الشيطان ٣٧٤
ارتكاز التقليد على الحجة ٣٧٦
التقليد الأعمى ٣٧٧
الحرية الجنسية مثلاً ٣٧٨
اصنع فكرك بنفسك ٣٨١

المحاضرة الحادية والعشرون

ولاية الله وولاية الشيطان (٣)

- خطوات الشيطان وأساليبه ٣٨٣
العيد تواصل وأخوة ومحبة ٣٨٥
مجتمع السلم ٣٨٦
خطوط السلام ٣٨٩
بين السلم والحرب ٣٩٢

المحاضرة الثانية والعشرون

ولاية الشيطان (١)

- حديث الإفك ٣٩٧
التخطيط للمنهج الإسلامي ٣٩٩
مجرى القصة ٤٠٠
التأثير السلبي ٤٠٣
مراكز الشيطان المعاصرة ٤٠٧

٥٠١.....	حشر الوحوش
٥٠٢.....	ولاية الكافر
٥٠٢.....	آية التطهير ونساء النبي ﷺ
٥٠٣.....	النفس الأمارة
٥٠٣.....	الشمس والنهار
٥٠٣.....	إدانة الفرحين
٥٠٤.....	محو الليل
٥٠٤.....	فتق السموات والأرض
٥٠٥.....	أثمة النار
٥٠٥.....	الكدح إلى الله
٥٠٥.....	خشية العلماء
٥٠٥.....	تكليم موسى ﷺ
٥٠٦.....	اشتعال الرأس بالشيب
٥٠٦.....	عداوة الأبناء والأزواج
٥٠٧.....	رجع السماء
٥٠٧.....	سيل الأودية
٥٠٨.....	وصف الليل باللباس
٥٠٨.....	تحريم الخنزير
٥٠٩.....	المغارب والمشارك
٥٠٩.....	معنى الصمد
٥١٠.....	الأنساب يوم القيامة
٥١١.....	ولد الله
٥١١.....	ورود النار
٥١٢.....	آية البلاغ
٥١٣.....	بأي آلاء ريكما تكذبان
٥١٣.....	المباهلة
٥١٣.....	عيسى ومريم ﷺ بآية واحدة
٥١٤.....	معنى المهاد
٥١٤.....	معنى شر غاسق
٥١٤.....	تقديم العقاب على الثواب
٥١٥.....	الأمانة العامة
٥١٥.....	العمل غير الصالح
٥١٥.....	فوز المتقين
٥١٥.....	الإخبار القرآني عن الأحداث
٥١٦.....	الفسوق في القرآن
٥١٦.....	سرقة يوسف ﷺ
٥١٦.....	الجهر بالسوء

٤٥٣.....	هل يانصيب من القمار؟
٤٥٥.....	مقاربة فقهية
٤٥٨.....	آراء الفقهاء
٤٥٨.....	إضلال الشيطان
٤٦١.....	معنى العبادة

المحاضرة الثامنة والعشرون

٤٦٣.....	المنهج الإسلامي في بناء الإنسان ..
٤٦٥.....	عرفان علي ﷺ
٤٦٦.....	المثل الأعلى
٤٦٧.....	شخصية الحق
٤٦٩.....	برنامج علي ﷺ
٤٧٠.....	لنكن مع الحقيقة

المحاضرة التاسعة والعشرون

٤٧٥.....	القضية العراقية وملابساتها
٤٧٦.....	تجارب من الماضي
٤٧٧.....	من الذي فرض (صدام) ؟
٤٧٩.....	تركيز الوجود الأجنبي
٤٨٠.....	تضارب مصالح المستكبرين

المحاضرة الثلاثون

٤٨٥.....	دور الشيطان في إضلال الناس
٤٨٧.....	خطط الشيطان
٤٨٩.....	مهام الشيطان
٤٩١.....	لعبة الشعارات
٤٩٢.....	الأمانى المزيّفة

[باب المسائل]

الفصل الأول: المسائل القرآنية

٤٩٧.....	أولاً مسائل التفسير
٤٩٩.....	الإكراه في الدين
٥٠٠.....	السماء ذات الرجوع
٥٠٠.....	منهج الطباطبائي في التفسير
٥٠٠.....	التوبة للجاهلين
٥٠١.....	القرآن وعصمة الأنبياء

٥٣٧.....	ظن يونس ﷺ
٥٣٧.....	التسابق في الخيرات
٥٣٨.....	انشقاق القمر
٥٣٨.....	اصطفاء مريم ﷺ
٥٣٩.....	الله هو المثل الأعلى
٥٣٩.....	جعل الفتنة
٥٣٩.....	ضعف الشيطان
٥٣٩.....	هدى الأمم في المستقبل
٥٤٠.....	عين حمئة
٥٤١.....	تفضيل الرجال في القرآن الكريم
٥٤١.....	ضرب الزوجة في القرآن
٥٤٢.....	انتظار هود
٥٤٢.....	الصوامع في القرآن
٥٤٢.....	الصوم إلى الليل
٥٤٣.....	هدى الإنسانية
٥٤٣.....	وصف إبراهيم ﷺ بالامة
٥٤٤.....	الامة الخيرة
٥٤٤.....	حدود الجنة
٥٤٥.....	شياطين الجن والإنس
٥٤٥.....	دخول العاصين إلى النار
٥٤٦.....	الموت والوفاة
٥٤٦.....	معنى الأخدان
٥٤٦.....	الماء أصل الأشياء
٥٤٦.....	النبي ﷺ والشورى
٥٤٧.....	نزول السكينة على النبي ﷺ
٥٤٨.....	نسيان الآيات
٥٤٨.....	موالاة الكافرين
٥٤٩.....	الصوم خير
٥٤٩.....	نظر النفس
٥٤٩.....	فرعون وقومه
٥٥٠.....	طبيعة الإنفاق
٥٥٠.....	العقاب في القرآن
٥٥١.....	العنل الزنيم
٥٥٢.....	النظرة الحاقدة
٥٥٣.....	اليوم والروح
٥٥٤.....	القتال على تأويل القرآن
٥٥٤.....	تفسير الكوثر

٥١٧.....	النفس المطمئنة
٥١٨.....	الذي اضحك وابكى
٥١٨.....	الرسول ﷺ واختيار زوجاته
٥١٩.....	نسخ الآية
٥١٩.....	الستر في القرآن
٥٢٠.....	العصمة في القرآن
٥٢٠.....	آدم ﷺ في القرآن
٥٢١.....	تحديد العلاقات الإنسانية
٥٢٢.....	نفي الريب عن الكتاب
٥٢٢.....	اختلاف الناس
٥٢٣.....	المس واللمس
٥٢٣.....	قسم الله
٥٢٤.....	عذاب الدنيا
٥٢٤.....	الطيون والطيبات
٥٢٥.....	نسيان للنفس
٥٢٦.....	حزن الأنبياء ﷺ وخوفهم
٥٢٦.....	ملجأ لوط ﷺ
٥٢٧.....	التفسير ومصاديقه
٥٢٧.....	قطع يد السارق
٥٢٨.....	إحصاء نعم الله
٥٢٨.....	قواعد التأويل
٥٢٨.....	حكمة التبليغ
٥٢٩.....	روح الله
٥٢٩.....	إمام الهدى وإمام الضلال
٥٣٠.....	صوم مريم ﷺ
٥٣١.....	شراء الأنفس
٥٣١.....	إتمام الحج
٥٣١.....	فهم القرآن
٥٣٢.....	السياحة أربعة أشهر
٥٣٣.....	الحذر من الله
٥٣٣.....	هبوط إبليس
٥٣٤.....	الوسوسة لآدم وحواء
٥٣٤.....	تحدي الجن والإنس
٥٣٥.....	ضرب الأمثال في القرآن
٥٣٥.....	الحذر من الموت
٥٣٦.....	القاعدون والمجاهدون
٥٣٦.....	استقرار الشمس

٥٧٨.....	تداول المصحف الشريف.....
٥٧٨.....	تواتر القرآن.....
٥٧٩.....	منهج التأويل.....
٥٧٩.....	ختم القرآن.....
٥٨٠.....	القرآن وغير المسلم.....

الفصل الثاني: المسائل العقيدية

٥٨٣.....	الجبر على الأعمال.....
٥٨٣.....	الدعاء والقدر.....
٥٨٣.....	الاستنساخ وقدرة الله.....
٥٨٤.....	الكفر غضباً.....
٥٨٤.....	البلاء والعقاب.....
٥٨٥.....	الله هو النور.....
٥٨٦.....	البداء.....
٥٨٧.....	المساجد على القبور.....
٥٨٨.....	الإكراه في الدين.....
٥٨٩.....	اعتراض إبليس.....
٥٩٠.....	حياة البرزخ.....
٥٩٠.....	خلو البلدان من الأنبياء.....
٥٩١.....	قيمة الدعاء عقائدياً.....
٥٩١.....	نزول النقم على أمة محمد ﷺ.....
٥٩٢.....	الاذكار وتخفيف العذاب.....
٥٩٢.....	خلق حواء من آدم.....
٥٩٣.....	متى خلقت حواء.....
٥٩٣.....	خلود الناس في النار.....
٥٩٤.....	سبب نزول آدم من الجنة.....
٥٩٤.....	زمن العصمة.....
٥٩٥.....	إجابة مقترحي المعجزات.....
٥٩٥.....	ما يكتبه الله.....
٥٩٦.....	الابتلاء بالحرمان.....
٥٩٧.....	الشیطان من الجن.....
٥٩٨.....	تضحية غير المؤمن.....
٥٩٩.....	الطاعة وسعة الرزق.....
٥٩٩.....	الجن في حياتنا.....
٦٠٠.....	حب النفس.....
٦٠٠.....	الالتزام بالعبادات.....
٦٠١.....	الإخبار في باب العقائد.....

٥٥٥.....	خشية القرآن.....
٥٥٦.....	العزة المطلقة.....
٥٥٦.....	سؤال الأمم.....
٥٨٨.....	ما معنى تيسير القرآن؟.....
٥٨٨.....	ذكر الله بعد النسيان.....
٥٦٠.....	الحق والباطل.....
٥٦٠.....	النقص في الأرض.....
٥٦٠.....	آية الشورى وآية التبليغ.....
٥٦١.....	المؤمن والمسلم في القرآن.....
٥٦١.....	معنى الوسيلة.....
٥٦٢.....	التجانس الإنساني.....
٥٦٣.....	أحسن الخالقين.....
٥٦٣.....	ترجمة يد الله.....
٥٦٣.....	الحكم بين الزوجين.....
٥٦٤.....	تفسير الحسنة.....
٥٦٤.....	خلق الإنسان.....
٥٦٥.....	الحب والبغض في الله.....
٥٦٥.....	إعداد القوة في مواجهة العدو.....
٥٦٧.....	يا جوج وما جوج.....
٥٦٧.....	إهلاك القرى والمدن.....
٥٦٨.....	الصلاة على النبي ﷺ.....
٥٦٨.....	الإيمان والإسلام.....
٥٦٩.....	وصف السكر بالرزق.....

ثانياً المسائل العامة ٥٧٠.....

٥٧٠.....	إحياءات القرآن الكريم.....
٥٧١.....	نجاسة المشركين.....
٥٧٢.....	الفاحة في الليل.....
٥٧٣.....	الآية والحديث القدسي.....
٥٧٤.....	بلاغة القرآن الكريم.....
٥٧٤.....	ما المقصود بعدم تحريف القرآن؟.....
٥٧٥.....	الحروف الزائدة في القرآن.....
٥٧٦.....	نزول القرآن.....
٥٧٦.....	صلاحيات الملائكة.....
٥٧٦.....	الاجتهاد في النسخ.....
٥٧٧.....	صراحة النصوص القرآنية.....
٥٧٧.....	القرآن والإنجيل.....
٥٧٨.....	إتلاف الآيات بالحرق.....

٦٢٣.....	الحزن على الأعداء
٦٢٣.....	الإمام علي عليه السلام والسؤال
٦٢٤.....	عصمة الإمام علي عليه السلام
٦٢٤.....	الإمام علي عليه السلام وحقه في الخلافة
٦٢٦.....	المرأة والعقرب
٦٢٧.....	ثالثاً: فاطمة الزهراء عليها السلام
٦٢٧.....	عصمة السيدة الزهراء عليها السلام
٦٢٨.....	رابعاً: الإمام الحسين عليه السلام
٦٢٨.....	العار والنار
٦٢٩.....	خامساً: الإمام المهدي عليه السلام
٦٢٩.....	انتظار المهدي عليه السلام
٦٢٩.....	علامات ظهور المهدي عليه السلام
٦٣٠.....	المهدي عليه السلام ومستقبل البشرية
٦٣١.....	نصرة المهدي عليه السلام
٦٣٢.....	سادساً: الأئمة عليهم السلام
٦٣٣.....	المعصومون والدليل على عصمتهم
٦٣٣.....	الروايات الضعيفة
٦٣٣.....	مصادر الحديث
٦٣٣.....	أجواء ولادات الأئمة عليهم السلام

الفصل الرابع: المسائل الفكرية

٦٣٧.....	الديمقراطية والإسلام
٦٣٨.....	تنامي الصحوة الإسلامية
٦٣٨.....	الواقع الفكري
٦٣٩.....	الفضائية الثقافية
٦٤٠.....	علماء الدين والأمة
٦٤١.....	الفكر الحديث
٦٤١.....	الوحدة بين السنة والشيعة
٦٤٣.....	دور المرأة في الحياة
٦٤٤.....	المسجد والمدرسة
٦٤٤.....	غياب الخطوط التفصيلية
٦٤٥.....	تقدم الغرب وتأخر الشرق
٦٤٦.....	التعريف بالإسلام
٦٤٧.....	ثقافة الإسلام في مواجهة العولمة
٦٤٨.....	مفهوم البدعة اليوم
٦٤٨.....	الإسلام المعاصر وغير المعاصر

٦٠٢.....	الدليل على الشفاعة
٦٠٢.....	الاختلاف في حكم الله
٦٠٣.....	النصر الإلهي
٦٠٤.....	الدليل على وجود الخالق
٦٠٤.....	تسمية الله
٦٠٤.....	العدل من أصول الدين
٦٠٤.....	حرق الشيطان
٦٠٥.....	خلق ذوي العاهات
٦٠٦.....	الموت في كلمات علي عليه السلام
٦٠٦.....	الأنبياء من الذكور
٦٠٧.....	اليقين والبحث في الأصول
٦٠٧.....	المصلحة في وجود الشيطان
٦٠٨.....	عقائد المسنين
٦٠٨.....	الدين الإسلامي وبناء الإنسان
٦٠٩.....	الموت يوم الجمعة
٦٠٩.....	حرية الاعتقاد لغير المسلمين
٦١٠.....	الحسد والعين
٦١٠.....	تأثير الشيطان
٦١٠.....	تسييح الحيوانات
٦١١.....	التركيز على العقاب
٦١١.....	تصور الله
٦١٢.....	قوانين الرزق
٦١٢.....	حياة البرزخ
٦١٣.....	دعاء الإمام علي عليه السلام على خصومه
٦١٣.....	حجية التكليف

الفصل الثالث: مسائل السيرة

٦١٧.....	أولاً: الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم
٦١٧.....	زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بامرأة زيد
٦١٧.....	أخلاق إسلامية
٦١٨.....	زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصغيرات
٦١٨.....	تدين النبي قبل البعثة
٦١٩.....	ثانياً: الإمام علي عليه السلام
٦١٩.....	الإمام علي عليه السلام رائد الوحدة الإسلامية
٦٢١.....	عصمة علي عليه السلام
٦٢١.....	دفن الإمام علي عليه السلام
٦٢١.....	إمامة علي عليه السلام

الروحانية.....	٦٧٧
اختيار الزوجة.....	٦٧٨
الاحتفاظ بالسّر.....	٦٧٨
صرف الأولاد للعمل.....	٦٧٨
صلة الرحم وير الوالدين.....	٦٧٩
سجدة الشكر.....	٦٧٩
التوكّل في الحياة.....	٦٧٩
عقوق الوالدين.....	٦٨٠
مراتب الظلم.....	٦٨١
ما هي النجوى.....	٦٨١
تواد المسلمين.....	٦٨١
الطمع والطموح.....	٦٨٢
السعي في الزواج.....	٦٨٢
حصار العمل الاجتماعي.....	٦٨٣
تأديب الأبناء.....	٦٨٣
سيادة التخلف.....	٦٨٣
ترك الصلاة.....	٦٨٤
وساوس الشيطان.....	٦٨٤
عدم الإعانة على الحرام.....	٦٨٤
رد الشر بالشر.....	٦٨٥
الإسلام والحب.....	٦٨٥
الجهاد الأصغر والأكبر.....	٦٨٦
استحباب بعض الأعمال.....	٦٨٦
أعمال لم يثبت استحبابها.....	٦٨٦
تربية الأولاد.....	٦٨٦
الصلاة عمود الدين.....	٦٨٨
تأديب الأولاد بأداب الآباء.....	٦٨٩
التخلص من الكذب.....	٦٨٩
إشاعة العفاف.....	٦٨٩
تأديب الأبناء.....	٦٩٢
حاجات الإنسان.....	٦٩٢
دور الدعاء في حياتنا.....	٦٩٢
وساوس الشيطان.....	٦٩٥
المزاح بالباطل.....	٦٩٦
الشذوذ.....	٦٩٦
الدعوة بصمت.....	٦٩٦
الساکت عن الحق.....	٦٩٧

الكاظم ؑ وسجناء العقيدة.....	٦٤٩
نضج الفكر الإسلامي.....	٦٥١
الإسلام المعتدل.....	٦٥١
نظرية في الجبر.....	٦٥٢
حال الأمة الإسلامية.....	٦٥٢
الدفاع عن الإسلام بالحسنى.....	٦٥٣
العولة وتأثيرها على المرجعيات.....	٦٥٦
تعدد الإسلام.....	٦٥٦
العلماء التقليديون.....	٦٥٧
حال الأمة الإسلامية.....	٦٥٧
بين الانفتاح والانغلاق.....	٦٥٨
صناعة مفاهيم المجتمع.....	٦٥٩
العودة إلى الأصول.....	٦٦٠
البرنامج الوحدوي.....	٦٦٠
الإسلام والسياسة.....	٦٦١
انتشار الهدى.....	٦٦١
الهروب من الدين.....	٦٦٢
سماحة الإسلام.....	٦٦٣
دراسة الديمقراطية.....	٦٦٤
تاريخ البشرية.....	٦٦٤
غزو الثقافة الغربية للإسلام.....	٦٦٥
قيمة التفكير.....	٦٦٦
الغزو الثقافي.....	٦٦٧
بداية العام الهجري.....	٦٦٨
علم النفس والقرآن.....	٦٦٩
أمور المسلمين.....	٦٦٩
الكتب الحديثية.....	٦٦٩
تنظيم النسل.....	٦٧٠
أدوات الواقع.....	٦٧١
دور الشباب العراقي.....	٦٧١
دور المبلغين.....	٦٧١

الفصل الخامس: المسائل التربوية

البر بالوالدين.....	٦٧٥
التباهي.....	٦٧٥
حدود التعامل بين الأشقاء.....	٦٧٦
العمى عن عيوب النفس.....	٦٧٦

٧١٢..... النفس السائلة.....

٧١٢..... شحم الخنزير في الأطعمة.....

٧١٣..... شحم الخنزير في معجون الأسنان.....

ثالثا: الوضوء والصلاة..... ٧١٤

٧١٤..... وجوب صلاة الجمعة.....

٧١٤..... قراءة الحمد في الركعتين الأخيرتين.....

٧١٥..... آذان أهل السنة.....

٧١٥..... القراءة في الصلاة.....

٧١٥..... حضور صلاة الجمعة.....

٧١٥..... التهاون في الصلاة.....

٧١٦..... القضاء عن الميت.....

٧١٦..... التحميد في التشهد.....

٧١٦..... كثير السفر.....

٧١٦..... السفر لغير العمل.....

٧١٧..... تقدم وتأخر صلاة الجمعة.....

٧١٧..... الصلاة صوريا.....

٧١٧..... حكم الوسواس.....

٧١٨..... تنبيه الأبناء على الصلاة.....

٧١٨..... حدود البلد.....

٧١٨..... شرط المسافة في بناء المساجد.....

٧١٨..... الصلاة خلف إمام مجهول.....

٧١٩..... معرفة إمام الجماعة.....

٧١٩..... حضور صلاة الجمعة.....

٧١٩..... وجوب القضاء.....

٧١٩..... الالتزام في شهر رمضان.....

٧٢٠..... المسح في الوضوء على الباروكة.....

٧٢٠..... صلاة التراويح.....

٧٢١..... وجوب صلاة الجمعة.....

٧٢١..... لبس الحذاء في الصلاة.....

٧٢١..... الصلاة عن الهرم.....

٧٢٢..... تقديم الإفطار على الصلاة.....

٧٢٢..... اللحن في القراءة.....

٧٢٢..... خطبة صلاة العيد.....

٧٢٢..... الجهل بالقبلة.....

٧٢٣..... السفر عبر طريق مختصرة.....

٧٢٣..... وجوب صلاة الجمعة على النساء.....

٧٢٣..... السفر الكثير.....

٦٩٧..... أنواع الذنوب.....

٦٩٨..... معرفة قدر النفس.....

٦٩٨..... تضييع الأهل.....

٦٩٩..... كثرة التورية.....

٦٩٩..... مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.....

الفصل السادس المسائل الفقهية

أولا: المرجعية والتقليد..... ٧٠٣

٧٠٣..... العدول إلى فقيه آخر.....

٧٠٣..... تعدد المرجعيات.....

٧٠٣..... المبلغون الفاضلون.....

٧٠٤..... تغيير الحكم الشرعي.....

٧٠٤..... الفقه والفلسفة.....

٧٠٥..... الظن في التشريع.....

٧٠٥..... التقليد حسب الشياخ.....

٧٠٦..... من هو المحتاط؟.....

٧٠٦..... تقليد الفقيه خارج البلد.....

٧٠٦..... عمر الفتوى.....

٧٠٦..... اشتراط الأعلمية.....

٧٠٧..... الانفتاح في الفقه.....

٧٠٧..... إجماع الفقهاء.....

٧٠٨..... تقليد الأموات.....

٧٠٨..... تعطيل الحدود.....

٧٠٨..... تقليد الفقيه.....

٧٠٩..... تقليد الأعلام.....

ثانيا: النجاسات والطهارات..... ٧١٠

٧١٠..... الاغتسال فورا.....

٧١٠..... طهارة الماء الملاقى.....

٧١٠..... خروج الدم من الجبهة.....

٧١١..... مزيل العرق.....

٧١١..... الماء المختلط بالوضوء.....

٧١١..... الحاجب في الوضوء.....

٧١١..... تطهير التراب النجس.....

٧١١..... وقوع النجاسة على أعضاء الوضوء.....

٧١٢..... الجلود المستوردة.....

٧١٢..... الاستحمام بعد الغسل الواجب.....

٧١٢..... الغبار النجس.....

٧٣٤.....	تخميس الذهب.....
٧٣٤.....	الإفناق بدون نية الخمس.....
٧٣٥.....	تخميس مال من الخمس.....
٧٣٥.....	سهم السادة.....
٧٣٥.....	تسلم الحق الشرعي.....
٧٣٥.....	إخراج الخمس لأول مرة.....
٧٣٦.....	الخمس للأقارب.....
٧٣٦.....	إعطاء الخمس لعوائل المظلومين.....
٧٣٦.....	وجوب الخمس.....
٧٣٦.....	دفع الخمس قبل أوانه.....
٧٣٧.....	خمس الدار.....
٧٣٧.....	خمس أرض مشتراة.....
٧٣٧.....	زكاة الفطرة.....
٧٣٧.....	مصرف الصدقة.....
٧٣٧.....	الخمس في أرض.....
٧٣٨.....	شراء منزل على مدى سنوات.....
٧٣٨.....	رأس السنة.....
٧٣٨.....	الخمس في القرى.....
٧٣٨.....	تخميس الهدايا.....
٧٣٩.....	المصالحة بخصوص الحقوق الشرعية.....
٧٣٩.....	الخمس في الكتب.....
٧٣٩.....	الفوائد على الأخماس.....
٧٤٠.....	دفع الخمس لمن يملك العقار.....
٧٤١.....	سادسا: الحج والعمرة.....
٧٤١.....	حج على نفقة الوالدين.....
٧٤١.....	الإحرام لغير العمرة.....
٧٤١.....	الحج بمال مسيحي.....
٧٤١.....	الحج مع الاختلاف في الهلال.....
٧٤٢.....	حكم العمرة.....
٧٤٢.....	النيابة عن الجماعة.....
٧٤٢.....	استطاعة الحج في الماضي.....
٧٤٢.....	العمرة عن الحي.....
٧٤٣.....	حدوث الحيض في الحج.....
٧٤٣.....	التظليل للرأس في الحج.....
٧٤٣.....	شروط استطاعة للحج.....
٧٤٣.....	الإحرام في الطائفة.....
٧٤٤.....	التظليل أثناء الإحرام بالطائفة.....

١٣.....	الصلاة قضاء قبل الأداء.....
٧٢٤.....	الدعاء للصلاة.....
٧٢٤.....	الأذان والإقامة لصلاة القضاء.....
٧٢٤.....	الفاتحة والتوحيد في موضع.....
٧٢٤.....	السيحانيات.....
٧٢٤.....	تقديم القضاء على الفريضة.....
٧٢٤.....	القضاء من جلوس.....
٧٢٥.....	شروط الجماعة للنساء.....
٧٢٦.....	رابعا: الصيام والكفارات.....
٧٢٦.....	ثبوت الهلال.....
٧٢٨.....	التخلف عن صيام النذر.....
٧٢٨.....	الإفطار العمدى.....
٧٢٨.....	زكاة الفطرة.....
٧٢٨.....	الإفطار على محرم.....
٧٢٨.....	الإفطار على محرم.....
٥٢٩.....	صيام المرضعة.....
٧٢٩.....	الصيام قضاء في السفر.....
٧٢٩.....	الصوم وتقدم العمر.....
٧٢٩.....	فدية الصوم.....
٧٢٩.....	التدخين في شهر رمضان.....
٧٣٠.....	الإفطار للمريض.....
٧٣٠.....	صوم البنت الصغيرة.....
٧٣٠.....	الصوم في النفاس.....
٧٣١.....	الإفطار بسبب الصداع.....
٧٣١.....	كثير السفر.....
٧٣١.....	الاغتسال للصوم.....
٧٣١.....	قضاء الصوم الفائت.....
٧٣٢.....	إفطار المرأة الحامل.....
٧٣٢.....	فطرة شوال.....
٧٣٢.....	زرق الإبر في رمضان.....
٧٣٢.....	ارتكاب المحرم أثناء الإفطار.....
٧٣٣.....	السفر في رمضان.....
٧٣٣.....	الصوم مع الاحتلام.....
٧٣٤.....	خامسا: الخمس والزكاة.....
٧٣٤.....	دفع الخمس.....
٧٣٤.....	تخميس القرض.....

٧٥٧.....العاطفة في الزواج

٧٥٧.....كفارة الإجهاض

٧٥٨.....مهام الزوجة

٧٥٨.....تصدق الزوجة بمال زوجها

٧٥٩.....الابتعاد عن الزوجة

٧٥٩.....ابناء الطليقة

٧٥٩.....الاستعانة بالسحر

٧٦٠.....حرية المرأة في الإنجاب

٧٦٠.....رجوع الزوج

٧٦١.....الطلاق الخلعي

٧٦١.....المهر المؤجل

٧٦١.....اشتراط النفقة على الزوجة

٧٦٢.....الطلاق الخلعي

٧٦٢.....تمييز الممتلكات بين الزوجين

٧٦٢.....ولاية الجد أو الأب

٧٦٣.....المعاشرة في العدة الرجعية

٧٦٣.....الزواج بالبنت من زواج غير شرعي

٧٦٣.....صيغة العقد الشرعي

٧٦٣.....شروط الطلاق

٧٦٤.....انقطاع عدة الوفاة

٧٦٤.....نظر ابن الزوج

ثامنا: أموال وبنوك

٧٦٥.....الربا مع البنوك غير الإسلامية

٧٦٥.....العثور على مال

٧٦٦.....الغنى والإنفاق

٧٦٦.....استعارة كتاب

٧٦٦.....أخذ الربا من الذمي

٧٦٦.....بيع الفيذا

٧٦٦.....أخذ المال من الزوج

٧٦٧.....عقد التأمين

٧٦٧.....حرمان البنات من الإرث

٧٦٧.....البيع بالتقسيط

٧٦٧.....ديون متبادلة

٧٦٨.....القرض مع الزيادة

٧٦٨.....توزيع تركة الأرض

٧٦٨.....التصرف ببقطة

٧٦٨.....تحديد اجرة العامل

٧٤٤.....الادخار على أشهر للحج

٧٤٤.....الاستطاعة للحج

سابعاً: الزواج والطلاق

٧٤٥.....تجديد العقد

٧٤٥.....زواج امرأة فقد زوجها

٧٤٥.....موافقة الأب في الزواج

٧٤٦.....الطلاق بشهادتين

٧٤٦.....الطلاق والحيض

٧٤٦.....الزواج من أختين

٧٤٧.....طلب الطلاق الخلعي

٧٤٧.....هجر الزوج

٧٤٧.....منع الإنجاب

٧٤٨.....إنجاب الأطفال وحق الزوجة

٧٤٨.....الزواج من ظالم

٧٤٨.....تحقق رشد البنت

٧٤٨.....موقف الأولاد من زواج الأب

٧٤٩.....تقوى الزوجة

٧٤٩.....عدة الزوجة

٧٥٠.....حقوق الزوجة

٧٥٠.....حماية الزوجة

٧٥٠.....مرض الزوج والتفريق

٧٥٠.....عقد الزواج بالوكالة

٧٥١.....اشتراط الزوجة على الزوج الأول

٧٥١.....منع الزوجة من زيارة أهلها

٧٥٢.....العقود المدنية

٧٥٣.....لحاق الزوجة بالزوج

٧٥٣.....الزواج بالفقير

٧٥٤.....تزويج مريض

٧٥٤.....حكم الطلاق بالوكالة

٧٥٤.....الخلع في المحاكم الشرعية

٧٥٤.....أمر الزوج زوجته بالتبرج

٧٥٥.....التصرف بأموال الزوج

٧٥٥.....إهانة الزوجة زوجها

٧٥٥.....حضانة الولد

٧٥٦.....اعتقاد شرعية الزواج

٧٥٦.....الزواج من امرأة كبيرة السن

٧٥٦.....الزواج في مذاهب مختلفة

٧٨٢.....	جلب العمال غير المسلمين.....
٧٨٢.....	العمل في حلقة النساء.....
٧٨٣.....	الشك في محتويات منتج.....
٧٨٣.....	مقابلة السوء بالسوء.....
٧٨٣.....	نقل أعضاء الخزير.....
٧٨٣.....	علاقة الحب.....
٧٨٤.....	شراء الصابون الأمريكي.....
٧٨٤.....	حرق جثة الميت.....
٧٨٤.....	الشراء من متاجر تبيع الخمر.....
٧٨٥.....	إجهاض المشوهين.....
٧٨٥.....	قانون استقالة الموظفين.....
٧٨٥.....	النشر في مجلات غير إسلامية.....
٧٨٦.....	التعزية ب وفاة غير المسلم.....
٧٨٦.....	الخيطة للنساء.....
٧٨٦.....	زكاة الغلات.....
٧٨٧.....	سباق الرايسرز.....
٧٨٧.....	رد الإحسان.....
٧٨٧.....	تقديم اللحوم المحرمة لغير المسلمين.....
٧٨٧.....	تناول المنشطات.....
٧٨٨.....	نذر الزوجة.....
٧٨٨.....	اكل لحم الأرنب.....
٧٨٨.....	تبديل الأمتعة.....
٧٨٨.....	شركات دفن الموتى.....
٧٨٩.....	حلو مشكوك بها.....
٧٨٩.....	شركة مع غير مسلم.....
٧٨٩.....	ضرب الرؤوسين.....
٧٨٩.....	بقايا ممتلكات الآخرين.....
٧٨٩.....	النذر للمراقدين المشرفة.....
٧٩٠.....	الإنفاق على الوالدة.....
٧٩٠.....	التعامل مع معامل التبغ.....
٧٩٠.....	تحديد المولود.....
٧٩١.....	الاختلاط بين الرجال والنساء.....
٧٩١.....	دية ضرب الطفل.....
٧٩١.....	القسم بأسماء الأئمة ﷺ.....
٧٩١.....	تقديم الدخان.....
٧٩٢.....	مصرف النذر.....
٧٩٢.....	اختلاف الفقهاء في التدخين.....

٧٦٩.....	إخفاء مال الزوج عنه.....
٧٦٩.....	أموال الأولاد.....
٧٦٩.....	الاقتراض من البنوك.....
٧٧٠.....	العقد الفضولي.....
٧٧٠.....	المواجهة الشاملة.....
٧٧١.....	حكم الفائدة.....
٧٧٢.....	التصدق بالفائدة المصرفية.....
٧٧٢.....	البيع للأطفال دون علم الأهل.....
٧٧٢.....	مصرف النذر.....
٧٧٣.....	الريا من البنوك الكافرة.....
٧٧٣.....	نفقة الولد.....
٧٧٣.....	مصرف الضرائب في أمريكا.....
٧٧٤.....	جوائز البطولات الدولية.....
٧٧٤.....	الرهان على سباق الخيل.....
٧٧٥.....	المسابقات العلمية.....
٧٧٥.....	الجهات الراعية لليانصيب.....
٧٧٥.....	بطاقات الائتمان.....
٧٧٦.....	شراء مع الفائدة.....
٧٧٦.....	حكم الجوائز في المبيعات.....
٧٧٦.....	النذر في أموال الغير.....

تاسعا: السلوك والمعاملات..... ٧٧٧

٧٧٧.....	العقيدة والأضحية.....
٧٧٧.....	شهادة المدافع.....
٧٧٧.....	العمل في الخمر.....
٧٧٨.....	عطر الرجال.....
٧٧٨.....	مقاطعة البضائع الأمريكية.....
٧٧٩.....	التعامل مع غير المسلمين.....
٧٧٩.....	ارتداء الحجاب على البنت.....
٧٧٩.....	اللعب بآلات القمار.....
٧٧٩.....	إظهار الحنك في الحجاب.....
٧٨٠.....	إظهار القدمين.....
٧٨٠.....	حكم الانتحار.....
٧٨٠.....	الإعلان عن خطأ الغير.....
٧٨١.....	تحديد التكليف.....
٧٨١.....	ظاهرة الأكل في الشوارع.....
٧٨١.....	شراء اللحوم من تاجر مسلم.....
٧٨١.....	دهون الوجه.....

٧٩٤.....	العمل في حلاقة مختلطة
٧٩٥.....	التقاط الفواكه
٧٩٥.....	حكم ارتداء ربطة العنق
٧٩٥.....	لباس الشهرة
٧٩٥.....	الجلوس على مائدة الخمر
٧٩٦.....	إلقاء النفايات في المحال العامة
٧٩٦.....	حكم الأكل بمطاعم الغرب
٧٩٧.....	الفهرس

٧٩٢.....	الالتزام بالتكاليف بدون حجاب
٧٩٣.....	خمس الأموال المجتمعة للحج
٧٩٣.....	نقل الموتى من الغرب
٧٩٣.....	الفلظة في أحكام الإسلام
٧٩٣.....	الاستئساخ البشري
٧٩٤.....	إنشاد الشعر ونظمه
٧٩٤.....	وهب الأعضاء عند الموت
٧٩٤.....	الحدود الشرعية لضرب الطفل
٧٩٤.....	حكم النذر

